

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة

قسم الكتاب والسنة

تخصص: التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

القصص القرآني في موجز دائرة المعارف الإسلامية - دراسة تحليلية نقدية -

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الكتاب والسنة تخصص: التفسير وعلوم القرآن

إشراف الأستاذة الدكتورة:

إعداد الطالبة:

حدا سابق

إيمان فرطاس

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عبد العزيز ثابت	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة	رئيسا
حدا سابق	أستاذ تعليم عالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة	مشرفا ومقررا
عبد الغاني عيساوي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة	عضوا
نادية وزناجي	أستاذ تعليم عالي	جامعة الحاج لخضر باتنة 1	عضوا
عمر حيدوسي	أستاذ تعليم عالي	جامعة الحاج لخضر باتنة 1	عضوا
عبد الحميد بوكعباش	أستاذ تعليم عالي	جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل	عضوا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ / 2020-2021م

جامعة الأميرة
عبد القادر للعالم الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الإمامية

جامعة الأمير عبد

الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى:

❖ مهجة الفؤاد ونور عيني: أمي الحبيبة
وأبي العزيز.

❖ سندي في الحياة: زوجي الكريم

❖ إخوتي وأخواتي الغوالي

❖ فلذات كبدي أبنائي الأعزاء:

• أنس

• نور اليقين

• شهد الجنان

❖ إلى كل طالب علم جدّ واجتهد لخدمة
الأمة



شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له عز وجل أن وفقني لإتمام هذا العمل.
كما أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذة الدكتورة حدة سابق، التي
أشرفت علي هذا البحث، وتكرمت علي بالتوجيهات والنصائح.
ولا يفوتني أن أشكر الزوج الكريم الدكتور بشير بوساحة على مساعدته
لي طيلة مسار هذا العمل البحثي. والشكر موصول لكل من ساعدني
من قريب أو بعيد، ولكل من دعا لي بالتوفيق.



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ، خاتم الأنبياء والرسل أجمعين وبعد:

إن القرآن الكريم كتاب دقيق الألفاظ عميق المعاني، لا ينهل من معينه إلا من أخلص النية وأعمل العقل فيه متدبرا متفكرا، هدفه فهم مراد الله تعالى والعمل بأحكامه والقيام بأوامره. وقد عكف المسلمون منذ نزوله على الاهتمام به، بشرح معانيه واستخراج هداياته، وكشف إعجازه. ولم يقتصر هذا الدور على المسلمين فقط، فقد كان القرآن الكريم مثار اهتمام غير المسلمين، خاصة في العصر الحديث من خلال الدراسات الاستشراقية التي ظهرت كعلم جديد اعتنى بالإسلام وحضارته، وكان القرآن الكريم من أهم المواضيع التي تناولوها بالدراسة وحاولوا التعمق في علومه وتشريعاته، وذلك بإخضاعه لمناهج البحث الغربية النقدية التي استعملوها مع الكتب السماوية السابقة. في محاولات بائسة لرسم صورة مشوهة عن القرآن والإسلام بطمس الحقيقة فيهما، منطلقهم في ذلك نفي الوحي الرباني عنه، وجعله من تأليف محمد ﷺ، وهي مقدمة قلّما خلت منها هذه الدراسات، وبذلك تعمّقوا في البحث عن مصادر القرآن، وبيان علاقته بالديانات السماوية السابقة، والثقافات المجاورة للجزيرة العربية.

وقد عمل المستشرقون على نشر هذه الأفكار - ولم يدخروا في ذلك جهدا- من خلال عقد المؤتمرات ونشر البحوث والكتب، وجمع عصارة أفكارهم وخلصات بحوثهم وتوجهاتهم في موسوعة خاصة بالإسلام هي "دائرة المعارف الإسلامية" حاولوا جمع كل ما يتعلق بمواضيع الإسلام من أفكار وشخصيات وأماكن وقصص وإنجازات بين طياتها... فجاءت مواضيع الدائرة متنوعة مرتبة حسب الترتيب الأبجدي تتناول كل ما يتعلق بالإسلام وحضارته، والقرآن الكريم ومواضيعه والتي من بينها (القصص الواردة في القرآن الكريم) والذي كان محل اهتمام كبير من طرف كتابها نظرا لكونه عنصرا مشتركا بين الأديان، يعتمد على النقل والرواية، فهو مجال خصب لنشر آرائهم وبث مطاعنهم في القرآن الكريم التي تخدم الأهداف المغرضة للمستشرقين.

الإشكالية:

اهتمت الكتابات الاستشراقية بدراسة القرآن الكريم بهدف الطعن فيه، وإثبات أنه من تأليف وتجميع من محمد ﷺ، وكان القصص الوارد في القرآن الكريم من أهم المواضيع التي تطرق إليها المستشرقون، نظرا لوجوده في التراث اليهودي والمسيحي، واختلاف وقائعه عن الكتب السماوية الأخرى، وتميز منهجه في العرض عن المنهجية التاريخية الموجودة في الكتاب المقدس، ما جعل المستشرقين يميلون لدراسة القصص القرآني، وظهر ذلك في كتابات متفردة مثل: كتاب (ماذا اقتبس محمد من اليهودية) لأبرهام غايغر، كتاب (مصادر القصص الإسلامية في القرآن وقصص الأنبياء)، لسايدر سكاي (باريس، 1932م). كتاب (القصص الكتابي في القرآن)، لهنريش سباير (جريفنا ينخن، 1939م)، و(قصص القرآن) للمستشرق المجري بيرنارد هيللر، (مجلة عالم الإسلام، 1994م)...

وقد حفلت هذه الكتابات بشبهات ومطاعن كثيرة حول القصص القرآني، كانت نتيجة الخلفية الدينية أو الفكرية التي ألفت بظلالها أثناء دراستهم لهذه القصص، كما كان لهذه الدراسات تأثيرها الكبير على الفكر الاستشراقي خاصة في موضوع مصدر القرآن الكريم، بحيث جعلوا من القصص القرآني دليلا على أن القرآن تجميع من الديانات السابقة. وقد عكف المستشرقون على ملزمة هذه الجهود، وحفظها في أكبر موسوعة تدرس الإسلام وحضارته، هي "دائرة المعارف الإسلامية"، لتكون مرجعا هاما خاصة عند غير المسلمين، واعتمدوا على المناهج الغربية الحديثة والآليات النقدية في طرحهم لمواضيعها، ووثقوا فيها النتائج التي تحصلوا عليها من دراستهم، خاصة أن أكثر كتّاب هذه الدراسات كانوا من مؤلفي مواد الدائرة.

وقد ترجمت هذه الدائرة إلى العربية، وكان آخرها إصدار لها (موجز دائرة المعارف الإسلامية) الذي استدرك المواد الجديدة في الإصدار الثاني من الأصل الإنجليزي للدائرة، وقد كان من منهجية الإصدار الأول والثاني أن تترجم فيهما المواد كما في الأصل، ثم يلحق بها تعليق لكبار العلماء المسلمين يكشف عن الشبهات الموجودة في هذه المواد ويبين أهداف المستشرقين ومنهجيتهم، ثم يُرد

على هذه الشبهات وتصحيح المفاهيم والأخطاء، بما يحرص المسلم من خطر هذه الشبهات، لكن هذه المنهجية غابت في المواد الأخيرة من موجز الدائرة من حرف (العين إلى الياء)، وأصبحت تعرض المواد بشبهاتها، ما استوجب القيام بدراسات وردود لمثل هذه الشبهات، والذي اختارت هذه الدراسة منه موضوع قصص القرآن، فما هي طريقة عرض المستشرقين المواد المتعلقة بالقصص القرآني في موجز دائرة المعارف الإسلامية؟ وما هي أهم الشبهات المثارة حوله، وكيف يمكن الرد عليها؟

حدود الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة كأساس لها موجز دائرة المعارف الإسلامية، وهي الترجمة العربية التي قام بها مركز الشارقة للإبداع الفكري للطبعة الثالثة من دائرة المعارف الإسلامية، هذا الموجز مكون من اثنان وثلاثون مجلداً، ومجلد للكشافات والفهارس. وتم اختيار هذا الإصدار عن سابقه لشموله لأغلب مواد القصص القرآني، بما فيه استيعاب أكبر للموضوع، ولأنه يشمل الإصدار الأول والإصدار الثاني، ماعدا بعض مواد القصص التي وردت في الإصدار الثاني وحذفت من موجز الدائرة، وهي ليست أساسية في هذه الدراسة: مثل مادة آزر، مادة أصحاب الرس...

كما اختيرت الترجمة العربية لهذه الدائرة، لسهولة التعامل بها وضبط الأفكار الواردة فيها، للرد على الشبهات المثارة حول موضوع القصص القرآني التي تشوش على مجال الفكر الإسلامي خاصة عند الشباب، كونها أصبحت معتمدة في أغلب المكتبات العربية، وإن تم الرجوع في كل مادة إلى الأصل الإنجليزي لتبيّن الزيادات والنقصان عن الترجمة العربية خاصة في مواد القصص بعد حرف العين، لأنّ منهجية الموجز في تكملة الترجمة تقتضي درء الشبهات بحذف أخطرها، لعدم إيراد ردود علمية محكمة عنها.

كما تختص هذه الدراسة بتناول موضوع القصص القرآني كما جاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية، وإبراز الجوانب الإيجابية والسلبية فيه وإعطاء صورة عامة عن النظرة الاستشراقية حول هذا الموضوع من خلال دراسة أنواع القصص التي جاءت في الموسوعة وكشف الشبهات المثارة حولها. ولن تتطرق الدراسة إلى الشبهات الأخرى إلا بما يخدم الموضوع أو يتعلق به. إضافة إلى أنها ستتركز على

القصص التي وردت في موجز دائرة المعارف الإسلامية ولن تبحث فيما جاء في القرآن ولم يذكره موجز الدائرة. اعتمادا على تقسيم أنواع القصص في القرآن: وهي قصص الأنبياء، وقصص أخرى السابقة. وما كان من قصص الرسول ﷺ في القرآن لا تعدّه الدراسة من القصص القرآني بل من موضوع السيرة النبوية. لذلك فإن الدراسة الحالية تدور حول آيات القصص القرآني وتخصّه بموجز دائرة المعارف الإسلامية.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب والدوافع التي جعلتني أبحث في هذا الموضوع:

- المكانة التي تحظى بها دائرة المعارف الإسلامية في المكتبات العالمية، كمصدر أساسي عن الحضارة الإسلامية خاصة في المكتبات الغربية، بالرغم من الأخطاء والشبهات المنتشرة بين دفتيها، وما زاد من خطرها ترجمتها إلى العربية واستعانة الباحثين العرب بها في دراساتهم على أنّها مؤلف موضوعي نتيجة جهود متكاتفة للمستشرقين، ممّا ساعد على بث هذه السموم في الفكر العربي والإسلامي، خاصة في أوساط الشباب المتهلل فكريا، والمفتتن بمناهج الغرب. ممّا أوجب الاهتمام بالردّ عليها وتصحيح النظرة حول الإسلام وحضارته.
- الرغبة في التعمق في موضوع القصص القرآني، نظرا لمكانته في القرآن الكريم وتميّز أسلوبه في معالجة أخطاء النفس البشرية، فهو من أفضل الوسائل للدعوة إلى الله.
- محاولة التعرف على النظرة الغربية لقصص الأنبياء من خلال مصادرهم، ومقارنتها بالقصص الحق، وكشف التحريف الواقع في الكتاب المقدّس.
- جمع المواد المتفرقة في موجز دائرة المعارف الإسلامية حول موضوع القصص القرآني، ومحاولة ترتيبها وتهدئتها ودراستها بما يسهّل على الباحثين العودة إليها.
- كشف منهجية المستشرقين في دراساتهم للإسلام عموما وعلوم القرآن خصوصا، لتبيّن أهدافهم و مناهجهم والحذر منها.

أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها وقيمتها مما يأتي:

— الدور الأساسي للدراسات القرآنية المتعلقة بالدفاع عن القرآن الكريم والانتصار له، خاصة أمام سيل الدراسات الاستشراقية والغربية التي تطعن في نظمه وفي إعجازه. وذلك لإهتمامها بعمل موسوعي ضخم ومهم في عالم الكتب الغربية والعربية يعد خلاصة دراسات باحثين غربيين كبار حول القرآن الكريم وموضوعه، يتجسد فيه الفكر الاستشراقي جلياً بما ينشره من صورة مشوهة عن الإسلام تحمل في طياتها الكثير من المغالطات والمفاهيم الخاطئة

— الأهمية الكبيرة لموضوع القصص القرآني وتأثيره العميق في سلوك الإنسان وأفكاره ومعتقداته، ولما تتميز به القصة القرآنية من خصائص تمنحها بعداً حيويًا نابعا من صدقها بابتعادها عن كل الخرافات والأساطير، وسمو أهدافها بزرعها القيم والأخلاق العالية. كما أن لها اتصالا وثيقا بالظاهرة الدينية، نظرا للتباين الواسع في أحداثها وتفصيلها بين الأديان السماوية، بسبب الاختلاف في الغاية والمنهج والأسلوب. ما جعل منها أداة لبث الشكوك في رسالة الإسلام والقرآن. لذا ما تزال الأيدي تناله بالكتابة والبحث، والعقول بالتفكير والإمعان.

— الحاجة إلى عمل نقدي يوضح موقف المستشرقين من القصص القرآني، ويكشف طبيعة المنهج والخلفيات الدينية والفكرية المعتمدة التي أثرت في الحكم الاستشراقي على القصص القرآني. وإبراز الأهداف والوسائل لهذا النوع من الدراسات. مع رصد تطور النظرة الاستشراقية إلى القرآن من خلال هذا الموضوع.

أهداف هذه الدراسة:

بناء على الملامح العامة التي تستمد منها الدراسة قيمتها وأهميتها فإن هذه الدراسة تطمح إلى

تحقيق الأهداف التالية:

— الوقوف على حقيقة الشبهات المثارة حول القصص القرآني في دائرة المعارف الإسلامية، وبيان النظرة العامة لكتاب الموسوعة تجاه القصص القرآني.

- رد هذه الشبهات ونقد الأفكار الخاطئة والمغالطات في الدائرة حول موضوع القصص القرآني ولملمة جهود العلماء المسلمين في الرد عن هذه الشبهات في كل قصة من القصص القرآني.
- بيان المنهجية المعتمدة من طرف مؤلفي الدائرة في كتابة القصص القرآني.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاطلاع على ما كتب حول موضوع القصص القرآني، لم أجد دراسة تخصصت في تناول موضوع القصص القرآني عموماً في موجز دائرة المعارف الإسلامية، مع وجود دراسات قريبة أو ذات علاقة بموضوع الدراسة، وقد تم ترتيبها على حسب شدة صلتها بموضوع الدراسة وهي:

شبهات المستشرقين حول أولي العزم من الرسل من خلال دائرة المعارف الإسلامية - عرض

ونقد-: ثروت حسن عبد الرحمان مهنا، تحت اشراف كل من: السعيد السعيد علي الصغير، حمادة

حسن محمد الفخراي، رسالة ماجستير من جامعة الأزهر، 2012م، وهي دراسة لم أتمكن من الاطلاع عليها ومعرفة تفاصيلها، وقد اختصت بجزء من الموضوع المطروح لأن القصص القرآني متنوع وواسع، وليس خاصاً بأولي العزم فقط وقد طُرح في موجز الدائرة بمواد مختلفة. وهو ما تستقصيه الدراسة الحالية.

● التفسير وموضوعاته في دائرة المعارف الإسلامية - دراسة ونقد- يسرى أحمد البيرودي،

تحت اشراف مصطفى ابراهيم المشني، رسالة ماجستير في التفسير، الجامعة الأردنية، 2007م، تناولت فيه الباحثة فيه أنواع التفسير في الدائرة، وخصصت الفصل الثالث من الدراسة للقصص القرآني ومنهج البحث في التفسير، تناولت فيه بعض مواد القصص وردّت بشكل عام على الشبهات، ولم يكن شاملاً لكل مواد القصص القرآني، كما لم تظهر فيه منهجية المستشرقين في عرض مواد القصص بشكل واضح، ذلك أنّ التركيز كان حول موضوع التفسير وأنواعه، وهو ما تستدركه هذه الدراسة من خلال التركيز فقط على موضوع القصص القرآني والوقوف الدقيق على الشبهات وكذا الردّ عنها.

● كتاب مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية: خالد بن عبد الله القاسم،

دار الصمعي - الرياض، ط1، 2010م، وهو في أصله رسالة دكتوراه، تناول فيها الباحث أهم الشبهات في الدائرة عبر أربعة أبواب: جعل الباب الثالث فيها لموضوع النبوة في الدائرة، وقسمه

لفصلين: الفصل الأول تناول فيه الأنبياء قبل محمد ﷺ في الدائرة، والفصل الثاني: تناول فيه محمد ﷺ في الدائرة، لكن يلاحظ عليه أنه لم يوفّ الفصل الأول حقّه، فقد ركّز على قصص الأنبياء، وعرض بعض الأمثلة عرضاً سريعاً وموجزاً، وركّز على ذكر شبهات متفرقة عن الأنبياء والرد الاجمالي عليها. عليها فقط وجاء في قرابة 40 صفحة، مقارنة بالفصل الثاني الذي توسّع فيه، وجاء في قرابة 400 صفحة، فكان هدف الدراسة ملممة أكبر عدد من الشبهات في الدائرة في شتى المواضيع، ولم يركز على القصص القرآني الذي هو الموضوع الأساسي للدراسة الحالية.

● أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، عرض ومناقشة، عبد الجواد محمد الحمص، الدار

المصرية للنشر والتوزيع، 2000م، ط1. وهي دراسة خصصت عموماً لدراسة القصص القرآني وما أثير حوله عبر التاريخ من شبهات وأباطيل، ركز فيها المؤلف على الشبهات الخاصة بالافتباس من الشعر الجاهلي وقصص اليهود والنصارى والفرس، وشبهة اشتغالها على الأخطاء التاريخية، واحتواء القصص القرآني على القصص الأدبي الأسطوري والقصص الخيالي، ومن ثم حاول تفنيد بعض الشبهات حول شخصيات القصص القرآني. وتعد هذه الدراسة بحثاً تاريخياً لأهم الشبهات المثارة ضد القصص القرآني عموماً من دون تفصيل في أنواعه أو تناول كل قصة لوحدها، إضافة إلى أنه لا يركز على مصدر واحد يستقي منه هذه الشبهات، ولم يهتم بالإنتاج الاستشراقي فقط، بل تطرّق إلى الشبهات عموماً حتى من طرف المشركين وكذا الأدباء المسلمين المعاصرين، واختلفت عنه الدراسة الحالية بتحديد مصدر واحد هو دائرة المعارف الإسلامية.

● مباحث السيرة النبوية في دائرة المعارف الإسلامية - دراسة تحليلية نقدية -، محمد بن

قيدة، تحت إشراف أ.د حميد قوفي، رسالة دكتوراه في جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2018م، تطرّق الباحث فيها الى موضوع السيرة النبوية في دائرة المعارف الإسلامية من خلال أربعة أبواب: تناول فيها وقائع السيرة قبل البعثة، وأحداث العهد المكّي، ثمّ وقائع العهد المدني، وخصّص الباب الأخير للغزوات والسرايا، فكانت هذه الدراسة تختص بالنبّي ﷺ وتحيط بتفاصيل حياته، وهي مكتملة من الناحية العلمية لموضوع القصص القرآني، لأنّ الدراسة الحالية خصّصت موضوع القصص القرآني بما كان قبل بعثة النبي ﷺ.

● كتاب دائرة المعارف الاستشراقية أضاليل وأباطيل، د إبراهيم عوض، مكتبة البلد الأمين،

القاهرة - مصر، ط1، 1998 م، تناولت هذه الدراسة أهم المحاور الخاصة بالدائرة مثل القرآن الكريم، محمد ﷺ، العقيدة، الأمور الفقهية، التاريخ، المسائل اللغوية وترجمة النصوص القرآنية. وتعتبر هذه الدراسة دراسة عامة وموجزة للشبهات المثارة عن الإسلام في الدائرة، والرد عليها، وأورد الشبهة الخاصة بموضوع القصص في محور حديثه عن القرآن الكريم بدون تفصيل فيها، وإن كانت استفادات هذه الدراسة منه في بيان المنهج العام للمستشرقين في تناول مواضيع القرآن الكريم.

● الدراسات التي تتعلق بموضوع القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية والتي من أهمها:

- القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية، د. حميد بن ناصر الحميد،
- الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، محمد السعيد بن السيد جمال الدين،
- القرآن الكريم في موجز دائرة المعارف الإسلامية جمال أبو حسان، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج 3، ع 2، 2007م.

وهي مقالات تدرس مادة (قرآن) في دائرة المعارف الإسلامية، والرد على أبرز الشبهات الواردة فيها حوله، دون الولوج إلى علوم القرآن الأخرى والتي من بينها القصص، فهي دراسات عامة للقرآن ككل، أما الدراسة الحالية فهي مختصة بنوع أساسي من علوم القرآن وهو القصص القرآني.

صعوبات الدراسة

واجهت هذه الدراسة عدة صعوبات كان أهمها كبر حجم موجز الدائرة الذي كان في اثنان وثلاثون مجلداً، ومحاولة الدراسة تفصيلى ذكر القصة في مواد ذات صلة مع مواد القصص، وكذا محاولة التحقق من المعلومات التي يذكرها المستشرقون بالرجوع والبحث في المصادر الإسلامية، والتي غالباً لا يتم ذكرها، وصعوبة الرجوع إلى مصادرهم الاستشراقية التي اعتمدوا عليها بكثرة، وكانت بلغات اجنبية مختلفة وأغلبها بالألمانية.

منهج الدراسة

تعد هذه الدراسة دراسة تحليلية نقدية، فهي تعتمد على:

○ **المنهج الاستقرائي:** وذلك باستقراء آيات القصة القرآنية الواحدة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، لتشكيل الهيكل العام للقصة، كما تم استقراء ما ورد في موجز دائرة المعارف الإسلامية من مواد تختص بموضوع القصص القرآني، وكذا جمع الشبهات في كل مادة.

○ **المنهج الوصفي:** لوصف الاستشراق ومناهجه، وكذا وصف القصص القرآني وخصائصه، وتوصيف موجز الدائرة ومنهج كتابتها.

○ **المنهج التحليلي النقدي:** وذلك بتحليل وشرح قصص القرآن، وكذا تحليل المعلومات الواردة في الدائرة عن هذه القصص، وإبراز النقاط المنهجية التي ركّز عليها المستشرقون في إيراد القصص. واستعمال النقد لكشف الأخطاء والشبهات الواردة في الدائرة فيما يخص القصص القرآني ثم الرد عليها.

○ ولأن موضوع القصص القرآني ذو حجم كبير وواسع ومتنوع تمّ تقسيم الدراسة التطبيقية إلى ثلاثة أقسام في ثلاث فصول، قسم أنبياء غير بني إسرائيل، وقسم أنبياء بني إسرائيل، وقسم قصص غير الانبياء، وقد تمّ اعتماد هذا التقسيم تبعاً للترتيب المتتابع والمتسلسل للأنبياء، وإن أُجِّلَ به في بعض المواضيع للضرورة، وكذا لتسهيل دراسة الموضوع بحيث لا يستصعب القارئ دراسة كل قصة على حدا والإلمام بشبهاتها والإحاطة بالرؤية الاستشراقية لكل قصة قرآنية في موجز الدائرة، بخلاف اعتماد تقسيم الموضوع على حسب الشبهات، أو تبعاً لمنهجية المستشرق، بما يجعل صورة القصة غير واضحة أبداً. كما أن الخلفية الدينية للمستشرقين كونهم مسيحيين أو يهود، أَلقت بظلالها في طرحهم لقصص أنبيائهم، الزاخر بها تراثهم، ما يستوقف الدراسة لكشف طريقة تناولهم لمثل هذه القصص.

– يتمّ تحديد مضمون القصة القرآنية من مصدرين أساسيين هما القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ولا يعتمد أي حديث ضعيف خاصة في تفسير الآيات القرآنية، لكيلا نخلط الحق بالبين القطعي الثبوت وهو آيات القرآن بما هو ظني الثبوت.

- يتم عرض القصة في موجز الدائرة، بحسب عنوان المادة، الذي يحمل اسم الشخصية أو القوم، ويتمّ التطرق بداية إلى ذكر عنوان المادة، واسم مؤلفها واسم مترجمها، والمعلّق إن وجد، ثم تقسّم المادة إلى فقرات بحسب الأفكار الواردة فيها ويتم تحليلها ونقدها واستخراج الشبهات منها ثم الرد عليها.
- بعد ذكر المادة الأساسية الخاصة بالقصة القرآنية، يتم الاستعانة بالمواد الفرعية التي أشارت لموضوع القصة القرآنية وبحث الشبهات فيها إن وجد.
- تمّ التعريف بالمستشرقين كتاب مواد القصص في الفصل الأول من الدراسة ضمن مبحث موجز الدائرة، لتجنب تكرارهم وسهولة الرجوع إليهم.
- حاولت الدراسة التركيز على النقاط المنهجية التي اعتمدها المستشرقون في دراسة كل قصة، ثم تلخيصها في الخاتمة.

خطة البحث:

- ترتكز الدراسة أساساً على مقدمة، فصل تمهيدي، ثلاثة فصول رئيسية وخاتمة .
- مقدمة :** تضم حدود البحث وإطاره، وأهمية البحث، وأهدافه، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة والمنهج المتبع في الدراسة وخطة البحث.
- تناول الفصل التمهيدي مبحثين: أولهما التعريف بالاستشراق ونشأته ومدارسه، وكان المبحث الثاني للتعريف بمناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم.
- وتم تخصيص الفصل الأول: للتعريف بمصطلحات الدراسة من خلال مبحثين أساسيين أولهما يعنى بالتعريف (بالقصص القرآني) وذكر أنواعه ومنهج عرضه في القرآن، وذكر أهم الشبهات العامة الواردة حوله. والمبحث الثاني يهتمّ بالتعريف بـ (موجز دائرة المعارف الإسلامية) وإبراز أهدافه، والتطرق لمنهج كتابتها وأهم مؤلفيه وأقوال العلماء في الدائرة.
- أمّا الفصل الثاني: فيتعلق بدراسة قصص أنبياء غير بني إسرائيل في موجز الدائرة، وجاء في أربعة مباحث، المبحث الأول: قصص آدم ونوح وإدريس، المبحث الثاني: قصص هود وصالح وشعيب،

المبحث الثالث: قصص أيوب وذو الكفل وإلياس ويونس، المبحث الرابع: قصص إبراهيم ولوط،
إسماعيل وإسحاق عليهم السلام.

واختصّ الفصل الثالث بقصص أنبياء بني إسرائيل في موجز الدائرة: وجاء في أربعة مباحث:
المبحث الأول: قصص يعقوب ويوسف، المبحث الثاني: قصص موسى وهارون، المبحث الثالث:
قصص داوود وسليمان، المبحث الرابع: قصص زكريا يحيى وعيسى عليهم السلام

أمّا الفصل الرابع فاهتمّ بقصص غير الأنبياء في موجز الدائرة، وجاء في مبحثين، المبحث الأول:
قصص سورة الكهف في موجز الدائرة، المبحث الثاني: قصص قرآنية أخرى
ثم خاتمة فيها خلاصة لأهم النتائج والتوصيات.

الفصل التمهيدي: الإستشراق ومضامنه

المبحث الأول: نظرة عامة حول الإستشراق

- المطلب الأول: مفهوم الاستشراق ونشأته
- المطلب الثاني: دوافع الاستشراق ووسائله
- المطلب الثالث: مدارس الاستشراق
- المطلب الرابع: آثار الاستشراق وكيفية مواجهته

المبحث الثاني: منهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم

- المطلب الأول: مفهوم مناهج المستشرقين وأهمية المنهج.
- المطلب الثاني: أهم مناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم
- المطلب الثالث: بعض آليات المستشرقين في دراستهم للقرآن الكريم.
- المطلب الرابع: سمات عامة لمناهج المستشرقين
- المطلب الخامس: موقف المسلمين من مناهج المستشرقين

تمهيد

لطالما كان القرآن الكريم مثار اهتمام عقول البشر والمفكرين والعلماء، بما يحويه من دلائل ومعجزات بلاغية وعلمية واجتماعية وتاريخية، وبما يثيره في النفس من صور ومعاني عقلية، واحاسيس عاطفية تنعكس على حياة الفرد والمجتمع، فكان مجال بحث عند المسلمين وغيرهم، واختلفت الدوافع والأهداف من دراسته، بين مفسر لحقائقه وكاشف لبراهينه واعجازه، وبين منكر لوحيه متربص للنيل منه لإبطال مصدريته من عند الله عز وجل، وأدرك أعداء الإسلام أن النيل منه لن يكون الا بالنيل من القرآن الكريم، فانصبت جهودهم على البحث والجمع والنقد وعرضه على المنهجية العلمية الحديثة، كما فُعل بالكتاب المقدس عندهم، الذي تبين لهم تحريفه بما يحويه من متناقضات، فتكاثفت جهودهم وتعمقت كتاباتهم وعقدت المؤتمرات وجمعت البحوث في موسوعات بما كون علما خاصا يهتم بدراسة الحضارة الإسلامية وانتاجاتها، وفي هذا الفصل سنتعرف على الاستشراق ومنهجيته العامة في دراسة الإسلام.

المبحث الأول: نظرة عامة حول الاستشراق

إن الناظر في مصنفات الاستشراق والمستشرقين يدرك أن الاستشراق علم له مناهج وجذور راسخة في الزمن، ومدارس ووسائل تعزز فكره، ومؤسسات قائمة عليه تدعمه، ما جعله يترك بإنتاجاته بصمة واضحة في عالم الفكر سواء في العالم الإسلامي أو العالم الغربي، وهو ما جعل الباحثين والنقاد يتجهون للبحث في تاريخه ومناهجه، فتعددت كتاباتهم واختلفت رؤاهم حوله وتنوعت مفاهيمهم له، خاصة مع عدم القدرة على تحديد بداياته ونشأته، وكذا صعوبة الإحصاء الشامل لإنتاجاته، لتشعبه في جميع الميادين وفروع العلم، وبهذا تعددت مفاهيمه نظرا للدور الذي لعبه والأثر الذي تركه.

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق ونشأته

اختلفت آراء الباحثين في الشرق والغرب لوضع مفهوم دقيق للاستشراق، يكون جامعا ومانعا، ويُلبي نتاج هذه الحركة الفكرية، ويوضح أهدافها، ويبيّن دورها وآثارها على الفكر الإنساني عموما والفكر الإسلامي خصوصا، وهذا راجع إلى الاختلاف حول نشأة هذا العلم، ومراحل تطوره، فما هي أهم المفاهيم التي وضعت لعلم الاستشراق، وكيف كانت نشأته؟

الفرع الأول: مفهوم الاستشراق

لتحديد مفهوم الاستشراق يجب الرجوع إلى المعنى اللغوي لمصطلح الاستشراق ليبيّن جذره اللغوي، ومن ثم يُبحث معناه في الاصطلاح.

1. الاستشراق في اللغة:

لم ترد لفظة الاستشراق كمصطلح في قواميس اللغة العربية لكن يستخلص معناها باستخدام علم الاشتقاق والصرف. فمصدرها الأصلي من كلمة شرق. وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس "الشين والراء والقاف أصلٌ واحد يدلُّ على إضاءةٍ وفتحٍ. من ذلك شَرَقَتِ الشَّمْسُ، إذا طلّت. وأشرقت إذا أضاءت. والشُّرُوق: طُلوعها... والشَّرْق: المَشْرِق".¹

وفي لسان العرب: "شرق: شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً: طلعت، واسم الموضع المشرق ... وشرقوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق. وكل ما طلع من المشرق فقد شرق، ويستعمل في الشمس والقمر والنجوم".²

فأصل كلمة الاستشراق في اللغة من الشرق وهو مطلع الشمس، وأضيف له الألف والسين والتاء (است) التي تفيد طلب الأمر فأصبح (استشرق) وهو طلب الشرق.

ولمّا درج استعمال هذه الكلمة عند الباحثين، تم إضافتها إلى المعاجم اللغوية الحديثة: فقد جاء في متن اللغة: "استشرق طلب علوم الشرق ولغاتهم - مولدة عصرية- يقال لمن يعتني بذلك من علماء الفرنجة".³

والاستشراق في المعجم الأدبي هو "دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته".⁴

¹ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، 2002م، دط، ج3، ص 264.

² محمد بن منظور المصري، لسان العرب، دار صادر-بيروت، ط1، ج 10، ص 173.

³ أحمد رضا، معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1959م، ج3، ص 311.

⁴ جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م، ص 17

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة هو: "عناية واهتمام بشؤون الشرق وثقافته ولغاته، أو أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه"¹.

وهي في حقيقتها تعاريف تميل إلى الجانب الاصطلاحي أكثر منها تعاريف لغوية، لكن في عمومها تشير إلى طلب الشرق والاهتمام بعلمه وتراثه.

2. الاستشراق في الاصطلاح

اختلف الباحثون حول تحديد مفهوم مصطلح الاستشراق، وهذا الاختلاف نابع من اختلافهم في تحديد المقصود بالشرق والغرب:

● فمنهم من حدّده جغرافياً: فالغرب هو أوروبا وأمريكا، والشرق هو ما عدا ذلك (الشرق الأوسط والأقصى).

● ومنهم من يحدّده أيديولوجياً: فالغرب هو أوروبا وأمريكا وكل من انتهج الفكر الغربي كاليابان مثلاً، والشرق هم أصحاب الحضارات الشرقية القديمة السابقة للفكر الغربي وجذوره الرومانية الإغريقية. ونتيجة للتطور الذي مرّ به مصطلح الاستشراق واختلافه عبر الزمان والمكان اختلفت تعاريفه أيضاً فكانت هناك تعاريف عامّة وهناك تعاريف متخصصة، كما اختلفت الرؤية بين الباحثين العرب وغيرهم من الغربيين الذين أنشأوا هذا المصطلح. لذا سيتم التعرف على معنى الاستشراق في المكان الذي نشأ فيه وهو الغرب، ثم عند العرب الذين استقبلوا هذا العلم ونتائجه.

أ- الاستشراق عند الغربيين:

يرى رودى باريت² Raudi Paret أن الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، ولا بد لنا إذن أن نفكر في المعنى الذي أطلق على كلمة الاستشراق المشتقة من كلمة شرق، وكلمة شرق تعني

¹ ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب - القاهرة، ط1، 2008م، ج2، ص 1192-1193.

² رودى باريت Rudi Paret (1901-1983م): مستشرق ألماني، ترجم القرآن الكريم الى الألمانية مع شرح فيلولوجي، عُين أستاذ للإسلاميات والساميات في جامعة توينجن، من أثاره: ترجمة القرآن بالألمانية، محمد والقرآن، الإسلام والتراث الثقافي اليوناني، ينظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين - بيروت، ط3، 1993م، ص 62-63.

مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق: هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي¹. فالاستشراق عند رودى باريت له معنيين: معنى خاص هو فقه اللغة، ومعنى عام هو علم الشرق.

ويعرفه اغناطيوس جويدي² Ignazio Guidi: بقوله: "الوسيلة لدراسة كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو (علم الشرق) ... ليس علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنساني ..."³. ويعتمد المستشرق الإنجليزي آربري⁴ ARBERRY تعريف قاموس أكسفورد (Oxford Dictionary) الذي يعرف المستشرق بأنه من تبخر في لغات الشرق وآدابه، كما يرى أن الاستشراق قد تحطى حدوده الى ميادين تنتمي في حقيقتها الى علوم أخرى مستقلة، وإن كانت مجانسة له ... وأول استعمال لكلمة مستشرق كان في سنة 1630م، حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية⁵، فالاستشراق عنده يتركز في دراسة اللغة والآداب.

ومن الغربيين الذين تناولوا ظهور الاستشراق وتعريفه المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون⁶ Maxime Rodinson الذي أشار إلى أن مصطلح الاستشراق ظهر في اللغة الإنجليزية عام 1799 بينما ظهر في اللغة الفرنسية عام 1838، وأن الاستشراق إنما ظهر للحاجة إلى إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق، ويضيف بأن الحاجة كانت ماسة لوجود متخصصين للقيام

¹ رودى باريت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الإسلامية، تر مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2011، ص17.

² اغناطيوس جويدي Ignazio Guidi (1844-1935م): مستشرق إيطالي، شيخ المستشرقين في اللغات السامية انتدب أستاذا للأدب العربي في الجامعة المصرية، له العديد من الأعمال في مجال الادب العربي، ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف - مصر، 1964م، ط3، ص 375-377.

³ أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، دط، ص24

⁴ آرثر.ج. آربري ARBERRY A.j (1905-1969م): عين أستاذ للغة الفارسية في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية، ثم أستاذا للغة العربية التي يتقنها، كان عضو في عدة مجامع علمية منها المجمع العلمي العربي بدمشق، من اثاره: كتاب التعرف للكلاذبي، كتاب المواقف ويليها المخاطبات للنفري، ترجمة كتاب التصوف، كتاب التوهم للمحاسبى، وغيرها، ينظر: العقيقي المستشرقون، مرجع سابق، ص556-557

⁵ آرثر. ج. آربري. المستشرقون البريطانيون. تعريب محمد الدسوقي النويهى. (لندن: وليم كولنيز، 1946) ص7-8.

⁶ مكسيم رودنسون Maxime Rodinson (و1915م): من أساتذة الدراسات العليا بفرنسا ثم مديرها من اثاره: مباحث في فن الطبخ عند العرب، والعديد من المقالات، ينظر العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ص328.

على إنشاء المجالات والجمعيات والأقسام العلمية¹، وهذا في الحقيقة ليس بياناً لمفهوم الاستشراق بقدر ما هو بيان للهدف منه.

ومن التعاريف السابقة نتبين عدة نقاط لمفهوم الاستشراق في الغرب أهمها:

- أن مصطلح الاستشراق حديث في اللغات الغربية.
- أنه يختص بدراسة الشرق ويركز على اللغة والآداب أكثر، كان هذا في بداياته ثم تطور ليشمل كل العلوم الأخرى.

ب- الاستشراق عند العرب:

يعرف أحمد حسن الزيات الاستشراق بقوله: "يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممهم، ولغاتهم وآدابهم، وعلومهم وعاداتهم، ومعتقداتهم وأساطيرهم ولكنّه في العصور الوسطى كان يُقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين (المسيحي) ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم"².

وقد تباين مفهوم الاستشراق عند ادوارد سعيد في كتابه الاستشراق، حيث يجعل له عدة تعريفات، يقسمها خليل أحمد خليل في تحليله لهذا الكتاب بحسب رؤية ادوارد سعيد إلى ثلاثة مفاهيم³:

1. كون الاستشراق ذا دلالة أكاديمية، أي كونه بحثاً جامعياً في معرفة الآخرين، حيث يعرفه ادوارد سعيد بقوله: "إن لفظ الاستشراق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه، وكل ما يعمل هذا المستشرق يسمى استشراقاً"⁴.

2- كونه أسلوب فكري قوامه تمايزان أساسان، وجودي ومعرفي: بين غرب يدّعي أنه يعرف نفسه تماماً - بنفسه - وشرق قابل للمعرفة وعاجز ذاتياً عن معرفة نفسه. فيعرف ادوارد سعيد الاستشراق بأنّه: "المجال المعرفي أو العلم الذي يُتوصل به إلى الشرق بصورة منظمة كموضوع للتعلم والاكتشاف

¹ مكسيم رودنسون، الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية، في تراث الإسلام (القسم الأول) تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، أغسطس 1978م، ص 27-101.

² أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مطبعة النهضة، مصر، 2004، ص 512.

³ محمد رضا وصفي، مراجعة الاستشراق في مجلة الفكر العربي (ع 31-32) 1983، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، معهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، إيران، ع 6، السنة الثالثة، ايلول 2000م، ص 38-39.

⁴ ادوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع - القاهرة، 2006، ط 1، ص 43.

والتطبيق¹. ويقول أيضا "وأعني به التفاهم مع الشرق بأسلوب قائم على المكانة الخاصة التي يشغلها هذا الشرق في الخبرة الأوروبية الغربية"².

3- كون الاستشراق متداخلا مع بُنى الدولة الحديثة في الغرب، ومتشابكا مع توجهات المجتمع المدني فيه، فقد صار بذلك مؤسسة مشتركة للتعامل مع الشرق، ولهذا يقول ادوارد سعيد: "فالاستشراق هو المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقارير حوله ووصفه ودراسته، والاستقرار فيه والسيطرة عليه وحكمه. وهو بإيجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبائنه وامتلاك السيادة عليه"³، ويقول في موضع آخر: "إنّ الاستشراق نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق"⁴.

ويوافق مالك بن نبي ادوارد سعيد في تعدد مفاهيم الاستشراق فابن نبي يراه: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الأيديولوجية شرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب، وأحيانا يقصد به أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرفي بين الشرق والغرب، ومرة أخرى يحدد مفهومه بالناس الذين يقومون به ونعني بهم المستشرقين وهم الكتاب الغربيون الذين كتبوا عن الفكر والحضارة الإسلامية"⁵

ويقسمه د. محمود حمدي زقزوق إلى معنيين: عام وخاص، ثم يركّز على المعنى الخاص في دراسته للاستشراق. حيث يقول: "الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة (مستشرق) بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله؛ أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه. ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق"⁶، وهو تعريف خاص بتحديدته للإطار المكاني

¹ المرجع نفسه، ص 73

² المرجع نفسه، ص 38-39

³ المرجع السابق، ص 78

⁴ المرجع نفسه، ص 92

⁵ مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مجلة الفكر العربي، يونيو 1983، القاهرة، السنة الخامسة، ص 130، نقلا عن: ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، دار المدار الإسلامي-بيروت، ط 1، 2002م، ج 1، ص 20.

⁶ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف- القاهرة، دط، 1997م، ص 18

وهو الشرق المسلم، بعيدا عن الشرق الأقصى وحضاراته، وتعريف عام عندما يدرج كل الدراسات المختلفة العلمية الممنهجة وغيرها في الاستشراق بما يفتح المجال واسعا للمتخصصين وغيرهم.

أما ساسي سالم الحاج فيعرفه بأنه: "الدراسة المتقضية المتنوعة المتعددة الأغراض التي مارسها الغربيون لمحاولة فهم الشرق والتعرف إلى كنوزه الحضارية، وعاداته وتقاليده وحضارته وديانته وكل منحي من مناحي حياته، مهما كان الغرض الدافع لهذه الدراسة سواء أكانت لأهداف دينية أو عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية. وهذه الدراسة الضخمة أنتجت لنا ما نطلق عليه الاستشراق"¹، وهو تعريف يظهر فيه التركيز على نوعية الكتابات الاستشراقية بكونها علمية ومتنوعة ومختلفة الأهداف.

ويعرفه مصطفى عبد الستار مول بقوله: "هو دراسات يقوم بها غير المسلمين من خارج الحضارة الإسلامية، عن العروبة والإسلام دينا وحضارة أو أي فرع من فروع الاستشراق الأخرى للاختراق الفكري للكيان المدروس حتى يحقق غايات عدة في مقدمتها التشكيك بالإسلام وابعاد الناس عنه"².

وقد يكون هذا التعريف هو أدق التعاريف وأجمعها لأنه يبين أنها:

- دراسات: فتدخل الدراسات الأكاديمية المنتظمة وغيرها
 - يقوم بها غير المسلمين من خارج الحضارة الإسلامية: حتى تخرج فئة تلامذة المستشرقين من المسلمين فهم يدخلون تحت تيار الحداثة وما بعدها، ويخرج غير المسلمين ممن يستوطنون العالم الإسلامي فهم من أهل الشرق، ودراساتهم تعد من علم الأديان.
 - عن العروبة والإسلام... وبها يتبين موضوع علم الاستشراق بشكل عام.
 - للاختراق الفكري للكيان المدروس: وبها تبرز وسيلتهم الأساسية لتحقيق أهدافهم.
 - التشكيك بالإسلام: وهو الهدف الأساسي لنشأة هذا العلم فأغلب من كان في هذه الحركة نادرا ما يتعد عن هذا الهدف وإن لم يكن معلنا.
- ولقد كان هذا التنوع في عرض مفاهيم الاستشراق عند الغرب والعرب، بغرض بيان ملامح النظرة العامة للاستشراق، وأفاق تطوره بمرور الوقت، والموقف العربي العام منه والذي يظهر تحت السطور وخلف الكلمات.

¹ ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ج 1 ص 20-21

² مصطفى عبد الستار مول، القرآن الكريم في كتابات رودي باريت (كتاب محمد والقرآن) أنموذجا دراسة تحليلية، إشراف عقيد خالد العزاوي، دار العصماء، ط 1، 2014م، ص 21.

وعليه يكون المستشرق: هو كل من يتخصص من غير المسلمين في بحث ودراسة كل ما يتعلق بالشرق عامة والإسلام وحضارته خاصة.

الفرع الثاني: نشأة الاستشراق

اختلف الباحثون في تحديد سنة معنية لبداية الاستشراق، فقد مرّ بعدة مراحل تبلورت فيها جهود الغربيين حتى ظهرت في شكل علم قائم بذاته، هذه المراحل بدأت بإرهاصات تمثلت في جهود فردية، تلتها قرارات رسمية أسهمت في تعميق الفكرة من خلال تأسيس مراكز خاصة به عملت على انتشاره وتطوره أكثر، ويمكن أن نتبين المراحل التي مرّ بها، والتي وضعها الباحثون كبدايات للاستشراق كالآتي:

- يرى بعض الباحثين أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام. ولعل اهتمام النصارى بهذا الدين يعود إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة وقد كان ملكها النجاشي نصرانياً وما دار من حديث حول هذا الدين بين البطارقة في مجلسه، ويرى السامرائي أنه بدأ منذ الاحتكاك الأول بين المسلمين والروم في غزوة مؤتة¹. ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإسلام والرد عليه بدأ أيام الدولة الأموية في القرن السابع الميلادي في العهد الأموي حيث قام العالم النصراني يوحنا الدمشقي (686-749 م) بدراسة الإسلام بقصد التشويه والتشكيك، ولأجل حماية إخوانه النصارى. ومن كتبه: محاورة مع المسلم، وإرشادات النصارى في جدل المسلمين².

ويذهب مصطفى السباعي إلى أن الاستشراق بدأ في القرن العاشر الميلادي، حيث توافد رجال من أوروبا إلى الأندلس، ودرسوا في جامعات المسلمين اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وكذلك العلوم التجريبية، ثم قاموا بترجمة الكتب العربية إلى لغاتهم، وعلى رأسهم الراهب الفرنسي جبريت، الذي درس في الأندلس لمدة ثلاث سنوات، وهو من نقل الأرقام العربية إلى الغرب والتي حلت مكان الأرقام الرومانية³. وقد انتخب الراهب الفرنسي جبريت بابا لكنيسة روما عام 999م باسم سلفستر الثاني

¹ قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، 1983م، ط1، ص19

² ينظر: محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 19

³ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المكتب الإسلامي-بيروت، ط2، 1979م، ص14.

بعد عودته لبلاده¹ ، وأمر بإنشاء مدرستين عربيتين الأولى في روما والأخرى في رابمس وطنه في شمال فرنسا ثم أضيف لها مدرسة شارتر².

وقيل إنه بدأ في القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك حين ترجم القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية عام 1143 م، بتوجيه من رئيس دير كلواني في اسبانيا بطرس المكرم (1094-1156م) هذا الدير الذي أنشئ ردا للنصرانية الاسبانية التي تأثرت بالإسلام كثيرا على حد زعمهم، وفي القرن 12م نشأ أول قاموس لاتيني عربي³.

ويرى العديد من الباحثين أمثال: العقيلي وعبد الجليل شلي⁴ أن الحروب الصليبية (1097-1295م) هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين. "فكانت الحروب الصليبية بمثابة ردود الفعل السياسية الأولى على هذا الشرق بخصوصيته الإسلامية، وقد لبست هذه الحرب لباسا دينيا كي يكون أكثر فاعلية، لأن الدين أنذاك كان هو الأيدولوجيا المسيطرة على عقلية الغرب، وهذه الحرب أرخت لحالة تضاد تاريخية بين الشرق والغرب في بواكيرها"⁵. ويذكر ريتشارد سودرن R.Sothern أثر الحروب الصليبية في العقلية الغربية الأوربية، فيقول: "وقد بحثت في المصادر الغربية عن اسم النبي قبل العام 1100م فلم أعثر عليه غير مرة واحدة، خارج اسبانيا وايطاليا الجنوبية، أما فيما بعد العام 1120م فقد كان كل غربي تقريبا يعرف بشكل عام ما هو الإسلام، ومن هو محمد، لقد كانت صورة محمد والإسلام واضحة، لكنها لم تكن صحيحة"⁶.

وقد أدى الفشل الذريع الذي منيت به الحملات الصليبية إلى التحول للطريقة السلمية فحاول الغرب الاستفادة من علوم المسلمين بما يوقف الفتوحات الإسلامية، وينقذهم من جهل القرون الوسطى. لذا يقسم ريتشارد سودرن نشأة الاستشراق إلى ثلاث حقب:

¹ ينظر: جورج طرابشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة - بيروت، ط3، 2006م، ص 258.

² نجيب العقيلي، مرجع سابق، ص 110.

³ قاسم السامرائي، مرجع سابق، ص 21

⁴ ينظر: نجيب العقيلي، مرجع سابق، ص 35-36،

⁵ خير الله رشك سعيد، الاستشراق منهجية التعالي على الشعوب، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة، بيروت-لبنان، السنة 26، ع 9، يوليو 1990، ص 105

⁶ ريتشارد سودرن، صورة الاسلام في أوروبا في القرون الوسطى، تر: رضوان السيد، دار المدار الاسلامي، ط2، 2006م، ص65.

1. حقبة الجهل وعصر التأمل والتعقل، ولحظة الرؤيا، ثم قسم حقبة الجهل إلى نوعين: الجهل الناتج عن ضيق الأفق الفكري والجغرافي، وكان في القرون الاربعة الاولى منذ 700م، وكان فيه الإسلام عدوًا للنصرانية اعتمادا على تفسيرات الكتاب المقدس، والنوع الثاني الجهل الناجم عن أوهام ومخيلة متسعة، وكان في الفترة (1100م-1140م) نتاج انتصارات الصليبيين في فلسطين، وكان لها أثرها في الثقافة الغربية إلى وقت كبير¹.

2. أما حقبة الأمل والتعقل فهي ردّة فعل لما ساد من تصورات وأحلام، انتشرت فيها كتابات غربية تردّ على بعضها البعض، كما شهدت هذه الفترة انتكاسات الحروب الصليبية، وثورات ضد الكنيسة، ما جعلهم يجعلون الإسلام عبارة عن هرطقة مسيحية لا بد من معرفته لمحاربته، فكانت الموضوعية مجانية لكتاباتهم، لكن ساد نوع من العقلانية بدل الانسياق وراء العواطف الحاقدة في الحقبة السابقة².

3. أما لحظة الرؤيا فجاءت بعد سقوط عكا 1291م وانتصار المسلمين، ووضوح الثقافة الإسلامية في أذهان الغرب والخوف الدائم من التهديد الإسلامي للكنيسة، فعادت الردود العاطفية والسباب وزاد الايمان بضرورة تعلم اللغة العربية، وهو ما تمّ تقريره في مجمع فيينا 1312م، وهنا بدأت الكتابات الاستشراقية بالظهور³.

ومن الباحثين من أرجعها إلى ريموندو لوليو⁴ الذي قضى تسع سنوات (1266-1275م) في تعلم العربية "على يد عبد عربي"⁵ ودراسة القرآن، ثم قصد بابا روما وطالبه بإنشاء جامعات تدرس العربية لتخريج مستشرقين قادرين على محاربة الإسلام. ووافق البابا. وفي مؤتمر فيينا سنة 1312م قرّر المجمع الكنسي تدريس اللغات الشرقية، فتم إنشاء كراسي للغة العربية في خمس جامعات أوروبية هي: باريس، أكسفورد، بولونيا بإيطاليا، سلمنكا بإسبانيا، بالإضافة إلى جامعة البابوية في روما، وهو ما سمّي ببداية الاستشراق الرسمية عند كثير من الباحثين.

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 35-69.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 77-109.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 110.

⁴ ريموندو لوليو R.Lulio (1235-1314م): شاعر ورياضي ورحالة ومتصوف، له كتب في الرد على المسلمين واليهود، من أثاره: تأملات في الله، الحكماء الثلاثة، ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 134-135.

⁵ رودني باريت، مرجع سابق، ص 9.

بعدها توسع الاستشراق في أوروبا بفتح أقسام أخرى بعد تأسيس كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية مثل كرسي ليدن في هولندا سنة 1613م وكرسي كامبريدج عام 1632م وأكسفورد عام 1634م، ثم "بدأت الطباعة العربية بنشاط فتحررت الدوائر العلمية وأخذت تُصدر كتاباً بعد الآخر.."¹

ولم يشع استعمال مصطلح الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام 1779م، وفي فرنسا عام 1799م. ودخل إلى معجم أكسفورد عام 1812م، كما أُدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م²، وقد استعمل مصطلح Orientalist للمرة الأولى في مستهل عام 1766م، حيث ورد في موسوعة لاتينية للتعريف بالأب بولينوس³.

كما كان لإنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي⁴ Silvester de Sacy التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين، أثر في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن⁵. ثم تطور الاستشراق بعد عقد المؤتمرات العالمية للمستشرقين في باريس عام 1873، وفي سنة 1951 تم تأسيس اتحاد عالمي للمستشرقين.

ومنذ مؤتمر موسكو سنة 1960 أصبح مصطلح المستشرق يتعرض للاعتراض لأسباب منها أنه لم يعد في نظر بعضهم يمثل المجالات والمفاهيم التي كان يتناولها سابقاً، ولم يعد يتلاءم مع أهداف هذه الدراسات، ومنهم من رفضه لأنه مملوء بعبء الماضي والأفكار المسبقة، مثل المستشرق برنارد لويس⁶ حيث يقول: "لقد أصبحت كلمة مستشرق منذ الآن فصاعداً ملوثة هي الأخرى، وليس هناك

¹ أحمد سمايلوفيتش. مرجع سابق، ص 77

² محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص 24.

³ ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ص 292

⁴ سلفستر دي ساسي (1758-1838) S. De Sacy: مستشرق فرنسي، قضى حياته في خدمة الاستشراق بالتعليم والتصنيف والترجمة والتحقيق والنشر وتأسيس الجمعية الآسيوية، وإصدار مجلتها، من أثاره: التشريع العربي، التحفة السنوية في علم العربية والكثير من المقالات، ينظر العقيلي، مرجع سابق، ص 179-182.

⁵ نجيب العقيلي، مرجع سابق، ص 140

⁶ برنارد لويس (1916-2018-) B. Lewis: مستشرق انجليزي عمل أستاذاً للتاريخ في عدة جامعات، التحق بوزارة الخارجية، من أثاره: أصول الاسماعيليين والاسماعلية، الغرب في التاريخ.. ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص

أمل في الخلاص. ولكن الضرر هنا أقل لأن الكلمة كانت قد فقدت قيمتها وحتى أولئك الذين تدل عليهم تحلّوا عنها"¹.

وبعد المؤتمر الذي عُقد في باريس 1973 قُدر الاستغناء عن هذا المصطلح، وأن يطلق على هذه المنظمة (المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا ICHSAN) وعقدت المنظمة مؤتمرات تحت هذا العنوان إلى أن تم تغييره مرة ثانية إلى (المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية ICANAS). وقد عارض هذا القرار دول الكتلة الشرقية (روسيا والدول التي كانت تدور في فلكها) ومع ذلك ففي المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية الذي عقد في بودابست بالمجر كان مصطلح استشراق ومستشرقين يستخدم دون أي تحفظات، مما يعني أن الأوروبيين الغربيين والأمريكيين هم الأكثر اعتراضاً على هذا المصطلح، فقد كان تغييراً شكلياً للمصطلح مع بقاء الفكر والمنهج والأهداف.

واختلفت آراء الباحثين في نهاية الاستشراق، فيرى البعض أنه انتهى في مؤتمر باريس، ذلك: "أن الدراسات التي يقوم بها المستشرقون الآن في جامعاتهم الأوروبية والأمريكية يقدمونها غالباً لمواطنيهم، ولم يعد العرب والشرقيون يهتمون بها كثيراً، فقد أغناهم العلماء والمفكرون العرب بأبحاثهم القيمة التي تبرز غالباً أبحاث المستشرقين، وأصبحت الجامعات العربية تمنح الدكتوراه، ونلاحظ أن الكتب الاجنبية التي تتناول دراسات عربية وإسلامية والتي وصلتنا أخيراً لا تتصف غالباً بالعمق والدسامة، بل هي غالباً كتب سطحية خفيفة كتبها المستشرقون لأبناء وطنهم"².

إن ما حدث في مؤتمر باريس عبارة عن تطور طبيعي لهذا العلم خاصة بعد استقلال العلوم وتفردتها بمناهجها، وظهور متخصصين أكاديميين يعنون بدراسة التفاصيل والجزئيات بنوع من الدقة والموضوعية، وهو ما يؤكد مكسيم رودنسون بقوله: "إن الدراسات المتمركزة على شعوب وثقافات ومجتمعات المناطق العديدة المشمولة سابقاً تحت اسم الشرق سوف تستمر، وسوف يساهم فيها منذ الآن فصاعداً اختصاصيو البلدان أو المناطق المدروسة"³، وهذا ما نراه على أرض الواقع اليوم فما زال

¹ هاشم صالح، الاستشراق بين دعائه ومعارضيه، دار الساقي - لندن، 1998م، ط1، ص159.

² جابر قميحة، آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، مجلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة - السعودية السنة العاشرة، ع 116، 1412هـ/1991م، ص29.

³ مكسيم رودنسون، الدراسات العربية والإسلامية، نقلاً عن: هاشم صالح، مرجع سابق، ص81.

الاهتمام الغربي بالعالم الإسلامي في ذروته، والدراسات والتقارير تصدر من شتى المراكز التي تعنى بالشرق الأوسط. فهو كما يرى عبد الأمير الأعسم قد غير وجهته من الناحية العلمية إلى الناحية السياسية، بحيث أصبحت هذه الدراسات " أداة طيعة الآن بأيدي دوائر الإمبريالية"¹.

ويشرح ادوارد سعيد أسباب هذا التطور في مسار الحركة الاستشراقية بقوله: "من الصحيح أن الاستشراق مصطلح لم يعد يتمتع بالحظوة القديمة، فالمتخصصون يفضلون استخدام مصطلح الدراسات الشرقية أو مصطلح دراسات المناطق، لسببين: السبب الأول هو أنه يتسم بقدر أكبر مما ينبغي من الغموض والتعميم، والثاني هو أن من ظلال معانيه الإيحاء بالاستعلاء الذي كان المديرون الأجانب يتسمون به في عهد الاستعمار الأوربي، في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. ومع ذلك فما زالت الكتب تُكتب وما زالت المؤتمرات تُعقد حول "الشرق" باعتباره الموضوع الرئيسي، وهي التي كانت تقيم حُججها على ما قاله المستشرقون القدماء أو المحدثون باعتبارهم موضع الثقة، ومعنى هذا أن الاستشراق حتى وإن لم يُكتب له البقاء بالصورة القديمة، لا يزال حيًا في الحياة الأكاديمية من خلال ما أرساه من مذاهب وقضايا فكرية بشأن الشرق والشرقي"².

من خلال هذه الآراء يظهر أنّ الاستشراق بدأ كجهود فردية، شكّلت الراهصات الأولى له، ثم تطورت الجهود ليصبح عملاً جماعياً منظماً، تُشرف عليه جامعات ومؤسسات كبيرة تحت تأطير أكاديمي متخصص. وقد ساهمت عدة عوامل في تطوره منها: الانتشار السريع للإسلام ووصوله للحدود الأوربية عبر الفتوحات الإسلامية، ما أثار حفيظة رجال الكنيسة للتصدي له، فاستعملوا عدة وسائل كان أشهرها الحروب الصليبية، وبعد قرنين من الزمن أدرك الغرب أنه لا يمكن هزيمة الإسلام في ساحة المعركة، ولا بد لهم من تغيير الوسيلة بأن تكون أقل تكلفة مادياً وعسكرياً وإثارة للطرف المعادي، فكان الاختراق الفكري للكيان الإسلامي وإضعاف المسلمين داخلياً، من خلال التشكيك في عقيدتهم وإيمانهم الذي يُعتبر القوة الكامنة التي تمنحهم النصر دائماً، وهي الفكرة التي دعا إليها لويس التاسع ملك فرنسا (1214.1270م) وسمّاها "حرب الكلمة" من خلال تحريف مفهوم الإسلام وجعله علاقة ثنائية بين الله والإنسان فقط، لا أثر لها في حياة الإنسان وواقعه، كما هو الشأن في المسيحية. كما حاولوا التعرف على الآخر من جميع النواحي السياسية والدينية والثقافية لتحديد طريقة مواجهته، وعملوا على تنصير المسلمين لزيادة قوتهم. وقد بلغ الاستشراق أوجهُ مع النهضة العلمية وظهور المناهج

¹ عبد الأمير الأعسم، الاستشراق من منظور فلسفي عربي، مجلة الاستشراق-بغداد، مج1، 1987م، ص29-30

² ادوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، ص 44-45

العلمية، ليُغير ثوبه وأسلوبه بعد مؤتمره التاسع والعشرين، ويزداد نشاطه بانقسامه إلى علوم متخصصة ما زالت تسير وراء الدوافع الأولى التي من أجلها ظهر الاستشراق.

المطلب الثاني: دوافع الاستشراق ووسائله

تعددت أسباب ودوافع المستشرقين لدراسة الشرق وحضارته، وقد كان لهذه الدوافع أثرها في تطور الاستشراق، وطبيعة الانتاج الذي غلب عليه، ما جعل الباحثين يختلفون في تصنيفها كدوافع أو أهداف وذلك لأن "الدوافع تلتقي مع الأهداف، باعتبار أن الدافع يمثل المُحرَض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلى الأهداف الغائبة عن العمل"¹، ومعرفة الدوافع الحقيقية تكشف عن الأهداف الخفية التي سعى لها المستشرقون في كتاباتهم عن الإسلام والمسلمون. فلو لم تكن هذه الأهداف مهمة لهم: "لما أفنى بعضهم أعمارهم في البحث عن تاريخ حضارة أخرى، والترحال المُضني في بلاد المسلمين ومخالطتهم والتعرف على عقائدهم وعاداتهم، وربما استدعى ذلك لبس ملابسهم والتسمي بأسمائهم، بل وصل الأمر ببعضهم إلى حدّ التنكر بأنهم مسلمون لتسهيل مهمتهم كما فعل هروجينييه² وقد يكون بعضهم أسلم فعلاً لِمَا علم من الحق، كما كان من المستشرق الفرنسي دينيه³، ولكن غالبيتهم العظمى لم يكونوا كذلك"⁴، ومن خلال النظر في نشأة الاستشراق ودراسة بحوث المستشرقين نسجل عدة دوافع كانت وراء ظهور الاستشراق وتطوره، وقد تباين أثرها من مستشرق إلى آخر، نجلها في الآتي:

1. الدافع الديني:

الدافع الديني هو الدافع الأول الذي ساهم في تبلور الفكر الاستشراقي، فالغرض الديني كان أهم الأهداف الاستشراقية، فقد كان رفيقاً لمسار تطور الاستشراق، خاصة أن بداياته كانت بإيعاز من

¹ عبد الرحمان حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير - الاستشراق - الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم - دمشق، ط8، 2000م، ص127.

² هروجينييه: C. Snouch Hurgronje (1857-1936): مستشرق هولندي، كان مستشاراً لشؤون المستعمرات، زار مكة تحت اسم عبد الغفار، سنة 1884م، عين أستاذاً للعربية في جامعة ليدن، من آثاره: كتابه عن مكة، محاضرات عن الإسلام، ينظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص353-354.

³ دينيه: Et. Dinet (1861-1929): تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر فكان يقضي في مدينة بوسعادة نصف السنة كل عام تسمى بناصر الدين وحج الى البيت الحرام، من آثاره: محمد في السير النبوية، الشرق في نظر الغرب،.. ينظر: العقيقي، مرجع سابق، ص235.

⁴ خالد عبد الله القاسم، مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، دار الصمعيي- السعودية، ط1، 2010م، ج1، ص27.

رجال الكنيسة والرهبان: "وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يكن الاستشراق قد حرّر نفسه من الخلفية الدينية التي أشتقّ منها إلا بدرجة ضئيلة"¹.

وكان لهذا الهدف الديني ثلاث اتجاهات متوازية تعمل معا جنبا إلى جنب، تتمثل في الآتي²:

1. محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه وإبرازها، وإعطاء صورة مشوهة عنه، والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والإنقاص من قيمته والخط عن قدر نبيه ﷺ ...
2. حماية النصارى من خطر الإسلام حسب زعمهم بحجب حقائقه عنهم، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.
3. تنصير المسلمين وإبعادهم عن دينهم عن طريق التشكيك في كتابهم ونبیهم ودينهم وتراثهم وحضارتهم.

فبعد فشل الحروب الصليبية في اختراق الإسلام والمسلمين، تأكد الغرب أن لا طريق للسيطرة على المد الإسلامي المتجه إلى أوروبا، إلا بإضعاف القوة الروحية للمسلمين، والتي يستمدونها من الإسلام، فعمدوا إلى دراسته وتعلّم اللغة العربية والإطلاع على القرآن وترجمته، ثم محاولة إثارة الشبهات والشكوك، وتزويد المنصرّين بمعارف واسعة ومتنوعة حول الإسلام وأهله. كما انطلقوا في حملات لتنصير المسلمين وغيرهم حتى يزيد عددهم ويسيطروا على مناطقهم، وهو ما يؤكده المستشرق يوهان فوك بقوله: "ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية"³. ويزيده تأكيداً قول المستشرق رودى باريت: "كان الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي"⁴. وهو اعتراف صريح بالتأثير الكبير للعامل الديني في الاستشراق، ما يفسر إصرار المستشرقين على دراسة الإسلام والمسلمين، خوفاً من نهضة الحضارة الإسلامية مرة ثانية، وهو ما يسجله المستشرق (روبرت بين) في مقدمة كتابه (السيف المقدس): "إن لدينا أسباباً قوية لدراسة العرب، والتعرف على

¹ ادوارد سعيد، مرجع سابق، ص 256

² محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، مرجع سابق، ص 86-87

³ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين)، تر: عمر

لطفى العالم، دار المدار الإسلامي، ط2، 2001م، ص16

⁴ رودى باريت، الدراسات العربية، مرجع سابق، ص9

طريقتهم، فقد غزوا الدنيا كلها من قبل، وقد يفعلونها مرة ثانية، إن النار التي أشعلها محمد لا تزال تشتعل بقوة -وهناك ألف سبب - غير قابلة للانطفاء"¹.

كما أن حركات الاصلاح الديني "البروتستانتية" التي ثارت في وجه الكنيسة، حاولت إعادة النظر في الكتاب المقدس وشروحه، لذا انكبوا على دراسة اللغات السامية والآداب العربية، نظرا للعلاقة الوثيقة بين اللغة العربية والعبرية التي كُتبت بها التوراة والأنجيل، ليتسع نطاق الدراسات الشرقية ويشمل ميادين مختلفة.

وظهر لليهود دور مؤثر في الاستشراق فقد: "وجدوا فيه مضمارا واسعا لنفث سمومهم ضد الإسلام وأهله، وردّ الإسلام إلى اليهودية كأصل له، كل ذلك تحت شعار البحث العلمي والمعرفة، وقد دخلوا عالم الاستشراق بوصفهم الأوربي لا اليهودي حتى لا يعزلوا أنفسهم، وبالتالي يقل تأثيرهم... وبذلك كسبوا مرتين: كسبوا أولا فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها، وكسبوا ثانيا تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام. وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصرانيين"².

فالاستشراق إذن هو المنجم والمصنع الفكري، الذي يمد المنصرين والمستعمرين بأدوات الغزو الفكري في العالم الإسلامي، لتحطيم عقيدته وتخريب عالم أفكاره والقضاء على شخصيته الحضارية والتاريخية. ما أنتج تراثا استشراقيا مليئا بالحقد والكراهية، يحمل كل الأفكار المشوهة للمنصرين والمستشرقين، فلا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومسترة في الغالب وراء الحواشي المرصوفة في الأبحاث العلمية³.

2. الدافع الاقتصادي:

بعد النهضة العلمية التي شهدتها أوروبا، والتي أسست للثورة الصناعية، أصبحت الحاجة ملحة لتوفير المواد الأولية للصناعة وإيجاد أسواق تجارية لتسويق منتجات المصانع والمؤسسات، فرأى الغرب في منطقة الشرق منجما ذهبيا لاستخراج المواد الأولية الطبيعية، واعتبروه سوقا تجاريا رابحا: "فنشطوا في استكشافاتهم الجغرافية ودراساتهم الاجتماعية واللغوية والثقافية وغيرها. وهناك من يرى أن الهدف

¹ محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق - القاهرة، ط9، 2001م، ص 597

² محمود زقزوق، مرجع سابق، ص 61-62

³ برنارد لويس، العرب في التاريخ، تر: نبيه أمين فارس ومحمود زايد يوسف، دار العلم للملايين - بيروت، 1954م،

الاقتصادي كان هو الأساس في الاستشراق وقد أستغل الدين والتنصير لتحقيق الأهداف الاقتصادية¹. فقد جاء في المذكرة التي رفعها جمع من العلماء سنة 1539 م إلى المسؤولين في جامعة كمبردج والتي طلبوا فيها إنشاء كرسي للدراسات العربية والإسلامية ما يلي: "يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة، وذلك بالعمل من أجل ازدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وتوسيع حدود الكنسية في الوقت المناسب، ونشر هدي الدين المسيحي بين أولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهل².

ولكي يحافظوا على الازدهار الاقتصادي لأوروبا عملوا على بقاء الشرق تابعا لهم من خلال الشركات العابرة للقارات، وربط اقتصاد دوله بالدول الكبرى، واضعاف الانتاج المحلي، وغرس فكرة التقليد الغربي في أذهان الشرق، ليضيع الابداع والإنتاج الشرقي، كما قاموا بالسيطرة على الثروات الخام والمواد الأولية، واستغلال الموارد الطبيعية في الشرق بما يخدم اقتصادهم، هذه المعلومات والتحليلات الاقتصادية والاستشارات المالية كانت نتاج تقارير المستشرقين الذين تشرف عليهم المؤسسات الكبرى والدول الأوروبية.

3. الدافع الاستعماري

كان الاستعمار من أكبر ممولي الاستشراق، فقد عمدت كثير من الدول الغربية إلى الاهتمام بالدراسات الإسلامية وتمويل أقسامها في الجامعات ومراكز البحث فيها، لكشف أغوار العالم الإسلامي، وتفسير أوضاعه واستشراف مستقبله، قصد وضع الخطط المناسبة للسيطرة عليه. فقد كان الاستشراق ولازال الوسيلة الممهدة للاحتلال وكان أغلب المستشرقين موظفين في الإدارات الاحتلالية، فاستوعبوا أفكار الشرق، وأدركوا نقاط القوة والضعف، ونقلوا الصورة إلى أصحاب القرار، وقد تطلب هذا من المستشرق ضرورة إتقان اللغة والتخصص بجملة من فنون الشرق، والعيش في الشرق ليستطيع التعرف عليه أكثر، وإصدار الدراسات عنه، والمبالغة في تضخيم بعض المعلومات الضعيفة عنه، للانتفاص من الشرقي، وصناعة فكر ذليل تابع للغرب قائم على المركزية الفوقية للغرب والتبعية الدونية للشرق، وبذلك يضمن بقاءه تحت سيطرة الاستعمار.

¹ مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، منشورات المكتبة العصرية- بيروت، 1982م، دط، ص 168-169.

² مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، مرجع سابق، ص 21، ومحمد فتح الله الزيايدي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها، مرجع سابق، ص 83-84.

يقول نجيب العقيقي واصفا المكانة التي احتلها المستشرق العميل للاستعمار: "فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاعتراف من تراثه، والانتفاع بثرائه، والتزاحم على استعمارها، أحسنت كل دولة إلى مستشرقها فضمهم ملوكها إلى حاشيتهم أمناء أسرار وتراجمه، وانتدبهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق، وولّوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة، والمكتبات العامة، والمطابع الوطنية، وأجزلوا عطاءهم في الحل والترحال، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية"¹.

ونظرا للعلاقة الوثيقة بين الاستعمار والاستشراق، اصطلاح ادوارد سعيد على مفهوم الاستشراق بأنه: "أسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبناؤه وامتلاك السيادة عليه"²، وهو الهدف الاساسي من الاستعمار، ويرى "أن المعرفة بالأجناس المحكومة أو بالشرقيين هي التي تجعل إدارة شؤونهم يسيرة ومربحة، فالمعرفة تأتي بالسلطة، وزيادة السلطة تتطلب زيادة المعرفة، وهكذا دواليك في جدلية من المعلومات والتحكم، تزداد فائدتها باطراد"³. وهو تحليل علمي واقعي لما كان يحدث للدول الإسلامية إبان فترة الاحتلال الغربي.

وبهذا كان الاستشراق سجلا معرفيا موثقا لتاريخ وطبائع الشرق ووسيلة المخاطبة بينه وبين المحتل، وقد ذكر الدكتور محمود زقزوق، عدد من المستشرقين الذين اشتهروا بولائهم للاستعمار وكانوا يده اليمنى منهم كارل بيكر⁴ الذي قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية في المانيا، والمستشرق الروسي بارتولد⁵ Barthod (ت1930م) مؤسس مجلة عالم الإسلام الروسي، فقد كان كُلف عن طريق الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الوسطى، والمستشرق الهولندي سنوك هرجونيه الذي كان يجيد العربية، فتوجّه إلى مكة عام 1885م، بعدما انتحل اسما

¹ نجيب العقيقي، مرجع سابق، ص 1149.

² ادوارد سعيد، مرجع سابق، ص 38.

³ المرجع نفسه، ص 91

⁴ بيكر C.H.Becker (1867-1933م): مستشرق ألماني، تضيع في دراسة التاريخ الاسلامي، من آثاره: نشر كتاب مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، والنصرانية والاسلام، الجدل العقائدي بين المسلمين والنصارى. انظر معجم أسماء المستشرقين، ص 329-330.

⁵ بارتولد V.V Barthold (1869-1930): عين أستاذا لتاريخ الشرق الإسلامي بجامعة بطرسبرغ، وانتخب في مجمع العلوم الروسي، ورئيسا دائما للجنة المستشرقين فيه، من آثاره: تاريخ دراسة الشرق في أوروبا، حضارة الإسلام... ينظر العقيقي، مرجع سابق، ص 943.

إسلاميا (عبد الغفار) وأقام هناك قرابة نصف عام، ولعب دورا مهما في تشكيل السياسة الثقافية العربية والاستعمارية في المناطق الهولندية في الهند الشرقية، كما شغل مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية في أندونيسيا¹. وقد عمل المستشرقون على إضعاف البنية الروحية للبلدان الشرقية من خلال العمل على إحياء العداوات وزرع بذور التفرقة، وإثارة النزعات القبلية والمذاهب الطائفية، والاعتناء باللهجات المحلية، وإضعاف روح المقاومة والوعي التحرري للشعوب المحتلة.

وبعد انتهاء الاحتلال في شكله العسكري، عمدت القوى الكبرى إلى تعيين المستشرقين والمهتمين بالشرق في كل سفارة وقنصلية، لمتابعة السيطرة الخفية على هذه البلدان، من خلال التحكم بمراكز القوة في هذه البلاد، والإحاطة بالأجهزة الإعلامية وصناعة المفكرين تحت أيادي غربية، ونشر الاتجاهات السياسية الغربية في المنطقة، ما يضمن تنفيذ الأجندة الغربية عن بعد، وعملت على إنشاء مراكز لدراسة سياسات البلاد الإسلامية وواقعها في إطار الدراسات الإقليمية لكتّابها في الحقيقة تعد تقاريرها إلى دولها لإحباط أي تطور فكري نضوي في البلاد الإسلامية، كما عملت على نشر الثقافة الغربية بتهوين ما عند المسلمين من تراث وقيم وأخلاق، ودعوة للتحرر من كل التقاليد والشرائع تحت عنوان التقدم والحضارة، والتخويف من الإسلام ورجعيته. وتحطيم الشخصية الإسلامية وزرع الضعف والوهن فيها.

4. الدافع العلمي:

أقبلت فئة من المستشرقين على دراسة الإسلام وحضارته وتاريخه، بدافع حب الاطلاع والفضول العلمي لاكتشاف الآخر، دون خلفيات أخرى وهي فئة قليلة، اتسمت دراساتهم بجانب من الموضوعية مع رغبة في فهم الإسلام وحضارته، لأنهم لا يتعمدون التحريف والتشويه والدرس، لذلك منهم من اختار طريق الهداية والدخول في الإسلام، كنصر الدين دينيه. وقد جاءت جهودهم في مجال خدمة التراث الإسلامي بطبع الكتب وتحقيقها وفهرسة المخطوطات، واعداد المعاجم، والتنقيب عن الآثار والنقوش، لكن بحوثهم لم تكن تلقى رواجاً كبيراً وتعرضوا للطعن والتجريح من طرف أقرانهم، لأن كتاباتهم كانت تناقض الأفكار العامة لباقي المستشرقين، وكانوا ينفقون على كتاباتهم من أموالهم الخاصة، لغياب الدعم الحكومي لمثل هذه الكتابات التي لا تخدم مصالح الدول الكبرى كما سافروا إلى البلدان الإسلامية بحثاً عن الحقيقة، فكانت بحوثهم نصراً للإسلام، ودفاعاً عنه ضد هجمات باقي المستشرقين.

¹ محمود زقزوق، مرجع سابق، ص 55-56.

إن المنطلقات الأولى للاستشراق كانت دوافعها دينية لذلك تركزت حول الهجوم على الإسلام وتشويهه، وبعد الثورة الصناعية في أوروبا ظهرت الحاجة إلى أسواق ومواد أولية فظهر الدافع الاقتصادي الذي مهّد للدافع الاستعماري الذي يبحث عن السيطرة الأوربية على الدول الضعيفة ونهب خيراتها، ثم ارتبط بالعمل السياسي بعد انتهاء زمن الاستعمار أين برزت التبعية للدول القوية للحفاظ على المصالح الأوربية، وبين هذه الأهداف كان التعرف على الآخر في إطار علمي منهجي عمل فئة من المستشرقين نذرت نفسها للعلم فقط، وهذه الدوافع قد تلتقي عند مستشرق واحد وقد تصبغ مدرسة استشراقية معينة، لكن مجموع هذه الدوافع ساهم في تطور الاستشراق.

الفرع الثاني: وسائل الاستشراق

سعى المستشرقون إلى تحقيق أهدافهم السابقة، ونشر آرائهم وأفكارهم باستخدامهم للعديد من الوسائل والأليات، والتي حددها ادوارد سعيد بقوله: "مقدرات النشر التي يمتلكها التعليم الحديث وجهازه الانتشاري في المهن المتفرقة، والجامعات، والجمعيات المحترفة، والمنظمات الجغرافية، والاستكشافية، وصناعة النشر"¹، كما ألفوا الكتب وأصدروا الموسوعات وأنشأوا الجمعيات وعقدوا المؤتمرات.

1. تأليف الكتب:

ويعد من أهم الوسائل الاستشراقية ووسيلتهم الأكثر رواجاً، لاعتماد عدد كبير منهم عليها، فدرسوا سمومهم فيها. فقد تنوعت تأليف المستشرقين في مجال الدراسات الإسلامية، وشملت تاريخ وعلوم وعقائد الإسلام وآدابه وحضارته: "وقد وصل عدد ما ألفوه في مدة قرن ونصف أي منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين نحو ستين ألف كتاب"² بواقع أربعمئة كتاب كل عام ونحو ثلاثة وثلاثين كتاباً كل شهر، وهو عدد كبير يدلّ على الاهتمام الغربي بالشرق بالتزامن مع الحملات الاستعمارية فيه: "ومن أشهر دور النشر التي عملت في مجال الاستشراق، في باريس دار أرسنت لور، وفي انكلترا دار بروبستين، دار هيفر، دار كواريتش، وفي ألمانيا دار هيارسمان، ودار هاراشوفيتش في فيسبادن ولها نشرة شهرية لوصف ما يصدر من الكتب في مصر ولبنان وسوريا والمغرب والهند، في هولندا دار بريل..."³.

¹ ادوارد سعيد، مرجع سابق، ص 230-231

² عدنان زرزور وآخرون، الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات، مركز الحكمة- قطر، دط، ص 127.

³ ينظر: العقيقي، مرجع سابق، ص 1120-1121

وحرص المستشرقون على إنشاء مكاتب تجمع فيها إصدارات الاستشراق وما يحتاجونه من مخطوطات، ومن أشهر المكتبات مكتبة باريس الوطنية، ومكتبة المتحف البريطاني، ومكتبة الاسكوديال بإسبانيا والتي تحوي المخطوطات العربية والإسلامية من بقايا المكتبة الاندلسية بغرناطة، ومكتبة ليدن التي فيها مخطوطات نفيسة قام بجمعها الهولنديون عبر قرون.

وامتازت كتبهم بكثرة طرح الشبهات والتقليل من شأن الإسلام، عبر التحريف والتأويل المتعسف، والتعميم الفاسد لأحداث خاصة على مجمل سيرة وتاريخ الإسلام، والنقل عن بعضهم البعض بما يوفر تداولاً واسعاً لهذه الآراء والشبهات. كما حرصوا على دس هذه الشبهات في كتبهم بمقدار لا يثير القارئ ضد المؤلف، أو يشكك بموضوعيته، ولقد ساعدتهم على كثرة التأليف التشجيع الذي يلاقونه من دولهم، ووفرة المصادر بين أيديهم خاصة المخطوطات الإسلامية، والتي تم الحصول عليها في فترة احتلال البلدان الإسلامية. كما أن المكانة الاجتماعية والعناية المادية التي حظوا بها والرتب العلمية المرموقة في الجامعات منحهم التفرغ للدراسة والبحوث، وتأمين حياتهم مادياً. كما أن العمل في إطار جماعات سهّل لهم كثرة الاطلاع والإفادة من بعضهم ومن غيرهم.

2. عقد المؤتمرات

بدأ المستشرقون بعقد مؤتمراتهم بهدف توحيد الجهود وتبادل الخبرات فيما بينهم، والتنسيق المنظم بين أصحاب التخصص: "فمنذ أواخر القرن التاسع عشر طفق المستشرقون يعقدون المؤتمرات الدولية، مرة كل ثلاث سنوات أو سنتين أو بعد أربع، وتُشرف على تنظيم كل مؤتمر لجنة من علماء الدولة التي يُعقد فيها، لبحث جدول أعماله، وتحديد موعد انعقاده ومدته. ويضم المؤتمر مئات العلماء من أعلام المستشرقين وأقطاب الوطنيين في الغرب والشرق... وينقسمون إلى أربع عشرة جماعة تنفرد كل منها بقسم من جدول الأعمال"¹. ثم تُجمع هذه الدراسات والبحوث في مجلدات: "بعنوان أعمال المؤتمر يُهتدى بها كُنُظُم ومنهج ووسائل للمُضي في هذه الحركة العلمية، كما تصبح أصولاً وأمّهات وأسانيد للباحثين. ولم تقف المؤتمرات عند نشر أعمالها بل تجاوزتها إلى تقديم الجوائز لأنفس المصنفات في مآثر العرب... ولم يكتف المستشرقون بمؤتمراتهم الدولية بل دعوا إلى مؤتمرات إقليمية أو جامعية كمؤتمر المستشرقين السوفييت (لينينجراد 1935-37) وحلقة المستعربين السوفييت (طشقند 1957-58) ومؤتمر القانون المقارن (باريس 1951)..."². ويُدعى إلى هذه

¹ المرجع السابق، ص 1103

² المرجع نفسه، ص 1106.

المؤتمرات بعض الشخصيات الإسلامية لإضفاء طابع الموضوعية عليها والإخلاص في العمل بعيداً عن واقع المصالح الدينية والاستعمارية التي تحرك المؤتمر وتدعمه. ولقد كان لهذه المؤتمرات كبير الأثر في الانتاج العام للاستشراق، فكانت هي المصدر العام والأكيد لكل المعلومات، كما أنّها كانت تحاول استشراف المستقبل بكشفها عن صعوبات الدراسات الاستشراقية ومحاولة تجاوزها، مع تقييم دائم للأعمال وتطويرها. وقد نُظّم أول مؤتمر للاستشراق في يوليو 1873 بباريس، بدعوة من (الاتحاد الأممي للمجامع العلمية) الذي رعى المؤتمرات الاستشراقية، وبلغ عددها 29 مؤتمراً لتنتهي في يوليو 1973م، وتستبدل إلى (المؤتمر الدولي للدراسات الآسيوية وشمال إفريقيا).

3. التعليم الجامعي

انتشرت في الغرب كراسي تهتم باللغة العربية وأقسام خاصة بالاستشراق، ومعاهد متخصصة باسم الدراسات الشرق أوسطية، تعمل على إنتاج أبحاث ورسائل ومذكرات خاصة عن الإسلام، وإلقاء المحاضرات في هذه الاقسام، وكان أغلب المستشرقين في القرن التاسع عشر من أساتذة الجامعات، ولقد اتخذ العمل في الجامعات صورتين أحدهما: التدريس في الجامعات الإسلامية والعربية بطلب منها، وفيها يقومون بعرض أفكارهم أمام المسلمين على أنّها دراسات علمية حديثة منهجية محكمة، ما يزرع الشك فيهم، والثانية: التدريس في الأقسام الخاصة بالدراسات الشرقية بالجامعات الغربية، والتي يأتيها حتى المسلمون لنيل الشهادات منها، وفيها يحاولون صناعة من يخلفهم في مسيرتهم من خلال تزويدهم بالمنهجية والشبهات، ويورثون الفكر الاستشراقي.

4. إنشاء الجمعيات ونشر المجلات والدوريات

بالمزامنة مع التعليم الجامعي، وقصد تمكين أواصر التعاون الاستشراقي وتوفير الدعم الاجتماعي والمادي، أنشأ المستشرقون جمعيات علمية في مختلف البلدان، أولها كانت في باريس 1822م، ثم الجمعية الملكية الآسيوية في إنجلترا وإيرلندا 1823، والجمعية الشرقية الألمانية 1845، وقد قررت هذه الجمعية في عام 1961م إنشاء معهد ألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، وكان لهذا المعهد نشاط ملحوظ، وكان يقوم بانتظام بإصدار سلسلتين عن الدراسات الإسلامية والعربية معاً، النشرت الإسلامية، ونصوص ودراسات، ولديه مكتبة بها أكثر من ستين ألف مجلد، وقد تعاقب على إدارة

هذا المعهد عدد من المستشرقين الذين يشغلون اليوم عددا من كراسي الاستشراق في الجامعات الألمانية¹.

وأول مجلة استشراقية في أوروبا هي "ينايع الشرق" صدرت في فيينا (1809م-1818م)، وأشرف عليها هامر برجشتال²، وظهرت مجلة الإسلام في باريس عام 1895م، وخلفتها مجلة العالم الإسلامي 1906م، التي صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب، وقد تحولت إلى مجلة الدراسات الإسلامية. وفي عام 1910م ظهرت "مجلة الإسلام" الألمانية، وفي روسيا ظهرت مجلة عالم الإسلام سنة 1912م، أسسها بارتولد بتكليف من الحكومة الروسية، لكنها لم تعمر طويلا. وأخطر المجلات مجلة "العالم الإسلامي" وهي مجلة علمية محكمة أسست سنة 1911م ب (هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية) برئاسة صموئيل زويمر³ رئيس المبشرين في الشرق الأوسط وقد كان طابع هذه المجلة تبشيري سافر⁴.

وللمستشرقين من المجلات والدوريات عدد هائل يزيد على ثلاثمائة مجلة متنوعة وبمختلف اللغات، هذا عدا ما يُنشر عن الاستشراق في مجلات أخرى، تهتم بمباحث الشرق على تنوعها، وتنشر المخطوطات والوثائق، ومختصرات لمحاضرات الأساتذة، وتقويم للكتب في الشرق والغرب... وكانوا يحرصون على جودة الإخراج والطباعة، ما يدفع إلى اقتنائها، كما أن فراغ الساحة الإسلامية من مثل هذه المجلات، وسيطرة الغزو الفكري على العقل الإسلامي جعل لها الحظوة في مجال البحث والقراءة. وقد كانت بابا لانتشار الفكر الاستشراقي وبرز أسماء المستشرقين، ما دعا لطلبهم في الجامعات

¹ رياض العمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ عرض وتقد في ضوء العقيدة الإسلامية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث- السعودية، ط1، 2015م، ج1، ص51.

² جوزيف هامر برجشتال Purgstal (1774-1856م): مستشرق نمساوي، برع في العربية والفارسية والتركية... أصبح مستشارا لإمبراطور النمسا، وزار مصر والشام وإيران، أثاره بالألمانية منها: تاريخ الأدب العربية، ولم يكمله، تاريخ الدولة العثمانية، ترجم ديوان المتنبي، دفن في فيينا في قبر له طابع عربي، ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص176

³ صموئيل زويمر S.Zewemer (1868-1952م): رئيس المبشرين في الشرق الأوسط، تولى تحرير مجلة عالم الإسلام، كتاباته متعصبة، من أثاره: بلاد العرب منذ الإسلام، داخل عالم الإسلام، ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص1005م.

⁴ السباعي، مرجع سابق، ص26-29

الإسلامية والمشاركة في المجامع العربية اللغوية. وقد ذكر العقيلي في كتابه (المستشرقون) أشهر المجالات العلمية التي يكتب فيها المستشرقون والتي تُعنى بقضايا الفكر الاستشراقي مرتبةً أبجدياً¹

5. إنجاز الموسوعات

يعد إصدار المستشرقين للموسوعات ثمرة للتعاون الاستشراقي الكبير، وقد كانت دائرة المعارف الإسلامية من أكبر إنجازاتهم، بجمعها لأغلب الدراسات والأفكار حول الإسلام وحضارته، فقد أصبحت مرجعاً عالمياً عن المعارف الإسلامية سهل المنال وبلغات شتى، وهي متجددة ومتطورة حسب ما يظهر من أبحاث وكتابات متعلقة بالإسلام، بالرغم من الأخطاء الجسيمة التي تحويها، وقد جند لها أساطين المستشرقين، ودعّمت بالأموال وحازت عناية المؤسسات، ما جعلها من أخطر الوسائل الاستشراقية، كما تم إنجاز الأطلس الجغرافي التاريخي للشرقين الأدنى والأوسط. كذا دائرة المعارف القرآنية التي أنشئت سنة 2006م، وطبعتها دار بريل.

كما اشتهر المستشرقون بالأعمال الموسوعية والتي كانت بجهود فردية، تخص العالم الإسلامي مثل إعداد المعاجم المفهرسة والتي وضعت تسهيلاً للباحثين عموماً والمستشرقين خصوصاً للبحث في الآيات والأحاديث نظراً لضعفهم الكبير في هذا المجال، ومن أشهرها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للمستشرق الألماني (فلوجل)² الذي طُبِعَ عام 1842م، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الذي ألفه جماعة من المستشرقين تحت إشراف (فنسنك)³، وتاريخ الأدب العربي ل(كارل بروكلمان)⁴.

¹ العقيلي، مرجع سابق، ص 1109-1119

² فلوجل G.Flugel (1870-1802): عين أستاذا للغات الشرقية في معهد ميسان الملكي، وضع فهرس مخطوطات العربية والفارسية والتركية بمكتبة فيينا، من أثاره: تاريخ الآداب العربية، نشر كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة، نجوم الفرقان في اطراف القرآن... ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 701.

³ فنسنك: A.J. Wensinck (1939-1881): انتدب أستاذا للعبرية في جامعة ليدن، اهتم بالحديث، وضع المعجم المفهرس للحديث، تولى تحرير دائرة المعارف الإسلامية وكتب فيها، من أثاره، موقف الرسول من يهود المدينة، مفتاح كنوز السنة ... ينظر العقيلي، مرجع سابق، ص 667-668.

⁴ كارل بروكلمان C.Brockemmann (1956-1868م): أتقت اللغة العربية واهتم بالتاريخ الإسلامي، والأدب العربي، عين أستاذا في عدة جامعات، من أثاره: تاريخ الآداب العربية... ينظر العقيلي، مرجع سابق، ص 777-

6. عضوية الجماع والمؤسسات العلمية: عمل المستشرقون للوصول إلى بعض الجماع والمؤسسات العلمية الهامة في البلاد العربية والإسلامية، وقد استطاعوا أن يشيعوا حولهم هالات من الإعلام الدولي في القدرة على البحث والتمكن من المعرفة، وحياسة مصادرها ووفرة الآثار التي قاموا بها، كان لها أعظم الوقع في تطلع العرب إليهم، كما كان لهؤلاء المستشرقين مزيد اهتمام في إقامات فكرية في أهم العواصم العربية كبيروت ودمشق والقاهرة وبغداد¹.

وبلغ عدد المستشرقين في المجمع العلمي العربي بدمشق منذ سنة 1921م حوالي 66 مستشراقاً، أما عددهم في المجمع العلمي فقد كان بمصر 17 مستشراقاً². والذي كان من أعضائه المستشرق (جب³)، و(فنسنك). كما حرص المستشرقين على الجمع بين عضوية الجماع في الشرق والغرب حتى يمكنهم التعرف على ما يحدث هنا وهناك بصورة أقرب وأوضح، ويتدارسون فيها كيفية تحسين خططهم وتطويرها، وفق ما يستجد من ظروف جديدة في الأوساط التي يعملون فيها، وبهذا بينون استراتيجياتهم ويضعون خططهم في جمعياتهم ومجامعهم ومؤتمراتهم.

7. جمع المخطوطات وترجمة الكتب العربية

عمد المستشرقون إلى ترجمة الكتب العربية بما ييسر لهم الاطلاع على الثقافة العربية والإسلامية، لأن أغلبهم لا يجيد اللغة العربية، وهو ما كان سبباً رئيسياً في النهضة العلمية في أوروبا وانقشاع ظلام الجهل عنها، فقاموا بترجمة القرآن الكريم إلى لغات عديدة، وترجموا كتب العلوم العربية والإسلامية، ثم انتقلوا إلى باقي الكتب.

كما أن من أبرز النشاطات التي اشتهر بها المستشرقون جمع المخطوطات، سواءً بشرائها أو الحصول عليها أثناء الفترة الاستعمارية، وقد عملوا على الاهتمام بهذه المخطوطات من خلال البحث عنها، وحفظها وصيانتها، ثم فهرستها وضبطها، وعملوا على تحقيق بعضها ودراستها، ثم ترجمتها إلى لغاتهم للاستفادة منها، وهو جهد كبير مُضني، قد تختلف دوافعهم فيه لكنه قدّم خدمة كبيرة للتراث

¹ نذير حمدان، مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون، مكتبة الصديق - السعودية، ط1، 1988، ص139
² عمر بن ابراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد، دار طيبة - الرياض، دط، دت ط، ص 61-62

³ السير هاملتون جيب Gibb، Sir Hamelton (1895-1971): مستشرق بريطاني، ولد بالإسكندرية، أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن، مدير مركز دراسات الشرق الأوسط من أثاره: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، الديانة المحمدية نظرة تاريخية عامة، دراسات في الحضارة الإسلامية...، ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 551-554.

الإسلامي، ومن أبرز الذين اشتهروا بجمع المخطوطات الويس شبرنجر¹ الذي ظل مدة تزيد على اثني عشر عاما مقيما بالهند، ولما عاد إلى أوروبا، أحضر معه 1100 مخطوط عربي، انتقلت ملكيتها بعد ذلك إلى مكتبة برلين²، ومن أشهر الكتب التي أشرف على تحقيقها المستشرقون: سيرة ابن هشام، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والمغازي للواقدي، والكشاف للزمخشري، وتاريخ الطبري، وكتاب سيوييه، والاشتقاق لابن دريد، والأنساب للسمعاني، والملل والنحل للشهرستاني، والكمال للمبرد، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، والفهرست لابن النديم، والتعريفات للجرجاني، وطبقات الحفاظ للذهبي...

8. الإعلام وشبكات الانترنت

مع تطور وسائل الاعلام وانفتاحها على العالم، وتنوع الفضائيات والاذاعات، وسهولة التنقل إلى بلاد المشرق ومعاينة آثارها، ومخالطة أهلها والتعرف على ثقافتها عن قرب، وصناعة الأفلام التاريخية والانتشار الواسع للإنترنت، أصبح المستشرقون المعاصرون يستخدمون تلك الوسائل لتحقيق أهدافهم، ولا يجدون حرجا في بث أفكارهم والاقناع بها عبر هذا الفضاء المفتوح وغير مقنن، والذي يستقطب كل الشرائح. كما أنه يوفر الاطلاع الدائم والمباشر على أي جديد استشراقي من غير جهد ولا وقت ولا تكلفة، وبهذا زاد تواصل المستشرقين بعضهم ببعض وتكثفت جهودهم بعقد المؤتمرات والحوارات عبر هذه الشبكة، ما أسهم في تحقيق أهداف الاستشراق بصورة أسرع وأشمل.

المطلب الثالث: مدارس الاستشراق

من خلال ما ظهر من دوافع للمستشرقين وبيان لوسائلهم، اختلفت آراء الباحثين في تصنيفهم لاعتبارات عدة: فمنهم من راعى التصنيف الموضوعي، مثل حسين الهراوي الذي صنفهم إلى ثلاث مدارس: مدرسة تختص بمباحث القرآن الكريم، مدرسة تختص بالتاريخ العربي الإسلامي، ومدرسة تختص بمباحث تتعلق بسيدنا محمد ﷺ، وهو تقسيم غير دقيق كونه ركز على الإسلام فقط مع تغييب

¹ الويس شبرنجر (A.Sprenger) 1813 - 1893م: طبيب بريطاني، عين أستاذا للغات الشرقية في جامعة برن، من آثاره: أصول الطب العربي على عهد الخلفاء، اصطلاحات الصوفية للسمرقندي.. ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 631-632

² عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، ص 13، نقلا عن: مصطفى عبد الستار مول، القرآن الكريم في كتابات رودي باريت دراسة تحليلية، اشراف: عقيد خالد العزاوي، دار العصماء-سوريا، ط1، 2014م، ص 50-51.

للدراستات الشرقية التي تخص ديانات وثقافات اخرى، ولأن المستشرقين كتبوا في مواضيع مختلفة عن الإسلام والعلوم الإسلامية في حقيقتها متداخلة فيما بينها، صنف إلى ذلك أن هذا التصنيف لا يبرز خصائص كل مدرسة لأن المستشرقين متباينون في بيئاتهم وظروفهم وخلفياتهم ومذاهبهم واتجاهاتهم، مما يؤثر على ملامح المدرسة.

أما محمد فتح الله الزيايدي فقد قسم المستشرقين على أساس موقفهم من الإسلام وتمسكهم بالمنهجية العلمية¹ فجعلهم:

- صنف كتب في علوم العرب والمسلمين بحقد وكراهية مبتعدا بذلك عن المنهج العلمي الصحيح، ومتأثرا في كل ما كتب بروح العداء التي زرعتها فيه الكنيسة.

- صنف كتب بروح علمية محاولا إفادة قومه بما يكتبه عن هذه الحضارة، فنتيجة لسيطرة الروح العلمية عليه وابتعاده عن تأثير الكنيسة، فقد أكنّ الحب والإعجاب للإسلام وشريعة وديننا، ولكنه لم يُسلم، وقد يسجل على هذا الصنف وقوعه في بعض الأخطاء غير المقصودة، نتيجة عدم إتقان اللغة العربية وفهم أسرارها.

- صنف كتب بروح علمية صادقة ودرس الإسلام دراسة عميقة حتى اهتدى إلى اعتناق الإسلام، وأصبح سيفا بارزا من سيوف الإسلام، يدافع عنه بكل ما أوتي من الإمكانيات، ويرد الشبه والمكائد التي يثيرها أعداء الإسلام ...

وقسمهم عبد الرحمان حبنكة الميداني إلى عدة مدارس تقوم على عقائد ومذاهب أصحابها وهي المدرسة النصرانية وتنقسم إلى فرعين: الكاثوليكية والبروتستانتية... المدرسة اليهودية... المدرسة الاحادية العامة... المدرسة الاحادية الشيعوية².

أما العقيلي فقد قسمهم إلى مدرستين: المدرسة السياسية التي تبحث في الأدب، المدرسة الأثرية التي تهتم بالآثار، لكنه اعتمد التقسيم الجغرافي في كتابه فقد صنف المستشرقين كل حسب بلده. ومن سلك هذا التقسيم أيضا أحمد سمايلوفيتش الذي بيّن في دراسته: (فلسفة الاستشراق)، خصائص

¹ الزيايدي، مرجع سابق، ص 102-103

² حسن حبنكة الميداني، مرجع سابق، ص 126

ومميزات كل مدرسة، والملاحظ أنه بالغ في إطراء ومدح هذه المدارس، فألبسها ثوب العلمية المطلقة والمنهجية النموذجية والموسوعية الجامعة وتمازج الوضوح والنصاعة¹.

إن تصنيف المستشرقين في مدارس ذات خصائص محددة يبدو صعباً جداً، مع العدد الهائل للمستشرقين... حيث أنهم يمثلون جنسيات مختلفة، ويتكلمون لغات متعددة، ويسيروا في اتجاهات متنوعة، وينطلقون من أهداف متقاربة². ويمكن اختيار التقسيم الجغرافي للمستشرقين لأنه يراعي خصائص البيئة التي تؤثر في شخصية الكاتب وتوجهه لخدمة مصالحها، خاصة أنها ارتبطت بالاستعمار أو السياسة أو الاقتصاد، فظهر على هذا الأساس عدة مدارس منها المدرسة الانجليزية، المدرسة الفرنسية، المدرسة الألمانية، المدرسة الأمريكية والمدرسة الروسية.

الفرع الأول: المدرسة الانجليزية

بدأ الاهتمام بالاستشراق في بريطانيا في وقت مبكر عندما أُسس كرسي الدراسات العربية في جامعة كامبريدج عام 1632م. وتلا ذلك تأسيس كرسي آخر للعربية بجامعة أكسفورد عام 1636م. وتوالى الاهتمام بالدراسات الشرقية وخاصة الهند على يد (وليم جونز)³ نتيجة للروابط التجارية بينها وبين بريطانيا⁴، كما ازدهرت هذه الدراسات بعد تخرج المستشرقين الانجليز على يد المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي، وبعد السيطرة الاستعمارية للإنجليز على منطقة الشرق مما عزز أهمية الاستشراق في فهم الشرق، ومع ازدياد كراسي اللغة العربية في الجامعات البريطانية، وإنشاء المعاهد الشرقية والمكتبات والحرص على الاهتمام بالمخطوطات خاصة الإسلامية، وتأسيس الجمعيات والمجلات المتخصصة، تنوعت الدراسات الانجليزية حول الحضارة الإسلامية مع ملاحظة اصطباغها بالمصلحية بدرجة كبيرة. ومن مميزات المدرسة الانجليزية⁵:

- ارتباطه بالحركة الاستعمارية والدوافع الدينية: من خلال البعثات التنصيرية.

¹ احمد سمايلوفتش، مرجع سابق، ص 222

² محمد فتح الله الزيايدي، الاستشراق أهدافه ووسائله-دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبة، ط1، 1998م، ص 71.

³ وليم جونز Sir William Jones (1746-1794): من كبار الشعراء والمحامين والقضاة، تعلم عدة لغات، أسس الجمعية الآسيوية للبنغال، عدّ أباً للدراسات الهندية في أوروبا، من آثاره: اخلاق العرب قبل الإسلام نقلاً عن المعلقات، قواعد اللغة الفارسية.. ينظر العقيلي، مرجع سابق، ص 473.

⁴ رياض العمري، مناهج المستشرقين، مرجع سابق، ص 166

⁵ المرجع نفسه، ص 167-168

- الشمولية والتنوع: فقد اهتمت بجميع الجوانب الحضارية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وتنوعت زمانيا بدراسة الشرق القديم والحديث، وتعددت هذه الدراسات مكانيا لاهتمام بريطانيا بجنوب شرق آسيا والشرق الأوسط خاصة بعد الحرب العالمية الأولى.

- التخصص: امتاز المستشرقون الانجليز بالتخصص، كل حسب ما برع فيه من علوم فمنهم من اهتم باللغة وآخر بالتاريخ... مع تركيز عام على دراسات اللغة العربية التي مكنتهم من التواصل مع الشرق الاوسط، كما اقتصوا بالمناطق فبعضهم تخصص في الحضارة الإسلامية، وبعضهم بالدراسات الهندية وآخرون بالدراسات الصينية. وهذا ما طبع الاستشراق الانجليزي بالدقة والعمق في دراساته. ومن أشهر رواد المدرسة الانجليزية: هاملتون جب - آرثر جون أربري- رينولد نيكلسون¹- توماس ارنولد²- صمويل مرجليوث³- مونتغمري واط⁴- جورج سال⁵....

الفرع الثاني: المدرسة الفرنسية

تعد المدرسة الفرنسية من أبرز المدارس الاستشراقية، نظرا للدور الذي لعبته في تطور الاستشراق وتعميق الدراسات العربية والإسلامية، لعلاقتها مع العالم الإسلامي. وقد بدأ الاستشراق الفرنسي مع تأسيس مدارس (ريمس وشارتر) لتدريس اللغة العربية، وانشاء كراسي للعبدية والعربية والكلدانية في باريس، وانشاء كرسي للدراسات الإسلامية في جامعة السوربون التي ألحق بها معهد الدراسات

¹ رينولد ألين نيكلسون R A Nicholson (1868-1945): برز في الأدب القديم، تعلم لغات الهند، وكان أستاذا للفارسية في كمبريدج، من آثاره: الادب العربي في ضوء التاريخ السياسي والعمراني للعرب والإسلام، التصوف الإسلامي.. ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 525-526.

² توماس ارنولد Arnold, Sir Thomas (1864-1930): تعلم في كمبريدج، أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن (1904) ثم اختير عمدا، من آثاره: الدعوة الى الإسلام، العقيدة الإسلامية، والكتاب الإسلامي... ينظر العقيلي، مرجع سابق، ص 504-506.

³ صمويل مرجليوث D.S Margoliouth (1858-1940): أتقن العربية وكتب فيها بسلاسة، وكان أستاذا لها في جامعة أكسفورد، رئيس تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية من آثاره: ترجمة مختارات البيضاوي، رسائل المعري... ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 518-519.

⁴ مونتغمري واط Montgomery, Watt: عميد قسم الدراسات العربية (1974-1964) في جامعة أدنبرة، من آثاره: محمد في مكة، محمد النبي ورجل الدولة، ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 554.

⁵ جورج سال G.Sale (1697-1736م): محام، درس العربية واقتنى مجموعة من مخطوطاتها، من آثاره: ترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية واستعين به في إنجاز أول دائرة معارف أوربية حديثة، ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص

الإسلامية، إضافة إلى انشاء مدرسة اللغات الفرنسية الحية سنة 1795م، والتي أشرف عليها سلفستر دي ساسي الذي يعد عميد الاستشراق في النصف الأول من القرن التاسع عشر دون منافس¹، وعلى يديه تخرج أغلب كبار مستشركي أوروبا من بعده، وقد ظهر لفظ مستشرق في فرنسا عام 1799م، وأدرج في قاموس الاكاديمية الفرنسية عام 1838م².

وتعزز هذا الدور مع تأسيس معهد نابليون بالقاهرة وتزويده بمطبعة عربية أخرجت العديد من الكتب والمخطوطات العربية، ومن المعاهد المتخصصة بالدراسات الإسلامية: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، ومعهد الدراسات العليا في تونس، ومدرسة الآداب العالية في الجزائر، ومعهد الدراسات المغربية العليا في الرباط، والمعهد الفرنسي بدمشق.. وبالنسبة لمكتبة باريس الوطنية فهي تحوي حوالي سبعة الاف مخطوط عربي، إضافة الى مكتبات المستشرقين الخاصة.

كانت بدايات الاستشراق الفرنسي في الدراسات الإسلامية تتسم بطابع القرون الوسطى ونظرتها للإسلام، لكن مع نهاية القرن السابع عشر بدأ يغلب عليها التوجه العلمي نظرا للنزعة العقلية التي انتشرت في أوروبا مع النهضة العلمية. ومن مميزات المدرسة الفرنسية³:

- تتركز دراساتها حول خدمة الأهداف الدينية لأن مؤسساتها الجامعية والمعاهد الفرنسية كانت تحت رعاية وإشراف الرهبان والقساوسة، وقد عملت على نشر الكاثوليكية في مقابل المذاهب المسيحية الأخرى. كما خدمت الأهداف السياسية والاستعمارية من خلال تثبيت أقدامه في الشرق وأماكن احتلاله، بإنشاء معاهد وأقسام في الشرق، وقد عملت على صناعة أبناء لهذا الاستشراق من الشرقيين أنفسهم. كما تميزت بتوفر الوسائل العلمية المعينة للمستشرقين على الانتاج من جامعات ومعاهد ومكتبات ومجلات وجمعيات، والاعتماد على المناهج العلمية الأوروبية في دراساتها. وامتازت بالشمولية والتنوع والتخصص في الدراسة فلكل مستشرق مجاله الخاص. وكان لها اهتمام بالمخطوطات والعمل على صيانتها وفهرستها وركزت على الآثار والبحث عنها وتأسيس معاهدها. وكان لها تأثير كبير في مناهج التعليم خاصة في شمال افريقيا، ويرجع ذلك لسلطة أعضائها في مواقع التخطيط والتوجيه التربوي. كما ظهر تأثيرها أيضا في الاستشراق الألماني كون رواده كانوا من تلامذة المدرسة الفرنسية

¹ قاسم السامرائي، الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشراقية في جامعة الامام، ص15، نقلا عن رياض العمري، ص184.

² مكسيم رودنسون، صورة العالم الاسلامي في اوربا، مرجع سابق، ص 74.

³ ينظر: ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، مرجع سابق، ص 115-116.

ونشأوا على يد أساتذتها. ومن أهم رواد المدرسة الفرنسية: جاك بيرك¹، سلفستر دي ساسي، ريجيس بلاشير²، مكسيم رودنسون، ناصر الدين دينيه - لويس ماسينيون - غوستاف لوبون³ - اميل درمنغهام⁴.

الفرع الثالث: المدرسة الألمانية

بدأ الاستشراق في ألمانيا متأخرا مقارنة بباقي بلدان أوروبا فقد ظهر في القرن الثامن عشر، "بالرغم من اتصال ألمانيا بالشرق منذ الحروب الصليبية الأولى، وانشقاقها عن الكاثوليكية بعد الثورة الدينية التي قادها "مارتن لوثر" وبالرغم من تدبير بعض الكتب عن اللغة العربية وخاصة كتاب كريستمان الذي أعده لتعليم كتابة الحروف العربية منذ 1585م، وبالرغم من حاجة المذهب البروتستانتي الجديد لدراسة التوراة لمقارعة ومجادلة الكاثوليكية... وبلغت هذه الدراسات أوجها بعد أن تخرج على يدي "دي ساسي" عشرات من المستشرقين الألمان"⁵. ويلاحظ التميز الواضح للاستشراق الألماني بغلبة الروح العلمية الا أنه لا يخلو من تحقيق أهداف الاستشراق، وإن لم يكن بصورة كبيرة، وهذا راجع لخصال الشعب الألماني المجهول على الدقة البالغة، والعناية الفائقة، والصبر الجميل، واتباع المنهج العلمي الصارم بأعلى المقاييس العلمية المتعارف عليها"⁶. وهي سمات تركتها بصمتها على الاستشراق الألماني.

إن عدم قدرة ألمانيا على إيجاد مكان لها وسط الشرق الأوسط في بدايات القرن التاسع عشر أمام السيطرة البريطانية والفرنسية عليه، جعلها تهتم بالتراث العربي والإسلامي القديم ما أبعدها عن

¹ جاك بيرك J. Berque : أشرف على مركز الدراسات العربية في بكفيا، وعين أستاذ التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا، من أثاره: الإسلام من أمس الى الغد، القلق العربي في الأزمنة الحديثة..، ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 316.

² ريجيس بلاشير R.L.Blachere(1900): تخرج بالعربية من كلية الآداب بالجزائر 1922م، عين مديرا لمدرسة الدراسات العليا العملية، اهتم بالكتابة عن المتنبي، من أثاره: ترجمة جديدة للقرآن، تاريخ الادب العربي، ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 318.

³ غوستاف لوبون G.Lebon (1841): طبيب ومؤرخ عنى بالحضارة الشرقية، من أثاره: الحضارة المصرية، حضارة العرب، ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 226.

⁴ اميل درمنغهام E.Dermenghem: شغل مدير مكتبة الجزائر، من أثاره: حياة محمد، سيرة الأولياء المسلمين... ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 297-298.

⁵ ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، ص 129-130

⁶ المرجع نفسه، ص 135.

التحامل الغربي للعرب، فعكف مستشرقوها على استخراج نفائس التراث العربي، وإعداد المعاجم والفهارس، لكنهم وقعوا في نفس أخطاء المستشرقين الآخرين لأنهم رفضوا الانطلاق من المبادئ الإسلامية وتحكيم الغيب في دراسة الإسلام، فوقعوا فريسة لأهوائهم وخلفياتهم، وهو ما ينبذه البحث العلمي. كما أنّ دخول ألمانيا الحرب العالمية الثانية، وظهور النفط في البلدان العربية جعلها تركز أكثر على هذه المنطقة وتتم بدراسة واقعها المعاصر، وإقامة علاقات معها.

وفي بيان ميزة الاستشراق الألماني يقول ادوارد سعيد: "إن ما فعله تراث الاستشراق الألماني هو أنه شدّب ونقى وأحكم تقنيات كان مجال تطبيقها نصوصاً وأساطيراً وأفكاراً ولغات جمعتها من الشرق، بمعنى حرفي تقريباً، بريطانيا وفرنسا الامبراطوريتان، لكن ما كان مشتركاً بين الاستشراق الألماني والأنجلو فرنسي والأمريكي فيما بعد هو نمط من السلطة الفكرية على الشرق داخل الثقافة الغربية"¹. وبهذا يتضح أن هذه المدرسة تطبعت بالطابع العام الذي كان سائداً للاستشراق في ذلك الوقت. وبالعموم يمكن ادخال الاستشراق المجري والنمساوي واليوغسلافي وما نتج عن أوروبا الشرقية، في المدرسة الألمانية للتشابه الكبير في المميزات ولأن أغلب مستشرقهم تتلمذوا في ألمانيا.

- ومن أهم مميزات المدرسة الألمانية أن بداياتها كانت متأخرة مقارنة بالاستشراق الفرنسي والانجليزي. وكان اهتمامها بالدراسات الشرقية القديمة والإسلامية والتركيز على الآداب والآثار، ما جعلها بعيدة عن الأهداف الاستشراقية العامة، لكنّه لا يمنع أن بدايتها كانت تخدم الغرض الديني. وركزت على البلاد العربية والإسلامية دون البلدان والثقافات الأخرى، لذا برزت في نشر الثقافة الإسلامية والتراث العربي، من خلال تحقيق الكتب وفهرسة المخطوطات، وتصنيف المعاجم العربية. واشتهرت باتباعها لمنهج علمي دقيق فرضته طبيعة الشعب الألماني، بالرغم من وقوعها تحت وطأة الأهواء، ورفضها المطلق لقدسية الوحي القرآني، ونبوة الرسول، واشتهر المستشرق الألماني بالتفاني والصبر والمثابرة، فمنهم من أتقن ثلاثين لغة ك(فريدرش روكرت)² Ruckert (1788-1866).

¹ ادوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، ص53

² فريدرش روكرت Ruckert (1788-1866). شاعر، درّس في جامعة برلين من آثاره: مقامات الحريري، ترجم ديوان الحماسة لأبي تمام.. ينظر: العقيقي، مرجع سابق، ص699.

ومن أهم رواد هذه المدرسة: كارل بروكلمان، رودي باريت، كارل بيكر، فلوجليل، يوليوس فلهاوزن¹ - تيودور نولدكه² - جوزيف شاخت³...

الفرع الرابع: المدرسة الايطالية

كانت ايطاليا على علاقات مع بلاد الإسلام وشمال افريقيا من قبل الميلاد، لقربها منه جغرافيا، وتوطدت بعد فتح العرب لصقلية، كما ان اهتمام الفاتيكان بتنصير الشرق جعل أغلب مؤسسات الاستشراق تحت اشراف رهبان وقساوسة، مثل الكلية المارونية 1584م، ومدرسة اللغات الشرقية 1623م، كما سافر الايطاليون الى مراكز العلم في العالم الإسلامي لينهلوا منها، ما كان له أثر في النهضة الاوربية، ثم ازدهرت هذه المدرسة مع الأهداف الاستعمارية خاصة بعد احتلال ليبيا. وتمت بعد إنشاء العديد من مراكز الدراسات الشرقية والإسلامية، والعناية بالمكتبات المتخصصة بتزويدها بنوادير المخطوطات. ومن أهم مميزات المدرسة الإيطالية غلبة الدافع الديني في نشأة الاستشراق ومساهمة الدافع الاستعماري في تطوره. كما كان تركيزها على العالم العربي خاصة والاهتمام بدراسة اللغة العربية. وساهمت بجهد متواضع في نشر التراث الإسلامي والاهتمام به حفظا وفهرسة وتحقيقا. وتميزت بوجود الكثير من المستشرقات بخلاف المدارس الأخرى من أمثال: ماريا نلينو⁴، اولجابنتو⁵ وانجيلا كوداتزي⁶،

¹ يوليوس فلهاوزن J. Wellhausen (1844-1918): بدأ دراسة اللاهوت لنقد التوراة، من آثاره: تاريخ اليهود،... ينظر العقيلي، مرجع سابق، ص 724-725.

² تيودور نولدكه: Th. Noldeke (1836-1930): اهتم باللغات السامية وعين أستاذا لها في عدد من الجامعات الأوربية، من آثاره: أصل وتركيب سور القرآن، فكرة عامة عن حياة محمد... ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 738-739

³ جوزيف شاخت J. Sshacht (و1902م): اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي وبيان تطوره وتأثره، من آثاره: دين الإسلام، نشأة الفقه في الإسلام... ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 803-804

⁴ ماريا نلينو Nallino.Maria (1908-) ابنة المستشرق كارلو نلينو، تتلمذت على يديه، وصحبتة في أسفاره واستأنفت نشاطه العلمي بعد وفاته، من آثارها: مجموعة اثار كارلو نلينو، الاسلام والاقليات الدينية في الدستور السوري الجديد ينظر: العقيلي، المستشرقون، ج1، ص 397.

⁵ اولجابنتو Pinto, Olga : امينة في المكتبة الوطنية بروما، آثارها: الكتب العربية في مكتبات روما، المخطوطات العربية غير المفهرسة في المكتبة الوطنية بفلورنسا.. ينظر العقيلي، مرجع سابق، ج1، ص 398.

⁶ انجيلا كوداتزي, Codazzi Angela: من آثارها نشر مخطوط أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان لابن حنين، ، انظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 400.

بانثا¹... كما تميزت بالوراثة العلمية بحيث يكمل الأبناء نشاط آباءهم المستشرقون، مثل جويدي وابنه مايكل أنجلو²، وغبريالي³ وابنه فرانثيسكو⁴، ونللينو⁵ وكريمته ماريا نللينو.

هذه أهم المدارس الكبرى التي أسست القاعدة الصلبة للاستشراق ومنها انطلقت باقي المدارس، فبقية المستشرقين في المدارس الأخرى تتلمذوا على أيدي كبار المستشرقين في المدارس التي ذكرناها، ما طبع إنتاجهم بطابع مدرسة أساتذتهم، كما أن دوافع وأهداف المستشرقين لا تختلف فيما بينها، وتخضع لنفس المنهجية العلمية، ما جعل آثارها واحدة وواضحة في كل أقطار العالم الإسلامي.

المطلب الرابع: آثار الاستشراق وكيفية مواجهته

الفرع الأول: آثار الاستشراق

يُعد الاستشراق حلقة من حلقات احتكاك الحضارات، وهو صورة من صور الحرب الباردة على الإسلام، ولقد كان انعكاسه على الثقافتين الإسلامية والغربية مزدوجا، وتنوعت آثاره ما بين التأثير الإيجابي والتأثير السلبي، بحيث كان مجال انتفاع الغرب به كثيرا، على حساب الإسلام وأهله" وبدلا من أن تسهم بوصفها معرفة انسانية، في الارتقاء بأي وجه من وجوه حياة الشرقيين، فإنها في الغالب كانت وبالاً عليهم، لأنها لم تُستخدم إلا للسيطرة على مقدراتهم، واحتوائهم واستغلال خيراتهم. وربما سلبهم كل ما يحفظ عليهم إنسانيتهم. فقد وظفت أساسا من أجل خدمة مُنتجها الذي أفاد منها أيما

¹ بانثا Panetta. Ester من آثارها: تقاليد وعادات شعبية من ليبيا، متنا وترجمة وتعليقا، العبادات الشعبية في

بنغازي، الطب والصيدلة في ليبيا، ينظر: العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، ج1، ص 403

² مايكل أنجلو Michelangelo Guidi (1886-1946): عين أستاذ اللغة العربية في جامعة روما، من آثاره: فقه

اللغة العربية، تاريخ الدين الإسلامي... ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 381-382

³ غبريالي Giuseppe Gabrieli (1872-1942): اهتم بتاريخ العرب وآدابهم من آثاره: معجم الاعلام العربية

الإسلامية، وانجز العديد من الفهارس، ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 380-381.

⁴ فرانثيسكو غبريالي Francesco Gabrieli (1904م): برز في دراسة الشعر الجاهلي والتاريخ الإسلامي، من

آثاره: كوميديا إلهية إسلامية، تاريخ الأدب العربي... ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 395-396

⁵ كارلو نللينو Carlo Alfonso Nallino (1872-1938): عين أستاذا للعربية في عدة جامعات، وكان عضوا في

عدة مجامع وجمعيات، من آثاره : منتخبات من القرآن، حياة محمد... ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 377-

إفادة في مواجهته لآخر الذي كان الشرق¹. بالرغم من ذلك لا يمكن إنكار الأثر الإيجابي الذي لم يكن مقصودا في الغالب من الحركة الاستشراقية، ولا يمكن التغاضي عن الطرح الاستشراقي العلمي التزيه، والاستفادة من معطياته، فهو مصطلح واقعي ضد الاستشراق المغرض، وأفضل من فصل في بيان آثار الاستشراق على الأمة الإسلامية محمد خليفة حسن² في كتابه آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، وبالعموم يمكن اجمال آثار الاستشراق في جانبين أساسيين هما:

1. الآثار الإيجابية

- الاستفادة مما أنتجه الاستشراق من دراسات علمية حول البلاد المجاورة للمسلمين والتي يمكن استغلالها للقيام بالدعوة الى الله، ومحاولة رسم خطط للتعامل معها وفق خلفيات دقيقة عنها نجد أغلبها في دراسات المستشرقين.
- تحقيق التراث الإسلامي والكشف عن مخطوطات ثمينة، وفهرستها ونشرها وترجمة بعضها وحفظ المتها لك منها وترميمه، وتصنيف المعاجم اللغوية والمعاجم المفهرسة، ما ساعد في النهضة العلمية في العالم الإسلامي.
- تطوير منهج النقد للتراث الإسلامي، نتج عنه إيقاظ الوعي المنهجي لدى المسلمين، من خلال قراءة التراث واستلها المعارف الجديدة وتأسيس منهج يقوم بمنافسة المنهج الاستشراقي.
- بيان مكانة الفكر الإسلامي في التراث العالمي من خلال المنهج المقارن بين الحضارات، وبيان فضل الحضارة الإسلامية على باقي الحضارات.
- المساهمة في التعريف بالإسلام والعربية والتراث الإسلامي من خلال ترجمة المستشرقين لمئات الأعمال الإسلامية إلى لغات الغرب.
- الاهتمام بدراسة الواقع الإسلامي وبيان مواطن القوة والضعف، واستخلاص حلول ذات طابع غربي، ما شجع المسلمين على استبصار مشاكله واستخلاص حلول لها تنبع من رؤية جوهريّة لتاريخهم وعقيدتهم وواقعهم، أسهم في تشكيل فكر إسلامي معاصر.

¹ عبد النبي اصطيف، المعرفة الاستشراقية طبيعتها ووظيفتها، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة-سوريا، ع490، تموز 2004، ص51

² ينظر: محمد خليفة حسن أحمد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 1997م.

- تطوير النظم العلمية والتعليمية، ومواكبة الجامعات الإسلامية للتطور العلمي في الجامعات الغربية، وتزويدها بمختلف وسائل ومناهج العلم الحديث، ما أمكن الفكر الإسلامي من مسايرة العصر واحداثه، كما سعت الجامعات الى تأصيل العلوم وربطها بالتراث الإسلامي وتوجيهها اسلاميا.
- معرفة حجم التأثير الإسلامي في الفكر الغربي: بإدراك مدى مساهمته في النهضة الاوربية، وتأثيره في الفنون والآداب الغربية، ومشاركته في تطور الفكر الديني اليهودي والنصراني "فقد أعادت اليهودية والنصرانية النظر في الاعتقادات الخاصة بهما في ضوء النقد الإسلامي لهما. وكانت الاصلاحات الدينية ردود فعل حقيقية تجاه هذا النقد الإسلامي"¹. كما ظهرت حركة نقد الكتاب المقدس Biblical Criticism التي تعتمد في نظرياتها على النقد القرآني والنقد الإسلامي للكتب المحرفة. والذي انتقل عبر الترجمة الى الغرب.
- دخول العديد من المستشرقين الذي التزموا الموضوعية في دراساتهم في الإسلام، ما يؤكد سلامة الإسلام من الشبهات الموجهة اليه، ومن أشهر من درس الإسلام ثم اقتنع به: ايتين دينيه (نصر الدين دينيه)، ليوبولد فايس (محمد أسد²)، وليم بكتول³، موريس بوكاي... وقائمة المتعاطفين طويلة.
- تنظيم الكتب العربية التي توجد في المكتبات العمومية بأوروبا، ووضع الفهارس لها، حتى يسهل الرجوع لها والتنقيب عن المخطوطات الهامة في تراثنا لتحقيقها ونشرها، وتخصص نخبة من علمائه في موضوعات ركزوا البحث في نقاطها الجزئية، حتى كادت تقترن أسماء بعض الباحثين منهم بمن تفرغوا لدراسة شخصياتهم واثارهم العلمية دراسة معمقة تتطلب صبورا طويلا وعملا دؤوبا وتصوفا علميا، كاشتهار ماسنيون بالحلاج، ولاووست بابن تيمية⁴.

¹ المرجع السابق، ص 134

² محمد أسد (1900-1992م) Weiss, L: أسلم وأنشأ مجلة الثقافة الإسلامية، صحح بها أخطاء المستشرقين، من آثاره: ترجمة صحيح البخاري، الطريق إلى مكة، الإسلام على مفترق الطرق، ينظر لعقيقي، مرجع سابق، ص 642-643.

³ مارمادوك وليم بكتول (1875-1936م) Pickthall, M,W: أتقن عدة لغات، أشهر اسلامه، أصبح إمام المسلمين في لندن، ترجم القرآن الكريم، من آثاره: الثقافة الإسلامية، التربية الإسلامية، ينظر: العقيقي، مرجع سابق، ص 512.

⁴ التهامي نقرة، القرآن والمستشرقون، بحث ضمن كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-تونس، ط1، 1985م، ج1، ص 25

2. الآثار السلبية:

- تشويه صورة الإسلام بالتشكيك في أصوله ومصادره، مثل القرآن والسنة والعقيدة والعربية والتاريخ، وترويج الشبهات والافكار المنحرفة عنه، سواء عند شباب المسلمين أو الغربيين، مثل الارهاب، وتأثر العرب والمسلمين بالتيار العلماني والمناداة بفصل الدين عن الحياة لتحقيق النهضة كما روح له المستشرقون. وتغيير حقيقة الإسلام وجعله ينحصر في المساجد والعبادات وانغلاقه بمفاهيم التصوف عند ابن عربي والحلاج، وحصر الادب العربي في ألف ليلة وليلة، وأشعار العشق والمجون. وزرع بؤر التنصير في العالم الإسلامي.

- العمل على اسقاط الخلافة العثمانية، وتجزئة العالم الإسلامي والتمكين للاستعمار، وبعث القوميات في العالم الإسلامي، ومحاولة نشر النظم السياسية الغربية للحكم في المجتمع الإسلامي، والتمكين للصهيونية.

- التأثير على قيم الاسرة المسلمة، بالدعوة إلى تحرير المرأة المسلمة، وتمييع الفكر الشبابي عن طريق وسائل الاعلام والاتصال، وتفكيك الروابط الاسرية باسم الحرية المطلقة وتغيير القيم والترغيب في الجنس والتزهيد في الزواج، وفتح باب الاختلاط...

- نشر القيم الغربية، وترويج الخرافات والاساطير بما يوقع المجتمع الإسلامي في الجهل والخرافة وتشثيت جهود العلماء المسلمين في محاربة الظواهر المنحرفة، وفي جمع كلمتهم للعمل على نهضة بلدانهم وتوعية شعوبهم.

- عمل الاستشراق في دراسته على إثارة الخلافات الطائفية للمجتمعات العربية والإسلامية وشحن النزاعات القبلية وتأجيج الصراعات القديمة، بمنهج الباحث عن الحقيقة وإثبات الحق. فأعطاه مصداقية أكثر عند الناس.

- تدهور الاقتصاد الإسلامي بالعمل على زيادة البطالة واستنزاف الثروات، والترويج للنظام الليبرالي الرأسمالي الغربي، ومحاربة النظام الاقتصادي الإسلامي عن طريق: "إعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الرأسمالية والشيوعية، كنوع من التأصيل للنظريتين وتقديمهما على أنهما لا يمثلان خروجاً عن النظام الاقتصادي الإسلامي"¹

¹ محمد خليفة حسن، اثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الاسلامية، مرجع سابق، ص 79

- الدعوة الى تطبيق المناهج العلمية الحديثة، واسقاطها على القرآن والسنة ونتاج العلماء ما أثر سلبا في فهم هذه المصادر، والتشكيك في مصداقيتها. ما أدى الى ظهور الحداثة التي تتجاوز المقدس والموروث وتثور على كل الاعتبارات.

- تكوين جيل من أبناء الشرق تتلمذ على يد المستشرقين، أكملوا مسيرة أساتذتهم بعد تشبعهم بأفكارهم ومناهجهم وشبهاتهم: "الدرجة أنه أصبح من الصعب في بعض الأحيان رسم حدود فاصلة بين ما يطلق عليه مثلا المعرفة الاستشراقية، أو تلك التي تطورها المدارس الفكرية الغربية الحديثة، وبين ما تنتجه النخبة المحلية المفكرة، بما لذلك من استتبعات منهجية مهمة على مستوى عملية نقد أساسيات المعرفة الحاصلة حتى الآن"¹. كما عملوا على انشاء جامعات ومؤسسات تعليمية غربية خالصة في المجتمع الإسلامي، وتمت السيطرة على مناهج التعليم في عدد من البلدان الإسلامية ووضعوا بصمتهم عليها.

الفرع الثاني: كيفية مواجهة الاستشراق

إن حجم الآثار السلبية كان أكبر وأعمق في جسد الأمة الإسلامية من الايجابيات، فقد خلف جروحا وندوبا متتابعة لا تزال تعاني منها الأمة، وجب على العلماء والمثقفين الوقوف صفا واحدا، لمواجهة هذا المد الاستشراقي، والذي لبس أثوابا عدة في هذا العصر، بحيث بات دخيلا في كل العلوم والفنون، والمؤسسات والأفكار والتيارات، مولدا للمطاحن والشبهات، ومزعزا للمبادئ والأفكار. ولا تكون هذه المواجهة جادة ومثمرة الا إذا قامت على نفس الرؤية الواقعية التي يقوم عليها الاستشراق، بالتركيز على بيان ونقد سلبياته والاستفادة من ايجابياته، وتُحاول صناعة قوة موازية له في الجهد والنفوذ والعلم، مضادة له في التوجهات والأفكار، وتستند في وسائلها إلى العقل لا العاطفة، المدعم بالإيمان القوي بصدق الإسلام وأصالته. وتُراعي حقيقة استمرار الاستشراق ما بقي صراع الشرق والغرب، وتوفر الدعم من كل الجهات حتى تحقق إنجازات لمواجهته، وهذا ما هو غائب في هذا الوقت، كما أن استعانتها بالمناهج الدقيقة الموضوعية يمنح المواجهة مصداقية وقوة في الطرح والرد، ويبعدها عن العشوائية والانفعالية ويسدد رؤيتها لواقعها ومستقبلها، ومن أساليب إثراء هذه المواجهة في رأي محمد خليفة حسن²:

¹ المولدي الأحمر، التاريخ المختلف ضرورة نقد الاستشراق وصعوبات بناء المعرفة البديلة (قراءة نقدية لكتاب: المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا)، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ص34، ع 7 و8، مايو 1998م، ص56.

² ينظر: محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، مرجع سابق، ص141-146

- الدراسة العلمية الواعية المتعمقة للاستشراق، بإنشاء أقسام متخصصة بالدراسات الاستشراقية في الجامعات الإسلامية، ومراكز بحوث تتابع أعماله، وترجمها وتنقدها وترد عليها.
- تحصيل الفرد المسلم من الشبهات والغزو الفكري، بزيادة وعيه وإيمانه بدينه الإسلامي.
- مراقبة الاعلام وغربلة ما يبثه من أفكار تساعد على تسرب الفكر الغربي المنحرف.
- تنقية الفكر الإسلامي من الأفكار المشبوهة والمشوهة وخاصة الإسرائيلية والاستشراقيات، بمراجعة كتبه ومصادر التراث، وهو جهد عظيم يتطلب فريقا وجهدا ووقتا ودعما من الدول والمؤسسات المالية.
- توفير البديل الإسلامي للفكر الاستشراقي، وترجمته إلى عدة لغات، ما يحدث موازنة في مصادر المعرفة عن الإسلام، ويقلل الاعتماد على المعرفة الاستشراقية. بالمقابل توفير الكتاب الإسلامي الصحيح للمسلم، خاصة بعد أن أصبحت دوائر المعارف الاستشراقية مرجعا أساسيا للمثقفين، تقدم مادة خام لشبهات الاستشراق.
- العمل على تنمية المجتمعات الإسلامية وقطع التبعية للغرب في جميع الميادين، وتحقيق التعاون بين المجتمعات الإسلامية.
- تطوير العمل الدعوي خاصة في الغرب، بتكوين الدعاة وإنشاء مؤسسات قادرة على مواجهة الاستشراق من أبناء الغرب المسلمين أنفسهم.
- محاولة إنتاج اسلامي محلي للثقافة فكما قال الدكتور أكرم ضياء العمري أن علينا " أن نمثل أنفسنا أمام أنفسنا، بأن تقوم مؤسساتنا العلمية برسم الصورة الثقافية، والتاريخية، والعقدية لأمة الإسلام دون أن تخضع للأفكار المسبقة التي رسمها المستشرقون"¹.

يتضح من خلال هذا المبحث أن الاستشراق حركة فكرية واسعة، وميدان علمي رحب كان اهتمامه في الأساس ينصب على التراث والحضارة الإسلامية. زاد من نشاطه وتطويره مجموعة من الدوافع، أبرزها الهدف الديني والاقتصادي والاستعماري، ليأتي الدافع العلمي كمكمل للبقية، وغطاء تستتر تحته باقي الدوافع عند أغلب المستشرقين على تنوع مدارسهم. ونظرا للنتائج التي حققها الاستشراق، تم توفير الوسائل له والدعم المالي ليقوم بدوره ويطور بُحوثه، حتى أصبح له منهجية وأساليب تمتاز بها مدارس واتجاهات. ولقد كانت له نتائجها الايجابية في التعريف بالتراث الإسلامي عالميا،

¹ أكرم ضياء العمري. موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، دار اشبيليا-الرياض، دط، 1997م، ص 47.

الفصل التمهيدى: الإستشراق ومناقبه

بالموازاة مع آثاره السلبية على البلاد الإسلامية، ما أوجب على المسلمين دفع أخطاره ومواجهة أساليبه الحديثة ودراسة أبحاثه وتقييم إنتاجه، للاستفادة منه في نهضة العالم الإسلامي وكشف ميزات الإسلام وتحقيق الدعوة لله، واستقراء المنهجية العامة للمستشرقين في دراستهم للإسلام، والتنبيه لخطورة أفكارهم وآرائهم، التي تخدم الأهداف العامة للاستشراق.

المبحث الثاني: منهج المستشرقين في دراسة للقرآن الكريم

اختلفت أساليب المستشرقين في دراسة الإسلام وتباينت توجهاتهم منه، باختلاف الزمان والمكان والخلفية ومواضيع الدراسة والأهداف والدوافع التي تُوجههم، لكنهم اشتركوا في نقاط عامة شكلت منهجية خاصة طبعت الدراسات الاستشراقية للإسلام، كما استعانوا بآليات ووسائل اتبعوها في دراستهم، استندوا فيها الى المناهج العلمية الحديثة التي ظهرت مع النهضة العلمية في أوروبا، مثل: المنهج التاريخي، المنهج التحليلي، المنهج المادي، المنهج الفيلولوجي... والتي أساسها المذهب الوضعي.

هذه المنهجية تبدو غامضة نوعا ما للقارئ المتعجل لكتابتهم، والمستوثق بمنهجيتهم وتفوقهم العلمي، لأنها كانت عبارة عن مزيج من المناهج السابقة، لكن مع سيطرة خفية للخلفيات والأهداف عليها، وتأثير للعوامل الداخلية والخارجية على المستشرق، وتنوع طبيعة المدارس الاستشراقية ونزعاتها المختلفة، "مما يحدث تغييرا في أحكامهم حول الظاهرة الواحدة من مستشرق إلى آخر، بل إنّ أحكام الواحد منهم قد تتغير أو تعدل من فترة إلى أخرى لاختلاف في الرؤية، أو باستخدام مناهج مختلفة أو الاختلاف في توظيف معطيات واحدة ولكن النتائج غير ذلك"¹. والمعرفة الاستشراقية في حقيقتها "تستجيب للثقافة التي أنتجتها أكثر مما استجابت لموضوعها المزعوم"². ما صَعَّب من تحديد معالم المنهج الاستشراقي.

المطلب الأول: مفهوم مناهج المستشرقين وأهميتها

الفرع الأول: مفهوم مناهج المستشرقين

يتكون مصطلح مناهج المستشرقين من مصطلحين هما: المناهج والمستشرقين، بالتعرف على معناهما يتبين مفهوم مناهج المستشرقين.

¹ محمد صالح دويبة، القراءات القرآنية في دراسات المستشرقين، اشراف السعيد عليوان، رسالة ماجستير في القراءات القرآنية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2006م، ص 42.

² ادوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، ص 55

1. مفهوم المنهج

أ. المنهج في اللغة: من "نَهَجَ" النون والهاء والجيم أصلاً متباينان: الأول النهج، الطريق. ونَهَجَ لي الأمر: أوضحه. وهو مستقيم المنهاج. والمنهج: الطَّرِيقُ أيضاً، والجمع المناهج. "1 وأنَّهَجَ الطريق: وضَّح واستبان وصار نَهْجاً واضحاً بيّناً، والمنهاج: الطريق الواضح. واستنَّهَجَ الطريقُ: صار نَهْجاً²، فالمنهج في اللغة مشتق من النهج: وهو الوضوح والاستبانة والاستقامة في الطريق. والمناهج جمع منهج.

ب. المنهج في الاصطلاح: جاء تعريف المنهج في المعجم الفلسفي بأنه "الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي تقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة، والبرهنة عليها"³. ولذلك كثيراً ما يعبر عن المنهج بالطريقة فيقال: مناهج البحث أو طرق البحث التي تؤدي إلى الغرض المنشود من الدراسة⁴ ويعرفه عبد الرحمان بدوي بقوله: "المنهج هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين"⁵. ويضيف قائلاً: هو "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"⁶.

2. تعريف المستشرقين

والمستشرقون جمع مستشرق وقد سبق الإشارة إليه وهو: كل من يتخصص من غير المسلمين في بحث ودراسة كل ما يتعلق بالشرق عامة والإسلام وحضارته خاصة.

3. مفهوم مناهج المستشرقين:

بعد بيان مصطلحات المركب يمكن الوصول إلى أن مناهج المستشرقين تعني "بيان أسس وطرق المستشرقين في الدراسة والبحث، عن طريق تتبع انتاجهم التألفي وغيره، ثم تحليله واستخراج المرتكزات المنهجية في دراساتهم مع التدليل على ذلك"، بيد أن طريقتهم في البحث كانت في أساسها تتبع المنهجية الغربية وتنطلق منها

¹ أحمد بن فارس، مرجع سابق، ج5، ص361.

² ابن منظور، مرجع سابق، ج2، ص383.

³ مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1403هـ، ص195.

⁴ محمد زيان عمر، البحث العلمي مناهجه وتقنياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 1983م، ص48.

⁵ عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، دط، 1963م، ص4.

⁶ المرجع نفسه، ص4.

المطلب الثاني: أهم مناهج المستشرقين:

كان انتاج المستشرقين متنوعا ومتشعبا وكبيرا، وتنوعت المناهج التي استخدمها المستشرقون في البحث عن المعارف الإسلامية وتاريخ الحضارة العربية والإسلامية، خاصة أن نشاطهم واکب بدايات النهضة العلمية في أوروبا، والتي أفرزت عدة مناهج وآليات، في مجال بحثها عن المعرفة ودراستها للتاريخ والكون، وبتطور العلم والبحوث ظهرت مناهج أخرى ونظريات علمية أخرى، سايرها الاستشراق المعاصر واستخدمها في إعادة قراءة التراث الإسلامي، مرتكزا في الأساس على النتائج الاستشراقية السابقة له، لكن لكون الدراسة تتحدث عن دائرة المعارف الإسلامية، فسيتم التركيز على المناهج الأساسية التي أستخدمت زمن كتابة الدائرة والتي كان من أهمها:

الفرع الأول: المنهج التاريخي

وهو "عبارة عن ترتيب وقائع تاريخية أو اجتماعية وتبويبها وترتيبها ثم الإخبار عنها والتعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها"¹. كما يُعرف بأنه: "مجموعة من الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي المؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه، كما كان عليه في زمانه ومكانه، ويجمع تفاعلات الحياة فيه"²

والمنهج التاريخي في أساسه يعتمد على خطوات مهمة "تبدأ بالبحث عن الوثائق والمخطوطات الأساسية في عملية دراسة الظاهرة، ثم القيام بنقدها خارجيا عبر نقد مصدرها من خلال التعرف على مؤلفها وتاريخها، ثم التحقق من صحتها أي بقاءها كما كتبها صاحبها دون تحريف، ثم القيام بالنقد الداخلي من خلال التحليل الباطن الذي يبحث في الخط واللغة التي كتبت بها.... ومطابقتها مع باقي الوثائق من نفس العصر، ثم النظر في الوقائع التي وردت فيها من حيث إمكان حدوثها في الزمان والمكان"³. فالنقد الخارجي يهتم بتقييم صحة المعلومات، بينما يقوم النقد الداخلي بدراسة طبيعة المعلومات ومطابقتها مع غيرها. والهدف من هذه العملية هو الوصول إلى الحقيقة التاريخية واستكناه العبرة من الماضي، وإدراك السنن التاريخية.

¹ ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ج1، ص 166

² محمد محمد قاسم، المدخل الى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية- بيروت، ط1، 1999م، ص57.

³ ينظر: عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، مرجع سابق، ص 86-98

ويتمّ هذا المنهج بمرحلتين: الأولى مرحلة الوصف وتبدأ بالتطرق "إلى ظهور الأمر أو الظاهرة الفكرية في انطلاقتها ونشوتها الأول، مع مراعاة جميع الظروف والأبعاد المحيطة بها أي (دراسة الزمان والمكان) لنشوء الظاهرة. وكخطوة ثانية يبدأ بدراسة تطور الحدث التاريخي أشكاله، أطره، اتجاهاته، نتائجه، أي (دراسة مسار الحدث)، والخطوة الأخيرة دراسة الحدث في عصر الباحث (الحاضر) أو شكله النهائي أو تطورات المستقبلية"¹. والمرحلة الثانية هي التفسير: ويعمد الباحث إلى الاستعانة بالتفسير والتحليل لمعرفة الأسباب، فيما يتعلق بالنشوء الأول أو سبب التطور أو سبب الاندثار. وهنا يدخل الجانب الذاتي والخلفيات والمرجعيات الفكرية.

والمنهج التاريخي ليس غريبا عن الحضارة الإسلامية، فقد برز في أعمال المسلمين ابتداءً من جمع زيد بن ثابت للقرآن الكريم، مجرّصه على جمع المحفوظ في الصدور، وكذا الجمع بين الوثائق ومقابلة بعضها ببعض، واشتراط الشاهدين زيادة في التوثق والتأكد من صدق الوثيقة، كما أن أصول هذا المنهج تظهر في اهتمام المسلمين بالسند في الروايات وضبط المتن، وهو ما يغيب في المنهجية الغربية، لأنّ الاعتماد على الوثائق فقط لا يعطي الصورة الكاملة للحقيقة التاريخية.

كما أن من أسس الفهم القرآني للتاريخ الإنساني التأصيل للسنن الإلهية في الكون والحث على إدراكها والاستفادة منها ما دامت تتسم بالثبات، في دعوة جدية إلى تخطي الأخطاء البشرية العامة، والاستفادة من الماضي للوعي بالحاضر والبناء الحضاري للمستقبل، ويركز على القيم والأخلاق في حديثه عن التاريخ، بهدف التربية والتوجيه لسلوك الإنسان في إطار تعامله مع الكون ومع بني جنسه، فإدراك العبر والحكم هدف أساسي في العرض التاريخي للقرآن والذي صاغه في قصص الأقسام البائدة وقصص الأنبياء.

أما بدايات المنهج التاريخي في أوروبا، فقد كانت تهدف إلى دراسة تاريخ تدوين الكتاب المقدس، واستكشاف العوامل الخارجية والداخلية المؤثرة في المسيحية، عن طريق النقد والتمحيص، ومقابلة المخطوطات والنسخ بعضها ببعض، ودراسة الأحداث والعصور التي وافقت تدوين الكتاب المقدس، وبذلك وصل العلماء بفضل منهج النقد التاريخي إلى نتائج جيدة كشفت عن التحريف الواقع في الكتاب المقدس، وظهر مرحلة زمنية غامضة بين المرحلة الشفهية ومرحلة التدوين، وظهر خلل كبير في ترتيب الأحداث والوقائع، وبرز عوامل خارجية وداخلية أثرت على تدوين الكتاب المقدس.

¹ أحمد فرامرز قراملكي، مناهج البحث في الدراسات الدينية، دار المعارف الحكيمة-بيروت، ط1، 2004م، ص 285.

وتترك الإعجاب الكبير والانبهار بنتائج هذه الدراسات، أثرا كبيرا في مجال دراسة التاريخ والانسان، انعكس على دراسات المستشرقين للإسلام، فعمدوا إلى إسقاط هذا المنهج على القرآن الكريم والإسلام بغية إثبات بشريته والظعن في سماويته، وزعزعة إيمان المسلم بدينه، "فالمنهجية التاريخية تسعى إلى تخفيف المنابع والروافد التي يستمد منها المسلم إيمانه وتدينه"¹. وقد كان تطبيق هذا المنهج التاريخي على الإسلام وتاريخه قبل أن تتوضح معالم البحث فيه وتنظم شروطه وتثبت قواعده ونظرياته، بالإضافة إلى الخلفيات المسبقة والنزعات النفسية التي كانت تتملك الباحثين فيه، لذا كانت نتائجه على الإسلام وخيمة، وكان موضوع الوحي أهم إشكال عمل عليه المستشرقون وبرز منهجهم التاريخي فيه، فقد بحثوا في العوامل الخارجية والداخلية التي أثرت على النبي ﷺ، ودرسوا القرآن الكريم كنص بشري وأخضعوه لقواعد العقل والمنطق الإنساني ورفضوا مصدره الإلهي.

فقد أسسوا دراستهم عن القرآن انطلاقا من البحث عن الأخطاء والتحريف -المفترض في عقولهم- في آيات القرآن، وعاملوا القرآن على أنه وثيقة تاريخية، ونصوص بشرية مرت بمراحل معينة، وحاولوا الكشف عن هذه المراحل ومن ثمّ دراستها ونقدها، بنفس المنهجية التي اتبعوها في دراسة الكتاب المقدس، وهي المنهجية التي غيرت نظرة الناس ومشاعرهم تجاه الكتاب المقدس، وربّبت مكانة الدين في حياتهم خاصة بعد الاضطهاد الكنسي للناس والعلماء، يقول فرانسوا ديبلوا: "لقد كانت في القرن التاسع عشر دراسة الكتاب المقدس قد أصبحت علما قائما بذاته لا علاقة له تقريبا بمشاعر الناس الدينية مثل التاريخ الإغريقي القديم"². فقد تمّ إبعاده عن دائرة التقديس والتكريم واختفت مظاهر الإجلال من قلوب الناس، وأصبح نصا أدبيا يخضع للمتغيرات والظروف، كل ذلك تحت مسمى البحث الموضوعي، واهتموا ببيان الجانب الإنساني فيه وإبراز دور الإنسان في التاريخ، ومن ثمّ استشراق مستقبله.

هذه المنهجية هي التي سار عليها المستشرقون في دراستهم للقرآن والإسلام، فقد قاموا بجمع المصادر والروايات التي تتحدث عن موضوع القرآن، ثم عمدوا إلى تحليل هذه المعلومات على حسب التفكير الغربي، وإسقاط النموذج الغربي عليها، "وتعد كل من الوقائع التاريخية، والبيئة الاجتماعية

¹ جمال حجيرة، نقد المنهج التاريخي في دراسة القرآن الكريم، إشراف: مرزوق العمري، رسالة دكتوراه في العقيدة الإسلامية غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة ص 29.

² فرانس ديبلوا، في نقد المستشرقين -الاستشراق المنهج والصورة-، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 32 السنة الخامسة، 1983، ص150، نقلا عن: خنوس نور الدين، الخلفية الاستشراقية لمنهج النقد التاريخي للنص الديني عند محمد أركون، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع21، ديسمبر 2015، ص156.

والحياة السياسية والثقافية، والصراعات العقديّة، من أهم المحاور التي يتركز عليها المنهج التاريخي في دراسته للنصوص الأدبية، ويراهما ذات تأثير كبير على الكاتب وعلى النص أيضاً، كما يقف هذا المنهج عند طريقة جمع النص، والأيدي التي تناولته، والنسخ التي اشتمل عليها، للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات والمعارف، كما يهتم المنهج بموقف المؤلف وبسيرته، وأخلاقه وغايته من النص¹. وكل هذا يصلح في حالة النص البشري لا الوحي الإلهي كالقرآن الكريم.

وعلى هذا الأساس جعلوا الحضارة الإسلامية قائمة على الصراعات الطائفية العقديّة والاختلافات المذهبية، والمطامع السياسية، وبهذا فسّروا أغلب حوادث التاريخ. وجعلوا أغلب الظواهر الإسلاميّة متأثرة بما قبلها بشكل كبير أو مستوردة من الحضارات الأخرى، وعُيِّت في ظل ذلك بصمة الإبداع الإسلامي الأصيل. هذا التغييب نابع من النظرة المادية للمستشرقين للتاريخ، التي تنظر إليه كوقوع مكون من حوادث وأشخاص وأنظمة، ذات ترابط سببي اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي يُحدد طبيعتها، وبهذا تُصبح ظاهرة الوحي والقرآن الكريم نتاج ظاهرة بشرية لها أسبابها وانعكاساتها.

وقد اعترض المنهج التاريخي في دراسة الإسلام عدة اشكالات: "تبدأ من مشكلة الاصطلاحات إلى تغير المنهجية بسبب تغير البيئات الفكرية، وظهور الاتجاهات الجديدة التي نشأت في العلوم الاجتماعيّة"². إضافة إلى سيطرة فكرة المركزية الغربية على التاريخ الإنساني بحصر مناهج التاريخ في إطار النظرية المعرفية الغربية، والتي تصور التاريخ يتبدى بالغرب وينتهي عنده، في إشارة إلى الهيمنة العالمية للحضارة الغربية، وتهميش باقي الحضارات، كما أن المدى الجغرافي الشاسع للعالم الإسلامي، ومشكلة تعدد لغات المستشرقين كلها عوامل ساهمت في صعوبة تطبيق هذا المنهج على الإسلام وتاريخه.

أما العامل الحقيقي في فشل تطبيق هذا المنهج على الدراسات القرآنية والإسلامية فيتمثل في إهماله للبعد الغيبي، والوحي الرباني خاصة في المواضيع المتصلة بالإسلام، والدخول بالأفكار المسبقة ما يشوه الحقيقة التاريخية إذ تختلط بالتفسيرات والأهواء البشرية، فيكون البحث موجهًا للتدليل على النتائج لا بحثاً هدفه معرفة الحقيقة، كما أنّ أي خلل أو إهمال في جمع أصول الوثائق والمخطوطات

¹ إبراهيم زلافي، المقاربة الاستشراقية للقرآن الكريم، مع قراءة في كتاب جاك بيرك، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان - الجزائر 2013/2014، ص 67

² محمد بن عبود، منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، بحث ضمن مناهج المستشرقين في الدراسات العربيّة الإسلاميّة، مرجع سابق، ج1، ص 344-345

والجهل باللغة التاريخية، أو النقد الغير المتوازن بعدم تمحيص الروايات أو نقلها من غير مصدرها الأصلي، ينتج عنه أحكام خاطئة تغير سير الأحداث والتاريخ، كما أنّ عملية انتقاء المعلومات أو الفرضيات، أو التركيز على الموضوع من زاوية محددة وإهمال باقي الزوايا، يعرض الموضوع للخلل المنهجي.

لذا كان من أخطر الأخطاء التي ترتكب في هذا المنهج هو عدم الفصل بين الدافع والنتيجة، وبين الحكم والقيمة "بحيث يحدث تعميم أحكام الدافع وخصائص السبب على نتيجة الدافع والمسبب أو العكس.... من خلال حضور شخص الباحث في الدراسة التاريخية بكل ما يمتلكه من عواطف وإثارات ورؤى، هذا ما يؤدي إلى أحكام قيمية غير موضوعية"¹، وبهذا ينتج الفهم القاصر للموضوع، ثم تتوارث هذه النتائج بين الباحثين على أنّها حقائق موضوعية.

في المقابل ترتكز هذه الأخطاء على منطلقات ودلائل من عمق التراث الإسلامي أهمها: اختلاف روايات السيرة النبوية وكثرة الأحاديث الضعيفة والموضوعة فيها، إضافة إلى التباين الكبير في تفسير التاريخ الإسلامي في المصادر الإسلامية، ما جعل ذلك ثغرة عميقة استفاد منها المستشرقون. كما أن طريقة المسلمين في كتابة تاريخهم تعرضت للنقد من طرف المستشرقين باتهامهم للمسلمين بالانحياز والتقديس لتاريخهم ومعتقداتهم، وتأثير التبعية المذهبية والطائفية، وغياب بوادر الموضوعية في كتابتهم، لذا طعنوا في مناهج المسلمين وعوضوها بالمناهج الغربية كبديل عنها. وحاولوا دراسة الإسلام من جديد برؤية غربية، من خلال استبعاد الجانب الغيبي واستبداله بالتفسير المادي العقلي، الذي يجعل الظواهر خاضعة للمادة، كما أخضعوه للإسقاط التاريخي بحيث فسّروا الحوادث بالنظرة الغربية دون مراعاة للاختلاف الفكري والاجتماعي والحضاري.

ومن تأثيرات تطبيق هذا المنهج على القرآن، أن جعل المستشرقون القرآن الكريم انعكاسا للبيئة الثقافية، "فالقرآن مادام يعكس أوضاع البيئة العربية فهو بشري من صنع محمد وتأليفه، متجاهلين أن الإسلام كان ثورة حقيقية على القيم الجاهلية"²، كما اعتمد نولدكه على المنهج التاريخي في الطعن في القرآن الكريم بالادعاء "بأن القرآن له تاريخ (وهو) يؤدي بالضرورة إلى إدعاء آخر بأن الإسلام دين له تاريخ، ومرّ بمراحل نشأة وتطور مثله في ذلك مثل الأديان الوضعية، وأن العقيدة الإسلامية عقيدة متطورة في التاريخ، وهذه الفكرة هي محور كل الكتابات الاستشراقية التي استخدمت مصطلح (تاريخ)

¹ ينظر: أحمد فرامرز قراملكي، مناهج البحث في الدراسات الدينية، مرجع سابق، ص 290

² عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن -دراسة نقدية لمناهج المستشرقين-، مركز دراسات العالم الإسلامي-مالطا، ط1، 1991م، ص74.

مع القرآن الكريم¹، مثل: (التطور التاريخي للقرآن) لإدوارد سيل، (مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن) لجوستاف فايل، (تاريخ النص القرآني) لنولدكه، (تاريخ القرآن) لريجيس بلاشير، (تاريخ القرآن) للمستشرق براجستراسر²... ما يؤكد على أن هذا المنهج من أكثر المناهج استخداماً من طرف المستشرقون لكثرة التأليف فيه.

ومن الذين برزوا في استعمال هذا المنهج من المستشرقين نولدكه، الذي وجد ضالته في محاولات إعادة ترتيب السور القرآنية، في ضوء الظروف والمناسبات التي مرت بالدعوة الإسلامية... فذهب يرصد أخبار تدوين القرآن، ويُفْتَش في أسباب النزول؛ بحثاً عن ظاهرة يُؤكد بها بشرية القرآن، من خلال التشكيك في جمعه من طرف الصحابة وأنه لم يكن تحت نظر النبي، وعدم الوثوق بحفظ المسلمين له في صدورهم، ما يثير الريبة في جمعه وترتيبه، خاصة بعد ثبوت اختلاف بعض الصحابة فيه - في نظره - فقد اعتمد نولدكه على بعض الروايات الضعيفة وإسقاطه للروايات الصحيحة وما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، وتشبيهه لُبعد زمن تدوين القرآن الكريم عن زمن النزول، بتناول البعد الزمني بين رواية الكتاب المقدس وتدوينه.

كما اعتمد على دراسة البيئة والمحيط الذي نزل فيه القرآن، فقسم القرآن إلى مرحلتين مكية ومدنية والمرحلة المكية قسّمها إلى ثلاث مراحل، وكل هذا لبيان التأثير العميق للقرآن بالواقع والبيئة التي نزل فيها، ولإثبات صلاحيته لذلك الزمن فقط، ومنه أخذ المستشرقون والحداثيون الفرضيات والنتائج، واعتمدوها كمسلّمات غير قابلة للنقض. بالرغم من أن في هذا مخالفة لترتيب المصحف الذي توافق عليه المسلمون منذ أجيال، ولم ترد روايات تطعن في هذا المصحف.

إن هذه الاشكالات التي رافقت المنهج التاريخي لا يعني الطعن الكامل في المنهج لأن "الموقف الجاد هو الذي يعرف كيف يُفيد مما تقدمه الحركة الاستشراقية دون الوقوع في أسرها على حساب

¹ محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، بحث ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف - السعودية، ط1، 2006م، ص13

² براجستراسر Bergstrasser, G. (1886-1933): مستشرق ألماني، درّس اللغات السامية والعلوم الإسلامية، في عدّة جامعات زار تركيا وفلسطين ومصر، من آثاره: حروف النفي في القرآن، معجم قراء القرآن وتراجمهم...، ينظر العقيقي، مرجع سابق، ص746-747.

الحقيقة التاريخية¹ بحيث يستفيد من التقنيات والوسائل والخطوات العلمية في دراسة التاريخ الانساني، مستعينا بالمنهجية القرآنية للاستفادة من التاريخ، والخبرة التاريخية التي تركها المؤرخون المسلمون.

الفرع الثاني: المنهج الفيلولوجي

تعني الفيلولوجيا "علم التحليل الثقافي للنصوص اللغوية المبكرة حيث تقوم أساسا على دراسة النصوص المكتوبة والمبكرة، وتحقيق نسبها، وتحليل محتواها الثقافي والحضاري، واستكشاف علاقتها بما سبقها من نصوص"². فأساس هذا العلم هو الدراسة اللغوية التاريخية المقارنة للنصوص، وقد اصطلح الباحثون العرب على تعريبه بـ "فقه اللغة"³، أو فقه اللغة المقارن، بالرغم من الاختلاف بينهما. وهو عندهم علم تطبيقي يتناول جميع المباحث التي تُمْتُّ إلى اللغة بسبب، سواء أكان ذلك في أصولها أم في فروعها أم في تاريخها. أما عند المستشرقين فهو مقتصر عندهم على المباحث التاريخية التي تبيّن أصل اللغة ونشأتها وتطورها، والعوامل التي أدت إلى ارتقائها ونحوضها، فهم بذلك جعلوا منه علما نظريا بعيدا عن التطبيق. ويتلخص عمل الفيلولوجي في: "نسبة المؤلفات والشهادات لأصحابها الحقيقيين، اكتشاف التسلسل الزمني الحقيقي للنصوص والوقائع والأحداث التاريخية، اكتشاف النسب الحقيقي للمفاهيم"⁴.

وقد كانت بدايات الاستشراق مرتبطة بالبحث في اللغات السامية بُغية تفسير ودراسة الكتاب المقدس، والتي كان من ضمنها اللغة العربية، وهو ما ركز عليه رودى باريت في تعريفه للاستشراق بقوله: "الاستشراق هو: علم يختص بفقه اللغة، الفيلولوجيا خاصة"⁵. وهي نظرة يوافقها فيها أكبر المستشرقين جولدزيهر حيث يقول جوزيف سوموجي في ترجمة حياة جولدزيهر: "والمهمة الرئيسة للمستشرق كما

¹ عماد الدين خليل، مع القرآن في عالمه الرحب، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1979، ص150

² ابراهيم السكران، التأويل الحدائى للتراث، التقنيات والاستمدادات، دار الحضارة للنشر والتوزيع، 2014م، السعودية، ص19.

³ فقه اللغة من المصطلحات التراثية التي تعني علم أصول اللغة، وعلى هذا ألف ابن فارس كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) وكذا الثعالبي في كتابه (فقه اللغة).

⁴ أحمد فاضل السعدي، القراءة الأركونية للقرآن دراسة نقدية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - بيروت، ط1، 2012م، ص69

⁵ رودى باريت، الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية، مرجع سابق ص11.

يراهنا جولديزير هي دراسة تاريخ الشعوب الشرقية وثقافتها، بأداة فيلولوجية سليمة¹. أما ادوارد سعيد فيرى أن الفيلولوجيا تعد المدخل الأساسي لعلم الاستشراق يلج منه أي باحث لعلوم الشرق بحيث يقول: "وبلا استثناء تقريبا، كان كل مستشرق يبدأ حياته العملية باعتباره باحثا في فقه اللغة الفيلولوجيا"².

وقد ساد إيمان عميق لدى فئة من المستشرقين بأن الفيلولوجيا والتي تهتم بالنصوص والوثائق الأولى، قادرة على سبر أغوار الماضي والحضارات والأفكار. خاصة إذا كان الباحث قادرا على التعامل مع هذه النصوص ببحر عميقة ودقة موضوعية وتمكن من اللغة، دون إلقاء بالٍ للتخصص في العلوم الأخرى. وهو ما عدّه المستشرق رودنسون عيبا في طريقة البحث حيث يقول: "كان ثمة عيب رئيس وهو الاعتقاد بكلية علم الفيلولوجيا، كأن اختصاصيا في اللغة الصينية -مثلا- يُعتبر أهلا لأن يكتب أعمالا عن الفلسفة الصينية، وعلم الفلك الصيني، والزراعة الصينية.. إلخ"³. فالتمكن من اللغة وتاريخها لا يتيح لصاحبها الإحاطة بمناهج البحث المتعددة ولا مختلف العلوم والاختصاصات الأخرى، ولا يعصمه من الوقوع في الخطأ والابتعاد عن الموضوعية بدافع حب اللغة والاهتمام بها.

إن الفيلولوجيا تعتمد في حقيقتها على المنهج التاريخي ولا تستغني عنه، لأنها عبارة عن دراسة للنصوص المكتوبة وعرض لها على المنهج التاريخي للتأكد من الوثائق القديمة، ثم المقارنة بينها وبين غيرها بحثا عن أوجه التشابه بين اللغات، ودراسة تطوراتها عبر الزمن، والعودة بها إلى جذورها وأصولها الأولى وجمع اللغات المتشابهة في عائلات موحدة، وفهم النصوص عبر الاستعانة بهذه اللغات المتشابهة. كما فعل نولدكه في كتابه (اللغات السامية).

هذه الخطوات في حقيقتها تخضع لمستويات البحث التاريخي: سواء النقد الخارجي الأعلى والنقد الداخلي الأدنى، فالنقد الأعلى يهتم بدراسة البيئة التي نشأ فيها النص ومراعاة ظروفها من جميع النواحي (الاقتصادية، السياسية، الثقافية، الاجتماعية) أي دراسة عصر الوثيقة، ثم دراسة بيئة الكتابة أي كل ما يتعلق بالمؤلف ومحاولة الغوص في الأهداف والمواقف الشخصية والموضوعية، ثم ضبط النص بمقابلة

¹ جوزيف سوموجي، ترجمة حياة جولديزير، تر: الصديق بشير نصر، ملحق منشور ضمن كتاب دراسات محمدية، مركز العالم الاسلامي لدراسة الاستشراق، ص 389. نقلا عن التأويل الحداثي للتراث، السكران مرجع سابق، ص 21

² ادوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، ص 177.

³ مكسيم رودنسون، جاذبية الاسلام، تر: إلياس مرقص، دار التنوير، ط2، 2005م، ص 76.

نسخه والتمحيص في طريقة جمعه وكتابته (المنهج التاريخي)، والنقد الأدنى هو الدراسة الفيلولوجية للنص وهذا يتطلب إتقان اللغة لشرح المصطلحات الصعبة، وإرجاع الكلمات إلى أصولها، وتحديد زمن كتابة النص، بمقارنته بأشباهه من نصوص عصره، كما يعملون على تقسيم النص إلى أجزاء متعددة وفقرات مختلفة زمانيا، بالاعتماد على التطور الدلالي للألفاظ والمعاني، تجعل الموضوع مفككا مفصولا عن سياقه العام والكلي، وتخرج بنتائج جزئية قاصرة يتم تعميمها على كامل النص، وتؤدي إلى ضياع القيمة الجمالية فيها، والصور البيانية، والتعابير الفنية، وتأثيراتها على نفسية السامع.

وهذه المنهجية إذا طبقت على آيات القرآن الكريم تفقد بها الآيات خصائصها الاعجازية، وتضيع فيها قوة البرهان وتتحول الآيات إلى نص بشري تطبق عليه قواعد النقد الأدبي. ويسيطر عليه الفكر المادي الذي يرفض العوامل الغيبية وينزع القداسة عن أي شيء لكي يحقق الموضوعية في نظره، بالرغم من أن نفي القداسة عن القرآن الكريم هو في حد ذاته مخالف للموضوعية الذي تقتضي طرح جميع الفرضيات والتحقق من صدقها، وعدم جعلها نتيجة مسبقة من دون التدليل عليها، وأول فرضية تُطرح هو ما يسلّم به المسلمون من أنّ هذا القرآن وحي مقدّس، ولهم دلائلهم على ذلك.

كما أن عدم الإحاطة بالأسباب الحقيقية والعوامل الخفية وراء النصوص يؤدي بدوره إلى الرؤية الجزئية للموضوع. فلا يمكن ردّ كل شيء إلى العوامل المادية (الاجتماعية، الاقتصادية والبشرية)، لهذا عجز المستشرقون عن الموازنة بين القرآن كلام الله ﷻ وبين نصوص البيئة الجاهلية وردّه إليها. ما جعلهم يصورون الوحي القرآني على أنّه أساطير أو قدرة خارقة للنبي ﷺ فقط، أو عبارة عن تجميع لديانات سابقة، مهملين جانب الوحي ودوره في بناء الإسلام.

إن هذه النتائج نابعة من دراساتهم النقدية للكتاب المقدس الذي ظهر زيفُ نصوصه والتضارب بينها، بعد عرضه على المنهج الفيلولوجي، ما جعلهم يشككون في أصل الدين اليهودي أو المسيحي ثم يفقدوا الثقة فيهما، ليحصروا دورهما في الحياة كعبادات خاصة لأيام محددة، وتركوا للعلم والمادة السبيل لتسيير حياة الناس. وهو ما يريدون أن يسقطوه على الإسلام إبعادا له عن تسيير حياة الناس والمجتمع.

وكان لنظرية تعدد المصادر الخاصة بالعهد القديم شأنها في توجيه دعوى المستشرقين في القول بتاريخية القرآن والإسلام، هذه النظرية التي حاولت بيان تعدد مصادر القرآن الكريم، للوصول في الأخير إلى بشريته، والتي تعتمد في أصولها على مفاهيم النقد الأدبي التي ترى أن أي اختلاف في النص أو تناقض فيه، أو أي تحريف وتبديل في داخل النص، دليل على تدخل الإنسان في تدوين النص، وبهذا

تعدد مصادر هذا النص. ومن أبرز الذين اشتهروا في هذا الميدان يوليوس فلهاوزن J. Wellhausen، الذي يعد المطور الحقيقي لعلم نقد الكتاب المقدس، بالاستفادة من جهود العلماء المسلمين في نقد التوراة، يقول ألبرت حوراني عن منهجية فلهاوزن في نقد القرآن الكريم: "كان نقد الكتاب المقدس يمثل خطأً لمحاولة علمية مرتبطة بفقته اللغة ارتباطاً قويا، وهو يعني دراسة نصوص العهد القديم والعهد الجديد من خلال التحليل اللغوي الدقيق من أجل معرفة متى كتبت هذه النصوص وبواسطة من؟ وما هي علاقة هذه النصوص بعضها ببعض؟ وما هي الحقيقة التاريخية التي تعكسها بشكل مباشر أو غير مباشر؟ وسيؤدي هذا الخط من البحث إلى نتائج مهمة لدراسة الإسلام"¹، وقد كشفت هذه النظرية عن الاختلاف الجوهرية في تدوين فقرات الكتاب المقدس واستعمال ألفاظ متأخرة زمنياً لم تكن زمن النزول، ما جعل للكتاب المقدس تاريخاً لتدوينه.

كما اشتهر فلهاوزن بفكرة "النشوء والتطور والارتقاء في الفكر الديني والتاريخي والناجحة عن الاعتقاد في خضوع الدين والتاريخ لعوامل النشوء والتطور نتيجة تغير الحياة وتطورها"²، والتي طبقها على الكتاب المقدس، فوصل فيها إلى الفصل بين الكتاب المقدس ودين موسى وعيسى عليهما السلام نظراً للاختلاف الجوهرية في تاريخ الكتابة.

لهذا حاول المستشرقون إسقاط هذه النظريات أيضاً على القرآن بحثاً عن مصادره المتعددة والتدليل على تطور الإسلام، وحاولوا الفصل بين القرآن الكريم والإسلام كدين، لكن لم يستطيعوا لأن تعاليم الإسلام قائمة أساساً على القرآن الكريم: "الذي لم يتعرض للضياع من ناحية، ولم ينافسه نص آخر أو نصوص أخرى في تأسيس الإسلام. فوحدة الإسلام مستمدة من وحدة مصدره وهو القرآن الكريم"³، بل إن النقد على أساس هذه النظرية يزيد القرآن والإسلام قوة وبرهاناً، لعدم وجود أي خلل أو تناقض بينهما.

وينتقد آرثر جفري منهجية الغربيين في نقد الكتاب المقدس قائلاً بأنها: "وأما أهل التنقيب فطريقتهم في البحث أن يجمعوا الآراء والظنون والأوهام والتصورات بأجمعها، ليستنتجوا بالفحص

¹ (1) Albert Hourani, Islam in European Thought, Cambridge University Press 1991, p. 1

31. نقلاً عن محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، ص 22.

² محمد توفيق حسين، الإسلام في الكتابات الغربية، مجلة عالم الفكر، العدد الخاص، دراسات اسلامية، وزارة الإعلام، الكويت، 1984، ص 73.

³ محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين، مرجع سابق، ص 25

والاكتشاف ما كان مطابقا للمكان والزمان وظروف الأحوال معتبرين المتن دون الاسناد، يجتهدون في إقامة نص التوراة والانجيل كما أقيم نص قصائد هوميروس، أو نص رسائل أرسطو الفيلسوف¹، وهذا ما عارضه (أهل النقل من اليهود والنصارى)، ورأوا فيه طعنا في الدين، ورموا من قام بهذه الطريقة بالإلحاد والزندقة.

ويرى عبد الرحمان الحاج أن من أسباب الخلل في تطبيق هذا المنهج في القرآن الكريم عند المستشرقين، هو انطلاقهم عند البحث اللغوي الفيلولوجي من خمس مسلمات مضمرة: "الأولى: أن محمدا ﷺ هو مؤلف القرآن، الثانية: أن اللغة العربية هي لغة فرعية عن لغة أم، هي السريانية، الثالثة: أن اللغة العربية (وكل اللغات المتفرعة عن لغة أم) لم تتطور دلاليا أبدا، بل هي مجرد تعديلات صوتية عن اللغة الأم، الرابعة: أن الاقتراض اللغوي المعجمي من اللغات الأخرى لا يتضمن أي تعديل دلالي، الخامسة: أن النسق القرآني الدلالي وسياقاته لم تؤثر مطلقا في دلالة الأصل في اللغة الأم. ثم يشير إلى أن هذه المسلمات "— من وجهة نظر لسانية — كلها مجرد دعاوى لا يقوم عليها برهان قاطع، بل إن الدراسات الألسنية الحديثة (خصوصا في النقاط 3، 4، 5) تنقضها جملة وتفصيلا"².

ولا يخفى أن تطبيق المنهج الفيلولوجي على الإسلام، يتطلب تمكنا دقيقا من فقه اللغة العربية والإحاطة بأسرارها وتعايرها، والإلمام بسياقاتها وأساليبها ومعرفة خصائصها ومعانيها. فكيف لمستشرق أن يدعي أن نتائج دراساته موضوعية ومنهجية، وهو يقوم بدراسة القرآن الكريم الذي وقف عنده العرب أرباب المعاني والبيان عاجزين عن مجاراته أو تحديه، مع إهمال هذا المستشرق لأساس البحث الفيلولوجي وهو إتقان اللغة العربية، وإن كان أتقنها فهو لم يطالع القرآن بلغته العربية، بل أغلبهم درسوه من خلال ترجماته، التي تضيع معها روح القرآن الكريم وإعجازه، وهو ما نستشفه من قول بلاشير الذي سعى باستخدام المنهج الفيلولوجي إلى التأصيل لفكرة تأثير القصص الكتابي في القرآن إلا أن العجيب في الأمر عنده هو التفوق الجمالي للقصص القرآني على نظيره الكتابي³ حيث قال: "وإذا ما قورن القصص القرآني ببعض الفصول المشابهة في سفر التكوين المثقلة باللغو والاستطرادات ظهر أن القصص القرآني أعلى مرتبة بما لا يقاس فهو يتدرج برشاقة دون إشارات زائدة، تسيطر عليه فكرة

¹ عبد الله ابن ابي داوود، كتاب المصاحف، تح: آرثر جفري، المطبعة الرحمانية-مصر، ط1، 1936م، ص4

² عبد الرحمان الحاج، المناهج الحديثة في الدرس القرآني، مدارك ابداع، ط1، جوان 2011، ص171-172.

³ ينظر: ريجيس بلاشير، القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، تر: رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ط1،

مواسية ألا وهي أن العادل ينتصر بإيمانه ووفائه"¹. وهذا يبرز أن لهذه المناهج نتائج مرضية إذا تجاوزت العقبات الفكرية والنفسية للباحث. والمنهج الفيلولوجي من المناهج التي تتطلب تمكنا في عدة مجالات وعلوم، أهمها علوم اللغة والدراسات القرآنية، ما جعل كثيرا من المستشرقين يناون عنه لصعوبته المنهجية، وحاولوا الاعتماد على دراسات من سبقهم كأدلة جاهزة لأفكارهم ودراساتهم.

الفرع الثالث: المنهج التحليلي

يُعرف الباحثون المنهج التحليلي بأنه "تفتيت الظاهرة الفكرية إلى مجموعة من العناصر يتم التأليف بينها في حزمة لا متجانسة من العوامل أو الوقائع التي أنشأتها"².

ويرى فريد الأنصاري أنه "منهج يقوم على دراسة الاشكالات العلمية المختلفة، تفكيكا أو تركيبا أو تقويما فإذا كان الإشكال تركيبية منغلقة من التراث أو الفكر الإسلامي المعاصر، قام المنهج التحليلي بتفكيكها، وإرجاع العناصر إلى أصولها، أما إذا كان الإشكال عناصر مشتتة، فإن المنهج يقوم بدراسة طبيعتها ووظائفها، ليتركب منها نظرية ما، أو أصولا ما أو قواعد معينة... فالمقصود هو الابداع والاستنباط والاجتهاد بناء على عناصر علمية ما... يستجلبها (الباحث) لتكون ضمن لبنات النظرية العلمية، التي يركبها تركيبا ابتدائيا غير مسبوق، أو يُقعد منها قواعد وأصولا لم تكن قبل"³.

فالمنهج التحليلي يعمل على تفكيك الظاهرة إلى أجزاء كي يسهل فهمها ودراسة طبيعتها، ووظيفتها، ومن ثم التعيد لها والتنظير بما يُبسط الظاهرة. ويلخص الأنصاري هذا المنهج في ثلاث مراحل متعاقبة هي: التفسير، النقد والاستنباط، قد تجتمع كلها مع بعض أو قد تنفرد إحداها في البحث، ثم يقوم بشرحها فيقول عن المرحلة الأولى: "والتفسير: هو عرض الأعمال العلمية على سبيل التأويل والتعليل، وهو على مستويين: الأول بسيط والثاني مركب"⁴. فالمستوى البسيط في التفسير عبارة عن شرح للقضايا العلمية باستقراءها، وتحليل نصوصها وتعريف مبهماتهما وبيان صورها، ومراعاة العام

¹ ريجيس بلاشير، تاريخ الادب العربي العصر الجاهلي، تر: إبراهيم كيلاني، دار الفكر - دمشق، دط، دت ط، ص 46.

² ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ج1، ص168

³ فريد الأنصاري، أجديات البحث في العلوم الشرعية، سلسلة الحوار 27، منشورات الفرقان — المغرب، ط1، ابريل 1997، ص96.

⁴ المرجع نفسه، ص97

والخاص والتقيد والاطلاق.. أما المستوى المركب ففيه تعليل الظواهر وإرجاع القضايا إلى أصولها وتدليل التحليل أكثر، بما يُوصل إلى الأسباب والعلل.

والمرحلة الثانية هي النقد ويعرفه بقوله: "هو عملية محاكمة وتقويم، تهدف إلى التصحيح والترشيد من خلال بيان مواطن الخطأ والصواب، بناء على مقاييس متفق على جلّها أو كلّها"¹. والنقد مخالف للجدل أو النقض المبني على الصراع، لأن هدفه التقويم لا الرفض الكلي، وقد يكون مترامنا مع التفسير أو منفصلا عنه.

أما المرحلة الأخيرة فتتمثل في الاستنباط وهو الاستنتاج الاجتهادي، والتجديد العلمي²، الذي يكون خاتمة التحليل بحيث يوصل إلى وضع نظرية علمية، أو تركيبها من قضايا متعددة، وهو على ضربين جزئي: خاص بقضايا فرعية، وكلي: خاص بالنظرة الشمولية المتكاملة للظاهرة.

وبالنسبة لاستعمالات المستشرقين للمنهج التحليلي فقد بدت واضحة في تفكيكهم للظواهر الإسلامية، وفصلهم لعناصر الحضارة الإسلامية، وتشيتت منابع الإسلام، بما يقضي على روح الشمول والتكامل التي يمتاز بها الإسلام، وكان أبرز المناهج استعمالا في التفسير، خاصة وأنه يدخل كمرحلة أساسية في أي منهج علمي، كما ظهر ذلك في تنوع الآليات التي استعملوها في التحليل ما جعله من أخطر المناهج، لأن المستشرق قد يستعمل التحليل بطريق لاشعوري تعبيرا عن رغبة دفيئة في الهدم والقضاء على الموضوع، فالتحليل تفتيت وسحق، يحقق به الباحث ما يريد من القضاء على الظاهرة إن أراد. وقد يستعمل التحليل حتى يمكن رد كل جزء إلى أجزاء شبيهة في حضارات معاصرة، ومن ثم يكون التحليل مقدمة لإثبات الأثر الخارجي وتفرغ الحضارة من مضمونها الأصيل"³.

ومن أمثلة التحليلات غير القائمة على دليل ما قاله المستشرق هنري لامانس فيما يخص التمايز بين القرآن المكي والقرآن المدني: "إن اختلاف الأسلوب بين العهد المكي والعهد المدني يعد انعكاسا واضحا للبيئة التي وُجد فيها، فالنصوص القرآنية تعكس طبيعة وبيئة وظروف كل مكان وكل زمان،

¹ المرجع نفسه، ص 98

² المرجع نفسه، ص 99.

³ ينظر: محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، دار الدعوة- الإسكندرية، ط1، 1996م،

فألسلوب القرآني يمتاز بالشدة والعنف، لأن أهلها أجلاف، بينما يمتاز أسلوب القرآن في المدينة باللين والوضوح لأن أهلها مستنيرون¹.

ويقول جاك بيرك في مجال ترتيب آيات القرآن: "المصحف لا يتبع الترتيب الزمني... إننا نجد داخل السورة نفسها آيات أو فقرات نزلت في أوقات مختلفة، وإن كان ذلك لا يثير أدنى قلق على العقيدة الإسلامية... ومن ذلك تتسع المسافة بين النزول والترتيب لدرجة التناقض"².

إن تطبيق المنهج التحليلي يحتاج إلى عدة آليات تعين الباحث في مساره، لكن سوء استخدام هذه الآليات، وانقياد الباحث لميولاته وأفكاره السابقة، يعرضه إلى الوقوع في أخطاء جسيمة، تؤثر على الموضوع المدروس، وتُغيب الحقيقة العلمية.

الفرع الرابع: المنهج المادي

ويكمن المنهج المادي في التفسير الماركسي للظاهرة الإسلامية والمنهج السيكولوجي والنظريات النفسية المتعلقة بظاهرة النبوة المحمدية، والمدرسة السيسولوجية، والدراسات التاريخية للإسلام³. كما أنه المنهج الذي يجعل للعامل الاقتصادي أهمية قصوى في تفسير الواقعة التاريخية⁴.

لقد نشأ أغلب المستشرقون تلامذة على طاولة الفكر الغربي، وتشبعوا بمنهجية في النظر إلى الأشياء والكون، وتأثروا بروح المادية العلمانية التي تستبعد "وقوع ظواهر دينية لا تخضع لقوانين الأجسام المادية المعروفة"⁵، ولهذا لا يمكن تطبيق المنهج المادي على الظاهرة الإسلامية، بسبب الرؤية المزدوجة لهذا المنهج، فهو ينظر إلى الدين نظرة غريبة تقطع صلته بالحياة، وفي نفس الوقت يحمل تصورات ومعتقدات أخذها من اليهودية والمسيحية تطبع علاقته مع الكون والحياة، يُسيرها متى شاء وكيف شاء. وهي رؤية متعارضة مع التصور الإسلامي، لأنها قائمة على قراءة تاريخ المسلمين وفكرهم، بطريقة تدم المرتكزات الغيبية والبديهيات الأساسية، وتثير الشبهات في التراث الإسلامي مما يفقده

¹ هنري لامانس، الإسلام، تر: بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1988م، ص60.

² محمد حسين أبو العلا، القرآن وأوهام المستشرقين، المكتب العربي للمعارف، مصر، ط1. دت ط، ص13

³ ينظر: محمد البشير مغلي، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2002م، ص

⁴ عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لأراء (وات- بروكلمان-فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997م، ص34

⁵ ينظر: جعفر شيخ ادريس، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، مرجع سابق، ج1، ص 236

مصادقيته: "فالتفسير المادي كان وراء الإقصاء والإسقاط المتعمدين للجانب العقدي والبعد الروحي في التاريخ الإسلامي، مما يؤدي إلى تهوين مدة الإسلام الذهبية، وكأنها لا تعني شيئاً في أطوار التاريخ البشري"¹.

لقد غالى المستشرقون في استعمال المنهج العقلي المادي وغلبوه على المنهج الروحي، حتى في تحليلاتهم، وجعلوا القرآن نصاً لغويًا بشرياً خاضعاً للنقد، فكانت النتائج غير متوافقة مع الحقيقة القرآنية، لعدم ملائمة أدوات البحث الاستشراقي. وهو عجز حقيقي في المنهج لا خلل في المعرفة القرآنية. فلا المنهج العقلي وحده قادر على تفسير التاريخ والوجود ولا المنهج الروحي قادر على استكشاف آفاقهما، بل التكامل بينهما هو سبيل ذلك، وهو منهج قرآني أصيل.

وقد حاول ليف من المستشرقين تفسير ظاهرة الوحي بنظرة مادية عبر استخدام عصارات ومبادئ المدارس التي ظهرت بفضل الفكر المادي، من مدارس علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التاريخ، وأرجعوا مظاهر الوحي إلى حالات نفسية كانت تنتاب النبي ﷺ أو مرض عصبي، أو تفوق وإبداع شخصي صادر عمّا أسموه بالخيال الخلاق، وهي خلاصة ما وصل إليه مونتغمري وات في موضوع الوحي ونبوة محمد ﷺ: "إنه رجل تجسدت فيه التخيلية الخلاقة حتى الأعماق، فاستطاع ابتكار أفكار لها الصلة بعمق قضية الوجود البشري"².

ويقول مونتغمري واط: "القول بأن محمداً كان صادقاً لا يعني بأن القرآن وحي حق وأنه من صنع الله، إذ يمكن أن نعتقد بدون تناقض أن محمداً كان مقتنعا بأن الوحي ينزل عليه من الله وأن نؤمن في نفس الوقت بأنه كان مخطئاً"³. بمعنى أن نقر بأن الرسول كان يتوهم فقط أنه رسول، وهذا هو التناقض فهم يعرفون الوحي ويقولون به لأنبيائهم، ولا يطعنون فيه، لكن إذا ما تعلق الأمر بمحمد ﷺ فهو خيال أو إبداع أو مرض نفسي أو عصبي.

إن معالجة واقعة تمتد جذورها إلى عالم الغيب، وترتبط أسبابها بالسماء ويكون الوحي همزة وصل مباشرة بين الله سبحانه ورسوله الكريم ﷺ، لا يمكن أن تُعامل كما تُعاملُ الجزيئات والذرات والعناصر

¹ عبد القادر بخوش، مناهج الاستشراق المعاصر في الدراسات الإسلامية المعاصر، ط1، دار الضياء - الكويت، 2014، ص311

² عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة، مرجع سابق، ص 40

³ المرجع نفسه، ص 39-40

في مختبر الكيمياء: "إننا هنا بمواجهة تجربة من نوع خاص، وشبكة من العوامل والمؤثرات تند عن مملكة العقل، وتستعصي على التحليل المنطقي الاعتيادي المألوف، ومن ثم فإن محاولة قسرها على الخضوع لمقولات العقل الصرف، ومعطيات المنطق المتوارثة، لا يمكن أن يقود إلا لنتائج خاطئة... إن الدين والغيب والروح لهي عصب السيرة وسداها ولحمتها، وليس بمقدور الحس أو العقل أن يدلي بكلمة فيها إلا بمقدار"¹.

ويدخل في أصل المنهج المادي التفسير العنصري، والذي يقول بتفوق جنس على باقي الأجناس كالجنس الآري، وقول اليهود بأنهم شعب الله المختار، ومنه ظهر الاحتلال الأوربي لبلدان العالم الثالث، التي ينظر إليها على أنها متخلفة ومنحطة.

كما كان للعنصر الاقتصادي تأثير كبير في تفسير الظواهر الفكرية المتعلقة بالإسلام، بما يتناسب والأحداث التاريخية. وبما يضبط سلوك وتوجهات الناس وتظهر هذه النزعة الاقتصادية في أقوال المستشرقين أمثال واط الذي يرى أن: "دعوة محمد كانت استجابة للوضع العام في مكة، وإن بدأت بداية دينية في أساسها، لقد قاد الازدهار الاقتصادي إلى ضنك اجتماعي شديد بين المكين"². ويقول هوبرت جرمي في كتابه محمد: "لم يكن محمد في بادئ الأمر يبشر بدين جديد، بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية، فالإسلام في صورته الأولى الأصلية لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه، ذلك لأننا إذا نظرنا إليه عن كثب، نراه لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية، بل كمحاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة، وعلى الأخص إلى ازالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين، والفقراء المضطهدين.. لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين، وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته..."³.

ويبرر واط في نظره سعي المسلمين إلى الفتوحات الإسلامية لم يكن دافعه نشر الإسلام بقدر ما كان إيجاد حلول للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين حيث يقول: "زيادة السكان بانقطاع الحروب القبلية، البحث عن متنفس للطاقت التي كانت تبذل في الغزوات، المحافظة على مستوى

¹ عماد الدين خليل، الاستشراق والسيرة، ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والاسلامية، مرجع سابق، ج1، ص 116.

² مونتغمري واط، الفكر السياسي الإسلامي، تر: احمد امين، دط، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1983، ص9.

³ سليمان محمد الجار د، عبد الراضي محمد عبد المحسن، محمد في أدبيات الفكر الغربي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة- الرياض، 1431هـ، ص90

المعيشة، الحاجة إلى مصدر جديد للرزق، تنمية التجارة ولم تكن ذات أهمية، ولم تستطع أن تسد حاجات الشعب، والخشية من أن تشجع التجارة الموقف الديني الخاطئ الذي كان خطيئة المكين الوثنيين الاسلاب من غير المسلمين، الطمع في الغنيمة جاء بالكثيرين إلى المدينة... حل المشكل الاقتصادي إذاً يتمثل في التوسع"¹.

ومن خلال هذا المنهج راجت الكثير من الشبهات المنافية لحقيقة الإسلام ونشأته وعقيدته، منها أنّ شَعَفَ الرسول بالسلطة والملك جعله يؤسس امبراطورية في الصحراء تكون قوتها موازية لقوة الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية، وفيه محاولة لإنقاذ مكة من حالة القحط والجذب التي تعيشها، فحاول عبر القرآن إيجاد حلول للحالة البائسة لشبه الجزيرة العربية. فجعل من الفكرة الدينية أساسا لدعوته، لتعطش الناس في مكة للدين والنبوة، ثم اضمحلت هذه الفكرة الدينية مع أحلامه السياسية في المدينة يقول فلهاوزن: "كان محمدا في مكة نائرا على قومه، مخالف لما هم عليه، أما في المدينة فقد بلغ ما كان يرمي إليه، ولقد أحدث هذا تغيير كبيرا لا مجرد فرق ظاهري وذلك لأن المعارضة دائما تتغير عندما تصل إلى الرئاسة... وهذا هو الذي يفسر لنا أن النبي لما صار رئيسا سياسيا تغير عمّا كان عليه لما كان لا يزال طامحا في الرئاسة... وعلى هذا صار الطابع السياسي يزداد بروزا والطابع الديني يزداد تراجعاً"².

وعندما لم تصدق لهم هذه الذرائع والحجج المادية حاول المستشرقون النيل من عالمية الرسالة، بالتأكيد على أن القرآن والإسلام خاص بشبه الجزيرة العربية، وجاء معالجا لمشاكل مرحلة معينة عاشها الرسول فهو دين مرحلي وليس عالمي كما يدّعي المسلمون، أي كان صالحا لمرحلة معينة، أما في هذا العصر فهو غير صالح نظرا للتطور والرقى الذي وصل إليه العقل البشري والإنسان. لكن عالمية الإسلام وردت في آيات كثير في القرآن الكريم وتؤكد على صلاحيته في كل زمان ومكان، **﴿قَالَ تَمَّالٌ: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾﴾** القلم: ٥٢، وقال أيضا: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** سبأ: ٢٨، لكن الحقد الغربي أعمى بعض المستشرقين عن الحقيقة، حتى اعتبروا الإسلام عدوا للعالم، فقال موير: "إن سيف محمد والقرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن، عنادا ضد الحضارة والحرية الحقيقية".

¹ مونتغمري واط، محمد في المدينة، تر: شعبان بركات، المكتبة العصرية- بيروت، دط، دتط، ص144

² فلهاوزن، تاريخ الدولة العربي، تر: عبد الهادي أبي ريدة، إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم- القاهرة، ط2،

ومن المعاني الأساسية في المنهج المادي مفهوم صراع الأضداد، الذي استغله المستشرقون لتفسير التطور الحاصل في الإسلام، بتحفيظه لصراع الأضداد بحيث خلّص الفقراء من الأغنياء، ونسوا أن المعاني الروحية والايمانية التي دعا إليها الإسلام هي التي صنعت المجتمع الإسلامي القوي، ومن خلال ارتباط الانسان بخالقه وإدراكه لسر وجوده يتحقق التوازن النفسي والعقلي. ومن ثم يعمّ التوازن كل الكون وينعكس في علاقات الانسان بأخيه الانسان ويتعامله مع المخلوقات. إلا أن هذه المعاني غائبة في المناهج العقلية الحديثة، أو عُييت عمدا خوف من غضب رجال الدين والكنيسة كما وقع في العصور الوسطى، لكنها في الأصل جزء من المنهجية التي توصل إلى الحقيقة المطلقة، وجب على الغرب تداركها.

يقول المستشرق ترينون: "إذا صح في العقول أن التفسير المادي يمكن أن يكون صالحا في تحليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها، فإن هذا التفسير المادي يفشل فشلا ذريعا حين رغب في أن يعلل وحدة العرب وغلبتهم... فلم يبق أمام المؤرخين إلا أن ينظروا في العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة، فأروا أنها تقع في هذا الشيء الجديد ألا وهو الإسلام"¹.

ويمكن تلخيص هذا المنهج بالنسبة للإسلام بقول بشير مغلي بأنّ: "الإسلام في مخبر المقاربة المادية مزيج تاريخي فلسفي متناقض، وتركيب ايدلوجي متنافر، ومع ذلك فهو يعكس كل الألوان وينصهر في كل القوالب، وعرضة للتجريب والتنظير.. ناهيك عما تفعل به السياسات الراهنة محليا ودوليا، وما يؤكد له التخطيط الإمبريالي والإعلام الصهيوني المضاد... إن مقارنة هذا منحاهما، لخلق بالعلم أن يلفظها، وحقيق على العلماء أن يكونوا بمنأى عنها، صونا لعملية البحوث وغائيتها الشريفة، وموضوعية النتائج وواقعيتها"².

الفرع الخامس: منهج الأثر والتأثر

وهو منهج يبحث في ارتباط الأفكار والحوادث بمصادر خارجية، سواء كان هذا الارتباط ظاهرا أو غير ظاهرا، فيحاول البحث في التشابه الممكن بين الحضارات والديانات، ويبنى عليه فكرة اقتباس الأفكار والعادات والظواهر، واعتمد المستشرقون هذا المنهج في دراسة الإسلام بحيث جعلوا الإسلام مزيجا من حضارات وأفكار خارجية تأثر بها وجعلها أسسا ومرتكزات يقوم عليها، وبهذا فهم يحاولون إلغاء أي خاصية إبداعية في الإسلام، ويجعلون الحضارة الإسلامية قائمة في تعاليم دينها على الديانات السابقة لها حتى الوثنية والبوذية وغيرها... وينسبون التطور في علومها والإبداع في حضارتها إلى تأثرها

¹ صبجي عبد الحفيظ قاضي، قضايا معاصرة في الحضارة الإسلامية، التبصرة - السعودية، ط1، 1984، ص 79

² بشير مغلي، مرجع سابق، ص 277

بعلوم الحضارة اليونانية واقتباسها منها، وأن عبقرية علماء المسلمين قد تجلت في الشرح والنقل، ولكنها اختفت في الخلق والإبداع، وهكذا غدا الفقه الإسلامي عندهم نسخة من القانون الروماني، والحضارة الإسلامية - في أحسن أحوالها - ليست إلا شكلاً من أشكال "الهللينية"، بل إن الإسلام ذاته، هو لون جديد يجمع بين اليهودية والمسيحية¹.

وتعود بدايات هذه الفكرة إلى النهضة العلمية في أوروبا والتي تأسست على أنقاض الحضارة اليونانية، وكلما أنشئ مذهب جديد أو علم ما في أوروبا وجد جذوره في الحضارة اليونانية القديمة. فحاولوا تطبيق هذا المسلك على الحضارة الإسلامية، وإرجاع الظواهر والأفكار الإسلامية إلى الحضارات السابقة للإسلام. يؤكد ذلك كارل هينريش بيكر ذلك بقوله: "القانون الروماني رُتّب ونُظّم قبل قيام النبي بدعوته بزمن قليل، وأثره من بعد في الشريعة الإسلامية واضح في كل مسألة، حتى إنه ليكاد يكون لكل مبدأ من مبادئها ما يناظره في القانون الروماني"².

ولا يحلُّ بحث ولا كتاب للمستشرقين في الأغلب، من التماس هذا المنهج في عرض وتحليل الحضارة الإسلامية، على اختلاف تسمياتهم لها، كالتمثل والاستيعاب، أو الاقتفاء أو الاقتباس... لكن هدفهم يبقى واحداً، هو جعل الإسلام تجميعاً لما سبقه.

فنجد نولدكه يعبر عن هذه الفكرة بالاقتفاء بقوله: "إن الإسلام في جوهره دين يقتفي آثار المسيحية، أو بعبارة أخرى إن الإسلام هو الصيغة التي دخلت بها المسيحية إلى بلاد العرب كلها"³، ولا يقصره جولدزيهر على المسيحية فقط بل كان مزيجاً عاماً للديانات والتجارب حيث يقول: "وكما تُقدّم تعاليم الإسلام، حتى في مرحلته البدائية، صورة من مذهبي الانتخاب والمزج من اليهودية والنصرانية وديانة الفرس وغيرها، كذلك عملت آثار أجنبية، من التجارب التعليمية النافذة من المحيط الخارجي في تنمية ما جدّ بعد ذلك من المسائل"⁴.

وتتجلى في هذا الباب النزعة العرقية التفوقية للغربيين بشكل كبير، خاصة وأنها أصبحت جزءاً من التفكير العلمي الأوربي في معالجة أي مسألة تتصل بالدين أو الفكر أو العلم، فلا يمكن للمستشرق

¹ محمد بن عبود، مرجع سابق، ج1، ص353.

² كارل هينريش بيكر، تراث الأوائل في الشرق والغرب، بحث منشور ضمن: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، دط، 1945م، ص14-15.

³ تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، منشورات الجمل - بغداد، 2007م، دط، ص7.

⁴ جولدزيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، تر: عبد الحلیم النجار، دار اقرأ، ط2، 1983، ص171.

إلا أن يصور الغرب وديانته السماوية الفاعل الأكبر في ظهور الإسلام وانتشاره، ويحاول رد آيات القرآن الكريم إلى أسفار الكتاب المقدس، معتمدين في الأساس على التشابه الكبير بين القصص القرآني وبين القصص اليهودي والمسيحي، وهو ما نراه جليا في بعض الكتابات الاستشراقية منها: (مصادر الإسلام) لسنكلير تسدل الذي جعل فيه مصادر الإسلام متعددة كتأثيرات عرب الجاهلية والصابئة، واليهودية والمسيحية، والزرادشتية والحنفاء، كل هذا بالاعتماد على القصص القرآني الذي جعل مقتبسا من الكتب السابقة، أو حتى من أساطير وخرافات الثقافات الأخرى، لكن البحث المقارن الدقيق والعميق بين القرآن ونصوص الكتاب المقدس يكشف الاختلاف الجوهرى في المضمون والأسلوب والغايات "فثمة اختلاف في نطاق المضامين الشرعية الحكيمة وهناك تباين في نطاق المفاهيم العقائدية فضلا عن أن منطوق القصص القرآني فيه بون شاسع إذا ما قسناه إلى المصادر اليهودية عموما"¹.

ويعزز ذلك بقوله: "شعيرة الصلاة التي كانت بصورتها الأولى من قيام وقراءة وبما فيها من ركوع وسجود وبما يسبقها من وضوء تتصل بالنصرانية الشرقية. والصوم الذي جعل أولا في يوم عاشوراء محاكاة للصوم اليهودي الأكبر، وفيما يتعلق بشعائر الحج التي نظمها الإسلام أو بالأحرى احتفظ بها من بين تقاليد العرب الوثنية جعل محمد ﷺ أهمية كبرى لنية التقوى التي يجب أن تصحب هذه الشعيرة"².

ويذهب شوراكى في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن إلى أن لغة القرآن تكاد تكون أقرب إلى العبرية التوراتية منها إلى العربية المعاصرة، وهو في ذلك يرمي بشكل غريب إلى أن معظم الألفاظ القرآنية لها ما يقابلها في لغته الأم، وبالتالي فإن مصدر القرآن الرئيسي هو التوراة، وهذا ما يبالغ في تأكيده في تعليقاته وحواشيه الكثيرة التي يمكن القول بأن معظمها إنما وضع أساسا لبيان أصول الألفاظ القرآنية -حسب زعمه- في التوراة.

فإن لم يجدوا بُغيتهم في اليهودية انتقلوا الى المسيحية ليجعلوها شاهدا على بحوثهم، بالرغم من أن المسيحية ليس فيها تشريع يُزعم تأثر القرآن به، إلا أن المستشرقين المسيحيين حاولوا الربط بين القرآن الكريم والإنجيل بما يجويه من مبادئ أخلاقية زعموا أنها أثرت في الإسلام، ودخلت عليه³.

¹ أحمد البهنسي، إشكال فهم النص القرآني في الدراسات الاستشراقية، دراسات استشراقية، ع2، خريف2014م، ص28.

² جولدزهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، تر: محمد يوسف موسى، طبعة مصر، ط1، 1946م، ص 19

³ ينظر: مصطفى السباعي، المستشرقون ما لهم وما عليهم، مرجع سابق، ص 25 وما بعدها.

كالرهبانية التي أثرت في معاني الزهد والتصوف فيه، ضف إلى ذلك التشابه في قصة المسيح وأمه وذكر معجزاته، خاصة مع ما ورد في إنجيل الطفولة -وهو من الأناجيل غير المعترف بها لدى الكنيسة-. وهذا التأثير والتأثر يؤكد بلاشير في كتابه معضلة محمد فيقول: "أن التأثير النصراني كان واضحاً في السور المكية الأولى؛ إذ كثيراً ما تكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائداً في ذلك العهد عن شبه قوي". بالرغم من أنه لم تعرف ترجمة للأناجيل المعتمدة باللغة العربية في شبه الجزيرة العربية إلا بعد مئات السنين، ولم تكن هناك نسخ لأناجيل أبوكريفا ولا إنجيل الطفولة التي يزعمون تشابهاً في الموضوعات مع القرآن، ولم تذكر كتب التاريخ والسير أي اتصال لمحمد ﷺ بمراكز دينية مسيحية بمكة أو غيرها، أو بشخصيات مسيحية غير لقاء عابر بالراهب بحيرا وهو صغير السن، أو بورقة بن نوفل عند نزول الوحي عليه أول مرة. وقد كان أول وآخر لقاء بينهما كما ورد في كتب السيرة والتاريخ. لكن مونتغمري يرى غير ذلك حيث يقول: "فمن بين الرجال الذين عرفناهم مع محمد ﷺ فإن ورقة كان على صلة وثيقة بمحمد وكان معروفاً بدراسته للأناجيل... ومن الأسهل أن نفترض أن محمد كان على صلة متتابة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي، والأفكار الإسلامية اللاحقة قد تكون قد اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة"¹. والمعروف أن ورقة توفي بعد الوحي وكان يودّ أن يكون من أنصار النبي ﷺ عندما يجهر النبي ﷺ بدعوته، فكيف يمكن له أن يتمنى ذلك إن كان يعلم أن النبي ﷺ سيستفيد من خبرته بالكُتب المقدسة، ليصيغ كتابه بنفسه، وكيف له أن يصدّقه إذا لم يكن متأكداً حقاً من نزول الوحي على النبي ﷺ.

إن هذه الرؤية التأثيرية للقرآن بالأناجيل تقوم: "على نموذج نقدي يعتمد على مقدمتين منهجيتين متكاملتين، وهما توافق القرآن والإنجيل في الرؤية والمسيحيات، ووجود النصرانية في الحيز التاريخي الذي ظهر فيه النص القرآني، ينتج عنهما أن القرآن امتداد تاريخي للأناجيل، وانتحال محمدي للمعرفة النصرانية"². وهو نفس المنطق الذي يدرس به تأثير القرآن الكريم بالهاجدا، والديانات الوثنية، وهو التوافق في بعض النقاط المشتركة، والوجود التاريخي للسابق في محيط اللاحق، وهي فكرة قائمة في نظرهم لحاجة الجزيرة العربية إلى وحي سماوي، واستغلال محمد ﷺ ما يجذب إليه الناس ويؤثر فيهم،

¹ مونتغمري واط، محمد في مكة، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ وحسين عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، دط، 2002م، ص 93

² عبد الحكيم فرحات، إشكالية تأثر القرآن الكريم بالأناجيل في الفكر الاستشراقي الحديث بحث ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف- السعودية، ط1، 2006م، ص3

ولهذا يقول جوستاف قرونباوم: "ولكن العربي الذي كان يبحث عن الصدق، لم يكن يعنيه كثيرا من يأخذ آراءه الدينية التي يستولي عليها، ذلك أن حرمانه من كل ميراث قومي أجبره على الأخذ من مختلف العقائد"¹.

ولا يرجع المستشرقون هذا التشابه الكبير بين الأديان إلى أن مصدر القرآن الكريم هو نفس مصادر الأديان السماوية الأخرى، فالأصول والمفاهيم الأساسية للإيمان واحدة عند جميع الأنبياء، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَرَّحَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ الشورى: ١٣، فمنبع العقائد والأحكام واحد هو الوحي الإلهي.

كما غفل المستشرقون عن تأثيرات النبوة في المناطق التي كانت فيها: "فإن كثيرا من الحضارات الموجودة في المشرق، وفي حوض الشام خصوصا، هي أصلا حضارات متأثرة بالنبوات، وليس العكس، ومن اهتم بإبراز ذلك مؤرخ الحضارات الأشهر توينبي، ومن ذلك قوله: "كانت الأديان بمثابة يفعات -أي أوعية- لجميع هذه الحضارات، كما أن البقايا المتحجرة، التي لا تزال قائمة من تلك الحضارات البائدة، قد ظلت محفوظة في لحاء ديني"². وهذه الفكرة أيضا كانت في منتشرة في الوسط الجاهلي فقد فقالوا أن القرآن ما هو إلا أساطير الأولين قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٢٥﴾﴾ الأنعام: ٢٥، وقال أيضا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٣١﴾﴾ الأنفال: ٣١.

وقد تعمق المستشرقون في البحث عن المؤثرات الخارجية التي أثرت في الحضارة الإسلامية. وقاموا باستقراء النصوص لمعرفة ما تخفيه من مقاصد وتوجهات. وتركزت كل تفسيراتهم وتحليلاتهم للإسلام وعقيدته على هذا الأساس. بما يجعل الإسلام ديننا هجينا. يقول أربري: "إن أحد الأمور التي تبرهن على التحيز في دراسة المستشرقين، والذي أخشى أن يكون قد فعله عدد غير قليل منهم، هو أن كل ما يتصورونه أمرا حسنا في الإسلام يرجعونه إلى مصدر أجنبي، ويجب عندهم أن يلتمسوا له أصلا أو

¹ جوستاف جرونيباوم، حضارة الإسلام، تر: عبد العزيز جاويد وعبد الحميد العبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ط1، 1994م، ص56

² ينظر: إبراهيم السكران، مرجع سابق، ص172-173، و أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد الشبل، المركز القومي للترجمة - القاهرة، دط، 2011م ج3، 153

آخر غير اسلامي، وليست توجد صورة غير آمنة للبحث العلمي أكثر سوء من هذا التعصب الطائفي الأعمى"¹.

وما يعيب هذا المنهج هو عدم وضوح مفاهيمه وصوره، وتحديد مصطلحاته وقواعده، لأن أي تشابه عند المستشرقين بين ثقافتين أو حضارتين في بعض الأمور هو عبارة عن تأثير في نظرهم، من دون التأكد منه إن كان حقيقياً أو مزعوماً، وبالرغم من أنّ "الأثر والتأثير عملية حضارية معقدة تتم على مستويات عدة: اللغة والمعنى والشيء... فالتشابه يكون في اللغة، وفي هذه الحالة لا يكون أثراً بل هو استعارة، ولا يكون في المعنى أو في الشيء بل يكون في الشكل أو في الصورة"². إذًا لا بد أن يحدث أولاً اتصال تاريخي بين الحضارتين أو الثقافتين، فإذا ثبت ذلك، فإن كان على مستوى اللغة فهو استعارة: "فعادة ما يحدث أن تسقط الحضارة الناشئة ألفاظها القديمة وتستعير ألفاظ الحضارة المجاورة وتستعملها للتعبير عن المضمون القديم"³، وإن كان على مستوى الشكل فهو التأثير، والذي قد يكون ناشئاً: "إما بطريق الأخذ العمدي أو بالتأثير التلقائي، والحضارة الإنسانية هي في النهاية ثمرة جهودات ساهم فيها كل الجنس البشري، فعملية الأخذ والعطاء بين الشعوب لم تقف يوماً، ولا وقفت الهجرات البشرية التي حملت معها أفكارها وثقافتها"⁴.

إن كلّ هذا ناتج عن التفاعل الحضاري والتاريخي بين الشعوب والثقافات، بحيث تتميز كل حضارة بخصائص وميزات، وتتفاعل مع غيرها في المشترك الإنساني والثقافي إذا توافرت العوامل لذلك. كما يمكن أن تلعب الحضارة السابقة دور المثير والمحفز لاستثارة الحضارة اللاحقة فتستفيد منها وتبني على آثارتها ونتائجها، وبالمقابل لا يهمل علماء الأنثروبولوجيا تأثير الحضارات القوية على الحضارات المهزومة أو الضعيفة خاصة فكرياً، بما يسمى الثقافة التي تعني: "عملية الاستعارة الثقافية بين شعوب مختلفة بحيث ينتج عنها أشكال مختلفة ومتمازجة، وتعني على وجه الخصوص التعديلات التي تلحق ثقافة بدائية ناجمة عن الاتصال بمجتمع متقدم"⁵.

¹ محمد عبد الله الشرفاوي، الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، دار الهداية- مصر، دط، دت ط، 107

² حسن حنفي، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط4، 1992م، ص 94

³ المرجع نفسه، ص 80

⁴ عمر لطفي العالم، مرجع سابق، ص 22-24

⁵ مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص 64

فكل هذه التفاصيل كان حريًا بالمستشرقين مراعاتها في كتاباتهم وبحوثهم، لأنه لا يمكن إنكار الاستعارة والتأثير في التاريخ الإنساني، فهي غذاء الحضارات واستثمار للمعارف الإنسانية بهدف التطور والإبداع، ولا توجد حضارة قامت من العدم لأن التاريخ الإنساني متنوع ومليء بهذه النماذج.

المطلب الثالث: آليات المستشرقين في دراسة القرآن الكريم

استعان أغلب المستشرقون في دراسة الإسلام عموماً والقرآن الكريم خصوصاً، بأليات وأساليب ضمن الإطار العام للمناهج السابقة لتساعدهم في حصد النتائج المرجوة من هذه الأبحاث والدراسات، أغلب هذه الآليات والأدوات كانت نابعة من البيئة الغربية، فلم تراعى أساسيات الفكر الإسلامي ومصادره، من هذه الآليات:

• **الفرع الأول: آلية البناء والهدم:** وقد شاع استعمال هذا الأسلوب في كتابات بعض المستشرقين، بحيث يقوم المستشرق بالمبالغة في المدح والإطراء لقضايا بسيطة في الحضارة الإسلامية، وكثرة الإعجاب بصفات وسمات في شخصيات إسلامية، بما يوحي للقارئ أن هذا المستشرق منصف ومنتصر للإسلام، ويلبس ثوب الموضوعية والنزاهة العلمية، ليعمد بعدها إلى القضايا الجوهرية، والأحداث المصيرية فيقوم بتحليلها وتفسيرها بتشويه حقائقها وبترها عن سياقها، فيهدم أركان الحضارة الإسلامية وأصول الفكر الإسلامي، وهي عملية تسلل فكري خبيث قلما ينتبه لها القراء، إلا من كان مطلعاً على مناهجهم عارفاً بحقيقة الأمور.

ومثاله ما قام به المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون **Lebon** الذي أشاد في كتابه (حضارة العرب) بالإسلام ونبه في عبارات كثيرة، ليصل في النهاية أن النبي مصاب بالهوس قائلاً: "ويجب عدّ النبي محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية، كأكبر مؤسس الديانات... فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشئون الديانات ويقودون الناس، وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور... وهم الذين أقاموا الأديان، وهدموا الدول، وأثاروا الجموع، وقادوا البشر، ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم، لكان للتاريخ مجرى آخر"¹، ثم يجعل القرآن من شواهد عبقريته، وهو دون كتب الهندوس قيمة، وينكر شموليته وأنه مؤقت بعصره، فلا يحقق حاجات الفرد في عصور لاحقة، بل يجعله سبب تخلف المسلمين².

¹ جوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، دط، 2013 ص141-145.

² ينظر: المرجع نفسه، ص674، 680، 720.

وكذلك الحال بالنسبة إلى المستشرق (واط) حيث تحدث عن حكمة النبي ﷺ وذكائه ويُعد نظره في التعامل مع الأمور؛ ليؤكد أن مثل هذا الحكيم والسياسي الداهية لا يمكن أن يدعو قيصر الروم والإمبراطور الفارسي للدخول في الإسلام، ف(واط) يريد أن يهدم فكرة عالمية الإسلام¹. وهذا ما جعل إميل درمنغهام وهو أحد المستشرقين يقول في معرض انتقاده لأقرانه: "من المؤسف حقا أن يكون قد غالى بعض المتخصصين من أمثال موير ومرجليوث ونولدكه وسبرنجر ودوزي وغريم وجولدزهر وغيرهم في النقد أحيانا فلم تنزل كتبهم عامل هدم ونفي على الخصوص، ولا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة"².

• الفرع الثاني: آلية التأويل المتعسف

في أثناء القيام بعملية التحليل يقوم بعض المستشرقين بالتأويل المتعسف لبعض الأحداث والظواهر وليّ أعناق الآيات، إما جهلا منهم باللغة وأساليبها والبيئة وثقافتها، أو قصدا منهم طعنا وحقدا على الإسلام وأهله، بما يعطي صورة سيئة عنه في نظر الغرب. وفي أحيان كثيرة طالبوا بإعادة قراءة الموضوع حسب المنهج الغربي وعمدوا إلى اختيار المواضيع وترتيب الوقائع والروايات بما يخدم هذه الوجهة: "وكما أن الانحراف البسيط في الأجسام يُخرجها عن بغيتها، كذلك فإن ترتيب واختيار نوع الوقائع يؤدي إلى الأغراض المخالفة، ولقد أجاد هؤلاء فن الاختيار والعرض ووصلوا إلى النتائج المتوخاة بمسح الصورة وتشويهها وقلب الحقائق وتزييفها، مع عدم الإخلال بأخلاقية البحث العلمي الذي يعتمد الصدق والأمانة والموضوعية وحسن التوثيق في مصادر البحوث"³.

ومن أمثلة التأويل المتعسف طعنهم في بلاغة القرآن، كما قال جولدزهر: "بديهي أن التغيير الذي حدث في الطابع الشخصي لمحمد ﷺ قد أثر في أسلوب القرآن وشكله الأدبي... ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدّم فيها محمد الصورة التي أوحتها حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد، لكن حمية النبوة وحدها أخذت في عِظات المدينة والوحي الذي جاء بها تهدأ رويدا رويدا، حيث أخذت البلاغة في هذا الوحي تصبح ضعيفة شاملة، كما أخذ الوحي نفسه ينزل بمستوى أقل بحكم ما كان يعالجه من موضوعات ومسائل، حتى لقد صار أحيانا في مستوى البشر العادي"⁴.

¹ ينظر: عبد الله محمد الأمين النعيم، مرجع سابق، ص 45

² إميل درمنغهام: حياة محمد، تر: عادل زعيتير، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، ط2، 1949م،

³ عمر لطفي العالم، مرجع سابق، ص 44

⁴ جولد زهر، مرجع سابق، ص 14-15

• الفرع الثالث: آلية التعميم الخاطئ

في هذه الآلية يقوم المستشرق باستخراج نتيجة في قضية معينة ثم يجعلها نتيجة عامة تسقط على جميع الظواهر المتشابهة، من دون مراعاة الظروف والأسباب واختلاف البيئات، وعادة ما تكون هذه النتيجة مستنبطة من دراسات حول البيئة الغربية.

فمثلا يذكر واط أنه: "كان للمرأة غالبا عدة أزواج زائرين في نفس الوقت"¹، والحقيقة أنّ هذا الزواج كان نادرا في الجاهلية وشاذا، لكن واط يعمّمه دون مسوغ. كما أنه يشير إلى جهل العرب بفكرة القانون بقوله: "ولا نرى عند العرب سواء قبل الإسلام أم بعده الفكرة المجردة عن القانون"²، والمعروف أن ممالك عديدة ظهرت في بلاد العرب قبل الإسلام في اليمن والعراق وبلاد الشام وفي وسط شبه الجزيرة العربية. تُرى هل كانت هذه الدول قائمة بلا قانون؟ وهذا مستحيل طبعا. وحتى القبائل البدوية فإن لها "تقاليد بسيطة واضحة يتمسكون بها أشد التمسك"³.

إن استخدام المستشرقين لهذه الأساليب داخل لبنات المنهج التحليلي: "أفرز أحكاما جزافية، ما أدى إلى الحكم على الحضارة الإسلامية بالجدب، وعلى الدين بالجمود، وعلى الوحي بالاضطراب والاختلاط، وعلى التوحيد بالتجريد، وعلى العقائد بالقضاء والقدر، وعلى الشعوب بالتخلف"⁴. والكارثة الكبرى هو توارث هذه النتائج كمسلمات أكيدة من دون أدلة على ذلك.

الفرع الرابع: آلية النفي

يُعد هذا الأسلوب سمة بارزة عند المستشرقين خاصة في الدراسات القرآنية، وما يتعلق بالوحي والقرآن الكريم من حيث نزوله وجمعه ورسمه وقراءته... بحيث ينفون كل الروايات الصحيحة المتعلقة به، من غير أي دليل، وبالمقابل يتمسكون بالروايات الضعيفة والشاذة، من غير أي حجة، طريقتهم في ذلك الشك والمبالغة في النقد إلى حد النفي والالغاء، مثاله ما يدعيه سبرنجر من أن اسم الرسول ﷺ لم يكن اسم علم له إلا في المدينة، بدليل أن لفظ محمد ذكر في أربع سور من القرآن هي: (آل عمران والأحزاب والفتح ومحمد) وكلها سور مدنية. فهو ينفي اسم الرسول لأنه لم يرد في القرآن

¹ مونتغمري واط، محمد في المدينة، مرجع سابق، ص 415

² مونتغمري واط، محمد في مكة، مرجع سابق، ص 49

³ العلي، المصدر السابق، ص 162

⁴ حسن حنفي، مرجع سابق، ص 75

المكي: "وهذا ينفي الرجل ويلغي بسهولة كل الروايات التاريخية والسنن المأثورة التي ورد فيها ذكر اسم محمد ﷺ في الفترة المكية، لا لشيء إلا لكون الاسم لم يرد في القرآن المكي"¹.

كما قاموا بنفي الأحداث والوقائع التي لم ترد في القرآن من باب الطعن والتشكيك في السنة النبوية، وشككوا في علم القراءات، ونفوا عدة قراءات متواترة، بالاعتماد على الروايات الشاذة والضعيفة، "فكل حكم نفي يقوم به المستشرق يقوم على نفي لما لا يوجد في ذهنه، وكل حكم ايجاب يقوم على اثبات لما يقوم في ذهنه"².

الفرع الخامس: آلية الإسقاط

يُعرف الإسقاط في كتب علم النفس بأنه: "تفسير الأوضاع والمواقف والأحداث بتسليط خبراتنا ومشاعرنا عليها، والنظر إليها من خلال عملية انعكاسٍ لما يدور في داخل نفوسنا"³، وهو مذموم في البحث العلمي سواء كان بقصد أو بغير قصد.

وطبقاً لمفهوم علماء التحليل النفسي هو: "حيلَة نفسية، يلجأ إليها الشخص كوسيلة للدفاع عن نفسه ضدّ مشاعر غير سارة في داخله، مثل الشعور بالذنب أو الشعور بالنقص، فيعمد - على غير وعي منه - إلى أن ينسب للآخرين أفكار أو مشاعر وأفعالاً حياله، ثمّ يقوم من خلالها بتبرير نفسه أمام ناظره"⁴. فهو شعور بالنقص والدون، ينعكس لا شعورياً في آراء وأفكار صاحبه، بحيث ينسب للآخرين ما يستشعره في نفسه ويعتبره عيباً وإن لم يكن في حقيقته من العيوب، وهدفه هو الدفاع عن نفسه وتبرئتها من الشبهة، وصرف الناس عن ملاحظتها. ويجب أن يكون المُسقط عليه الحكم منزهاً عن هذا النقص، وإلا أصبح إظهاراً للحقيقة.

وينشأ الإسقاط من خضوع الباحث لهواه وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها لديه بيئته الثقافية المعينة... وذلك ناشئ عن إيمان المستشرق بثقافته وأنها هي النموذج الوحيد لكل الثقافات وأنه ينتسب إلى حضارة هي مركز العالم، ومحور التاريخ ومصدر الحقائق، ومنبع المناهج ومهد

¹ ينظر: جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، بغداد 1311، ج1، ص93

² حسن حنفي، مرجع سابق، ص90

³ أسعد رزق، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ط3، 1987 م، ص 40

⁴ المرجع نفسه، ص40

العلوم... فالإسقاط في النهاية هو وضع الآخر في قالب الذات، وكأن العقلية الغربية بإسقاطها في جوهرها عقلية عنصرية هي الأساس للثقافة والدين والفن والعلم والحضارة"¹.

ومثاله إصرار المستشرقين على وصف الإسلام بالمحمدية أو الإسلامية بدل الإسلام، إسقاطا منهم للمصطلحات الغربية المسيحية، الماركسية، الكونفوشوسية، "وإن كان هناك سبب آخر لاستخدام هذا الوصف لدى الكثيرين منهم وهو إعطاء انطباع بأن الإسلام دين بشري من صنع محمد ﷺ وليس من عند الله -عز وجل-، أما نسبة المسيحية إلى المسيح فلا تعطي هذا الانطباع لديهم لاعتقادهم أن المسيح ابن الله"² وجاء في الموسوعة العبرية العامة لفظ "توراة المسلمين" والذي يقصد به القرآن، وفي هذا إيحاء للقارئ بأن آيات القرآن مستوحاة من توراة اليهود، وإسقاط لمفهوم التوراة على القرآن الكريم، بما يحمله المعنى من ملابسات³. كما أنهم عَزَوْا التأخر الحضاري للمسلمين اليوم لسيطرة الكنيسة الإسلامية في نظرهم، وعدم فصل الدين عن الدولة، إسقاطا منهم للواقع الغربي على العالم الإسلامي⁴.

وقد مارس المستشرقون عملية الإسقاط في دراستهم للقرآن الكريم وحاولوا رميه بكل أنواع التهم والأباطيل التي رميت بها كتبهم المقدسة، وجعلوه سجلا تاريخيا لنشاطات الرسول وحياته، إسقاطا منهم لحقيقة الكتاب المقدس الذي يذكر تفاصيل حياة الأنبياء عندهم، وذهب بعض المستشرقين إلى ترجمة كلمتي النبي والرسول في القرآن الكريم بالكلمة الإنجليزية Apostle، وهذه الكلمة تعني أحد حواربي عيسى ﷺ، أو مبشّر نصراني، أو: مُصَلِّح كَنَسِي⁵. وجميع هذه المعاني مردّها النصرانية ولا تشير في الوقت نفسه إلى النبوة ولا الرسالة، وبذلك تجعل النبي محمدا ﷺ رجلا من أمة عيسى ﷺ، وهذا المفهوم وليد عقيدة هرطقة الإسلام التي جاء بها الراهب بطرس⁶.

¹ حسن حنفي، مرجع سابق، ص 91

² محمود حمدي زقزوق، هموم الأمة الإسلامية، دار الكتاب البناني -بيروت، ط1، 2014، ص 162

³ ينظر: أحمد البهنسي، مرجع سابق، ص 48

⁴ ينظر حسن حنفي، مرجع سابق، ص 89

⁵ وجيه حمد عبد الرحمن، ترجمات إنجليزية لمعاني القرآن الكريم في ميزان الإسلام، بحث مشارك في ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم بالمدينة المنورة 1423 هـ، ص 16-17.

⁶ محمد عامر مظاهري، منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين -دراسة تحليلية منهجية-، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف -السعودية، ط1، 2006م، ص 33-34

وفسر واط تحنث النبي ﷺ في غار حراء، بالفرار من حر الصيف، وأن محمداً كان يعرف القراءة والكتابة؛ لأنه عمل بالتجارة، والتاجر لا بد أن يدقق حساباته ويراجعها، وذلك لا يكون إلا بمعرفتهما¹، وهي إسقاطات مادية للحياة التي يعايشها واط. كما جعل بلاشير الصحابة كالأحزاب السياسية في تصارعها على السلطة بعد وفاة النبي ﷺ: حزب علي وفاطمة من جهة، وحزب أبي بكر وعمر وعائشة من جهة أخرى². في إسقاط لمفاهيم السياسة الغربية الحديثة على الحضارة الإسلامية، ومن ثم تطبيق قواعدها عليها

فالإسقاط "خطأ في الإدراك يجعل المستشرق في عزلة ذهنية، ويضعه في موقف نرجسي خالص عندما لا يرى في العالم الخارجي من موضوعات إلا ما هو موجود في نفسه كصور ذهنية"³ فيبتعد عن حقيقة الأشياء ليقرّر ويدلّل على ما يؤمن بوجوده في ذهنه، وإن كان غير موجود في الواقع، وينفي الموجود واقعيًا لعدم إيمانه به فكريًا. مبتعدًا عن كل موضوعية في البحث العلمي.

الفرع السادس: آلية التشكيك

اعتمد المستشرقون على مسلك التشكيك وبالغوا فيه، خاصة في قضايا القرآن وعلومه، وشكّكوا في كل الروايات المتعلقة به خاصة الصحيحة منها. فبدئوا بالتشكيك في مصدر القرآن الكريم وجمعه وترتيبه وسوره، والتشكيك في أحكام القرآن وقصصه ولغته وأسلوبه. كما عمدوا للتشكيك في الرسول ﷺ من خلال سيرته وثبوت نبوته، وكل ما يتعلق بأصول ومبادئ الإسلام. وقد عضدوا هذا التشكيك باختيارهم للروايات وانتقائهم للمصادر التي لا تعتمد التمهّك كمنهج، وفتحوا الباب على مصرعيه للشك ونفي كل ما لا يتوافق مع أفكارهم وأهوائهم، وبهذا ردّوا كل أعمال المسلمين في التحقيق والتثبت من قضايا الإسلام في شتى العلوم، عزّز ذلك ضعفهم المنهجي في دراسة الروايات والأحاديث والموازنة بينها، وعدم تمكنهم من علوم الرواية ودراسة الأسانيد ما جعلهم يقعون في الانتقائية للروايات من غير تمحيص.

¹ عبد المنعم فؤاد: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقديّة في الإسلام، مكتبة العبيكان، ط1/ 1422هـ، ص206.

² ينظر: مصطفى المسلوّاتي، دراسات المستشرقين للسيرة النبوية "معضلة محمد" لريجيس بلاشير نموذجاً، أطروحة دكتوراه، دار الحديث الحسنية(الرباط)، 1998م، ج2، ص36.

³ حسن حنفي، مرجع سابق، ص89

ومن صور استعمال هذا المنهج في دراسة القرآن ما قام به المستشرق (أرثر جفري) الذي اهتم بجمع صحائف الصحابة كمصحف ابن مسعود، وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وغيرهم، ثم عمد إلى المقارنة بينها وإحصاء الاختلاف بين النسخ. ليصل إلى أن مصحف عثمان الأقرب إلى الصواب، بما يوحي أن المصحف الكامل للقرآن مفقود، ويشكك بذلك في جمع عثمان رضي الله عنه للقرآن الكريم، بالرغم من أن الأمة الإسلامية على مرّ العصور قد أجمعت على صحة هذا الجمع ودقة المنهج الذي سار عليه الجمع، بل لم يعرف من طعن في صحة هذا الجمع من الصحابة ولا قالت به طائفة على اختلافهم في الإسلام. "كما أن زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير اللذين ذكر لهما جفري مصحفين خاصين كانا ضمن اللجنة الرباعية التي شكلها عثمان بن عفان رضي الله عنه لجمع القرآن في عهده"¹. وتلك المصاحف كانت شخصية ليس فيها القرآن كاملاً، وكان فيها بعض التفسيرات والشروح.

كما شكك بلاشير في وجود المعوذتين وسورة الفاتحة من القرآن، اعتماداً على الروايات التي تذكر أن مصحف ابن مسعود لا يحوي المعوذتين، وفي رواية سورة الفاتحة، وهي التي لا تقام الصلاة إلا بها، وقد ردّ هذه الشبهة الامام الباقلاني (ت509هـ) في كتابه إعجاز القرآن بقوله "ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادّعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر، فقد تناظروا في أقلّ من هذا. وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعه في المصحف"²... ثم يبيّن كيف أن الرواية المنقولة بهذا الصدد لا تعدو أن تكون خبر آحاد لا يسكن إليه ولا يعول عليه. وينقل النووي أيضاً عن المازري قوله في تعليل هذه الرواية فيما لو كانت صحيحة "ويحتمل مما روي من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتّاب كل القرآن وكتّاب ما سواهما وتركهما لشهرتهما عنده وعند الناس"³

¹ حسن عزوزي، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، بحث ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف - السعودية، ط1، 2006م، ص10

² أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة، ط1، ص292

³ يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار احياء التراث العربي - بيروت، ط2، 1392هـ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يتعلق بالقراءات، ج6، ص109.

كما عمدوا إلى التشكيك في لغة القرآن وأسلوبه وبلاغته، يقول المستشرق دوزي واصفا القرآن أنه: "ذو ذوق رديء للغاية، لا جديد فيه إلا القليل، وفيه إطناب طويل ومملّ إلى حد بعيد"¹. لقد كان الإطناب وتكرار القصص غير المبرر في نظرهم، وعدم التسلسل المنطقي لآياته، واستعارته لبعض الألفاظ غير العربية، عيوباً أدبية تشكك في مصداقيته كوشي سماوي، ويؤيده قول جولدزيهر في الإشارة إلى اضطراب القرآن يقول: "فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل، أو موحى به يقدم نصحاً في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب، وعدم الثبات، كما نجده في النص القرآني"². بالرغم من أنّ العرب أصحاب اللغة والبيان شهدوا بإعجاز هذا القرآن، وكان ما وصفه المستشرقون بالاضطراب فيه هو ما أعجز العرب في حسن اختيار الكلمات والسياق والعبارة ونظم ذلك في تسلسل دقيق.

لقد كان هدف المستشرقين من استخدام هذه الآلية هو أن يفقد المسلم الثقة بدينه وحضارته وينقطع عن ماضيه وتاريخه، بحيث يصبح قادراً على تقبل الأفكار الغربية الجديدة والعمل بالمناهج الحديثة، تحت غطاء التطور والتقدم، والحرية الفكرية، ولن يتم ذلك إلا بعد نفي الحقائق الناصعة للإسلام وتشويه صورته، لذا كانت آلية التشكيك ملازمة لآلية النفي ووسيلة لها، فيقوم المستشرق بالتشكيك في الروايات والوقائع ويطعن فيها، ثم يعتمد إلى نفيها، وإن كانت حقائق ثابتة وروايات صحيحة، لكن الملاحظ أن عملية التشكيك لا تمس الأدلة الواهية والضعيفة التي يبنون عليها أفكارهم وآرائهم، فهم لا يشكّون فيها بالرغم من أنّ ضعفها ثابت عند المسلمين، وغير معول عليها، أو في باب الموضوعات، لكن المستشرقين يعتمدونها ويدلّلون بها على أفكارهم، ويؤكدون على أنّها موجودة في مصادر المسلمين بما يوحي بصحتها. وهذا مخالف لأصول البحث العلمي.

لم يستطع الشك الذي أسّس له ديكارت أن يكون بالشك المنهجي العلمي عند المستشرقين والذي يكون عادة بعد تجميع وتحليل البيانات، وليس كخطوة أولى، بطرح الشك واستحضار أدلته قبل التعمق الدقيق في الموضوع، وعليه يبنون تحليلاتهم، التي يظهر فيها حقدهم الدفين وتعصبهم الأعمى واستعلائهم الحضاري على الشرق، وإن تدثّر بعبارات منمقة.

¹ محمد عبد الله الشرقاوي، مرجع سابق، ص 45

² المرجع نفسه، ص 45

الفرع السابع: آلية الانتقاء

لا يخلو أي بحث علمي من قائمة مصادر ومراجع يعتمد عليها الباحث في عرض بحثه، ومجموعة من الأدلة والبراهين مجتمعة في الروايات والأحداث والوقائع لتمتين أفكار بحثه، الذي هو تجسيد لآراء وأفكار الباحث، وكلما كانت مصادر البحث أصيلة وبراهينه قوية، وأفكاره جديدة وجديّة، كان البحث قيّماً ومتميزاً، وقد استغل المستشرقون هذه العناصر لاستقطاب أكبر عدد من القراء، وعملوا على انتقاء مواضيع بحوثهم، وأدلتهم وكذا مصادرهم لعرض آراءهم وتوجهاتهم.

1. الانتقاء في المصادر:

هذا الانتقاء عند المستشرقين لا يخضع لأي منهج أو طريقة معينة، فهم لا يُعطون الأولوية لكتب التخصص في الدراسة أو الترتيب المنهجي الذي يتبعه المسلمون في التأصيل لأفكارهم ولا في دراسة مواضيع الإسلام، فأغلبهم يجعل مصادر كتب التاريخ والأدب والقصص، خاصة في دراستهم للقرآن الكريم. وهم يعتبرون كتب علوم القرآن التي ألفها المسلمون جهوداً بشرية خاضعة لزمان وواقع العصر، وتعكس فهوم ومذاهب أهلها، وبعيدة عن المنهجية الموضوعية للتعمق في دراسة القرآن الكريم، ويُقدمون كتب المتأخرين على المتقدمين، ويؤخرون المصادر الحديثة ككتب الصحاح والسنن، كما يغيب الترتيب الزمني في الاستناد للمصادر، لمراعاة التطور التاريخي للموضوع المدروس. فالمستشرقون ينتقون من المصادر ما يتناسب مع فرضياتهم المسبقة في البحث.

ومن أهم المصادر التي يعتمدون عليها كتاب المصاحف لابن أبي داود، خاصة في باب جمع القرآن الكريم، وكتاب الإتقان للسيوطي، وهو عمدتهم في الكثير من المسائل ويعتبرونه الجامع لمواضيع علوم القرآن، لغلبة "طابع الجمع فيه للروايات دون التمهيص بينها، فوجدوا ضالتهم في المرويات الضعيفة"¹، كما تظهر عندهم كتب الفهرست لابن النديم، والأغاني للأصفهاني، والحيوان للدميري، وقصص الأنبياء للثعلبي... التي يجدونها في دائرة المعارف الإسلامية.

إن الاعتماد الواسع للمستشرقين لمثل هذه الكتب والاهتمام البالغ بها يعود لأنها كتب جامعة ومتنوعة الأخبار، ولم يكن هدف مؤلفيها التمهيص والتدقيق، وهي مليئة بالغرائب والعجائب وتثير الشكوك، على حساب المصادر الصحيحة الأصيلة في التراث الإسلامي، كما أن كتابات المستشرقين السابقين تحتل مكانة مهمة كمصدر، مقارنة بكتابات المسلمين في نفس الموضوع، خاصة إذا كان

¹ جمال حجيرة، مرجع سابق، ص 296

المستشرق عَلمًا بارزا، فكتاب تاريخ القرآن لنولدكه يُعتبر أهم مصادر المستشرقين في الدراسات القرآنية فأكثر كُتبتهم تُحيل عليه، حتى في مجال الاستشهاد بالأحاديث والروايات.

2. الانتقاء في الاستدلال:

تظهر هذه الطريقة في نوعية الروايات والأدلة التي يستشهدون بها على أفكارهم وأراءهم، فهم لا يناون عن الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعية، كما يطعنون في صحة الأحاديث بتقديم الأشعار عليها أو الروايات الشاذة والغريبة أو الروايات الغريبة، دون تعليل لذلك، بما يثير الشك في الموضوع لدى القارئ. وهنا نلاحظ ازدواجية المعيار الذي يقبل به المستشرقون الأدلة، فهم يقبلون ويستشهدون بالروايات الضعيفة، ويننون عليها أحكامهم، دون الأخذ بعين الاعتبار درجة الصدق وطبيعة الحدث أو المناسبة للرواية، في المقابل يرفضون الاستدلال بالأحاديث الصحيحة والأخبار الصادقة ويطعنون فيها دون تقديم أي حجة، حتى قيل أن الاب لامانس قد استخدم معيارين: فكل شيء معاد للإسلام أو للنبي ﷺ اعتبره صحيحا، وكل شيء في صالحهما يجب فحصه بنظرة دقيقة¹.

3. الانتقاء في المسائل والآراء:

إن التتبع الدقيق للإنتاج العام للمستشرقين يُشير إلى مواضيع محددة في كل جانب من جوانب دراسة الإسلام والقرآن، تناولته أيدي المستشرقين بغزارة، سمة هذه المواضيع أنها مثيرة للجدل في التاريخ الإسلامي، وتختص بمسائل معينة، وسكت عنها العلماء المسلمون لعدم جدّيتها أو تحصيل فائدة منها، فيردها المستشرقون بصور وإجاءات مختلفة لتغرس أفكارا وتدلل على معاني مشتركة يحاولون عبرها زعزعة الثقة بالقرآن الكريم والإسلام، وأغلبها تختص بمجال القراءات القرآنية، وجمع القرآن، وطبيعة الوحي ومصدر القرآن، وأنواع التفسير وترجمة القرآن إلى غيرها من المواضيع.

كما يلاحظ اعتمادهم الكبير على آراء من سبقهم من المستشرقين والاستشهاد بها، كونهم موضوعيين ويتبعون المنهج العلمي، بخلاف آراء العلماء المسلمين التي ينتقون منها الآراء المخالفة للمُجمَع عليه في الإسلام والتي توافق هواهم. ويستخدمونها لبناء أحكام ونظريات ويدلون بها على مقاصد وأغراض معينة.

¹ مازن المطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الاسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1995م، ص599.

ومن صور استخدام هذا الانتقاء في مجال الآراء، اعتماد نولدكه على كتاب المصاحف لأبي داوود في الطعن في جمع القرآن الكريم. وكذا كاتب مادة القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية¹ انولش الذي أورد الروايات الضعيفة التي جاءت في كتاب المصاحف، ومعروف عن ابن أبي داود أنه كان يجمع كلما بلغه في شأن جمع القرآن واختلاف مصاحف الصحابة دون تمحيص أو تثبيت.

إن عملية الانتقاء لدى المستشرقين لا تخضع للعشوائية، فهم عادة ما يُهملون المصادر الصحيحة والمسائل القيمة والأدلة الصادقة إلى غيرها، بغض النظر عن مصداقيتها، وقيمتها المعرفية، بل الأساس عندهم ما يخدم هدفهم، ويؤسس لتصوراتهم ونظرتهم المشبوهة للإسلام، بعيداً عن الحق والباطل، وهذا لا يحقق التوازن والموضوعية في منهجية المستشرقين، وفي هذا يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: "ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعيّنون لهم غاية ويقرون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع معلومات - من كل رطب ويابس - ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التمويه بكل جرأة، وينون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم"².

الفرع الثامن: آلية المطابقة والمقابلة

وغالبا ما تستخدم هذه الآلية في تحقيق المخطوطات والوثائق التاريخية للتأكد من نسبتها، ودراسة المعلومات التي فيها، وفهرستها وحفظها. فهي خطوة أساسية في المنهج التاريخي والمنهج الفيلولوجي، وكان للمستشرقين في هذا الميدان السبق الأول في الاهتمام بالتراث الإسلامي، وإخراجه إلى النور وتقديمه للمسلمين والعالم بعد أن كان حبيس الرفوف، كما اهتموا بعلم الآثار والنقوش، والتي حاولوا دراستها وترجمتها إلى لغاتهم، وكشف المستور عنها بالاعتماد على معرفتهم للعديد من اللغات، وإطلاعهم على آلاف النسخ المخطوطة، وترحالهم للوقوف عليها، ولا ينبغي أن يقتصر اللسان على مدحهم في هذا الجانب؛ فقد عملوا على حفظها وصيانتها من التلف بعناية فائقة، وفهرستها فهرسة نافعة تصف المخطوط وصفاً دقيقاً، وبذلك وُضِع تحت تصرف الباحثين بلا إجراءات معقدة، وقد

¹ ينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998م، ج26، ص8154.

² أبو الحسن الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، ط3، 1986م، ص

قُدر عدد هذه المخطوطات في جامعاتهم - وكلها مفهرسة - مئات الآلاف¹، وهو عمل مضيي يحتاج إلى التفرغ والصبر والترحال، وإلى الإمكانيات المادية، وهو ما لم يُقصر فيه المستشرقون، لكن بالرغم من ذلك فقد وقعوا في شباك خلفياتهم الفكرية والدينية، عن قصد أو غير قصد، وعمدوا إلى لي هذه النصوص لتخدم أفكارهم وفرضياتهم. كما يظهر عند بحثهم في الأصول القديمة للألفاظ الإسلامية ومنها القرآن، الذي حاولوا التأكيد على أنه لفظ مستوحى من السريانية أو الآرامية، إبعاداً له عن أنه مصطلح عربي خاص بالوحي الإلهي إلى محمد ﷺ. وقد استعمل جولدزيهر آلية المطابقة والمقابلة في أثناء تطبيقه لمنهج مقارنة الأديان، بمطابقة نصوص الكتاب المقدس مع آيات القرآن، لمعرفة مدى التشابه والاختلاف، ليستعين بمنهج الأثر والتأثير لتأكيد نتائجه المسبقة.

لقد كان للأليات التي استعان بها المستشرقون في دراسة القرآن الكريم والإسلام، كبير الأثر على إنتاج المستشرقين العام، وما رتّمه من صورة حول الإسلام والقرآن، فقد وُسمت بحوثهم ومناهجهم بعدة سمات يستطيع القارئ اللبيب التماسها من خلال قراءته لدراساتهم ومؤلفاتهم، أو استشفافها من بين السطور وتحت الهوامش، لتكشف عن دخائل الصدور وشبه العقول عندهم.

المطلب الرابع: سمات عامة لمناهج المستشرقين

حاول المستشرقون في دراستهم للقرآن الكريم سلوك المناهج الحديثة في عصرهم للمحافظة على مبادئ العلم ولكي يصلوا إلى نتائج مرضية حول هذا الكتاب (القرآن)، لكن الدراسة العامة لجهودهم تبين أنهم كانوا يعتمدون على جهود بعضهم البعض، فغلبت على أكثر البحوث والدراسات الاستشراقية بعض الملاحظات والخصائص، لا يكاد يستثنى منها إلا البعض، وأصبحت تشكل سمات عامة لمنهج المستشرقين في دراسة الإسلام عموماً والقرآن الكريم خصوصاً أهمها:

الفرع الأول: سيطرة الخلفية الفكرية الغربية عن الإسلام.

إن المستشرقين في إطار بحثهم العلمي، لا يستطيعون الانفكاك من عدة عوامل تُساهم في بناء تفكيرهم العلمي. فهم يخضعون لتوجهات متباينة وآراء ومذاهب متعددة وخلفيات تؤسس لنظرتهم الأولى وانطباعهم للأشياء. مع أن الواجب عليهم إبعاد هذه التوجهات والخلفيات أثناء البحث العلمي،

¹ ينظر: محمد فتح الله الزيايدي، ظاهرة انتشار الإسلام، المنشأة العامة للنشر - طرابلس، ط1، 1983م، ص 110، وحمود حمدي: الإسلام والغرب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، ص 20.

كما أن ارتباط الاستشراق منذ بداياته الأولى بالدوافع والأهداف التي سعى لتحقيقها، جعلت المناهج التي سلكها محل شبهة ورفض، نظرا لتسرب هذه الدوافع إلى المناهج وتأثيرها فيها.

من أبرز هذه الأهداف سيطرة الهدف الديني في دراسة الإسلام وحضارته على الاستشراق، فتبدأ أغلب البحوث في دراستها لحضارة الإسلام بمقاربات في التاريخ والثقافة واللغة، ليجد المستشرق نفسه بوعي أو بغير وعي يناقش الإسلام في عقيدته، ومصادره، ويطعن في وحيه ورسوله ﷺ، كل هذا تحت تأثير الفكر الديني السائد في أوروبا عن الإسلام، والممتد من كتابات القرون الوسطى المشحون بالعداء والصراع نتيجة أحقاد الحروب الصليبية، والقائم على الجهل العميق بحقيقة الإسلام، وهو ما يؤكد المستشرق محمد أسد الذي أسلم قائلا: "موقف الأوربي موقف كره في غير مبالاة فحسب، كما هي الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات، بل هو كره عميق الجذور، يقوم في الأكثر على حدود من التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقليا فحسب، ولكنه يصطبغ أيضا بصبغة عاطفية قوية. قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية والهندوسية، ولكنها تحتفظ دائما فيما يتعلق بمذاهب المذاهب بموقف عقلي متزن، ومبني على التفكير، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب، حتى أن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام"¹.

وهذا وإن أخفاه المستشرقون تحت عباءة العلم والمناهج، لكن تظهر نفحاته بين السطور والتحليلات التي يُقنعون بها أنفسهم، وهو ما يُقر به المستشرق برنارد لويس اليهودي إذ يقول في كتابه العرب في التاريخ: "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوفة في الأبحاث العلمية"².

واصطحاب المستشرق لخلفيته الدينية نابع من إيمانه بها، وولائه لأفكارها وأصولها، ما يتجلى في رفضه لقدسية الإسلام وأنه وحي سماوي، فهو دائم البحث عن الأثر الغربي والأوربي في الفكر الإسلامي ومحاوله إرجاع العلوم العربية إلى الأصول اليونانية، قصد محو لمسة الابداع والاصالة والتجديد التي يتسم بها الإسلام.

¹ محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، تر: عمر فروخ، مكتبة المنار بالكويت، ط7، 1974م، ص 49-51.

² برنارد لويس، العرب في التاريخ، مرجع سابق، ص 63.

ومع النهضة العلمية في أوروبا ظهر توجه علمي جديد: "لم يخلُ من مسابقات فكرية، إن لم تكن دينية فهي فلسفية-عقائدية، أو أفكار أفرزتها أيديولوجيات جديدة... ظهر أولاً نوع من المقاربة بين الإسلام والإصلاح الديني-الاجتماعي، فصورت المسألة الإسلامية (كحدث تاريخي) بأنها حركة مُصلح اجتماعي، سعى إلى تغيير الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتردي لأبناء قومه... واضعا بدلا عنها خطة فكرية، قاعدتها الوحدانية المستمدة من أديان وأفكار سابقة،... إلى البطل الذي امتلك خصائص فريدة... فكانت مسألة إضفاء خصائص البطولة والعبقرية مقدمة لاستفراغ الإسلام من بُعد السماوي، وطرحه كنتاج واقعي لحركة التغيير الاجتماعي التي قادها ذلك البطل"¹.

يقول درمنغهام (E. Dermanghame): "حين اشتعلت الحرب بين الإسلام والمسيحية، ودامت عدة قرون، اشتد النفور بين الفريقين، وأساء كل منهما فهم الآخر، ولكن يجب الاعتراف بأن إساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكثر، فعلى إثر المعارك الفكرية العنيفة التي رموا فيها الإسلام بالمساوي من خلال جدلهم البيزنطي، ودون أن يُتعبوا أنفسهم في دراساتهم، هبَّ الكتاب والشعراء المرتزقة من الغربيين وأخذوا يهاجمون العرب، فلم تكن مهاجمتهم إلا تُهما باطلة بل متناقضة"².
فهذه الخلفية الفكرية لا تكاد تغيب في بحوث المستشرقين، بل كانت الأساس الذي ينطلق منه المستشرق في بحوثه، ثم يقوم بحشد الدلائل والبراهين مما يجده أمامه أثناء البحث. مع أن من أسس المنهجية العلمية الصائبة إبعاد المقررات والأفكار المسبقة عن الموضوع المدروس، للتوصل الى نتائج سليمة في ميدان البحث.

الفرع الثاني: غياب الموضوعية

إن استعمال الموضوعية يستلزم من الباحث التجرد من الهوى وإبعاد الأفكار المسبقة، وإعلان الحقيقة مهما كانت مخالفة لآراء الباحث: "ولا شك أن إلزام الموضوعية والحياد سيؤدي إلى الإقرار بحقائق الإسلام الثابتة وهو الأمر الذي لا يُريده جمهور المستشرقين، ولا تقرّ به غالب المجتمعات التي تحضنهم، ولا ترضى عنه معظم الجهات التي تدعمهم"³.

وقد عمد المستشرقون إلى إلباس بحوثهم ثوب الموضوعية عن طريق: "تزييق الأداة والارتقاء بالخطاب من طابعه المباشر(التجريح والوصف السوقي)، إلى نوع من التورية المنهجية الموحية بالإيجابية

¹ صلاح الجابري، الاستشراق قراءة نقدية، دار الأوائل - دمشق، ط1، 2009، ص 102-103

² إميل درمنغهام، حياة محمد، مرجع سابق، ص 125

³ رياض بن حمد العمري، مرجع سابق، ص 492.

الظاهرية، المستبطنة لمحاولة تفرغ الإسلام من بُعد السماوي، ونزع طابع القدسية عن أصله¹، وفي هذا خضوع للأهواء، ووقوع تحت سلطاتها، وابتعاد عن المنهجية العلمية الرصينة، فيسعون لإثبات ما علق في أنفسهم من أفكار وأهداف سابقة، والتنقيب عما يؤيده، وهذا ما يؤكد قول منتغمري وات: "وإذا حدث أن كانت بعض آراء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائماً محلّصين لمبادئهم العلمية وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية الدقيقة"².

ومن مظاهر غياب الموضوعية في كتابات المستشرقين، اعتمادهم على عدة أدوات منها الفرضيات والتي في حقيقتها هي عبارة عن شبهات صاغوها من خلفياتهم الدينية والفكرية وحسبوا لفظها حتى لا تثير في نفس القارئ أو السامع، أي شك في نزاهة المستشرقين، فأغلبهم يقومون بعرض عدة افتراضات ثم يحاولون التدليل عليها، ومثاله فرضيتهم بأن الإسلام من إنشاء محمد، ثم غاصوا في تراث الإسلام يبحثون عما يؤيد هذه الفكرة وافترضوا لها تبعا لذلك عدة افتراضات حسب مذهب كل مستشرق، فمنهم من ادعى أن محمداً قد اقتبس القرآن من اليهودية والنصرانية ومنهم من قال أنه أخذه من الحنفاء، وآخر ادعى أنه أخذه من بحيرا الراهب، ومنهم من اتهمه بالصرع وبالمرض النفسي، ومستشرق رد هذا الوحي والقرآن إلى الخيال الخلاق والعبقرية التي اتسم بها محمد.. وتفسيرات اقتصادية وأخرى اجتماعية كلها تقوم على فرضيات استشراقية، حاول كل واحد منهم أن يجد لها مخرجا ودليلا لتصدق، ولم يحاولوا النظر أبداً الى الإسلام كدين سماوي كما يقول أتباعه، فأين الموضوعية في هذا؟ كما اعتمدوا على الملاحظة كأداة مهمة في دراسة التاريخ الإسلامي وتطوره، والتي تفسر غالباً تبعا للخلفيات المسبقة عن البحث. وفي هذا عكس للمنهجية العلمية، فهم يقررون النتيجة التي يريدونها مسبقاً ثم يبدؤون بالبحث عن أدلة وإثباتات لها مع عدم تحري ضحة الدليل. وهم يعمدون إلى شرح وتأويل النصوص بما يتوافق ومعتقداتهم الدينية أو اتجاهاتهم الفكرية، أو يقومون باستنباط النتائج الكلية من وقائع وأدلة جزئية، ثم تعميمها وإن اختلفت الأسباب أو البيئات أو الشخصيات. فوجود بعض الكلمات المحدودة غير العربية في القرآن جعلتهم يحكمون بأن القرآن ليس عربياً، وذهبوا إلى حد اختراع العلل لبعض القضايا الإسلامية بمحض التخيل والتحكم.

¹ صلاح الجابري، مرجع سابق، ص 98-99

² مونتغمري وات، محمد في مكة، ص 11.

أما فيما يخص الأدلة فإن كان هناك وقائع ثابتة وأدلة صحيحة عليها، مُخالفة لفرضياتهم تجاهلوها، وعرضوا ما يخدم فكرتهم، وحاولوا ليّ أعناق النصوص وتحريف معانيها أو بترها من سياقها الذي جاءت فيه، لتُحقق أهدافهم وفرضياتهم، أو عمدوا إلى إساءة فهم ما لا يجدون سبيلاً إلى تحريفه، كفعل جولدزيهر في نسبة حديث القرآن على سبعة أحرف أنها قراءة عمر بن الخطاب. وهذا يؤدي إلى تشويه الحقائق، والعرض الناقص للأدلة، والتأويل الخاطيء للأحداث والنصوص. أو وضع النصوص في غير مواضعها، وتحميلها ما لا تطيقه ألفاظها ولا تدل عليه معانيها. ولكي يقنعوا قراءهم بمتانة بحوثهم، وموضوعية مناهجهم، يدسّون بعض السم في العسل، بأن يقوموا بذكر الإيجابيات الحسنة في أمور بسيطة في الإسلام والقرآن وفي رسول الإسلام حتى يظن القارئ والسامع أن منهجهم موضوعي، ثم يقومون ببث بعض الشبهات والطعون بنسبة معينة حتى لا تثير القارئ ضدهم أو تشكك في مصداقيتهم، وبذلك تتمكن تلك الشكوك والشبهات في نفس القارئ.

وهذه التورية غير الموضوعية قد أثارت حتى المستشرقين من بعض أقرانهم، كانتقاد واط للمستشرق لامنس بقوله: "إن طريقته العابثة في معالجة المصادر ليست طريقة علمية، فهو يرفض هذا الرأي ويقبل الآخر حسب أفكاره الخاصة ومعتقداته دون أن يعبأ بالموضوعية، وأن افتراض لامنس الشرير بأن قوة مكة كانت تعتمد على جيش من العبيد السود لا أساس له"¹.

والحديث عن الموضوعية لا ينفي أن هناك دراسات موضوعية علمية جادة من طرف بعض المستشرقين الجادّين، خاصة إذا كانت بعيدة عن الإسلام والقرآن، لكن: "البحث - حتى إذا كان موضوعياً في نهجه- لم يكن موضوعياً في النطاق الذي وضع فيه، ولا في الإطار الذي أثمر فيه"²، فعلاقة الاستشراق بالتنصير والاستعمار شوّهت النظرة إلى علم الاستشراق عموماً.

الفرع الثالث: إثارة الشبهات والمطاعن على الإسلام:

إن أهم سمة يكاد يعرف بها الاستشراق، هي كثرة الطعون الموجهة للإسلام، ودراسته من منظور المنتقص والنائر ضده وضد أفكاره وتعاليمه وحضارته، لا من منظور المحلل الإيجابي، والناقد البناء، فعمدوا إلى الطعن في أصل الإسلام وهو القرآن، وأن محمداً ﷺ ليس بنبي مرسل، وإنما هو مصلح اجتماعي أو اقتصادي... ثم خاضوا في تاريخ الإسلام والسيرة والسنة والتشريع... وطعنوا في

¹ مونتغمري واط، محمد في مكة، مرجع سابق، ص 248

² شكري فيصل، الاستشراق المعاصر من الأزمة إلى تجاوزها مجلة المعرفة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، ع139، سبتمبر، 1973، ص25.

صلاحية الإسلام لأي زمان ومكان، بل جعلوه غريبا في أحكامه، متناقضا في أصوله، مخالفا لما سبقه من الديانات السماوية، "فهم يتطلبون الشذوذ الغريب ابتداء من النظرة الأولى، ولا يحسبون أن التحليل العلمي يتسع لتفسير الإسلاميات وغير الإسلاميات على قاعدة واحدة من قواعد الفهم والتحليل،... وكلهم يخصص الإسلام بمنظار خاص من أول نظرة، ولا يحمل ذلك المنظار نفسه حين يتحول بالنظر إلى سواه"¹. فالديانات الوثنية والبوذية على الرغم من عقائدها وطقوسها الغربية لكن يجد لها المستشرقون تفسيرات منطقية، أما الإسلام في رأيهم فهو غير منطقي ولا واقعي، بالرغم من يسره واثباته لملائمته الفطرة البشرية السوية.

وهم في هذا الإطار يقومون بانتقاء المثالب والأخطاء، ومحاولة تضخيم الأمور والأحداث المليئة بالاختلاف والفتن، وتغطية الحقائق فيها عن القراء، ما ينتج سوء فهم مقصود للحقائق بالرغم من أن "المستشرق يمتلك من الأدوات والمقومات العلمية واللغوية التي تجعل من الصعب التصديق بأنه عاجز عن فهم السياقات المختلفة المرتبط بها النص، ما يعني أنه عمد إلى استقطاع النص من سياقه بشكل يحقق به المستشرق أفكاره وفرضياته المجحفة"²، وهم فوق هذا يواجهون كل من يعرض الأفكار الصادقة والمشرقة عن الإسلام، ويثرون ضده، وينالون منه.

الفرع الرابع: التصور الغربي للقضايا الإسلامية

إن البيئة الغربية التي نشأ فيها المستشرقون لها آثارها الواضحة على الدراسات الاستشراقية، فقد استلهم منها المستشرقون التصورات والقيم الأولى والمناهج العلمية ونظرتهم إلى الآخر، دون مراعاة لطبيعة الشرق وعاداته وأحكامه وتصوراته ومناهجه. كما أن سعة الخارطة الجغرافية المدروسة من المستشرقين، وتنوع العلوم الإسلامية، وقياس المستشرقين البيئة الإسلامية بالبيئة الغربية أدى إلى فهم قاصرة ومحدودة للإسلام، لأنها في حقيقتها تصورات نشأت في بيئة خاصة وظروف خاصة وأدت إلى نتائج خاصة، تعتمد في أصلها على تغليب النزعة المادية والشهوة، وهو ما لا يمكن بالضرورة سحبه على كل المجتمعات والأفكار. من هذه المقاييس التي اعتمدها فصل الدين عن الدولة وحية الناس والمجتمع، فهو في اعتبارهم علاقة روحية خاصة بين الانسان وربه، ليس لها انعكاسات في واقعه. "وهذا

¹ عباس العقاد، ما يقال عن الاسلام، مجموعة الاعداد الكاملة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1974م، ج6، ص 474-475

² أحمد البهنسي، إشكال فهم النص القرآني في الدراسات الاستشراقية، مرجع سابق، ص 48.

المفهوم العلماني إنما هو من منطلق اعتقادهم أن المسيح عليه السلام لم يتدخل في السياسة، وقال - بحسب ما تروييه أناجيلهم -: "أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله" ¹ وقال: "مملكتي ليست من هذا العالم" ². ولهذا يقول أوجست مولر ³ في دراسته عن الإسلام والرسول: "ثم يصدمننا لدى محمد في المدينة على وجه الخصوص أنه قد حوّل الدين إلى السياسة في تزايد مستمر، فقد استعان بالكذب لكي يفرض الحقيقة، وربما كان ذلك في البداية بدون وعي، ثم بنصف وعي، وفي النهاية بوعي كامل" ⁴.

ولأن أساس المناهج العلمية في الغرب قام على رفض أي معرفة قديمة، خاصة الوافدة من الكنيسة، أو أي معرفة غيبية، أو ما قام على الحدس والحرافات والأساطير، فقد ارتكزت مناهجهم على إمكانات العقل البشري، وجعلت حدوده لا متناهية. وأنه قادر على الوصول إلى جميع الحقائق باستنفاد الجهد والبحث عنها. ووضعت كل الثقة فيه وآمنت بذلك. وتأثر المستشرقون بالواقع الفلسفي الأوربي الذي يعيشون فيه، وحاولوا إسقاطه على مجتمع الإسلام، ومن ذلك نجد أن لامانس: "يحدثنا عن مكة والمدينة في عهد الرسول عليه السلام فيعطينا صورة أوربية حديثة، وكأنه يحدثنا عن باريس ولندن، حينما يتحدث في جزيرة العرب عن: الحملة الصحافية، عن المالين في بنك مكة، مليار النقابة القرشية، الضريبة على الدخل، طبقة العمال، إبلاغ الرسالة إلى محل الإقامة، ديوان ذي الجلال، وزارة الله، إلى آخر هذه التعبيرات التي تفسد الصورة ولا تصور الحقيقة" ⁵، وهي مصطلحات حديثة لمفاهيم غربية لم تكن على عهد الرسول عليه السلام، تجعل القارئ يحمل معه التصورات والمفاهيم الحديثة ويطبقها في البيئة الجاهلية، وتنطبع عنده السيرة بطابع ملكي سياسي واقتصادي على أعلى مستوى، ويتكون لديه جوهر الإسلام من لبس هذه المغالطات.

كما تأثروا بنظرتهم للكتاب المقدس، الذي طبقوا عليه منهج النقد التاريخي فتبين لهم تحريفه، فسارعوا إلى تطبيق هذا المنهج على القرآن، وبحثوا في تاريخ تكوُّنه، ليستطيعوا إثبات التحريف على القرآن الكريم، وتدخل الأيدي البشرية فيه. لذلك فسّر نولدكه الحروف المقطعة في أول السور بأحرف

¹ الكتاب المقدس، انجيل متى، 22: 21، وإنجيل مرقس 12: 17، وإنجيل لوقا 20: 25.

² الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا 18: 36.

³ أوجست مولر (Muller, Aug 1848-1892): مستشرق ألماني، علم العربية في جامعة فيينا، من آثاره: دراسات في أصل العربية، امرؤ القيس، الإسلام في الشرق والغرب، ينظر العقيقي، مرجع سابق، ص 710-711

⁴ محمود حمدي زقزوق، الإسلام في تصورات الغرب، مكتبة وهبة - القاهرة، ط1، 1987م، ص 168

⁵ عبد الحلیم محمود، أوربا والإسلام، دار المعارف - مصر، ط4، دت ط، ص 136

رموز لتميز الصحائف المنسوبة للصحابة، ومع تقادم العصور نُسيت في مواضعها وأصبحت تُتلى اليوم كقرآن. كما كان للتفسير المسيحي غلبة على التحليل والعرض، فإميل درمنغهام يقول: "أن تعاليم أهل الكتاب هي التي لفتت نظر سيدنا محمد إلى الكمال الروحي والمثل الأعلى وجعلته يتحنث في الغار وهذا كذب صراح"¹.

ولثقتهم العمياء في المناهج العقلية التي أسسوها من منطلقاتهم العلمية والفكرية، حاولوا إسقاطها على الظواهر الفكرية والإنسانية الإسلامية، وفسروا بها الأحداث والوقائع، بمنهج متجرد لا يُراعى فيه دوافع النفس وتأثيرها وتفاعلها مع مجتمعها وواقعها. كما أنه يضع موازين مغايرة لموازن الإسلام وطبيعته، ليقع المُطَّلَع على تعاليمه في مفارقة عقلية وهمية بين الإسلام وتلك الموازين، التي وضعت أساساً منهجياً في دراسته وأضفى عليها صفة الموضوعية، ثم يعمدون إلى تصحيح الأفكار الإسلامية كونها تتناقى مع أسسهم المنطقية أو العلمية، لبناء فكر إسلامي مستقيم فيساعدون بذلك -حسب نظرهم- في نهضة المسلمين عبر الدعوة إلى التخلي عن الإسلام الذي هو سبب تخلفهم، لأنه إنتاج بشري مبادئه سياسية ومادية، ورداءه ديني غيبي.

الفرع الخامس: دراسة الإسلام من غير مصادره المعتمدة

استند المستشرقون إلى مصادر متنوعة في دراستهم حول الإسلام وحضارته وعلومه وتاريخه، وانتقاء المصادر كان له أثره في كتاباتهم، لأنها كانت مصدراً للأدلة التي يستشهدون بها، وطريقهم للتحليل والمقارنة والاستنتاج، واستخدامهم للمصادر كان يختلف من مستشرق إلى آخر "بحسب اهتمامات المستشرق، ومدى إجادته للغة المصادر الأصلية، وكذلك سعة اطلاعه، وتوفر المصادر بالنسبة إليه"².

والمستشرقون يعتمدون على كل ما ورد في أي كتاب وصلوا إليه عن الحضارة الإسلامية، من أحاديث وتفاسير وكتب الفرق، ويستعينون بالأمثال الشعبية والقصص التراثي، حتى أنهم يستدلون بما شاع من أفكار وأقوال عن الإسلام في العصور الوسطى، من غير تصفية وتحري لصحتها وثبوتها. ضف إلى ذلك أنهم يقومون بردّ المصادر إن كانت لا توافق ما يصبون إليه. كما أنهم يستشهدون بالكتب المطعون فيها عند المسلمين، مع التشدد في إقصاء المصادر الإسلامية الأصلية، والتي هي عمدة في

¹ أنور الجندي، الاستشراق، دار الاعتصام، دط، 1983م، ص 14

² رياض العمري، مناخ المستشرقين، مرجع سابق، ص 338.

بإها عند المسلمين، كالقرآن الكريم والصحيحين، وكتب السنة والسير. فهم ينقلون الآراء من كتب الأدب والسير، ويستدلون بالأحاديث من كتب التاريخ والقصص... وعملوا على التشكيك ونفي الروايات أو قبول روايات أخرى قد تكون ضعيفة أو شاذة بدون مبررات. كما رفضوا الكثير من آراء علماء المسلمين وطعنوا فيهم، واعتمدوا أقوالا باطلة ردّها علماء المسلمين ذكروها في كتبهم وردوها، فتمت نسبة هذه الأقوال على أنها آراءهم. وجعل المستشرقون واقع المسلمين اليوم كمصدر يستدلون به على الانحطاط والتخلف الذي يدعو إليه الإسلام.

هذه الأفكار والمبادئ في البحث تعاون المستشرقون على ترويجها، بالنقل عن بعضهم البعض واعتبار كبار المستشرقين مصادر موثوقة للأخذ عنهم. "فقد درجوا على اللجوء إلى كتابات من سبقوهم من زملائهم وكأنهم "المصادر الاصلية" معتمدين على التوجيه الكنسي الذي يستوحون منه أفكار مسبقة، ويتصيّدون الأدلة لإثباتها من واقع التاريخ في غير ما اكرتات لصحتها"¹. فإن اختيار مواضيع وأفكار مثيرة في الإسلام خطوة مهمة في مجال البحث الاستشراقي، ثم يقومون بعرضها بتلقائية في دراساتهم حتى تبدو حقائق وترسخ في الأذهان، ومن ثمّ ينشغل المسلمون بالردّ عنها ويتعدوا عن الرد على اليهودية والنصرانية، ومن هذه المواضيع إشاعة فكرة أن الإسلام دين السيف، تعدد الزوجات والحط من مكانة المرأة في الإسلام...

الفرع السادس: عجز المستشرق عن تمثل الثقافة واللغة

مما يميّز الدراسات الاستشراقية عن دراسات مقارنة الأديان، هو اهتمام المستشرقين باللغات خاصة السامية منها وتعلّم اللغة العربية في هذا الإطار، وإن غاب عنهم التذوق الفني والاحساس البلاغي لكلماتها وعباراتها. والذي لا يُحصّله إلا من عاش معها دهرًا، شعرا ونثرا، كتابة وقراءة. وما يميّز به المستشرقون هو سعة اطلاعهم وثقافتهم المتنوعة في العديد من العلوم، واستثمارها في دراساتهم الاستشراقية، مع البراعة في مجال معين كالأدب أو التاريخ أو التحقيق والفهرسة، فقد حقّقوا أعمالا جليلة للتراث الإسلامي لا يمكن إنكارها، خاصة إذا علمنا أن بعض المستشرقين ينفق ربع حياته وجلّ أمواله، في عمل يخص حضارة غير حضارته، ولغة غريبة عنه، وفكرا مختلفا في الآراء والعادات والدين،

¹ عبد الحليم عويس، الغزو الثقافي في مجال التاريخي، مجلة المسلم المعاصر، ع47، ص63.

من أمثال المستشرق بيتنر¹ الذي كان يتقن إحدى وخمسين لغة ولهجة². وهذا قلما تجده عند الدارسين المسلمين أنفسهم.

لكن من السمات الواضحة في البحث الاستشراقي، هو عجز المستشرق على تمثل اللغة والثقافة التي يدرسها، كونه نشأ في بيئة مغايرة لها وتتحدث بلغة مختلفة تُعد من أصعب اللغات، وأغناها ألفاظاً وتعبيرات، وأغلبهم تَمَرَّسَهَا عبر مستشرقين أمثاله، أو كان عصامياً في تعلّمها وغاب عنهم تمثل دقة ألفاظها وبلاغة عباراتها، وأسرار تراكيبها وسياقاتها. ضف إلى ذلك غياب الإحاطة بثقافة وآداب الآخر، وعدم استيعاب طريقة حياتهم ومنهجية تفكيرهم، هذه العُربة اللغوية والثقافية أثرت في انتاجهم العلمي نظراً للمفاهيم الخاطئة التي صاحبت تأويلاتهم واستدلالاتهم.

وكانت الترجمة وسيلتهم لدراسة الآخر، لكنها كانت حرفية بعيدة عن التأثيرات البلاغية والأساليب الجمالية التي جاء بها القرآن الكريم، وما حفلت به اللغة العربية، وعجزت الترجمة عن الوصف الدقيق الذي قد لا يتوفر في اللغات الأخرى. وفي هذا يقول كارليل³ في كتابه الأبطال: "لا عجب إن قلت أنّ الأوربي يجد في قراءة القرآن أكبر عناء فهو يقرؤه كما يقرأ الجرائد، لا يزال يقطع في صفحاتها ففزا من القول الممل المتعب ويحمل على ذهنه هضاباً وجبالاً من الكلم، لكي يعثر خلال ذلك على كلمة مفيدة، أما العرب فيرونه على عكس ذلك"⁴. وهو عامل مهم يجب مراعاته لكل من أراد دراسة القرآن الكريم، فإعجاز القرآن الكريم لا يدركه إلا من امتلك الأداة وهي اللغة العربية. وهو ما يشهد به أربري أحد مترجمي القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية بأن القرآن: "كامل النظم وغني برواياته الدقيقة وأوزانه المتقدمة، التي بلغت مرحلة الكمال، ولهذا فإن كمية الموضوعات والصور والرؤى كانت شاملة"⁵.

¹ بيتنر M. Bittner (1866-1918): عيّن أستاذاً للعربية بجامعة فيينا وفي المجمع الشرقي من آثاره: قواعد ثلاث

عشرة لغة، فضل اللغة العربية على التركية والفارسية... ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 635

² ينظر: العقيلي مرجع سابق، ص 635. وجابر قميحة، مرجع سابق، ص 20.

³ توماس كارليل (1795-1881): من آثاره الأبطال 1840، والثورة الفرنسية.

⁴ توماس كارليل، الأبطال وعبادة البطولة، تر: محمد السباعي، المطبعة المصرية بالزهر - مصر، ط3، 1930م، ص 83-84

⁵ أربري الترجمة الانجليزية للقرآن (المقدمة)، ص 11، نقلاً عن علم الدين: مقرر مادة الاستشراق للسنة الرابعة، كلية الامام الاوزاعي، الدراسات الاسلامية، جامعة الجنان بيروت.

ومن الأخطاء التي وقعوا فيها قياسهم التراكيب العربية بقريبتها في اللغة الإنجليزية، ما جعلهم يترجمون النصوص بشكل حرفي فغابت البلاغة، ودلالات السياق وروعة الصور البيانية. من ذلك مع قاله مونتغمري واط في تفسيره لآية الغض من البصر، فجعل معناها التواضع فقال: "وقد نزلت آيات أخرى تدعو المؤمنات للتواضع"¹، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ النور: ٣١، وما وقع فيه براجشتراسر في تحقيق كتاب شواذ القراءات لابن خالويه، حيث صحف كلمة أبي عمرو بن العلاء (فقد تربع في لحنه) وجعلها (فقد تربع في الجنة) مع أن المقام مقام ذم.

الفرع السابع: عدم تخصص المستشرقين في علم الاستشراق

يغلب على كُتَّاب الدراسات الاستشراقية عدم التخصص العميق في ميدان الاستشراق، فهم في الحقيقة باحثون انطلقوا كل في مجاله، وبعموم البحث يصلون إلى الاستشراق، فأغلبهم انطلق من التاريخ العام، أو تاريخ اللغة أو الأدب أو الفقه، ثم يصلون إلى الاستشراق وينهجون منهجه، وهو ما يؤكد المستشرقون أنفسهم، حيث يقول برنارد لويس: "فالمستشرق الكلاسيكي كان قد تربى في أحضان علم اللاهوت والفيلولوجيا وأحيانا علم التاريخ. وفجأة راحوا يطلبون منه أن يتحمل مسؤولية السياسة الحديثة والاقتصاد والمجتمع. وقبِل المستشرق بذلك طوعا أو كرها، وراح يتدخل في كل شيء ويناقش كل شيء من المعلقة الجاهلية إلى الصناعة البترولية والبنك الحديث. وكان يتحدث عن كل ذلك بالهيبية العلمية نفسها، ولكن ليس بالكفاءة نفسها للأسف"².

وهو اعتراف ضمني بمدى السطحية التي تشوب الدراسات الاستشراقية فهم لم يحاولوا الغوص في أعماق الحضارة الإسلامية بالرغم من أنهم شملوا موضوعات متنوعة منها وخاضوا في مجالات متعددة عبر تاريخها، لكن كانت سطحية بالنسبة لجوهر الحضارة نفسها، كما أنها لم تحاول إيجاد حلول واقعية للمشاكل المستعصية في العالم الإسلامي، بل كانت تخدم المستفيد منها، وتزيد من تأزم الأوضاع الاجتماعية والسياسية، بفرضها النمط الغربي الذي لا يتماشى والثقافة والفكر الإسلامي.

الفرع الثامن: النظرة المركزية الغربية

غالبا ما يعتمد المستشرقون إلى الطعن والانتقاص من كتابات المسلمين حول تاريخهم وحضارتهم، والإعراض عن الاطلاع على مؤلفاتهم، أو تجاهلهم المقصود لمصادر المعرفة عند المسلمين

¹ مونتغمري واط، محمد في المدينة، مرجع سابق، ص 277.

² برنارد لويس، حالة الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط، في الاستشراق بين دعائه ومعارضيه، ص 139 نقلا من:

عبد النبي اصطيف، مرجع سابق، ص 51

"وعلى الرغم من أن بعض منتجي هذه المعرفة من الخارجيين يعتذرون عن تجاهلهم المقصود أحيانا لما ينتجه الداخليون بصعوبة الحصول على المراجع الشرقية، أو بتدني مستواها (مما يعكس النظرية العنصرية المحكومة بعقدة التفوق)، أو تخلف مناهجها وغير ذلك، فإن معظمهم ينظر باستخفاف إلى ما يكتبه الداخليون حتى عندما يكون ذلك متيسرا بلغة أجنبية"¹. كما أنهم في الغالب لا يحاولون الكتابة باللغة العربية وإن كانوا يجيدونها، لأنها - في نظرهم - ليست لغة العلم والتطور.

فحقيقة الاستشراق تكمن في النظرة الدونية التي تصاحب كتابات المستشرقين لكل ما ينتج أو يصدر من الشرق، هذه الدونية تضع الشرق في مصاف الدول الضعيفة وتمنح الغرب حق الهيمنة والتسلط عليه رفعا لمستواه، وإنقاذا له من الجهل والعادات البالية في نظرهم. وهذه النظرة العنصرية في "التمييز المتأصل بين التفوق الغربي والدونية الشرقية"² يعتبرها ادوارد سعيد هي جوهر الاستشراق.

ويُعزز هذه الفكرة لدى المستشرق شعوره بالقدرة على فهم الآخر³، ذلك أن الشرقي غير قادر على فهم نفسه وتاريخه، لنقص الثقة في أدواته ومنهجه وحتى الثقة بنفسه التي تكفل له النقد الذاتي، لكونه يمتلك قلبا عاطفيا لا ينظر إلى الأمور بكلية، وعقلا جبانا وضعيفا غير قادر على التخلص من الموروث الديني والثقافي والاجتماعي الذي يحكمه. أما الغربي فهو الوحيد القادر على تحليل ونقد الفكر الشرقي ثم إعادة بناءه وتصنيع أفكاره حسب ما يتطلبه البحث والفكر الانساني، وذلك وفق المنهجية الغربية، لذا تركزت جهود المستشرقون على دراسة كيف يجب أن يكون الإسلام وليس ما هو كائن، تعبيرا عن مبادئهم ومجاراته لمقاييسهم وأفكارهم.

وعلى هذا فإن الاستشراق يبدو كخطاب "يُخفي المركزية ليرتفع ويُسجّل لنفسه مساحة وثبوتا وتفوقا، وهو نُزوع خفي يُحقق السيادة حتى من دون ظهور مباشر، لكن هذا الأداء لا يتحقق إلا بعد الإيحاء المستمر بأنه عمل علمي محايد ذا منهج رصين"⁴. ويورد ادوارد سعيد قول المستشرق كرومر في معرض المقارنة بين العقل العربي والعقل الغربي حيث يقول كرومر: "قال لي سير ألفرد لايل مرة، إن المبدأ الأساسي والافتقار إلى الدقة الذي يتحلل بسهولة ليصبح انعداما للحقيقة هو في الواقع الخبيصة

¹ عبد النبي اصطياف، مرجع سابق، ص 53

² ادوارد سعيد، مرجع سابق، ص 100

³ تودوروف، فتح أمريكا، مسألة الآخر، تر: بشير السباعي، سبنا للنشر، القاهرة، ط 1، 1992م، ص 259

⁴ فارس عزيز المدرس، زاهدة محمد الشيخ، الاستشراق قراءة في المنهج وقصدية الخطاب، مجلة أداب الرافدين،

ع 60، 2011م، ص 10

الرئيسية للعقل الشرقي، والأوربي ذو محاكمة عقلية دقيقة وتقريرية للحقائق خالٍ من أي التباس، وهو منطقي مطبوع رغم أنه قد لا يكون درس المنطق، وهو بطبعه شاكّ يتطلب البرهان قبل أن يستطيع قبول حقيقة أيّ مقولة، ويعمل ذكاءه المدرب مثل آلة ميكانيكية. أما عقل الشرقي فهو على النقيض، مثل مدنه الجميلة صوريا، يفتقر بشكل بارز إلى التناظر. ومحاكمه العقلية من طبيعة مهلهلة إلى أقصى درجة. ورغم أن العرب القدماء قد اكتسبوا بدرجة أعلى نسبيًا علم الجدلية (الديالكتيك) فإن أحفادهم يعانون بشكل لا مثيل له من ضعف ملكة المنطق، وغالبا ما يعجزون عن استخراج أكثر الاستنتاجات وضوحا من أبسط المقدمات، وهم مجبولون على حب الإطراء الباذخ... وهم عريقون في الكذب، وكسالى وسيئو الظن، وهم في كل شيء على طرف نقيض من العرق الأنجلو-ساكسوني في وضوحه ومباشرة ونبله¹. وهذا نصّ صريح يلخص نظرة الآخر للشرقي، ويكشف أصول الرؤية الاستشراقية والخلفية التي تنطلق منها دراساتهم وأبحاثهم.

هذه أهم السمات المشتركة والعامّة التي تميّزت بها الكتابات الاستشراقية الخاصة بالإسلام، ويظهر من خلالها كثرة كتاباتهم وتميزها بالاتساق والتكامل كالبناء المتراس، فكل مستشرق يبني على كتابات أسلافه، ويضيف عليها كما أنها متنوعة ومتمايزة، ونظرا لتداخل الاستشراق مع باقي العلوم، وتطور المناهج العلمية، بالإضافة إلى طول المدى الزمني والحيز المكاني للحضارة الإسلامية وعمق الدراسات الإسلامية وراثتها، فإنه من الصعب الإحاطة بكل المناهج التي استخدمها المستشرقون في دراساتهم والآليات التي اتبعوها، وإجمال سمات أعمالهم وبحوثهم، لكن مع تطور المناهج العلمية وتفرغ المسلمين في الغرب للدعوة والردّ على الشبهات، بدأت تقل حدة هذه الكتابات، وكثرت نوعا ما الكتابات المنصفة للإسلام، لكن الأهداف والمناهج ما زالت نفسها وإن تغيرت تسمياتها.

المطلب الخامس: موقف المسلمين من المنهجية الاستشراقية

قدم المستشرقون للحضارة الإسلامية خدمة كبيرة ودراسات جيدة خاصة ما كان بعيدا عن دراسة الإسلام وأصوله، وما كان مختصا بعلم التحقيق وإخراج التراث، فإتقان "المستشرقين للعديد من اللغات السامية والآرية القديمة منها والحديثة، ساعدهم على فحص النصوص القديمة والنقوش المطمورة، والآثار الدفينة، ففسّروها وحلّلوها وترجموها ووصلوا بها إلى نتائج علمية في غاية الدقة والأهمية. واستخدم

¹ ادوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، ص 69-70

المستشرقون قانوني المطابقة والمقابلة، ومنهج النقد الباطني والخارجي للنصوص، في تحقيق المخطوطات العربية، والتثبت من صحتها، وصحة نسبتها إلى أصحابها، وكانت نتائجها عظيمة في هذا الميدان¹.

وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها فجهد المستشرقين في إخراج التراث العربي وفحصه جهد قيم بالرغم مما شابهه من الأخطاء التأويلية والافتراضية والاستنتاجية، كما أنه يُشهد لبعض المستشرقين إفاءة حياته في بحث ودراسة الحضارة الإسلامية - وإن تباينت أهدافهم - كما كانوا سببا في فتح الباب واسعا لانتشار الدراسات العربية والإسلامية في الغرب والتعريف بالحضارة الإسلامية، وإن كان هدفهم في الحقيقة النيل منها وانتقاصها، لكنه أثمر جذب الاهتمام لهذا الدين وإثارة الفضول للاطلاع عليه.

أما في مجال دراسة القرآن والإسلام فقد قاموا بتطبيق المناهج الغربية على الفكر الإسلامي، وتوصلوا في أغلبها إلى نتائج مغايرة ومخالفة لما شاع في التراث الإسلامي، ما أثار حفيظة أغلب المفكرين المسلمين فرفضوا هذه النتائج، بينما رأى فيها لفيء من المفكرين تحديثا لنظام الفكر الإسلامي على أسس غربية، وتباينت آراء المفكرين المسلمين حول علم الاستشراق، من منطلق المنهجية التي يعتمدها. فمنهم من اشترط لدراسة الإسلام أن يلتزم الباحث في فكر الإسلام بالمناهج التي وضعها الباحثون المسلمون والتي تراعي في أسسها الروح العامة له، وتستند في أصولها إلى قواعده ومصادره وهي مناهج شاملة لأحكامه ومراعية لمتطلبات كل عصر وثابتة في أصولها ومبادئها، تنطلق من الكليات لتحتوي الجزئيات فلا تُفصل قضية عن أخرى بل هي مترابطة في نفسها، متكاملة مع أبعاد الفكر الانساني، ومراعية للواقع المرتبطة به، ما جعل نتائج هذه البحوث والدراسات متوافقة مع حقيقة الإسلام، وفي هذا يقول ساسي الحاج: "أما الإسلام فإنه لا يصلح لدراسته إلا منهج شامل متكامل يجري على الأبعاد المختلفة للفكر الإنساني الذي تمثلته واستوعبه وصاغه بأسلوب جديد، وحوّله إلى فكر إسلامي خالص لا علاقة للمؤثرات الخارجية عليه"².

أما بعض المفكرين المسلمين فاشترط أن يُدرس الإسلام من طرف معتنقيه فقط، كونه يتطلب الانطلاق من قاعدة الايمان التي هي أساس كل المناهج العلمية في الإسلام، أو أن يقوم بدراسته غير المسلمين لكن بأخذ مناهج المسلمين وقواعدهم وأصولهم، وإسقاطها على أحكامه وفكره ونظم الحياة فيه. لأن انكار المستشرقين للغيبات الإسلامية جعله سببا في أخطائهم التحليلية والتفسيرية للكثير من

¹ ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ص 163

² المرجع السابق، ج1، ص222.

الأمر والحوادث الإسلامية، فالغيبات خارجة عن إطار العقل وتصوراتها ولا تخضع للمناهج العلمية ونظرياتها، وفي نفس الوقت لا يمكن إهمالها أو تعطيلها لتغلغلها في الواقع الإنساني والفكر الإسلامي. وفي المقابل قبلت فئة أخرى من المسلمين أعمال المستشرقين، خاصة تلامذتهم الذين درسوا على أيديهم من الشرقيين، فاتبعوا مناهجهم وأصلوا لها، فامتدحوا أعمالهم وتوافقوا على نتائجهم وبنوا عليها، وحاولوا تطوير هذه المناهج أو التديل على صلاحيتها لدراسة القرآن الكريم. "ولقد نجحت العقلية الأوروبية الاستشراقية، في فرض شكليتها وآليتها على التحقيق، والتقويم، والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي... وانتهت إلى إيجاد ركائز عربية معبرة عنها، ومتبينة لوجهة نظرها، ومدافعة عن المواقع الثقافية التي احتلتها."¹، وبعد الإعلان الرسمي لانهاء الاستشراق في مؤتمر الأخير، أصبح الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية تحت مجهر الحداثيين، الذين سلكوا طريق المستشرقين وتسلحوا بأدواتهم ومناهجهم ليكملوا طريق آباءهم المستشرقين، في تحقيق ما لم يصله المستشرقون بالأمس.

وعلى الطرف الآخر يرفض المستشرقون دراسات المسلمين لتاريخهم وحضارتهم، بالتحجج بأن العقل المسلم واقع تحت سلطة الموروث الديني وتقديس الوحي، وهذا يخالف في نظرهم الرؤية الموضوعية والتجرد من الهوى والأفكار المسبقة، كما أنهم حاولوا تلافي المعضلات التي وجدوها من صعوبة اللغة ومشاق السفر، والإحاطة بثقافة ومفاهيم البيئة الإسلامية، والنظرة العدائية لهم من طرف المسلمين، فقاموا بغرس مبادئهم وأفكارهم في أوساط طلابهم والمتقنين العرب المنبهرين بالحضارة الغربية، والذين يعانون تشتتاً فكرياً ودينياً، ما أنتج كتابات استشراقية بأيادي إسلامية. وهم من اعتبرهم العلماء المسلمون عملاء للاستشراق.

وتراعي عائشة عبد الرحمن تعصب المستشرقين للدفاع عن آرائهم ونشر دينهم، لكنها تعيب عليهم تحميل البحث العلمي عبء أهوائهم واستقراءاتهم الناقصة واستدلالتهم الواهية، حيث تقول: "وليس عليهم بأس في أن يقولوا فينا ما يقولون، متى كانت أقوالهم معبرة عن رأي لهم أو صدى لاستهوائهم بما راج في بيئاتهم من أقاويل عتاً، لكن البأس كل البأس أن يحمل البحث العلمي وزر هذه الأهواء فتخرج بحوث لهم مشحونة بأباطيل يزعمون أنها مما هدى إليه استقراءهم لتراثنا، ويفرضون له

¹ عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - قطر، ط1، 1411هـ، ع 27، ص14

حرمة علمية حين يسوقون شواهد من نصوص في التراث انحرف بها الهوى والتعصب، فضلوا ضلالاً بعيداً¹.

إن النظرة العامة للمسلمين تجاه دراسات المستشرقين نظرة انتقاص بسبب البدايات المشبوهة للاستشراق فهي المقدمات الأولى التي تبني عليها النتائج والإطار الأولي لتحقيق غاياته. ولأن بداياته الأولى كانت في حضان الكنيسة وتحت اشرافها، وصف الشيخ محمد الغزالي الاستشراق بقوله: "إن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد. وجمهرة المستشرقين مستأجرين لإهانة الإسلام وتشويهه محاسنه والافتراء عليه"². كما كان الاستشراق هو المحرك الفكري للاستعمار والمستشار الاقتصادي للدول الغربية، ما عزز شحنه العدوانية التاريخية ضد الإسلام، فالاستشراق "متهم في بداياته، مستثمر في النهايات التي يصل إليها، مشوب بالكثير فيما يصل بين هذه البدايات والنهايات"³.

وعموماً إنَّ النظرة المرتابة من الاستشراق لها ما يفسرها من جانب المسلمين، وحقيقة المنهجية العلمية التي يعتمدها الغرب لها أيضاً ما يفسرها، فعدم الثقة في الكتاب المقدس إزاء النتائج التي ظهرت بعد دراسته، والسيطرة الكنسية على الانسان و فكره، مع الاضطهاد الديني وعصور الظلام الوسطى عوامل كلها ساهمت في صناعة المنهجية الغربية تجاه الدين، جعلتهم يشككون في أي حقيقة، ويرفضون التسليم بها من دون دراسة وتمحيص، لكن مع هذا لا يحق لهم إنكار الحقائق الساطعة وتجاوز المنهجية العلمية واتباع الهوى والخلفيات، واستغلال الصراع الدائم بين الإسلام وغيره، ثم الحديث عن الموضوعية والتحلي بالأمانة العلمية وإلباس الاستشراق ثوب العلم.

¹ عائشة عبد الرحمن، تراثنا بين ماضي وحاضر، دار المعارف- القاهرة، 1968م، دط، ص 53.

² محمد الغزالي. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. نهضة مصر- القاهرة، دط، ص 3.

³ شكري فيصل، مرجع سابق، ص 26

الفصل الأول: مفاهيم عامة حول مصطلحات

الدراسة

المبحث الأول: القصص القرآني

- المطلب الأول: مفهوم القصص القرآني وأنواعه
- المطلب الثاني: أهداف القصص القرآني وخصائصه.
- المطلب الثالث: منهج القرآن في عرض القصة
- المطلب الرابع: شبهات عامة حول القصص القرآني

المبحث الثاني: موجز دائرة المعارف الإسلامية

- مدخل تمهيدي: نظرة عامة عن دوائر المعارف
- المطلب الأول: التعريف بدائرة المعارف الإسلامية وخصائصها
- المطلب الثاني: إصدارات الدائرة وترجمتها العربية
- المطلب الثالث: منهج كتابة موجز الدائرة وأبرز محرريها
- المطلب الرابع: موقف العلماء من الدائرة

تمهيد

يعد موضوع القصص القرآني من المواضيع التي حازت جانبا كبيرا من آيات القرآن الكريم، لأهميتها الكبيرة في مجال الفكر والتاريخ وتأثيرها العميق في مجال الاهتداء، كما أنّها من وسائل كشف التاريخ واستلهام العبر والحكم، واستخلاص السنن الإلهية، وتفرد القرآن الكريم بمنهجية تخدم هذه المقاصد، وتناهى عن كل ما يبعتها عن ذلك.

وقد كانت دائرة المعارف الاسلامية من أبرز الانجازات الاستشراقية في هذا العصر لتكامل جهود المستشرقين في إخراجها، وحجم الوقت الذي استغرقه إعدادها، والمواضيع التي زخرت بها، ما جعل لها قيمة كبيرة في المكتبات العالمية، وأصبحت مصدرا رسميا للمعلومات والبحوث، فقد رسمت الفكرة الأولى لمن أراد الاطلاع على الاسلام وحضارته، هذا المكانة الكبيرة لها في عالم المكتبات، أوجبت على المسلمين ترجمتها وكشف الأخطاء المتعلقة بالإسلام وتاريخه وعقائده لبيان الصورة الحقيقية له، كما عمل المترجمون على مواكبة إصدارات دائرة المعارف الإسلامية المتجددة في نسختها الإنجليزية، وإن كان بينهما زمن يسير، وكان آخر ترجمة لها (موجز الدائرة) الذي حفل بالمواد الأساسية في تاريخ الحضارة الاسلامية، والذي اختارت هذه الدراسة تسليط الضوء فيه على مواد القصص القرآني وتبئين صورتها في كتابات مؤلفي الدائرة، ودراسة أهم الأفكار التي يطرحونها في هذه المواد.

إن تناول القصص القرآني في موجز دائرة المعارف الاسلامية يحتم أولا الانطلاق من تصور واضح للإطار المعرفي للدراسة وذلك بتحديد المفاهيم والمصطلحات الأساسية المرتبطة بموضوع الدراسة، من خلال التعرف على مفهوم القصص القرآني وبعض القضايا المتعلقة به، والتي تخدم أساس هذه الدراسة، وكذا الاطلاع على المحتوى العام للدائرة وتطورها ومنهجيتها وأهم مؤلفيها، ليسهل البحث فيها عن محتوى القصص فيها وتحديد الرؤية الاستشراقية حوله.

المبحث الأول: القصص القرآني

عمل القرآن على إيصال رسالته العالمية بشتى الوسائل والأساليب مراعيًا في ذلك جمهور المخاطبين بمستوياتهم، ومن بين أكثر الوسائل الدعوية التي استثمرها القرآن الكريم القصص نظراً لخصائصها التي تمزج العاطفة بالإقناع العقلي، وتشوق النفس وتؤثر في الطباع بخفة ومرونة، وسجل فيها القرآن الكريم محطات متنوعة من تاريخ الأنبياء والصالحين مع أقوامهم، وجعلها دليلاً للتفكير والاعتبار، وسلاحاً للثبات وتقوية الإيمان، وعلامات من سنن الله في الأمم، ولهذا حث القرآن الكريم الناس للسير في الأرض والنظر في آثار وديار الأقسام السابقة للاتعاظ وأخذ العبرة.

وقد حاول الباحثون والعلماء على مرّ العصور استشفاف هدايات هذا القصص القرآني، وبيان سماته وخصائصه، واستثماره في الدعوة إلى الله، وكذا ردّ الشبهات عنه والافتراءات التي مسته، لاشتباهه بالأساطير الخرافية وحكايات الأمم المجاورة، ما جعله يتميز بمفهومه وأهدافه لسمو غاياته. فما هو مفهوم القصص القرآني وماهي أنواعه وأهدافه وخصائصه؟ وماهي أهم الشبهات المثارة حوله؟

المطلب الأول: مفهوم القصص القرآني وأنواعه

الفرع الأول مفهوم القصص القرآني

أ. لغة: قال ابن فارس في مقاييس اللغة في مادة قص: "القاف والصاد أصل صحيح يدلّ على تتبّع الشّيء. من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعتّه. ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنّه يُفعل به مثل فعله بالأول، فكأنّه اقتصّ أثره. ومن الباب القصة والقصاص، كلّ ذلك يُتّبَع فيذكر. وأمّا الصّدر فهو القصّ، وهو عندنا قياس الباب، لأنّه متساوي العظام، كأنّ كلّ عظم منها يُتّبَع للآخر"¹

وجاء في الصحاح: "قصّ أثره، أي تتبعه. قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ الكهف: ٦٤، كذلك اقتص أثره، وتقصص أثره. والقصة: الامر والحديث. وقد اقتصصت

¹ مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج 5، ص 7

الحديث: رويته على وجهه. وقد قص عليه الخبر قصصا. والاسم أيضا القصص بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب¹. وذكر ابن منظور في لسان العرب: القَصُّ فعل القاصِّ إذا قَصَّ القِصَصَ والقِصَّةَ معروفة ويقال في رأسه قِصَّةٌ يعني الجملة من الكلام ... والقَصَصُ الخبرُ المقصوص... وتَقَصَّصَ كلامه حَفِظَهُ وتَقَصَّصَ الخبرَ تَتَبَّعَهُ... والقَصُّ البيان والقَصَصُ بالفتح الاسم والقاصُّ الذي يأتي بالقِصَّة على وجهها كأنه يَتَتَبَعُ معانيها وألفاظها... وقيل القاصُّ يُقْصُ القِصَصَ لِإِتِّبَاعِهِ خبراً بعد خبر وسَوِّقَهُ الكلامَ سوقاً².

كما جاء في الفروق اللغوية: "أن القصص ما كان طويلا من الأحاديث متحدثا به عن سلف ... وسمي الخبر الطويل قصصا لان بعضه يتبع بعضها حتى يطول وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص ... ويجوز أن يقال القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضا ... وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره، وسميت قصة لأنها يتبع بعضها بعضا حتى تحتوي على جميع أمره"³. ومنه قولهم: قص الشيء قطعه من باب رد⁴.

فالقصة في اللغة جاءت على عدة معاني هي: اتباع الأثر، الأمر والحديث، البيان، الإعلام والإخبار، الحفظ والقطع.

فالقاص هدفه إعلام وإخبار السامع عن أمور وحوادث، متتبعاً آثارها وتفصيلها بما يحفظه عنها، وأسلوبه البيان والتوضيح لجزئياتها، بروايتها على وجهها، فيقطع بصحتها. ومن هذا المعنى اللغوي يمكن القول والاستدلال: أن معنى القصة في أصل اللغة العربية هو الحقيقة الواقعة المقطوع بصدقها⁵

ب. في الاصطلاح:

اختلف الباحثون في وضع تعريف ثابت للقصة فمنهم من عرفها بقوله:

¹ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م، ج5، ص196.

² لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، ج7، ص73.

³ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة ص42.

⁴ الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق، ج3، ص538.

⁵ عبد الباسط بلبول، القصص القرآني، رسالة دكتوراه غير منشورة، بجامعة الأزهر-القاهرة، ص35.

- "هي وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة، أو عددا من الحوادث بينها ترابط سردي ويجب أن تكون لها بداية ونهاية"¹.

- ويعرفها محمد يوسف نجم القصة بقوله: "مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض. ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثير والتأثير"².

- ويعرفها الشيخ ابن عثيمين: "هي الإخبار عن قضية ذات مراحل، يتبع بعضها بعضاً"³.

- أما محمد حجازي فينطلق من التعريف اللغوي ليعرّف القصة بقوله: «فلاشتقاق اللغوي للقصة يفيد أنها كشف عن آثار مضت وتنقيب عن أحداث نسيها الناس، أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد من ذلك، هو إعادة عرضها من جديد، لتذكير الناس بها، ولفتهم إليها لتكون العبرة والعظة»⁴. وهو في هذا يشير الى الواقعية في القصة، حيث أنها أحداث منسية، كما يحدد هدفها بالتذكير والعبرة. ويؤكد عمر سليمان الأشقر تميز أسلوب القصة اللغوي وأهمية المقصد في عرضها. لذا فهو يرى أنّ القصة هي: " فن حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب لغوي ينتهي إلى غرض مقصود"⁵.

وللقصة عدة تعريفات لا يمكن حصرها هنا، ذلك للتنوع الثقافي العالمي في كتابة القصة، واتساع مجالات القصة وأهدافها. لذا سيتم التركيز على التعريف الاصطلاحي للقصة القرآنية والتي هي موضوع الدراسة، فالقصة القرآنية تختلف عن القصة البشرية هدفا ومضمونا وشكلا وأسلوبا

ج- مفهوم القصة القرآنية

ذكر العلماء عدة تعاريف للقصص القرآني منها:

¹ محمد كامل حسن، القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية - الكويت، ط1، دت ط، ص 9.

² محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة-بيروت، ط7، 1979م، ص 9.

³ محمد بن صالح ابن عثيمين، أصول في التفسير، المكتبة الإسلامية، ط1، 2001م، ص 50.

⁴ محمد حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة- القاهرة، ط1، 1970م، ص 289.

⁵ عمر سليمان الأشقر، صحيح القصص النبوي، دار النفائس-الأردن، ط7، 2007 م، ص 12.

- يقول الامام الرازي في تفسيره: القصص هو "مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة"¹..
- ويعرفها الإمام البقاعي بقوله: "تتبع الوقائع بالإخبار عنها شيئاً بعد شيء، على ترتيبها، في معنى قص الأثر، وهو اتباعه، حتى ينتهي إلى محل ذي الأثر"².
- أمّا الإمام الطاهر بن عاشور فيقول: "والقصة الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها"³
- ويرى عبد الكريم الخطيب أنّها: "أبناء وأخبار تاريخية عن أحداث وقعت في القرون والأزمنة الماضية، كما تشمل النبوءات السابقة خلال المسيرة الإنسانية منذ بدء الخليقة، وحتى نزول القرآن الكريم من خلال عرض مشوق مثير لا نظير له في الأساليب العربية المعهودة"⁴. فهو يحدّد زمن القصة القرآنية بالأحداث الماضية من بدء الخلق إلى زمن الرسول ويشير إلى تميز أسلوبها المشوق.
- بينما عرفها الدكتور مناع القطان بأنها "إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوءات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"⁵. وترى مريم السباعي أن القصة القرآنية هي: "تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية وإيراد مواقفهم وأعمالهم وبخاصة مع رسل الله إليهم، مع إظهار آثار الدعوات فيهم وذلك بأسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة"⁶.

¹ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، دار احياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420هـ، ج8، ص245

² برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2، 2002، ج2، ص106.

³ محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر - تونس، ط1، 1984م، ج1، ص64.

⁴ عبدالكريم الخطيب، القصص القرآني في منظومه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، دار المعرفة للطباعة - بيروت، ط2، 1975م، ص40

⁵ مناع القطان. مباحث في علوم القرآن. المجلد 13. مكتبة وهبة - القاهرة 2005م، دط، ص300.

⁶ مريم السباعي، القصة في القرآن الكريم، اشرف احمد احمد غلوش، رسالة دكتوراه تخصص الكتاب والسنة، جامعة أم القرى السعودية، 1404م، ص30

فهي تُضيف على التعريفات السابقة الهدف من القصة القرآنية والتي تركز على العبرة والعظة.

— أما محمد خير العدوي تعريفاً فيقول: "هي كل خبر موجود بين دفتي المصحف، أخبر به الله تعالى رسوله محمداً بحوادث الماضي، بقصد العبرة والهداية، سواء أكان ذلك بين الرسول وأقوامهم، أم بين الأمم السابقة أفراداً وجماعات"¹. وهو التعريف الذي تعتمده الدراسة، لكونه يحدّد محل القصة القرآنية وهو القرآن الكريم، ويذكر الهدف منها وهو العبرة والهداية، كما يذكر شكل هذه الأخبار بأن تكون بين الرسول وقومه، أو بين الأفراد والجماعات. ويقصرها على حوادث الماضي.

وتبعاً للتعريف اللغوي يضع الدكتور صلاح الخالدي شرطان ضروريين للتعامل مع القصص القرآني وهما: "حُسن التتبع والجمع لهذه القصص، وحسن التساوي بين الرواية والحدث السابق"².

فالقصة القرآنية في جوهرها وحقيقتها تختلف عن القصة البشرية، فلا يجوز بأي حال المقارنة بينهما أو إسقاط المناهج البشرية في دراسة القصة على كلام رب البرية. فالضوابط القصصية والمنهجية الأدبية والفنية التي يجب أن تتحلى بها القصة البشرية، لا يجب أن تُحكّم إليها القصة القرآنية لأنها أعلى شأنًا من ذلك، فهي حقائق تاريخية مرت، وحوادث واقعية، أبطالها كانوا شخصيات حقيقية، لها أهدافها السامية، وأسلوبها البليغ المعجز. كما أنها وسيلة من وسائل القرآن الكريم لبيان هداياته وحكمه، إذاً ستبقى القصة القرآنية الشعلة التي تُضيء لهذا الإنسان لتصل حاضره بماضيه³ من خلال ما سبق ذكره، يمكن تسجيل النقاط التالية:

- قصص القرآن متعلق بما ورد في القرآن من أخبار، فمواضيعه حصرًا ما جاء بين دفتي المصحف، ولا يدخل فيه ما ورد في السنة النبوية من قصص، وإن كان يستعان بها للبيان والتوضيح.

- تميز القصص القرآني باختلافه عن غيره، في الأهداف والأحداث والأسلوب. وفي ذلك يقول الدكتور الخالدي: "فإذا كان القصص بكسر القاف جمع قصة، فالإشارة بذلك تكون إلى الأحداث والأخبار

¹ محمد خير محمود العدوي. معالم القصة في القرآن. دار العدوي - الأردن، ط1، 1988م. ص33

² صلاح عبد الفتاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم - دمشق، 1998م، ج1، ص21.

³ مدّش علي خالد احمد، الأهداف التربوية في القصص القرآني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة أم القرى - السعودية، 1989م، ص82.

والأمور التي جمعتها القصة وحوادثها... أما القصة بالفتح فهو الخبر المقصود، فالإشارة هنا تكون إلى طريقة قص الأخبار وعرض الأحداث¹. وجاء لفظ القصة بالفتح بصيغة الجمع، إشارة إلى كثرة هذه القصص الواردة في القرآن. كما وورد هذا اللفظ ست مرات في القرآن - ولم يرد لفظ القصة - "ولعل في ذلك إشارة إلى تميز طريقة القرآن وأسلوبه في عرض الأحداث والوقائع التي تضمنتها قصص، كما تميز من قبل بذكر الأحداث والأخبار الصحيحة التي لا خيال فيها"².

- جاء في "التحرير والتنوير: "والقصة: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم"³. وهذا التعريف يستبعد الأحوال الحاضرة في زمن نزول القرآن الكريم من مفهوم القصة القرآني. وهو ما يوافق عليه عبد الكريم الخطيب حيث يقول معللاً لهذا الرأي: "وهذه الأحداث لم يسمها القرآن قصصاً، لأن القص تتبع للآثار الماضية، والتفات إلى الوراء، لا نظر إلى قدام"⁴. ويضيف سليمان الداقور: "أن المقصود بالقصة يجب حصره في الأخبار الماضية على وقت نزول القرآن الكريم، إن سيرة النبي لا تعد من قبيل قصص الأنبياء لأنها ليست من الماضي الذي حدث قبل نبوته بل هي أحداث ووقائع عايشها المسلمون لحظة بلحظة في حياتهم اليومية"⁵.

كما أن القص في القرآن ارتبط بأبناء من سبق، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ الكهف: ١٣، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ هود: ١٠٠، والأنباء جمع نبأ، واستعمله القرآن في الحديث عن الوقائع والحوادث الماضية، وقد فرق بينه وبين الخبر في الاستعمال تبعاً للسياق "فاستعمل النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث البعيدة، زماناً أو مكاناً، ولفها في أطوائه.. على حين أنه استعمل الخبر والأخبار في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع، أو التي لا تزال مشاهدتها قائمة مائلة للعيان.."⁶.

¹ صلاح عبد الفتاح الخالدي، مرجع سابق، ج 1، ص 25.

² صلاح الخالدي، مرجع سابق، ص 26

³ تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج 6، ص 64.

⁴ عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص 47

⁵ سليمان محمد علي الداقور، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، جامعة اليرموك -الأردن. 2005

م، ص 3

⁶ عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص 45

فالقرآن يخلص بالقصص ما كان من الحوادث البعيدة الغائب علمها عن رسول الله وأمتة. فكل معاني الآيات التي ورد فيها كلمة القصص، تشير إلى الأخبار الماضية عن زمان رسول الله ﷺ، والخطاب في الآيات كان للرسول وأصحابه فهذا يعني أن سيرته وغزواته وقصصه لا تدخل ضمن هذا القصص لأنها كانت واقعا معاشا.

وتظهر أهمية القصة في القرآن من خلال المساحة التي حازتها في القرآن الكريم، فهي تشكل ربع آياته، كما تظهر في الأمر الرباني للرسول ﷺ بقص القصص على الناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَقْصِصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، لاستنارة عقولهم نحو الحق، وإزالة الشبهات من أذهانهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل: ٧٦]، لهذا تولى الله تعالى قص القصص على نبيه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]، كما أن هناك في القرآن سورة خاصة سميت سورة (القصص). كما يظهر تميز القصص القرآني بكونه " نسيج من الصدق الخالص، وعصارة من الحقيقة المصفاة، لا تشوبه شائبة من وهم أو خيال، إنه يبني من لبنات الواقع، بلا تزوير أو تمويه، وهذا الواقع لا يتغير وجهه، حين يعرض هذا العرض المعجز، في الأسلوب الرائع، فالإعجاز والروعة، إنما يتجليان في صدق الأداء، وفي نقل الواقع وما تلبس به في سرائر النفوس، وخلجات الصدور.. إنه نقل حيّ للأحداث"¹. وهي خصائص نابعة من عمق الأسلوب القرآني، الذي يخدم الغرض الديني في القرآن بما يساعد على ضبط النفس والتحكم في الشهوات والنزوات، فكانت بحق علاجا تربويا ودعويا للنفوس ينفذ إلى العقول ويهز القلوب.

الفرع الثاني: أنواع القصص القرآني

على حسب تعريف القصص القرآني يظهر أنه اشتمل على نوعين من الأخبار والحوادث:

1. قصص الأنبياء: وهم الذين وردت قصصهم في القرآن على اختلاف حجم القصة بينهم وهم: آدم، نوح، هود، صالح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، لوط، شعيب، يعقوب، يوسف، موسى، هارون، داوود، سليمان، يونس، إلياس، إدريس، زكريا، يحيى، عيسى.

¹ المرجع السابق، ص 9.

2. قصص غير الأنبياء: وهي قصص الأفراد والجماعات الماضية، مثل: قصة ابني آدم، قصة هاروت وماروت، قصة الذي مر على قرية، قصة الذي انسلخ من آيات الله، قصة أصحاب السبت، قصة أصحاب القرية، قصة أصحاب الأخدود، قصة أهل الكهف، قصة صاحب الجنتين، قصة ذي القرنين ويأجوج ومأجوج.

كما أن هناك قصص متصلة مع قصص الأنبياء، وهي مع سيدنا موسى كثيرة منها: قصة أم موسى، قصة قارون، قصة مؤمن آل فرعون، قصة بقرة بني إسرائيل، قصة تيه بني إسرائيل، قصة رحلة موسى مع الخضر. فكلها تتصل بقصة سيدنا موسى

كما يمكن تقسيم القصة باعتبار حجمها إلى¹:

1. قصة طويلة ترد مجزأة ثم تتجمع في موضع واحد مثل قصة نوح عليه السلام، أو ترد مرة

واحدة في مكان واحد كقصة يوسف عليه السلام.

2. قصة قصيرة محتوية على بعض العناصر كقصة النمل والهدهد، أو مشتملة على كل عناصر القصة إلا أنها قصيرة.

وسيكون التقسيم الأول هو المنهج المتبع في دراسة القصص القرآني في دائرة المعارف الاسلامية، لأنه أسهل في فهم المضمون ولأن كتاب الدائرة اعتمدوا على إيراد تفاصيل القصة الواحدة في مادة واحدة ولم يراعوا الطول والقصر، كما أن هذا يسهل جمع تفاصيل القصة كاملة، وتحديد القصص المرتبطة ببعضها، وتحقيق الهدف العام من القصة القرآنية.

المطلب الثاني: أهداف القصص القرآني وخصائصه

الفرع الأول: أهداف القصص القرآنية

إن الأهداف العامة للقصة القرآنية نابعة من الأهداف والمقاصد العامة للقرآن، بل تعمل آيات القصص القرآني مع باقي الآيات وتنسجم معها لتكوّن الإطار العام للنظرية القرآنية التي تحدد الغاية من وجود الإنسان على الأرض، ولأن القصة وسيلة من وسائل القرآن في هداية البشر، "فقد

¹ ينظر مريم السباعي، مرجع سابق، ص 155

خضعت القصة القرآنية في موضوعها وطريقة عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية¹ و انعكست فيها قضايا القرآن الكبرى: كإصلاح العقيدة، والدعوة إلى التوحيد ومكارم الأخلاق، والإصلاح والتزكية، والقيام بأمر الاستخلاف الرباني... في شكل فني متميز يمزج بين العاطفة والعقل والحس، وكانت في مجموعها تُكوّن الغرض الأساسي من سرد القصة القرآنية، وستبقى القصة القرآنية هي شمعة مضيئة، في تاريخ البشرية تضيء للإنسان حاضره وتكشف له حقائق الماضي، وسجلا صادقا للسنن الكونية.

وأهداف القصص القرآني متنوعة ودقيقة وكثيرة إذا تم النظر إلى كل آية من آياته، نوّه عليها المفسرون والباحثون، لكن الاستقراء العام لهذه الآيات يكشف لنا الغرض الأساسي للقصص القرآني والذي يتمثل في الإصلاح على جميع مستوياته، وهو ما يفصله يوسف سرطوط في أطروحته للدكتوراه والموسومة بـ "المقاصد الشرعية للقصص القرآني وأثرها الفقهي" والذي يعرّف الإصلاح بقوله "جعل الشيء موافقا لكمال الشريعة الإسلامية²، ودلّل على ذلك بعدة آيات تكشف أن الإصلاح هو المقصد الأساسي للقصص القرآني نجملها في عدة نقاط³:

- قَالَ تَمَّالٌ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ البقرة: ٣٠، وهي تحكي قصة بداية الخلق واستخلاف سيدنا آدم عليه السلام وذريته في الارض، وأن مراد الله هو صلاح الأرض واستقامة أحوال الانسان فيها، بخلاف ما قالته الملائكة.

- إرسال الأنبياء والرسل لإصلاح أقوامهم مثل قول سيدنا شعيب عليه السلام لقومه قَالَ تَمَّالٌ: ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرْضَكُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَلَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ وهو ما طلبه موسى عليه السلام من أخيه هارون عليه السلام أيضا: قَالَ تَمَّالٌ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ الأعراف: ١٤٢

¹ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق - القاهرة، دط، دت ط، ص 143.

² يوسف سرطوط، المقاصد الشرعية للقصص القرآني وأثرها الفقهي، رسالة دكتوراه جامعة الحاج لخضر باتنة، اشرف: عبد القادر بن حرز الله، 2013-2014م، ص 57.

³ ينظر: المرجع السابق، ص 58-64

- نهي الأنبياء أقوامهم عن الفساد الذي هو مناقض للصلاح المقصود منها قَالَ تَمَّانُ: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكَرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿ الأعراف: ٨٦

- امتنان الله على عباده الصالحين بالنعمة الكثيرة، جزاءً على صلاحهم قَالَ تَمَّانُ: ﴿ وَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ ﴿ الأنبياء: ١٠٥

وانطلاقاً من هذه الآيات ومن خلال تتبع قصص القرآن يتبين أن القرآن الكريم حرص على تحقيق هذا المقصد العظيم على مستوى الفرد، وعلى مستوى المجتمعات، من خلال إصلاح عدة جوانب في الحياة: كالإصلاح العقدي، والإصلاح الفكري، والإصلاح الأخلاقي، والإصلاح الاجتماعي...

1. إصلاح الفرد

اعتمد القرآن في إصلاح الفرد على الجوانب الأساسية المكونة لشخصية الانسان، والتي تمكنه من أداء مهمته على الأرض، فعمد إلى إصلاح الفكر بالدعوة إلى أعمال العقل وتوظيفه بما ينفع الإنسان من خلال دعوته للتفكير والاعتبار والثبات على الحق، وركز على الإصلاح العقدي بالدعوة إلى التوحيد والإيمان بالرسول واليوم الآخر، واعتنى بالأخلاق والتربية، كمؤشر على مدى تمكن الصلاح من نفس الإنسان. وهو ما سنوجزه في هذه النقاط:

أ. الإصلاح الفكري

أولى القرآن الكريم عناية خاصة بصلاح فكر الإنسان لأنه المرتكز الأساسي في فهمه للكون وإدراكه لسر الوجود، لذا تكررت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحث على أعمال العقل والمحافظة عليه، لم تخل منها آيات القصص القرآني، ونوع القرآن الكريم في تفصيل العمليات العقلية، كان التفكير والاعتبار من أهمها وصولاً إلى التثبيت القلبي للإنسان.

● **التفكير:** إن سماع قصص القرآن وتدبره، يقود إلى التفكير الذي هو "عملية عقلية وجدانية تعمل على استثمار المعارف والدلائل للتوصل إلى حقائق الأمور، بالنظر فيها والاعتبار بنتائجها"¹. وجاءت هذه الدعوة للتفكير في قصة الذي انسلخ من آيات الله فأغواه الشيطان واتبع هواه، فصار

¹ ينظر: ايمان فرطاس، التفكير في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، رسالة ماجستير جامعة الامير عبد القادر قسنطينة- 2012-2013، ص21.

مثله كالكلب دائم اللهاث، قَالَ تَمَانَ: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦، وهي قصة فيها الكثير من العبر التي وجب أن يتنبه لها الانسان ويُعمل فكره فيها، حتى لا تصبح عاقبته كعاقبة صاحب القصة، وزاد القصة جمالا وتأثيرا مقارنة بالصورة التشبيهية التي تطغى على القلب والعقل، وحثمت الآية بضرورة التفكير فيها وفي كل القصص الأخرى، لأن القصة القرآنية بأسلوبها البديع وجمال تصويرها تستحث طبع الانسان وولعه بتتبع الأخبار ومعرفة الأحوال، وتجعله يعيش الموقف القصصي بعقله ويستشعره بقلبه، وتمكنه من التحليل الصحيح، والاستنتاج الصائب للحقائق الناصعة. ما يزيد الإنسان علما ويقينا ويقوي إيمانه.

● **الاعتبار:** وهو النظر في حقائق الأشياء المعلومة ودلالاتها على حقائق مجهولة والاعتباط بها¹، وقد جاء ارتباطه بالقصص القرآني في قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف: ١١١، وفي هذا إشارة إلى أن أخبار الأمم السابقة فيها من العبر والمواعظ ما يمكن للإنسان أن يستفيد منه في حياته الدنيا، وخصّ القرآن الكريم المدح والثناء بحسن الاعتبار لأولي الألباب، وهم أهل العقول الصافية والقلوب النيرة، "الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم باطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته"²، فما كان هذا القرآن كلاما كذبا بل هو حقائق تاريخية، "وكأنّ في هذا إشارة إلى أنّ العبور من الانشغال بظواهر الحدث المقصوص في ذلك القصص، وما قام منه المشهد القصصيّ فيها، إلى ما هو الغاية المنصوبة المساق لها هذا القصص إنما يكون من أولي الألباب، الذين يُنيط القرآن الكريم بهم التذكر الذي هو استحضار ما كان للمرء معه صحبة علم سبق، فالقصص القرآنيّ الكريم إنّما هو للاعتبار"³.

وهدف العبرة في القرآن هو أن يصل الانسان إلى اليقين بعقيدته فكريا وقلبيا، ويتعظ بخبرات السابقين ويدرك سنن الله في الكون، ويعمل لإنجاز مهمته في الأرض. فكل ما يشغل الناس عن

¹ المرجع نفسه، ص38.

² شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ ج2، ص368.

³ محمود توفيق محمد سعد، الإمام البقاعي جهاده ومنهجه تأويله بلاغة القرآن الكريم، مكتبة وهبة-القاهرة، ط1، 1424 هـ، ص253.

هذه الغاية من تفاصيل في القصص، يستغني عنه القرآن الكريم، كالأسماء والأعداد والصفات، كما أنه يركز على معالجة الأفكار والأخطاء لأنها هي التي تتكرر في التاريخ، مع شخصيات مختلفة في أماكن متباينة وأزمنة مغايرة، فلا بد للإنسان ألا يقع فيما وقع فيه غيره. كما تفرقت القصص على سور القرآن نظراً لتعدد العبر والمواعظ في كل مشهد قصصي، "ولو اجتمعت في مكان واحد لاختلطت العبرة بالقصة الخبرية، وما تميزت كل عبرة تميزاً يجعلها كونا مستقلاً مقصوداً بالذات"¹.

وما سيقت هذه العبر والمواعظ إلا لتنبيه الكافرين والظالمين، لذا كانت الدعوة إلى التذكر شديدة في القرآن، فعلى مَرَّ تاريخ البشرية، وبتتابع الرسل كثرت الدلائل والشواهد على وحدانية الله وصدق أنبيائه، وعلى أن سنن الله في الكون ثابتة لا تتغير، فعلى الإنسان أن ينفذ عنه غبار الغفلة، ويستفيق من سباته ويدرك الحقيقة ويعمل من أجل الهدف الأساسي لوجوده، ويحقق الفوز في الدارين، ويتذكر أخطاء الماضين فيتجنبها، ويعتبر بعاقبتهم فيستفيد من ذلك.

يقول عبد الله الهروي في كتاب منازل السائرين "تستبصر العبرة بثلاثة أشياء: بحياة العقل، ومعرفة الأيام، والسلامة من الأغراض"²، ويُفصل هذا القول الإمام ابن القيم بقوله: "وأما معرفة الأيام؛ فالصواب أن أيام الله هي وقائعه التي أوقعها بأعدائه، ونعمه التي ساقها إلى أوليائه، وسميت هذه النعم والنقم الكبار المتحدث بها أيام ... فمعرفة هذه الأيام توجب للعبد استبصار العبر، وبحسب معرفته بها تكون عبرته وعظمته"³.

وأخرج ابن المنذر عن عون قال: "سألت أم الدرداء أو سُئِلت أم الدرداء ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء، قالت: التفكير والاعتبار"⁴. فالتفكير الذي لا يؤدي إلى الاعتبار والعمل بمقتضى إدراك الحقيقة، لا يحقق هدفه ولا يُفيد صاحبه. ومعلوم أن القصة إذا قصت لا ينتفع بها إلا من

¹ محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، دط، دت ط، ص 169.

² عبد الله بن محمد الهروي، منازل السائرين، دار الكتب العلمية-بيروت، دط، ص 20

³ محمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد

حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط2، 1973م، ج1، ص 447-448

⁴ ابو بكر ابن المنذر النيسابوري، كتاب تفسير القرآن، تح: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية -

السعودية، ط1، 2002م، ج2، ص534.

أعمل عقله فيها: بالتفكر والتأمل، فيثمر ذلك الاتعاظ والاعتبار، ثم بتكرار التذكير بها مرة بعد أخرى تنتفي الغفلة، وبترسخ في النفوس الثبات على الحق¹.

• **التثبيت:** ويُعد من ثمرات القصص القرآني وآثاره على العقل والفكر، فإدراك العبر والانتفاع بها يورد على القلب اليقين بصدق الرسالة، وعلى العقل الطمأنينة والثبات بضرورة النصر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هود: ١٢٠، فقد كان القصص القرآني زادا إلهيا يثبت الله به فؤاد النبي إزاء ما يعانیه من مصاعب الدعوة وما يلاقیه من إيذاء قومه وكُفْرهم، وحثُّ له على الاقتداء بمن سبقه من الأنبياء لأن طريق الدعوة طويل وصعب، محفوف بالمكاره والأذى، وهو نفس طريق من سبقه من الأنبياء، فليجعلهم قدوة له، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ الأنعام: ٩٠، وفي هذا تبشير له بالنصر وتسليية لأصحابه وأتباع الدعوة، وتطمين لقلوبهم بأنهم على الحق، وأن أجرهم عظيم، "فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة غيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به"²، وهو ما خفف الضغط النفسي عن الرسول ﷺ والمسلمين، وقوى من عزائمهم ورسم صورة النموذج الذي يجب أن يتحلى به الإنسان المسلم الصابر.

ب. الإصلاح العقدي:

إذا اجتهد الانسان في أعمال عقله بحثا عن الحقائق، فلا بد أن يصل إلى حقيقة الخلق والخالق، وما يكون له إلا الانصياع لذلك، ولهذا ركز القرآن الكريم على الإصلاح العقلي لأنه وسيلة إلى الإصلاح العقدي والأخلاقي. ونظرة فاحصة لتاريخ نزول القرآن وأحداث السيرة النبوية تكشف أن القرآن المكّي كان هدفه الأساسي إصلاح العقيدة الفاسدة، لأن صلاح العقيدة يبني عليه صلاح أعمال الإنسان كلها، فاهتم القرآن المكّي بغرس الايمان بالله وحده في نفوس قوم وثنيين مشركين، وبيان صدق نبوة الرسول ﷺ، ودلّل على يوم البعث، ودحض حجج الكافرين، بأسلوب القصة

¹ المقاصد الشرعية للقصص القرآني، مرجع سابق، ص 73

² عبد الرحمان السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحي،

مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ص 392

ذلك أن "سوق الأدلة على التوحيد - في سياق قصة- يجعله يسري إلى النفوس من غير مقاومة، وتكراره يجعله يحط في النفس خطوطاً، وتعمق الخطوط فيكون الإيمان¹.

لهذا تنوعت أساليب القصة القرآنية في إصلاح العقيدة، فاستعملت الحوار واللين خاصة في حوار الأنبياء مع أقوامهم وإسقاط حججهم، ومن ثم بيان عاقبة الظالمين منهم. كما اعتمدت العرض المتسلسل لقصص الأنبياء من خلال التركيز على التوحيد الخالص لله تعالى فتكررت عبارة واحدة عند جميع الأنبياء كما جاء في سورة الأعراف، فقد تكرر قوله تعالى ﴿قَالَ يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ وَمَا آتَاهُ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَأَقْلَابَتُّ قُلُوبَهُمْ﴾ الأعراف: ٦٥، على لسان أنبياء الله: نوح عليه السلام وهود عليه السلام وصالح عليه السلام وشعيب عليه السلام في تأكيد ثابت على وحدة الرسالات السماوية، والمصير المشترك للكافرين، وأن ما على النبي إلا تبليغ الوحي وأداء الرسالة.

كما عملت القصة على إثبات نبوة الرسول ﷺ، فهذا النبي الأمي بما يرويه من قصص ووقائع ماضية، لأحداث حقيقية لم يطلع عليها قومه، أظهرت الروايات المحرفة التي كانت شائعة في ذلك الوقت، وشهدت بأن الرسول ﷺ يتلقى الوحي من السماء، فهو الذي لم يعرف القراءة والكتابة ولم يكن له اتصال بأهل الكتاب ولا تمكن من كتبهم المدسوسة عندهم، لكنّه كان يجاجج أهل الكتاب بقصصهم ويوردها بتفاصيلها، بل قص عليهم قصص أقوام من العرب لم يكن يعرفونها. كقصة هود وصالح عليهما السلام.

كما شمل إصلاح العقيدة تصحيح عقيدة الناس في الموت واليوم الآخر، فسعى القرآن الكريم إلى إثبات البعث، من خلال قصص بعض من أحياهم الله بعد موتهم، مثل قصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ البقرة: ٢٥٩، أو قصة ابراهيم حين طلب الدليل على الاحياء بعد الموت، قال تعالى: ﴿وَأِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُظْمِنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦٠، وقصة بقرة بني اسرائيل قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي

¹ أحمد جمال العمري، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، 1986 مكتبة الخانجي - القاهرة، ط1،

اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ البقرة: ٧٢ - ٧٣، وما جاء في قصة قوم موسى قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ البقرة: ٥٥ - ٥٦، وقصة القوم الذين خرجوا من ديارهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ البقرة: ٢٤٣، وقصة اصحاب الكهف قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَصَبَرْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ الكهف: ١١، وما تذكير الناس بالبعث إلا تحفيز لهم للعمل الصالح وعدم الركون الى الدنيا، للفوز بالجنة والنجاة من النار.

ولتحقيق الإصلاح الكامل وجب بيان حقيقة الصراع بين الانسان والشیطان، العدو اللدود له ما دام على هذه الأرض، وهذا من خلال عرض قصة الصراع الأول بين الشيطان وسيدنا آدم عليه السلام، وتكررت هذه القصة ليرسخ المعنى وينتبه الإنسان من نومة الغفلة، قال تعالى على لسان الشيطان: ﴿ وَأَضَلَّهُمْ لِيُحَدِّثَهُمْ وَلَا يُمْنِنَهُمْ وَلَا يَتَذَكَّرُ لِمَنْ أَنذَرَهُمْ فَايْتَسَمَّ لِقَائِهِمْ عَلَيْهِمْ خُبْرًا ﴿١١٩﴾ النساء: ١١٩، كما أن قصة آدم عليه السلام في القرآن كانت تمهيدا لقصة الخلق، ولتبيين الهدف من خلق الكون والانسان، وطبيعة تكوين الانسان والعوامل المتحكمة فيه، ثم تنبيه بني آدم لمكائد الشيطان وتربصه به الدوائر. ولتعميق أسس العقيدة الصحيحة في النفس البشرية، اعتمد القرآن الكريم منهج التكرار للقصص بأسلوب ممتع ومشوق، مدللا بالبراهين والحجج، ليغرس بذور الايمان في القلب، ويزرع اليقين في العقل، كما ضرب نماذج واقعية ضحت من أجل العقيدة مثل قصة أصحاب الأخدود، وقصة مؤمن فرعون، وقصة أصحاب الكهف، وهي قضية مهمة وأساسية في مقابل ما كان يواجهه المسلمون من صعوبات وعقبات في ظل صبرهم وثباتهم على الدين الجديد الذي كان منبؤا من قومهم

ج. الإصلاح الأخلاقي

لقد كان في تفصيل القرآن في قصص الأقسام والشخصيات السابقة بعرض أحوالهم وأفعالهم، أكبر الأثر في تحليل النفس البشرية وكشف كوامنها ودواخلها، والعمل على إصلاح أخطائها وتهذيب سلوكها، وبناء القيم الأخلاقية والاجتماعية، معتمدا في ذلك على إبراز النموذج الواقعي ليقنني به

الناس، فكان القصص على العموم "مدرسة إلهية معلموها الأنبياء، وتلاميذها الأمم"¹ من خلال ضرب نماذج عدة لشخصيات يمكن أن تتكرر في حياة البشر تحمل صفات عامة تسلكها النفس الانسانية، سواء كانت ايجابية: مثل الصبر، الشجاعة، الحلم، العفة، والكرم... كما وقع في قصص أنبياء الله والصالحين، أو صفات سلبية مثل البخل والغرور والحسد والكبر... كما في قصة الشيطان وفرعون وقارون وأقوام الأنبياء الكفرة...، وما جاء ذكر هذه الصفات إلا دعوة للتمسك بالحسن منها، واجتناب القبيح، في منهجية لتحويل الدعوة القرآنية إلى سلوكيات عملية في الحياة الاجتماعية. وخدمة للمنهج التربوي الذي يسير عليه القرآن في تربية الانسان فهو "يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي: تربية الروح، وتربية العقل، وتربية الجسم، والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس، والتربية بالقدوة، والتربية بالموعظة فهي سجل حافل لجميع التوجيهات².

فالقصاص القرآني يزخر بالقيم الأخلاقية الفردية والمجتمعية التي تصوب طريق الانسان وتبعده عن الانحراف والضلال، والقصة "تعد أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق وتصوير العادات ورسم خلجات النفوس كما أنها إذا شُرِّفَ غرضها، ونُبِّلَ قصدها، وحسنت موضوعاتها، تُهْدِبُ الطباع وترقق القلوب وتدفع الناس إلى التمسك بالمثل العليا والقيم الكريمة والمعاني السامية، من إيمان وواجب وحق"³.

ومن خلال هذه الأساليب في الإصلاح يمكن تحقيق صلاح الفرد، فتقوى شخصيته، ويحسن سلوكه وعمله. ويمكن أن يبني الأسرة الصالحة التي بمجموعها ينصلح المجتمع.

2. إصلاح المجتمع

عمل القرآن الكريم من خلال القصص القرآني على إصلاح المجتمعات، فبصلاحها يعم صلاح العالم، ويتحقق مبدأ الاستخلاف الرباني للإنسان في الأرض، وقد تجسد إصلاح المجتمع في حديث القرآن عن مجتمعات الأقبام السابقة وتوصيف حياتهم وسلوكاتهم ومن ثم دعوة الأنبياء لهم،

¹ محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد-بيروت، ط10، 1413هـ، ج2، ص114.

² محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق-بيروت، ط1 1404هـ-194/1

³ محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص العرب، دار احياء الكتب العربية، ط4، 1962م، ج1، ص3

كما تركّز على بيان سنن الله في الكون خاصة الاجتماعية منها، ليأخذ بها الانسان ويستفيد منها، والسعي لتحقيق مقومات الاستخلاف الإلهي وذلك من خلال عدة مسالك:

أ- **الدعوة إلى الله:** لم تخل قصة من قصص القرآن من هذا المسلك للإصلاح فهو أصل الطريق للولوج إلى باب الايمان والأمان، وتحقيق الغاية من خلق الانسان، نادى به كل الأنبياء إصلاحاً لأقوامهم من الضلال والانحراف الذي كانوا عليه، فاستعملوا كل الوسائل لدعوتهم واتبعوا كل الأساليب معهم (الحوار، الجدال، الترغيب والترهيب، الرفق واللين...)، تماشياً مع أصناف المدعويين، كما اتسمت القصة بمراعاة الجوانب المكونة للإنسان وهي: أولاً العقل: بالدعوة الى أعماله خاصة مع أهل العلم والكتاب. ثانياً العاطفة: باستثارة القلب والمشاعر باللفظ واللين بما يؤثر في حال المدعو، خاصة ممن تستميلهم العاطفة مثل النساء والأطفال والأقارب واليتامى... وثالثاً الحس: بالدعوة إلى السير في الأرض ومعاينة الآثار السابقة وآيات الله في الكون. وهذا لتحقيق أمر الله في الاستخلاف وإعمار الأرض، لذا ارتبط بقصص الأقسام السابقة، جاء في قصة هود عليه السلام ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَأذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ ﴿٦٩﴾﴾ الأعراف: ٦٩، وقال تعالى في قصة داوود عليه السلام ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴿٢٦﴾﴾ ص: ٢٦، وقال في قصة موسى عليه السلام ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ الأعراف: ١٢٩، وكان تذكير الناس به هدفاً من اهداف القصص القرآني ليعملوا من أجل تحقيقه، ويأخذوا بأسبابه.

ب- **إدراك سنن الله في الخلق:** بينت القصة القرآنية من خلال عرضها لتجارب الأمم السابقة الكثير من السنن الإلهية في المجتمعات، وأشارت إلى نواميس الله الثابتة في الكون، سواء القوانين المادية أو القوانين الانسانية، لأن هذا العرض الممنهج يبرز أن الحوادث لا تتكرر بأشكالها وشخصياتها بقدر ما تتكرر في مضمونها من حيث المسببات والنتائج، ما يتيح لأولي الألباب استنتاج القانون العام الذي يحكمها. والاستفادة منها في الحاضر والمستقبل.

فمن أهم الأمور التي ركزت عليها القصة القرآنية تفصيل أسباب هلاك الأمم السابقة بدقة والأخطاء التي وقعوا فيها، من كفر وضلال، وترف واستكبار، وظلم وطمع، ليتجنبها اللاحقون، ويدركوا عاقبتهم إذا وقعوا فيها، لأن ذلك يثير في نفوسهم الخوف والوهن مما أصاب غيرهم، كما بينت أسباب السعادة الدنيوية والأخروية للمؤمنين، وعوامل النصر والتمكين لهم، وعاقبتهم الحسنة، بما يثير في النفوس الهمة والعمل لنيل ما ناله المؤمنون السابقون.

وذكر هذه السنن في القرآن الكريم من غير بيان لأثارها في الخلق والكون، لا يجعل لها أي تأثير على السامع، لذا جاءت الدعوة في القرآن الكريم للسير في الأرض والنظر لآثار الأمم السابقة والاعتبار بأحوالهم، كما أنه باب يفتح آفاق التطور الحضاري والعلمي للإنسان من خلال الاستعانة بهذه السنن في أداء مهمته، وإدراك خصائصها، فهي ربانية تسير وفق المشيئة الإلهية لا وفق أهواء البشر، وهي ثابتة لا تتغير عبر التاريخ، ومطرده لا تتأخر أبداً، وشاملة لكل الكائنات والموجودات.

ويمكن تلخيص الأهداف العامة لإيراد القصص في القرآن الكريم، بأن عرضها "بهذا المنظور الحيوي الذي لا يتعامل مع التاريخ على نحو ستاتيكي (أي إحصائي) لا يزيد على كونه خزينة للماضي، بل على أساس أنه شيء حي ينبض بالحركة، لا يسوق القرآن الكريم العبرة وهي مستخلصة من سير الحوادث، ولا الموعظة وهي مستقاة من روح الوقائع، لغرض سمعي يحكى أو كأقصوصة تنضاف إلى ركام معرفي، أو إلى حشد من المعلومات التأكيدية. وإنما هو يستهدف من وراء ذلك، وبما تنطويان عليه من حقائق تقطر واقعية ومصداقية تاريخية لا يرقى إليهما أدنى شك، تحويلهما من الإنشاء الخبري إلى البناء العملي، بحيث تُستخدمان كأداة في إعادة بناء حياة الإنسان والمجتمع"¹.

الفرع الثاني: خصائص القصص القرآني

امتاز القصص القرآني بخصائص وميزات سمت به على سائر القصص، الذي أبدعه الانسان أو حوته الكتب المقدسة في نسختها المحرفة، هذه الخصائص كانت نابعة من خصائص القرآن وميزاته التي لا تنتهي، ما طبعها بطابع الإعجاز والروعة، فكان بحق أحسن القصص **قَالَ تَمَّالَن: ﴿تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾** يوسف: ٣، لذلك فقد اكتسبت نفس خصائص القرآن الكريم كربانية المصدر، ودينية الغرض والهدف، واعجاز المعنى والأسلوب واللفظ.

والقصة في القرآن واقعة تاريخية حقيقية لها زمانها ومكانها، وشخصياتها وأحداثها، قد تكون وردت في كتب التاريخ، لكن رواية القرآن لها تختلف عن كل الكتابات والروايات، لأنه يصيغها في أسلوب مميز هادف وصادق، معجز وموجز، يجمع بين التميز الفني والهدف التربوي، ويمكن إجمال خصائص القصة القرآنية في:

¹ بشير مغلي، مرجع سابق، ص 271

1. **ربانية المصدر:** وهي ميزة فريدة تعلو بهذا القصص، حين تربطه بالوحي الالهي، ويصبغها بباقي الميزات اللاحقة، من صدق وواقعية واعجاز فكانت إحدى وسائله للبيان والدعوة والوعظ. وهذا يجعلها متعالية عن البشر وطريقتهم في قص الأخبار واختلاف أهدافهم من هذا القص، فهي جزء من القرآن الكريم المعجز في آياته، الخالد عبر الزمن، المتجاوز للمكان، الشامل لكل الناس والمجالات، وهذه الميزة تمنحها الشرف على باقي القصص البشرية والروايات التاريخية لأنها من عند الله تعالى خالق الكون والانسان، العالم بالنفوس ودواخلها، العليم بالحوادث وأسرارها، المقدر للوقائع والاختبارات، لتصفية الصفوف في معركة الانسان على هذه الأرض، وتمييز الصالح من الطالح، وتحقيق السنن الكونية التي تسيّر العالم.

2. دينية الغرض وسمو الهدف:

إن إيراد القرآن للقصص جعلها ترتبط بالهدف العام له، وتصطبغ بطابعه الديني في السرد، فلم ترد بهدف التسلية والامتناع، أو لتسجيل التاريخ والأخبار، أو لصناعة الأساطير والخرافات، بل هي وسيلة من وسائل الدعوة للهداية والايمان، وإصلاح النفس والمجتمع. لذا ظهر الاهتمام بالحوادث على حساب الشخصيات، لأن مكنم العبرة في المواقف والأحداث لا في أسماء الشخصيات والمعالم، فأفعال الإنسان نابعة من عواطفه وغرائزه المجهول عليها وهي محل الامتحان والاختبار، لهذا ليس هناك أي فائدة من التعرض لباقي العناصر ما دام يمكن تحقيق الغرض الأساسي للقصة.

ولأنّ عنصر التأريخ لم يكن هدف القصة القرآنية لم يعتمد القرآن أسلوب السرد الكامل في عرضه للقصة، بل ينتقي منها مواطن العبرة الموافقة للغرض الديني فقط، وفي ظل ذلك يخدم أغراضاً أخرى اجتماعية، تربوية ونفسية. ذلك "أنّ التدين الحق لا ينفصل عن الحياة العملية ولا ينفصم عن واقع هذا الانسان، وإنما هو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً، بل هو جزء منه، ولهذا نجد القصة تفصل في أسباب السعادة الروحية، وأسباب الرقي المادي حتى تتم السعادة للمؤمنين بهذا القصص، العاملين بتوجيهاته وإرشاداته"¹.

وخدمة لسمو الهدف يتميز القرآن بانتقاء توصيف الأحداث، بحيث يكسوها بجلية الأخلاق والأدب فتتميز العبرة من الفكرة. فعند حديثه عن ارتكاب الفواحش أو خصوصية العلاقة بين المرأة والرجل ينتقي الألفاظ ويهدّب العبارات بما يثير العقل ويكبح جماح الشهوة، ويهدّد النفس في هذا

¹ فضل حسن عباس، القصص القرآني إبحاؤه ونفحاته، دار الفرقان عمان، ط1، 1987م، ص46

الفعل، ويقوي الايمان والثقة بالله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الْمِيَاهُ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٣ ٢٤، عكس الفصاوص والأدباء الذين يجعلون من لحظة الوقوع في الشهوات أو الشبهات لب القصة البشرية، فيبدعون في التفصيل والتوصيف بما يثير النفس ويؤجج العواطف، ويغيب العقل، فتعلو الشهوات وتستفحل الشبهات.

يقول محمد قطب: "إن الإسلام لا يجرم وصف المشاعر الجنسية، نظيفة كانت أو غير نظيفة، ولا يجرم وصف لحظة الهبوط والضعف. ولكنه يعرضها كما ينبغي أن تُعرض، لحظة ضعف لا لحظة بطولة، ولحظة عابرة يفيق منها الإنسان إلى ترفعه الواجب، ولا يظل دائرا في حلقتها المرتكسة على الدوام¹، فهي لحظة ضعف بشري لها إطارها المحدد والمشرع من الله تعالى، الذي يوصل الانسان إلى تحقيق مهمته في الأرض، فهي مجرد وسيلة وليست غاية، لا ينبغي أن تخرج عن إطارها. وهو تنبيه للإنسان المسلم لالتزام هذه القاعدة في حياته وفي حكاياته وكتاباتة.

3. الصدق والواقعية

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران: ٦٢، إن القصص القرآني سجل تاريخي صادق لأحداث الماضي الغابر، الخافي عن الانسان، وما جاء فيه من معجزات وابتلاءات، مع نقلها بكل صدق ودقة، لأن الناقل هو صانعها، ومدبرها المحيط بها تماما، ما جعل تأثيره أعمق في النفوس، كما اتسم القصص القرآني بالواقعية، فهو بعيد كل البعد عن الخيال والأساطير والخرافات، مما شاع في تاريخ الإنسانية، فكل آية من آياته هي حقيقة مطلقة، وإن كانت من باب ما لا يتقبله العقل، فهي معجزة من معجزات الله تعالى في تأييد رسله وعباده الصالحين، كانفلاق البحر لموسى عليه السلام، وتحول العصا إلى حية تسعى، أو تكليم الطير، أو تعبيد الجن لسليمان عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ يوسف: ١١١، وتظهر هذه الواقعية في جانبين:

¹ محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق القاهرة، ط6، 1983م، ص161-162

— واقعية الحدث: فالقصص القرآني لا يفترى ولا يخلق روايات وحكايات بهدف المتعة، بل يعيد سرد وقائع حدثت حقا.

— واقعية الشخصية: فكل شخصيات القصص القرآني بشر عاشوا على هذه الأرض تعلق بهم أحداث القصة، عالج القرآن الكريم سلوكاتها وأفعالها في تصوير دقيق لجوانب نفسياتها، خاصة شخصية الأنبياء التي ارتبطت بالدعوة وبيان أساليبها.

4. الشمولية والعمق:

ويظهر ذلك في شموليتها لكل مخلوقات الكون فقد جاء في القرآن الكريم قصص الإنس والجن وقصص الملائكة وبدء الخليقة، كذا قصص الأنبياء وأقوامهم، وأحوال بني البشر، وذكر فيها الطير والحيوان، كما شملت فئات متعددة للإنسان (رجل، امرأة، طفل، نبي، حاكم...) وعالجت حالات النفس المختلفة (كافر، منافق، متعصب، مؤمن، ومتردد...)، وشملت مواضيع الحياة المتنوعة من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات.

ويظهر عمقها في اختيار المواقف والأحداث الهادفة، ودقة الكشف عن كوامن النفس وبيان أحوالها وطبائعها وصفاتها، وقوة معالجة أخطائها، كذا تركيزها على استشراف السنن الكونية... فهي في حقيقتها تعتبر مناهج لسير نفس الإنسان وحياته.

5. الإعجاز في الأسلوب:

لأن القصة جزء من أجزاء القرآن فقد اكتسبت من فيض إعجازه، وتلونت بأسرار البلاغة فيه، فترى تسامي الكلمات في أدق معانيها، وتجلي البيان بكل أصنافه، ورفي الجمال الفني بشتى أبعاده، وقوة الإبداع في سرد وحبك القصة، لا ترى فيه خللا أو نقصا بل تتمازج هذه الألوان في منهج فريد، يزيد التكرار رونقا جميلا، وتضفي عليه العبرة الهيبية والموضوعية. غالبا ما تبدأ ببداية مشوقة، وذروة مثيرة، لتنتهي بخاتمة هادفة تحوي توجيهها ربانيا للإنسان، فهي عبارة عن صورة فنية راقية للأدب "حافلة بكل أنواع التعبير الفني ومشخصاته من حوار، إلى سرد، إلى تنغيم موسيقي، إلى إحياء للشخص إلى دقة في رسم الملامح، إلى اختيار دقيق للحظة الحاسمة في القصة"¹.

¹ سيد قطب، مرجع سابق، ص 143

وتركيز القرآن على "الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية"¹، وبهذا يتحقق التأثير، ويصل إلى الغاية من القصة.

6. الإيجاز: جاءت القصة في القرآن الكريم أسلوباً من أساليبه، ولم تختص بكتاب أو سورة بعينها - باستثناء سورة يوسف - بل نسج نظمها على أسلوب الإيجاز "ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص"². وقد جُرأت أحداث القصة الواحدة بما يخدم الهدف المراد والسياق العام في السورة، تجنباً للتطويل الذي يذهب بأصل العبرة فيها، وكانت كلماتها دقيقة تغني عن الشرح المفصل، وعباراتها عميقة المعاني، جاء التركيز فيها على الأحوال والأوصاف لا الأسماء والأماكن والتأريخ. ومن باب الإيجاز لم يستعمل القرآن الكريم في سرد القصة وإدارة الحوار فيها كلمة قال وقيل وغيرها، "وبحذف هذه الكلمة (قال) نقل القرآن المسألة من حكاية تحكى إلى واقعة تشاهد ومن رواية تروى إلى شخوص حية تتحرك، وتحول القارئ إلى مشاهد يرى ما يدور أمامه ولا يخفى ما لهذه الطريقة من تأثير"³.

7. وسيلة للتربية:

تعد القصة منهجاً متكاملًا للتربية والدعوة، بما تحويه من تعاليم لتربية الروح والحس، وترويض العقل والفكر، وزرع الأخلاق والقيم، فهي تقدم التصور الصحيح للكون وما فيه، والنموذج الواقعي للإنسان السوي، بتسجيل المواقف التي يواجهها الإنسان في حياته، وتُشرِّح سلوكياته وأفكاره ثم تعرضها على ميزان الإيمان والأخلاق، ليطمئن في الأخير أصحاب الخير وأعدائهم وينالوا جزاءهم، ويسقط جانب الشر وأعدائه ويلقوا مصيرهم، فيتخبر الإنسان القارئ أو السامع طريقه في هذه الحياة. هذا ما جعل آثارها بليغة على النفس تتجاوز الزمان والمكان، فهي تراعي اختلاف البشر في طباعهم وتفكيرهم، فمنهم من يتأثر بالعواطف فتثير حيويته وحركيته للتغيير وتحدد عزمته، ومنهم من تقنعه الدلائل، فيراجع أفكاره ومبادئه للوصول إلى الطريق المستقيم، ومنهم من يرهبه التخويف بذكر مصير الأمم السابقة ما يثير في نفسه الرهبة والخوف فيرجع ويتوب، ومنهم من تنشيط نفسه بالترغيب فيجد ويجتهد ويصبر للوصول إلى الغاية الأسمى بنيل رضا الله تعالى.

¹ المرجع السابق، ص 143

² تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج 1، ص 64-65.

³ السيد عبد المقصود عسكر، القصص القرآني اقناع وابداع، دار البشير للثقافة والعلوم -طنطا، ط1، 2000، ص

8. التصوير الفني:

إن المتتبع للقصة القرآنية يلاحظ أنها تختلف عن القصة الأدبية، في قوة تصويرها للأحداث والمواقف، بحيث يجعلها القرآن الكريم "حادثا شاخصا يقع، ومشهد حيا يجري، وحركة فنية يقوم بها أبطال القصة وشخصها¹، مليئة بالمشاعر والأحاسيس، حركية في المواقف والانفعالات مما جعل لها الأثر الواضح في فهم الناس لها وتفهمهم إياها ومن ثم التأثير المطلوب بها"².

فالقصة القرآنية لا يمكن أن تقرأها أو تستمع لها دون أن تتمثل مشاهدتها أو تتصور أحداثها وتتخيل شخصياتها، وذلك لتنوع أساليب التصوير فيها: فهو يصور العواطف والانفعالات النفسية، حتى تبدو صورة الشخصية واضحة أمامنا، لما تبرزه صورة إحساسها من خصائص ومكونات نفسية، مجسدة أنواع مختلفة من العواطف كعاطفة الأبوة والبنوة مثلا في قصة سيدنا يعقوب مع يوسف عليهما السلام، وقصة سيدنا نوح عليه السلام مع ابنه الكافر، وسيدنا ابراهيم عليه السلام حين أمر بذبح ابنه، إلى غير ذلك من العواطف.

كما يقوم هذا التصوير على إبراز المواقف والأحداث، وكأننا نعايشها ونراها واقعا أمامنا، كمشهد أصحاب الكهف في كهفهم وحوارهم بعد الاستيقاظ، وحوار موسى مع فرعون ومشهد تحديه مع السحرة ومصيرهم، ومشهد ابراهيم عليه السلام وهو يحطم أصنام قومه، وهو يحاور الملائكة المرسلين إلى قوم لوط، وقصة موسى عليه السلام مع الخضر، بل لا تكاد تخلو قصة من هذا التصوير ما يضيف عليه إبداعا فنيا يزخر بالجمال والجلال.

ومن بدائع التصوير الفني في القصص، روعة التكرار التي تبرز في قوة التصوير بحيث يعاد الموقف والحدث بحلة جديدة وعبارات متقاربة ليرز غرضا جديدا يتسق مع هدف السورة، وينساق مع الجو الروحي والفكري لها. كما أن التنويع بين السرد والحوار، لم يجعل القصة تبدو رواية تاريخية، كما عزز من المشاهد التصويرية فيها بأن كانت الأحداث مختارة، بحيث يختصرها تارة ويفصلها تارة أخرى، دون أن يهمل مزجها بالعرض الديني والتوجيه الرباني لتستبين العبرة.

¹ صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1983، ص233.

² سليمان محمد الداكور، القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهج الكتابة فيه، دار النفائس - الأردن، ط1، 2018م، ص 87.

لقد كانت هذه الخصائص الفريدة للقصة القرآنية إطارا عاما يميز القصة القرآنية عن غيرها، بأن جعلتها تصل لدرجة الكمال الأدبي والفني، "يجد فيها كل ذوق ما يلائمه، ولكل امرئ ناحية يتأثر بها، ويستجيب لها، حسبما تعينه ملكاته ومداركه. والله سبحانه وتعالى لا يريد للعقل البشري أن يتبلد فيعطيه كل شيء يلغي الفكر، ولكنه يريد للذهن أن ينشط وأن يفكر ويتدبر"¹.

المطلب الثالث: منهج القرآن في عرض القصة

شغلت القصة مساحة واسعة في القرآن، لأنها من أكثر الوسائل تأثيرا وقبولا عند الناس، وكانت جزءاً من القرآن، فأخذت من أسلوبه ونظمه وخصائصه، وكانت عملا ابداعيا راقيا لا يخضع لمقاييس البشر، أو نظرهم الفنية، أو أسلوبهم الأدبي، أو معاييرهم النقدية، والتي ظهرت في العصور المتأخرة، فكان القرآن متقدما عليها، فهو كلام رب البرية لا يقارن بما سواه، واعتمد القرآن الكريم مصطلح (قصص) ولم يسمها (أخبارا)، لأنه لم يقدمها كما تقدم الأخبار المجردة خالية من التصوير الفني، والإثارة النفسية، ولم يسمها (حكايات)، لأنه لم يسردها كما تسرد الحكايات التاريخية في كتب التاريخ مجردة مما يأخذ الأسماع والقلوب من غوص في مكان من الشعور، وتشخيص للحادثة، وتنسيق في العرض، وإيقاع في الموسيقى اللفظية، ولكنها أخبار تثيرها من التاريخ على أساس أنها أوثق صلة بالإنسان، وأوضح دلالة على الفكرة، وأعمق مغزى للغرض².

كما أن القصة القرآنية تقوم على جانبين أساسيين هما جانب السرد: والذي يهتم بوصف الشخصيات بمواقفها وانفعالاتها، والأحداث بمكانها وزمانها، وجانب الحوار: وهو كلام شخصيات القصة فيما بينها. ويتكامل هذين الجانبين بما يساعد في تصعيد الأحداث وخلق الحركة وصنع المفاجأة، وبما يكشف عن المعاني بإيجاز وإعجاز.

¹ سعيد عطية مطاوع، القصة بين القرآن الكريم والتوراة، اشراف: فتحي محمد أبو عيسى وعبد الرزاق أحمد قنديل، رسالة دكتوراه في اللغة العبرية وآدابها، جامعة الأزهر - مصر، 1990م، ص 25.

² التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، (رسالة دكتوراه جامعة الجزائر 1971)، الشركة التونسية للتوزيع - تونس، دط، 1974م، ص 86.

والقرآن الكريم لا يجري في أسلوبه على نمط واحد مخصوص في قصصه كلها، بل "تنوعت الطرائق تبعاً لتنوع الأغراض، واختلفت الوسائل البيانية تبعاً لتنوع الطرائق"¹ وهو ما يبرز في تميز عناصر القصة القرآنية، وفي منهجية عرض القصة في القرآن الكريم.

الفرع الأول: عناصر القصة

تميزت القصة القرآنية بأغراضها الدينية وتنوع خصائصها، لكنها حوت نفس العناصر التي وضعها الأدباء للقصة الأدبية، مع تباين في الأهداف والأسلوب والخصائص. وهذه العناصر "لا نجدتها مجتمعة في القصة القرآنية، ولا موزعة توزيعاً يجعل لكل منها دوراً، يختل بانعدامه توازن القصة، لأن المقاصد التي يوحي بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض، وتتحكم في ترتيب الأحداث، وتسلط الأضواء على العنصر المراد إبرازه"². وهذه العناصر تتمثل في:

1. الشخصية:

وهي التي تقوم بأدوار القصة وتحرك الحدث وتتأثر به، وتكمن أهميتها من خلال الدور الذي تقوم به أو الحوار الذي تقوله. ونظراً لأهمية الشخصية في القرآن كانت تسمى بعض سور القرآن باسم إحدى الشخصيات المذكورة فيها بالرغم من احتواء السورة على عدد كبير من الموضوعات والأحكام والقصص.

ولقد حرص القرآن على إبراز الخصائص النفسية والمواقف الأخلاقية للشخصيات ليحدث الاقتداء بالصالح، والتنفير من الطالح، وأغفل ذكر الأسماء والصفات الخارجية للشخصية للتركيز على الجانب الجوهرية فيها والأخلاق، لأنها تصنع المواقف التي تتكرر عبر الزمن، أما أسماء الأنبياء فذكرها لأنها شخصيات لها خصوصيتها ورسالتها فلن تتكرر أبداً بعد انقطاع الوحي، وقد تعددت الشخصيات في القرآن فلم تشمل صنفاً واحداً بل كانت من البشر ومن الملائكة والشيطان، كما راعت الجوانب الأساسية في السلوك الإنساني، ومن أبرز الشخصيات القرآنية:

● **شخصية الأنبياء:** وتميزت بذكر الصفات الحقيقية لهم، التي لا تنزع عنهم بشريتهم، ولا تُدني مستواهم كما جاء في الكتاب المقدس، فجاءت شخصية موسى عليه السلام تحمل معاني القوة والأمانة،

¹ إبراهيم عوضين، البيان القصصي في القرآن الكريم، دار الأصاله للثقافة، ط1، 1990م، ص 123

² التهامي نقرة، مرجع سابق، ص94

من خلال وصف إحدى الفئات التي سقى لها قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحَدُهُمَا يَا بَنِيَّ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ
اسْتَجَرْتَهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٦٦﴾﴾ القصص: ٢٦، وفي وصف صبر أيوب عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ
صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ ص: ٤٤.

● **شخصية الصالحين:** ومن شخصيات القرآن التي عرفت بالهدى والصلاح، وكانت مثال
التقوى والحكمة: لقمان، الخضر، مؤمن آل فرعون، أهل الكهف، مريم، امرأة فرعون، رفيق صاحب
الجننتين، أصحاب الأخدود وذو القرنين، ولم يأت ذكر قصصهم إلا مرة واحدة- عدا مريم- في موقف
واحد، كان ذلك شاهدا لهم على ثباتهم وصبرهم ووقوفهم في وجه الباطل نصره للحق. وفي هذا دعوة
للمؤمنين للتأسي بهم، لأنهم بشر لم يوتوا زاد الأنبياء في القوة والتحمل، فكانوا نماذج خالدة عبر
العصور في التمسك بالحق.

● **شخصية المرأة:** تظهر صورة المرأة في القصص القرآني بشخصيات نسائية تركت بصمتها في
طريق الدعوة، فيذكر القرآن الكريم في آياته الزوجة الصابرة التي ترفض الخضوع للباطل (امرأة فرعون)،
وفيها صورة الأم الحنون (أم موسى)، والفتاة المؤمنة الطاهرة التي تصبح أما (مريم)، وقصة الفتاة
العفيفة في قصة موسى. والمرأة الحاكمة الحكيمة في قصة ملكة سبأ مع سيدنا سليمان عليه السلام، وفي
المقابل يعرض القصص القرآني صورة المرأة التي تعارض الدعوة وتخالف فطرتها كامرأة العزيز وزوجتي
نبي الله نوح ولوط عليهما السلام.

وكلها قصص جاءت تبرز مكانة المرأة في المجتمع وواجبها في الدعوة الى الله، وتحدد دورها الحقيقي
في منظومة الكون والحياة، فكانت صورة المرأة نقية صافية ممثلة لنوازع الخير والشر في نفسها، بعيدا
عن اتخاذها سبيلا للفتنة والاغراء وتحلية القصص بها. وقد أغفل اسم المرأة في القرآن إلا مريم عليها
السلام فقد ذكرها ليوضح أن عيسى ابنها وليس ابن الله، كما يدعي النصارى، بما يثبت نسبه
وبشريته عليه السلام.

● **شخصية أعداء الحق:** من أمثال فرعون وقارون وهامان وصاحب الجننتين، وغيرهم من
الكفرة، والقرآن يتعمد عدم ذكر الأسماء في القصص لأن الهدف منها هو العبرة والاقتداء، خاصة في
مواقف البطولة والثبات.

• شخصيات غير بشرية: كالهدهد، النملة، الملائكة، الجن وابليس، وقد كانت شخصيات ثانوية في قصص الأنبياء كدور الملائكة في قصة بداية خلق آدم، وفي قصة إبراهيم وقصة لوط. والهدهد والنملة في قصة سليمان.

والشخصية في القرآن الكريم لا ترد لذاتها أو تمجيدها لها، بل دعوة للاقتداء بصفاتها وأخلاقها، أو استهجانها لها ولأفعالها، لذا لا تجد وصفا دقيقا للشكل الخارجي في القصة القرآنية كالاهتمام بذكر لون العينين والشعر والجسد، ووصف الملامح كالابتسامة، والغضب .. بل يركز القرآن الكريم على السلوك والفعل والمشاعر بما يكشف عن قيمة الانسان. فتظهر الملامح النفسية كالحسد والغيرة ثم حالة الندم كما في قصة ابني آدم، كذلك في قصة إخوة يوسف ونسوة المدينة، والحزن في قصة يعقوب عليه السلام وأم موسى، ونوح عليه السلام على ابنه ... والغضب في شخصية موسى عليه السلام عند غضبه من قومه وجره للحية أخيه، ووكزه للذي من شيعته ...

كما يحرص القرآن على إبراز أداء الشخصية ومدى ثباتها أو تطورها في القصة، كثبات يعقوب عليه السلام في محنته وصبره، أو تطور شخصية ملكة سبأ أو امرأة العزيز حين انتقالا من بحر الكفر والطغيان إلى بر الايمان والأمان... "وهكذا في كثير من الشخصيات القرآنية، نلمح أنها لا تقف عند اتجاه معين، بل يتمثل فيها كثيرا عنصر التطور والاستجابة لما حولها من ملابسات، ولا شك أن تطور الشخصية بهذا المفهوم يكسبها جمالا ويولد فيها الحركة والحيوية حتى تثمر ثمرتها، وتعطي العبرة والعظة الكاملة"¹.

2. الحدث:

هو القلب النابض للقصة ومن دونه لا يكون هناك قصة، والقصة قد تحتوي حدثا وحيدا أو عدة أحداث مترابطة. وامتازت أحداث القصة القرآنية بارتباطها برسالة القرآن في إصلاح الإنسان والكون، وذلك لاهتمامها ببيان العناية الإلهية للحق وأصحابه، والترصد والإمهال للباطل وأعدائه،

¹ عمر محمد عمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث-دمشق، ط1، 1993م،

بحيث يبدأ القرآن برسم "الجو الذي تدور فيه الأحداث والظرف الذي يجري فيه القصص، ويكشف عن الغاية المخبوءة وراء الأحداث، والتي من أجلها يسوق هذا القصص"¹.

ويتنوع ورود الحدث فأحيانا يأتي من خلال المعاني المعبرة عن المشاعر والانفعالات النفسية، وأحيانا يأتي في معرض بيان معجزات الأنبياء وإيرادها للبرهان والتدليل على صدق دعواتهم، وبيان مدى كفر أقوامهم، كما أن اختيار الأحداث والمواقف وعرضها بطريقة حركية فنية "هي التي تجعل المشاهد في القصة حية، والأحداث نابضة، والمواقف المختلفة متفاعلة، والسياق ديناميكيا"². "يتضح ذلك من قصه لجملة من الأحداث تفصل بينها قرون وبيئات مختلفة، ولكن تجمع بينها وحدة الهدف، إذ هي تخدم غرضا دينيا موحدًا.³ فهي مترابطة فيما بينها، متكاملة ببدايتها ونهايتها، وتخدم الجو العام للسورة. كما يتميز الحدث في القرآن بالصدق والواقعية لا خيال فيه ولا كذب أو افتراء وليس نابعا من الخرافات والأساطير، كما أنه لا يتأثر بالأسلوب القصصي فيتغير، أو بالسرد التاريخي فيتضخم أو يضمحل، بل يتكامل مع باقي عناصر القصة ليكشف عن العبرة المستهدفة.

3. الزمان والمكان

كان لعنصر الزمان والمكان في القصة القرآنية وضع خاص، فهما لا يُذكران في القصة القرآنية إلا بما يناسب الغاية والمقصد من ذكر القصة، فلا يذكر المكان إلا إذا كان له دور في سير الأحداث، وبروز العبرة، كأن يكون مسرحًا للأحداث الهامة مثل: مصر في قصة يوسف مع امرأة العزيز وفرعون الملك، وفي غياهب السجن، وعلى عرش الحكم... كما لا يحدد القرآن الكريم الزمان تاريخًا ومدة، إلا إذا كان في تعيينه تأثير في الحدث أو إبراز لطوله الزمني، مثل المدة التي نامها أهل الكهف، ومدة دعوة نوح عليه السلام لقومه.

ويلاحظ أن القرآن اعتنى بالزمن أكثر من ذكر المكان حتى إذا اجتمعاً قُدِّم الزمان على المكان، كما أنه لم يراع الترتيب الزمني للأحداث، أي ترتيب الوقائع التاريخية بل يوردها بما يكون أدعى للتأثير والتذكير. والقرآن دقيق بالتحكم في الخيوط الزمنية للقصة فيظهرها بحسب الأحوال والأهداف، فهو أحيانا يذكر الزمن بدون تحديد له كقوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت، ط17، 1412هـ، ج5، ص 2677

² التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، مرجع سابق، ص 349

³ المرجع نفسه، ص 350

يَتَأْوِيلُهُ فَأَرْسَلُونَهُ ﴿٤٥﴾ يوسف: ٤٥، وقال أيضا ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ الشعراء: ١٨، وأحيانا أخرى يذكره بدقة لحكمة إلهية كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٦﴾ العنكبوت: ١٤، وقال أيضا ﴿وَجَاءَ وَ آبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ يوسف: ١٦، وهذا التحديد يكشف كذبهم وافتراءهم، فما هو الداعي لتأخرهم إلى هذا الوقت لإخبار أبيهم بما حدث.

وفي الغالب الأعم لا يذكر القرآن الزمن في القصة كما في جاء في قصص الأنبياء مع أقوامهم، فهو لم يذكر لا تاريخ نزول الوحي عليهم ولا مدة دعوتهم إلا إذا كان لبيان إمهال الله تعالى للظالمين. والزمن في القصة القرآنية يسير دائما إلى الأمام سواء في القصة الكاملة أو مقاطع القصة المجزأة، إلا إذا كان المقام يستوجب غير ذلك "ليكون أشد فعلا وإيحاء في الحدث، كما في قصة بني إسرائيل ليدل على أن اليهود كانوا على عكس الوضع البشري فجاء الزمن على عكس الترتيب الطبيعي إشارة إلى أنهم على العكس في كل شيء"¹

4. الحوار

هو العمود الفقري في القصة القرآنية، ولا تكاد تخلو منه قصة -إلا القليل-، وكان وسيلة القرآن في الإقناع والمحاججة والجدال، ببيان الدلائل ودحض الشبهات، وقد بدأ القرآن سرد قصص الأنبياء بإشارات سريعة تثير العواطف وتنبه العقول، ولما تعمقت الدعوة وتهيأت النفوس للاطلاع والمعرفة، واحتيج إلى مجادلة الكافرين وبيان ضلالهم، بدأ التفصيل والبيان في القصص ليظهر عنصر الحوار تدريجيا. وقد عبّر الحوار بكل صدق وبساطة عن خلجات نفوس الشخصيات وأفكارهم "ونقل أقوالهم نقلا أمينًا لا مبالغة فيه ولا افتعال، فصاغ معانيها على ما يقتضيه أسلوب إعجازه لا على الصيغة التي صدرت فيها، ولو كان المنقول عنهم من العرب؛ حتى يكون الإعجاز البياني للأقوال المحكية إعجازا للقرآن لا لتلك الأقوال"². كل هذا من دون إقحام له في السياق أو تكلف في ذلك، بل يكون مسائرا للحدث معبرا عن الموقف، مترابطا مع باقي الآيات القرآنية متنقلا بينه وبين السرد بحيث لا يحس القارئ أو السامع بأي انفصال في المعنى أو خروج عن الهدف أو رتابة في العرض.

¹ محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية، مرجع سابق، ص 314

² تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج 1، ص 107

وأشكال الحوار في القصص متعددة: فقد يكون بلهجة شديدة إذا كان موقف عتاب وزجر، وقد يأتي هادئا لنا إذا كان موقف أمان، وقد يكون طويلا مفصلا بالدلائل، أو قصيرا يسرد الوقائع مثل حوار إبراهيم عليه السلام مع الذي آتاه الله الملك، وقد تتنوع أطرافه فيكون بين الله والانسان - قصة الذي مرّ على قرية - أو بين الله والملائكة، أو بين الله وابليس، وبين الإنسان والحيوان كحوار سليمان عليه السلام مع الهدهد... أو حوارا ذاتيا بين المرء وعقله كما في قصة إبراهيم والنظر في الكواكب.

وتظهر قيمة الحوار في القصة القرآنية في كونه "الذي يبعث الحياة والحركة في الحدث، ويؤدي إلى الهدف، ويظهر المغزى، ويكشف عن مدى الصراع في المواقف المتغايرة، كالصراع القائم بين يوسف وامرأة العزيز. كما أنه يترجم عن الشخصية، ويستبطن انفعالاتها وأزماتها، ويضعها في إطار نفسي معين، ويزج بالقارئ في تجربة القصة ليعيشها، وتنقله من عالمه إلى عالمها"¹.

5. **الصراع** وهو "ما تدار عليه الأحداث في القصة جميعها"² وهو صراع الخير والشر والحق والباطل والایمان والكفر، وهو الرابط الأساسي بين الشخصيات والأحداث، بحيث يكون الموجه الأساسي للأحداث والشخصيات والكاشف عن العبرة، وقد يأخذ أشكالا متنوعة: من صراع بين الشخصيات المتباينة في المواقف والأفكار، أو حتى داخل النفس البشرية بأن يعرض حالتين متناقضتين لها، وهو الذي يعطي للقصة حركيتها وإثارتها، ويتنوع الصراع ليكون ماديا كما في قصة السحرة، أو نفسيا كما في قصة ابن آدم بعد ندمه، "وهو في قصة أصحاب الجنة يتمثل ماديا ونفسيا، وهو في قصة صاحب الجنتين يتمثل عنده ماديا وبينه وبين صاحبه نفسيا"³.

وميزة القصص القرآني أنّ لا يجمع كل العناصر في موقف واحد "بل هي موزعة التوزيع الذي يترك في كل موقف أثره المنشود...ومن أسرار ذلك تكون النفوس مشوقة إلى استيفاء بعض العناصر... فتدرك جانبا منها في مقام وجانبا آخر في مقام آخر... وهكذا حتى تستكمل جميع عناصرها... ويبلغ الأمر مبلغه من المعاني المنشودة التي يستهدفها القرآن الكريم في قصصه"⁴. فالصراع

¹ التهامي نقرة، سيكولوجية القصة، مرجع سابق، ص 414

² سليمان الداكور، مرجع سابق، ص 69

³ المرجع السابق، ص 70

⁴ عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1972م، ص 79

هو العنصر الذي يدمج بين الأحداث والشخصيات، ويكشف عن العبرة في القصة القرآنية، ويتضح به المنهج الحركي للقرآن، وتوازن به عناصر القصة.

6. العقدة

اعتمد القرآن الكريم أسلوب التشويق لشد انتباه السامع أو القارئ للقصة القرآنية، فركز على الحبكة وصنع المفاجأة، وتنوعت طرق إيراد العقدة في القصص، "فهناك ما تتوالى فيها العقد على أن تحل كل جزئية منها أولاً بأول، وقد نرى عكس ذلك، فنرى توالي العقد وتشابكها على أن تؤجل حلولها إلى نهاية سردها، فتأتي مجتمعة دفعة واحدة كقصة موسى مع العبد الصالح في سورة الكهف"¹.

بل إن القرآن في قصصه كان جذاباً في تشويقه من غير إغلاق محكم، وإخفاء مستعص على الأذهان، قد يطول حله، ويضيق النفس طويلاً في الوصول إلى مراميه، بل كان القرآن مشوقاً بدون هذه التعمية التي لا تفيد إلا فساد المعنى، فالقرآن الكريم حوادثه وإن أدت إلى خلق العقدة، فإننا نلاحظ أنها كانت بطريقة منطقية طبيعية يتقبلها العقل، ويألفها الوجدان"².

الفرع الثاني: طريقة القرآن في عرض القصة

تميز القرآن الكريم بمنهجية فريدة في عرض قصصه، جاءت متنوعة على حساب السور وأهدافها، فتوزعت عليها بما يخدم المقاصد العامة ويوضح العبرة بحيث "تمتج بموضوعاته امتزاجاً عضويًا لا يدع مجالاً للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، بل إن هذه القصة تجيء في معرض الاستشهاد على الأمر الذي تعرض له، - في موضوعها- في العقيدة أو في التشريع، أو غير ذلك، وتتعدد أساليب القرآن في التخلص إلى القصة والخروج منها، وطريقة عرضها في ثنايا الموضوع، غير أن القصص جميعه لا يخرج عن الغاية المرسومة، وتلك هي الخصيصة البارزة فيه: التناسب وغايات التنزيل"³.

كما أن العرض الحركي للقصة يعد سمة بارزة في القصص القرآني من "حيث الدقة في تصوير المعاني والأحداث، والتشويق المؤثر في طريقة العرض، والتأثير اللافت في إجراء المفاجأة، وبالتصوير

¹ عمر باحاذق، مرجع سابق، ص95

² المرجع نفسه، ص101.

³ كاظم الظواهري، بدائع الاضمار القصصي في القرآن، ددن، ط1، 1991م، ص27

يتم تجسيد الانفعالات النفسية والمواقف الانفعالية فإذا هي شاخصة تتراءى وكأنها عناصر مادية متحركة¹. وتتميز القصة القرآنية عن غيرها بطريقتها في إيراد الأحداث " ليس في سرد تاريخي ممل بل في سرد في عالي المستوى دون التضحية بالحقيقة التاريخية في القصة ليأخذ المتلقي العظة والعبرة"². وهو الهدف الأساسي لإيراد القصة، لهذا اختلفت منهجية القرآن في عرض القصة نفسها بأساليب مختلفة منها:

1. توزيع القصص والأحداث: لقد ورد القصص في القرآن في أربع وخمسين سورة من مجموع مائة وأربعة عشرة سورة، وقد "احتل مساحة الربع من القرآن الكريم تقريبا، أي ما يزيد على 1500 آية"³ فمن جهة توزيعه على السور، كان أغلبه في السور المكية، وتميز فيها بالطول والتكرار لكثرة التفصيل فيه، كما كان لفظه دقيقا بليغا، متناغما موسيقيا، وموضوعه العام دعوة الأنبياء لأقوامهم وبيان تأييد الله لأنبيائه و أتباعهم، وبيان مصير الظالمين، فكانت تثبت في نفوس الناس معاني التوحيد والإيمان بالرسول وما جاءوا به من حق وتزرع الإيمان بالبعث واليوم الآخر في مختلف العقول والقلوب، بأسلوبها المشوق والبسيط فهي لا تحتاج إلى درجة علم أو مقام علوي حتى يستطيع الإنسان إدراك مغزاها وحكمتها، من أجل هذا كانت جلّ السور التي تحمل أسماء الأنبياء أو أسماء أشخاص مكية إلا سورتا محمد وآل عمران اللتين كانتا مدنيتان.

أما القصص في السور المدنية فكان قصيرا وموجزا، للتفصيل فيه في السور المكية، وأغلبه لم يكرر لأنه كان في قصص الأفراد وإصلاح النفس، ومواكبة مقاصد التشريع والأحكام كما كان التركيز فيه على بيان حقيقة بني إسرائيل وإيراد قصصهم، لكثرة تعامل المسلمين معهم في المدينة. ولم يتبع القرآن ترتيبا معيناً في سرد القصص، فأحيانا تتتابع قصص الأنبياء زمانيا، وأحيانا لا يراعى هذا الترتيب خاصة إن كان هناك قصة ستُخصّ بتفصيل أكثر "ومن منهج القرآن أنه يؤخر للتفصيل"⁴.

كما لم يعتمد القرآن الكريم في بسط القصص على التسلسل الدائم للأحداث، فقد كانت هناك فجوات زمنية أو فجوات مكانية داخل الأحداث يملؤها خيال القارئ لا تتعد عن الحدث

¹ سليمان الداكور، مرجع سابق، ص72

² أحمد جمال العمري، مرجع سابق، ص 2

³ سليمان الداكور، مرجع سابق، ص108

⁴ المرجع نفسه، ص118

الرئيسي بأحداث فرعية لا تخدم القصة، ليرتكز المعنى وتُختصر المشاهد، وذلك " مما يشوق القارئ ويوقظه، ويفرض عليه مشاركة فعّالة في تكملة أجزاء القصة، واستحضار ما غاب من أحداثها، وهذا ما يجعله يندمج في القصة، ويعيش في أحداثها، ومن ثمّ يتأثر بها، وينتفع بما فيها من عظات وعبر"¹.

وإذا لاحظنا مدى تكرار القصص في القرآن، نجد أن قصص غير الأنبياء لا ترد إلا مرة واحدة مثل قصة ابني آدم وقصة قارون، وأصحاب الجنة، وأهل الكهف... أما قصص الأنبياء فقد كانت قصص بعضهم أكثر تكرار من غيرها مثل قصص أولي العزم: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى عليهم السلام، وكذا قصص آدم، هود، صالح، لوط، وشعيب، لكن مع ملاحظة أن هذا التكرار كانت متميزاً، فقد كان في كل مرة يعيد فيها الحدث يكشف جانباً من جوانبه، ويزيد في بيانه صوراً ومعاني يجلي بها الموقف أكثر. كما أن حجم القصة في القرآن لا يخضع لضوابط بل يتماشى مع الهدف الديني، فأحيانا يبسطها مفصلاً فيها كقصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف، وسورة يوسف عليه السلام، وأحيانا يوجزها في بعض المشاهد ويفصل في أخرى كقصة آدم، نوح، هود... وقصة مريم عليها السلام " وفي كل حالاتها يتلاءم النوع مع السياق والنسق التعبيري والغرض الديني"².

والقرآن الكريم لا يتناول حياة الشخصيات بالتفصيل من مولدها إلى وفاتها، بل يذكر من الأحداث ما له تأثير في الشخصية وحياتها، وما ينتفع بذكره الناس، كأن يركز على نشأة النبي عليه السلام مثل: قصص آدم، يوسف، موسى، وعيسى عليهم السلام، وقصة مريم عليها السلام، أما إن كان مقصد القصة الدعوة إلى الله وبيان أساليبها فهو يتعرض إلى الصفات والأخطاء بقصد التنبيه والاعتبار، كما كان مع أغلب أقوام الأنبياء.

2. تنوع البدايات

ويظهر التنوع في بدايات السور بأشكال وصور متعددة، فمرة يمهد لذكر القصة قبل البدء بتفصيل أحداثها مثل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ طه: ١١٥ - ١١٦ ثم يبدأ بعرض قصة آدم.

¹ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي-القاهرة، ج8، ص591.

² محمد قطب عبد العال، نظرات في قصص القرآن، مطابع رابطة العالم الإسلامي-مكة المكرمة، دط، دت ط،

ومرة يكون التمهيد ببيان العاقبة كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَيَجْعَلَهُمْ آيَةً وَيَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۗ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۗ﴾ القصص: ٥ - ٦، ثم ساق قصة موسى عليه السلام. ومرة يبدأ بالقصة دون التمهيد لها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ۗ﴾ مريم: ٤١، كما جاء أيضا في قصة موسى، عيسى وإسحاق عليهم السلام. وهو نفس الشيء عند ذكر العبرة أو التوجيه الرباني فأحيانا يرد في ثنايا القصة وأحيانا يرد قبلها وأحيانا أخرى تختتم به القصة.

ومن سمات عرض القصة القرآنية أن يذكر من الألفاظ ما ينبه إلى ابتداء عرض القصة، ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها، وذلك كالمشهد الذي يصوره القرآن في قصة إبراهيم وإسماعيل في بنائهما للكعبة المشرفة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۗ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَإِنَّا مَنَاسِكًا وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْقَوَابُوسُ الرَّجِيمُ ۗ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۗ﴾ البقرة: ١٢٧ - ١٢٩.

3. **تنوع طريقة المفاجأة:** لقد كانت المفاجأة سبيل القرآن لتشويق القارئ واستثارة انتباهه، لذا نوع من أساليبه في عرض الحدث المفاجئ "الذي يسهم في النهاية ويجرك القصة إلى حل عقدها الرئيسية، ولكنها تراعي المكان والزمان المناسبين لإظهار المفاجأة، فتقدمها فيهما محافظة بذلك على القيمة الفنية المعجزة التي يقوم عليها البيان القرآني في عمومته"¹، ويظهر هذا الاتساق بين المفاجأة وتأثيرها في القارئ في عدة وجوه ساقها سيد قطب² هي:

- كتم سر المفاجأة عن البطل وعن الناس، حتى يكشف لهم معاً في آن واحد، ومثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح عليهما السلام في سورة الكهف.

- كشف السر للناس، وترك أبطال القصة في عماية عنه، وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر، وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالمين بالمفاجأة، وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية، مثل قصة أصحاب الجنة في سورة القلم.

¹ إبراهيم عوضين، مرجع سابق، ص 136

² ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص 183-187

- ومرة يكشف بعض السر للناس ويخفيه عن البطل في موضع، وفي موضع آخر يخفيه عن المشاهدين وعن البطل، وذلك في قصة واحدة مثال ذلك قصة عرش بلقيس التي كانت تجهل ما نعلم ما حلّ بعرشها قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ النمل: ٤٢، ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير ظلت خافية علينا وعليها. والقرآن في عرض المفاجأة يراعي الحال والمقام " ففي قصة أصحاب الجنة في سورة القلم تأتي المفاجأة بعد بدء القصة مباشرة... ذلك أن القصة مبنية على نزوة نفسية هي الطمع والشح، أما قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف، فالمفاجأة فيها تأتي في ختام الأحداث، وبعد حوار مع صاحبه المؤمن، ذلك أن القصة مبنية على نزوة عقلية هي الاغترار والتكبر"¹، وهي معاني جليلة لا يمكن أن تكون إلا في كتاب رب العالمين، ولا يمكن إدراكها إلا بتدبر الذكر الحكيم.

المطلب الرابع: شبهات عامة حول القصص القرآني

كان القصص القرآني ولازال مثارا للشبهات من طرف أعداء الإسلام، منذ عهد النبي ﷺ، إلى يومنا هذا، فقد جعله المشركون سبيلا للنيل من الإسلام ونيبه، وسار على دربهم المستشرقون ومن ثم تلامذتهم الحداثيون، وأخذوا يتصيدون الروايات والأخبار فيما يقع بين أيديهم، ليشتتوا وجهات نظرهم، ولم يتركوا أي قصة في القرآن إلا وأوجدوا فيها ضالتهم للطعن في القرآن، وهو ما سيأتي بيانه في الفصول القادمة، لكن هناك شبهات عامة طالت القصص القرآني بعمومه، وكانت مبدأ لباقي الشبه فكثروها أينما وجدوا إلى ذلك سبيلا نوجزها في هذا المطلب، ونحاول الرد عنها حتى لا نكرر ذلك مع كل قصة من قصص القرآن في باقي الفصول.

الفرع الأول: ربط الإسرائيليات بحقيقة القصص القرآني

شغلت الإسرائيليات مساحة كبيرة في مجال تفسير القصص القرآني في أغلب كتب التفسير، وكانت مدخلا للمستشرقين اعتمدوا عليها في بث مطاعنهم حول مصدر القرآن الكريم، لهذا سيتم التركيز في هذا الفرع على بيان مفهوم الاسرائيليات ونشأتها وحكمها ودورها في كتب التفسير، لبيان الخلل المنهجي الذي وقع فيه المستشرقون في فهمها والاستشهاد بها.

¹ إبراهيم عوضين، مرجع سابق، ص136.

- تعريف الاسرائيليات

هي الأخبار التي نسبت إلى بني إسرائيل وإسرائيل هو نبي الله يعقوب عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ آل عمران: ٩٣، وقد نقلها المسلمون عن أهل الكتاب وامتثلت بها كتبهم دون تحري أو توثق من صحة هذه الأخبار.

وأطلق هذا اللفظ على الأساطير والأخبار التي وردت في كتب التفسير عن تفاصيل القصص القرآني التي سكت عنها القرآن الكريم. واختصت بلفظ الاسرائيليات لأن أغلبها كان من أهل الكتاب وخصوصا اليهود، حتى وإن أخذ من أقوام أخرى¹ فكان عن طريق الرواية عن اليهود نظرا للاحتكاك الشديد للمسلمين بهم فتطبعت هذه الروايات بطابع اليهود.

- حكم رواية الإسرائيليات

رأى العلماء أن مسألة الإسرائيليات لها ثلاث أحكام واضحة وهي:

- ما عُلم مخالفته لأحكام الدين فهو مردود، وإن ذكر فعلى سبيل بيان المخالفة، أو ردها مثل الفواحش والردائل التي نسبت لله تعالى، وللأنبياء عليهم السلام.

- ما كان موافقا لشرعنا فتجوز روايته على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الاعتقاد، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"² يقول الدكتور الذهبي: "وهذا القسم لا يدخل ضمن الإسرائيليات في الحقيقة، لأن ديننا جاء موافقا له، لقد أخذ طابع الإسلام، وأصبح علما إسلاميا صحيحا، ولم يبق من الإسرائيليات"³. مثل صفات الرسول صلى الله عليه وسلم في كتبهم.

¹ محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة- القاهرة، ط4، 1990م، ص13.

² أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: 3461، ج4، ص170.

³ صلاح عبد الفتاح الخالدي، مرجع سابق، ج1، ص55.

- ما كان مسكوتا عنه فلا يأتي ما يوافقه في القرآن والسنة أو ما يعارضه، فهذا أمرنا بالتوقف فيه فلا نؤمن به ولا نكذبه، ولا يكون رده ولا قبوله إلا بحجة، لما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم. ﴿ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ١٤٦¹

وروى الإمام أحمد عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلّوا فإنكم إما أن تصدّقوا بباطل أو تكذبوا بحق فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني"² وفي هذه الرواية ينهى رسول الله عن سؤال أهل الكتاب حتى لا يقع المسلمون في مغبة تصديق الباطل فيشوهوا دينهم به، أو تكذيب الحق فيناقضوا دينهم.

وذكر البخاري عن ابن عباس قوله: "يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضاً لم يُشَبَّ، وقد حدّثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم، قالوا: هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمنا قليلا أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم"³. يقول د. مساعد الطيار في تفسير هذا القول: "أن نهي من نهي من الصحابة والتابعين مُنصَّبٌ على واحد من احتمالين: ما كان فيه طلب الاهتداء، وعلى هذا يحمل ما ورد عن ابن مسعود وابن عباس، الاحتمال الثاني: كثرة سؤالهم، وطلب ما عندهم من الغرائب وعلى هذا يحمل ما ورد عن الأعمش في شأن مجاهد"⁴. فالأخذ بالروايات الإسرائيلية تخضع للمنقول عنهم. والقصص

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)، رقم الحديث 4485، ج6، ص20.

² رواه أحمد بن حنبل في مسنده، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م، رقم الحديث: 14631، ج22، ص468.

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى كل يوم هو في شأن، رقم الحديث: 7523، ج9، ص153.

⁴ مساعد بن ناصر الطيار، تفسير القرآن بالإسرائيليات نظرة تقييمية، ضمن كتاب مراجعات في الإسرائيليات، إعداد نخبة من الباحثين، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط1، 2015، ص184-185

والأخبار مختلفة بينهم، نظرا لاختلاف بني إسرائيل أصلا في نقل الروايات بالزيادة والنقصان، لتحريفهم وعدم ضبطهم لما جاء في كتبهم.

– الإسرائيليات في كتب التفسير

استفادت كتب التفسير من الإسرائيليات في بيان بعض المعاني والجوانب المتعلقة بالقصص القرآني، وذكر الرقائق والمواعظ، وزيادة بيان وتفصيل فيما أُجمل وأُبهِم في القرآن، ولم يدخلوها في أصول الإسلام. مستندهم في ذلك حديث النبي ﷺ "وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" ولهذا أوردها أغلب المفسرون في كتبهم، ويظهر خطر الإسرائيليات في تفسير القرآن خاصة في مصنفات المفسرين المتأخرين الذين نزعوا عنها الإسناد وأصبحوا يرسلونها إلى الصحابي، بينما نقلها المتقدمون في مجالس علمهم وكتبهم لطلبة العلم بالإسناد وجعلوا العهدة على طلبة العلم في تمييز الصحيح منها والضعيف، لكن انتشار كتب التفسير بين العامة، وسيطرة الفضول لمعرفة تفاصيل القصص، وترويج القصصين لهذه الروايات، زاد من شيوع هذه الإسرائيليات، ومن ثمّ استفاد منها أعداء الدين من المستشرقين وجعلوها سببا للطعن في الإسلام والقرآن. يقول الأستاذ أحمد شاکر: "وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم أمرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم فأبي تصديق لرواياتهم وأقويلهم أقوى من أن نقرّها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟ اللهم غفرانك" ¹

واختلف المفسرون في إيراد هذه الروايات، فمنهم من أكثر منها لكن مع ذكر السند فيها، ورأى أنه بذكر أسانيدها خرج من عهدتها، مثل شيخ المفسرين ابن جرير الطبري. يقول الإمام ابن تيمية: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس، فأصحّها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل بن بكير والكلبي" ². وأغلب التفاسير تأخذ منه، فهو العمدة في التفاسير، كما أنه كان معتمد المستشرقين في نقل هذه الإسرائيليات إلى كتبهم أو في دائرة المعارف الإسلامية، وجعلها دلائل على شبهاتهم حول القرآن الكريم، متجاهلين المنهجية العلمية التي سار عليها الطبري في قبوله الخبر الإسرائيلي والتي بيّنها في تفسيره للآية 36 من سورة البقرة، ولخصها الدكتور مساعد الطيار بهذه الضوابط وهي:

¹ أحمد شاکر، عمدة التفسير، دار المعارف- القاهرة، 1956م، دط، ص15.

² أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمان بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، 2004م، ج13، ص354.

"موافقة كتاب الله، أن لا يدفع الخبر الإسرائيلي خبراً عن المعصوم، أن يكون تفسيرها موافقا للغة العرب، أن يتتابع عليه قول الصحابة والتابعين، أن يكون من الأمور الممكنة، وليس المستحيلة... ومما يحسن علمه أن اجتماع هذه الضوابط معاً يقوي قبول الخبر وليس المراد أن بعض الضوابط يستقلّ بقبول الخبر الإسرائيلي، وهذه الضوابط أشبه بالقرائن التي تحتفّ ببعض النصوص ضعيفة الإسناد، فتكون مقوية للخبر، أما انفراد واحد منها فلا يستقل بتقوية الخبر"¹

ومن المفسرين من ذكرها وتوسع فيها بدون سند ومن دون توثق، فرووا الكثير من الغرائب والعجائب مثل: مقاتل بن سليمان، الثعلبي، الخازن، البغوي، ولأن الثعلبي كان له كتاب مجالس العرائس الذي جمع فيه كل ما سمعه من إسرائيليّات في قصص القرآن بالإضافة إلى تفسيره، وكان كتابه المعتمد الثاني للمستشرقين في إيراد الشبهات عن القصص القرآني، ثم جاء الخازن فاختصر تفسيره، ثم البغوي الذي هذب تفسير الثعلبي أكثر، ويصف شيخ الإسلام ابن تيمية الثعلبي بقوله: "والثعلبي في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع"². ويصف البغوي بقوله: "والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة"³. وهذا لأن البغوي كان عالماً بالحديث، له خبرة في التمييز بين الصحيح والضعيف والموضوع، وينتصر الإمام القاسمي للثعلبي بقوله: "على أنه -قدس الله روحه- ناقلٌ عن غيره، وراوٍ ما حكاه بالأسانيد إلى أئمة الأخبار، وما ذنب مسبوقي بقولٍ نقله باللفظ وعزاه لصاحبه؟! ثم ينقل قولاً للقاضي ابن خلكان بعد ترجمة الثعلبي: "والقصد أن الصالحين كانوا يتقبلون الروايات على علاقتها للملاحظة المارة، لصفاء سريرتهم. فلا ينبغي إلا تفنيد الموضوع منها، لا الحطّ من مقامهم وقرض أعراضهم. كيف وقد تلقى الصحابة ومن بعدهم الإسرائيليات وحكوها، بل بعضهم اقتنى أسفارها وأدمن مطالعتها، لما استبان له من البشائر النبوية، وتحقق تحريفهم"⁴، كما أن ذكر هذه الروايات في التفسير لا يطعن في التفسير ولا في مصنّفه، فهي في

¹ ينظر: تفسير الطبري، مصدر سابق، ج1، ص 531، ومساعد بن ناصر الطيار، تفسير القرآن بالإسرائيليات نظرة تقويمية، مرجع سابق، ص 190

² أحمد ابن تيمية، مرجع سابق، ج13، ص354.

³ المرجع نفسه، ج13، ص354

⁴ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1،

1418هـ، ج1، ص31

الأغلب لا تمثل نسبة العشر من كتبهم، ولا تختص بكل الآيات، وهناك من اعتبرها من باب التفسير بالرأي، مثلها مثل التفسير الغوي.

وهناك فئة من المفسرين من ذكر هذه الاسرائيليات لكن تعقبها ببيان القبول أو التضعيف أو الإنكار لدرايته بعلم الحديث ومعرفته برواتها مثل الإمام ابن كثير، حيث يقول: "والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة"¹. وكذا كان فعل الإمام ابن عطية، والإمام أبو حيان التوحيدي، والإمام الألويسي، غير أنه جاءت في مصنفاتهم بعض الروايات الإسرائيلية ولم يعقبوا عليها وهي قليلة وفي هذا إشارة منهم إلى جواز الرواية لمن هو أهل لها من أصحاب العلم، أو ممن لا يُخشى عليه الفتنة.

د- ومن المفسرين المعاصرين من بالغ في ردّها ولم يذكر منها شيئاً يجعله تفسيراً للقرآن كمحمد رشيد رضا لكونه حشواً في تفسير القرآن، ويقول: "ولو علم لنا خيراً في التعيين و التفصيل لتفضل علينا بذلك في كتابه المبين، فنأخذ القرآن على ما هو عليه، لا ندخل فيه شيئاً من الروايات الإسرائيلية التي ذكروها، وهي صارفة عن العبرة لا مزيد كمال فيها"².

وتفسير القرآن الكريم وفهم القصص القرآني في حقيقته لا يحتاج إلى معرفة الإسرائيليات لأنه يمكن إدراك المعنى واستخلاص العبرة دون اللجوء إليها، لكن إيرادها إن كان مما يوافق الشرع يعضد المفاهيم ويكشف التفاصيل فهو مما يستفاد منه. كما أنها أخبار لا تُبنى عليها أحكام عملية. ولم يرد عن السلف أنهم اعتمدوا حكماً شرعياً مأخوذاً من روايات بني اسرائيل، فهي من قبيل التفسير بالرأي فقط.

إنّ الأخذ بالإسرائيليات في تفسير آيات القصص القرآني جائز إذا روعي فيه ضوابط معيّنة، ذكرها أئمة التفسير، بما يتوافق مع أحكام الإسلام، ولا ينقض رواية صحيحة، أمّا ما لم تثبت صحته أو تحريفه فيتوقف فيه، والأجدر ألا يرتبط بتفسير كلام الله تعالى وإن كان من باب المأذون بروايته.

¹ إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط2، 1999م، ج3، ص 181.

² محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، 1990م، دط، ج2، ص362.

الفرع الثاني: شبهة اقتباس القصص القرآني من الشعر الجاهلي

من أبرز الشبهات التي حاول المستشرقون إلصاقها بالقرآن الكريم وبنبيه محمد ﷺ، نسبة ما في القرآن الكريم وخاصة القصص القرآني إلى البيئة الجاهلية، كما اتهموه بأخذ كثير من عقائد الجاهلية وإدخالها في الإسلام مثل: "الإيمان بالقضاء والقدر، والإيمان بالجن، وحرمة الكعبة، والحج بكل ممارساته"¹، كما اتهموا النبي ﷺ بالاقْتباس من الشاعر الجاهلي امرؤ القيس، وقس بن ساعدة، في قصائد منسوبة لهم نظرا للتشابه الكبير بينها، أما القصص الموجود في القرآن فقد قالوا بنسبته لأمية بن أبي الصلت واقتباس النبي ﷺ من كل الأفكار وحتى بعض العبارات والأساليب.

ونشر المستشرق كيلمارت هوارت بحثا بعنوان (وجه الشبه بين القرآن وشعر أمية بن أبي الصلت) يقول فيه: "من بين شعراء العرب كان تأثير أمية بن أبي الصلت جد ملاحظ، إن أثر قصائد أمية - التي كانت محفوظة وكثيرة التردد على لسان العرب - على الرغم من أن النبي حاربها، كان عظيما بشكل لا يحتاج إلى المقارنة"² واعتبره مصدرا جديدا للقرآن بالإضافة إلى المصادر الأخرى، ويؤكد ذلك بقوله: "وأبيات قصائده في أغلبها الساحقة تقتصر على نظم مقاطع من الكتاب المقدس، وهذا ما سيمكننا من جديد من دراسة مسألة الشعر الجاهلي على تكوين القرآن"³.

وجال (هوارت) في بحثه كثيرا مقارنا بين القرآن وشعر أمية بن أبي الصلت ليصل في الأخير أن ما قيل من أن شعر أمية منحول، لا أساس له من الصحة، كون القرآن الكريم قد استعان به في بعض القصص، ولهذا السبب عمد المسلمون إلى محاربة شعر أمية، ونسبة الأولوية للقرآن والادعاء بأنه وحي كما يزعم هوارت.

ويسانده في النتيجة الأولى المستشرق فريدريك شولتهس (F.Schulthess) الذي جمع ديوان أمية بن الصلت سنة 1911م، والذي أصدره باللغة العربية والألمانية، وصرح فيه بأن شعر أمية شعر صحيح غير منتحل، إذ لا يعقل في نظره أن تكون 600 بيت لأمية منحولة وغير

¹ أحمد نصري، أراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية، دار القلم، الرباط، ط1، 2009م، ص 58

² كليمارت هوارت، مصدر جديد للقرآن، ص133، نقلا عن عبد الرزاق بن اسماعيل هرماس، مرجع سابق، ص86

³ المرجع نفسه، ص86

صحيحة"، لكن يخالفه في النتيجة الثانية ويدعي أن أمية والرسول ﷺ نُقلا عن مصادر وأساطير واحدة، وجعل أمية هو الأول ومحمد ﷺ في الترتيب الثاني من جهة الذكاء والقدرة على التحصيل وحسن الأخذ من الكتب، واستبقاء الصلة بين الأصول المنقول عنها، وبين ما نقل كل من أمية ومحمد¹.

ويشير كاتب مادة (أمية بن أبي الصلت) في دائرة المعارف الإسلامية المستشرق (براو)، إلى هذه الفكرة بقوله: "والآراء الدينية ومعالجة هذه الموضوعات في كلام أمية مطابقة لما جاء في القرآن إلى حد كبير، ويكاد الاتفاق يقع كلمة كلمة في كثير من الأقوال (انظر أبحاث Frank-Kamentzky)، ولهذا أثبت بالطبع مسألة اعتماد أحد القولين على الآخر"². ثم يشير إلى الاختلاف الحاصل في نسبة هذه القصائد إلى أمية، ويبتل ذلك بقوله: "ولكن لا توجد أسباب قوية تدعو إلى الشك في نسبة مجموع القصائد التي تناقلها الرواة منسوبة إلى أمية، اللهم إلا القصائد التي أضيفت إليها في العصر الإسلامي والتي تروى الإنسان بما فيها من محابة (كالقصيدة الثالثة والعشرين في مدح محمد) وقصائد أخرى فطن الرواة إلى أنها غير صحيحة النسبة إليه"³

لكنه يرفض إدعاء أن الرسول ﷺ قد اقتبس من أشعار أمية حيث يقول: "أما القول بأن محمدا ﷺ قد اقتبس شيئا من قصائد أمية فهو زعم بعيد الاحتمال لسبب بسيط هو أن أمية كان على معرفة أوسع بالأساطير التي نحن بصددتها كما كانت أساطيره تختلف في تفصيلاتها عما ورد في القرآن، وفي هذا حجة أيضا على أن أمية لم يقتبس شيئا من القرآن الكريم، وإن كان هذا غير مستحيل من الوجهة التاريخية"⁴. واستدل على ذلك برواية من كتاب الأغاني⁵ بأن أمية كان أول من قرأ كتاب الله. ثم يعلل التشابه بين قصائد أمية والقرآن "بحقيقة لا تتحمل شكًا بانتشار نزعات فكرية شبيهة بآراء الحنيفية تغذيها وتنشطها تفاسير اليهود للتوراة، وأساطير الإنجليين"⁶.

¹ عبد الجواد محمد الحمص، أباطيل الخصوم حول لقصص القرآني عرض ومناقشة، ددن، دط، 2000م، ص16.

² موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998م، ج4، ص 1203.

³ المصدر نفسه، ج4، ص1203.

⁴ موجز الدائرة، ج4، ص1203.

⁵ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الفكر - بيروت، ط2، دت ط، ج3، ص187

⁶ موجز الدائرة، ج4، ص 1203-1204

ثم يعرض لخلاف المستشرقين في تحديد طبيعة هذا المصدر، ف(شولتهتس) يرى أن المصادر الواحدة كانت مدونة، ويرى (نولدكه) أنها كانت مروية، ويبين (أبان تور أندريا) أنه "ليس بين قصائد أمية الدينية ما هو صحيح النسب إليه، وأنه يجب أن يعتبر من انتحال مفسري القرآن الأولين وهم القصاص كالسدي وابن عباس وغيرهما"¹.

ويردّ د. طه حسين على المستشرقين وهو المحسوب من تلامذتهم بقوله: "والغريب من أمر المستشرقين في هذا الموضوع وأمثاله: أنهم يشكّون في صحة السيرة نفسها، ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود، فلا يرون في السيرة مصدرا تاريخيا صحيحا، وإنما هي عندهم، كما ينبغي أن تكون عند العلماء جميعا طائفة من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيق ليمتاز صحيحها من منحولها، وهم يقفون هذا الموقف العلمي من السيرة، ويغفلون في هذا الموقف، ولكنهم يقفون من أمية بن أبي الصلت وشعره موقف المستيقن المطمئن، مع أن أخبار أمية ليست أدنى إلى الصدق، ولا أبلغ في الصحة من أخبار السيرة"².

ويؤكد المستشرق (بروكلمان) أن أكثر ما يُروى من شعر أمية هو في الواقع منحول عليه، ما عدا مرثيته في قتلى المشركين ببدر... فإن الحق ما قال (تور أندريه) من أن الأشعار التي نظر إليها (هوارت) في اتهامه هذا إنما هي نَظْمٌ جَمَعَ القصاصُ فيه ما استخرجه المفسِّرون من مواد القصص القرآني، وأن هذه الأشعار لا بدّ أن تكون قد نُحِلتْ لأمية منذ عهد مبكّر لا يتجاوز القرن الأول للهجرة، فقد سماه الأصمعي (شاعر الآخرة)، كما أراد محمد بن داود الأنطاكي أن يفتتح القسم الثاني في الدينيات من كتابه (الزهرة) بأشعار أمية³.

كما يرى د. عمر فروخ أن القسم الأوفر من شعر أمية قد ضاع، وأنه لم يثبت له على سبيل القطع سوى قصيدته في رثاء قتلى بدر من المشركين. وبالمثل نراه يؤكد أن كثيرا من الشعر الديني المنسوب لذلك الشاعر هو شعر ضعيف النسيج لا رونق له⁴، أما د. شوقي ضيف فيعييب على المستشرقين المستوى الضعيف للغة العربية عندهم، وذلك أن مستوى الأبيات المنسوبة واضح أنّها في

¹ المصدر السابق، ج4، ص1204

² طه حسين، في الأدب الجاهلي، الدار المصرية اللبنانية، دط، دت ط، ص143.

³ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحلیم النجار، دار المعارف-مصر، ط4، ج1، ص113.

⁴ عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط5، 1948م، ج1، ص217-218.

غير زمنها، ويردّ على هوارت بقوله: "ولو كان له علم بالعربية وأساليب الجاهليين، لعرف أنه وقع على أشعار منتحلة بينة الانتحال، ولما تورط في هذا الخطأ البين"¹

ويؤكد د. جواد علي أن بعض أشعار أمية الدينية مدسوسة عليه، ومن ثم لا يمكن أن يكون أمية قد اقتبس شيئاً من القرآن، وإلا لقام النبي ﷺ والمسلمون بفضحه، وعلى هذا فهو أيضا يرى أن شعره الذي يوافق فيه القرآن إنما صنّع بعد الإسلام صنعا؛ لأنه ليس موجوداً في التوراة ولا في الإنجيل ولا غيرهما من الكتب الدينية، اللهم إلا القرآن الكريم، وأن أكثره قد وُضع في عهد الحجاج تقرّباً إليه، وبخاصة أن شعره الديني يختلف عن شعره المدحي والرثائي وغيره، إذ يقترب من أسلوب الفقهاء والمتصوّفة ونُسك النصارى، كما تكرّرت إشارات الرواة إلى أن هذا الشعر أو ذاك مما يُعزى له قد نُسب لغيره من الشعراء، ثم إنه قد مدح الرسول ﷺ، كما أن في الشعر المنسوب له ما يدل على أنه قد آمن به، فكيف يتسق هذا مع رثائه لقتلى بدر من المشركين؟²، ولهذا يقسم بهجة عبدالغفور الحديثي شعر أمية الديني إلى قسمين: قسم يظهر عليه أثر الحنيفيّة وكُتب اليهود والنصارى، وقسم يظهر عليه أثر القرآن، وهو يميل إلى أن يكون القسم الأول له؛ كما يظهر من أسلوبه ومعانيه، أما الثاني فمنحول عليه؛ بدليل ما يبدو عليه من ركافة لغته وضّعف صياغته، ومن أسلوبه المستمد من القرآن³

ويلاحظ في كتب التراث عدم تناول العلماء المتقدمين لقضية التشابه بين شعر أمية والقرآن الكريم باستثناء محمد بن داود الأنطاكي، الذي كان يردّ - فيما يبدو - على من اتهم القرآن بالأخذ عن أمية بأن ذلك غير صحيح؛ لأنه ﷺ لا يمكن أن يستعين في كتابه بشعر رجل أقرّ بنبوته وصدّق بدعوته، وأنه لو كان صحيحاً رغم ذلك لسارع أمية إلى إتهام الرسول بالسرقة من شعره، وبذلك تسفط دعوته ﷺ بأيسر مجهود وأقلّه؟⁴

¹ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (العصر الجاهلي)، دار المعارف-مصر، دت ط، ط11، ص 396

² جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، ط4، 2001م، ج6، ص491 - 496

³ ينظر: بهجة عبد الغفور الحديثي، أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2009، ص125.

⁴ داوود الأنطاكي، الزهرة، تح: إبراهيم السامرائي ونور حمود القيسي، مكتبة المنار-الزرقاء، ط2، 1985م، ج2، ص503.

وتورد الروايات في كتب التاريخ إسلام قبيلة أمية وهي ثقيف، بما فيها أهل أمية (أخته وأبناءه الذين كانوا يقولون الشعر) وهذا أكبر برهان على عدم وجود أي اقتباس للرسول ﷺ من أمية وإلا كيف يكذِّبه أولاده، ويعتنقوا الإسلام، ولم ينقل عنهم أية رواية في اتهام النبي ﷺ بالأخذ من شعر والدهم، كما أن اليهود والنصارى في ذلك الوقت لم يؤثر عنهم أنهم اتهموا النبي بهذا الاتهام، حتى عندما لجأ إليهم المشركون لطلب مواضيع يتحدثون بها النبي ليدحضوا به ادعاءه النبوة، وهم الذين اتهموه بالأخذ من الغلام النصراني، ما يعني عدم وجود هذه الأشعار في ذلك الزمن بل انتجحت له بعد ذلك الزمن، أو أنهم أدركوا سبق النبي في الحديث عن هذه المواضيع، وأن أمية مجرد مقتبس منه فقط، لذا لم يُثر المشركون هذه القضية، وحتى أشهر الكتب الأدبية لم تنقل هذه الأشعار التي فيها تشابه مع القرآن، ولم يرد عن النبي ﷺ أنه اتهم أمية بالاقتباس منه، وعن عمرو بن شريد عن أبيه قال: "ردفت رسول الله ﷺ يوماً، فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء، قلت نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً، فقال: هيه، ثم أنشدته بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت" وفي رواية له: أن النبي ﷺ قال إن كاد ليُسلم¹.

ومن الناحية اللغوية البلاغية يتفوق أسلوب القرآن الذي أعجز العرب على أسلوب أمية، فهو عال في جودته اللغوية، وامتقن في الصناعة البيانية والبلاغية، وشامل لأمر الحياة والآخرة، بخلاف شعر أمية فهو مختلف من قصيدة إلى قصيدة، ومختص بالقصص أو التفكير في الكون فقط، ويظهر فيه الانتحال بسبب الركافة والحشو والضعف الشعري بالمقارنة مع ما عرف من قوة الشعر الجاهلي.

لهذا كانت هذه الشبهة ساقطة من بداياتها لضعف أدلتها وارتكازها على الافتراضات الوهمية، المنافية للوقائع التاريخية والشواهد اللغوية، لهذا ينتقد العقاد منهجية المستشرقين بقوله: "غير أنهم ما عدا القليل منهم محدودون سطحيون يحومون حول المسائل الحسية، ولا يتوسعون في النظر أو يتعمقون وراء الظواهر التي يلمسها شاهد الحس لمسا، فلا تخرج عنده من حدود ما يثبت أو ينفيه من وقائع العيان والسماع، فغاية ما يقصدون إليه من أمر اللغة أنهم يلتمسون الأسانيد المعتمدة عند

¹ رواه مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء التراث العربي - بيروت، دط، دت ط، كتاب الشعر، باب حدثنا عمرو الناقد، رقم الحديث: 2255، ج4، ص1767.

أهلها، فيأخذونها بالشك والتجريح، وأنهم يهدمون الدعائم القائمة ليستجيزوا بعد ذلك كل ادعاء يدّعون، وكل إنكار ينكرونه من أصول اليقين والاطمئنان"¹.

الفرع الثالث: شبهة التكرار في القصص القرآني

ورد في القرآن الكريم عدة قصص للأنبياء ولأقوامهم مع إشارة لبعض الشخصيات الفاعلة في التاريخ الإنساني، وهذه القصص لم ترد جملة واحدة، أو في موضع واحد أو سورة واحدة عدا سورة يوسف عليه السلام، بل وردت مفرقة في سور القرآن غير مجملة، لكن بمجموعها تتضح تفاصيل القصة المقصودة، وكان القرآن في كل مرة يعنى بإبراز جزئية في القصة حسب ما يقتضيه الهدف والسياق العام للسورة، وإن كان في هذا إعادة للموقف والمشهد، وهو ما اعتبره المستشرقون والطاعنون في الإسلام شبهة كبيرة، انتقصوا القرآن الكريم فيها، لأن يُكثر من تكرار القصص والمشاهد في غير حاجة لذلك حسب ظنّهم.

وحاول العلماء والمفسرون قديما وحديثا بيان أسرار التكرار في القرآن الكريم، وبحث أثره في الأسلوب البلاغي القرآني، وتأثيره على السامع أو القارئ، كالإمام الكرمانلي في كتابه: (أسرار التكرار في القرآن)، والإمام ابن الخطيب الفيروز آبادي في كتابه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، والإمام زكريا الأنصاري في كتابه (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن).

كما اهتموا بتحديد معنى التكرار لتحديد هل ما ورد في القرآن الكريم هو من التكرار أم لا؟ وقد عرف الزركشي التكرار بقوله: "إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسي الأول، لطول العهد به، فإن أعيد لتقرير المعنى السابق لم يكن منه"²، وهو ما يشرحه د. فضل عباس بقوله: "والتكرار - كما نراه - هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد ولمعنى واحد، فإذا لم يتوافر هذان الشرطان أي إذا لم يكن المعاد اللفظ نفسه، أو إذا دُكر اللفظ أكثر من مرة ولكن لكل موضع سياقه الخاص ومعناه الخاص فإن ذلك لا نسّميه تكرارًا أبدًا"³، وهي خاصية مهمة تُظهر أن استعمال اللفظ نفسه أو الجملة نفسها في معاني وسياقات جديدة تخرجها عن كونها من التكرار، وهو ما جاء في قصص القرآن الكريم، فإن النظرة العميقة المتأنيئة المحيطة بدقائق اللغة تكشف عن التنوع والابداع في إخبار القرآن الكريم عن الأحداث، وتصوير المواقف والشخصيات، بهدف التقرير والتوكيد أو

¹ عباس محمود العقاد، مطلع النور أو طوابع البعثة المحمدية، مؤسسة هنداوي - مصر، دط، 2013م، ص 260

² بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية-بيروت، ط1، 1957م، ج3، ص 10

³ فضل حسن عباس، مرجع سابق، ص 19

لإضافة جديد في المعنى، لأن الله ﷻ يورد القصة في كل سورة بما يتناسب مع موضوعها وسياقها، ما يجعل النفس تطرب لسماعها وتلاوتها، ولا تمل من قراءتها، وهو سمت القرآن الكريم في بيان روعة الإعجاز فيه.

فعرض المشهد الواحد في عدة مواضع مع مراعاة تنوع العبارات وطريقة الإخبار ودقة المعاني وموافقته للسياق الذي ذكرت فيه، من دلائل إعجاز القرآن الكريم، فأنت تدرك المشهد لأنه قد سبق من قبل، لكن لا تخرج من الحدث إلا بمعاني جديدة وعرض من زوايا أخرى، وأحيانا تكفي الإشارة المختصرة لتعيد الصورة لذهنك من غير حاجة للتفصيل. وقد شبه عبد الكريم الخطيب التكرار في القصص بالتصوير السينمائي¹ الذي يعطي لنفس المشهد حيوية وحركية، بخلاف ذكر المشهد مرة واحدة. فالتكرار زاخر بالعبير والعظات، ومحفز للعقل للتفكير والتأمل في قصص الغابرين. بوصل الحلقات بعضها ببعض، وربط المشاهد لاستخلاص العبرة منها.

والتكرار من أساليب العرب المعروفة، والتي تزخر بها أشعارهم وخطبهم، ويستعمل في العادة للتأكيد وتقرير الحقائق، "وهو يختلف عن الإطناب، ذلك لأن الإطناب تزيد في التعبير وإيراد المعنى، أما التكرار فهو تنويع مقصود لتوجيه النظر، ومناسبة الموقف والمقام"². لذا لم تعب العرب ما جاء في القرآن من تكرار للكلمات أو القصص أو الموضوعات، لأنها تدرك الأثر البالغ للتكرار في النفس الإنسانية، وتعدّه من سمات الكلام البليغ لما فيه من تجديد وتنويع ذو طابع فني ونفسي في نفس الوقت كما يقول د. تهامي نقرة: "إن التكرار في القرآن وثيق الصلة بمنهج القصص وهو يخدم غرضين في آن واحد، غرضا فنيا يتمثل في تجديد أسلوبها والتفنن في عرضها إيجازا أو إطنابا، وغرضا نفسيا بما له تأثير في النفوس، لأن المكرر ينطبع في تجاوب الملكات اللاشعورية التي تحتل فيها أسباب أفعال الانسان ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس"³.

ولهذا فهو من الوسائل الضرورية لغرس الأفكار وبناء الآراء وترسيخ المبادئ والقيم. لأن فيه تذكيرا دائما بالهدف والفكرة فتتشربها النفس طواعية. وتكرار القول يؤدي إلى تغير الفعل، فجعل القرآن الكريم التكرار أداة من أدوات التغيير، برز في كثرة ذكر القصص والأمثال، والتذكير بها "لأن سوقها في مناسباتها يكسبها صفتين: صفة البرهان وصفة التبيان"⁴، فهي برهان على الغرض المسوقة

¹ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج10، ص101

² محمد قطب عبد العال، مرجع سابق، ص 114.

³ التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، مرجع سابق، ص95

⁴ التحرير والتلوين، مصدر سابق، ج1 ص64

معها، وتبيان للحقائق والأحداث بصورة متجددة. بحيث لا تناقض فيها ما يظهر صدق القرآن في سرد الوقائع الماضية مع التفنن في الأساليب والسياقات.

وأغلب جزئيات القصص المكررة جاءت في السور المكية تأكيداً للمعاني الإيمانية في عقول المسلمين، وترويضاً لنفوسهم على الصبر والمجاهدة، وحثاً لهم على الاقتداء بسير الصالحين من الأقسام السابقة، كما أنها كانت تغرس أصول التوحيد والدعوة والبعث، وفيها وعظ وإرشاد للمشركين والكفار مع إنذار وتنبية لعاقبة ضلالهم وكفرهم بعرض مصير الأقسام السابقة، وجاءت عبارات التكرار في القصص قصيرة موجزة كسمة القرآن المكي مراعاة لحال المخاطبين فالعرب كانوا أهل بيان وبلاغة. وقد اختلفت آراء العلماء والباحثين في فوائد التكرار وبيان أهميته في القصص القرآني نجتمعها في النقاط الآتية¹:

- ظهور البلاغة والاعجاز، يقول الباقلاني: "فإن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً من الأمر الصعب الذي تظهر به الفصاحة، وتبين به البلاغة، وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة، على ترتيبات متفاوتة، ونبهوا بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدأ به أو مكرر"².

- أن تلك القصص تختلف حكاية القصة الواحدة منها بأساليب مختلفة ويذكر في بعض حكاية القصة الواحدة ما لم يذكر في بعضها الآخر وذلك لأسباب: منها تجنب التطويل في الحكاية الواحدة فيقتصر على موضع العبرة منها في موضع، ويذكر آخر في موضع آخر، فيحصل من متفرق مواضعها في القرآن كمال القصة أو كمال المقصود منها... ومنها أن يكون بعض القصة المذكور في موضع مناسباً للحالة المقصودة من سامعيها... ومنها أنه قد يقصد تارة التنبيه على خطأ المخاطبين فيما ينقلونه من تلك القصة، وتارة لا يقصد ذلك³.

- أن القصة الواحدة من هذه القصص كقصة موسى مع فرعون وإن ظن أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ فإن كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها،

¹ ينظر: بدر الدين الزركشي، مصدر سابق، ج3، ص11 وما بعدها، جلال الدين السيوطي، الانتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، ج3، ص203، محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص68-69.

² أبو بكر الباقلاني، مصدر سابق، ص61.

³ تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص68-69.

ومن أمثلة ذلك: عصا موسى ﷺ؛ فقد جاء سورة طه قوله تعالى ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ طه: ٢٠، وقال في سورة الأعراف ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ الأعراف: ١٠٧، وجاء في سورة النمل ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ النمل: ١٠، فهي حية باعتبار ضخامتها، وثعبان من حيث الخفة والنشاط وسرعة الحركة، وهي كأنها جان لكونها مرعبة

- تسليته لقلب النبي ﷺ مما اتفق للأنبياء مثله مع أممهم قال تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود: ١٢٠
- أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام فلهذا كرت القصص دون الأحكام.

- أن الله تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية، لصحة نبوة محمد ﷺ ثم بيّن وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرّر ذكر القصة في مواضع إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا بأي عبارة عبروا.

- أنه لما سخر العرب بالقرآن قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنزَلْنَا سُورَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ البقرة: ٢٣، وقال في موضع آخر: ﴿فَأَنزَلْنَا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلَهُ مُقْتَرِنَاتٍ﴾ هود: ١٣، فلو ذكر قصة آدم مثلا في موضع واحد واكتفى بها، لقال العربي بما قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا سُورَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ إيتونا أنتم بسورة من مثله فأنزلها سبحانه في تعداد السور دفعا لحجتهم من كل وجه.

- أن جمع المؤمنين جميع القرآن حفظا كان نادرا، بل تجد البعض يحفظ بعض السور، فيكون الذي حفظ إحدى السور التي ذكرت فيها قصة معينة عالما بتلك القصة. كعلم من حفظ سورة أخرى ذكرت فيها تلك القصة... فلولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى آخرين.

أما بالنسبة للقصص التي لم تكرر في القرآن فقد كان الهدف منها على الأغلب دراسة الطبيعة البشرية وبيان خصائصها وطبائعها، ثم عرض الجزاء والعاقبة كما كان في قصة صاحب الجنيتين وأصحاب الجنة ومؤمن آل فرعون مع الاحتفاظ بصدق وواقعية القصة، وإمكانية حدوثها في أي زمان ومكان. أما قصص الأنبياء مع أقوامهم فجاء الهدف الأساسي منه بيان حقيقة التوحيد وموقف الناس منه، وعاقبة الكافرين الظالمين، وعيدا لمن أراد أن يسير على خطاهم وينتهج نهجهم. وتشبيها لنفس النبي ﷺ والمؤمنين من حوله ومن بعده، على أن سبيل الدعوة صعب وشاق ومليء بالمكاره دواؤه الصبر والدعاء والاستعانة بالله.

ومن الشبهات العامة في التكرار ما قيل أن السيطرة اليهودية على البيئة العربية في ذلك الوقت هي التي جعلت قصة موسى عليه السلام أكثر القصص تكرارا في القرآن الكريم، والمتأمل لهذا القول يرى إغفالا كثيرا للحقائق التاريخية الثابتة، والتي منها أن العرب كانت لها آلهتها التي تعبدها، فمنهم من كان يعبد الأصنام ومنهم من كان يعبد الكواكب، ومنهم من كان على آثار الحنيفية، ولم يكن في مكة انتشار كبير لليهود أو النصارى، بل كانوا في المدينة، كما أن قصة موسى وفرعون التي تكررت في القرآن الكريم قد وردت في السور المكية قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءت تخالف تصور اليهود، وتعارض الكثير من معتقداتهم المحرفة وتكشف معاملاتهم السيئة، ولم تحايهم أبدا، ولو كان هناك سيطرة لليهود على النبي أو العرب ما كان هذا التناقض، ولما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة.

أما تكرار عرض قصة موسى فكان تثبيتا للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته إزاء ما يلاقونه من المشركين، وتقوية للإيمان في قلوبهم عندما يرون ما عاناه بنو إسرائيل مع فرعون، وتسلية لهم بالعاقبة الحسنى للمؤمنين، كما أن في قصة بني إسرائيل مع موسى تحذير من الأخطاء التي وقع فيها بنو إسرائيل تنبيهها للمسلمين لذلك، وفيها كشف لطباعهم وأخلاقهم وخاصة أنهم سيقفون على تضاد وعدا مع المسلمين إلى يوم القيامة.

الفرع الرابع: شبهة اقتباس القصص القرآني من الأمم السابقة

تقوم هذه الشبهة في أساسها على أن القرآن الكريم من إنشاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم اقتباسا وتقليدا من اليهودية والنصرانية، وأفكار الحضارات والديانات القريبة من الجزيرة العربية، وحجتهم في ذلك التشابه الكبير بين القصص القرآني وقصص الكتاب المقدس أو الهاجادة¹، أو من كتب وأساطير الديانات الوثنية، وقد عمل المستشرقون في العصر الحديث على الترويج لهذه الشبهة مستندين إلى تراثهم الأسطوري، وسرت فيهم هذه الشبهة كقاعدة أساسية في الحديث عن القرآن الكريم ونبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، واتفق المستشرقون على أن هذا الاقتباس لا يكون إلا بأحد طريقين: إما باطلاع محمد

¹ الأجادا: أحيانا ترد (أجادا) وأحيانا ترد (هاجادا) ونظرا للتشابه اللفظي ظهرا في البداية مستقلين ثم التقت دلالتهما في أنهما عكس الهاالاخا، فكما يرد في الجمارا عكس الهاالاخا يعد آجادا أو هاجادا. والتي هي المادة المتنوعة الموجودة في التلمود والمدراش، وهي مشتقة من فعل القول والرواية والمصطلح المرادف المستعمل في المصادر التي اكتشفت في أرض كنعان، والذي لا نجد له تفسيرا واضحا.

تعد الأجادا كذلك أحد أنواع الإنتاج الأدبي لليهود في فلسطين وبابل حتى عصر الهيكل الثاني.... فهي تجمع نتاج موروث تراث تاريخي يهودي كبير مختلط ومتأثر بالكتب الدينية اليهودية خاصة التلمود ينظر: عبير الحديدي، محمد السيد الصياد - رؤية الاجادا لداود وسليمان، رسالة الدكتوراه، جامعة عين شمس، 2002م، ص 71-73.

ﷺ على كتب هذه الديانات، أو بتلمذه على يد أحد الأخبار أو الكهان أو المعلمين ممن له علم بهذه القصص، وهذه الشبهة في أصلها قديمة رددتها قبلهم أفواه المشركين في عهد النبي ﷺ، وجاء توثيقها في القرآن الكريم، وكذا الرد عليها. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نَضْرَفُ الْأَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِيُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ الأنعام: ١٠٥، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا عَلَّمَهُمْ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ النحل: ١٠٣، فكيف للنبي العربي الذي جاء بكلام أعجز فصحاء العرب وشعرائهم، أن ينقله من شخص أعجمي اللسان على اختلاف في تعيين هذا الشخص إن كان من اليهود أو النصارى، قال الإمام الرازي: "إن أمر التعليم لا يتأتى في جلسة واحدة، ولا يتم في الخفية، بل التعلم إنما ينم إذا اختلف المتعلم إلى المعلم أزمان متطاولة ومددًا متباعدة، ولو كان الأمر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق أن محمدًا ﷺ يتعلم العلوم من فلان وفلان..¹، ولماذا لم يدع هذا المعلم شرف النبوة لنفسه، ونسب هذه المعرفة والكلام لنفسه.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْأَلُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت: ٤٨، وهذه الآية تشهد بأمية الرسول ﷺ، وتثبت أنه لم يطلع على كتب الأمم السابقة، بشهادة أهل مكة الذين لم يحاولوا أن يطعنوا في هذه الحقيقة، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِمْ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾﴾ يونس: ١٦. فحياة النبي ﷺ معلومة للقريشيين، ولو رأوا أو علموا عنه أنه يدرس عند أهل الكتاب لكشفوا أمره ومعلمه وزمان ذلك ومكانه، وهم يعلمون أن النبي لا يمكن له أن يأتي بهذه القصص من نفسه، لذا اتهموه بأنه درسها قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نَضْرَفُ الْأَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِيُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ الأنعام: ١٠٥، قال الإمام ابن كثير: "وليقول المشركون والكافرون المكذبون: دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم وتعلمت منهم"². بالرغم من أن الروايات التاريخية لم تشهد أن كان يتردد على معلم في جلسات علم ينهل منها، فقد كانت حياته بين الرعي والتجارة. وسيرة النبي ﷺ بينة جليلة قبل البعثة وبعدها. يقول الإمام ابن تيمية: "لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمها من أهل الكتاب مع عداوته لهم لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونه ولو أظهروا ذلك لُنُقِل ذلك وعُرف فإن هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقله"³

¹ تفسير الرازي، مصدر سابق، ج2، ص282.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص312.

³ أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تح: لي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره، دار الفضيلة الرياض، ط1، 2004م، ج5 ص326.

كما استدّل القرآن الكريم بموافقة خبر التوراة والانجيل **قَالَ تَمَّارٌ: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾** طه: ١٣٣، وإيراده أخبار الأنبياء والأمم السابقة بما تأكد عند المشركين وأهل الكتاب، في ذلك الوقت الذي لم يكن الرسول ﷺ يعلم عن أخبارهم شيئاً لأميته وجهله بقصصهم، وهم الذين تحدوه في أخبار السابقين مثل قصة أصحاب الكهف، وذوي القرنين، والروح، وماذا حرم إسرائيل على نفسه... فأجابهم القرآن بكل صدق وحق، فما وجدوا إلى الاعتراف بصدقه.

وقد حاول المستشرقون في هذا العصر الترويج لهذه الشبهة للتأكيد على أن القرآن الكريم ما هو إلا تجميع من الكتاب المقدس وما انتشر من تراث شفوي حوله، أو ما شاع من هذه القصص في البيئة العربية في ذلك الوقت، وظهر ذلك في أغلب صفحات كتاباتهم وإن كانوا اختلفوا في مصدر هذا التشابه هل هو يهودي أم مسيحي، من ذلك ما يقوله المستشرق الفرنسي بلاشير: "إن ما يسترعي نظر المستشرقين، هو التشابه الحاصل بين هذه القصص وبين القصص اليهودي - المسيحي، وإن التأثير المسيحي كان واضحاً في السور المكية الأولى"¹. ويقول المستشرق اليهودي جولدزبيرغ عن النبي ﷺ: "لقد أفاد من تاريخ العهد القديم، وكان ذلك في أكثر الأحيان، عن طريق قصص الأنبياء، ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل، بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم، وبهذا انضم محمد إلى سلسلة أولئك الأنبياء القدماء بوصفهم آخريهم عهداً وخاتمهم"² ويقول رودى باريت: "وإذا فكرنا في العناصر الأخرى التي يمكن أن يكون النبي محمد قد استمدّها من الموروث المسيحي اليهودي، واعتبارها جزءاً من دعوته، فيمكن القول إن القصص البيبلي (قصص الكتاب المقدس) كان أحد تلك العناصر، والذي يظهر في أشكال معدلة في سور قرآنية كثيرة"³. فهو يفترض أن النبي ﷺ قد اقتبسها وعدّل فيها حتى لا يثير حوله الشبهات.

وبناءً على هذا التشابه ألف بعض المستشرقين كتباً خاصة ومقالات متنوعة لإثبات مدى هذا التشابه والاقتباس الذي اعتمده الرسول ﷺ في تأليفه لقصص القرآن. فعمل غايغر على جمع الروايات

¹ R.Blachere, Le Brobleme du Mohammed,(paris,n,y),P 75 نقلا عن: مشتاق بشير الغزالي،

القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، دار النفائس، ط1، 2008م، ص93.

² اجناس جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، مرجع سابق، ص15.

³ رودى باريت، محمد والقرآن دعوة النبي العربي ورسالته، تر: رضوان السيد، الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت،

ط1، 2009م، ص67

والأخبار اليهودية وحتى الأساطير والخرافات غير الثابتة وجعلها أساساً للقصص القرآني في كتابه (ماذا اقتبس محمد من اليهودية) في تليفق واه التركيب، ضعيف البناء، غير متناسق الأركان. كل هذا حتى يؤكد أن مصدر القرآن هو اليهودية. فيذكر في مقدمة فصله الثاني الذي جعله للمقارنة بين قصص الأنبياء في اليهودية والإسلام: "سوف يثبت هذا القسم أنه الأكبر، جزئياً لأن هذه الروايات، المكسوة بثوب الخيال الأكثر عجائبية، عاش معظمها في فم الشعب؛ وجزئياً لأن هذا الشكل الخرافي جذب الهوى الشعري عند محمد، ويتناسب مع المستوى الطفولي لمعاصريه"¹.

كما أَلّف هاينريش شبابير² كتابه (قصص أهل الكتاب في القرآن، 1939م) مستعملاً نفس منهجية غايغر للتدليل على أن أصل القصص هي الروايات المسيحية، وألّف سايدر سكاي³ كتابه (مصادر القصص الإسلامية في القرآن وقصص الأنبياء، 1932م)، كما كتب بيرنات هيللر⁴ (قصص القرآن، 1994م) في مجلة عالم الإسلام، وكتب سان كلير تسدل كتابه (المصادر الأصلية للقرآن) الذي جعل من القصص القرآنية دليلاً على أن الإسلام بجميع من اليهودية والنصرانية ودين الحنفاء والجاهلية والزرادشتية.

ويشير منتجمري وات⁵ إلى الطريقة التي استفاد بها النبي ﷺ في رأيه من موروث الأمم السابقة حيث يقول: "لقد زاد انتشار الحكايات التوراتية في مكة والمدينة زمن محمد، ومن الطبيعي أن نتوقع أن زيادة المعرفة بها لا بد أن ينعكس في القرآن الكريم، ولا شك أن القرآن الكريم كان يضع في اعتباره طبيعة الناس الذين يتوجه إليهم القرآن بالحديث، أولئك الناس الذين لم تصل إليهم المعرفة إلا

¹ المرجع نفسه، ص 147

² هاينريش شبابير H. Speyer (1897-1935م): تخرج باللغات الشرقية على جوزيف هوروفيتش في فرانكفورت، من آثاره: القصص الكتابي في القرآن، ينظر: العقيلي، المستشرقون، ص 10.

³ سايدرسكاي Siderski D.: مستشرق وكيميائي، وعضو الجمعية الآسيوية، من آثاره: مصادر الأساطير الإسلامية في القرآن وسير الأنبياء، (باريس 1923م) وسلسلة مقالات في العقيدة.

⁴ بيرنات هيللر B. Heller (1857-1943م): مستشرق مجري، تخرج من جامعة بودابست وعني بالعلوم الإسلامية واليهودية، من آثاره: قصة أهل الكهف (1907م)، حكايات وإبطال يهود في القصص الإسلامية (1922-28) وعناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية (1928م)، قصة التوراة في الإسلام (1934م)، قصص القرآن (عالم الإسلام 1934م)

⁵ ينظر، العقيلي، المستشرقون، ص 554.

شفاهة¹، أما بروكلمان فيؤكد أن النبي ﷺ قد استقى قصص القرآن الكريم من الأساطير غير المعتمدة في اليهودية لجهله بذلك فيقول: "وليس من شك في أن معرفته -أي رسول الله محمد ﷺ- بمادة الكتاب المقدس، كانت سطحية إلى أبعد الحدود، وحافلة بالأخطاء، وقد يكون لدينا ببعض هذه الأخطاء، للأساطير اليهودية التي يحفل بها القصص التلمودي"².

كما يؤكد تسدل أن العرب كانت تعرف قصص اسفنديار ورستم التي كان يرويها النضر بن الحارث فبال تأكيد تأثر محمد بهذه القصص في القرآن الكريم، ويقول في ذلك: "يمكن أن نستنتج باطمئنان أن حكايات ملوك بلاد فارس كانت موضع اهتمام العرب وإنهم سمعوها عن (رستم) و(إسفنديار) وكانت متواترة بينهم... فإذا كانت معروفة، فمن الطبيعي أن محمدا استخدم بعضها منها، كما فعل مع الأساطير المسيحية اليهودية... ولم يكن القرآن والأحاديث بعيدين عن تأثيراتها"³. ثم يعرض عدة أحداث كنماذج عن ذلك مثل: قصة معراج النبي ﷺ إلى السماء التي يراها مأخوذة من أحد كتب الفرس القديمة، كما أنها واردة في كتب الهنود، ويوجد مثلها في الكتاب المقدس، والغريب أنه يحتج بثبوت قصة عروج أخنوخ (ادريس عليه السلام)، وإيليا والمسيح إلى السماء كما هي واردة في الكتاب المقدس، ويعرض عن باقي القصص في هذه الديانات لأنها خرافات وأساطير، ويجعل معراج النبي منها، فبأي حجة يؤمن ببعض القصص، ويرفض البعض الآخر، أم أن مجرد ورودها في الكتاب المقدس يمنحها المصادقية على التاريخ، ضف إلى ذلك أن قريشا تحدت النبي ﷺ مع استعانتها باليهود في قصص سورة الكهف، فلما جاءهم النبي ﷺ بالحق لم يعارضوه ولقد كانت من القصص غير المتعارف عليها، ومما يجعلها تسدل نفسه من الأساطير.

ويظهر في أقوال المستشرقين اعتمادهم صيغ التأكيد والجزم في الترويج لهذه الشبهة، وكأثما من الحقائق المؤكدة المتوارثة، وإن كانت الموضوعية العلمية تتطلب منهم البرهنة على ذلك، ونقض ردود المسلمين على هذه الشبهة، ثم اعتمادها كقاعدة ينتهجونها. وهذا متعذر لتهافت أدلتهم التي

¹ مونتجمري وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998م، ص 94-95.

² كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت، ط5، 1968م، ج1، ص 43

³ سان كلير تسدل، المصادر الأصلية للقرآن، تر: عادل جاسم، منشورات الجمل-بيروت، ط1، 2019م ص 189-190.

استقوها من الإسرائيليات، لكنّ القرآن كان بريئا منها. كما أن في اختلافهم وتناقضهم في نسبة كل قصة إلى مصدرها الحقيقي حسب ظنهم، لدليل على أنّ دعواهم غير قائمة على دعائم قوية. وقد كان لهذه الآراء وقعها على تاريخ الفكر الاستشراقي في دراسة القرآن الكريم، وجمعها المستشرقون في دائرة المعارف الإسلامية، التي تعد خلاصة الفكر الاستشراقي، وقد برزت فكرة الاقتباس من اليهودية وأساطيرها، والإنجيل وحكاياته لحياة المسيح، بشكل واضح في كل مادة من مواد الدائرة التي ترتبط بالقصص القرآني، وقلّما خلت منها الدائرة إلا فيما يخص أنبياء العرب، الذين لا ذكر لهم في الكتاب المقدس، أو التراث التوراتي والإنجيلي.

إن دعوى أخذ القرآن الكريم من التوراة والإنجيل قائمة في أساسها على اقتباس المتأخر وهو الإسلام من المتقدم وهما التوراة والإنجيل، وهذا دارج في كتابات الأمم والحضارات، وهذا لأنهم يعتبرون القرآن الكريم نتاجا أدبيا وتراثا عربيا وإنتاجا بشريا خالصا من طرف محمد، تنطبق عليه المناهج الوضعية. وهذه المقدمة الخاطئة بالتأكيد تقودهم إلى نتيجة خاطئة، لاعتمادهم على فرضيات غير مثبتة، وكان الأولى أن ينطلقوا من كون القرآن الكريم وحيا إلهيا كما يراه المسلمون، ثم يحاولوا إثبات خطأ ذلك باتباع الموضوعية العلمية، وليس جريا وراء الأهواء والآراء. فكل ما ذكره المستشرقون افتراضات لا دليل عليها فإن ورود تشابه في أصل القصة لا يعني الاقتباس، لأن التشابه الموجود في أصول القصص بين القرآن الكريم وما جاء في بقايا الرسائل السابقة، يؤكد على وحدة المصدر وهو أن القرآن وحى إلهي، وتتابع لسلسلة الرسائل السماوية، كما بين رسالتي موسى وعيسى عليهما السلام. لكن التوراة والإنجيل حُرِّفاً ونزل القرآن الكريم يصحح أخطاءهما، ويصدق الحقيقة الباقية فيهما.

كما أن المتأمل في نزول القصص القرآني يجد أنّ أغلبه كان في السور المكية، وفيه ذكرت التفاصيل والأحداث، أمّا في السور المدنية فغالبا ما يرد على سبيل الإجمال والتذكير بما ورد في القرآن المكي، ولم يثبت تاريخيا أي تواجد مهم لليهود والنصارى في مكة حتى تنتشر فيها هذه الحكايات، بل كان تمرّكزهم كان في المدينة، كما أن تفاصيل القصص كانت واضحة عند المسلمين قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة واتصاله باليهود فيها، وحتى في المدينة كانت كتب اليهود ومعارفهم الدينية حكرا على أحبارهم، فحتى عوامهم لا يطلعون عليها، فكيف يمكن لعربي أميّ أن يجوز هذا الشرف، كما أن في إيمان بعض هؤلاء الاحبار لشهادة بصدق نبوته.

وإذا فرضنا أن النبي ﷺ نقل بعض قصص الكتاب المقدس، فيجب أن يكون هناك نسخ معربة للتوراة أو الإنجيل، وهو ما لم يثبت تاريخياً لغياب الترجمة العربية للكتاب المقدس، حيث يقول متزغر في كتابه المتعلق بترجمات الكتاب المقدس: "من الراجح أن أقدم التراجم (العربية) للكتاب المقدس تعود إلى القرن الثامن"¹ كما أثبتت أغلب الدراسات أن أول ترجمة للكتاب المقدس كانت في القرن العاشر ميلادي، فأخذ النبي ﷺ من الكتاب المقدس واقتباسه باطل وغير واقع.

وحاول الباحثون وضع قواعد ليتحقق اقتباس اللاحق من السابق، تعين في تحليل قضية اقتباس القرآن للقصص من الكتاب المقدس منها: "تكرار المقتبس لأخطاء مصادره، ووقوع المقتبس في الخطأ عند محاولته مخالفة المصدر الأصلي، نظراً لبعد المدة الزمنية التي تفصله عن الأحداث مع قرب المصدر زمنياً من تلك الأحداث، بل وافتراض معاشته لبعضها، فإن قادت نتائجه إلى أنّ القصص القرآني قد خالف قصص التوراة والإنجيل في تفصيلات دقيقة وجوهرية، فإنّها بذلك تعتبر أنصع برهان علمي على تماثل مزاعم الجدل الاستشراقي حول القصص القرآني خاصة، وحول أصالة القرآن عامة"²

كما أنّ مناقشة هذه الدعوى باستعمال منهج النقد المقارن يبرز اختلاف بيننا بين القصص الكتابي والقصص القرآني، على مستوى المنهج والغاية والفكرة³، فعلى المستوى المنهجي، يلعب الخيال القصصي دوراً بارزاً في صياغة التوراة والإنجيل، يقول زينون كاسيدوفسكي: "تناقل اليهود تراثهم الديني من جيل إلى جيل، وساهم الطابع الفلكلوري لنقل الروايات الحقيقية بتطعيمها بكثرة من الخرافات والأساطير والأمثال والأقصوصات، جعلت من الصعب الآن التمييز بين الواقع والخرافة فيها"⁴. ونفس الشيء بالنسبة للمسيحية، أما القصص القرآني فهو الحق الذي لم تمسه يد التحريف، وقد دعا القرآن في آياته إلى تلمس حقيقة الآثار التي بقيت من الأمم السابقة التي جاءت قصصها في القرآن الكريم، مثل قصة سبأ وسد مأرب وأثار عاد وثمود. كما أن عرض هذه القصص على

¹ Bruce Metzger, The Bible in Translation (Grand Rapids: Baker Academic, 2001), p 46، نقلاً عن: سامي عامري، براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين، تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 2018م، ص327

² ينظر: عبد الراضي محمد عبد المحسن، ماذا يريد الغرب من القرآن، سلسلة تصدر عن مجلة البيان (الغرب والإسلام)، ط1، 2006م، ص196-197

³ المرجع نفسه، ص185-203

⁴ زينون كاسيدوفسكي، الحقيقة والاسطورة في التوراة، الأبجدية للنشر-دمشق، دط، 1990م، ص52

الكشوفات العلمية يكشف موافقتها للنظريات العلمية الثابتة¹، كما جاء في قصة خلق السموات والأرض.

كما أن منهج القرآن في عرض القصة فريد من نوعه، يخالف السرد التاريخي في الكتاب المقدس، والذي يغلب عليه الركافة والاسفاف، بخلاف القرآن الذي يختار مواقف معينة من القصص، وما يزيد القصة وضوحا وبيانا في القرآن، هو استشعار القارئ الموقف والحدث نظرا للتصوير الفني البديع، ما يجعل القارئ يتخيل المشهد ويعايشه ويحيط بمكوناته ودقائقه، بخلاف السرد المتسلسل في التوراة والانجيل، كما أن في التذكير بالقصة بأسلوب الإشارة، كلما دعا إلى ذلك السياق تنوعا في الأساليب البلاغية والبيانية، ما بين الاجمال والتفصيل، وغالبا لا تعاد القصة في الكتاب المقدس، لأنها تتبع التأريخ الزمني. كما تتميز القصة القرآنية بتجريد الزمان والمكان وأسماء الشخصيات إلا ما كان محوريا في القصة، في تركيز على الحدث والعبرة، وهو ما يظهر في خاتمة القصة، بينما ختام القصة في التوراة والانجيل يكون حدثا عرضيا عاديا.

أما الاختلاف الثاني فعلى مستوى الأهداف فالهدف الأساسي من عرض التوراة والانجيل للقصص هو التأريخ لها، لذلك جاءت حافلة بأنساب الأنبياء، والتأريخ للسير الذاتية والتيارات الأدبية، أما هدف القصة القرآنية هو العبرة والتسلية، لذلك يرى رودى باريت أن النبي ﷺ استفاد من القصة التوراتية والانجيلية وطوعهما لخدمة دعوته حيث يقول: "وكل ما أورده من قصص ومواد من التاريخين اليهودي والمسيحي، اتخذت معنى جديدا، لأنه أدخلها في المسار الطويل أو خط النبوة والهداية والخلاص من أجل التعزية والتشجيع"²، أي تسلية للنبي ﷺ ولأصحابه بذكر ما حصل للأنبياء السابقين مع أممهم، وتشجيعا للمؤمنين على الصبر والثبات، وهذا أحد أغراضها وإن كان لها أغراض أخرى.

وقد انفرد القصص القرآني ببعض الجزئيات عما جاء في اليهودية والمسيحية، مثل أمر الله للملائكة بالسجود لأدم وامتناع ابليس من ذلك، قصة موسى مع السحرة وإيمانهم من بعد، قصة محاججة إبراهيم مع قومه وتحطيمه للأصنام، وحوار نوح مع ابنه العاصي، كما انفرد القرآن الكريم بقصص كاملة لم ترد لا في التوراة ولا في الانجيل، ومواضع أخرى يظهر تفصيلها في الفصل القادم،

¹ ينظر: موريس بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، تر: حسن خالد، المكتب الإسلامي، ط3، 1990م. ص 171-172.

² رودى باريت، محمد والقرآن، مرجع سابق، ص124.

يؤكد معنى مخالفة المقتبس للمصدر، فالتشابه بين القرآن والتوراة والانجيل ظاهر في الفكرة وأصل القصة فقط، وما هذا إلا لأن التوراة والانجيل مازالا فيهما بعض من الحق الذي لم تطله أيدي الأبحار والرهبان، وتحرفهم أقلامهم، فكان القرآن مصدقا لهذا الحق، لكن القرآن الكريم يظل الكتاب الإلهي المهيم على باقي الكتب السماوية التي حرفت، لأنه المصحح لأخطائها والكاشف لتحريفها.

فقد ثبت بالنقد التاريخي للتوراة الذي اتبعه علماء الغرب أنفسهم على تحريفها، وأنها مجرد تجميع من عدة أشخاص، ما يظهر التناقضات بين سطورها وأفكارها، وهو الأمر نفسه بالنسبة للإنجيل الذي تتعدد نسخه بحسب كتابه، ما عزز الاختلاف بينها، فكيف لمثل هذه الكتب المحرفة أن تكون في مدار المقارنة مع الكتاب الذي حاولوا إخضاعه للنقد التاريخي وتبين تهافت حججهم.

كما اعتمد المستشرقون على الروايات المفسرة لما جاء في كل من التوراة والانجيل، مثل الهاجادة والتي هي عبارة عن الروايات الشفوية التي لا يعرف تاريخ تدوينها "بل إن هناك عدداً من الأدلة الموضوعية المتعلقة بالتحليل الفيلولوجي للأجادا تثبت أنّها هي التي تأثرت بالقرآن الكريم لاسيما على مستوى القصص وليس العكس، محددة بذلك بعض أجزاء من القصص القرآني المتعلق بموسى ويوسف وإبراهيم"¹، فكيف يمكن رد السابق إلى اللاحق، وهل هذا من أصول المنهج العلمي

كما لا يمكن الاعتماد على فرضية الاقتباس من ثقافة المجتمع العربي عن القصص والأساطير، "لأن القصة بتفصيلاتها وأحداثها وجزئياتها وحقائقها كما جاءت في القرآن الكريم، أمر لم يكونوا يقينا يعرفونه، والقرآن نفسه يحلّ هذه المسألة، ويبيّن وجه الحق في آيات كثيرة منه، فهو يمتن على المسلمين بقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٥١، وفي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ هود: ٤٩. ولو كان القريشيين يعلمونها لسخروا من النبي ﷺ، وحاجّوه بذلك، لكنهم لم يفعلوا.

إن شبهة الاقتباس من الأمم السابقة خطيرة جدا، لأنها تهدم الإسلام والقرآن من جذورها، لكن الباحث الموضوعي يظهر له تهافتها أمام الأدلة اليقينية، ذلك أنّ التشابه بينهما دليل وحدة المصدر، وما بينهما لا يصل إلى حد التناقض بل هو اختلاف في التفاصيل وكشف للحقائق والعبر.

¹ أحمد البهنسي، مرجع سابق، ص44.

الفرع الخامس: شبهة احتواء القرآن الكريم على الأساطير

من الشبهات التي أثارها المستشرقون حول القرآن الكريم والتابعة لاقتباسه من الأمم السابقة، أن بعض القصص القرآني يخالف ما جاء في كتابهم المقدس، لأنه يأخذ من أساطير اليهود والنصارى، ويستفيد من أساطير الأمم الغابرة التي كانت منتشرة في زمن النبي ﷺ على ألسنة الناس، وهي حكايات شعبية متوارثة في الفكر اليهودي، وليست ضمن الإطار الديني المقدس عندهم، ويتخذونها حجة في أن النبي ﷺ كان يجمع شتات القصص والأفكار من البيئات المحيطة به ليُكون ديناً جديداً للعرب.

وهذا الاتهام الموجه ضد القرآن الكريم قديم قدم الدعوة الإسلامية، فقد وُجّه قبلاً من طرف مشركي قريش، في بداية الدعوة الحمديّة، وأول ما صدر هذا المصطلح على لسان النضر بن الحارث، الذي كان يتعقب مجالس النبي ﷺ ثم يقصّ على قريش أخبار رستم واسفنديار، ليثبت للناس أن قصصه مثل قصص النبي ﷺ وأن هناك من هو قادر على مجاراته، فما قصصه إلا أساطير الأولين وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ الأنعام: ٢٥. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أن أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأمّية وأبياً ابني خلف استمعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ قال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول، إلا أني أرى يحرك شفثيه يتكلم بشيء وما يقول إلا أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، وكان يحدث قريشاً فيستملحون حديثه، فأنزل الله تعالى هذه الآية¹.

والأسطورة في اللغة: "السين والطاء والراء أصل مطّرد يدلّ على اصطفاف الشيء، كالكتاب والشجر، وكلّ شيء اصطّف. فأما الأساطير فكأنها أشياءكُ تبت من الباطل فصار ذلك اسماً لها، مخصوصاً بها. يقال سَطَّرَ فلانٌ علينا تسطيراً، إذا جاء بالأباطيل. وواحد الأساطير إسطار وأسطورة. وفي لسان العرب "الأساطير الأباطيل والأساطير أحاديث لا نظام لها... وسَطَّرَها أَلْفَها، وسَطَّرَها علينا

¹ علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، دط، 1968م، ص 207.

أتانا بالأساطير ... يقال سَطَّرَ فلانٌ على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقتها"¹. فالأساطير في اللغة أحاديث باطلة مؤلفة من البشر، تعتمد التنميق والمبالغة في سردها.

وأضيف لفظ الأولين في القرآن الكريم إلى لفظ أساطير ليصبح أساطير الأولين، وقد جاء بصيغة جمع الجمع في القرآن الكريم للسطر الذي كتبه الأولون، كما أنه جاء مرتبطاً بلفظة الأولين، ليعبر عن مسافة زمنية بين الأولين والآخرين، وورد في آيات كلها مكية إلا سورة الأنفال المدنية فقد ورد فيها في سياق مكّي لا لبس فيه، وبهذا يكون لفظ أساطير الأولين يحمل شحنة تحدي للوحي، والمصطلح عربي لكن مضمونه كان روايات من خارج الجزيرة العربية².

أما المفسرون فقد درجوا على تفسير أساطير الأولين بأنها ما أخذ أو نقل عن الأمم الغابرة، ويغلب عليها طابع الأباطيل، فيقول الطبري "وإنما عنى المشركون بقولهم: "إن هذا إلا أساطير الأولين"، أن هذا القرآن الذي تتلوه علينا، يا محمد، إلا ما سطره الأولون وكتبوه من أخبار الأمم! كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بني آدم، وأنه لم يوجه الله إليه"³. ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذًا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ النحل: ٢٤ "وإذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين، ماذا أنزل ربكم، أي شيء أنزل ربكم، قالوا: الذي أنزل ما سطره الأولون من قبلنا من الأباطيل"⁴. ويقول ابن كثير: "أي ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم"⁵. وكذا يرى الألوسي أنها الأحاديث المسطورة الباطلة فيقول: "أي ما هذا إلا أساطير الأولين أي أحاديثهم المسطورة التي لا يعول عليها، وقال قتادة: كذبهم وباطلهم"⁶. أي أخبارهم الباطلة المكتوبة، أما الطاهر بن عاشور فيرى في قولهم: "إن هذا إلا أساطير الأولين، يحتمل أنهم أرادوا نسبة أخبار القرآن إلى الكذب على ما تعارفوا من اعتقادهم في الأساطير، ويشتمل أنهم أرادوا أن القرآن لا يخرج عن كونه مجموع قصص وأساطير، يعنون أنه لا يستحق أن يكون من عند الله

¹ ابن منظور، مصدر سابق، ج4، ص363

² محمد الصالح الضاوي، أساطير الأولين، رؤية إسلامية مغايرة، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2011م، ص22-24

³ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج13، ص503

⁴ المرجع نفسه، ج17، ص189.

⁵ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص247.

⁶ تفسير الألوسي، مصدر سابق، ج4، ص120

لأنهم لقصور أفهامهم أو لتجاهلهم يعرضون عن الاعتبار المقصود من تلك القصص ويأخذونها بمنزلة الخرافات التي يتسامر الناس بها لتقصير الوقت"¹.

أما الأسطورة في العصر الحديث فيعرفها فراس السواح بقوله: "الأسطورة هي حكاية مقدسة مؤيدة بسلطان ذاتي"². فهي توافق الحكاية في عناصرها من زمان ومكان وشخصيات وأحداث وعقدة، وتمتاز عنها بالقداسة، والتأييد الذاتي في أسلوب صياغتها وطريقة مخاطبتها للجوانب الانفعالية والغير عقلانية في الانسان، وهي تتخذ من الدين منطلقا لها.

ويرى التهامي نقرة أن "أصل الأسطورة خرافة اخترعها خيال الإنسان لتفسير العلاقة التي تربطه بالوجود، وتعليل ما يجري فيه من بعض الظواهر التي عجز عقله عن معرفة أسبابها الحقيقية، فانساق مع الأوهام، لذلك كان أكثر الأساطير مما يثير العجب والدهشة، لأن الأحداث فيها لا تسير سيرها الطبيعي وفق سنن الكون، ولكن تسيرها قوة جبارة خفية تصنع الخوارق، وتتهيئ الظروف الملائمة لتمضي بها لا في المسلك الطبيعي، بل في المسلك الذي رسمه القاص إلى النهاية"³.

وبالرغم من التراث الشفوي والنقوش المنتشرة في جزيرة العرب إلا أن المشركين تخيروا لفظ أساطير لاشتهار الأساطير بالأساس الديني والمقدس، وطابعها الإخباري، وارتباطها بالأولين، الذين هم الموحدون الأوائل وليسوا أباءهم المشركون، قَالَ تَمَالِي: ﴿أَقْلَمَ يَدَّيْهِ رُؤُوسَ الْقَوْلِ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ **الْأَوَّلِينَ**﴾ المؤمنون: ٦٨، فالأساطير عندهم ما كان " نصاً قديماً مصفوحاً بعناية (شفوياً كان أم نقشاً) إلى زمن بعثة محمد... تلك المأثورات التي تتغنى بالتوحيد وتحت على الإعداد للبعث والحساب، تبين ذلك في تكرار ذكرهم للأساطير في مواضيع التوحيد والبعث"⁴.

ولم يرد هذا اللفظ عند أهل الكتاب في المدينة، لعلمهم بأن كل ما جاء به القرآن الكريم هو من صميم الوحي الإلهي، وهذه المواضيع والأخبار التي أوردها القرآن والتي حاول اليهود تحدي النبي ﷺ بها جاءت في كتبهم، كما أن وجود الأساطير في كتبهم جعلهم يدركون الفرق بين الوحي

¹ تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج7، ص182.

² فراس السواح، دين الانسان بحث في ماهية الدين ونشأة الدافع الديني، دار علاء الدين، سوريا، ط4،

2002م، ص 58.

³ التهامي نقرة، سيكولوجية القصة، مرجع سابق، ص159-160

⁴ قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية في مملكة البحرين، الأسطورة توثيق حضاري،

سلسلة عندما نطق السّرة، دار كيوان -سوريا، ط1، 2009م، ص124-125.

والأساطير. ولأن المشركين كان هدفهم الجدل والعناد فقط، وإسقاط القرآن من أعين الناس بأي تهمة كانت، أقروا "بأن ما يعرفونه سابقاً عن أساطير الأولين يتضمن معاني تقترب لما جاء به الرسول وهي تخالف معتقداتهم وما هم عليه"¹.

وهذه المعاني في أصلها لم تكن من اختراع عقل الإنسان بل جاء بها الأنبياء من خلال الوحي السماوي، فهم الذين كشفوا الستار عن هذه الأمور الغيبية، وأعلموا الناس بها، ودعوهم للإيمان بها والاستعداد للحساب، ومن ثم تناقلها البشر جيلاً بعد جيل، لكنها لم تحتفظ بحقيقتها التي جاءت مع الوحي، بل زيد فيها وأنقض، وتدخلت يد البشر بالعبث في تفصيلاتها بما يتلائم وطبيعة الفضول البشري، فأصبح منبعها الأساسي هو الوحي الرباني، لكن تفاصيلها مليئة بالكاذب والباطل. ولهذا نرى التشابه الكبير في القصص القرآني مع الأساطير، لأن بعض تفاصيل الأساطير مصدرها الأساسي هو الوحي، لكن باقي تفاصيلها شُوّهت وحُرّفت، فلم تبق على حقيقتها الربانية الناصعة. كما أن القرآن حكى الواقع الصادق عمّا جرى للأمم السابقة، وما حدث في الأزمنة الغابرة، ووصف ما اختلج في صدور أصحابها، وما دار في أذهانهم، لذلك جاء الرد الرباني عن اتهام المشركين للقرآن بأنه أساطير الأولين، بأنه أنزل ممن يعلم السر وما خفي في السماوات والأرض، لأن القرآن يصف الموقف ويتحسس الخواطر والأفكار، ويكشف التفاصيل على أسلوب المواكب للحدث المعيش له، وهو ما يغيب في الأساطير، كما أن تضارب الروايات الأسطورية فيما بينها، وكثرة الأعاجيب والغرائب فيها، زاد من إيمان الناس ببطلانها. واختير لها لفظ أساطير لتسطير الناس لها أي ترتيبها وفق شكل معين، أو لكتابة الناس حوادثها.

فالقرآن الكريم جاء لتذكير الناس بالحقائق الكونية الكبرى، التي طُمست في ظل الأساطير، وتثبت أن محمد ﷺ نبي من الله "لأنّ الأساطير في الأصل مادة تاريخية ثرية تحكي فكر الإنسان الموحد الأوّل، وتحتوي على ما يدعّم ويؤيّد مقالة الرسول ﷺ، فدعوته لهم بالعودة إلى روح التوحيد الخالص تتفق في جوانب منها مع أساطير العرب الأوّلين التي عبّروا فيها عن عقيدة التوحيد والإيمان بالعالم الآخر، وما رسالة محمد ﷺ إلا تذكرة وإعادة الإنسان إلى الصراط المستقيم الذي سار عليه الأولون منذ خُلِق آدم وكُلّف بحمل الأمانة"² قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ

سَبِيلًا ﴿١٩﴾ المزمّل: ١٩

¹ المرجع السابق، ص 112.

² المرجع نفسه ص 120.

ولهذا بين القرآن الكريم الفرق بين ما جاء في كتب الأنبياء من الحق والتوحيد والتي وصفها بزبر الأولين وبين أساطير الأولين، يقول القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَفِي ذُرِّيِّ الْأَوَّلِينَ﴾ الشعراء: ١٩٦، "أي وإن ذكر نزوله لفي كتب الأولين يعني الأنبياء"¹. فكتب وصُحف الأنبياء السابقين ليس فيها إلا الحق، أما الأساطير فغلب باطلها على الحق فيها.

وفي العصر الحديث أعاد المستشرقون بث شبهة اقتباس القرآن من الأساطير من جديد، تبعا لدراساتهم في علم الميثولوجيا، وحاولوا التأسيس للقصص القرآني عبر البحث في الحضارات والبيئات المحيطة بالجزيرة العربية، لكن ما زاد هذه الشبهة شيوعا هو كتاب (الفن القصصي في القرآن الكريم) لكتابه محمد أحمد خلف الله، والذي روج له المستشرقون خاصة في دائرة المعارف الإسلامية، فمن ضمن الكتب الكثيرة التي عُنت بدراسة القصص القرآني اختار المستشرق ناجل ومن كان وراءه في تحرير الدائرة هذا الكتاب المرفوض عند جمهور المسلمين والمطعون فيه، ليشيدوا بدراسته وأفكاره، التي كانت توافق منهجيتهم وأراءهم وتدعم شبهاتهم ومطاعنهم. فمما جاء في الدائرة "ولقد درست كل هذه المضامين النفسية والأخبار القديمة التي أشار إليها القرآن الكريم بأشكالها التهذيبية، باستفاضة، درسها خلف الله في كتابه الفن القصصي في القرآن"². وهذا الكتاب كان في أصله رسالة دكتوراه تقدم بها صاحبها لنيل الشهادة، فرفضت من قبل اللجنة المقترحة لمناقشتها لما جاء فيها من آراء وأفكار مناقضة أجمع عليها العلماء، أهمها تأكيد صاحبها على أن القصص القرآني لا يخلو من الأساطير، وأنّ "القرآن الكريم لا ينكر أن فيه أساطير وإنما ينكر أن تكون الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد ﷺ لم يجهه به الوحي ولم ينزل عليه من السماء"³.

وهو في بداية الأمر يعترف أنه يخالف قول المفسرين في وجود الأسطورة في القرآن فيقول: "أما هنا فلم يقل واحد من المفسرين بوجود القصة الأسطورية في القرآن بل على العكس نرى منهم كما نرى من بعض المحدثين نفورا من لفظ الأسطورة ومن القول بأنها في القرآن ولو إلى حد ما"⁴، ثم يحاول أن يجعل القرآن الكريم متميزا وسبقا إلى الحديث عن القصص الأسطوري في تحديد للفنون الأدبية الشائعة في الجاهلية آنذاك فيقول: "القصص الأسطوري يعتبر تجديدا في الحياة الأدبية المكينة

¹ تفسير القرطبي، مصدر سابق، ج13، ص138.

² موجز الدائرة، ص833، ع2.

³ محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم دار سينا للنشر - القاهرة، ط4، 1999، ص209

⁴ المرجع نفسه، ص199

وتجديدا جاء به القرآن الكريم، وتجديدا لم يألفه القوم ومن هنا أنكروه. إن هذه النظرة تفسر لنا جانبا من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم... وهو بذلك قد جعل الأدب العربي يسبق غيره من الآداب العالمية في فتح هذا الباب وجعل القصة الأسطورية لونا من ألوان الأدب الدقيق الرفيع¹. ثم استدل على قوله هذا بالاستناد إلى الآيات التي جاء فيها لفظ أساطير الأولين وهي تسع آيات، أربع منها في بيان إنكار الكافرين لقضية البعث كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاءُؤُنَا أَيُّنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّآبَاءُؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٦٨﴾ النمل: ٦٧ - ٦٨، كما أن أساطير الأولين ارتبطت بإنكار الوحي والقرآن كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٦٩﴾ النحل: ٢٤، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٧٠﴾ الأنفال: ٣١، ويستدل بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ أَكُتِبَ عَلَيْهَا فَهِيَ تُمَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٧١﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٢﴾ الفرقان: ٥ - ٦، ليصل في الأخير إلى أن القرآن الكريم لا ينفي ورود الأساطير فيه، "بل ينفي أن تكون هذه الأساطير من عند محمد ﷺ يكتتبها وتعلمى عليه، لذلك كانت إجابة القرآن متعلقة بمصدر هذه القصص وأنها وحي من الله، ولم يكن الجواب هذا القرآن ليس فيه أساطير².

كما يشير خلف الله إلى أن إحساس القوم بورود الأساطير في القرآن قوي وعنيف وعقيدتهم فيه ثابتة، لهذا جاء نفي القرآن لكون هذه الأساطير من تأليف محمد ﷺ، فيقول: "إذا كان كل هذا ثابتا فإننا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير لأن في ذلك لا نقول قولاً يعارض نصاً من نصوص القرآن"³، وهو قول لم يرد عند أحد من المفسرين والعلماء، ولهذا تعرض للنقد والتصويب بأقلام عدد من العلماء.

ويرد إسماعيل أحمد الطحان على رأي خلف الله في القصة القرآنية في عدة نقاط أهمها:
- أن القرآن نفى عن نفسه أن يكون أساطير الأولين في تنظير رائع حين يعرض الحق سبحانه السؤال عما أنزل على المشركين وعلى المؤمنين قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿٧٣﴾ النحل: ٢٤، قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ ﴿٧٤﴾ النحل: ٣٠،

¹ المرجع السابق، ص 208.

² المرجع نفسه، ص 206.

³ المرجع نفسه، ص 206-207.

وبيان ذلك: إذا كان في القرآن أساطير - ولا يعيبه احتوائه عليها - فهلاً قال المتقون كما قال المشركون (أساطير الأولين) ليلتقي الفريقان على حقيقة واحدة، لا غضاضة في قبولها... إن هذه المفارقة في الإجابة عن سؤال واحد أدل دليل على أن نفي الأساطير بقول المتقين (خيراً) لا شراً كما قال المشركون. بل كأن القول بالأساطير شر بالغ وجرم فاحش. فهل هناك نفي لهذا البهتان أبلغ من هذا النفي"¹.

- إن اتهم القرآن بكونه أساطير ورد في مواضيع إنكار ربانية القرآن وإنكار البعث والأخرة، كما اتهم في هذه المواضيع أيضاً بأنه قول شاعر أو كاهن، أو ساحر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنِ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْمِنٌ﴾ ﴿٧﴾ هود: ٧، فهي مقولات متنوعة مجادلة في مواضيع واحدة، فإذا قُبل وجود الأساطير في القرآن، فيجب قبول وجود السحر والكهانة والشعر على حد رأي خلف الله. وقد نفى القرآن الكريم عنه هذه المقولات قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٥٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ الحاقة: ٤٠ - ٤٣، نفاها بقوله ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ الحاقة: ٤٣، فهل لا يكون قوله ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الفرقان: ٦، تعقيباً على قولهم بالأساطير نفيًا للأساطير عنه؟.

وفي احتجاج خلف الله بأن القرآن أراد تجديد الحياة الأدبية في الجاهلية بإيراد الأساطير، دليل على أن العرب لم تكن تعرف الأساطير قبلاً، وهذا مخالف للواقع فقد أورد الباحثون عدة نماذج للأساطير المنتشرة في الجاهلية عن الجن، والأمم الغابرة وأساطير الحيوان تنقض دعواه، لا مجال لمناقشتها².

ومن القصص القرآني الذي يدرجه المستشرقون في باب الأساطير قصة هاروت وماروت، وقصة أصحاب الكهف، هذه الأخيرة التي يقول عنها تسدل: "من غير الضروري التعليق على السخافة المفرطة لهذه القصة كما جاءت في القرآن، وإن كان محمد لا يقع عليه اللوم في هذا الصدد فقد جرى قبولها على أنها صحيحة لدى الجهلة المسيحيين أنفسهم، حتى انتشرت على نطاق واسع، مع أنها كانت مجرد اختراع في جميع الاحتمالات"³، فبالرغم من ذكر القصة عند المسيحيين والمسلمين

¹ إسماعيل احمد الطحان، لا أساطير في القرآن، بحث علمي، ددن، دط، ، دت ط، ص 225

² ينظر: محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار محمد علي للنشر-تونس، و دار

الفارابي-بيروت، ط2، 2005م.و الجاحظ، الحيوان، ج 4

³ سان كلير تسدل، مرجع سابق، ص 126.

فهو ينسبها إلى الأساطير، ويعلل رأيه بقوله " فمن المرجح أن الغرض من القصة أن تكون رمزية، أو حتى نوعاً من الرومانسية الدينية، ومصاغة بنية تبشيرية لكي تظهر سرعة انتشار العقيدة المسيحية، من خلال الشجاعة والإخلاص حتى الموت لكثير من آباءها المؤسسين، ولكي يغدو هذا الاستنتاج ممكناً فقد حصلت هذه الأسطورة، فعلاً، على المزيد من المصادقية في أجزاء كثيرة من الشرق، قبل فترة طويلة من عصر محمد، وحتى في مكة وفي زمن محمد كان هناك من يؤمن بهذه الأسطورة على ما يبدو ¹. وما استدلووا به أن قصة نبي الله موسى مع الرجل الصالح ولقائهما في مجمع البحرين مأخوذة من ملحمة جلجامش، بالرغم من أن هذه الأسطورة كانت مكتوبة بلغات بائدة لم تكن معروفة في زمن النبي ﷺ، ولم تكن الألواح التي كتبت عليها هذه الأساطير قد اكتشفت بعد إلا في القرن الثامن عشر. وهي اللغة المسمارية التي انتهت في القرن الثاني الميلادي وكانت مجهولة بعد ذلك، فهل يمكن أن يكون النبي ﷺ قد اطلع عليها، أم أنه كان عالم آثار يجيد قراءة اللغات المندثرة. وسيأتي الرد على مثل هذه الشبهات في الفصل القادم لعدم التكرار.

لقد حرص القرآن الكريم على نفي وجود الخيال أو الباطل في قصصه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ آل عمران: ٦٢، ويقول في سورة الكهف قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ الكهف: ١٣، فالقرآن الكريم تنزيل من عند الله تعالى، والأساطير من تأليف القصاصين الذين أخذوا الأفكار الأساسية من الوحي الإلهي للأنبياء، وزيفوا الحقائق وشوهوا البيان، ونمقوا عباراتهم، وأدخلوا خيالاتهم، ليجذبوا الانتباه، ويأخذوا الألباب، فلا يمكن وضع هذا الزيف أساساً للحكم على القرآن. لقد كان القصص القرآني من أبلغ أساليب القرآن الكريم في توجيه الناس ودعوتهم إلى الحق، وأمتعتها تسليية، وأصدقها خبراً، وأحكمها عبرة، تميّزت بأهدافها السامية في معالجة النفس البشرية، وتسجيل السنن الإلهية، كما كان منهج عرضها يتناسب مع السور القرآنية، ومع السياق الواردة فيه، أهمل الحديث عن الزمان والمكان وصفات الشخصيات، ليركز على الأفعال وتركيتها، ومعالجة الأخطاء وتصحيحها، بالتفكير في الخواتيم، مستعينا بالتكرار لتثبيت المفاهيم وترسخ العبر والمواعظ، هذا ما جعل الحاقدين يتأولون الشبه ويلفقون الافتراءات حوله للنيل من القصص القرآني، لكن الله تعالى تعهد بحفظ كتابه الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠﴾﴾ الحجر: ٩

¹ المرجع السابق، ص 126

المبحث الثاني: دائرة المعارف الإسلامية

مدخل تمهيدي: نظرة عامة عن دوائر المعارف

يعرف بطرس البستاني دائرة المعارف بقوله: "الانسكلوبيديا (Encyclopedia) لفظة يونانية معناها دائرة التعليم، وهي في الأصل اسم لمجموع الفنون والعلوم التعليمية السبعة التي كان أعيان الناس يتعلمونها في القديم، وهي: الغراماتيق، والحساب، والهندسة، والموسيقى، والهيئة، والمنطق، والبيان. وقد ذكرها كونتليانوس، فقال: هي حدقة أو دائرة المعارف الكاملة. أما كلمة انسكلوبيديا في أيامنا هذه فمعناها ملخص المعرفة البشرية في باب واحد أو الأبواب كلها، وهي إما أن تكون مرتبة ترتيباً نظامياً موافقاً للارتباط المنطقي بين المواضيع، أو ترتيباً قاموسياً موافقاً لنظام الأحرف الهجائية"¹

ويعرفها محمد علي الاصفهاني هي: "مجموع المعارف الإنسانية، والفنون والثقافات والعلوم، وخلاصة مبسطة للمعارف البشرية، المشتملة على مختلف المجالات العلمية، ويتم ترتيبها في الغالب طبقاً للتسلسل الهجائي، من قبيل دائرة المعارف البريطانية، التي طبعت للمرة الأولى عام 1768م. وقد تقتصر دائرة المعارف على علم بعينه، كما هو الحال بالنسبة إلى دائرة المعارف الكاثوليكية وما إلى ذلك"²

فدائرة المعارف عبارة عن مرجع معرفي موجز منظم، متنوع المواضيع، متعدد الكُتاب والمتخصصين، مزودة بفهارس تحيل على المواضيع في مظاهرها. وتكمن أهمية دوائر المعارف أو الموسوعات في أنها السبيل الأول الذي يسلكه الباحث أو الانسان العادي للتعرف على أي موضوع لأنها تجيب على أسئلة المعرفة الأولية ماذا، متى، أين وكيف؟ وتصيغ الخلفية الفكرية عن أسس هذا الموضوع، كما تتيح له فرصة التعرف على المراجع المتاحة في موضوعه من خلال البيبليوغرافيا التي تكون في نهاية كل مادة. فالهدف منها توثيق المعلومات بدقة ومحاولة مواكبة التطور العلمي من خلال الملاحق والطبعات المحدثه للدائرة، كما أصبحت لها مواقع إلكترونية تساهم في نشر المعلومات الحديثة وتسهل على الباحث فيها الجهد والوقت والتكلفة.

¹ دائرة المعارف، قاموس عام لكل فنٍ ومطلب، المعلم بطرس البستاني، ج 4، ص 500.

² محمد علي رضائي، جولة في دائرة معارف ليدن القرآنية، مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ع1، صيف 2014م، ص197.

ومنهج هذه الدوائر هو تفتيت المعرفة إلى جزئيات صغيرة بحسب المجال، ثم ترتيبها هجائياً والربط بين الفكرة الواحدة بالإحالات، إضافة إلى ذكر المراجع المعتمد عليها في مادة الموضوع حتى يستطيع الباحث التوسع والتفصيل إن أراد، والموسوعات متفاوتة في بينها بخصوص المادة العلمية واستخدامها للصور والرسوم التوضيحية، ومراجعتها وكتابتها وحجمها.

وبهذا تتنوع الموسوعات حسب المجال الذي تكتب فيه إلى: موسوعات عامة تلم بشتات المعرفة دون الغوص والتعمق فيها، هدفها إعطاء نبذة عن الموضوع والإلمام العام بجزئياته دون تفصيل، وتكون موجهة لعموم الناس أو لفئة الناشئة، "ومن ثم فإن موادها تناسب القارئ المتعجل الذي يريد أن يلم بأطراف الموضوع ويحصل فيه على نوع من المعرفة المتميزة دون التعمق فيه"¹، أما النوع الثاني فتكون متخصصة في علم أو فن خاص تلم بكل تفرعاته وما يتعلق به، مثل دائرة المعارف الإسلامية فقد تخصصت بكل ما يتعلق بالإسلام في شتى العلوم والفنون والأعلام والأماكن.

ولكي تقوم الدائرة بدورها على أكمل وجه لا بد أن تتوفر فيها عدة نقاط أهمها:

- جمع أهم المعلومات الأساسية عن الموضوع بحيث لا يُحتاج إلى مصادر ثانوية لفهمه.
- ترتيب المعلومات في شكل مقالات موضوعية، باعتماد تصنيف هجائي أو منطقي.
- الالتزام بالشكل العام والمنهج العلمي في الكتابة، بالاستناد إلى ما هو مقرر علمياً وبعيدا عن الافتراضات الغير مثبتة.
- التزام الحيادية وعدم التعصب، والموضوعية في الطرح، وتجنّب إصدار الأحكام المسبقة، أو التجريح في الأشخاص أو الطعن في الأديان وانتقاص الآراء والأفكار أو محاولة فرضها.
- الاختصار مع توثيق المعلومة من مصادرها الاصلية.

واهتمت الحضارة الإسلامية بالتصنيف الشامل للعلوم والاحصاء الموسوعي قبل ظهور دوائر المعارف الحديثة، فقد اشتهرت بالكتب الموسوعية² التي تحوي أخبار العلم وتصنيفاته وأصحابه، من أشهرها كتاب "الفهرست" لابن النديم، "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري، "إحصاء العلوم" الفارابي، و"صبح الأعشى" للقلقشندي، "كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي... وفي هذا

¹ انظر مادة Encyclopaedia في دائرة المعارف البريطانية، طبعة 1974م، J. Barzun and H. Graff.

² هذه الكتب لم تكن على الترتيب الأبجدي للموسوعات، وتحوي موضوعات متنوعة مجموعة تحت صنف من أصناف العلم

العصر برزت موسوعات عربية حديثة على طريقة الموسوعات الغربية مثل: "دائرة معارف القرن العشرين" لفريد وجدي، "دائرة معارف البستاني" لبطرس البستاني والتي لم يكملها.

أما في أوروبا فقد بدأ العمل الموسوعي يظهر في الساحة العلمية منذ عصر النهضة الأوروبية - مطلع القرن التاسع عشر - وتطور تدريجياً ، ليأخذ إطاره العام كعمل علمي متميز¹. وقد شاع في أوروبا إطلاق كلمة (Dioctionary) على الموسوعات في بعض الفترات، ثم بدأ استخدام كلمة (Encyclopédia)، التي ازداد استخدامها فيما بعد حتى أصبحت مصطلحاً يطلق على هذا النوع من الكتب والمراجع². ومن أشهر الموسوعات التي عكف الغرب على جمعها "دائرة المعارف الفرنسية الكبرى" في 166 مجلد، و"الموسوعة البريطانية" في 32 مجلد، "دائرة المعارف الإسلامية" في 16 مجلد.

المطلب الأول: التعريف بدائرة المعارف الإسلامية وخصائصها

الفرع الأول: التعريف بدائرة المعارف الإسلامية

تعرف دائرة المعارف الإسلامية: (Encyclopedia of Islam) بأنها مجموعة من المقالات والبحوث المتعلقة بالإسلام والمسلمين بأقلام كبار المستشرقين، بدأت فكرتها عندما شعروا في مؤتمراتهم الدولية بالحاجة إلى دائرة معارف لأعلام العرب والإسلام لكي تجمع شتات دراساتهم عنهم باللغات الثلاث: الألمانية والفرنسية والانجليزية³.

وتظهر جهود المستشرقين في الانتاج الموسوعي فيما يخص حضارة الاسلام مثل كتاب "نجوم الفرقان في أطراف القرآن" للمستشرق جوستاف فلوجل و"المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي" و"مفتاح كنوز السنة" لفرنسك. و"تاريخ الأدب العربي" للمستشرق الألماني كارل بروكلمان.

وتعد دائرة المعارف الإسلامية خلاصة الفكر الاستشراقي على مر العصور، لأنها تجمع جهود المستشرقين والهيئات العلمية، فالعدد "الكبير من أساطين المستشرقين المساهمين فيها، وكبر

¹ ياسين صلواتي وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2010م، ج1، ص7.

² المرجع نفسه، ج1، ص6-7

³ خالد بن عبد الله القاسم، مرجع سابق، ص 54-56

حجمها، وتنوع المعارف فيها، واستمرارية إخراجها، وتعدد لغاتها حيث خرجت بالإنجليزية، والفرنسية، والالمانية، وتُرجمت إلى العربية والأردية والتركية وغير ذلك¹ كانت عوامل عززت من انتشارها ونفوذها الفكري، وأرست للاعتماد الأكاديمي والبحثي عليها في المكتبات العالمية والعربية مع ما فيها من أخطاء وشبهات عن الاسلام. ومعلوم أن أغلب دوائر المعارف الدينية يشرف عليها أهل الدين والاختصاص لحساسية الموضوع وعمق البحث والتأصيل فيه، لكن الملاحظ على دائرة المعارف الإسلامية هو إقصاء العلماء المسلمين من تحرير موادها أو مراجعتها، وإن كان أسند لبعض المسلمين مواد ثانوية منها. كما أن استنادها على المصادر الاسلامية والتصريح بذلك في نهاية كل مقال يوحي بصحة المعلومات والنقل الموضوعي، مع ما يكون فيه من بتر للنصوص وانتقاء للأخبار والأدلة، وإن كان ذلك يظهر بجلاء في المقالات التي تتصل بحقيقة الاسلام، هذا ما جعل المسلمين يقومون بترجمتها، وإعادة النظر والتعليق على موادها بما يصحح المعلومات فيها ويكشف الحقائق.

الفرع الثاني: خصائص دائرة المعارف الإسلامية

تمتاز دائرة المعارف الاسلامية بعدة خصائص ميزتها عن غيرها من الكتابات الاستشراقية والعلمية من أهمها:

- العدد الكبير للمستشرقين من شتى دول العالم، على اختلاف توجهاتهم وتخصصاتهم، واشراف أعمدة المستشرقين عليها مما منحها وزنا علميا، كما راعت هيئة الدائرة التخصص في البحث فكانت تسند المواضيع إلى المستشرقين بحسب تخصصاتهم وبعوثهم وتعمقهم فيها.
- جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي مع التركيز على الأفكار الأساسية والشخصيات البارزة والأحداث الكبرى فيه، وذكر شتى أنواع العلوم والمعارف وتراجم الشخصيات المشهورة في الإسلام، مع الإحالة على المراجع لمن أراد الاستزادة.
- الحرص على تحديث الدائرة تبعا لتطور العلوم الإسلامية والمناهج العلمية، واستخراج مكونات عدد كبير من المخطوطات، عن طريق إلحاق الأصل بملاحق سنوية تحوي إضافات جديدة للمواد غير أن هذه الإضافات لا توجد في موجز الدائرة ذو الترجمة العربية لأن أصل الترجمة هو الإصدار الثاني للدائرة بالإنجليزية غير المحدّث.

¹ المرجع السابق، ص53

- احتوت الدائرة على دراسات معمقة لبعض المواد مثل:
- * مادة القرآن الكريم (من ص 8154 إلى ص 8268) حوالي 114 صفحة مع الكتابة في عمودين لكل صفحة.
- * مادة التفسير: (من ص 2309 إلى ص 2350) 41 صفحة.
- * الاندلس: (من ص 1371 إلى ص 1290) 81 صفحة
- اعتمدت الدائرة على الترتيب الهجائي في تصنيف المقالات، مع تذييل المقال باسم مؤلفه وأسماء المصادر والمراجع المعتمد عليها في كتابة مادة الموضوع، توثيقا للمعلومات وتيسيرا لمن أراد الاستزادة والبحث في الموضوع.
- تعد الدائرة مرجعا مبسطا ويسير الفهم لجميع طبقات القراء، إضافة إلى بعض الإشارات التي يحتاجها المتخصصون.
- الاهتمام الكبير من طرف المؤسسات الغربية والهيئات العلمية، والدعم المادي والحرص على تطويرها على رغم الصعوبات التي عاقت استمرارها.
- فتح آفاق جديدة للبحث في الحضارة الاسلامية خاصة للباحثين الغربيين.
- النقد العربي والاسلامي حولها، لكثرة المطاعن والشبهات التي تخالف طبيعة الدين الاسلامي وحقيقة الرسالة والرسول ﷺ.
- تتميز لغة الموسوعة بالسهولة واليسر، وصياغة بسيطة للأفكار والآراء، توافق مستويات الناس المعرفية، وتتحاشى الألفاظ الغريبة والمتخصصة، مع ربط الأفكار بعضها ببعض كل ذلك بدقة واختصار وتناسق.
- الاعتماد الرئيس على الكتابات الاستشراقية في طرح الأفكار الاسلامية، ما يلقي بظله على مواد الموسوعة.
- بلغ عدد محرري الدائرة في الإصدار الأول لها أكثر من مائتي كاتب، بينما وصل عدد المحررين من المستشرقين في الإصدار الأخير لدائرة المعارف باللغة الإنجليزية أكثر من أربعمئة وخمسين (450) محررا¹.

¹ The Encyclopidia of Islam, prepared by anumber of leading orientalists, new edition, p5-11

- بالنسبة للترجمة العربية فلم تكتف بالنص الأجنبي، بل أضافت إليه الشروح والتعليقات المناسبة في النقاط التي يخشى فيها الالتباس أو يختلف فيها الرأي ونحو ذلك، وهو ما بينته لجنة الترجمة في مقدمتها على الإصدار الثاني للدائرة، حيث جاء فيها: "ولم تقتصر الترجمة على مواد الدائرة فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى التعليق على كثير من موادها بالتصحيح أو التكملة، أو رد هوى، أو درء مطعن، وتولى ذلك أئمة الكتاب والعلماء العرب، حتى أصبحت النسخة العربية من عدة وجوه أكمل من الأصل"¹.

- هذه التعقبات التي أوردها المترجمون غالبا ما تكون في هامش الموسوعة، ويلحق في آخرها اسم المتعقب بالبند العريض. وقد تنوعت هذه التعقبات بين الطول والايجاز، وكانت في المواد التي أشرفت عليها اللجنة الأولى لترجمة الدائرة أي المواد من حرف الألف إلى حرف العين.

المطلب الثاني : إصدارات الدائرة وترجمتها العربية

ظهرت فكرة كتابة "موسوعة الإسلام" في مؤتمر المستشرقين العاشر بسويسرا عام 1894م، نظرا لبروز الحاجة لموسوعة تجمع بحوث المستشرقين في شتى المجالات، وتسهل عملهم في الرجوع إلى المعلومات التي يريدونها، وتحتزل عليهم الجهد والوقت، كما يرى يوهان فوك أن المكتبة الشرقية² التي ألقت بفرنسا في أواخر القرن السابع عشر هي لب وأساس "دائرة المعارف الإسلامية" المعاصرة³، ويسانده محمود المقداد في أن "فكرة هذه الموسوعة قد استوحيت من مصدرين: الأول والأقدم هو المكتبة الشرقية، والثاني: الموسوعة الفرنسية التي وضعت في القرن التاسع عشر"⁴

¹ دائرة المعارف الإسلامية، إص 2، ج 1، ص 7.

² وضع مخطط "المكتبة الشرقية" المستشرق بارتولوم هيربلو B Herbelot عندما سافر إلى إيطاليا كنصف دارس ووجد الدعم من اللورد فرديناند الثاني، لجمع كل ما يعثر عليه في الكتب العربية والفارسية والتركية، من معرفة قيمة في ترتيب أبجدي مريح. ثم في فرنسا لما تقاعد، تفرغ أخيرا لأبحاثه وظهر مؤلفه تحت عنوان "المكتبة الشرقية" ولكنه توفي سنة 1695م قبل أن يكتمل طبعها، وطبعها كاملة أحد زملائه بعد ذلك، قال العقيلي: فيه أخطاء وضلالات ونواقض، ينظر: خير الدين الزركلي، الاعلام، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م، ج 2، ص 41، عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 603-604.

³ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، ط 2، 2002م، ص 103

⁴ محمود المقداد، مرجع سابق، ص 201

وقد كلف المستشرق (هوتسما) بإنشائها و(مطبعة ليدن) بإصدارها، وتولت نشرها (دار بريل) الهولندية، كما استعين بالجامع ومؤسسات نشر العلم في أوروبا قاطبة للإنفاق عليها. فبدأ تأليفها سنة 1906م، بمبادرة من المستشرق (هوتسما) الذي حرر الدراسات المتعلقة بالخلافة العثمانية وفارس والهند والهولندية، لكن لم يتم البدء في إصدار أجزاء هذه الموسوعة إلا في 1913م، ليحل محله المستشرق (فنسك) عام 1924م، وقد توالى صدور أجزاءها حتى سنة 1942م حيث اكتملت بثلاث لغات هي الفرنسية والألمانية والإنجليزية.

وتولى تحرير النسخة الألمانية: شادة وهارتمان وبوبر وهفنك، وتولى تحرير النسخة الفرنسية: (رينيه باسييه)، وأشرف أيضا على جميع الأبحاث المتعلقة بشمال إفريقيا ثم خلفه ابنه هنري، وتولى تحرير النسخة الإنجليزية (أرنولد) فأشرف على جميع الدراسات المتعلقة بالبلاد المتصلة ببريطانيا ما عدا مصر.

ثم عُهد بالمقالات المختلفة في كل موضوع من موضوعاتها إلى مستشرقين آخرين يوقعون على ما يكتبون، لكن أصيب نشاط لجنة الدائرة بعد الحرب بشيء من الاضطراب، وقضي على بعض أعضائها في ساحاتها، ثم استأنفت نشاطها بإشراف (كرامرز) و(جب)، وليفي بروفنسال بنشر طبعة جديدة منقحة سنة 1954م، وبعدها اجتمعت اللجنة في روما سنة 1956م، وقبل استقالة جب، فأصبحت لجنة التحرير مكونة من (شاخت)، و(شارل بيلا)، و(برنارد لويس)، ثم عقدت بعد ذلك دورات تتغير فيها اللجان مع بقاء الهدف فصدر المجلد الأول من الطبعة الثانية الجديدة عام 1960م تحت مسمى دائرة المعارف الإسلامية الجديدة، كما أن هناك إصدار ثالثا تم البدء فيه عام 2007م ويرافقه نسخة إلكترونية.

الفرع الأول: إصدارات الدائرة

الإصدار الأول (1913م. 1942م): أنجزت الطبعة الأولى من الدائرة في أربعة مجلدات ضخمة مع جزء ملحق بها، وبثلاث لغات: الفرنسية، الألمانية والإنجليزية، وكان المجلد الواحد يتألف من قرابة 1400 صفحة، من القطع الكبير، ومجرف طباعي دقيق، وورق رقيق¹، وهذه المجلدات كالاتي: المجلد الأول: من A - D في 1119 صفحة، المجلد الثاني: من E - K في 1243 صفحة،

¹ ينظر: محمود المقداد، مرجع سابق، 201-202، نجيب العقيقي، مرجع سابق، ج3 ص372

المجلد الثالث: من R-L في 1272 صفحة، المجلد الرابع: من S-Z في 1314 صفحة، الملحق: في 286 صفحة طبعة ليدن ما بين (1913م - 1931م)¹، وكان المستشرقون يقومون بترجمة المواد المحررة بلغة من لغات اللغات الثلاث، إلى اللغتين الأخرين مباشرة، ليتم صدور هذه الموسوعة باللغات الثلاث في الوقت نفسه²

الاصدار الثاني: (1954م-1977م)

نظرا لما شهدته الطبعة الأولى من الدائرة من نجاح في الأوساط العلمية، ورواج سريع، ومن تحقيقها لهدفها بالإحاطة بالجوانب المختلفة من حضارة الاسلام، عمل المستشرقون في المؤتمر الحادي والعشرين للمستشرقين، المنعقد في باريس سنة 1948م على إقرار تخريج طبعة ثانية من الدائرة يستدركون فيها نقائص الطبعة الأولى، ويحدثونها بما جدّ من بحوث ودراسات، فخرجت هذه الطبعة في ستة مجلدات يتألف كل منها من (1820) صفحة، من القطع والحرف المستعملين في الطبعة الأولى، مع التوصية بإصدار فهرس عام لمواد الموسوعة وكتابها، مع أطلس جغرافي وتاريخي، وتلحق الذيل بجملة المجلدات الستة المحتوية على متن المواد. وأوصى المؤتمر بأن تصدر هذه الموسوعة في طبعتها الثانية باللغتين الفرنسية والانجليزية فقط. وقد وضع المشروع تحت إشراف ليفي بروفنسال ... وبُدأ بإصدارها سنة 1954³.

وتكفل في البداية بتنفيذ المشروع " المجمع العلمي الملكي " الهولندي بالتعاون مع مندوبين من المجمع العلمية الأخرى التي يضمها الاتحاد الدولي للمجامع العلمية⁴، ثم في سنة 1962م منحت مؤسسة روكفار مبلغ 45 ألف دولار لاستكمال هذا الاصدار⁵

ويلاحظ على الطبعة الجديدة أن محرريها قد اتبعوا فيها سبلا شتى، فحينما يثبتون القديم كما هو، وأحيانا يثبتونه مع تعديل طفيف وتقديم وتأخير، وحيناً يثبتون القديم ويذيلونه بما استجد، وحيناً يحذفون القديم كلية⁶، إلا أن قسما كبيرا من الطبعة الأولى مثبت في الطبعة الجديدة، وقد أشير

¹ نجيب العقيقي، مرجع سابق، ج3، ص372.

² محمود المقداد، مرجع سابق، ص202.

³ ينظر: الإسلام والغرب برنارد لويس ص 46، محمود المقداد، مرجع سابق، ص202

⁴ دائرة المعارف الإسلامية، اص 2، المقدمة، ج1، ص8

⁵ المستشرقون، العقيقي ج3، ص372

⁶ دائرة المعارف الإسلامية، اص 2، المقدمة، ج1، ص8

إلى مثل هذا المواد القديمة المنقحة على يد لجنة تحرير الطبعة الجديدة بنجمة توضع عند اسم كاتبها الاصيلي ويتبع هذا الاسم مباشرة وبين قوسين اسم منقح المادة¹. ولقد وجدت هذه الطبعة رواجاً كبيراً كالطبعة التي سبقتها، فصدرت الطبعة الفرنسية المنقحة كاملة في الستينات، ثم طبعت عام 1981م، ثم أعيد طبعها 1986م، هذا دون ما صدر منها بالإنجليزية

الفرع الثاني: الترجمة العربية للدائرة

عملت اللجنة القائمة على الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية، على محاولة مواكبة الإصدارات المتتالية للدائرة أو بعض أجزاءها، رغبة منهم "بأن يساهموا في النهضة العربية والاسلامية، والعمل بصدق من أجل تحقيق الوحدة الثقافية في العالم الإسلامي"²، كما صرحت به في مقدمتها على الكتاب.

وقد ترجمت "دائرة المعارف الاسلامية" في ثلاثة إصدارات هي:

الإصدار الأول (1933-1967م): وأشرف على إخراجها مجموعة باحثين من خريجي كلية الآداب بجامعة القاهرة، وهم: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشتاوي، عبد الحميد يونس، محمد ثابت الفندي، بعد أن اختمرت فكرة القيام بهذا المشروع في أذهانهم، ثم كونوا "لجنة ترجمة الدائرة" إلى اللغة العربية على أن يتقاسموا هذا العمل، ثم يشرعوا في إنجازها³، واعتمدت هذه الترجمة على الإصدار الأول من النسخة الأجنبية، وبدأ إخراجها في سنة 1933⁴، وكان خروجها على شكل أجزاء متفرقة، كأجزاء المجلات في كل شهرين جزء، إلى أن تم المجلد الأول من الترجمة في نفس السنة، وتوالى بعد ذلك ظهور المجلدات الأخرى حتى المجلد الخامس عشر الذي صدر سنة 1967م⁵. وكل مجلد يقارب خمسمائة صفحة، وكانت موادها من حرف الألف حتى أجزاء من حرف العين، وبالتحديد انتهت بمادة "عارفي باشا" وطبعتها دار الفكر بالقاهرة.

الإصدار الثاني (1969م): وفي عام 1969م أعادت لجنة الترجمة المحاولة من جديد، وبدأت بإخراج طبعة ثانية، أضيف إليها المواد المستحدثة في الطبعة الثانية من الموسوعة الأصلية، لكن

¹ تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص 202

² دائرة المعارف الاسلامية، إص 1، المقدمة، ج 1، ص 5.

³ دائرة المعارف الاسلامية، إص 1، المقدمة، ج 1، ص 6.

⁴ محمود المقداد، مرجع سابق، ص 206

⁵ ياسين صلواتي وآخرون، مرجع سابق، المقدمة، ج 1 ص 20

ضخامة الموسوعة وتعدد مجالاتها وقفت حائلا دون إتمام ترجمتها، فتوقفت بعد صدورها في ستة 16 مجلدا¹ كل مجلد يقارب ستمائة صفحة، ابتدأت بحرف الألف وانتهت بحرف الحاء عند مادة (خدا بخش)، وهذه الطبعة مشتملة على ما وُجد في الطبعة الأولى، ورمزوا للمواد المضافة في الطبعة الثانية بالرمز (+).

ويبين المترجمون مدى الصعوبات الجمة التي كانوا يلقونها في إنجاز مثل هذا العمل الضخم، حيث جاء في مقدمة الإصدار الثاني: "وهل يخفى على العارفين أن ترجمة مثل هذه (الدائرة) قد لا تقل صعوبة على تأليفها؟ ... فضلا عما تقتضيه الترجمة من تحقيق أسماء البلدان والأعلام والأماكن، وتحرير النصوص من مظاهرها المشتتة وبعضها مخطوط عسير المنال... ناهيك بمزلق الترجمة في المسائل الإسلامية، والجهاد الذي يكابده المترجم في تحري المصطلحات في شتى العلوم والفنون، بل نحتها في بعض الأحيان، وفوق ذلك كله العقبات المادية... إذ المال - بعد العزيمة - هو عصب كل شيء"²، ومما زاد من صعوبات الأمر رحيل رواد ذلك المشروع والكثير ممن شاركوا في الترجمة.

الإصدار الثالث: (1998م): في منتصف التسعينات، وبمبادرة من الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة، وبالتعاون مع الهيئة المصرية للكتاب، بدأ التفكير الجدّي في استكمال مشروع ترجمة "دائرة المعارف"، بعد حرف العين انتهاء إلى حرف الياء³. فصدرت في سنة 1998م- 1418هـ تحت إشراف عام ل.أ.د محمد سمير سرحان، ومراجعة وإشراف علمي لكل من: أ.د. حسن حبشي، أ.د. عبد الرحمان عبد الله الشيخ، أ.د. محمد عناني، ومدير التحرير د. خلف عبد العظيم سيد الميري، والمشرف الفني ومصمم الغلاف: محمود الهندي. وتميز هذا الإصدار: بالاعتماد على الإصدارين الأولين المترجمين بما فيهما من تعليقات، مع اختصار كثير من المواد والمعلومات، والتعليقات الأقل أهمية، أو لكونهما غير لائقة بالقرآن الكريم أو بشخص النبي ﷺ، إضافة لإتمام الأجزاء غير المترجمة من الإصدار الثاني من الدائرة الأصل، باختيار معلومات أساسية في تاريخ الحضارة الإسلامية.

¹ موجز دائرة المعارف الإسلامية، مصدر سابق، المقدمة، ج1، ص (ز-ج)

² دائرة المعارف الإسلامية، إص 2، المقدمة، ج1، ص 7

³ موجز الدائرة، المقدمة، ج1، ص (ح)

المطلب الثالث: منهج كتابة موجز الدائرة وأبرز محريها

الفرع الأول: منهج كتابة موجز الدائرة

ابتدأت مقدمة موجز الدائرة بكلمة من شيخ الأزهر الشريف فضيلة الإمام الدكتور محمد سيد طنطاوي، والتي بدأها ببيان فضل العلم وأهله وساق في ذلك عدة شواهد من القرآن الكريم والسنة الشريفة، ليؤكد أن هذا العصر هو عصر العلم، وهو ميدان لتنافس الأمم، من أجل تحصيل الثقافة والرقي الفكري وكذا زيادة الإيمان وإخلاص العبادة لله تعالى. وقد جاء نشر دائرة المعارف الإسلامية خدمة لهذه الأهداف، وقد أبرز قيمتها بقوله: "تعد على رأس المشروعات العلمية الضخمة التي تهدي العقول إلى كنوز من المعارف الجليلة"¹، ثم يعدد مجالات موادها، لينهي كلمته بشكر من اشرف على اخراج هذه الدائرة بصورتها.

ثم جاء من سبيل التقديم لموجز الدائرة كلمة سمو الدكتور الشيخ السلطان بن محمد القاسمي، أشاد فيها بتحقيق الحلم الذي راود الجميع واستغرق إنجازه عقوداً من الزمن، وهو استكمال ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، كما أن هذا العمل يعد باكورة إنتاج مركز الشارقة للإبداع الفكري، الذي يهدف إلى توفير الموسوعات وأمهات الكتب بما يخلق "مناخاً ثقافياً متجدداً ومفعماً بالحياة ليستعيد المجد الثقافي للأمة العربية والإسلامية، ويتيح أمام جماهير القراء والباحثين والدارسين الوقوف على ثمار المعرفة الانسانية في أعظم تجلياتها، خاصة ما أنتجته القريحة العربية قديماً وحديثاً، من أعمال فكرية وابداعية تمثل خلاصة ضمير الأمة ومخزونها الثقافي"².

بعدها جاءت كلمة رئيس هيئة الكتاب والمشرف العام على الدائرة د. سمير سرحان، والتي أكد فيها على أن مشروع ترجمة الدائرة كان ثمرة من ثمار التعاون الثقافي العربي، من أجل إحياء التراث والتعرف على جذور الحضارة العربية الإسلامية. وهو في أصله "نتاج عمل صفوة علماء الشرق والغرب المهتمين بالدراسات الإسلامية... وكان هدفهم من إخراجها أن يتناولوا بالبحث مختلف جوانبها ومقوماتها الدينية والفلسفية..." حتى أنها كانت فيها بحوث مركزة لا مجرد تعريف بالمادة فقط، وأشار إلى " (تزاوج) النظرة الموضوعية والعلمية للتاريخ الإسلامي، ويمتزج الاجتهاد بين علماء الغرب أو المستشرقين وعلماء الشرق من المسلمين على حد سواء، فلم تكثف ترجمة هذه

¹ موجز الدائرة، المقدمة، ج1، ص (ج)

² موجز الدائرة، المقدمة، ج33، 10247

الموسوعة بنقل النص الأجنبي، بل أضافت إليه الشروح والتعليقات المناسبة في النقاط التي يُحشى فيها من الالتباس أو يختلف فيها الرأي، أو تتعدد فيها الرؤى¹

ثم عرج على الصعوبات التي واجهت ترجمة الدائرة والتي منها "ضخامة هذه الموسوعة وتعدد مجالاتها التي لم تترك جانبا من جوانب الحضارة الإسلامية وتاريخها، ومما زاد من صعوبة الأمر رحيل رواد ذلك المشروع والكثير ممن شاركوا في ترجمته... (و) صدور طبعة جديدة في مطلع الثمانينيات ضاعفت من حجم الموسوعة ... أي أنها سوف تحتوي على خمسة عشر مليون كلمة، وأن إعداد هذه الطبعة سوف يستغرق نحو عشرين عاما تقريبا"².

ثم يبرز المشرف العام مزايا الطبعة الجديدة التي استكملت بعد حرف العين إلى الياء، حيث كانت "في 32 جزءا، مرتبة ترتيبا أبجديا، ومزودة بالكشافات التحليلية للأعلام والوقائع والأحداث التاريخية لكي يتيسر على القارئ الوصول إلى المعلومة المطلوبة في أي جزء منها... وموضح قرين كل مادة اسم مترجمها علاوة على كاتبها الأصلي"³، كما قامت لجنة التحرير بإضافة بعض التعليقات، وتحديث بعض المعلومات، بالإضافة إلى توحيد أرقام الآيات القرآنية طبقا لطبعة المصحف الشريف (إصدار الأزهر).

وذكر سبب اختيار مصطلح (موجز الدائرة) ذلك أنه "نركز فقط على المواد ذات الأهمية الكبرى والأساسية، وحذفنا المواد التي تبدو غير ذات أهمية مثل: أسماء بعض الشعراء والشخصيات، أو الأماكن التي لا تمثل أهمية خاصة بالنسبة لمسيرة الحضارة الإسلامية"⁴. وربما أضيفت معلومات جديدة لمادة موجودة في مكان آخر⁵.

وقد جاء موجز الدائرة في 32 مجلدا، وخصّص الجزء الثالث والثلاثون منها للفهارس والكشافات. وابتدأ المجلد الأخير الخاص بالفهارس العامة لمواد الدائرة، بمقدمة أبرزت أهمية دائرة المعارف الإسلامية، وكذا أهمية التكشيف الذي تم فيه "اتباع القواعد الفنية التقنية في التوثيق والتحليل

¹ المصدر نفسه ج33، 10247

² مقدمة الدائرة، ص(ح).

³ مقدمة الدائرة، ص(ح- ط)

⁴ موجز الدائرة، المقدمة، ج1، ص(ك).

⁵ مثال ذلك: أبو العلاء المعري الموجود ترجمته في الإصدار الثالث في نفس ترتيبها ج 2 ص 374-380، ثم أضيفت مادة جديدة (المعري) ج30 ص 9443-9449، وربما كان المراد أن الموضوع أنسب وليس الأمر سهوا، بدليل إشارتهم ذلك في الهامش، ولعل الأفضل أن تكون المادتين في موضع واحد تسهيلا للقارئ.

والاستناد إلى آراء الأساتذة المتخصصين في علم المكتبات والمعلومات¹، إضافة إلى اعتماد التقنيات الحديثة من برامج الحاسب الآلي بمركز المعلومات بالهيئة المصرية العامة للكتاب في تنظيم وترتيب هذه الموسوعة. وذلك من خلال "التحقق من محتويات وثيقة معينة عن طريق تحليل مضمونها تيسيرا على القارئ، وتقريبا للمعلومة المطلوبة داخل العمل الموسوعي الضخم. بالإضافة إلى ربط الموضوعات المتصلة ببعضها البعض لتجنب تشتت الموضوعات المدرجة تحت مداخل مختلفة بقدر الإمكان بما يعرف "الإحالات"².

وقد كانت خطة عمل الكشاف قائمة على:

- مدخل أساسي هو كشاف الكلمات الدالة
- ومدخل فرعي وهو كشاف خاص بالمؤلف والمترجم والمحقق والمعلق.
- وكشاف الكلمات الدالة هو كشاف هجائي يحتوي على الكلمات الدالة في كل جزء من أجزاء الموسوعة، سواء كانت أسماء أشخاص، أو أماكن أو كانت مواضع ذات دلالة دينية أو تاريخية أو كتب أو قبائل... ومثاله:

بدر (غزوة)

ج 29 - ص 9139، ع 1.

الآثار الباقية (كتاب)

ج 10 - ص 3039، ع 2

ويمكن إجمال مفاتيح البحث التي وضعت في هذا الكشاف لبيان طريقة البحث في موجز الموسوعة:

- الموسوعة مرتبة ترتيبا هجائيا من الألف إلى الياء، على ما ورد في النسخة الأصلية لدائرة المعارف الإسلامية.

الكلمات الدالة مرتبة ترتيبا هجائيا من الألف إلى الياء مع حذف (ال)، فيكتب عنوان المقال بخط واضح في كشاف الكلمات الدالة ويلحق بها الجزء مع بيان صفحة البداية والانتها، (ص ص). ورقم العمود مثال: آدم ج 1 - ص ص 7-14

ج 14 - ص 4428، ع 2

¹ موجز الدائرة مقدمة، ص 10247.

² موجز الدائرة، مقدمة، ص 10247.

فالموضع الأول كان فيه الحديث عن سيدنا آدم عليه السلام، وفي الموضع الثاني كان الحديث فيه عن أمنا حواء، وجاء ذكر آدم عليه السلام فيه، ويمكن الاطلاع عليه للاستزادة وربط الأحداث بعضها ببعض.

- استخدمت بعض الاختصارات في الدائرة وهي:

ج: الجزء ص: الصفحة. ص ص: من صفحة (كذا) الى صفحة (كذا)

1ع: العمود الأول في الصفحة 2ع: العمود الثاني في الصفحة

و: ولد سنة ت: توفي سنة ه: السنة الهجرية. م: السنة الميلادية

ه ص: وردت بهامش الصفحة () : الحواش الحدية.

- الأسماء العربية: يستخدم الجزء الأشهر من الاسم، وإذا تعدد الاسم يميز بتاريخ الوفاة والميلاد.

- يذكر التاريخ الهجري وما يوافق من التاريخ الميلادي بالفصل بينهما بعلامة (-). مثال:

(600هـ-1203م).

- تستخدم الإحالة في حالة ارتباط المواضيع بعضها ببعض مثال:

محمد عليه السلام أنظر أيضا النبي عليه السلام النبي عليه السلام أنظر أيضا محمد عليه السلام

ج7- ص2215، 2ع محمد عليه السلام ج27- ص8483، 1ع النبي عليه السلام

- الكلمات الدالة الموجودة بالهامش يرمز لها ب (ه ص) مع رقم الصفحة والعمود مثال:

ابو الطيب المتنبي

ج10- ه ص3100، 1ع

- إذا ورد عنوان المقال واستمر إلى جزء آخر، فإنه يكتب مرة واحدة في الكشاف لأن أرقام

أجزاء موجز الدائرة متسلسلة.

- الحواشي الحدية هي إضافة تحدد ماهية الموضوع لتعدد معانيه، وتوضع بين قوسين مثال:

الشافعي (إمام)

ج5- ص1700، 1ع.

وبعدها جاء ذكر فهرس عناوين المواد من خلال ذكر الجزء ثم ذكر المواضيع ملحقه بصفحاتها

آدم عليه السلام، ج1، ص ص7-14

وقد جاء في موجز الدائرة حوالي 1346 مادة، بعضها ملحق به تعقيبات وأخرى لا.

وفي الأخير أُلحق الكشاف بكشاف الكلمات الدالة لربط المواضيع المتشابهة بعضها ببعض.

وتعتمد منهجية موجز الدائرة في كتابة نص المادة على العناصر التالية :

- عنوان المادة : يكتب بخط كبير اسود.
- المادة المحررة: وهو نص البحث أو المقال الذي كتبه المحرر في الموضوع المعرف به.
- مصادر المادة: وتأتي في الأخير بعد اكتمال نص المادة، لمن اراد التوثق او الاستزادة.
- وفي اخر المادة يكتب اسم المترجم وبين عارضتين اسم المستشرق المحرر بالعربية ثم بالانجليزية ويقتصر على الأحرف الاولى من اسم المستشرق ويتبع باللقب كاملا. مثال:

خورشيد [بيستون A.F.L Beeston]

- في الغالب يقوم بتحرير المادة محرر واحد، وأحيانا يكتب المادة محررين أو أكثر، ولكن توضع مادة كل محرر وحدها، بحيث يكتب عنوان المادة ثم نص المحرر الأول وينتهي باسم المستشرق المحرر، ثم توضع علامة (+) ويعاد كتابة اسم المادة ونص المحرر الثاني مع مصدره ثم اسم المحرر الثاني، وعادة تكون المادة الأولى في الإصدار الأول من الدائرة، والنص الثاني إضافة وزيادة على ما سبقه ويكون في الإصدار الثاني. وقد تكون الزيادة لنفس المحرر الأول مثال ذلك مادة (ازريجان كتبها [مينورسكي V.Minorsky] ثم أضيفت الزيادة بعد كتابة 2-ازريجان بقلم نفس المحرر.

- كما قد يشترك في تحرير نص مادة واحدة محرران اثنان، وينسب النص إليهما معا، ومثال ذلك: اشترك "كراوس وبينس في تحرير مادة (الرازي أبو بكر)¹، أو يشترك في تحرير المادة مستشرق غربي، وباحث مشرقى عربي، مثاله: مادة "ابن البناء" حررها سوتر (Sauter) ومحمد بن شنب².
- وبخصوص التعليق على الدائرة: فقد علق على الدائرة عدد من المفكرين والعلماء، وأدرجت التعليقات بعد ترجمة النص الاصيلي من الدائرة وهذا في الاصدار الثاني والموجز، بينما كانت التعليقات في الهامش في الإصدار الأول. ومن بين أشهر المعلقين: مهدي علام، أحمد شاکر، عبد الوهاب النجار، أبو ريدة، أمين الخولي، جاد المولى، ابراهيم الأبياري، ... وأكثر ما جاءت هذه التعليقات في باب الذب عن الاسلام، ورد الشبهات عنه، وهي مختصرة في العموم، لكن منها ما هو دقيق مثل تعليقات الشيخ أحمد شاکر، عبد الوهاب النجار ومحمد عرفة .

وفي العموم يلاحظ أن دائرة المعارف الاسلامية "تتوسع في مقالاتها توسعا يكاد يخرجها عن كونها مجرد إشارات سريعة تتيح أمام الباحث المبتدئ مساحة كافية تعينه على تكوين رأي خاص

¹ دائرة المعارف الإسلامية ، إص 1، ج 9 ص 457

² المصدر نفسه، ج 1، ص 103.

في الموضوع، بل توشك هذه المقالات أن تكون تقارير شبه كاملة تتضمن الكثير من التقرير والحسم، قلما يجد الباحث فرصة كافية لكي ينفك من تأثيراتها الغالبة وآرائها شبه النهائية، ويكون لنفسه رأيا خاصا في موضوعاتها"¹.

وقد اختلفت نسبة الموضوعية في الدائرة على حسب الباحثين وخلفياتهم الفكرية والمنهجية وعلى حسب المواضيع وتوفر المعلومات فيها، فكانت المواضيع المتعلقة بالإسلام ومصادره تكثر فيها الشبهات مقارنة بغيرها المتعلقة بالجغرافيا والاجتماع والعلوم والفنون، ويظهر ذلك جليا من خلال تفحص مواد الدائرة.

الفرع الثاني: أشهر محجري مواد الدائرة

بلغ عدد كتاب دائرة المعارف الإسلامية من المستشرقين في كلتا الطبعتين 486 كاتباً²، حرروا 3930 مادة، ونظرا لهذا العدد الكبير لمحجري المواد لا يمكن التعريف بهم كلهم، لذا ستقتصر الدراسة على الترجمة للمشرفين على الدائرة، والمستشرقين الذين حرروا مواد القصص القرآني فيها لحاجة الدراسة لذلك، وهم:

1. هوتسما³ M. Th. Houtsma (1851-1943): هو مارتن تيودور، مستشرق هولندي ولد في 15 يناير 1851 في أرنسوم في إقليم فريسلند، في 1875 حصل على الدكتوراه، في اللاهوت برسالة: "النزاع حول العقيدة في الإسلام" بالهولندية، تخرج باللغات العربية والفارسية والتركية من جامعة أوترخت، عمل أستاذا للغة العبرية عام 1890م، وانتخب عضوا في أكاديمية العلوم الملكية الهولندية، تقاعد في 1917، وكلف بإنشاء دائرة المعارف الإسلامية 1895م، واضطلع بالإشراف عليها (1913-1924) وقد انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وفي مجامع وجمعيات عدة. توفي في 9 فبراير 1943م بأوترخت.

¹ محمد السعيد بن السيد جمال الدين، مرجع سابق، ص 511

² خالد القاسم، مرجع سابق، ج1، ص 84

³ العقيلي، مرجع سابق، ص669.

من آثاره: العقيدة الإسلامية والأشعري، ووضع عدة فهارس للكتب والمخطوطات الشرقية والعربية في عدة مكنتات، ساهم في نشر تفسير الطبري في 15 جزء. كما اهتم بتاريخ السلاجقة. كتب في الطبعة الأولى من الدائرة 6 مواد أغلبها عن السلاجقة والقاديانية.

2. توماس أرنولد¹ T.W. Arnold (1864-1930): مستشرق ومؤرخ انجليزي مشهور، تعلم في كمبريدج، وأصبح أستاذا في جامعة عليجرا في الهند (1888م-1898) وأستاذ الفلسفة في لاهور (1898م-1904)، أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن (1904) ثم أصبح عميدا لها (1921م-1930)، زار مصر (1930) وحاضر في الجامعة المصرية عن التاريخ الإسلامي.

من آثاره : (الدعوة إلى الإسلام) والذي ترجم إلى عدة لغات منها الأردية والتركية، و(الخلافة) واستقصى فيها تاريخها على مر العصور ووجهات نظر أصحابها القانونية والفلسفية. (تراث الإسلام) بمساعدة ألفريد جيوم وأربري، وقد نشر بالعربية والفرنسية والاسبانية. واهتم بالرسم والفن الإسلامي، وله دراسات عن المخطوطات العربية في الهند.

حرر في الدائرة في الطبعة الأولى 13 مادة متنوعة، كان معجبا بالإسلام ما جعل كتاباته بعيدة عن التعصب.

3. رينه باسيه² Basset, René (1855-1924): مستشرق فرنسي، ولد في مدينة لونييفيل حيث تلقى التعليم الابتدائي والثانوي، قصد باريس حيث أجاز بالأدب من جامعة نانسي (1878)، ثم تخرج من مدرسة اللغات الشرقية، ثم معهد فرنسا، أسند إليه كرسي العربية في مدرسة الاداب العالية بالجزائر (1885)، ودرس فيها الحبشية والتركية والبربرية. كما نقّب عن الآثار والمخطوطات الإسلامية في تونس، وكان من محرري (المجلة الافريقية)، أسهم في مجلات علمية عديدة وترأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر (1905)، قصد السنغال (1910)، انتخب من مديري دائرة المعارف الإسلامية، وعضوا في مجامع علمية كثيرة: باريس، لشبونة، مدريد، روما، دمشق، صنفت لتكريمه منوعات باسمه في جزئين (1925م).

¹ المرجع السابق، ص504.

² ينظر: العقيقي، مرجع سابق، ص 223-224

من آثاره: كانت عربية وبربرية وحبشية منها: صلوات المسلمين في الصين، الشعر العربي قبل الإسلام، بحث في تاريخ الحبشة، ودراسات في اللهجة البربرية، وفهرس لمكتبي فاس وفهرس المخطوطات العربية في مكتبة القيروان، ونشر العديد من البحوث في مجلات إسلامية والمجلة الآسيوية والمجلة الأفريقية ومجلة الدراسات الشرقية، وأشرف على تحرير النسخة الفرنسية من الدائرة. وكتب في الدائرة 25 مادة في الطبعة الأولى والثانية، أغلبها تتحدث عن المغرب العربي والبربر.

4. رتشار هارتمان¹ R. Hartmann (1881-1965) :

تخرج من جامعتي توبنجن وبرلين، وعمل مساعداً لأمين مكتبة جامعة توبنجن (1905-1910) وعاون على نشر دائرة المعارف الإسلامية (1913) وسمى معيدا في جامعة بيل (1914-1918) وأستاذاً فوق العادة في ليزيغ (1918-1930) وجوتنجن (1930-1936) وأستاذاً للعربية في جامعة برلين (1936) ومديراً لمعهد اللغات الشرقية ببرلين. انتخب عضواً في مجامع كثيرة منها المجمع العلمي العربي بدمشق. وقد صنف كتاب لتكريمه (برلين 1925)

5. جولدزيبهر² Ignaz Goldziher (1850-1921): مستشرق يهودي، ولد

في 22 يونيو 1850م بمدينة اشتولقيسنبرغ في بلاد المجر. قضى سنين دراسته الأولى في بودابست ثم ذهب إلى برلين 1869م لدراسة اللغات السامية، وحصل على الدكتوراه على يد فلايشرسنة 1870م، عين أستاذاً محاضراً بجامعة بودابست 1873م، ارتحل إلى الشرق، وأقام بالقاهرة وسوريا وفلسطين، وحضر دروساً في الأزهر، انتخب عضواً في الأكاديمية المجرية 1871م ثم رئيساً لـ أحد أقسامها 1907م. صار أستاذاً في اللغات السامية 1894م، توفي 13 نوفمبر 1921م ببودابست

من آثاره: اليهود بالإنجليزية، الأساطير عند اليهود، العقيدة والشريعة في الإسلام، العقائد والشرائع عند المرجئة والقدرية والمعتزلة، ونشر جزء كبير من كتاب المستظهرية في فضائح الباطنية، وفضائل المستظهرية للغزالي، وكثير من المقالات في عديد من المجالات.

كتب 20 مادة في الدائرة في طبعتها الأولى حول الحديث مواضيع شرعية متنوعة.

¹ المرجع السابق، ص 790.

² المرجع نفسه، ص 906

6. بيدرسون¹ J. Pedersen (1883م-؟)

التحق بالجامعة لدراسة اللاهوت عام 1902م، اهتم بالتوراة اهتماما تجاوز العبرية، إلى سائر اللغات السامية، أنجز دكتوراه عن القسّم السامي والدواعي المتصلة به والقسّم في الاسلام (1912م)، كان يتجرد من النظريات الغربية الحديثة، ويحاول فهم الحقائق على أصولها بنفسه، سافر إلى الشرق الأوسط (1920-1921م) وأنجز عدة بحوث منها: الدليل على اليوم الآخر في القرآن، جزيرة العرب والوهابيون، انتخب عضوا في عدة جمعيات منها: الجمعية الشرقية الألمانية (ليزيج 1901م- برلين 1909م) الجمعية الألمانية للعلوم الإسلامية (1912م)، المجمع العلمي العربي دمشق 1920م، أحد مؤسسي الجمعية الشرقية السويدية ورئيس هيئة أعمالها (1921م)

من آثاره: كتابه اسرائيل في 4 أجزاء، الجزئين الأولين عن الحياة الفكرية والاجتماعية الأولى للاسرائيليين (1920م) والجزئين الآخرين عن النظريات الأولى في الأمور المقدسة والالهية (1934م)، ترجم القرآن إلى الدانماركية (1917م)، وصنف كتابا بعنوان الاسلام منشؤه ونهضته (1924م) ذكر فيه تاريخ التعاليم الاسلامية وفلسفتها، وكتاب الثقافة الإسلامية (1928م)، اخرج كتاب طبقات الصوفية للسلمي كاملا (1960م)، كتاب الريية عند اليهود (1931م)، وله العديد من المقالات في عدة مجالات²

كتب اربع مواد في الطبعة الأولى من الدائرة في تراجم الصوفية

7. فنسك³ A.J. Wensinck (1881-1939م)

هو أرنولد جان فنسك مستشرق هولندي، تلميذ سنوك وهوتسما، اول انتاجه رسالة الدكتوراه محمد واليهود في المدينة 1908م بالهولندية، أنقن اللغات السامية وتخصص في أديان الشرق، خلف هرجونيه في كرسي العربية حتى وفاته (1927-1939م)، تخصص في الحديث، وسعى إلى وضع المعجم المفهرس للحديث في 1916م، انضم إليه فريق من المستشرقين وباشروه 1923م، صدر منه 11 ملزمة قبل وفاته، وفي 1942 أصبح المشروع تحت رعاية الاتحاد الاكاديمي الدولي. وضع معجما

¹ المرجع السابق، ص 848.

² المرجع نفسه ، ص 850

³ انظر: العقيقي، مرجع سابق، ص 667، 668، وعبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص

سهلا في 14 كتابا في (الاحاديث النبوية الاولى مرتبة ترتيبا هجائيا) 1927م، نقله فؤاد عبد الباقي إلى العربية باسم (مفتاح كنوز السنة) 1934م، تولى تحرير دائرة المعارف الاسلامية بلغاتها الثلاث (1924م) فأتم منها الأجزاء الثلاثة الكبرى وخمس ملازم الاضافية 1938م، وأسهم فيها بحوالي 75 مادة متنوعة تهتم بالإسلام، قام برحلات إلى مصر، سوريا ولبنان وبلاد العرب (1930م) من آثاره: محمد واليهود (الاسلام 1911م)، الاسرائليات في الاسلام (الاسلام 1913م)، قيمة الحديث في الدراسات الاسلامية (العالم الاسلامي 1921م) ومحمد والنبوة (الاعمال الشرقية 1924م)، العقيدة الاسلامية وتطورها التاريخي (كمبريدج 1932)، فكرة الغزالي (باريس 1940م)، الأثر اليهودي في أصل الشعائر الإسلامية (المجلة الافريقية 1954م) ومقالات أخرى.

8. بوهل¹ Fr. Buhl (1850-1932م)

مستشرق دانماركي، بدأ حياته الجامعية بدراسة اللاهوت، تخصص في اللغات الشرقية خاصة العربية والعبرية، نال الدكتوراه 1878م في النحو العربي وتاريخ اللغة، أصبح أستاذا للعهد القديم بجامعة كوبنهاجن، زار الشرق الأدنى (مصر فلسطين الشام لبنان تركيا) 1885م، صنف بعدها كتابا في جغرافية فلسطين بالدانماركية والألمانية، وكتابا عن وصف القدس أيام المسيح، عين عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق، اختص بالقرآن و سيرة النبي، نقل عدة أجزاء من القرآن إلى الدانماركية. من آثاره: كتاب حياة محمد بالدانماركية (1903م)، نهضة الشيعين في الدولة الأموية (1910م)، له عدة مقالات: التعريف بالاسلام (الدراسات الشرقية نولدكه 1906م)، محمد (عالم الاسلام 1911م)، القرآن (دراسات هوبث 1926م)... كتب 55 مادة في الطبعة الأولى والثانية من الدائرة حول الشام والسيرة والصحابة.

9. متفوخ² Eug. Mittwoch (1867-1942)

ولد في سخريم، أين تعلم بها، ثم التحق بجامعة برلين لدراسة اللغات الشرقية على زاخاو، ثم الفلسفة وفقه اللغات، نال الاستاذية في فقه اللغات السامية، عين أستاذا في معهد اللغات الشرقية فيها ثم أستاذ كرسي في جرايفسفالد وفي جامعة برلين حتى خلعه النازيون عنها، ففر الى فرنسا ثم

¹ ينظر: العقيقي، مرجع سابق، ص 844.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 760-761.

الى إنجلترا حتى توفي بها، تخصص باللغة الحبشية والسبئية وتاريخ جنوب الجزيرة العربية، انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق

من آثاره: أيام العرب، وهي رسالته للدكتوراه، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء

كتب 9 مواد في الطبعة الأولى من الدائرة في مواضيع متنوعة

10. برنار هيلر¹ B.Heller (1857-1943م)

مستشرق مجري، تخرج من جامعة بودابست وعني بالعلوم الاسلامية واليهودية من اثاره: ترجم سيرة عنتره العربية (بودابست 1918م)، نشر اعمال جولدزيهر في مئة صفحة، وله في مجلة الفصول اليهودية: قصة اهل الكهف (1907م)، يوشع الاكبر ويهود خبير في قصة عنتره (1927-28)، حكايات وأبطال يهود في القصص الاسلامي (1922-28) وعناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية (1928م)، قصة التوراة في الاسلام (1934م)، قصص القرآن (عالم الاسلام 1934م)

كتب 6 مواد في الطبعة الأولى من الدائرة تدور مواضيعها حول الأنبياء.

11. جون ووكر² J. Walker (1900م،؟):

مستشرق انجليزي، تخرج من جامعة جلاكسو، وعمل في المتحف البريطاني (1931م)، ثم عين محافظاً للنقود فيه (1956م).

من آثاره: بحوث عن النقود العربية بما فيها فهرس أثري لها، وكتب في العالم الاسلامي: من هو ذو الكفل (1926م)، ادريس (1927م)، عزيز (1929م)، الاسلام في مدغشقر (1932م)

كتب 14 مادة في الطبعة الاولى من الدائرة حول مصر، وكتب عن سليمان العلي.

12. آرثر جفري³ A. Jaferi:

مستشرق أسترالي، عين أستاذاً في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ثم في جامعة كولومبيا

تخصص في دراسة القرآن الكريم.

¹ المرجع السابق، ص 909.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 570-571.

³ المرجع نفسه، ص 1013

من آثاره: نشر كتاب المصاحف للسجستاني، القرآن (عالم الاسلام 1924م-25-40 الصحيفة الأمريكية للغات والآداب السامية 1924، الشرق الحديث 1932، ذكرى جولدزهر (1948م..)، نصوص من القرآن (عالم الاسلام 1935م)، دراسة عن مختصر شواذ القراءات لابن خالويه (الدراسات الاسلامية 1938م) أبو عبيدة والقرآن (عالم الاسلام 1938م)، الفاتحة (المصدر السابق 1939م) وله في عالم الاسلام: الجدل الاسلامي المسيحي (1925م) تاريخ محمد (1926م) نصارى مكة (1929م) نبي الاسلام (1938م) الإسلام (1940م) ومقالات اخرى.

كتب مادتين في الطبعة الثانية من الدائرة حول العصا، آزر

13. ماكدونالد¹ Duncan Black.Macdonald (1863-1943م)

مستشرق أمريكي، بريطاني المولد والنشأة، تعلم في جلاجسو ثم رحل إلى برلين (1890م) أخذ اللغات الشقية عن زاخاو، اسس مدرسة كينيدي للبعثات (1911م)، اشرف على القسم الاسلامي سنوات طويلة، انشأ بمعاونة صمويل زويمر مجلة عالم الاسلام (1911م)، وبمعاونة سارتون مجلة ايزيس (1913م)

من آثاره: علم الكلام في الاسلام، وله في المجلة الاسيوية البريطانية: عقيدة الوحي في الاسلام (1917م)، تطور فكرة الروحانية في الاسلام (1932م)، التصوف الاسلامي والمسيحي (1935م) ومقالات عن ألف ليلة وليلة .

كتب 46 مادة في العقيدة والفقہ في الطبعة الأولى من الدائرة.

14. رودولف شتروثمان² R.Strothmann

مستشرق ألماني متخصص في الفرق ومذاهبها، وله عنها مباحث رصينة، تولى التدريس في جامعة غيسين بألمانيا.

من آثاره: الزيدية، وأربعة كتب اسماعيلية، ودراسات في "مجلة الإسلام" عن الزيدية، ومجلات أخرى.

كتب 19 مادة حول اليمن وخراسان والصفات ويعقوب الكلبيني في الدائرة.

¹ ينظر: العقيقي، ص 1001-1002

² المرجع نفسه، ص 788-789

15. سليكسون M.Seligsohn (1865 .1923):¹

مستشرق روسي يهودي، درس اللغات الحديثة في نيويورك، ثم انتقل سنة 1894م إلى باريس لدراسة اللغات الشرقية خاصة السامية، وكان من محرري الموسوعة اليهودية، وله دراسات حول طرفة بن العبد وديوانه، كما اهتم بالأدب اليهودي الفارسي. كتب 3 مواد في الطبعة الأولى من الدائرة حول المغرب الإسلامي وأيوب السلطنة.

– المترجمين والمعلقين على موجز الدائرة

أغلب الذين ترجموا الدائرة لم نجد لهم ترجمة موثقة، أما المعلقين على مواد القصص القرآني فيها فمن أهم من اشتهرت ترجمته:

عبد الوهاب النجار(1862 – 1941 م)²: باحث، يسلك في عداد المؤرخين، من فقهاء مصر. اشتغل بالمحاماة الشرعية. ثم عين مدرسا للأدب والشريعة في كلية الخرطوم. فأستاذًا للتاريخ الإسلام في الجامعة المصرية القديمة، فأستاذًا للشريعة في دار العلوم، فناظرًا لمدرسة عثمان ماهر باشا إلى آخر حياته. واشترك في أكثر الجمعيات الإسلامية وفي مقدمتها جمعية الشبان المسلمين. من آثاره: "زهرة التاريخ"، "تاريخ الإسلام" في ستة أجزاء، طبع منها جزءان، "قصص الانبياء"، "تاريخ الخلفاء الراشدين" و"الأيام الحمراء"، كان خطيباً حاضراً بالديهة، له إلمام ببعض اللغات السامية. توفي ودفن في القاهرة.

محمد بن أحمد عرفة (1890 .1973 م)³: من جماعة بار العلماء بمصر. تعلم في مسجد دسوق ومعهد الاسكندرية ثم في الأزهر، حيث قضى أكثر من 40 عاماً، طالبا ومدرسا ومديرا لمجلته وعالما. واستمر بعد الاحالة إلى التقاعد (1373) يعمل في التصنيف. له عدة كتب مطبوعة، منها (النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة) و (نقض مطاعن في القرآن الكريم) و (السر في انتشار الاسلام) و (اللغة العربية، لماذا أخفقنا في تعليمها وكيف نعلمها) و (رسالة الأزهر في القرن العشرين) و (الاسلام أم الشيوعية) توفي بالقاهرة

¹ https://fr.wikipedia.org/wiki/Max_Seligsohn موقع ويكيبيديا بالفرنسية، 5.25، 2020، H19:00

² الزركلي، الأعلام، ج4، ص182.183

³ المرجع نفسه ج6، ص25.

محمد مهدي علام (1900-1992م)¹: عالم وباحث، عين عميدا لكلية الآداب بجامعة عين شمس، أشرف على مجلس المجمع اللغوي، من اثاره: فلسفة المتني، العفو في الاسلام.

أمين الخولي (1895-1966م)²: من أعضاء المجمع اللغوي بمصر، تخرج بمدرسة القضاء الشرعي بالأزهر، من آثاره: البلاغة العربية، من هدي الرسول

المطلب الرابع: موقف العلماء من الدائرة

لقيت دائرة المعارف الاسلامية رواجاً كبيراً وإقبالاً عالمياً عليها، خاصة من طرف الباحثين، وازدادت بها كبرى المكتبات العلمية، نظراً للكثرة الوفيرة من المعلومات الذي تقدمه في مجال الحضارة الاسلامية وكذا شهرة أسماء كتّابها، ومع ظهور الترجمة الأولى توالت ردود المفكرين والعلماء المسلمين عليها، فكثير منهم أشاد بها من حيث كونها قبس مضيء للحضارة الاسلامية والتاريخ الاسلامي، خاصة بعد إضافة التعليقات والردود فيها، لكن تبّهوا إلى ضرورة النقد العلمي الرصين لها، أو إنشاء دوائر معارف بأيدي المسلمين تراعي خصوصية فكرهم ودينهم، ومن هؤلاء العلماء:

محمد رشيد رضا الذي يشير إلى خطر هذه الدائرة بقوله: "إن نشر هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الأغلاط والمطاعن ومخالفة الحقائق هو أضرّ من شر كتب دعاة النصرانية (المبشرين) وصحفهم، لأن هذه قلماً ينخدع أحد من عوام المسلمين بما فيها من باطل". أمّا د. محمود حمدي زقزوق فيقول: "وعلى الرغم مما لنا نحن المسلمين على هذه الدائرة من مآخذ كثيرة فإنها تعد ثمرة من ثمار التعاون العلمي الدولي بين المستشرقين... وقد عمد المترجمون إلى الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون وقاموا بكتابة بعض التعليقات عليه"³.

ويرى سعد الدين صالح عن هذه الدائرة: "أنها معجم ألفه المستشرقون لخدمة اليهودية والنصرانية حيث أنه لم يتركوا شيئاً من عقائد الإسلام ولا شرائعه إلا وصوروه لقراءهم بما يخالف الصورة الصحيحة في كثير من الوجوه، وما لم يشوهوه من الحقائق عرضوه بصورة عادية لا مزية فيها وفي هذه الدائرة

¹ نزار اباضة- محمد رياض المالح، اتمام الاعلام، دار صادر -بيروت، ط1، 1999م، ص271

² الزركلي، الاعلام، مرجع سابق، ج2، ص16.

³ محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، مرجع سابق، ص 68-69

كثير من العيوب العلمية والتاريخية المغرضة، وبالإجماع فإن هذه الدائرة لا تصلح مصدرًا لاستيفاء المعلومات عن الإسلام ولا عن المسلمين¹.

ويؤكد الشيخ أبو الحسن الندوي هذا التحفظ على الدائرة بقوله: "إن دائرة المعارف الإسلامية يعتبرها البعض أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية وأتمن ذخيرة، وتعتبرها بعض الدول الإسلامية اليوم أساساً للمعلومات الإسلامية، وتقوم بترجمتها إلى لغتها بنصها وفصها، وكان المتوقع المأمول منها أن تضع موسوعات إسلامية أصيلة بقلم الباحثين المسلمين أصحاب الاختصاص في الموضوعات الإسلامية"². ورأيه هذا نابع من أنه يعد تأليف الدوائر والموسوعات "من أساليب المستشرقين في محاربة الإسلام... التي من خلالها ينفثون سمومهم وينشرون أكاذيبهم، ويسعون إلى تشكيك الجيل المسلم في دينه وعقيدته وتاريخه، ومن أخطر هذه الدوائر دائرة المعارف الإسلامية والتي كتبت معظم موادها تحت إشراف "فنسنك"³.

ويبين مصطفى السباعي خطر هذه الدائرة بقوله: "في هذه الموسوعة التي حشد لها كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام، قد دس فيها السم في الدسم، وملئت بالاباطيل عن الإسلام وما يتعلق به، ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين عندنا، بحيث يعتبرونها حجة فيما تتكلم به..."⁴

ويضيف الأستاذ أنور الجندي في بيان المآخذ على هذه الدائرة بقوله: "لقد أجمعت آراء الباحثين على أن دائرة المعارف الإسلامية تضم مجموعة من المحاذير التي يجب التنبه لها والتصدي للرد عليها وكشف أهدافها وهي⁵:

¹ سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة الصحابة- الشارقة، ط1، 1998م، ص 113

² أبو الحسن الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م، ص 19.

³ المرجع نفسه، ص 19.

⁴ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص 36

⁵ ينظر: أنور الجندي، معلمة الإسلام، دار الصحوة- القاهرة، ط1، 1991م، ج2، ص 625 - 629، وأنور الجندي، مقدمات في العلوم والمناهج، دار الأنصار- القاهرة، ط1، 1983م، ص 206- 212

1. سيطرة البدع الدخيلة على الدين الإسلامي على مواد الموسوعة باستفاضة مثيرة حتى ليظن الباحث أنها من أصول الإسلام.
 2. جمعت دائرة المعارف خلاصة مختلف الكتب التي ألفها المستشرقون في الهجوم على الإسلام... مما جعلها مصدراً إسلامياً يرجع إليه في سهولة ويسر بعد أن ترجمت أغلبها إلى العربية.
 3. بالمراجعة السريعة لدائرة المعارف الإسلامية نجد أن مادتها تتكون من ثلاثة عناصر:
 - بلاد وأفطار وهذه يقل فيها الخطأ.
 - شخصيات وأعلام وهذه يجرى انتقاص عظمتها وبطولتها.
 - مواد فقهية وشرعية كالصلاة والزكاة والبيوع والمعاملات وهذه يكثر فيها الخلط والتزييف.
 4. العمل على إبراز المفاهيم التي تعارض مفهوم أهل السنة والجماعة بالإعلاء كل ما يتعلق بالخوارج والإسماعيلية والباطنية والفكر الصوفي الفلسفي البعيد عن ضوابط الشرع.
 5. من الأغلاط العجيبة أن الكتاب الأوروبيون ترجموا بعض الكلمات العربية ثم حرصوا على الكلمة المترجمة فوضعوها بين قوسين ليستعين عارف العربية بما على تحديد المعنى فلما أريد رد هذه الكلمة إلى لغتها وضعت كلمة أخرى مكانها لا تؤدي معناها وبقت هي زائدة.
 6. شكك كتاب دائرة المعارف في عالمية الإسلام وقدسيتها القرآن.

ولا يمكن إنكار ما لهذه الدائرة من جمع لشتات المعارف عن الحضارة الإسلامية، وكذا كشفها عن بعض التراجم والأحداث، ولكن ينكر عليها كثرة الأخطاء والشبهات، التي اختلفت دوافعها ومسبباتها، ولا تكفي التعقيبات التي أضيفت في الترجمة العربية بإيفاء حق الرد ونزع اللبس من أذهان الناس، إضافة إلى أن أصل الدائرة باللغات الأجنبية، ولم ترد فيها مثل هذه التعقيبات والردود، مما يجعله عامل هدم وتشويه لصورة الإسلام في الغرب.
- إن إدراك المفاهيم العامة حول منهجية القرآن الكريم في عرض القصص القرآني، والإحاطة بأهدافه وخصائصه تعين على استبصار رؤية الآخر لهذا القصص القرآني وتمكن من الرد على الشبهات التي رماها بها المستشرقون، كما أن الاطلاع العام على منهجية الدائرة وأهم محرميها مفاهيم تسهل دراسة المواضيع فيها، فكيف كانت الرؤية الاستشراقية للقصص القرآني من خلال دائرة المعارف الإسلامية؟

الفصل الثاني: قصص أنبياء خير بني إسرائيل

مبحث تمهيدي: قصص الأنبياء في موجز الدائرة

المبحث الأول: قصص آدم، نوح، وإدريس عليهم السلام

- المطلب الأول: قصة آدم
- المطلب الثاني: قصة إدريس عليه السلام
- المطلب الثالث: قصة نوح عليه السلام

المبحث الثاني: قصص هود، صالح، وإسماعيل عليهم السلام

- المطلب الأول: قصة هود عليه السلام
- المطلب الثاني: قصة صالح عليه السلام
- المطلب الثالث: قصة إسماعيل عليه السلام

المبحث الثالث: قصص أيوب، يونس، إلياس، وذو الكفل عليهم السلام

- المطلب الأول: قصة أيوب عليه السلام
- المطلب الثاني: قصة يونس عليه السلام
- المطلب الثالث: قصة إلياس عليه السلام
- المطلب الرابع: قصة ذو الكفل عليه السلام

المبحث الرابع: قصص إبراهيم، إسماعيل، وإسحاق عليهم السلام

- المطلب الأول: قصة إبراهيم عليه السلام
- المطلب الثاني: قصة إسماعيل عليه السلام
- المطلب الثالث: قصة إسحاق عليه السلام
- المطلب الرابع: قصة إسحاق عليه السلام

تمهيد

عمل المستشرقون في دائرة المعارف الإسلامية على جمع كل ما تعلق بالإسلام، وتاريخه وحضارته، واجتهدوا أن يحصوا أكبر عدد من المواد من أجل ذلك كانت الدائرة تضيف موادا جديدة في كل طبعة من طبعاتها، وتلحق موادا إضافية تعالج بها الخلل والنقص في المواد الأولى، ومن بين المواضيع التي اهتم بها التراث الإسلامي، موضوع القصص في القرآن الكريم، وقد حاولت دائرة المعارف الإسلامية الإحاطة بكل القصص التي وردت في القرآن الكريم، غير أنها في الترجمة العربية لم تترجم كل هذه القصص، وإن كانت موجودة في الأصل الإنجليزي لأنها اعتمدت الإيجاز في اختيار المواد المشهورة مثل: قصة ابني آدم، وقصة إيسع، أصحاب الرس، والذي انسلخ من آيات الله، وقصة الذين خرجوا ألوفا، وأصحاب السبت، وقصة تبع، وصاحب الجنتين، وقصة الذي أماته الله مائة عام.. ولأنها من القصص غير الواضحة في القرآن، والمختلف بشأنها في التفاسير، قد تكون لجنة الترجمة ارتأت عدم ترجمتها.

وقد وردت في الدائرة مادة بعنوان قصص الأنبياء تعطي تصورا عاما عن هذه القصص في التراث الإسلامي ستكون تمهيدا يفتح الباب لاستكشاف المنهجية العامة في إيراد القصص القرآني في موجز الدائرة.

مبحث تمهيدي: قصص الأنبياء في موجز الدائرة

جاء في موجز الدائرة مادة بعنوان قصص الأنبياء كتبها المستشرق ناجل T. Nagel، وترجمها عطية القوصي، وهي من الحجم الصغير.

ابتدأ المستشرق (ناجل) المادة ببيان مفهوم قصص الأنبياء بقوله: "أخبار أنبياء ما قبل الإسلام، هي عنوان لأعمال عديدة تتصل بحياة أنبياء العهد القديم، وقصة المسيح عليه السلام، وبعض الأحداث الأخرى التي تضمنت الحديث عن الأبطال الأتقياء الصالحين أو عن أعداء الله (في قالب قصصي)"¹.

وهو مفهوم يركز فيه المستشرق ناجل على الأعمال التي جاءت تروي قصص الأنبياء، والذين حددهم بأنهم أنبياء العهد القديم والمسيح عليه السلام، غير مشير إلى أنبياء العرب، كهود وصالح عليهم

¹ موجز الدائرة، ج24، ص8332، ع2

السلام، إضافة إلى أن هناك أنبياء ذُكروا في العهد القديم ولم ترد قصصهم في التراث الإسلامي، وتوحي هذه المقدمة بالخلفية الفكرية للكاتب في موضوع القصص، التي يستند فيها إلى معلوماته الدينية، ويشير إلى أصل التشابه الوارد بين ما في العهد القديم والإسلام.

انتقل بعدها (ناجل) إلى عرض أهم كتب قصص الأنبياء قائلا: "وأكثر الكتب شهرة وانتشارا في هذا الموضوع هو كتاب عرائس المجالس لأبي إسحاق أحمد الثعالبي (ت 427هـ / 1036م) وبعض روايات القصص المختلفة التي دونت تحت اسم محمد بن عبد الله الكسائي"¹.

وبالبحث عن أول من أفرد قصص الأنبياء في كتاب مستقل، نجد (محمد بن إسحاق ابن يسار) (ت 150 هـ) فقد ألف كتابه "المبتدأ" أو "المبدأ" وقصص الانبياء، وقد أهمل ابن هشام هذا القسم حين لخص السيرة النبوية لابن إسحاق، ولم يبق من هذا الكتاب إلا نقول نقلها عنه الطبري في التاريخ والتفسير والأزرقى. ثم كتب رفاعة عمارة بن وثيمة بن موسى بن الفرات الفارسي (ت 289 هـ) كتابه "بدء الخلق وقصص الانبياء"²

لكن أشهر كتب قصص الأنبياء وأكثرها انتشارا بين الناس، وأفضل ما حث العلماء على مطالعته كتاب (قصص الأنبياء) لابن كثير (774-700هـ)، المأخوذ من كتابه للتاريخ البداية والنهاية، فقد تناول قصص الأنبياء شرحا وتفصيلا، مع مراعاة المقاصد العامة للقرآن الكريم في قصصه، وكان يتحرى أن لا يورد من الاسرائيليات إلا ما كان من باب ما أذن به الشرع، حيث قال: "ولسنا نذكر من الاسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ما صحَّ نقله أو حسُن، وما كان فيه من ضعف نبئته"³، ولأن ابن كثير كان من المشتغلين بعلوم الحديث، برز عن غيره بالثبوت في رواية الاسرائيليات، وتصحيح الأحاديث والمرويات، والثبوت من الأسانيد، بينما كان منهج كل من الثعلبي والكسائي جمع الأخبار والمرويات من غير تمحيص لها، فامتألت كتبهم بالأعاجيب والغرائب والاسرائيليات المحرفة، ما جعل

¹ موجز الدائرة، ج 24، ص 8332-8333

² ابن كثير، قصص الأنبياء، ج 1، ص 12.

³ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ص 17

العلماء المسلمين يحذرون من كتبهم، ويطعنون فيها. لكن المستشرقين وجدوا ضالتهم في هذه الكتب واتخذوها وسيلة للطعن في الإسلام.

يضيف المستشرق ناجل قائلاً: "ويجب تتبع أصول هذا التراث وإرجاعها إلى الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكانت أخبار هذه القصص قد نقلت للعرب أثناء تواجد اليهود في يثرب، ومن خلال تواجد المسيحيين في الجزيرة العربية، ومن الممكن أن نتأكد من وجود هذه المعلومات ليس في المناطق المجاورة للإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية فحسب، ولكن أيضاً على سواحل البحر الأحمر، وفي جنوب شبه الجزيرة العربية"¹.

وهو تصريح واضح يظهر فيه مراد الكاتب في البحث عن أصول هذه القصص وردّها إلى اليهود المنتشرين في الجزيرة العربية، والمسيحيين المنتشرين في (الشام واليمن والفرس) في تلميح واضح إلى اقتباس النبي ﷺ لقصص الأنبياء منهم، خاصة أن العرب في ذلك الوقت لم يكن قد نزل فيهم نبي، ولم يكن لهم كتاب سماوي، وشبهة اقتباس النبي من أهل الكتاب قد نوقشت في الفصل السابق وتبيّن بطلانها.

ثمّ يستدل (ناجل) على انتشار أخبار قصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة بشعر أمية بن أبي الصلت، والذي ورد فيه بعض قصص الأنبياء مثل إبراهيم، اسحاق، والطوفان...، لكنّه يعقّب على كلامه بقوله، "رغم أن نسبة هذه الأبيات إليه غير مؤكدة"².

وانطلاقاً من هذا التعقيب لا يمكن التسليم للمستشرق ناجل بدليله، كون هذه الأشعار منحولة عليه، وإذا ثبت إسناد هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت، فهذا يرجع إلى أن أمية بن أبي الصلت كان من الحنفاء الذين كانوا يبحثون عن الدين الصحيح، وعبادة الله الواحد، ما ألجأه الى الاطلاع على كتب اليهود والنصارى، بالإضافة إلى التراث العربي الشفوي المنتشر في ذلك الوقت، ليستفيد من كل ذلك في أشعاره. كما أن في القرآن حوادث لم ترد في التوراة ولا في الإنجيل، كما سجّل حوار الأنبياء مع أقوامهم، وصور أحاسيسهم وأفعالهم وهذا لا يكون إلا للعلم الخبير.

¹ موجز الدائرة، ج24، ص 8333.

² المصدر نفسه، ج24، ص 8333

انتقل بعدها المستشرق إلى شبهة أخرى أساسها أن قصص الأنبياء أصبح له معنى جديد وضعه له النبي محمد ﷺ حيث يقول: "ولقد كان نبي الإسلام هو الذي أعطى لهذه الأخبار معنى جديدا بالمرّة، وأحداث حياته منعكسة فيهم، دعوته نبيا، مقاومة قومه له، تهديده بالعقاب، الذي قد يكون دمار قومه"¹. وهذه المسألة تشير إلى شبهة خطيرة دسّها المستشرقون بين السطور وهم يكتبون عن الأنبياء عليهم السلام، وهي خضوع قصص الأنبياء لنفسية النبي ﷺ، أي أن النبي ﷺ كان يروي من أحداث القصص، ما يواكب دعوته، ويستشعره في نفسه من صد قومه له، فيختار من أحداث الأنبياء ما يعايشه هو مع قومه، ويعبّر عن حاله بلسان الأنبياء، وهذا ينفي صدق القصص وواقعيتها، ويجعلها من تأليف من محمد ﷺ ليعبّر عن حياته، وقد ورد ذلك في عدة مواضع من الدائرة². وهذه الفكرة كان قد تحدث بها محمد أحمد خلف الله في فصله الأخير لكتابه الفن القصصي في القرآن الكريم وهو ما تم الإشارة إليه بقول ناجل: "ولقد درست كل هذه المضامين النفسية والأخبار القديمة التي أشار إليها القرآن الكريم بأشكالها التهذيبيّة، باستفاضة، درسها خلف الله في كتابه الفن القصصي في القرآن"³.

فمن بين كل الكتب والتأليف المعاصرة في قصص الأنبياء، نجد المستشرق ناجل اختار منها كتابا واحدا أثار جدلا واسعا في العالم العربي والإسلامي، ورفض كرسالة دكتوراه تقدم بها صاحبها لجامعة الأزهر، ومُنِع من النشر ككتاب في عدد من الدول، وذلك للأفكار الخطيرة والمشبوهة التي أثارها صاحبه حول قصص القرآن من احتواءه على الخيال والأساطير، ومنها الشبهة التي أثارها ناجل، حيث يقول خلف الله في الفصل الرابع من الكتاب والمعنون نفسية الرسول ﷺ وقصص القرآن: "وإذا فالقصص القرآني من هذا الجانب (اختيار أحداث بعينها من تاريخ الرسل) الذي تتفاوت فيه حيوات الرسل ويمضي فيه كل منهم إلى نوع من الأحداث تلائم ظروفه، وتتفق وطبيعة الدعوة وأحوال البيئة يمثل نفسية النبي ﷺ من حيث أنها العامل الأول في الاختيار"⁴.

¹ موجز الدائرة، ج24، ص 8333، ع2

² ينظر: قصة نوح، قصة هود عليه السلام، قصة صالح عليه السلام في هذا المبحث.

³ موجز الدائرة، ج24، ص 8333، ع2.

⁴ محمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن، مرجع سابق، ص346.

ولتحقيق ذلك يرى خلف الله أنه يجب تعرية القصص القرآني من الوقائع الخاصة لتبقى الوقائع العامة المكررة والمختارة والتي تظهر فيها نفسية الرسول ﷺ، أما الوقائع الخاصة فقيمتها تكمن في عملية الإفاضة أو الإيحاء أو التسرية عن النبي ﷺ، ويستدل على ذلك بقصة صالح في سورة النمل، وقصة موسى ﷺ في سورة غافر، والتي تصوّر في نظره فكرة اغتيال النبي محمد حيث يقول بعدما ساق آيات هذه القصص: "وإذا فهذه القصص لصالح وموسى تفسّر هذه المؤامرة التي حيكت لاغتيال النبي ﷺ، وتكشف عمّا كان يدور في مكة بين الأعداء والأصدقاء، وكيف عاونه منهم الآخرون بالعمل على إحباط هذه المؤامرة"¹.

ويستط محمد خلف الله فكرته قائلاً: "نلاحظ الصورة المعروضة للواحد من الرسل فنحس لساعتنا كأنها صورة محمد ﷺ، وكأن الحوار القائم وكأن الأحداث البارزة هي التي تلم به أو تقع بينه وبين من يدعوهم إلى الدين الجديد من مشركين وأهل الكتاب"² ويستدل على ذلك بقصة نوح ﷺ وإشارات من قصة هود ﷺ، ثم يختم الباب بقوله: "ونستطيع فعل ذلك في قصص كل نبي نحذف منه الوقائع المعروفة ولن نجد بعد كل هذا إلا نفسية محمد، على أن أمراً آخر يبيّن الصلة بين هذا القصص ونفسية النبي ﷺ هو أن النبي هو الذي كان يلقيه، وليس من شك في أنه كان يعبر بصوته عمّا يصوره النص من معانٍ، وعمّا يحمله اللفظ من أحاسيس وعواطف، فالقصص القرآني يمثّل نفسية النبي ويمثلها في أدقّ مراحلها وفي أعنف صورها، وليس بنا من ناحية بعدما تقدّم من شرح إلى إقامة أي دليل أو برهان"³.

وفكرة خلف الله تقوم على أساس أن الجو القصصي يعكس نفسية كل رسول من حيث الجانب الفكري، وهي فكرة يعارضه فيها خليل عبد الكريم الذي علّق على كتاب خلف الله وألحق تعليقه بآخر الكتاب، ويجعل الأساس الذي اعتمده خلف الله نوعاً من التوليف والتلفيق حيث يقول "فكيف يتسق أن يقال إن نفسية الرسول لها جانب فكري يتضح فيما يدعو إليه من آراء ومعتقدات. إذ من المعلوم أن الجزء النفسي من الإنسان، والرسول إنسان بشر، ينضوي على الأحاسيس، المشاعر، العواطف، الانفعالات، التوتّرات، ولم يدع أحد قبل خلف الله أنّ هذا الجزء له جانب فكري ويختص

¹ المرجع السابق، ص 349.

² المرجع نفسه، ص 350.

³ المرجع نفسه، ص 358.

بالآراء والمعتقدات. إن محمداً ﷺ كان واحداً من أولئك المرسلين إذن الجو الفكري والاجتماعي في قصص القرآن يمثلته¹، ثم يتساءل خليل عبد الكريم "كيف تشكّل الأحداث المختلفة والظروف المتباينة والبيئات المغايرة والدعوات المتعددة للرسول الذين يتفاضلون في العمر والمزاج النفسي، والتكوين العقلي والاتجاه الفكري والمحمول العاطفي، والبنية الجسدية والملكات والقدرات والمواهب. كيف تشكل جميعها تمثيلاً لنفسية محمداً؟ إن المؤلف أقدم على طرح هذا الخليط المتنافر والمجموع المتشاكس والمزيج المتعاكس بهدف يتيم سبق لنا أن فندناه وهو أن القصص القرآني إنما يمثل النفسية الحمادية وأنها هي العلة الرئيسة ... والعامل الأول في اختيار ما حملته قصص القرآن من أحداث ووقائع ومواقف ..."².

وفي ردّه على استدلال خلف الله بقصص صالح وموسى عليهم السلام يقول خليل عبد الكريم: "ولا شك أن المؤلف قد أجرى عملية إسقاط دون سند، ففرّق بين حضور من أخبر موسى بالمؤامرة وتخمين محمد أو حدس محمد بها، ويرى الباحث أن الآيات التي أوردها تقطع بأن القرآن صرح بعلم محمد بمؤامرة المكيين وهو رأي لم يسبقه إليه أحد، ويؤكد أن قصص صالح وموسى هي

وبالعموم ردّ خليل عبد الكريم على نظرية خلف الله كما يراها صاحبها، أن الآيات التي استشهد بها خلف كلها كانت مكية، فقد أهمل الآيات المدنية، كما أن النبي ﷺ اعترضته الكثير من الأحداث والوقائع في حياته من غزوات، ومواجهات ونقاشات بينه وبين المشركين، وما يحدث في بيوت النبي مع نساءه، وحادثة الإفك، وتحالف الأحزاب عليه وخيانة اليهود، الأسراء والمعراج، كلّها نزلت فيها آيات وليست قصص، فالقصص القرآني لم يمثل نفسية الرسول في كل هذه الأحداث.

وبالنظر في الأدلة التي ساقها خلف يمكن أن نتبين استخدامه لعدة آليات تنقض الموضوعية في بحثه، منها التأويل المتعسف للآيات وليّ أعناقها للبرهنة على مراده، فالاستدلال بقصة نوح على نفسية النبي ﷺ فيه تعسف كبير، فكيف له أن يربط كفر ابن نوح وزوجته، بنفسية النبي ﷺ، ويأوله بقوله: "فهي الأمور التي تمثل الوضع العربي، وإن مثلته على أنه القاعدة العامة أو التاموس النفسي الذي لا يتخلف"³

¹ المرجع السابق، ص 490.

² المرجع نفسه، ص 391.

³ المرجع نفسه، ص 357.

كما أنه يعتمد آلية التعميم، فهو يستدل بثلاث قصص للأنبياء لا دليل على ارتباطها بنظريته، ويسقطها على جميع القصص القرآني، من غير دليل ولا برهان.

ففكرة خلف الله غريبة ولم يقل بها أحد من الباحثين قبله، وهي في منطلقها وأدلتها باطلة، لكنها استهوت المستشرقين، للضجة الإعلامية التي أثارها الكتاب، وديدنهم دعم الأفكار الشاذة والمنحرفة، فتناولوها واحتضنتها كتبهم ومقالاتهم في دائرة المعارف الإسلامية، وخاصة في قصص الأنبياء الذين استدل بهم خلف الله قصة صالح، موسى، نوح وهود عليهم السلام، وكان هذا الاستطراد في مناقشة فكرته والرد عليها، لتجنب إعادة الرد في كل قصة من قصص هؤلاء الأنبياء.

بعد ذلك بيّن ناجل أن استجلاء العبر هو هدف القرآن الكريم من عرض قصص الأنبياء، مشيراً إلى النظرة الإسلامية للقصص قديماً وحديثاً حيث يقول: "ومن وجهة النظر الإسلامية، فإن حياة أنبياء ما قبل الإسلام جاءت في القرآن كعبر تحذر الناس من المصير السيء لأولئك العصاة لله ورسله، ولذلك فإن قصص الأنبياء أصبح جزءاً من تاريخ العالم، كما أن التاريخ عموماً يعتبر سلسلة من العبر، ولقد أصبح أسلوب الكتابة التعليمي لأخبار الأنبياء السابقين على الإسلام، ذا أهمية كبيرة فيما انفصلت عن حليتها، تلك التي عرفناها منذ أمد، أولاً عند الثعالبي"¹.

فهو يعرض أولاً لهدف القرآن من القصص وهو اعتبار الناس بها، ثم يشير إلى التطور الذي حصل في الكتابة عن قصص الأنبياء، حيث بدأت كجزء من تاريخ العالم، وهو مسلك ظهر في كتب المؤرخين المسلمين المتقدمين أمثال تاريخ الرسل والملوك للطبري، مروج الذهب للمسعودي، والبدایة والنهاية لابن كثير، لكنه يمثل بكتاب الثعالبي، وقد يكون من باب التشهير بالكتاب وصاحبه، كما فعل مع خلف الله. أما عند المتأخرين فقد ركزت على استجلاء هذه العبر واستخراج الفوائد والحكم منها.

كما أن هناك ملاحظة في ترجمة الدائرة وهي أن قصص الأنبياء أو ما يسمى بعرائس المجالس قد نسب إلى أبي إسحاق بن أحمد الثعالبي، والمشتهر بالثعالبي، فوجب التوضيح أن ما تعارف عليه المفسرون والمؤرخون هو نسبه للثعالبي، خشية اختلاطه بعبد الرحمان الثعالبي صاحب تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن، والثعالبي هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري صاحب

¹ موجز الدائرة، ج24، 8333، ع2.

تفسير (الكشف والبيان في تفسير القرآن) ، والمشتهر باسم (تفسير الثعلبي) وصاحب (عرائس المجالس في قصص الأنبياء)، يقول ابن كثير في البداية والنهاية: "أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي، ويقال الثعلبي أيضا وهو لقب أيضا وليس بنسبة، النيسابوري المفسر المشهور، له التفسير الكبير، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء (عليهم السلام) وغير ذلك"¹. لذا فورود كلمة (الثعالبي) في متن المواد يقصد به الثعلبي.

ثم ختم ناجل مقاله عن قصص الأنبياء ببيان ارتباط القصص بالظروف السياسية السائدة في كل عصر قائلا: "ولقد أشارت المصادر التاريخية إلى أنشطة القصص منذ القرن الأول للإسلام، وفي ظروف معينة، تكتسب أهمية سياسية، فمثلا تجد أن قصة موسى وفرعون قد استخدمت في الدعاية ضد الأمويين وأدرك الشيعة الأوائل بأن تاريخ المجتمع الإسلامي مشابه لتاريخ بني إسرائيل في حياة موسى، لكون الشيعة مماثلين لتلك القلة التي لم ترتد عن العقيدة الصحيحة حين كان موسى على جبل سيناء"²

وهذه التأويلات قد توجد عند بعض أصحاب هذه الفرقة، لكنها لا تعني أنها حقيقة، وهو مجرد تشبيه لا ينبغي عليه أي أثر، وليس ذو شأن في هذا الموضوع، إلا من باب إثارة النعرات، وتحريك الأقلام وشغلها بالردود وهذا من أليات المستشرقين.

والمادة في مجملها كانت عبارة عن تجميع للشبهات حول قصص الأنبياء، ونقل لتصور المستشرقين لها، يؤكد الدراسة التفصيلية لقصة كل نبي، وللقصص القرآنية الأخرى.

¹ إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط1، 1988م، ج12، ص40.

² موجز الدائرة، ج24، 8334، ع1.

الصفات قَالَ تَمَّال: ﴿فَأَسْتَفِيهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ حَلَقًا أَمْ مَنَّ حَلَقْنَا إِنَّا حَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ الصفات: ١١، قال الإمام الطبري: "فخلق الله آدم من طين لازب - واللازب: اللزج الصُّلب، من حمأ مسنون - مُنْتِن. قال: وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التراب." ¹ وقال السعدي: "أي من طين قد ييس بعد ما خمر حتى صار له صلصلة وصوت، كصوت الفخار، والحمأ المسنون الطين المتغير لونه ويرجه من طول مكثه" ².

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب" ³. وقد كان خلقه يوم الجمعة فعن أبي هريرة، أن النبي ﷺ، قال: "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة" ⁴.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: "خلق الله ﷻ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم ﷺ بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل" ⁵.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: "خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك، فقال السلام عليكم،

¹ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ج1، ص 456

² عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ص 430

³ رواه الترمذي في سننه (الجامع الكبير، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1، 1998م، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، ج5، ص204، رقم الحديث: 2955، وقال فيه: (هذا حديث حسن صحيح)، وأخرجه أبو داود في سننه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، كتاب السنة، باب في القدر، ج4، ص222، رقم الحديث: 4693.

⁴ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، ج3، ص6. رقم الحديث: 2014

⁵ أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم ﷺ، ج8، ص127، رقم الحديث:

فقالوا : السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن"1

ثم علم الله تعالى آدم الأسماء كلها، وتحدى بذلك الملائكة فعجزوا عن الإحاطة بأسمائها، فأنبأهم آدم عنها، وظهر فضل آدم وكرامته، وازدادوا إقرارا وبقينا بعلم الله تعالى، قَالَ تَمَّانُ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّادَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ عَلَّمْتُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعَلَّمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ البقرة: ٣١ - ٣٣، ثم أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم، ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٤﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ ص: ٧٣ - ٧٤، وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك"2. وهذا سبب غروره وتكبره على آدم عليه السلام. قَالَ تَمَّانُ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٦﴾﴾ الأعراف: ١٢، فحق عليه الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض، وحققت عليه اللعنة إلى يوم الدين، فطلب الإنظار إلى يوم القيامة، وأقسم ليغوين بني آدم قَالَ تَمَّانُ: ﴿قَالَ فَأَهْيَظُ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعُثُونَ ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فِيمَا أَحْوَجْتَنِي لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا بَئِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٢﴾﴾ الأعراف: ١٣ - ١٨

وأندر الله تعالى آدم من اتباع الشيطان، والوقوع في غوايته، على أن يعيش في الجنة، منعما مكرما، يأكل منها رغدا حيث شاء، ثم خلق الله منه حواء وكانت مؤنسا له، وفي هذا النعيم نهاه من الاقتراب من شجرة واحدة في الجنة، بما بدأ الاختبار، قَالَ تَمَّانُ: ﴿فَقُلْنَا يَتَّادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوُّكَ وَلَنْ وَجِيحَكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿٢٣﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿٢٤﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى

1 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، ج4، ص131، رقم الحديث: 3326.

2 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقا لا يتمالك، ج8، ص31، رقم الحديث: 6815

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ ﴿١١٧﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١١٨﴾ طه: ١١٧ - ١٢١

لكن الشيطان كان لآدم بالمرصاد فوسوس له بأن الشجرة التي منع منها تجعله من الملائكة أو تمنحه الخلود الأبدي، فأكل آدم وحواء من الشجرة، وبدت سوءاتهما وأصبحا يبحثان عما يغطيان به من أوراق الجنة قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١١٩﴾ فَذَلَّلَهُمَا يَتَعَرَّبَا فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٢٠﴾ الأعراف: ٢٠ - ٢٢، يقول الإمام الطبري: "ونادى آدم وحواء ربهما: ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التي أكلتما ثمراها، وأعلمكما أن إبليس لكما عدو مبين (يقول) قد أبان عداوته لكما، بترك السجود لآدم حسداً وبعياً"¹

وأدرك آدم عليه السلام وزوجه خطئهما وأعلنا توبتهما إلى الله تعالى، ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿١٢١﴾ الأعراف: ٢٣، وقبل الله توبتهما، لكن جاء الأمر الإلهي بالهبوط إلى الأرض قال تعالى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿١٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢٣﴾ البقرة: ٣٨ - ٣٩

وبهذا حلت العداوة بين آدم وذريته وبين إبليس وأعوانه إلى يوم القيامة. وجاء التحذير الإلهي لبني من الوقوع في شرك إبليس ﴿ يَبْنَئُ آدَمُ لَا يَفْتِنُكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ أَنفُسِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٢٤﴾ الأعراف: ٢٧

ولم يرد بعدها في القرآن أي شيء عن حياة آدم على الأرض، أو وفاته أو قبره. لكن ورد بعض الأحاديث عنه في السنة الصحيحة منها: ما جاء في حديث الاسراء والمعراج قال أنس ابن مالك كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " فرج سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلى حكمة وإيمانا، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء، فلما جاء إلى السماء الدنيا قال جبريل لحازن السماء: افتح،

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج12، ص355.

قال من هذا؟ قال هذا جبريل قال: معك أحد قال: معي محمد، قال أرسل إليه؟ قال: نعم ففتح، فلما علونا السماء الدنيا إذا رجل عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه، وعن شماله نسمة بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى"1.

كما وردت الإشارة إلى خطيئة آدم وندمه عليها في عدد من الأحاديث منها ما جاء عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، اتوا نوحا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض"2.

وفي رواية مسلم عن أبي هريرة وأبو مالك عن ربي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله..."3.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة فرغ إليه الذراع وكانت تعجبه فهس منها نحسة وقال: أنا سيد القوم يوم القيامة هل تدرون بم؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس أبوكم آدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول ربي غضب

1 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، ج1، ص، 78 رقم: 349

2 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قول الله وعلم آدم الأسماء كلها، ج6، ص17، رقم الحديث: 4476

3 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب أدنى اهل الجنة منزلة فيها، ج1، ص129، رقم الحديث 503.

غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح...¹

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى فحج آدم موسى) ثلاثاً².

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: يقول الله تعالى: "يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد" قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: "أبشروا، فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً. ثم قال: والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، فقال: "أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا، فقال: "أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبرنا، فقال: "ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود"³.

هذا ما ورد عن قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وما ورد في كتب التفسير وقصص الأنبياء من روايات أخرى تعد من الإسرائيلية لا نصدقها، ولا نكذبها.

الفرع الثاني: آدم عليه السلام في موجز دائرة المعارف الإسلامية

كتب مادة آدم في موجز الدائرة المستشرق (بيدرسون) وترجمها خورشيد، وهي من المواد المتوسطة في الدائرة حيث جاءت في أربعة عشرة عموداً بمصادرها.

بدأ بيدرسن المادة بجعل آدم أبو البشر، ثم عرض إشارات من قصة آدم عليه السلام كما جاءت في القرآن الكريم، استهلها بحديث الله إلى الملائكة في آية البقرة، وأشار إلى تعليم آدم الأسماء كلها، وإنشاء الملائكة بها، ثم أمر الله للملائكة بالسجود لأدم فسجدوا إلا إبليس أبي واستكبر، وساق الآية السابعة

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قصة بني إسرائيل الاسراء، ج6، ص84، رقم الحديث 4712.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، ج8، ص126، رقم الحديث 6614

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ج4، ص139، رقم الحديث 3349

والعشرين من سورة الحجر، ثم ذكر طرد ابليس من الجنة، وسكن آدم وزوجه في ذلك النعيم، ونهيهما عن الاقتراب من الشجرة مستشهدا في كل حدث بأرقام الآيات الدالة عليه من القرآن الكريم، ثم قال: " ثم أعقب ذلك زلة بني الإنسان". وذكر الآية 36 من سورة البقرة والآية 22 من سورة الأعراف، ومشيرا إلى الآية 121 من سورة طه. واستعماله لهذه العبارة في سياق هذه الآيات يؤكد على سيطرة خلفيته الدينية على كتابة المادة فهو ينطلق من العقيدة المسيحية التي تعتبر معصية آدم هي معصية لكل البشر وتحملهم وزرها يقول اديسون ليتش: "الطبيعة البشرية فاسدة، لا لعمل قامت به ولكن لأنها ولدت هكذا، فعندما يولد الواحد منا يولد خاطئا بطبيعته، لأن الفساد قد جاء إلينا أصلا من أبوين الأولين، فكلنا خطأ لأننا كلنا بشر"¹، حتى الطفل الرضيع مذنب في العقيدة المسيحية، مستحق للعقاب على ذنب لم يفعله.

وهذه عقيدة رفضها الإسلام، فالمسؤولية فردية وكل إنسان يحاسب بما عملته يديه، وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في آيات كثيرة لبثتها في نفوس البشر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام: ١٦٤. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ النساء: ١١١، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ٣١ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ النجم: ٣٩ - ٤١ وقال أيضا ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ غافر: ١٧، فالقرآن الكريم لا يخالف المنطق ولا العقل فلا يمكن تحميل أي إنسان خطأ إنسان آخر، كما أن من أخطأ يحق له أن يتوب، وهذا من تمام العدل الإلهي، يقول سيد قطب: "وهذه الحقيقة في التصور الإسلامي تنقذ كاهل البشرية من أسطورة الخطيئة الموروثة التي تقوم عليها التصورات الكنسية في المسيحية والتي يقوم عليها ركام هائل من الطقوس والتشكيلات فوق ما يقوم فوقها من الأساطير والخرافات.. خطيئة آدم التي تلازم البشرية كاللعنة المصلتة على الرقاب! حتى يتمثل الإله في صورة ابن الإنسان (المسيح) ويصلب ويحتمل العذاب للتكفير عن هذه الخطيئة الموروثة ومن ثم يكتب (الغفران) لمن يتحد بالمسيح الذي كثر بدمه عن خطيئة آدم التي ورثتها البشرية! إن الأمر في التصور الإسلامي أيسر من هذا بكثير، لقد نسي آدم وأخطأ، ولقد تاب واستغفر. ولقد قبل الله

¹ أديسون ليتش، عقيدتنا اللاهوتية، تر: القس فهم عزيز، دار الثقافة المسيحية - القاهرة، المطبعة التجارية الحديثة، ط2، 1977م، ص49.

توبته وغفر له وانتهى أمر تلك الخطيئة الأولى. ولم يبق منها إلا رصيد التجربة الذي يعين الجنس البشري في صراعه الطويل المدى.¹

إذن فعبارة بيدرسون على أن خطأ سيدنا آدم هو زلة بني الإنسان، شبهة كبيرة توحي بأن الإسلام يقبل فكرة توريث الخطيئة وهذا مخالف لأصوله فالزلة هي زلة آدم وقد تاب منها وغفرها الله له، وكل إنسان بعدها موكول إلى نفسه محاسب على ذنوبه فقط.

بعدها ذكر بيدرسون أمر الله لأدم وزوجه بالهبوط إلى الأرض، ثم سأل آدم ربه الصفح والمغفرة فتاب عليه، مستشهدا على ذلك بالآيات من القرآن الكريم. كما نوه بالعهد الذي كان بين الله وعَبْدِكَ وآدم الطَّيِّبِ، ولكن آدم نسيه والذي ورد في سورة طه 115، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْمُرُءُءَ إِتَى كُرْمِ يَبْتَى ءَءَمَّ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْمٌ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ يس: ٦٠، وختم عرض القصة في القرآن باصطفاء آدم على العالمين كما جاء في سورة آل عمران: 33، وذكر آية آل عمران التي جاء فيها تشبيهه عيسى بآدم عليهما السلام.

والملاحظ على المقدمة التي بدأ بها بيدرسن أنه حاول فيها استقصاء القصة كما جاءت في القرآن الكريم مع ترتيب وقائعها ومستشهدا بأرقام الآيات فقط من دون ذكر للآيات، وهي بداية موفقة للمنهج العام في عرض القصة، وخاصة أنها من المواد الأولى التي كتبت في الدائرة، لكنه سرعان ما حاد عن خط العرض الصحيح للقصة عندما حاول الغوص في الروايات الإسرائيلية، وظهر تأثيره الكبير بثقافته التوراتية.

فقد ذكر بأن الأفكار التي لم تذكرها التوراة موجودة في الروايات اليهودية وحتى الروايات المسيحية، مشيرا إلى الأحداث التي ذكرها القرآن الكريم ولم ترد في التوراة، على أساس أن هذه الأخبار كانت معروفة ودارجة في الروايات اليهودية حيث قال: "ونحن نعرف حديث الله تعالى مع الملائكة قبل خلق آدم، ورجحان آدم عليهم لعلمه بالأسماء"² ونسب ذلك إلى مجموعة برشيت ربّا ومجموعة بمدير ربّا، ومجموعة بسقتا.

وبالاعتماد على الكتابات اليهودية (مجموعة برشيت ربّا، برقى ربّا إيعزر) أثار بيدرسن شبهة غريبة وهي أن السجود لآدم لم يكن بأمر من الله وَعَبْدِكَ، بل أراد الملائكة تشريف آدم كما شرفه الله،

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط17، 1412هـ، ج3، ص1274.

² موجز الدائرة، ج1، ص8-9.

لكن حال بينهم أن الله قد جعل آدم ينام، كما أشار إلى ما جاء في كتاب *vita adami* أن الملك ميكائيل سجد لآدم ودعا سائر الملائكة أن يحدو حذوه، ويفهم من الكتاب ضمنا لا نصا أن الله أقر ذلك¹.

وإيراد مثل هذه الأفكار في دائرة المعارف الخاصة بالحديث عن الإسلام لا يخضع للمنهجية العامة للدوائر، لأنها تصورات تخالف الإسلام وتناقض ما جاء في القرآن الكريم، في قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿١٦﴾ الحجر: ٢٩، وقال أيضا ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ البقرة: ٣٤، وجاء مثله في سورة الأعراف الآية 11، سورة الاسراء الآية 61، الكهف الآية 50، طه الآية 116 فكلها جاء فيها فعل الأمر (اسجدوا) من الله عز وجل لملائكته بالسجود لآدم. والملائكة في الإسلام مهمتهم تنفيذ ما يؤمرون به قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ التحريم: ٦

كما أن هذه الفكرة لم يحملها تراث المسلمين وهو ما يؤكد فنسك أحد أعمدة الاستشراق في مادة ميكائيل في الدائرة حيث قال: "وفي قصة آدم وحواء، ميكائيل هو الذي أمر الشيطان وباقي الملائكة بالسجود لآدم ومع أن القصة ذكرت عدة مرات في القرآن الكريم فلا يوجد دليل في التراث الإسلامي على الدور المنسوب لميكائيل في قصة آدم وحواء ولم يذكر ميكائيل في القصص الإسلامية إلا عندما سجد هو وجبريل لآدم على عكس إبليس الذي أبى واستكبر"²، والعبارة واضحة في أنها تنسف ما قال به بيدرسون عن ميكائيل، ضف إلى ذلك أن بيدرسون لم يبين المصدر الإسلامي الذي أخذ منه هذه المعلومة، في حين كان كلما ذكر رأيا في اليهودية أو المسيحية ذكر مصدره، وهذا يبين ضعف إطلاعه على المصادر الإسلامية، واعتماده على نقول المستشرقين وكتاباتهم فقط.

كما ثبت أن الكتابات اليهودية التي استند عليها المستشرق بيدرسون (برقي ربنا يعزر) قد كتبت بعد الإسلام ما بين القرن الثامن والتاسع الميلادي، في فترة الحكم الأموي فقد جاء في معجم الديانة اليهودية ((The Oxford Dictionary of the Jewish Religion)): "حُدِّد تاريخ تأليف جل الكتاب على أنه القرن الثامن ... دُكِّر خرافات عربيّة ووصفًا مميّزًا للحكم الإسلامي الأموي، مؤملاً سقوطه، معتبراً ذلك فألاً لنهاية السبي. يذكر العديد من الأعراف التشريعية الموجودة

¹ موجز الدائرة، ج1، ص9

² موجز الدائرة، ج31، ص9833، ع2

في أرض إسرائيل في بداية الفترة الجيوتية. يثبت هذا الأمر أنّ هذا الكتاب فلسطيني النشأة وأنه يعود إلى النصف الأوّل من القرن الثامن، مباشرة قبل سقوط الدولة الأموية وقبل صعود الدولة العباسية¹. أي أن هذه الكتابات هي التي تأثرت بالقرآن، لأن هذه الأفكار غير واردة في التوراة، لكن بتحريفها عن الأصل.

ثم عرج على الكتابات المسيحية في قصة آدم عليه السلام الواردة في كتاب مغارة الكنوز، والتي تذكر أن الله سوّد آدم على جميع المخلوقات وأن الملائكة عبدوه إلا إبليس الحسود ومن ثم طرد من الجنة، فالروايات السريانية تصور سجود الملائكة لآدم عليه السلام بالعبادة، وهذا مخالف للتصور الإسلامي، فالسجود لآدم كان سجود تكريم وتحية بأمر من الله تعالى لا سجود عبادة. يقول ابن كثير: "وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلّموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فخرّم هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى"².

وفي الحقيقة ما ينقله المستشرق بيدرسون عن قصة آدم عليه السلام من المصادر اليهودية والمسيحية لا دخل له في القصة الإسلامية، إلا من باب جمع المعلومات عن شخصية آدم في الأديان، مما يشوش أفكار القارئ، ويجعله يضيف هذه الأخبار الى التصور الإسلامي عن القصة ممّا يقدم له صورة مشوهة عن القصة في الاسلام.

ثم ذكر أن العهد الذي بين الله وآدم عليه السلام ورد في عدة كتب مسيحية، للتلميح إلى أن الأفكار الواردة في القرآن الكريم ليست جديدة أو خاصة بالقرآن بل هي مقتبسة من الروايات اليهودية والسريانية وهو ما ذكره بقوله: "وكانت الروايات والقصص التي نشأت بعد القرآن عن آدم تنمو، وقد انعكس فيها أيضا الأثر اليهودي والمسيحي إلى حد كبير. ونحن نجدها ماثلة على الأغلب في مجموعات القصص، وفي كتب التاريخ العام، وفي بعض كتب التفاسير³. لكن ذكر هذا العهد ورد في القرآن الكريم وإن توسعت المصادر الإسلامية في تفصيل هذا العهد

¹ R. J. Zwi Werblowsky and Geoffrey Wigoder, eds. *The Oxford Dictionary of the Jewish Religion*, New York: Oxford University Press, 1997, p.534

مقتبس من كتب اليهود والنصارى، مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان، 170.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص412.

³ موجز الدائرة، ج1، ص9، ع2.

ويحاول بيدرسون أن يقحم الروايات اليهودية والمسيحية في القصة كثيرا، من ذلك ما ذكرته الرواية النصرانية التي تجعل جثمان آدم قد حمل بعد الطوفان إلى بيت المقدس، حمل في الفلك إلى الجبلجة قلب الأرض حيث يقوم معبد آدم في كنيسة القبر المقدس. كما ذكر الرواية اليهودية التي تجعل الطين الذي خلق منه جسد آدم قد أخذ من مكان المعبد، أو من العالم كله بألوان مختلفة. وصور أولا جسدا بلا روح كولين، ومثله في الرواية المسيحية، أما الرواية الإسلامية فيها أن الله بعث جبريل ثم ميكائيل إلى الأرض ليأخذ منها قبضة من طين، لكن الأرض استعادت بالله أن يأخذ منها شيء، فأرسل الله إليها ملك الموت فانتزع قبضة من طين الأحمر والأبيض والأسود لذلك اختلفت ألوان البشر، وهي رواية مروية عن السدي عن بعض الصحابة وقال فيها ابن كثير: "فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مُدْرَج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم."¹

والثابت من السنة النبوية يرويه الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب"². وليس فيه أي ذكر للملائكة أو الأرض في القصة. وهو ما نجزم به. أما رواية السدي فمشكوك فيها.

وعقد بيدرسون مقارنات في بعض الأمور بين الروايات الإسلامية واليهودية والنصرانية مثل اتفاق الروايات في الديانات الثلاث بحسن صورة جسد آدم وطول قامته، كما فصل بيدرسون في لغة آدم وفي ذكر بعض أولاده وأشار إلى قصة قابيل وهابيل بإيجاز، ونوّه إلى حديث آدم وداوود وذكر أنه يرد هناك ما يشبهها في الرواية اليهودية كما أن هناك رواية نصرانية تقول إن كل شيء قد خلق في تلك اللحظة نفسها. نسبها إلى ابن العبري في كتابه تاريخ مختصر الدول، وبالعودة إلى نص العبارة كما أوردها صاحبها نجده يقول: "ومن علمائنا مار غريغوريوس النوسوي ويعقوب الرهاوي يزعمان أن جميع المخلوقات إنما وجدت في آن واحد، والكتاب الإلهي إنما خصص كون كل كائن بيوم، لتعليمنا حسن

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج1، ص230.

² أخرجه الترمذي في سننه، باب تفسير القرآن، تفسير سورة البقرة، ج5، ص54 رقم الحديث: 2955، وقال عنه:

هذا حديث حسن صحيح

الترتيب في الأمور، وأن الله غير موجب بالذات بل فاعل بالاختيار، له أن يبرأ ما شاء متى شاء¹. وكلام ابن العبري يردّ على هذه الرواية، التي لم يثبت المستشرق من نسبتها إلى صاحبها، وإن كان واضحاً بتره للكلام ليكون دليلاً له، وهذا من أعظم الأخطاء العلمية للباحث الرزين.

كما يشير في إغواء آدم إلى ما جاء في التوراة من أن الحية هي التي أغوت الانسان، أما الرواية النصرانية فالشيطان هو الذي تحدث بلسان الحية، والقرآن يحدثنا أن الشيطان هو الذي أغوى آدم، وإن كانت الرواية الإسلامية فيما ذكره المفسرون والمؤرخون المسلمون قد جعلت إبليس يتسلط على الحية، ويخاطب بها آدم وحواء، وفي رواية عند الثعلبي يظهر دور للطاووس، وعرض الكاتب لمثل هذه المقارنات ليدلّل على أنّها أخبار منقولة عن أهل الكتاب

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الحكيم عن عدوّ الله أنه قاسم آدم وزوجته بقبيله لهما: إني لكما لمن الناصحين - الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه، إما ظاهراً لأعينهما، وإما مستجناً في غيره. وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقال: قاسم فلان فلاناً في كذا وكذا. إذا سبّب له سبباً وصل به إليه دون أن يحلف له. والحلف لا يكون بتسبب السبب. فكذلك قوله "فوسوس إليه الشيطان"، لو كان ذلك كان منه إلى آدم - على نحو الذي منه إلى ذريته، من تزيين أكل ما نهى الله آدم عن أكله من الشجرة، بغير مباشرة خطابه إياه بما استزله به من القول والحيل - لما قال جلّ ثناؤه: "وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين". كما غير جائر أن يقول اليوم قائلٌ من أتى معصية: قاسمني إبليس أنه لي ناصحٌ فيما زيّن لي من المعصية التي أتيتها. فكذلك الذي كان من آدم وزوجته، لو كان على النحو الذي يكون فيما بين إبليس اليوم وذرية آدم - لما قال جلّ ثناؤه: "وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين"، ولكن ذلك كان - إن شاء الله - على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله.

فأما سبب وصوله إلى الجنة حتى كلم آدم بعد أن أخرجه الله منها وطرده عنها، فليس فيما روي عن ابن عباس ووهب بن منبه في ذلك معنى يجوز لذي فهم مُدافعتة، إذ كان ذلك قولاً لا يدفعه عقل ولا خبر يلزم تصديقه من حجة بخلافه، وهو من الأمور الممكنة. والقول في ذلك أنه وصل إلى خطابهما

¹ غريغوريس أبو الفرج ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبناني-بيروت، ط2، 1994م، ص7.

على ما أخبرنا الله جل ثناؤه؛ ويمكن أن يكون وصل إلى ذلك بنحو الذي قاله المتأولون، بل ذلك - إن شاء الله - كذلك، لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك"¹.

كما ذكر بيدرسون أن بعض أبناء آدم كانوا آلهة للعرب في إشارة لما جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودّ كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمрад ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت"².

ويؤكد بيدرسون بعدها أن حواء هي التي أكلت من الشجرة، وبالرغم من أن هناك مرويات إسرائيلية نقلها المفسرون والاختباريون توحى بهذا، لكن يظهر وقوعه تحت تأثير خلفيته الدينية ودراساته التوراتية في تقرير هذا الرأي، وهو رأي شائع عند المستشرقين ومن الشبه التي ينسبونها للقرآن، فقد جاء في مادة حواء التي كتبها إيزنبرغ وترجمها عبد الحميد يونس: "وعلى حواء (الأعراف: 20) معظم الوزر في الخطيئة الأولى، فقد أغواها إبليس فأكلت من شجرة الشر. وتذهب رواية إلى أن حواء قدمت لزوجها الخمر الأولى فضلا عن الفاكهة المحرمة فأصبحت الخمر الخطيئة الأولى ثم أصبحت مصدر الشر كله"³ ثم يذكر العقوبات العشر لهذه الجريمة. واعتماده على آية سورة الأعراف لا مسوغ له، لأنه ليس فيه أي دليل على ما يفتره. قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ إِلَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ الأعراف: ٢٠

فالخطاب في الآية بالمتنى وبالاعتماد على الآية التي سبقتها قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَتَادَمُّ أَسْكُنُ أَنْتَ وَرَوْجِكَ الْجَنَّةَ فَلَآ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الأعراف: ١٩، نجد أن أمر النهي عن الأكل من الشجرة كان لكليهما، وأن الوسوسة كانت لآدم ولزوجه، وكلاهما أكلا من الشجرة، وكلاهما نالهما عقاب المعصية، ونداء الله كان لكليهما ولم يكن لآدم فقط أو لحواء فقط أو لحواء أولا،

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج1، ص531-532

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب { وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ }، ج6، ص160، رقم الحديث:

4920

³ موجز الدائرة، ج14، ص4428.

حتى الدعاء جاء بصيغة الجمع لاشتراكهما في الفعل، قَالَ تَمَّانُ: ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَعْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الأعراف:

٢٢ - ٢٢

وأشار د. مهدي علام في رده بهامش المادة على هذه الشبهة إلى اتفاق سورة البقرة في هذه المعاني، لكن في سورة طه تقع المسؤولية على آدم وتحديد الوسوسة لآدم والأكل لكلاهما قَالَ تَمَّانُ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٧﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٨﴾ قَوْسَوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يُتَّكَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْجَنَّةِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٩﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿٢٠﴾﴾ طه: ١١٨ - ١٢١

وجاء في مادة ابليس التي كتبها فنسك وترجمها خورشيد: "يرد -إبليس- في القرآن غالبا عند الكلام على بدء الخلق... متمردا على خلق آدم ومغويا لحواء في الجنة،"¹ وقال في موضع آخر من المادة: "وكان ابليس وثيق الصلة بحواء... فلما مضت حواء إلى الشجرة ظهر لها ابليس في صورة ملك، ويقول آخرون إنه قدم لها ثمرة الشجرة بنفسه..."².

وأدرج في نهاية المادة تعليق الأستاذ أمين الخولي على المادة والتي رد فيها على هذه الافتراءات بعد نقله للأقوال السابقة بقوله: "ورد اللاحق من هذا القول على السابق يفهم منه تحميل القرآن ما ليس فيه من أمر حواء في قصة الخلق وما تفصل أوصافه مصادر أخرى غير إسلامية أو مصادر إسلامية لا يلزم القرآن شيء مما فيها، وأقل ما في كلام الكاتب وهو تقريره أن إبليس يرد في القرآن مغويا لحواء ليس مما يتحملة القرآن حتى مع قطع النظر عن كل التفصيلات الأخرى لهذا الاغواء"³.

كما أن عبارة فنسك في مادة ابليس أيضا التي يقول فيها "وقد جمع النبي ﷺ في هذا المقام بين قصتين مستقلتين قصة خلق آدم، وقصة غواية حواء في الجنة"⁴ توحى بأن النبي ﷺ هو من ألف القرآن وجمع فيه هذه القصص، وهي آفة دأب عليها المستشرقون في هذه الدائرة، بالرغم من أن ارتباط

¹ موجز الدائرة، ج1، ص104، ع1

² المصدر نفسه، ج1، ص106، ع1

³ المصدر نفسه، ج1، ص107، ع1

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص107، ع1

قصة خلق آدم بغواية الشيطان الذي استكبر عن السجود له غيرة وحسدا، وأقسم على إغواء آدم وبنيه إلى يوم القيامة، واضح غاية الوضوح في آيات القرآن الكريم، أما اتهام حواء فلم يرد أصلا اسمها في القرآن ولا حتى تخصيصها بهذا الاغواء، وقد وردت على أنها زوج آدم، فغواية حوار في الجنة مجرد افتراء وكذب على القرآن، وإن كان معتمده روايات المفسرين فهي لا تلزم القرآن بشيء لأنها تعد شرحا بشريا لكلام الله تعالى تدخل فيه الأحاديث بدرجاتها واللغة وبلاغتها والاسرائيليات ومصادقتها.

وقد حاول بيدرسون إيراد اختلاف المفسرين في عدة أمور لا دليل عليها لا من القرآن ولا من السنة ولا يفيد العلم بما شيئا، منها اللغة التي كان يتكلم بها آدم، ومنها تحديد الثمرة المحرمة والتي ذكر أنها في الرواية اليهودية هي العنب أو التين أو الحنطة، وهكذا ترد أيضا في الرواية الإسلامية. والتي أسندها إلى الإمام الطبري، وبالرجوع إلى تفسير الطبري نجد أنه ذكر هذه الاختلافات لكنه عقب عليها بقوله: "فالصواب في ذلك أن يقال ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يَصْعَ لعباده دليلا على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة. فأئني يأتي ذلك... وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به"¹ وهو رأي أخذ به الإمام الرازي و الإمام ابن كثير. وقال الإمام الألوسي: "والأولى عدم القطع والتعيين - كما أن الله تعالى لم يعينها باسمها في الآية - ولا أرى ثمرة في تعيين هذه الشجرة"²، وأغلب رأي المفسرين على هذا القول، وإن كان ذكروا أقوال أهل الكتاب في ذلك لا على سبيل القطع بل للتقريب فقط.

ثم ناقش بيدرسون اختلاف الروايات الإسلامية في مكان هبوط آدم في الأرض والتي تجعل آدم هبط في الهند أو سرنديب، وحواء إلى جدة، وإبليس إلى بيسان (أو ميسان أو الأبله) والحية إلى أصفهان (أو الى البرية)، والتقى آدم وحواء في المزدلفة وعرفة. وهي روايات امتلأت بها كتب التفسير والتاريخ مرجعها إلى إسرائيليات أهل الكتاب، لأنه لا مستند لها من القرآن الكريم ولا في السنة لهذا قال عنها الامام ابن كثير: "وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات، والله أعلم بصحتها. ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج1، ص 520-521

² شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1415هـ، ج1، ص236.

في أمر دينهم، أو دنياهم، لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ﷺ¹ فمنهج القصة في القرآن الكريم لا يعني إلا بذكر ما فيه فائدة أو يحقق العبرة أو يكشف الحقيقة التي ينتفع بها الإنسان على مر العصور، أما ما لا فائدة فيه فيطوي ذكره.

وأشار بيدرسون أيضا أن آدم أدى مناسك الحج وأن الحجر الأسود نزل إليه من السماء ثم بنى الكعبة، وفي هذا يقول الطبري "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل رفعا القواعد من البيت الحرام، وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم، فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة ... وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم، حتى رفع قواعد إبراهيم وإسماعيل. ولا علم عندنا بأي ذلك كان من أي، لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بنحو عن الله وعن رسوله ﷺ، بالنقل المستفيض. ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم لها، ولا هو - إذ لم يكن به خبر على ما وصفنا - مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس فيمثل غيره، ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد، فلا قول في ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا. والله تعالى أعلم"². فاعتماد بيدرسون على هذه المصادر لنقل الآراء وعدم توثيق الرأي الراجح عند المفسر، واختيار العبارات التي توافق آراءهم وأهواءهم وبتراها عن سياقها، خلل منهجي يجعل الروايات الإسلامية متضاربة ويشكك بالمنهجية الإسلامية.

وتفتن بيدرسون في رواية الأخبار الضعيفة والروايات المشبوهة عن حياة آدم وحواء وكيف تعلمنا استخدام النار والزراعة والحرف اليدوية في قول رواية إسرائيلية الأصل، أوردها كل من الثعلبي، والطبري والأصفهاني، وزاد أن الثعلبي ذهب إلى أن آدم سك الدراهم والدنانير لأنها كانت من مستلزمات الحياة المألوفة، والرواية مشتهرة عن كعب الأحبار، حيث قال: أول من ضرب الدينار والدرهم آدم عليه السلام، وقال: لا تصلح المعيشة إلا بهما³، وكعب الأحبار معروف برواية إسرائيليات.

وفي الأخير ختم بيدرسون مقاله عن آدم بفكرة خطيرة، مهّد لها بأن آدم كان أول النبيين، ومن ثم أصبح مكانه متأثرا بالمنحنى الإسلامي في التفكير، ثم شرح قوله بالاعتماد على النظرة الصوفية مع إدخال بعض المغالطات المنطقية والتي منها التعميم، قد أسقط الأفكار الصوفية لبعض الفرق الإسلامية

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص399

² تفسير الطبري، مصدر سابق، ج3، ص64

³ أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي - بيروت، ط4، 1405 هـ، ج6، ص13.

على التفكير الإسلامي ككل، فهي تجسد فكر طائفة قليلة من المسلمين وليس عقيدة يؤمن بها كل المسلمين، كما استفاض في شرح مذهب السبعية وبيان الفرق بين آدم الكلي و آدم الجزئي، وعلاقته بالحلول والتناسخ عند الهيلينية والناسوت عند الحلاج، وهذا لا يمت بصلة للتصور الإسلامي وهي أفكار تشوه صورة الإسلام وتزعزع مكانته، وليست أفكار أصيلة وأساسية في فكر المسلم.

وبالعموم يلاحظ على مادة آدم عليه السلام في موجز الدائرة أنها من المواد الأولى التي كتبت وخرجت للناس، ويظهر فيها محاولة جمع الكاتب لكل التفاصيل من غير تركيز على الرؤية الإسلامية وحدها، ومن غير تدقيق في مرجعية وقيمة المصادر الإسلامية، وفي كثير من الأحيان يلجأ إلى المصادر اليهودية والمسيحية بنوع من التفصيل، مع أن المقرر في الدائرة هو عرض التصور الإسلامي لقصة آدم عليه السلام، كما تتجلى خلفيته الفكرية وتأثره بالدراسات التوراتية كثيرا في تأكيد بعض الأفكار المشبوهة اعتمادا على مصادر غير أساسية في الإسلام، والاستناد إلى الهاجادة والكتب المسيحية في بث بعض الأفكار، وتأكيد الرؤية الإسلامية في إشارات إلى مدى التأثير بالديانات السماوية السابقة على الإسلام، كما ختمها بإشارات إلى بعض المذاهب والرؤى المنحرفة وعرضها كأساس للتصور الإسلامي العام.

المطلب الثاني: قصة إدريس عليه السلام

الفرع الأول: إدريس عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

جاء ذكر سيدنا إدريس عليه السلام في القرآن الكريم في موضعين، في قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۗ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۗ﴾ مريم: ٥٦ - ٥٧، وفي سورة الأنبياء في قوله تعالى ﴿وَأَسْمِعِمْ وَإِدْرِيْسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصِّدِّيقِينَ ۗ﴾ الأنبياء: ٨٥، ولم يرد بيان قصته ولا تفصيل عنه في غير هاتين الآيتين، اللتين تُقرآن بنبوته، وتبينان صفاته يقول الإمام السعدي: "جمع الله له بين الصديقية، الجامعة للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح، وبين اصطفائه لوحيه، واختياره لرسالته"¹. ويفسر الإمام الشعراوي معنى الصديق بقوله: "والصديق هو الذي يبلغ

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 496.

في تصديق ما جاءه من الحق، فيجعل الله له بذلك قرّاناً وإشراقاً يميّز به الحق فلا يتصادم معه شيطان"¹. وبهذا جمع إدريس عليه السلام بين الصديقية والنبوة والرفعة والصبر.

وجاء ذكر إدريس عليه السلام في السنة النبوية في حديث الاسراء والمعراج، عند لقاء النبي ﷺ له في السماء الرابعة، فقد جاء في صحيح البخاري: "... قال أنس فلما مرّ جبريل بإدريس قال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا؟ قال هذا إدريس"².

وأورد ابن حبان في صحيحه حديثاً عن أبي ذر يسأل فيه النبي ﷺ عن الأنبياء جاء فيه، "... ثم قال: يا أبا ذر أربعة سريانيون، آدم وشيث وأخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ونوح ... قلت: يا رسول الله كم كتاباً أنزله الله؟ قال: مئة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسون صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة"³. وقد علّق عليه شعيب الأرنؤوط بقوله: "إسناده ضعيف جداً.

هذا ما ورد في المصادر الصحيحة في الإسلام عن نبي الله إدريس عليه السلام، وما انتشر في بطون كتب التفسير والتاريخ من قصص كله من الاسرائيليات التي لا نصدقها ولا نكذبها إلا ما كان منها مخالفاً.

الفرع الثاني: إدريس عليه السلام في موجز الدائرة

كاتب مادة إدريس عليه السلام في موجز الدائرة هو المستشرق فنسك، وعلّق على المادة محمد فريد وجددي، وهي من المواد المتوسطة في موجز الدائرة.

بدأ فنسك بذكر ورود إدريس عليه السلام في القرآن الكريم، وأنه لم يقصد من هذه الآيات، أن تميّط اللثام بحال عن هذه الشخصية، ثم أشار إلى أن الاسم بقي لغزاً عند المستشرقين ليكشف عنه نولدكه ويرجح أنه أندرياس، أما هارتمان فيرى أنه طاهي الإسكندر، الذي كتب له الخلود، أما مؤلفو

¹ محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم - مصر، دط، 1997م، ج15، ص9127
² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ج4، ص136 رقم الحديث 3342.

³ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، 1993م، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، ج2، ص76، رقم الحديث 361.

المسلمين يرون أنه أخنوخ المذكور في التوراة، ذلك أنه كتب له الخلود، أو دخل الجنة حيًا كما جاء في المصادر اليهودية. وكل ما ذكره المستشرق تكهنات وافتراضات لا دليل صريح أو صحيح عليها.

كما يقر فنسك أن أصل الروايات الإسلامية بخصوص إدريس يعود إلى مصادر يهودية متأخرة منحولة¹، ويجعل التشابه بين القصص الإسلامية واليهودية في التركيز على الصفات الثلاثة لإدريس عليه السلام وهي ورعه، تعميره في الأرض وكونه بطل من أبطال الأسطورة الشمسية، ورفعته إلى السماء.

ولهذا عدّه المفسرون والمؤرخون المسلمون هو نفسه أخنوخ والذي يعني اسمه (الملهم)، ونسجوا حوله القصص بأنه أول من خط بالقلم، وخاط الثياب، وبرع في الطب، وعلم النجوم.. وأول من امتطى الفرس للجهاد في سبيل الله، كما نصح فنسك بالعودة إلى تاريخ ابن القفطي للتعرف على أعماله نبيا أو ملكا، وأعاد هذه العبارة في نهاية المادة، كما أشار إلى بعض المصادر الاستشراقية خاصة في علاقته مع الحرائين. وهذا التأكيد يوحي بأن هذا فنسك يصدّق كلما ورد عن إدريس عليه السلام في تاريخ ابن القفطي الذي يجعله هرمس المهراسة ويروي عنه الكثير من الأخبار منها بناء للأهرامات وحفظه للعلوم فيها إلى غير ذلك، ولا يعرض ابن القفطي مصدره في هذه المعلومات، ولا يقدم أي دليل على ذلك.

وقد نقل عبد الوهاب النجار ما جاء في تاريخ ابن القفطي، وعقب عليها بقوله: "فأنتم ترون ما جاء عن إدريس في ذلك الكتاب، أخبار لم تؤيد بنقل صحيح ولم يعضدها نص قاطع نشهد به على الله تعالى أنه صنعه لعبده ونبيه إدريس عليه الصلاة والسلام، وكلها أقوال مما قمشت وضم حبل الحاطب، فهي أقوال لا بأس بالاطلاع عليها كما يطّلع المرء على غيرها من السنن التي هي أشبه بالخرافات، والباحثون في العاديات وأهل التاريخ القديم لا يجدون ما يؤيد هذه الأخبار، بل يجدون ما يناقضها من العلم"². لكن الاطلاع على هذه السيرة على أنها قصة إدريس عليه السلام، تخلط على المرء تصوره عن النبي إدريس عليه السلام، لأنها تعتمد على حكايات وأخبار لا مستند لها، والأولى الوقوف عند ما وقف عنده القرآن الكريم، فلو كان في قصته ما يفيد المسلمين في حياتهم ما كان الله تعالى أخفها عنهم، والله أعلم بشأنه.

¹¹ موجز الدائرة، ج2، ص566.

² عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، دار احياء التراث العربي-بيروت، ط3، دت ط، ص 29.

وهذه الأخبار منتشرة في كتب القصص والتاريخ ولا أصل يعضدها من روايات صحيحة، تحدد هوية نبي الله إدريس، أما المؤرخون فقد اعتمدوا على أهل الكتاب في تعيين إدريس عليه السلام على أنه أخنوخ، لأنه ورد في التوراة في سفر التكوين، 5: 24 "وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه"، فربطوا بين رفعة إدريس عليه السلام وأخذ الله لأخنوخ، وعدم العلم بمكانه، لكنها تبقى اسرائيليات لا نصدقها ولا نكذبها إلا بالدليل.

وأشار فنسك إلى أن المفسرين جعلوا سبب تسمية إدريس بهذا الاسم اشتقاقاً من الدرس الكثير، لغزارة علمه بما نزل من الوحي قبله، لكنه عقب عليه بأن دراية البيضاوي بفقهاء اللغة جعلته ينكر هذا الاشتقاق، وإن كان جائزاً في اللغات الأخرى، ويقول البيضاوي: "واشتقاق إدريس من الدرس يرده منع صرفه، نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريباً من ذلك فلعب به لكثرة درسه، إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة، وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب"¹.

ثم ساق فنسك الأخبار والروايات المشتهرة عن كعب الأحبار ووهب بن منبه، والتي مصدرها الاسرائيليات في قصة إدريس، تفسيراً لقوله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧ ﴾ مريم: ٥٧، والتي ملخصها أن ملك الموت زاره بعد اعجابه بأعمال إدريس عليه السلام، وقد قبض روح إدريس عليه السلام بطلب منه، ثم أعادها إليه، ثم طلب منه رفعه إلى السماء لرؤية الجنة، فأجابه ملك الموت إلى طلبه، فلما رأى الجنة رفض الخروج منها. واستعصم بآيتين من القرآن الكريم ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ الأنبياء: ٣٥، وقد ذاقه من قبل، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ٤٨ ﴾ الحجر: ٤٨، فكان هو وعيسى عليه السلام في السماء خالدين، كما يعيش الخضر وإلياس عليه السلام خالدين في الأرض.

ووصف إدريس عليه السلام بالخلود، منافع للعقيدة الإسلامية التي تقر أن الخلود صفة من صفات الله تعالى، وليس من صفات البشر ولا الخلق، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ٣٤ ﴾ الأنبياء: ٣٤ فالبقاء لله وحده قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٣٦ ﴾ الرحمن: ٢٦

والاستناد إلى الروايات الإسرائيلية لا يجوز فيما يخالف العقيدة الإسلامية، وخاصة بعدما تبين تحريف أهل الكتاب لكتابتهم، فما بالك إن كانت من الموروث الشعبي والأساطير المشتهرة عندهم، والاستدلال بحديث المعراج على رفعه ليس حجة لأن ذكر فيه أنبياء لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم في السماوات

¹ ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1، 1418هـ، ج4، ص13

كموسى وهارون ويوسف ويحي وإبراهيم عليهم السلام وهم لم يرفعوا أحياء، قال ابن عاشور: "وأما حديث الإسراء فلا حجة فيه لهذا القول لأنه ذكر فيه عدة أنبياء غيره وجدوا في السماوات"¹.

وحاول فنسنتك بكل الوسائل الربط بين إدريس والأسطورة الشمسية، بذكره للرواية التي دعا فيها إدريس للملك الموكل بالشمس، والذي طلب منه إدريس أن يؤخر أجله، لكن ملك الشمس لم يستطع فقد مات إدريس عند شروق الشمس، وعند تحليل فنسنتك لهذه الرواية يستخلص منها أن إدريس خالد لا يموت، كالشمس التي تموت وتحيا كل يوم، فهي خالدة، كما أنه يربطها بتفسير (المكان العلي) في سورة مريم بأنه ملك الشمس"².

والملاحظ على الأخبار التي ساقها فنسنتك أنها مروية عن مجموعة من الضعفاء كالسدي، ووهب بن منبه، وأغلبها عن كعب الأخبار الذي يروي ما اشتهر من أخبار أهل الكتاب، أو من كتبهم، مما لا يمكن تصديقه أو تكذيبه، بالرغم من ميلها إلى جانب الأسطورة، فاسم إدريس لم يرد في التوراة، حتى وإن اعتبرناه أخنوخ كما اعتبره المفسرون، فلم يرد بشأنه أي خبر في الكتاب المقدس، إذن فهذه الروايات مأخوذة من التراث اليهودي المليء بالأساطير، والتي لا يمكن بأي حال ربطها بأي القرآن الكريم، مع عدم إنكار قدرة الله تعالى على تأييد أنبيائه بالمعجزات.

كما أن من الغريب الاستناد إلى الآيات القرآنية في تبرير إدريس عليه السلام لعدم خروجه من الجنة، والقرآن مازال لم ينزل على الرسول ﷺ بعد. والرسول ﷺ لم يولد بعد، كما أن هذه الأخبار تجعل ملك الموت القدرة على الإحياء والإماتة، وهو الذي بيده تقديم وتأخير الآجال، وهذا مخالف للعقيدة الإسلامية، فملك الموت يفعل ما يؤمر به فقط من الله تعالى وليس له أي قدرة على ما سمته به الروايات الموضوعية. "وملك الموت مكلف من قبل الله تعالى بقبض الأرواح، وأنه لا يستشار أحد من الخلق في وفاته، (وهذه الأساطير) لا تتفق مع الأدب في الحديث عن الأنبياء عليهم السلام، وذلك لأنهم صلوات الله عليهم يعلمون أن لكل أجل كتابا، ولا يطلبون إلا ما يقره الشرع والعقل، كما أن العلم يكذب ويفند تلك الخرافات"³. ولهذا قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٥٦: "وقد روى ابن جرير هاهنا أثرا غريبا عجيبا"، ثم ساق قصة إدريس

¹ تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج16، ص 131.

² موجز الدائرة، ج2، ص568

³ مجموعة من المؤلفين، موسوعة بيان الإسلام، القسم الأول: القرآن، دار نهضة مصر للنشر، مج: 6، ج9، ص54

مع ملك الموت وعقب عليها بقوله: "هذا من أخبار كعب الأخبار الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم"¹.

وفي آخر المادة ذكر فنسك أن إدريس هو نفسه إلياس والخضر، وأن اليونان تسميه هرمرز ويسميه ابن العبري بهرمس الهرامسة المثلث بالحكمة، وهي أسماء اشتهرت لهذا النبي ﷺ، واختلفت من لغة إلى أخرى، والخلاف في الاسم خلاف شكلي. وليس ثابت أنه نفس الشخص الذي يحدثنا عنه القرآن الكريم.

وقد نقل البخاري² عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس، واستأنسوا بقول إدريس نبي ﷺ في حديث الاسراء والمعراج: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ولم يقل كما قال نبي الله آدم وإبراهيم عليهما السلام، مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال له مثل قولهما، وقد نقل هذا ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء ورد بقوله: "وهذا لا يدل ولا بد، لأنه قد لا يكون الراوي حفظه جيدا. أو لعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع، ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب لآدم أبي البشر، وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين"³.

ويقول الطاهر ابن عاشور: "وقد جزم البخاري في أحاديث الأنبياء بأن إدريس جد نوح أو جد أبيه، وذلك يدل على أنه لم ير في قوله (مرحبا بالأخ الصالح) ما ينافي أن يكون أبا للنبي ﷺ"⁴. كما أن قول البخاري يجعل إدريس ما بين آدم ﷺ ونوح ﷺ، كما اختاره أغلب المفسرين.

وقد قام محمد فريد وجدي بالتعليق على مادة إدريس ﷺ في موجز الدائرة، واستهل تعليقه بمقدمة يبين فيها أن هدف القرآن من ذكر الأنبياء ليس التأريخ بل هو الوعظ، لذا صرح بذكر بعضهم وإغفال البعض، وبين القرآن أن الأنبياء رجال خصوا بالوحي لإرشاد الناس وتعليمهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ يوسف: ١٠٩، وقد عمل القرآن على محاربة أي ميل للناس لتأليه الأنبياء، كما قرر عصمتهم من الكبائر، وما جاء من قصص غريبة عنهم فمصدرها من

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص241.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ذكر ادريس ﷺ، ج4، ص135.

³ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ص65.

⁴ تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج16، ص132.

الاسرائيليات لذا وجب الحذر الشديد وعدم الثقة المطلقة فيها، والقرآن لا يلزمه شيء منها، وإن جاء ذكرها في تفاسير القرآن الكريم، كما ذكر القرآن أن مرتبة الرسالة والنبوة لا ترتفع إلى درجة الألوهية، والمعجزات لا تصدر الا بإذن الله تعالى. ثم ختم فريد وجدي مقدمته بقوله: "والمسلم مكلف، إن نظر في تواريخ الأنبياء. أن يتبع الأسلوب القرآني من التمهيص والتحقق والبعد عن الظنون إلا ما نص الكتاب على أنه معجزة فتلك يعزوها إلى قدرة الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء"¹ وذكر وجدي أنه لا يهم المسلم من أمر إدريس إلا أن يقف عند وصف القرآن له، وما أورده المفسرون والمستشرقون لا يلزم القرآن منه بشيء، وما أورده المفسرون كان على سبيل التأريخ لا باسم القرآن ولا باسم الدين، لذا فهم يعقبون بقولهم (والله أعلم). ولذلك يجب الإحاطة بأساليب المفسرين ومناهجهم في إيراد الأقوال ممثلاً ذلك بالإمام البيضاوي الذي استعمل صيغة التحقيق في تفسير قوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ مريم: ٥٧، بقوله: "يعني شرف النبوة والزلفى عند الله"، ثم استخدم صيغة التمريض في الأقوال الأخرى بقوله: "وقيل الجنة، وقيل السماء السادسة والرابعة" وهي إشارة لطيفة من المعلق، تبين أن المستشرق قد ينسب قولاً ما لصاحبه ولا يراعي منهجه في إيراد الأقوال، أو قد ينسب له قولاً واحداً، ويغفل إيراد رأيه الراجح في المسألة، وخاصة وأن خلفياتهم قد تسبق إلى اختيار ما يوافق هواهم من الأخبار والروايات.

وعموماً تظهر قصة ادريس عليه السلام في موجز الدائرة مليئة بالأساطير والأخبار الغريبة بما يوحي احتواء القرآن لمثل هذه الأفكار والأقاصيص، وهو بخلاف ذلك لا ترد فيه أي قصة عن نبي الله إدريس عليه السلام. وهذا من مغالطات المستشرقين في الخلط بين الحق الصادق في القرآن الكريم وبين الروايات الضعيفة المكذوبة " لا سيما إذا توافقت مع مقولة في التوراة أو الانجيل المحرفين، ليؤيدوا القول بأن القرآن مشتق منهما، وأن محمداً ﷺ قد لفق من كتب الأقدمين، وذلك لإنكارهم نبوة محمد ﷺ وسموية القرآن، ويسلكون لإثبات ذلك كل سبيل"².

¹ موجز الدائرة، ج2، ص570.

² مجموعة من المؤلفين، موسوعة بيان الإسلام، مرجع سابق، مج: 6، ج9، ص52

المطلب الثالث: قصة نوح عليه السلام

الفرع الأول: نوح عليه السلام في القرآن الكريم والسنة الصحيحة

وردت قصة نوح عليه السلام في عدة سور من القرآن الكريم، في ثلاث وأربعين موضعا، كما وردت سورة كاملة باسم سيدنا نوح عليه السلام، عُرضت فيها قصته بنوع من التفصيل، وقد ثبتت نبوة نوح عليه السلام في عدة آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ النساء: ١٦٣، وقال تعالى: ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ الشورى: ١٣، وجاء في سورة الحديد قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ الحديد: ٢٦، وقال تعالى في سورة الاحزاب ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ٧ ﴾ الاحزاب: ٧

كما أشير إليه في عدة آيات خاصة في مجال ذكر عاقبة قومه كما جاء في سورة التوبة، في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٧٠ ﴾ التوبة: ٧٠

وعادة ما يُبدأ بذكر قوم نوح به عند الإشارة إلى عاقبة الكافرين قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٩ ﴾ إبراهيم: ٩ . فقد كان قوم نوح أول من ظهر فيهم الشرك بالله تعالى، وخرجوا عن محراب الإسلام، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَقُرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٣ ﴾ ص: ١٢ و قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ... ﴾ غافر: ٥

ولم يشتهر قوم نوح بفاحشة معينة بل كان ذنبهم الكبير هو تكذيب رسولهم، ومنهم بدأ الشرك بالله تعالى، ولقد وصفهم القرآن الكريم بتكذيب نبيهم، في آيات كثيرة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ١٣ ﴾ ق: ١٢، كما وصفهم بالفسق قال تعالى: ﴿ وَقَوْمُ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ٤٦ ﴾ الذاريات: ٤٦، وقد فشا فيهم الظلم والطغيان، فكان جزائهم الغرق والهلاك قال تعالى: ﴿ وَقَوْمُ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ٥٢ ﴾ النجم: ٥٢، ومن شدة تكذيبهم يكذبون نبيهم حتى يوم القيامة، فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: "يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول:

نوح من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ وهو قوله جل ذكره قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ البقرة: ١٤٣، والوسط العدل"¹
وقد بعث الله نوحا ﷺ بعد أن ظهرت عبادة الأصنام في الأرض، فكان أول الرسل وأول أولي العزم من الأنبياء، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كما جاء في صحيح ابن حبان: قال سمعت أبا أمامة أن رجلا قال: يا رسول الله أنبي كان آدم، قال: نعم مكلم، قال: فكم كان بينه وبين نوح، قال: عشرة قرون"²، وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنه جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام"³، وإن اختلف في تحديد معنى القرن في هذا الحديث.

والواضح أنهم اتخذوا آلهة غير الله تعالى وردت أسمائها في سورة نوح ﷺ، ونستأنس بما جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يعوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصبا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتسخ العلم عُبدت"⁴.

وبهذا بدأ الشرك بالله وعبادة ما دون الله، فأرسل الله إليهم نوحا ﷺ ليدعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، واستعمل معهم كل أساليب الدعوة قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَأَطِيعُونَ ﴿٢﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٤﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٥﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى أنا ارسلنا نوحا إلى قومه، ج4، ص134، رقم الحديث: 3339،

² رواه ابن حبان في صحيحه، مصدر سابق، كتاب التاريخ باب بدء الخلق، ذكر الإخبار عما كان بين آدم ونوح صلوات الله عليهما من القرون، رقم الحديث: 6190، ج14، ص21.

³ لم يذكر هذا الحديث في صحيح البخاري، لكن أورده الحاكم في مستدركه وقال حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه" ووافقه في ذلك الذهبي.

⁴ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَعْوَتَ وَيَعْوَقُ)، ج6، ص160، رقم الحديث: 4920.

جَعَلُوا أَصْدِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعَسُوا شِيبَاهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَرَا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ٨ ثُمَّ إِنِّي
 أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ١١
 وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَادًا ١٢ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٤ أَلَمْ
 تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ١٦ وَاللَّهُ أَنْبَأَكُمْ مَنِ
 الْأَرْضِ نَبَاتًا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ١٩ لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا
 ﴿٢٠﴾ نوح: ٢ - ٢٠، فدعاهم ليلاً ونهاراً، جهراً وسراً، بالترغيب وبالترهيب، لكنهم عاندوا وكابروا
 وجادلوه كثيراً، وعابوا عليه أن كان من البشر، وما اتبع دعوته إلا الضعفاء، الذين ليس لهم أي فضل
 أو منزلة قال تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْكُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرْكُ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ
 هُمْ أَرَادُوا بِادْيِ الرَّأْيِ وَمَا تَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ ٢٧ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى
 بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلُكُمْ مَكُومًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ٢٨ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنِّي أَرَنُكُمْ قَوْمًا يَجْتَهُونَ ٢٩ وَيَقَوْمِ
 مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا
 أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ هود: ٢٧ - ٣١ قال صاحب المنار: "أي وما نرى لك ولن اتبعك علينا أدنى فضل
 تمتازون به في جماعتكم، كالقوة والكثرة والعلم والرأي يحملنا على إتباعكم والنزول عن جاهنا وامتناننا
 عليكم بالجاه والمال لمساواتكم"¹

واتهموه بالجنون قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ١ ﴾ القمر: ٩،
 وقالوا ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِه حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ١٥ المؤمنون: ٢٥، كما اتهموه بالضلال ﴿ قَالَ
 الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ١٦ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَا كُنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٧
 أُنَبِّئُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٨ أَوْجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
 عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٩ ﴿ الأعراف: ٦٠ - ٦٣
 ولما رأوا إصراره على دعوتهم تكبروا على الإيمان وهددوه بالرحم ﴿ قَالُوا أَنْزِلْ لَنَا آيَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ
 قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٢ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ٢٣ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ٢٤ إِنْ أَنَا إِلَّا
 نَذِيرٌ مُبِينٌ ٢٥ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُ يَلُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ٢٦ ﴾ الشعراء: ١١١ - ١١٦

¹ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر، دط، 1990م، ج12، ص53.

لكن ثقة نبي الله نوح بالله وبقينه به دعته إلى تحديهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِمْ إِن كَانَ كَبَرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِبَابِكِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَشُرَكَاءَهُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُهُمْ عَلَيْهِمْ عَمَةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ يونس: ٧١ - ٧٢، فقد قال لهم نبي الله نوح عليه السلام " فأعدوا أمركم واعزموا على ما تُقدمون عليه في أمري أنتم وشركاءكم الذي تبعدونهم. لا تدعوا في عِدائكم لي أي خفاء، ولا تُمهلوني فيما تُريدون لي من سوء إن كنتم تقدرتون على ذلك... فإن أعرضتم عن دعوتي، لم يضرني ذلك، لأني ما سألتكم أن تدفعوا لي أجراً على ما دعوتكم إليه، بل إن ثوابي على الله وحده، وهو يؤتيني إياه، وقد أمرني أن أسلم إليهم جميع أمري"¹.

وقد صبر عليهم نوح عليه السلام وطالت مدة دعوته وما آمن معه إلا قليل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ العنكبوت: ١٤، وقد كانوا يوصون أولادهم أن لا يؤمنوا لنوح، واستشروا فيهم الكفر والطغيان، وتحذوا سيدنا نوحاً بأن يأتيهم بالعذاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَانَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٧﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٨﴾ هود: ٣٢ - ٣٤، وهذا حق عليهم العذاب بعد أن استهزأوا بنبي الله فدعا نوح ربه أن يطهر الأرض من نجس الشرك والمشركين قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٤٠﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٤١﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٤٢﴾ وَمِمَّا خَطَبْتُمْ أَغْرِبُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٤٣﴾ وَقَالَ نُوحُ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَبَابًا ﴿٤٤﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَكِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٤٥﴾ رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٤٦﴾ نوح: ٢١ - ٢٨

وأمر الله سبحانه وتعالى نوحاً أن يصنع الفلك، وكان كلما مرّ عليه قومه سخروا منه، لكنه كان يرد عليهم بأنه سيأتي يوم يسخر هو منهم في يقين بأن أمر الله سيحل عليهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَى إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ

¹ تفسير القطن، مصدر سابق، ج2، ص200

تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُهُمْ كَمَا تَسَخَّرُونَ ﴿٣٦﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴿هود: ٣٦ - ٤٠﴾

وجاء أمر الله، وحلّ العذاب بالقوم الكافرين ﴿٣٦﴾ ففتحت أبواب السماء بماء منهمر ﴿٣٧﴾ وفجرت الأرض عُيُونًا فالنقى الماء على أمرٍ قد قدر ﴿٣٨﴾ وحملته على ذات ألواح ودسر ﴿٣٩﴾ تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴿٤٠﴾ القمر: ١١ - ١٤ والنقى ماء السماء مع ماء الأرض وأصبح يعلو حتى كان موجه كالجبال، ونجى الله تعالى نوحا عليه السلام ومن معه من المؤمنين وأهله إلا ابنه وزوجته، فقد خانوا نبي الله في دعوته، ورأى نوح ابنه الكافر من بعيد ودعاه لركوب السفينة معه فرفض، وظن أن الجبل سيحميه من الطوفان وسجلت الآيات الكريمة هذا المشهد بين الأب الرحيم الذي لا زال حريصا على أداء واجبه الدعوي والابن الضال المعتز بكفره قال تعالى: ﴿٣٨﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَلُهَا إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوْحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ سَتَأُوذَىٰ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَأَعَاصِمُ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ ﴿٤١﴾ ﴿هود: ٤١ - ٤٣﴾.

وتختم قصة نوح بأن يرفع الله العقاب وتستقر السفينة على الجودي ويهبط نوح عليه السلام ومن معه على الأرض لتستمر الحياة من جديد قال تعالى: ﴿٤٤﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلِي وَيَغِيضِ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْوَتِ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴿هود: ٤٤﴾، وقال تعالى: ﴿٤٥﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَعَكَ وَأُمَّرٌ سَمِعْتَهُمْ تَزْمُرُ مِمَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٦﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٧﴾ ﴿هود: ٤٨ - ٤٩﴾، يقول الإمام ابن كثير: "يقول تعالى لنبيه (ورسوله محمد عليه السلام)، هذه القصة وأشباهها (من أنباء الغيب) يعني: من أخبار الغيوب السالفة نوحيا إليك على وجهها، كأنك شاهدتها... لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها، حتى يقول من يكذبك: إنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك" ¹.

وبعد هذا الإهلاك بدأت البشرية خطأ جديدا وكان نسل البشر كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿٣٠﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلَتَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣١﴾ الإسراء: ٣ وقال تعالى: ﴿٣٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ ﴿٣٣﴾ مريم: ٥٨

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص328.

وما جاء في السنة النبوية الصحيحة عن نبي الله نوح عليه السلام ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: إني لأندركموه وما من نبي إلا أنذرته قومه، لقد أنذر نوح قومه ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور"¹

وجاء في حديث الشفاعة عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: ". فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا أما ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي انتوا النبي ﷺ..."²

هذا ما ورد في الذكر الحكيم والسنة النبوية من قصة نوح عليه السلام، وباقي التفاصيل التي جاءت في التفاسير وكتب التاريخ مما جاء في الاسرائيليات.

الفرع الثاني: نوح عليه السلام في موجز الدائرة

كتب مادة نوح عليه السلام في دائرة المعارف الإسلامية المستشرق برنارد هيلر (B.Heller) وترجمها في موجز الدائرة وائل البشير، وقد وردت في قرابة خمسة أعمدة ونصف مع المصادر التي تمثلت في مصدرين هما القرآن الكريم، وقصص الأنبياء للكسائي فقط.

بدأ هيلر التعريف بنبي الله نوح عليه السلام على أنه مذكور في الكتاب المقدس، وأنه علم من أعلام القرآن الكريم والتراث الإسلامي، وأشار إلى أن الثعلبي ميّزه عن سائر الأنبياء بخمس عشرة فضيلة، لكن المستشرق لم يذكرها، كما بيّن أن الكتاب المقدس لم يذكر نبوة نوح عليه السلام، أما في القرآن الكريم فهو أول رسول، وتبعه بعد ذلك كل من هود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم أفضل الصلاة والسلام.

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى أنا أرسلنا نوحا إلى قومه، ج4، ص134، رقم الحديث: 3337.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى إنا أرسلنا نوحا إلى قومه، ج4، ص134، رقم الحديث: 3341

وبالاعتماد على الآيات القرآنية استخرج هيلر صفات نوح الواردة في القرآن الكريم فقد كان إبراهيم عليه السلام أحد شيعته، وهو النذير المبين، كما وصف بالأمين والعبد الشكور وأخذ الله منه ميثاقا كما أخذ من باقي الأنبياء الذين هم أولو العزم، وجاءت الإشارة إلى ترقيم الآيات القرآنية من دون ذكر لها.

وبالنسبة للحوار الذي دار بين نوح عليه السلام والمشركين من قومه الوارد في القرآن الكريم، فإن هيلر يرى أنه "لا يختلف كثيرا عما كان يدور بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومشركي قريش"¹، في إشارة إلى النظرية الشائعة عند المستشرقين أن محمد صلى الله عليه وسلم يعبر عن نفسيته تجاه ما يلقاه من معارضة وأذى من قومه في قصص الأنبياء الذين يورد قصصهم في القرآن الكريم. وهي شبهة تكررت كثيرا في هذه الدائرة، بهدف غرسها في فكر القارئ، ليتشبعها وينطبع في ذهنه بأن القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم. يعبر فيه عن مشاعره بلسان الأقوام السابقة، وقد ذكرها هيلر في موضعين من المادة الإنجليزية غير أن المترجم اكتفى بالإشارة إليها فقط لعلمه بخطئها وحتى لا يقع القارئ العربي فريسة لها.

والأذى النفسي الذي كان يشعر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وتسبب فيه قومه بتكذيبه وتعذيب المؤمنين به، وحصاره والتضييق عليه، هذا الأذى كان رفيقا لكل دعوات الأنبياء عليهم السلام، وتنوع بحسب ظلم القوم لهم، وقد يكون المستشرقون عمدوا إلى هذه الشبهة لأنهم ألفوا الكتاب المقدس ويتعد عن الربط بين الأنبياء، والحديث عن اشتراك الأنبياء في مصدر الرسالة وفي الإعراض والتكذيب الذي يواجهون به من قبل أقوامهم، وتركيز الكتاب المقدس على التأريخ أكثر من استخلاص العبرة، وهو ما كان واضحا في القرآن الكريم من خلال سرد قصص الأنبياء متسلسلة ومتفقة في تحديد الغاية من النبوة والرسالة كما يظهر في سورة الأعراف، هود، الشعراء، بالإضافة إلى أن من أهداف القصص القرآني تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وتسلية المؤمنين وإيناسهم بقصص من قبلهم حتى يزيد صبرهم وثباتهم ويقينهم في الله تعالى.

ثم بين هيلر سبب رفض قوم نوح لدعوة نوح لهم، فهو في نظرهم مجرد بشر وليس ملكا، كما أنه كان خطاء وقد مسّه الجن، ولم يؤمن به إلا أراذل القوم والمغلوبين على أمرهم، وهذا بالاعتماد على الآيات القرآنية، ثم عرض هيلر تصوير القرآن الكريم للأحداث بإيجاز لكنه يذكر أمرا لم يرد في القرآن

¹ موجز الدائرة، ج32، ص9990

الكريم حيث يقول: "وأمر نوح عليه السلام المياها أن تسكن"¹ في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ هود: ٤٤، يقول الإمام الطبري: "وقال الله للأرض بعد ما تناهى أمره في هلاك قوم نوح بما أهلكتهم به من الغرق: (يا أرض ابلي ماءك)، أي: تشربي"². وهو رأي أكثر المفسرين، ويفصل الإمام الشعراوي في ذلك فيقول: "فإنهم أن القائل هو من تنصاع له الأرض. ولم يقل الله سبحانه: «قال الله يا أرض ابلي ماءك»؛ لأن هناك أصلاً متعيناً وإن لم يقله، والحق سبحانه يريد أن ينمي فينا غريزة وفطنة الإيمان؛ لأن أحداً غير الله تعالى ليس بقادر على أن يأمر الأرض بأن تبتلع الماء"³، فالأمر للأرض والسماء كان بداية من الله تعالى بأن تنفجر العيون وينهمر المطر ونهاية بأن تبتلع الأرض الماء، وتقلع السماء، ولم يكن ذلك بأمر نوح عليه السلام.

ولم يح هيلر إلى قصة ابن نوح وأمه الكافرين، ثم عرض عناصر الاتفاق بين القرآن الكريم والهاجادة في تلميح لفكرة الاقتباس القرآن منها، وهذه العناصر تتلخص في ثلاث نقاط هي: 1- كون نوح كان نبياً. 2- أن قومه سخرُوا من السفينة. 3- أن الكافرين من أهله عوقبوا بمياه ساخنة، بالرغم من أن العنصر الأخير غير واضح في القرآن الكريم، فالوارد في القرآن أنه كل من في الأرض أغرقوا بالطوفان، حتى ابن نوح الكافر، ولم يرد أنها مياه ساخنة. وبالعودة كتاب أساطير اليهود الذي يجمع قصص الهاجادة نجد فيه أن قوم نوح كانوا عمالقة وتحذوا نوحاً أن المياها لن تصل إلى أعناقهم، وسيسدون ببواطن أقدامهم ينابيع الماء من الأرض "لكن الرب أمر كل قطرة أن تمر بجهنم قبل أن تسقط على الأرض، وسلق المطر الساخن جلود الخطة... وكانت العقوبة التي نزلت بهم تتناسب مع جرماتهم، فكما ألهبتهم رغباتهم الجسدية، ودفعتهم إلى اقتراف الفواحش عوقبوا بالماء الساخن"⁴. وقد يكون هيلر اعتمد على العلامة التي جعلها الله لنوح عليه السلام ليركب في السفينة، والتي وردت في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ هود: ٤٠، وفهم من قوله تعالى ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ أن الأرض تفجرت ينابيع ساخنة، وقد اختلف المفسرون في معنى الآية، على أن أغلب المفسرين اختار قول الطبري في

¹ موجز الدائرة، ج32، ص 9991،

² تفسير الطبري، مصدر سابق، ج15، ص334.

³ تفسير الشعراوي، مصدر سابق، ج11، ص 6478.

⁴ لويس جنزبرغ، أساطير اليهود، تر: حسن حمدي السماحي، دار الكتاب العربي، دمشق-القاهرة، ط1، 2007م،

المسألة والذي رجح أن يبقى معنى التنور على المعهود من كلام العرب فقال: "وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله:(التنور)، قول من قال: "هو التنور الذي يخبز فيه"، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به"¹، ويقول الإمام الرازي: "ولا امتناع في العقل في أن يقال: إن الماء نبع أولا من موضع معين وكان ذلك تنورا... ومعنى فار نبع على قوة وشدة تشبيها بغليان القدر عند قوة النار ولا شبهة في أن نفس التنور لا يفور فالمراد فار الماء من التنور"²، أي نبع بشدة، كما أن من المفسرين من اعتمد قول ابن عباس أن التنور هو وجه الأرض فيكون المعنى ونبع الماء من وجه الأرض، وليس في ذلك إشارة إلى أن الماء كان ساخنا، ولا اختصاص هذا العذاب (المياه الساخنة) بأهله كما أورد المستشرق، فلا وجه للمقابلة بين القرآن الكريم والهاجادة في هذا.

انتقل بعدها هيلر إلى تصوير قصة نوح عليه السلام عند الإخباريين، منوها فيها إلى تفاصيل أكثر من القرآن الكريم حيث يقول "أما نوح عند الإخباريين، فشأنه شأن الحالات الأخرى، حيث تزيد التفاصيل عما هي في القرآن الكريم"³، وهذه الزيادة لاستناد المفسرين والمؤرخين على مصادر أخرى في القصة منها ما يكون صحيحا ويزيد بيان القصة مثل الأحاديث الصحيحة، ومنها ما يكون ضعيفا، ومنها ما يكون واهيا تكثر فيه الأعاجيب والغرائب والمطاعن، وبذلك تزداد التفاصيل في روايات الإخباريين. والمنهج القصصي في القرآن الكريم يُعرض عن كل ما لا فائدة فيه ويتعد عما لا يحقق الخير والنفعة للناس. بما يميز الأسلوب القصصي في القرآن لمن تمنع فيه وبحث عن أسراره.

ومن هذه التفاصيل التي ذكرها الإخباريون اسم زوجة نوح الخائنة، وأسماء أبناءه التي يرى هيلر أنها تتوافق مع ما جاء في الكتاب المقدس، وفي الحقيقة لم ترد أسماء أبناء نوح في القرآن ولا في السنة الصحيحة، لكن أخذها المفسرون من روايات أهل الكتاب، لكن ذكر أن اسم ابن نوح العاصي معروف عند العرب باسم يام، لكن ذلك غير وارد في الكتاب المقدس، بل غير وارد اسم ولد رابع أصلا من غير سام وحام ويافث، والوارد أن من لعنه نوح عليه السلام هو حفيده كنعان ابن حام،

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج15، ص321.

² تفسير الرازي، مصدر سابق، ج17، ص347.

³ موجز الدائرة، ج32، ص9991.

ومن الموافقات التي يراها هيلر بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، أن نوح عاش 950 سنة والعبارة الواردة في سفر التكوين 9: 28-29. تقول: "وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة، فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة". أي أنه عاش قبل الطوفان 600 سنة، وهو ما يرد في سفر التكوين 7: 11 عندما حل الطوفان: "في سنة ست مئة من حياة نوح... انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء"، وهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم من أن نوحا دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ العنكبوت: ١٤ فتسعمائة وخمسين عاما هي مدة لبثه مع قومه فقط وليست كل عمره، وفي هذا يقول الإمام الشوكاني: "وليس في الآية إلا أنه لبث فيهم هذه المدة، وهي لا تدل على أنها جميع عمره. فقد تلبث في غيرهم قبل اللبث فيهم، وقد تلبث في الأرض بعد هلاكهم بالطوفان"¹.

وبحث كاتب المادة عن أمور يتوافق فيها القرآن الكريم مع الكتاب المقدس واضح في المادة، حتى إذا لم يجده في التوراة بحث عنه في الهاجادة وأساطير اليهود القديمة، ليبطل تفوق القرآن الكريم بعرض التاريخ والحقائق، وبالنظر إلى الحدثين الأساسيين في القصة، وهو كفر قوم نوح بنبوة نوح وتكذيبهم له، وعقابهم بالطوفان نجد أنهما مختلفان عنه في القرآن الكريم فنوح ليس بنبي في الكتاب المقدس كما صرح الكاتب بنفسه في أول المادة، ضف إلى ذلك أن سبب الطوفان في التوراة هو "أن أبناء الله تزوجوا بنات الناس فولد لهم الجبابرة وغضب الرب لذلك وتأسف وحزن وندم لأنه خلق الانسان، فقرر إبادة الجنس البشري"². وهو ما جاء في الاصحاح السادس من سفر التكوين. لكن إصرار قوم نوح على الكفر هو سبب الطوفان في القرآن الكريم، الذي لم يستثن حتى ابن نبي الله نوح وزوجه، وعرض صبر نوح ﷺ مع قومه وحواراته، وبيان المعاني الروحية والأسباب الحقيقية للقصة مختلف فيها، وغير واردة في التوراة إذن فلا مجال لإجراء المقارنات والبحث في التفاصيل الصغيرة للطعن

¹ محمد بن علي الشوكاني اليمني، فتح القدير (تفسير الشوكاني)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ، ج4، ص 226.

² محمد علي البار، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ط1، 1990م، ص69.

في القرآن الكريم ونبوة الرسول ﷺ، وهي تفاصيل قد يكون استعان بها المفسرون لزيادة بيان لا لتحريف القصة القرآنية لتجاري القصة التوراتية.

من هذه التفاصيل ما ذكره هيلر في شكل السفينة نقلا عن الثعلبي، وما استدل به من قصة المسيح عندما أحيا سام بن نوح ليصف له السفينة، واختلاف الآراء في عدد البشر في السفينة ما بين سبعة أفراد وثمانين فردا، وغرق بنو قاييل عن آخرهم، ونقل جثمان آدم ﷺ في السفينة وجعله فاصلا بين الذكور والاناث، وانتهاك حام لقانون تحريم الرفث في السفينة على الانسان والحيوان، فتحولت بشرته إلى السواد، كما ذكر شمول الماء لكل العالم إلا الحرم بحيث رفعت الكعبة إلى السماء وحجب جبريل الحجر الأسود، وقصة الغراب والحمامة حين بعثهما نوح ليستكشفا المكان، وكان الخروج من السفينة يوم عاشوراء فصامه الانسان والحيوان حمدا لله تعالى¹، وقد أقر هيلر بأن ما جاء عن الإخباريين يتفق كثيرا مع الهاجادة خاصة تقسيمات السفينة، وقلق نوح على الحيوانات، وعقوبة حام، وفرار المارد العملاق عوج من الطوفان. لأنها في الحقيقة كلها منقولة من إسرائيلييات أهل الكتاب، قال محمد أبو شهبه: " وهذا لا يمكن أن يمت إلى الإسلام بصله، وإنا لننزه المعصوم ﷺ من أن يصدر عنه ما نسبوه إليه، وإنما هي أحاديث خرافة اختلقها اليهود وأضربهم على توالي العصور، وكانت شائعة مشهورة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام نشرها أهل الكتاب الذين أسلموا بين المسلمين، وهؤلاء رووها بحسن نية، ولم يزيّفوها اعتمادا على أنها ظاهرة البطلان، وأوغل زنادقة اليهود وأمثالهم في الكيد للإسلام ونبيه، فزوّروا بعضها على النبي ﷺ وما كنا نحب لابن جرير، ولا للسيوطي، ولا لغيرهما أن يسوّدوا صحائف كتبهم بهذه الخرافات والأباطيل، فاحذر منها أيها القارئ في أي كتاب من كتب التفسير وجدتها، وألق بها دبر أذنك، وكن عن الحق منافعا وللباطل مزيقا"².

وعن قصة نجاة عوج بن عنق ردّ الإمام ابن كثير على هذا القول من المعقول والمنقول فقال: " أما المعقول فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الإيمان، ولا يهلك عوج بن عنق ويقال عناق وهو أظلم وأطغى على ما ذكروا، وكيف لا يرحم الله منهم أحدا ولا أم الصبي ولا الصبي، ويترك هذا الدعيّ الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المرید على ما ذكروا، وأما المنقول فقد قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾ الشعراء: ٦٦، وقال ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مَن

¹ ينظر: موجز الدائرة، ج32، ص 9991-9992، ومادة فلك: ج25، ص7919-7920

² محمد أبو شهبه، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مرجع سابق، ص 212.

الكافرين دياراً ﴿٢٦﴾ نوح: ٢٦، ثم هذا الطول الذي ذكره مخالف لما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن"¹ فهذا نص الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٤ أنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن، أي لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم إلى يوم آخره بذلك وهلم جر إلى يوم القيامة. وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه، فكيف يترك هذا ويذهل عنه ويصار إلى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب، الذين بدّلوا كتب الله المنزلة وحرفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها، فما ظنك بما هم يستقلون بنقله أو يؤتمنون عليه، وما أظن أن هذا الخبر عن عوج بن عناق إلا اختلافاً من بعض زنادقتهم وفجارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والله أعلم² فهذه الأخبار التي ذكرها الإخباريون والقصاصون اتبعوا فيها جانب الاثارة والتسلية في أحاديثهم، فلا يمكن بحال أن تكون مصدراً موثقاً وأميناً لهذه القصة والاطلاع على هذه التفاصيل لا يغير مضمون القصة القرآنية وتحقيق الاعتبار بها.

ومن المواد المتعلقة بقصة نوح عليه السلام اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح، وقد خصصت له مادة في موجز الدائرة كتبها شترك³ وترجمها خورشيد، وهي تعد مادة تاريخية استندت على مصادر المستشرقين أكثر في عرضها، حاولت تحديد اسم ومكان الجبل الذي رست عليه سفينة نوح، واعتمدت على الروايات الأرمينية التي تجعل اسم الجبل الذي رست عليه السفينة (أراراط)، استناداً إلى الكتاب المقدس، ثم يجعل المستشرق (شترك) اسم الجبل (الجودي) اقتباساً من الروايات البابلية حيث يقول: "ولقد أخذ النصراني بالرواية البابلية اليهودية القديمة، وعرفها العرب منهم عندما وصلوا بفتوحاتهم إلى إقليم بهتان، وأطلق العرب اسم الجودي، وهو الاسم الذي ورد في القرآن على أنه الموضع الذي استقر عليه فلك نوح، في غير تثبت على جبل قردو"⁴. لكن الاسم ورد في القرآن الكريم قبل الفتوحات

¹ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفندة الطير، رقم الحديث 7342، ج8، ص149.

² ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ص 66-67.

³ شترك M.Streck: من آثاره: أرض بابل القديمة في كتب الجغرافيين العرب، ليدن (1900-1901) اللغة العربية (المجلة الشرقية الألمانية 1907م)، كربلاء (1915م) ينظر: العقيقي، مرجع سابق، ص734.

⁴ موجز الدائرة، ج11، ص 3266-3267

الإسلامية، واسم الجبل ثابت في القرآن الكريم، لكن تحديده غير ثابت برواية صحيحة فلا يمكن الخوض في ذلك.

ثم يفترض شترك أن اسم الجودي قد أخذه محمد مما شاع من روايات في الجزيرة العربية معتمدا على ما ورد من بعض الأشعار المنحولة والروايات غير الثابتة عن أصحابها "ولكن محمدا ﷺ قصد في الواقع الجبل المعروف باسم الجودي في بلاد العرب، ولعله ظن أن هذا الجبل هو أعلى الجبال طرا وهذا هو قول نولدكه، ومن الواضح أنه أصاب في ذلك، ومن الممكن أن يكون محمدا ﷺ قد تأثر في تعيينه لموضع الجبل الذي رسا عليه فلك نوح ببعض روايات أقدم من هذه كانت شائعة في بلاد العرب"¹، ويستدل برأي ثيوفيلوس الثالث بأن بقايا الفلك كانت تشاهد على جبال بلاد العرب. ووجود اسم (الجودي) في شعر ابن قيس الرقيات وأمية بن أبي الصلت، كجبل من جبال الجزيرة. وأدلة شتريك غير أكيدة وهي مجرد أخبار وروايات، وبعض الأبيات المنحولة عن صاحبها والأكد أن الرسول ﷺ قد تلقى اسم المكان الذي رست عليه فلك نوح ﷺ وحيا من ربه.

ثم يعمد شتريك إلى حسم المسألة بقوله: فإن جبل ماسك (أراراط الكبرى)، وجبل الجودي إذا وهما الموضعان اللذان تذكر الروايات أنهما كانا مستقر فلك نوح، يمكن أن يسميا جميعا جبل أراراط تماشيا مع رواية الكتاب المقدس"². وترجيح اسم على اسم من غير دليل خلل في البحث العلمي، وإسقاط لأفكار الكاتب وما يؤمن به على التصور الإسلامي خطأ جسيم وخلل كبير لا يحق له، فإن كان المسلمون يعتقدون إن اسم الجبل هو الجودي لا يحق له يسميه أراراط تماشيا مع كتابه ومعتقداته أبدا، بل عليه عرض التصور الإسلامي للمسألة لا تغيير المصطلحات والأفكار، ومحاوله فرض التصور الغربي للأحداث والواقع.

إن مادة نوح ﷺ في موجز الدائرة كانت من بين المواد التي تشوّهت فيها القصة القرآنية، بكثرة سرد العجائب والغرائب، وإن كانت من باب الإشارات السريعة، لكنّها توحى للقارئ بمدى اقتباس القرآن الكريم لأفكار الهاجادة والتوراة، مع أن الاختلاف بينهما واضح في الجانب الأساسي للعرض في كل من القرآن والعهد القديم.

¹ موجز الدائرة، ج11، ص 3267

² المصدر نفسه، ج11، ص 3267، ع2

والملاحظ في هذا المبحث أن مواد (آدم، إدريس، نوح) من المواد الأولى المنجزة من الدائرة، فكانت المعلومات فيها تحاول التركيز أكثر على صورة النبي في مصادر المسلمين غير الموثوقة، وتستهدف العجائب والغرائب، مع إجراء مقارنات مع الكتاب المقدس والهاجادة، لإثبات فكرة الاقتباس، كما كانت المواد عبارة عن تجميع للأخبار والروايات غير مرتبة الأفكار.

المبحث الثاني: قصص هود، صالح وشعيب عليهم السلام

بعد الطوفان الكبير الذي أهلك الله به الكافرين، عاد الإيمان إلى الأرض دهرًا من الزمن، لكن الشيطان ظلّ يستزل بني آدم عن طريق الحق، وجاءت أقوام بعد نوح عليه السلام ظهر فيها الشرك بالله تعالى، والظلم والعتو في الأرض، فبعث الله لهم رسلاً يهدونهم إلى الطريق المستقيم منهم هود وصالح عليهم السلام وكان ذلك في الجزيرة العربية، كما بعث الله شعيبا عليه السلام إلى قوم مدين، وإن اختلف معهم في الزمن، وذلك بحكم ما يجمعهم من أنهم أنبياء العرب، ولم ترد قصص هؤلاء الأنبياء في التوراة، ولا أثر لهم في التراث اليهودي أو المسيحي، مما سيجعل التركيز على المصادر الإسلامية أساساً لاستكشاف قصصهم، فكيف كان تناول المستشرقين لهذا النوع من القصص؟

المطلب الأول: قصة هود عليه السلام

الفرع الأول: هود عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ذكر القرآن الكريم قصة هود عليه السلام في عدة سور، وجاءت سورة كاملة تحمل اسمه (سورة هود)، كما ذكرت سورة باسم المكان الذي كان يعيش فيه قوم عاد وهي (سورة الأحقاف)، يقول الامام ابن كثير: "وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف، وهي جبال الرمل"¹.

وقد أرسل الله تعالى نبيه هودا عليه السلام إلى قوم عاد، ليدعوهم لعبادة الله وحده، وترك الأصنام، وكانوا أول الأمم الذين عبدوا الأصنام بعد الطوفان، قَالَ تَمَانٍ: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكُمْ مِّمَّا تَكْفُرُونَ ۚ لَا تَسْأَلُونَهُمْ أَجْرًا إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَيَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص433

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَعْفُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ قُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ هود: ٥٠ - ٥٢

وبين لهم نبيهم هودا عليه السلام أن الاستغفار هو باب الرحمة في الأرض، فبه سينزل المطر بعد الجفاف الذي أصيبوا به، وبه يزيدهم الله قوة وعزاً، كما ذكرهم بأنعم الله عليهم وكيف أمدهم الله بالقوة وبارك في أجسامهم قال تعالى: ﴿أَوْجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَأَذْكُرُوا لِلَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ الأعراف:

٦٩

لكنهم كذبوا نبيهم واتهموه بالسفاهة، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ الأعراف: ٦٦ قال الإمام ابن كثير: "ما نطن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها"¹، كما أنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم أصابته ببعض السوء، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَلَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٣٧﴾ هود: ٥٣ - ٥٧، لكن نبي الله أشهدهم على إيمانه وبراءته من الكفر، وتحذاهم هم وآلهتهم أن يلحقوا به الضر، "وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر"²، وأعلن توكله على الله، وأوكل أمر قومه إلى الله .

وما زاد تكبر قوم عاد غرورهم بما وصلوا إليه من القوة والبطش وجحودهم لآيات الله، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فصلت: ١٥، فوعظهم نبيهم وأحسن لهم الوعظ، وبين لهم أنه لا يريد أجراً على ذلك بل هو مبلغ لرسالة الله سبحانه، وحذرهم من البذخ والترف الذين يعيشون فيه، قال تعالى: ﴿أَتَنْتَوْنَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَعْبُوتُونَ ﴿١٧٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٧٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٨٠﴾ فَاتَّقُوا

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص329-330

² المصدر نفسه، ج4، ص. 330.

اللَّهُ وَأَطِيعُونَ ﴿١٣٦﴾ وَأَتُوا الَّذِي آمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمُونَ ﴿١٣٧﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَعْيُنِ وَبَيْنِ ﴿١٣٨﴾ وَحَتَّتِ وَعْيُونَ ﴿١٣٩﴾ إِيَّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٠﴾ الشعراء: ١٢٨ - ١٣٥

لكنهم اعتذروا بأن ما ينصحهم به نبيهم لم يعد ينفع معهم لقسوة قلوبهم وتحذر الكفر فيها، وأن ما يخوفهم به من عذاب وعقاب لن يصيبهم أبدا، ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت أم لم تكن من الواعظين ﴾ ﴿١٣٦﴾ إن هذا إلا خلق الأولين ﴿١٣٧﴾ وما نحن بمعدنين ﴿١٣٨﴾ الشعراء: ١٣٦ - ١٣٨، أي "أن ما جئت به اختلاق الأولين وتحصرهم، كما قالوا: أساطير الأولين. أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية، نحيا كما حيوا، وموت كما ماتوا، ولا بعث ولا حساب" ¹.

ثم تحدوه بأن يحقق ما يعدهم به، فدعاهم هود عليه السلام إلى الانتظار ليتبينوا قوة أصنامهم التي يعتمنون بها مقابل غضب الله تعالى ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَضْبٌ أَنْجِدُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنظِرِينَ ﴿٧١﴾ الأعراف: ٧٠ - ٧١

فلما تمادوا في العصيان، حبس الله عنهم المطر ثلاث سنين، حتى اشتد عليهم الجهد والبلاء، فاستغاثوا واستنجدوا، فأرسل الله عليهم سحابة كثيفا من السماء، لما رأوا السحاب فرحوا واستبشروا وظنوا أنه مطر غزير، فلما أظلتهم السحابة رأوها سوداء قاتمة ففزعوا، ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرٰكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٧٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ هبت عليهم الريح - وكانت ريحا عقيما - سلطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٧٤﴾ سَحَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُجِيزٌ نَخْلٌ خَائِيَةٌ ﴿٧٥﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ الحاقة: ٦ - ٨ قال الإمام الزمخشري: " والصرصر: الشديدة الصوت لها صرصر، وقيل: الباردة من الصر، كأنها التي كرر فيها البرد وكثر: فهي تحرق لشدة بردها (عاتية): شديدة العصف والعتو استعارة، أو عنت على عاد، فما قدروا على ردها بحيلة... (حسوما): نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة. أو متتابعة هبوب الرياح، ماخفتت ساعة حتى أتت

¹ محمود جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري)، دار الكتاب العربي -

عليهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء، مرة بعد أخرى حتى ينحسم¹ فصاروا كأشباه جذوع النخل الخاوية، وهلكوا عن بكرة أبيهم وبقيت منهم إلا مساكنهم، عبرة لمن بعدهم.

وَجِيَّ اللَّهُ هُودًا الْكَلْبَةَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِهِ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ. ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٩﴾ وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦٠﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْآخِرَةِ ءَلَّا إِنَّ ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ءَلَّا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦١﴾

هود: ٥٨ - ٦٠

ومما ورد في السنة النبوية عن قوم عاد ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال (نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلِكْتُ عَادٌ بِالدُّبُورِ)²، والصَّبَا ریح لینة خفيفة، والدُّبُور هي الریح العاتية.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ، إذا رأى حَيْمَلَةً في السماء، أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغيّر وجهه، فإذا أمطرت السماء سُرِّي عنه، فعرفته عائشة ذلك فقال النبي ﷺ: "ما أدري لعله كما قال قوم: فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم"³. قال الإمام ابن حجر: "وفي الحديث تذكر ما يذهل المرء عنه مما وقع للأمم الخالية، والتحذير من السير في سبيلهم خشية من وقوع مثل ما أصابهم. وفيه شفقتة ﷺ على أمته ورأفته بهم كما وصفه الله تعالى"⁴.

¹ المصدر نفسه، ج4، ص 604.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في قوله وهو الذي أرسل الرياح نشرا، ج4، ص109، رقم الحديث: 3205

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: وهو الذي أرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته، ج5، ص109، رقم الحديث: 3206

⁴ أحمد شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ومحَب الدين الخطيب، دار المعرفة-بيروت، 1379م، ج 6، ص 301.

الفرع الثاني: قصة هود عليه السلام في موجز الدائرة

كتب مادة النبي هود عليه السلام مستشرقين هما: (فنسك) و(بيلات¹)، وترجمها إلى العربية (وائل البشير)، وهي من المواد القصيرة في الدائرة، فقد جاءت معلومتها في عمود ونصف، وذكر لها مصدرين إسلاميين فقط، وقد يعود ذلك إلى عدم وجود هذه القصة في التراث اليهودي أو المسيحي، ما جعلهما يعتمدان على المصادر العربية، بما لم يثر فيها إشكالات واضحة.

فقد ابتدأ المقال بتعريف هود عليه السلام بأنه "هو أحد الأنبياء العرب الخمس الذين ذكروا في القرآن الكريم، حيث ورد في ثلاثة مواضع مختلفة، وتوجد سورة تحمل اسمه هي سورة (هود)²".

وجاء في المادة أن هود عليه السلام أرسل إلى قوم عاد ليحثهم على عبادة الله الواحد الأحد، لكنه قوبل بالكفر والتكذيب من أغلبهم، وأتبعه البسطاء منهم فقط، فحلّ بهم عقاب الله وهو إرسال ريح صرصر دمرتهم، وكان قوم عاد قد عانوا الجفاف ثلاث سنوات فأرسلوا وفدا إلى مكة ليدعو الله أن يرسل عليهم المطر، وهذا مما لم يرد في القرآن الكريم وانتشر في كتب التفسير والتاريخ. فظهرت لقوم عاد ثلاث سحب، الأولى بيضاء، والثانية حمراء، والثالثة سوداء، وهبت عليهم عاصفة قضت عليهم إلا هودا وأتباعه، و"يقال إن هودا عليه السلام ذهب مع المؤمنين إلى مكة، حيث استقروا هناك، ومكث حتى وفاته، عن عمر يناهز مائة وخمسين عاما"³، وهذا أيضا من الروايات غير المتأكد منها ولا رواية صحيحة فيها.

ويلاحظ استخدام المستشرقين صيغة التمريض (يقال) من غير إسناد لقولهما، وهم الذين يرفضون ذلك ويعدونّه خلا منهجيا في البحث العلمي، ويعيبون ذلك على المسلمين، كما يلاحظ أن المادة هزيلة من حيث المضمون بالرغم من اشتراك مستشرقين في إعدادها، أحدهما فنسك الذي يعرف بغزارة وعمق إنتاجه، والمستشرق بيلات المتخصص في اللغة العربية، الذي يمكنه الرجوع إلى آيات القرآن الكريم وسرد القصة منها أو الرجوع إلى التفاسير التي أسهبت التفصيل في حوار هود عليه السلام مع

¹ شارل بيلات (Pellat, Ch) (1914. 1992م): أستاذ اللغة والحضارة العربية في جامعة باريس، أستاذ العربية في السربون، من آثاره: نمرود وإبراهيم في اللغة العربية، اصطناع البربر اللهجة العربية في شمالي إفريقيا، وله كتابات عن الجاحظ. ينظر العقيلي، مرجع سابق، ص327.326.

² موجز الدائرة، ج32، ص10080، ع1

³ المصدر نفسه، ج32، ص10080، ع1

قومه، فالمادة مفتقرة إلى المصادر والإحالات التي تزيد البحث قيمة، وهزيلة بالمعلومات التي قدمتها عن نبي الله هود عليه السلام، مع أن المادة من المواد الأخيرة في الدائرة، ما يعني توضيح المنهجية والتمكن من البحث في مثل هذه المواضيع خاصة بعد التحديثات المتكررة للدائرة.

ثم ذكرنا المستشرقين نسب هود عليه السلام، حسب ما تذكره المصادر الإخبارية، وختما المادة كما هو الحال مع باقي الأنبياء بالحديث عن قبر هود عليه السلام، ونظرا لورود عدة أقوال في هذه المسألة فقد ذكرها المستشرقان بقولهما "وقبر هود عليه السلام الواقع على جبل في حضرموت، لا يزال أحد المزارات الدينية، وإن كان تحديد القبر بدقة ليس بالأمر اليقيني، حيث يتردد أن قبره يقع بين بئر زمزم وأحد زوايا الكعبة (عند الهراوي). كما يشاع أن القبر يقع في الجدار الجنوبي للمسجد في دمشق".

وهذه الاختلافات في تعيين قبور الأنبياء تعود إلى ظروف سياسية واجتماعية وفكرية مذهبية لذا لا يمكن الجزم بتعيين قبر أي نبي من الأنبياء إلا إذا ورد في ذلك نص صحيح صريح، وهذا غير متوفر فتبقى مجرد آراء وروايات فقط.

يقول محمد مهران في تأثير الاختلافات المذهبية والسياسية في تحديد قبور الأنبياء: "لعلّ القصص الوارد عن دمشق"، وأنها "إرم ذات العماد" هو الذي أوحى إلى هؤلاء فكرة جعل قبر "هود" بدمشق. ومهما يكن من شيء فإن هناك جماعة من أهل الأخبار قبرت بعض الأنبياء في هذه المدينة، واختارت المسجد الأموي نفسه مقبرة لهم. ولعلّ ذلك بسبب أن هذا المسجد كان كنيسة معظمة قديمة عند أهل دمشق قبل دخولهم في الإسلام، وكان قد قبر فيها جماعة من قديسيهم ورجال دينهم؛ فلما تحوّلت الكنيسة إلى جامع تحوّلت قبور هؤلاء بعواطف الناس القديمة إلى قبور أنبياء. وقد ظهر مثل هذه الروايات التي تمجد الجامع الأموي في الوقت الذي تحصن فيه "ابن الزبير" بمكة، وتحزّب أهل الحجاز على الأمويين¹.

وفي الحقيقة، المادة في موجز الدائرة لم تترجم حرفيا فقد حذف منها ما كان فيه إشارة إلى أن التشابه بين قصة هود وبين النبي ﷺ في قلة أتباعه والاعراض عن دعوته، ومحاولة ربط المستشرقين هود بكلمة هودا في القرآن والتي تعني (اليهود)، وقصص وهب بن منبه عنه، وهو مما يكشف جانبا آخر

¹ ينظر: محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، بلاد العرب، دار النهضة العلمية-مصر، ط2، 1988م، ص257.

من شبهات المستشرقين حول هذه المادة والتي لن تفيد القارئ العربي إلا بتشويش ذهنه، وملئها بافتراضات لا أساس لها، ما جعل حذفها أفضل من تركها، لكن من باب التنويه فقط أشرنا إلى ما في أصل الدائرة.

كما ورد في موجز الدائرة مادة بعنوان (عاد) تتعلق بقصة هود عليه السلام، كتبها المستشرق بول، وترجمها خورشيد، ورد فيها أنها قبيلة قديمة، وأن القرآن الكريم ذكر تاريخها في إشارات متناثرة¹، وذكر منشأها ومكانها في الأحقاف، ثم بث فكرته المشبوهة بقوله: "وقد عاملوا الرسول الذي أرسل إليهم، وهو أخوهم هود بما عامل المكيون محمدا صلى الله عليه وسلم من بعد سواء بسواء"² في إشارة إلى تعبير النبي صلى الله عليه وسلم عن معاناته مع قومه في قصة هود عليه السلام، وهي شبهة تكررت كثيرا في الدائرة، وتم الرد عنها.

وأشار المستشرق بول إلى معرفة العرب لقصة عاد من خلال الشعراء القدماء وذكرها في شعرهم. وبالرغم من ذلك يطرح المستشرق بول مسألة مثيرة وهي: "هل وجدت حقا أمة تسمى عاد وفي أي مكان عاشت؟ فلا تزال بلا حل، وأنساب قوم عاد التي قال بها العرب لا قيمة لها بطبيعة الحال، وكذلك قولهم بأن هؤلاء القوم كانوا ينزلون الصحراء البلقع بين عمان وحضرموت"³، فلأن قصة نبي الله هود عليه السلام لم ترد في التوراة، لا يمكن الوثوق بالروايات العربية، في إمكانية وجود مثل هذه الأمة، ما يكشف جانبا أساسيا في بحوث المستشرقين وهو تأثير الخلفية الفكرية والأراء المسبقة على توجهات البحث ونتائجه، بحيث يمكنهم أن يعدموا وجود أمة كاملة بكل سهولة.

ثم يستند بول إلى فرضيات المستشرقين في تحديد قبيلة عاد: أمثال لوث Loth الذي يجعلها القبيلة المعروفة بإياد، وشبرنجر Sprenger الذي يبحث عن عاد بين الأوديين الذين يسكنون في الشمال الغربي من جزيرة العرب. ويميل إلى رأي سافيناك Savignac الذي يربط المعبد في جبل رم شرقي العقبة وبين إرم "على نحو منطقي يستسيغه العقل جدا"⁴، ويمكن أن تكون (أرموه) التي ذكرها بطليموس، وفلهاوزن الذي جعل عاد اسم جنس في الأصل بمعنى الزمن القديم، ومنه ورد القول المأثور

¹ موجز الدائرة، ج22، ص 7046.

² المصدر نفسه، ج22، ص7047، ع2

³ المصدر نفسه، ج22، ص، 7047، ع2.

⁴ المصدر نفسه، ج22، ص 7048، ع1

(من عهد عاد) الذي نشأ من تفسير خاطئ لهذه العبارة، وبذلك جعلها أمة أسطورية¹. وافترض فلهاوزن ذكره الطبري عن مجاهد وردّه بقوله: "فأما ما ذكر عن مجاهد أنه قال: عُني بذلك القديمة، فقولاً لا معنى له، لأن ذلك لو كان معناه لكان محفوظاً بالتونين، وفي ترك الإجراء الدليل على أنه ليس بنعت ولا صفة"²، وهذا يعود لجهل فلهاوزن بأصول اللغة العربية وفنون الإعراب.

فذكر قبيلة عاد في القرآن الكريم ومصادر الشعر العربي، وأقوال المستشرقين قبله، وآثار التي كشف عنها الباحثون مدفونة في شبه الجزيرة العربية قد تجيب المستشرق عن هذه المسألة.

كما وردت مادة (إرم ذات العماد) بعض الأفكار حول الصلة بين عاد وإرم، من خلال ورودها في سورة الفجر: **قَالَ تَمَّانُ: ﴿الْمُرْتَكِفُ فَقَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١٠﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾** الفجر:

٨ - ٦

وقد ذكر كاتب المادة المستشرق فنسك أن إرم ذات العماد وردت في الآية الثامنة من سورة الفجر³، لكن في مصحف المدينة وردت في الآية السابعة، وهذا من باب الأمانة العلمية.

وعلى عادة المستشرق فنسك في تفصي الأخبار والروايات من بطون الكتب قام بذكر آراء المفسرين في بيان العلاقة بين إرم وعاد والتي نوجزها فيما يلي:

- اعتبار إرم مقابلة لعاد: فهو اسم لنفس القوم، والعماد معناها قوائم الخيام أو الشأن الرفيع.
- إرم هو مكان يدل على موطن عاد، فياقوت الحموي يراه صفة لدمشق، وبه استدل المستشرق لوث على أن إرم يتصل بالروايات الأرامية.
- وقيل هو في جنوب بلاد العرب: في صحاري عدن واتصل بقصة كفر شداد بن عاد لما دعاه نبي الله هود عليه السلام.
- وجعلها المسعودي بالإسكندرية ومن بناء أحد أحفاد شداد بن عاد، واكتشفها الإسكندر الأكبر، ثم عبّر فنسك عن رفضه لهذه الرواية لأنها في رأيه مقتبسة من قصة الإسكندر واكتشافه لمسلات تشير للملك سيسنخيس.

¹ المصدر السابق، ص 7048، ع 1

² تفسير الطبري، مصدر سابق، ج 24، ص 405.

³ ينظر: موجز الدائرة، ج 2، ص 605، ع 2.

كما عرّج على رواية عبد الله بن قلابة الذي وجد بعضاً ممّا بقي من مسك قوم عاد وأتى بها إلى معاوية ومعرفة كعب الأحبار لصفته، ثم ذكر سخرية المسعودي من هذه الرواية. وأشار إلى موقع إرم في اليمن لأن صيغتها من لغة أهل اليمن، وفيها بئرا وجبلا بهذا الاسم، وبهذا يسقط افتراض المستشرق لوث الذي يجعل صلة بين إرم والآراميين.

ليختم المادة بقوله: "وواضح أنه ليس لنا أن نسلم بما ذهبت إليه الرواية الإسلامية من أن هناك صلة بين قوم إرم (آرم) وإرم ذات العماد"¹.

وفي الأخير يبقى لغز معرفة عاد صعب الفهم والتحديد، لأن سياق الآيات لا يتيح لقارئها إدراك أسرارها أو تحديد معالمها، ولأن الأخبار التاريخية لا يمكن الوثوق بمصداقيتها ومطابقتها لحقيقة أمّا نفس المدينة التي يتحدث عنها القرآن، فالأولى الوقوف عند حدود الآيات القرآنية ولا يتكلف الإنسان السير مع ما لا يمكنه إثباته.

وقد كانت مادة هود هزيمة المعارف، وأما مادة (عاد) و(إرم ذات العماد) فقد كانت مليئة بالافتراضات والميل إلى الروايات التاريخية، وظهر التشكيك في وجود هؤلاء القوم فيها كعنصر أساس في المادة.

المطلب الثاني: قصة صالح عليه السلام

الفرع الأول: صالح عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

بعث الله سيدنا صالح عليه السلام إلى قوم ثمود، الذين كانوا يسكنون الحجر، فيما بين الحجاز والشام، لذا سماهم الله في القرآن الكريم (أصحاب الحجر)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الحجر: ٨٠، وقد أرسل إليهم نبي الله صالح عليه السلام يدعوهم لعبادة الله وحده وإتباع الحق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي ثَمُودَ آخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْفُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ هود: ٦١، وكان قوم ثمود من الأقوام التي وهبها الله القوة والبأس، فعمروا الأرض وفتح الله عليهم بصنوف الخيرات فكانوا أهل خصيب ونعيم وجنات،

¹ موجز الدائرة، ج2، ص607، ع1.

وكانوا خلفاء قوم عاد في الأرض، وكل هذه النعم ذكرهم بها نبيهم صالح عليه السلام على سبيل بيان فضل الله عليهم ، قَالَ تَمَالَى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الأعراف: ٧٤، وقال أيضا: ﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هَلَنْتُمْ عَلَيْهَا آمِينَ ﴿١٦٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَاضِمٌ ﴿١٦٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٦٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ الشعراء: ١٤٦ - ١٥٢

فآمن منهم القليل واتبعوه، وكفر أكثرهم، وظاهروا على اعلان الكفر والازدراء بالمؤمنين، وأصبحوا يتشائمون من صالح وأتباعه قَالَ تَمَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٥١﴾ قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَدَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُفْتِنُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ النمل: ٤٥ - ٤٧، واستكثروا أن يتبعوا رجلا منهم وليس من أشرافهم وهم أكابر القوم وأصحاب القوة في الأرض، ولهذا اتهموه بالكذب والشر ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿١٥٤﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَتَّبِعُهُ وَإِنَّا إِذْ لَأَنفَى صَالِحٍ وَسُعْرٍ ﴿١٥٥﴾ أَلَيْسَ الَّذِكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴿١٥٦﴾ سَيَعْمُونَ عَدَاؤَ مِنَ الْكُذَّابِ الْأَشْرِ ﴿١٥٧﴾﴾ القمر: ٢٣ - ٢٦، وحاولوا الضالون منهم أن يسخروا من الضعفاء من المؤمنين ليشتموهم عن اتباع صالح، لكن كل فريق كان قد حسم أمره، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٥٨﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ الأعراف: ٧٥ - ٧٦ وأصر قوم ثمود على الجهل والعناد، ﴿قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١٦٠﴾ قَالَ يَلْقَومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَآءَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَبْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿١٦١﴾﴾ هود: ٦٢ - ٦٣، أي "قد كنا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم، لنبيهم صالح، أنه ما زال معروفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنه من خيار قومه، ولكنه لما جاءهم بهذا الأمر، الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة، قالوا هذه المقالة، التي مضمونها، أنك كنت كاملا والآن أخلفت ظننا فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير"¹.

والقضية الثانية التي سعى الكافرون لإنكارها هي قضية البعث والحساب، وعدم الإيمان باليوم الآخر للهوهم وتعلقهم بهذه الحياة الدنيا ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالْآخِرَةِ وَأُتْرِفْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكُلٍ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿١٦٢﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلُكُمْ إِنَّا كُرْهُ إِذَا

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 384

لَخَسِرُونَ ﴿٣٦﴾ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هِيَ هَاتِ هِيَ هَاتِ لِمَا تُوَعَّدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾

المؤمنون: ٣٣ - ٣٨

كما اتهموا صالحا بالسحر قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٦﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٥﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ الشعراء: ١٥٣ - ١٥٦، وطالبوه بمعجزة حتى يصدقوه، فجاءهم صالح عليه السلام بآية عظيمة من جنس ما برعوا فيه من نحت الجبال ونقش الصخور وقد كان القوم أصحاب إبل، فطالبوه بآية من جنس أموالهم وأملاكهم، فأخرج لهم ناقة عظيمة من صخرة صماء رأوها بأعينهم، وحذرهم صالح عليه السلام من التعرض للناقة بسوء، وأن يتركوها تأكل من أرض الله، وجعل الماء قسمة بينهم وبين الناقة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مُرْسَلُونَ النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٧﴾ وَيَنْبَغِي أَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلٌّ شَرِبَ مِمَّا شَرِبَ ﴿٨﴾﴾ القمر: ٢٧ - ٢٨، لكنهم عقروا الناقة بغيا وعتوا، بيد شقي منهم وأعانه رجال آخرون، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ القمر: ٢٩، وعن عبد الله بن زمعة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الذي عقر الناقة قال: انتدب لها رجل ذو عز ومنعة في قومه كأبي زمعة¹.

ثم تحذوا نبي الله صالحا عليه السلام أن يحيق بهم وعده، ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ اتِّبَاعِنَا إِنَّمَا نَعِدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ الأعراف: ٧٧، ودعا صالح ربه أن ينتصر من هؤلاء الطاغين المستكبرين ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيبَ مَنْ نَدِمْتِ ﴿٤٠﴾﴾ المؤمنون: ٣٩ - ٤٠، وأندرهم صالح عليه السلام أن عذاب الله تعالى لن يتأخر عنهم ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدْ غَيْرَ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ هود: ٦٥

واتفقوا بعدها أن يقتلوا صالحا وأهله بعد أن أندرهم العذاب، وينكروا ذلك حتى يتهربوا من مطالبة أوليائه بدمه، لكن الله أبطل مكرهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا نَفَّاسُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٢﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٣﴾ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٤﴾﴾ النمل: ٤٨ - ٥١

¹ أخرجه البخاري، في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى وإلى ثمود أخاهم صالحا هود 61، ج4، ص148، رقم

وبعد ثلاثة أيام من الانتظار وفي صباح اليوم الرابع "جاءتهم صيحة من السماء ورَجْفَةٌ شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة"¹، قال الطبري: "وإنما عنى بالرجفة، ها هنا الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك، لأن ثمود هلكت بالصيحة، فيما ذكر أهل العلم"².

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٦٧﴾ كَانُوا لَمْ يَغْتَوِ فِيهَا إِلَّا إِنْ

ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ الثَّمُودِ ﴿٦٨﴾ هود: ٦٧ - ٦٨، قال الإمام ابن عاشور: "والصيحة

الصاعقة وهي المعبر عنها بالطاغية في سورة الحاقة، وفي سورة الأعراف بالرجفة، وهي صاعقة عظيمة خارقة للعادة أهلكتهم، ولذلك وصفت بوحدة للدلالة على أنها خارقة للعادة، إذ أتت على قبيلة كاملة وهم أصحاب الحجر"³

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾ المؤمنون: ٤١، أي

جعلناهم كالغناء في البلى والتكدر في موضع واحد فهلكوا هلكت واحدة"⁴، وقد جاء تشبيه حالهم بعد

هذه الصيحة في قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ القمر: ٣١، قال ابن

كثير: "فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وخمدوا وهمدوا كما يهمد يبس الزرع والنبات"⁵. ونجا

صالح والذين آمنوا معه من العذاب ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ

لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ الأعراف: ٧٩.

وقصة صالح لم ترد في الكتاب المقدس ولا في تراث أهل الكتاب، بالرغم من أنه ورد في القرآن

الكريم إشارة إلى ذلك، فقد أُنذِرَ موسى عليه السلام قومه أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم وذكر قوم نوح

وعاد وثمود بما يوحى بأنه قصصهم كانت معلومة لذلك الجيل قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨٠﴾ الْمَيَاتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ

وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ... ﴿٨١﴾ إبراهيم: ٨ - ٩

كما ذكر ذلك أيضا مؤمن آل فرعون قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَوْمَ يَقُومُ إِلَىٰ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ

الْأَحْزَابِ ﴿٣١﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ غافر: ٣٠-٣١

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص 442

² تفسير الطبري، مصدر سابق، ج12، ص545

³ تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج27، ص202

⁴ المصدر نفسه، ج18، ص59

⁵ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص480.

"مما يشعر بأنهم حرصوا على إزالة كل ذكر للنبوة في الأمة العربية حسدا للعرب وكرامية أن تكون النبوة في غير بني إسرائيل"¹

ومما جاء في السنة النبوية الصحيحة عن صالح وقومه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها، فقالوا قد عجنّا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء، ويروى عن سبرة بن معبد وأبي الشموس أن النبي ﷺ أمر بإلقاء الطعام . وقال أبو ذر عن النبي ﷺ (من اعتجن بمائه)². كما ذكر البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود الحجر فاستقوا من بئرها واعتجنوا به فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بئرها وأن يعلفوا الإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردّها الناقة.³

وجاء في صحيح مسلم أن عبد الله بن عمر قال مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر فقال لنا رسول الله ﷺ: " لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم" ثم زجر فأسرع حتى خلفها.⁴

الفرع الثاني: صالح عليه السلام في موجز الدائرة

كتب مادة صالح عليه السلام المستشرق الدانماركي بول (بوهل)، وترجمها إلى العربية خورشيد، وعلق على المادة الأستاذ أمين الخولي، وجاءت المادة في أربعة أعمدة ونصف مع قرابة العمود لذكر المصادر التي شملت تفاسير القرآن الكريم لسورة الأعراف، وكتاب مروج الذهب للمسعودي، وكتاب قصص الأنبياء للثعلبي، وبعض الكتب الاستشراقية .

¹ عبد القادر بن شيبه الحمد، قصص الأنبياء، القصص الحق، مكتبة المعارف- الرياض، ط2، ص2002، ص97.

² أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى وإلى ثمود أخاهم صالحا هود 61، ج4، ص148، رقم الحديث 3378

³ أخرجه البخاري، في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى وإلى ثمود أخاهم صالحا هود 61، ج4، ص148، رقم الحديث 3377

⁴ أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذي ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، ج8، ص221، رقم الحديث 7656

بدأ الكاتب تعريفه بالنبي صالح عليه السلام بأنه: "نبي أرسل لقوم ثمود العرب، صُوِّر كما هو المؤلف بأنه بشير ونذير وفقا للأسلوب الذي انتهجه القرآن الكريم"¹، في إشارة إلى أن صالح عليه السلام ليس من أنبياء بني إسرائيل، كما أنه لم يجر إلى إطراد أسلوب القرآن في التعريف بالأنبياء، بخلاف ما جاء في الكتاب المقدس الذي يركز على التأريخ أكثر من تركيزه على مهمة الدعوة عند الأنبياء.

ثم تعرض لقصة صالح عليه السلام من خلال بسط قصته والاستشهاد بالآيات القرآنية، وفي معرض ذلك قال بول: "وناشدهم أن يذكروا آلاء الله (سورة الأعراف 74، سورة الذاريات 43)"² وآية الذاريات يقول فيها تعالى ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُم تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾³ الذاريات: ٤٣، وليس فيها ما يشير إلى تذكر آلاء الله تعالى، يقول الإمام الشوكاني: أي وتركنا في قصة ثمود آية وقت قلنا لهم: عيشوا بالدنيا إلى حين وقت الهلاك، وهو ثلاثة أيام كما في قوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾⁴ هود: ٦٥³، فهذا تفسير خاطئ من المستشرق، وقد يكون ذلك عائدا للترجمة الخاطئة للقرآن الكريم. وقد علّق الأستاذ أمين الخولي على هذا بقوله: "فلا شيء فيها من المناشدة التي يذكرها، إلا أن يكون ذلك على تكلف واضح في عبارة ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾... وليس في الأمر كبير خطر، ولكن الحقيقة تقدر لذاتها.. ثم فيها دلالة على مدى الدقة عند الكاتب"⁴، وهو ما تقتضيه المنهجية العلمية خاصة في دوائر المعارف لأنها مصدر موثوق للمعرفة وأداة من أدوات البحث العلمي.

بعد عرض كاتب المادة للحوار الذي دار بين صالح عليه السلام وقومه مستشهدا بآيات القرآن الكريم، استعمل عبارة غير واضحة المعاني جاء فيها: "وإنما الجديد في الأمر هو أنه كان فيهم مرجوا قبل أن يزعجهم بدعوته (سورة هود، الآية 62)، وإذا كان هذا الجديد يستند إلى حادثة تقابله، فإن ذلك يكون زيادة هامة في تاريخ محمد (عليه الصلاة والسلام)"⁵.

والمستشرق بول في عبارته الأخيرة يستند إلى مقدمة أساسية وثابتة عند المستشرقين وهو أن القرآن الكريم ليس وحيا إلهيا بل هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها ينطلقون في عرض أفكارهم ورؤاهم، ولذلك يحاول المستشرق بول أن يشير إلى أن مكانة صالح عليه السلام في قومه تَرَد في معرض حادث مشابه

¹ موجز الدائرة، ج 21، ص 6457، ع 2.

² المصدر نفسه ج 21، ص 6457، ع 2.

³ تفسير الشوكاني، مصدر سابق، ج 5، ص 108

⁴ موجز الدائرة، ج 21، ص 6460، ع 1.

⁵ المصدر نفسه، ج 21، ص 4658-4657

وقع لمحمد ﷺ، عبّر عنه النبي ﷺ من خلال إيراده على لسان صالح ﷺ، وهذا الحادث هو أنه كان مرجوا وذو مكانة في قومه قريش في شبابه وكان الصادق الأمين فيهم، لكن بعد نزول الوحي عليه ناله منهم الإعراض والتكذيب والاضطهاد، وقد سجّل محمد ذلك في القرآن، ونسبه إلى صالح ﷺ. وقد حاول الأستاذ الخولي في تعليقه على المادة تأويل هذا القول بقوله: "وأحسب أن مراده هنا هو أن هذا القصص من القرآن كان يجيء في حوادث محمد ﷺ مع قومه مثبتاً لفؤاده، وحاكياً من حال الأنبياء السابقين ما يهوّن وقع الأحداث على الرسول ﷺ لأنها وقعت لغيره كذلك ... فعلى هذا الأساس يمكن أن تفهم أن قول قوم صالح (قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) يستند إلى قول أو حادث من قوم محمد ﷺ مشابه لذلك، فيلقي ذلك ضوءاً على السيرة المحمدية"¹، ويمكن أن نأخذ بقول الأستاذ الخولي إذا كان المستشرق بول يؤمن بالقرآن الكريم كوحى رباني جاء ليثبت فؤاد النبي، لا كما يعتقد المستشرق بول كلام محمد ﷺ فلا يمكن بذلك أن يقول محمداً كلاماً يثبت به نفسه إلا إذا عايش واقعة معينة مشابهة لما عاشه من سبقه من الأنبياء. وهو ما جاء صريحاً في كلام بول. ومراجعة عبارة المستشرق نرى أنه جعل الأمر الجديد الذي يستند إلى حادثة تقابله يعد زيادة مهمة في تاريخ محمد، بالرغم من أن هذا الأمر وهو مكانة النبي قبل البعثة معروفة وواردة في كتب السيرة والتاريخ وليست أمر مخفياً لتعد زيادة هامة في تاريخ محمد ﷺ. وتبقى عبارته غامضة تحتل كل الاحتمالات.

بعد ذلك عرض المستشرق قصة صالح ﷺ من منظور قرآني، ربط فيه بين أحداث القصة وبين الآيات في منهجية قلّما اتبعها المستشرقين في قصص القرآن في الدائرة، وقد يكون ذلك بسبب عدم وجود القصة في الكتاب المقدس، وقلة الاسرائيليات فيها. لكن لم تخلّ المادة من آراء المستشرقين فيها، فقد قام كاتب المادة بالتعليق على قصة صالح بالاعتماد على الروايات والوثائق والنقوش التاريخية، حيث أشار إلى أن ثمود "كانوا قبيلة عربية قديمة عرفناها أيضاً من مصادر أخرى"² ولم يشر إلى هذه المصادر.

كما تحدث المستشرق بول عن بيوت ثمود والتي أشارت إليها العديد من الآيات القرآنية، ولا زالت أثارها شاهدة إلى اليوم، ويؤكد أنها كانت قبوراً تضم بقايا عظام آدمية نحتت من صخور العلاء،

¹ المصدر السابق، ج21، ص 6460-6461

² المصدر نفسه، ج21، ص 6458، ع2.

ويعتمد على فرضية فيليب بيركر بأن كلمة (كفرا أي قبر) التي وردت في النقوش هناك تعني الكُفر بمعنى عدم الإيمان¹، ويرى أنه لا يمكن التحقق من وجود اسم صالح أو قصة الناقة في هذه الأطلال. ويقول الخولي في تعليقه على هذا الأمر "ولا تظهر قوة الاتصال بين هذا الفرض، وبين كون بيوت ثمود الصخرية المذكورة في آيات القرآن هي قصور أو قبور، إلا أن يكون ذلك بتكلف كثير"². ويذكر الخولي بعدها وصف بيوت ثمود وما فيها من آثار اعتمادا على قول المستشرقين، وهو ما كان في زمن نزول القرآن الكريم، كما راعى الخولي تحديد القصور في السهول والبيوت في الجبال في سورة الأعراف الآية 74، ما يُظهر أن معنى البيوت هو القبور، وبذلك لا مفارقة بين القرآن الكريم وبين مقابر ثمود الموجودة في الجبال"³.

ثم يعرض المستشرق بول شبهة خطيرة اعتمادا على قصتي صالح وهود عليهما السلام يقول فيها: "ومما يستلفت النظر بالإضافة إلى ذلك أن قصتي صالح وهود تناقضان الدعوة المألوفة التي أتى بها محمد ﷺ في سور العهد المكّي، من حيث إنه قال إنه لم يرسل من قبله نبي إلى العرب (سورة القصص الآية 46، سورة السجدة، الآية 3، سورة سبأ، الآية 44، سورة يس، الآية 6). وقد وردت قصتنا هذين النبيين في أقدم السور المكّية، مثل سورة النجم، الآية 50 وما بعدها، وسورة البروج، الآية 17 وما بعدها، وسورة الفجر، الآية 9، وسورة الشمس، الآية 11 وما بعدها، كما ترد كثيرا في السور التي تليها"⁴ واستشهد بعدة آيات في ذلك

وهي شبهة كرّرها قبله عدد من المستشرقين، وفيها أن محمد يناقض نفسه فهو يدّعي أنه لم يرسل لقومه أي نبي قبله واستشهدوا بالآيات الآتية: قال تعالى ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ القصص: ٤٦، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ السجدة: ٣، وقوله تعالى ﴿وَمَاء أَنبَاهُمْ مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ سبأ: ٤٤، وقال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا وَأُولَاهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يس: ٦.

¹ ينظر: موجز الدائرة، ج21، ص6458، ع2.

² المصدر نفسه، ج21، ص6461، ع2

³ المصدر نفسه، ج21، ص6461-6462

⁴ المصدر نفسه، ج21، ص6458-6459.

وهذه الآيات نزل الخطاب فيها لرسول الله ﷺ وقومه فهي خاصة لقريش، وهم فعلا لم يرسل فيهم نبي قبل الرسول ﷺ. وقد لخص الشوكاني ما قاله المفسرون في وجوه قراءة "«ما» في مَا أَنْذَرَهُ آبَاؤُهُمْ هي: النافية، أي: لم ينذر آبؤهم، ويجوز: أن تكون موصولة، أو موصوفة، أي: لتُنذِر قوماً الذي أنذره آبؤهم، أو لتُنذِرهم عذاباً أنذره آبؤهم، ويجوز: أن تكون مصدرية، أي: إنذار آبائهم، وعلى القول بأنها نافية يكون المعنى، ما أنذر آبؤهم برسول من أنفسهم، ويجوز: أن يراد ما أنذر آبؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة، ... وقد ذهب أكثر أهل التفسير إلى أن المعنى على النفي، وهو الظاهر من النظم لترتيب فهم غافلون على ما قبله"¹.

أما الإمام ابن عطية ففسر قوله تعالى: ﴿مَا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾ "أي لم يباشرهم ولا رأوه هم ولا آبؤهم العرب، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فاطر: ٢٤ يعم من بؤش من النذر، ومن سمع به، فالعرب من الأمم التي خلت فيها النذر على هذا الوجه، لأنها علمت بإبراهيم وبنيه ودعوتهم وهم ممن لم يأتهم نذير مباشر لهم سوى ﷺ، وقال ابن عباس ومقاتل: المعنى لم يأتهم نذير في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام"².

ويرى الامام الألوسي أنه لا منافاة بين هذه الآيات وبين كون في كل أمة نذير منهم فيقول: "وعليه فالمعنى ما أنذر آباءهم رسول أي لم يباشرهم بالإنذار لا أنه لم ينذرهم منذراً أصلاً فيجوز أن يكون قد أنذرهم من ليس بنبي كزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة فلا منافاة بين ما هنا وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فاطر: ٢٤"³

إذا الخطاب في الآيات التي استشهد بها المستشرق، موجه لقوم قريش أو آباءهم الأقربين لا أنهم لم يكن فيهم نذير أبدا.

وقد طعن الأستاذ أمين الخولي في المنهج الذي اتبعه المستشرق بول في عرض أفكاره الأخيرة، ووصفه بالخلل كونه تعرض لهذه الآراء وسبق للقول فيها بالتناقض ولم يطلع على أقوال وردود المفسرين في هذه الآيات، كما أنه تصدى للكتابة في القرآن وهو لا يعرف أن فيها آيات تقرر أن العرب قد

¹ الشوكاني، فتح القدير، مصدر سابق، ج4، ص413.

² عبد الحق ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1422هـ، ج4، ص357.

³ تفسير الألوسي، مصدر سابق، ج11، ص386.

جاءهم المنذرون مثل قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ..﴾ الحج: ٧٨ وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فاطر: ٢٤ بالإضافة إلى الآيات المكية التي أوردتها المستشرق نفسه، والتي تقص قصة صالح وهود عليهما السلام، ما يثبت أن القرآن المكي لم يرد فيه فقط أنه لم يرسل من قبل الرسول ﷺ نبي إلى العرب. فتعميمه الشبهة باطل لا دليل عليه، لأن هو من ينقض نفسه.

كما قرر الخولي أن من باب الموضوعية أن يسعى كاتب المادة للتوفيق بين الآراء والآيات لو ظهر التخالف، قبل الجهر بتقرير التناقض، وكان هذا النقد منه تذكيرا بالتبعة المنهجية، ووجوب الصبر على مطالب البحث، وعدم المسارعة المستخفة قبل الدرس الواجب. وقد كان الأستاذ الخولي مصيبا في كل ما قال، وتعليقه كافيا ومستوفيا ودقيقا في نقض شبه هذه المادة.

وقد كان واضحا تحبط المستشرق في فرضياته وإفترائه من دون تقديم دليل واضح عليها، نظرا لوقوعه تحت الخلفية الفكرية الراضية لوجود مثل هذا النبي المرسل إلى العرب، لغياب ذكره في التراث اليهودي والمسيحي، وتفرد القرآن الكريم بذكره، بالرغم من أن النقوش والآثار التاريخية تقر بوجود أمة غابرة كشمود مازالت آثارها ظاهرة للعيان، كما يظهر ترصد المستشرق للطعن في النبي ﷺ والقرآن الكريم، وافتراضه التناقض بين قصص صالح وهود ﷺ وبين دعوة محمد للعرب، وعرض هذا في الدائرة من غير بحث دقيق عميق، مناف للموضوعية ويطعن في مصداقية الدائرة.

المطلب الثالث: قصة شعيب عليه السلام

الفرع الأول: شعيب عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ورد ذكر النبي شعيب عليه السلام عشر مرات في القرآن الكريم في عدة سور، ساق القرآن الكريم في هذه الآيات حوار شعيب عليه السلام مع قومه ودعوته لهم بالحسنى وهو المعروف بأنه خطيب الأنبياء لفصاحته وبلاغة عبارته، وأسلوبه الدعوي المتميز، ما أكسبه مهابة في مجتمعه، وكان يبدأ خطابهم لهم بالأساس الأول وهو تصحيح العقيدة، بدعوتهم لأداء حق الله بعبادته وحده، وقد أظهر لهم الله الحجج والبراهين على ذلك، وأداء حق الناس بإيفاء الكيل والميزان، وعدم أخذ أموال الناس بالباطل والبخس، وأمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم، وعن الجلوس بالطرقات وسلب الناس أموالهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ

شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَفَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

﴿ الأعراف: ٨٥ - ٨٦.﴾

قال الإمام ابن كثير: "ينهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسي والمعنوي... أي: وتودون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة.¹ وقال لهم في سورة هود ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ هود: ٨٦ أي رزق ربكم خير لكم وما أنا عليكم برفيق، كما ذكرهم بنعمة الله عليهم كيف كانوا قلة ثم كثروهم الله وحذرهم انقلاب هذه النعمة إلى نقمة كما كانت عاقبة المفسدين. ودعاهم إلى الصبر بعد أن اختلفوا عليه فأمن به بعضهم وكفر البعض فسيحكم الله بين الفريقين وهو خير الحاكمين.

كما وصفهم الله تعالى بأصحاب الأيكة قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولَى ﴿٨٤﴾ الشعراء: ١٧٧ - ١٨٤، قال الإمام أبو زهرة: "الأيك الشجر الملتف واحده أيكة، والمراد أصحاب الشجر الملتف الذي صار أيكة يعاش في ظلها، ونرى سيدنا شعيبا نبي الله أحيانا يذكر أنه بعث إلى مدين قومه، وأحيانا يذكر أنه بعث لأصحاب الأيكة، ويظهر أن المؤدى واحد، لأن مدين كانت تسكن حول هذه الأشجار الملتفة، فهي منتفع بها، وذكرت الأيكة دون مدين لأنها موضع نعمتهم، وقال بعض المفسرين إنه بعث إلى أمتين مدين وأصحاب الأيكة"².

وكان شعيب عليه السلام صابرا محتسبا في دعوة قومه، لكن المستكبرين منهم هددوه بإخراجه وأتباعه المؤمنين من القرية، أو العودة إلى ملتهم، ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا مَنًّا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص 447

² تفسير زهرة النفايس، مصدر سابق، ج10، ص 5401.

أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٨﴾ الأعراف: ٨٨ - ٨٩، فأجابهم شعيب، "أو أنتم فاعلمون ذلك ولو كنا كارهين ما تدعوننا إليه؟ فإننا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه، فقد أعظمتنا الفرية على الله في جعل الشركاء معه أندادا"¹ ولن نعود فيها إلا بمشيئة الله تعالى، فالتوكل عليه، ثم دعا بالفتح والنصر بين قومه بالحق.

واستغرب الكفار كيف لهم أن يتركوا ما ورثوه من عقائد وعبادات عن آبائهم ويتبعوا ما جاءهم به شعيب عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالُوا يَدْشَعِيبُ أَسْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ هود: ٨٧

أي أصلواتك تأمرنا بترك عبادة الأوثان وتمنعنا أن نفعل في أموالنا ما نريد ونتعامل بالمعاملات التي تريدها، فأجابهم شعيب قال تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَدَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ هود:

٨٨ - ٩٠، وفيه هذا تطف معهم بالعبرة وترغيب لإتباعه، فقال لهم: فهل رأيتم إن كان عندي دليل من الله على النبوة والرسالة، ولن أفعل ما أنهاكم عنهم، فغاييتي الإصلاح في الأقوال والأفعال، وما إصابتي الحق إلا من الله تعالى، إليه أفوض أمري، ثم انتقل إلى التهيب بأن ذكرهم بعاقبة المفسدين من الأقسام السابقة كقوم نوح وهود وصالح وقوم لوط الذين كانوا قريين منهم في المكان والزمان والصفات والأفعال السيئة، ثم دعاهم للاستغفار والتوبة بعد إدراكهم للمصير المنتظر، لكنهم استكبروا وضلوا و﴿قَالُوا يَدْشَعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِتْنًا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ هود: ٩١ أي أنك ضعيف مضطهد، "ولولا معزة قومك علينا لرجمناك، قيل بالحجارة، وقيل: لسببناك، وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ أي: ليس لك عندنا معزة². فعجب منهم كيف يراعون قبيلته ولا يلتفتون إلى دعوة الله تعالى ورموها وراء ظهورهم، ثم توعدهم بأن يستمر كل منهم على منهجه ويرتقبوا مصيرهم. ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص 448

² المصدر نفسه، ج3، ص 448

تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٣٠﴾ وَيَقَوْمٍ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِرِكُمْ إِنِّي عَٰلِمٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَن هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿١٣١﴾ هود: ٩٢ - ٩٣

كما وصفه قومه بالسحر وأنه مجرد بشر يتعمد الكذب لا معجزة له، فتحدوه بأن يسقط عليهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٣٠﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نُّظُنُّكَ لَمِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿١٣١﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٣٢﴾ قَالَ رَبِّيٰ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ الشعراء: ١٨٥ - ١٨٨، لكنه نبي الله شعيبا وكل أمرهم إلى الله، وتنع أقوال قومه في الآيات السابقة بين مواقف مختلفة لدعوة شعيب عليه السلام لقومه، وبمجموعها يظهر عنادهم واستكبارهم، وإصرار شعيب عليه السلام على دعوتهم وإنذارهم. لكن أمر الله حلّ بالقوم الظالمين قَالَ تَعَالَىٰ ﴿١٣٤﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظٰلِمِينَ ﴿١٣٥﴾ فَآتَقَمْنَا مِنْهُمُ وَإِنَّهُمَا لِيٰٓأَمْرٍ مُّبِينٍ ﴿١٣٦﴾ الحجر: ٧٨ - ٧٩

واختلف التعبير عن العذاب الذي أصاب قوم شعيب، حسب الموقف الذي كان منهم، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ هود: ٩٤: "وذكر هاهنا أنه أتتهم صيحة، وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة، اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها. وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشَعْبِيبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ الأعراف: ٨٨، ناسب أن يذكر هناك الرجفة، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ الأعراف: ٩١ فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها، وأرادوا إخراج نبيهم منها، وهاهنا لما أساءوا الأدب في مقاتلتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخذتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٣٧﴾ الشعراء: ١٨٧، قال ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٨﴾ الشعراء: ١٨٩ وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة¹.

فحلّ الخسران بقوم شعيب عليه السلام، كأنهم لم يسكنوا مساكنهم ولم يعمروها، ولهذا تولى عنهم نبي الله شعيب عليه السلام، وبرأ ذمته بدعوتهم ﴿وَقَالَ يٰٓقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كٰفِرِينَ ﴿١٣٩﴾ الأعراف: ٩٣

هذا ما حوته الآيات الكريمة من لطائف من قصة نبي الله شعيب عليه السلام، ولم يرد في السنة النبوية الشريفة حديث صحيح يخص نبي الله شعيبا عليه السلام يستأنس به، وإن كانت قصة شعيب وقومه فيها

¹ المصدر السابق، ج4، ص347

من العبر الجلييلة ما يعين الداعية في طريق الحق، فقد سلك نبي الله شعيب طريق الرفق واللين، غايته الإصلاح قدر الاستطاعة، صابرا على أذى قومه، متوكلا على ربه.

الفرع الثاني: شعيب عليه السلام في موجز الدائرة

كتب مادة شعيب المستشرق بول وترجمها خورشيد، وكانت من المواد القصيرة فقد جاءت في صفحة واحدة مع مصادرها، ولأنه لا ورود للنبي شعيب عليه السلام في الكتاب المقدس أو في الهاجادة، لم ترد في المادة شبهات كثيرة، كما لم ترد عليه معلومات تفصيلية كباقي الأنبياء في دائرة المعارف الإسلامية.

ابتدأ المستشرق بول المادة بتعريف النبي شعيب عليه السلام، بأنه نبي ورد ذكره في القرآن، ثم أشار إلى الآيات التي جاء فيها ذكر شعيب عليه السلام في سورة هود، وسورة الشعراء (الآيات 176-189)، والتي عدّها من السور التي نزلت في الفترة المكية الوسطى، "أنه أرسل إلى أصحاب الأيكة الذين ورد ذكرهم أيضا في سورة ق (الآية 14)، وفي سورة الحجر (الآية 78)، وفي سورة ص (الآية 13)، ويظهر شعيب في سور من الفترة المكية المتأخرة (سورة هود، الآيات 84-95)، سورة العنكبوت الآية 36 وما بعدها، سورة الأعراف الآيات 85-93) بين أهل مدين أخا لهم"¹.

إن الآيات التي ذكرها المستشرق بول كلها جاءت تحوي قصة النبي شعيب عليه السلام، لكن ما يثير الانتباه هو تقسيمه للسور المكية على فترات وهو التقسيم المعتمد عند كثير من المستشرقين، بناء على خصائص وضعوها للسور، وهو يثير مسألة أن القرآن الكريم يذكر في السور المكية الوسطى أنه أرسل إلى أصحاب الأيكة، وفي السور المكية المتأخرة أرسل إلى مدين، بما يوحي اضطراب النبي عليه السلام في تحديد قوم شعيب عليه السلام، حسب ظنهم.

وأشهر تأريخ للقرآن الكريم اعتمده المستشرقون كان لتيودور نولدكه، اعتمد فيه على الحالة النفسية والروحية للرسول عليه السلام في تقسيم سور القرآن الكريم. فنولدكه يرى أن من خصائص المرحلة الوسطى "حدة الاضطراب وعدم الاستقرار عند النبي عليه السلام، ويرى أن محمد عليه السلام انتقل من الحماس العظيم إلى بعض الهدوء واستعمال النثر، وهذا يعود إلى إحباطات الواقع، والتكرار المستمر للأفكار نفسها مؤثر على شكلها الفني في العرض، ويرى تخلي مخيلة محمد على الأصالة والاندفاع في مقابل

¹ موجز الدائرة، ج20، ص6286، ع1

حاجات الجماعة الناشئة، ما جعل التأمل الهادئ محلّ، فيحاول توضيح جملة بواسطة الأمثلة والتاريخ، لكنه يكّدس هذه الأمثلة، أكثر ممّا يرتبها منطقياً، فيجرح إلى الإطناب، ويصبح مرتبكا، مملا، ما يوصل إلى نتائج ضعيفة¹. أما المرحلة المتأخرة في السور المكية، فيرى أن لغتها أصبحت مطنبة مملة ويكثر فيها التكرار وافتقارها للبراهين، أما القصص تفتقر إلى التنوع².

إن هذه النتائج المتوصل إليها من طرف نولدكه واتهام النبي بالاضطراب والإطناب لا مستند عليها ولا دليل إلا افتراضات صاغها نولدكه من بعض الأحداث والروايات الضعيفة وتعتمد في الأساس على الترجمات الغربية للقرآن الكريم المشوهة، "فقد اعتمدوا في الغالب على لحن وأسلوب الآيات والسور ملاكا لمعرفة ذلك، واستندوا أحيانا إلى الروايات الضعيفة، ومن ثمّ فقد توصلوا من خلال ذلك إلى نتائج متناقضة لا تمتلك أساسا من الصحة، فمضافا إلى ما يلحظ من اختلاف نتائج دراساتهم في ترتيب السور مع الترتيب الروائي المشهور، نرى التناقض والاختلاف القائم فيما بينهم أيضا، وهذه الملاحظة كافية بنفسها للإشارة إلى أن المعايير والمباني المعتمدة لدى كل واحد منهم ليست سوى معايير ذوقية ومجرد تخيلات وهمية"³.

وبإدراك هذه الخصائص يظهر مراد كاتب المادة من إظهار الاختلاف في قصة شعيب عليه السلام، بين الفترة الوسطى والفترة المتأخرة من المرحلة المكية، في إشارة إلى أن في الآيات الأولى كان ذكر قوم شعيب بأنهم أصحاب الأيكة، وفي الفترة المتأخرة ذكرهم بأنهم مدين، وكأن شعيبا قد بعث لقومين، لكن ما جاء عن المفسرين يشرح هذا الاختلاف، يقول ابن كثير: "هؤلاء -أعني أصحاب الأيكة - هم أهل مدين على الصحيح. وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هنا أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة. وقيل: شجر ملتف كالغَيضة، كانوا يعبدونها؛ فلماذا لما قال ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء: ١٧٦، لم يقل: "إذ قال لهم أخوهم شعيب"، وإنما قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ الشعراء: ١٧٧، فقطع نسبة الأخوة بينهم؛ للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسباً. ومن الناس من لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين،

¹ ينظر: تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، تر: جورج تامر، مؤسسة كونراد-بيروت، ط1، 2004م، ص105-106

² المرجع نفسه، ص 128

³ محمد جواد إسكندرلو، تاريخ الآيات والسور القرآنية في دراسات المستشرقين، نقد وتحليل، مجلة دراسات استشرافية، ع3، شتاء 2015، ص9

فزعم أن شعيباً عليه السلام، بعثه الله إلى أمتين، ومنهم من قال: ثلاث أمم...والصحيح أنهم أمة واحدة، وصفوا في كل مقام بشيء؛ ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة¹.

وأضاف الامام ابن كثير توجيه المسألة في تاريخه (البداية والنهاية) بقوله: "وأما احتجاجهم بيوم الظلة فإن كان دليلاً بمجردده على أن هؤلاء أمة أخرى، فليكن تعداد الانتقام بالرجفة والصيحة دليلاً على أنهما أمتان أخريان، وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئاً من هذا الشأن، فأما الحديث الذي أورده الحافظ ابن عساكر في ترجمة النبي شعيب عليه السلام من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة... عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: "إن مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله إليهما شعيباً النبي عليه السلام" فإنه حديث غريب وفي رجاله من تكلم فيه، والأشبه أنه من كلام عبد الله بن عمرو مما أصابه يوم اليرموك من تلك الزامتين من أخبار بني إسرائيل والله أعلم، ثم قد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في المكيال والميزان فدل على أنهم أمة واحدة أهلكوا بأنواع من العذاب، وذكر في كل موضع ما يناسب من الخطاب². ثم ذكر المستشرق بول أن المفسرين المتأخرين "هم وحدهم الذين قالوا أن شعيباً هو حمو موسى غير المسمى تيرون العهد القديم الذي عاش في مدين، وأشارت إليه سورة القصص الآية 20، وما بعدها. ولكن ليس لهذا سند في القرآن"³.

وبالعودة إلى الآية التي ذكرها بول نجدها: قَالَ تَمَالِكُ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَمَكِّنَ لَدَيْكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ القصص: ٢٠، وهي غير الآية التي ذكر المفسرون أن حمو موسى فيها هو شعيب عليه السلام، بل هي الآية ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ مَجِئْتُكَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ القصص: ٢٥، وقد يكون هذا خطأ مطبعياً.

وقد حدد أن هذا القول كان من المفسرين المتأخرين، ذلك أن تفسير الطبري الذي يعد معتمد المستشرقين، قد ذكر الروايات في تحديد هوية والد الفتاتين وختمها بقوله: "وهذا مما لا يُدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه"⁴، كما أن

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج6، ص 158

² ابن كثير، البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط1، 1988م، ج1، ص 218.

³ موجز الدائرة، ج20، ص6286، ع1

⁴ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج19، ص562

ما سمّاه المستشرق ب(تيرون العهد القديم) جاء ذكره في أغلب روايات المفسرين ب(يثرون). وذكر الإمام ابن كثير أنه (بثرون)، ثم ختم بول فقرته بأنه لا سند من القرآن على هذا القول، وتبقى أقوال المفسرين اجتهادات لتفسير القرآن قد تعتمد على بعض الروايات غير الأكيدة، وكما قال الامام الطبري فلا يمكن إدراك ذلك.

ثم حاول المستشرق بول أن يسوق تلخيصا عاما عن قصة شعيب متبعا ما جاء في القصة القرآنية، من أنه جاء ليحث قومه بصفة خاصة على القسط في الميزان والكيل، وتحذيرهم من العبث بالنظام العام، ومن صرف المؤمنين عن سبيل الله، لكن وجوه القوم أنكروا مقالته وهددوه بالطرد هو وأتباعه، وختم القصة ببيان عاقبتهم بأن مسهم زلزال عقابا لهم ففضى عليهم في بيوتهم. في إشارة الى تعبير الرجفة في سورة هود.

ولأن المستشرق بول كان بارعا في الطبوغرافيا وزار الشرق (مصر وفلسطين والشام ولبنان وتركيا)¹، اهتم بموضوع تحديد قبور الأنبياء وهو ما برز في محاولته تحديد قبر النبي شعيب عليه السلام، الذي يرى خطأ الرواية المتأخرة جدا التي جعلت القبر في قرن حطين وخلطت بين خربة مدين وبين مدين. ولأنه لا توجد روايات صحيحة ثابتة ولا أدلة كافية لترجيح رأيه أو لتحديد دقيق لقبر شعيب عليه السلام فلا يمكن مناقشة هذا القول.

في الختام كانت مادة شعيب من المواد القائل في موجز الدائرة التي كانت تعرض قصة النبي كما هي من غير إدخال للإسرائيليات ولا افتراضات المستشرقين، وإن حاول المستشرق إبراز اختلاف قوم شعيب تبعا للفترة التي نزل فيها القرآن. لو أن صاحب المادة توسع قليلا مع القصة في القرآن الكريم لكانت المادة غزيرة بالمعلومات جليّة في أفكارها ولاستفاد منها القارئ أكثر، أمّا اكتفاء المستشرق بكتابة رقم الآيات فقط جعل المادة بعيدة عن توصيف نبي الله شعيب عليه السلام، ووصف جهاده وصبره في دعوته لقومه.

وفي نهاية المبحث يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أن القصص غير الوارد في الكتاب المقدس، وليس لها أثر في التراث الهاجادي، لم تشمل على كثير شبهات من طرف المستشرقين، ولم يخوضوا فيها كما خاضوا في غيرها من القصص، وانتفت عنها شبهة الاقتباس التي كان يدّعي المستشرقين أنّها دليل

¹ نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ص 845

على بشرية القرآن الكريم، بل كانت الدليل على ربانيته، فقد قصّ أخبار أعتى الأمم في الأرض، وذكر أقوالهم، وسجّل عقابهم ونهايتهم، بما يبقى خالداً على مرّ الزمن، وقد أظهرت الكشوفات الجغرافية الحديثة صدق هذه الأخبار، لكنّ معول التشكيك والتأويل المتعسف الذي حمّله المستشرقين، أعمى قلوبهم وعقولهم عن التبصّر هذه الحقائق.

الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

المبحث الثالث: قصص أيوب، يونس، إلياس، وذو الكفل عليهم السلام

من الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم ولم يعلم تحديد زمانهم وترتيبهم بالضبط بين الأنبياء، خمسة أنبياء هم أيوب عليه السلام، يونس عليه السلام، إلياس عليه السلام، ذو الكفل عليه السلام، إيسع عليه السلام، ولأن إيسع لم يرد ذكره في موجز الدائرة فلن يتم التطرق له، والأنبياء الباقون لا يجمعهم رابط مشترك في المكان أو الزمان ولا يعلم ترتيبهم بالضبط بين الأنبياء فتم جمعهم في هذا المبحث، وقُدّم هذا المبحث عن لاحقه لارتباط المبحث الرابع الخاص بقصص إبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام بالفصل القادم، فكان منهج الدراسة يقتضي مراعاة التتابع الزمني للقصص لارتباطها ببعضها البعض.

المطلب الأول: قصة أيوب عليه السلام

الفرع الأول: قصة أيوب عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ذكر اسم نبي الله أيوب عليه السلام مع باقي الأنبياء على سبيل الإجمال في موضعين من القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ...﴾ الأنعام: ٨٤، وفي قوله تعالى في سورة النساء ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ﴾ النساء:

١٦٣

كما وردت الإشارة إلى قصته عليه السلام موجزة في سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٣ - ٨٤.

ونستبين بعض تفاصيل القصة أيضا في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَحَدِّيدِكَ ضَعْفًا فَأُضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ ص: ٤١ - ٤٤.

يقول الشيخ الشنقيطي في تفسير هذه الآيات: "و غاية ما دلّ عليه القرآن أن الله ابتلى نبيه أيوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأنه ناداه فاستجاب له وكشف عنه كل ضرر، ووهبه أهله ومثلهم

معهم، وأن أيوب نسب ذلك في (ص) إلى الشيطان. ويمكن أن يكون سلطه الله على جسده وماله وأهله. ابتلاء ليظهر صبره الجميل، وتكون له العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة، ويرجع له كل ما أصيب فيه، والعلم عند الله تعالى¹.

ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا ﴾: "وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرُّطْبَةِ، وكملء الكفّ من الشجر أو الحشيش والشماريح ونحو ذلك مما قام على ساق"²؛ ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ ﴾ يقول: إنا وجدنا أيوب صابرا على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول: إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجّاع.

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: "إن أيوب نبي الله ﷺ لبث في بلائه ثمان عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه: تعلم و الله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أي كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق قال: وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في مكانه ﴿ أَرَكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ ص: ٤٢، فاستبطأته فبلغته فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان فلما رآته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى والله على ذلك ما رأيت أحدا كان أشبه به منك إذ كان صحيحا قال: فإني أنا هو وكان له أندران: أندر القمح وأندر الشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما

¹ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر-بيروت، دط، 1995م، ج4، ص 306.

² تفسير الطبري، مصدر سابق، ج21، ص212.

على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضت" ¹.

وهذا ينافي ما جاء في الكتاب المقدس من جزع أيوب على ما أصابه من البلاء، ثم توبته في الأخير، فالقرآن الكريم يؤكد صبر أيوب برغم كل أنواع البلاء التي وقعت به منذ البداية.

ومما ورد في السنة الصحيحة عن أيوب عليه السلام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بينما أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحتشي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك" ²

هذا ما ورد من قصة أيوب عليه السلام في المصادر الصحيحة، وكل ما ورد في بطون الكتب هي من الإسرائيليات التي لا نصدقها ولا نكذبها، وكل ما ورد من اتفاق هو من باب الحقيقة البينة المشتركة بين الأديان السماوية لأن أصلها واحد.

الفرع الثاني: أيوب عليه السلام في موجز الدائرة

كاتب مادة أيوب عليه السلام هو المستشرق سليكسون، ولم يرد اسم مترجمها، وجاءت المادة في ثمانية أعمدة بمصادرها.

ابتدأت المادة كالعادة بالإشارة إلى ورود اسمه في التوراة، في إشارة لاقتباس القرآن قصة أيوب عليه السلام منها، حيث يقول المستشرق: "وقال القرآن الكريم عنه إنه من الصالحين، وتصفه التوراة بأنه كان عبدا للرب وكان من الصالحين" ³، وكأنه يؤكد أن هذا الاقتباس حرفي حتى في الكلمات والأوصاف. ثم يقارن بين ورود القصة في القرآن وبين التوراة التي جعلت قصته سفرا كاملا يتكون من 42 إصحاحا، تحكي آلام أيوب عليه السلام في بلاءه، وتظهره بصورة لا تليق بمقام النبوة، بتصوير رفضه لهذه الابتلاءات ونقمته من ذلك بالعتاب والتوبيخ. بحيث تضيع صورة العبد الصابر نظير الأفعال والأقوال التي بدرت منه، حيث جاء في سفر أيوب 1: 20 أن أيوب قد جزع عند سماعه خبر وفاة أبنائه (فقام أيوب

¹ رواه ابن حبان، رقم الحديث 2898، ج7، ص153.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الغسل، باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل، ج1، ص64، رقم الحديث: 279.

³ موجز الدائرة، ج5، ص1441، ع1

ومزق جُبَّتَهُ، وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ) كما أن أيوب عندهم قد يأس وبدأ بسبب يومه فقال: (ليت هلك اليوم الذي وُلِدْتُ فيه، والليل الذي قال: قد حُبِلَ بِرَجُلٍ...» (أيوب 3:1-3).

أما القصة في القرآن الكريم فلم تركز إلا على ذكر وقوع أيوب عليه السلام في الابتلاء، ومس الشيطان له بالمشقة والعذاب، ثم دعائه وشفاءه وتعويضه عن ذلك. وهو ما دعا كاتب المادة إلى القول: "أما القرآن فقد أوجز قصته"¹، وكان أيوب عليه السلام مثال العبد الصابر، يقول عبد الكريم الخطيب: "وأنظر إلى هذا الأدب النبوي العظيم، في مناجاة الخالق جلّ وعلا. فأيوب مع هذا البلاء العظيم، الذي شمله في نفسه وأهله وماله جميعاً، لم يستبدّ به الجزع، ولم تستول عليه الحيرة، ولم تحرقه أنفاس الضيق والألم.. بل ظلّ مجتمع النفس، ساكن الفؤاد، رطب اللسان بذكر الله.. فلما اشتد به الكرب، ورهقه البلاء، وأراد أن يذكر نفسه، ويشكو لربه ما يجد، لم يزد على أن يقول بلسان رطب بالصبر، وبأنفاس نديّة بالإيمان: ﴿أَيُّ مَسْئِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٣، وكان أن سمع الله دعاءه، واستجاب له"²

والملاحظ على هذه المادة هو سعي كاتبها سليكسون للتأكيد على أن قصة أيوب عند المسلمين أصلها ما ورد في سفر أيوب من خلال استخدامه عدة عبارات منها: "وحكى كُتَّابُ الْمُسْلِمِينَ عن أيوب حكايات كثيرة، أخذوا مادتها من سفر أيوب ومن تفسير اليهود للتوراة المسمى (هاجادا)". وقال أيضاً: "ووصفوا ممتلكاته وصفا يشبه ما ورد في سفر أيوب، وبالغوا في ذلك بعض الشيء بالطبع"³، وجاء في المادة أيضاً قوله: "وأورد رجال الحديث حرفاً حرفاً تقريباً جزءاً كبيراً من سفر أيوب (6:1، 7:2) وهو الجزء الذي يتحدث عن ابتلاء الله له"⁴. في إشارة إلى الحديث الذي أورده ابن حبان، وهذا نوع من المبالغة فكيف يكون الحديث منقولاً عن 42 إصحاحاً، وهو لا يتجاوز 10 أسطر.

وفي العموم لا يمكن تجاهل ما نقله المفسرون والمؤرخون عن هذه القصة مما يدخل في باب الاسرائيليات ويعين على فهمها مما لا يخالف القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، لكن الحقيقة التي يجب التأكيد عليها هو أن المسلمين لم ينقلوا التحريف الواقع في التوراة مما يطعن في عصمة الأنبياء، وإن

¹ موجز الدائرة، ج5، ص1441، ع2

² عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، دط، دت ط، ج9، ص933-934

³ موجز الدائرة، ج5، ص1441، ع2

⁴ المصدر نفسه، ج5، ص1442، ع2.

نقلوا عنهم بعض تفاصيل القصة على ما اشتهر عندهم، ويظهر من اختلاف روايات المسلمين أن أهل الكتاب أنفسهم كانوا مختلفين في رواية القصة لأن التوراة كانت بأيدي أحبارهم فقط.

كما أشار كاتب المادة إلى نسب أيوب عليه السلام اعتماداً على سفر أيوب، وسرد نوع الابتلاء الذي وقع فيه أيوب عليه السلام أيضاً من سفر أيوب، الاصحاح الخامس، كما أحال على سفر أيوب عند حديثه على أن عمر أيوب عند ابتلاءه كان سبعين سنة، ونقل عن هذا السفر أن مدة بلائه كانت سبع سنوات. فلذلك الكاتب يروي لنا قصة أيوب من التوراة وليس من المصادر الإسلامية، وهذا لإيمانه بأنها مقتبسة من التوراة، فكان الواجب عليه الإحالة على المصادر الإسلامية الأصلية، ليتبين القارئ صحة ما يقوله، ويكون هو في نفسه مراعيًا للمنهجية العلمية الخاصة بالدائرة.

وبالنسبة لنسب أيوب عليه السلام فينقل القطان عن بعض الدراسات الحديثة: "وأيوب من أنبياء العرب كان يسكن أرض عوص في شرق فلسطين أو في حوران ... وسفر أيوب عربي الأصل بما فيه من أسماء للأشخاص والأماكن، ومن وصف لبادية الشام وحيواناتها ونباتاتها. يقول الأب لويس شيخو في كتابه: النصرانية وآدابها، وهو يذكر علم النجوم: ولنا شاهد في سفر أيوب على معرفة العرب لأسماء النجوم وحركاتها في الفلك، إذ كان أيوب النبي عربي الأصل عاش غربي الجزيرة حيث امتحن الله صبره. ويقول الدكتور جواد علي في كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام: من القائلين بأن سفر أيوب عربي الأصل والمتحمسين في الدفاع عن هذا الرأي المستشرق مرجليوث. وقد عالج هذا الموضوع بطريقة المقابلات اللغوية ودراسة الأسماء الواردة في سفر أيوب. وقد أكد هذا الرأي كثير من المؤرخين¹. والعائد إلى سفر أيوب (الاصحاح 1:1)" كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب"، واختلف العلماء في مكان أرض عوص، وحاولوا تحديدها من خلال ما ورد من هذا السفر، وربما أخطأ سليكسون عندما ذكر أنه من نسل عيص والله أعلم. فلا يمكن الجزم بمكان وزمان أيوب عليه السلام.

وبخلاف منهجية باقي المستشرقين في كتابة المواد المتعلقة بالقصص القرآني، أجّل سليكسون الحديث عن قصة أيوب كما وردت في القرآن الكريم والحديث عن الآيات الخاصة بسورة ص إلى آخر المادة، والتي تروي شفاء أيوب عليه السلام من بلائه وفرج الله عليه بعد دعائه، ووصلها بالرواية الإسلامية التي تجعل لجبريل عليه السلام صلة بهذه القصة.

¹ إبراهيم القطان، مصدر سابق، ج2، ص443، وجواد علي، مرجع سابق، ج2، ص282

وقد ذكر سليكسون وصف شكل أيوب اعتمادا على رجال الحديث كما قال ومنهم كعب الأحبار، في إشارة إلى ما ذكره الحاكم في مستدركه عن كعب الذي قال: "... وكان أيوب رجلا طويلا جعد الشعر واسع العينين حسن الخلق و كان على جبينه مكتوب المبتلى الصابر و كان قصير العنق عريض الصدر غليظ الساقين و الساعدين"¹. وهذه الأوصاف لم ترد في الكتاب ولا في السنة، فهي مما عرفه كعب الأحبار من أهل الكتاب.

ومما يلاحظ على المستشرق سليكسون في هذه المادة اعتماده على الأقوال غير المثبتة كثيرا، كما أنه يغفل ذكر الأسماء و المصادر الإسلامية التي اعتمد عليها في كثير من المواضع حيث يقول: (ويقال عن أيوب) (وانفرد كاتب من الكتاب ذكره الطبري) (ويروى معظم كتاب المسلمين) (وقال أحدهم...) (وزعم واحد من المؤرخين أنه كان لأيوب)، (وأورد رجال الحديث)، (قال بعضهم...) (وقال غيرهم)، (وقال آخرون) (يقول البعض)، (ويقول غيرهم)، وهو ما يجعله أمرا مؤثرا في مصداقية المعلومات التي ذكرها في هذه المادة، حتى أن القارئ لا يمكنه التأكد من المعلومات التي أوردتها وإن عاد إلى المصادر العربية الثلاث التي أشار إليها في قائمة المصادر (الطبري، قصص الثعلبي، مروج الذهب للمسعودي).

وبالمقابل يعتمد سيليكسون على المصادر الغربية والمراجع الاستشراقية في تحليله للقصة، ويحيل عليها ويذكرها بصفتها ما يدل على اطلاعه العميق عليها والاستناد إلى ما جاء فيها وتأييد آراء أصحابها، في مقابل المصادر الإسلامية التي كانت يجب أن تكون المصدر الأساسي للمادة، وخاصة القصة في القرآن الكريم. فقد نقل عن أحد الكتاب لم يذكره: "أن العين كانت في موضع بعيد عن مكان أيوب وأنه كان لا يقوى على المشي فحمله جبريل إليها على جناحيه (أنظر Leyendas moriscas: Robles، ج1، ص225 وما بعده)²، والواضح من قوله تعالى ﴿أَرْكُضْ بِرَجُلِكَ هَذَا مُعْتَسِلًا بَارِدُ وِسْرَابٍ﴾³ ص: ٤٢، أن الركن هو الضرب بالرجل³، فقد أمر الله تعالى نبيه الكريم أيوب

¹ رواه الحاكم في مستدركه، كتاب تواريخ المتقدمين والمتأخرين من الأنبياء، ذكر أيوب بن أموص، ج2، ص634، رقم الحديث 4113.

² موجز الدائرة، ج5، ص1443، ع1

³ الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية، -دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ. ص364.

عليه السلام بأن يضرب برجله الأرض فنبع الماء منها، وقال الإمام القاسمي: في معنى الركض "أي أُعدُّ بها وامش"¹، فهذا ما ورد في تفسير الآية، وليس فيها أن جبريل طار به إلى المكان على جناحيه، وإلا ما الفائدة من فعل الركض في هذه الآية، أم أن أيوب لم يستجب لأمر الله بالركض، فلم يكن من داع للمستشرق للاستناد إلى هذه الرواية خاصة وأنها ممن سبقه من المستشرقين وليست من مظانها الأصلية وفيها ما يخالف رأي المسلمين، ولا يعلم حتى ممن أخذها المستشرق الأول.

ثم ذكر أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا ضَعِيفًا فَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا يَعْمَرُ الْعِبَادَ إِنَّهُ وَأَوَّابٌ﴾ ص: ٤٤، والسبب في ذلك، ونوّه بالروايات التي جاء فيها ذكر عدد أبناء أيوب الذين وهبهم الله له بعد البلاء، ثم ذكر خلاصة الحديث الذي جاء في صحيح البخاري وصحيح ابن حبان، مع أن المنهجية العلمية تقتضي إيراد هذا الحديث مع القصة القرآنية في أول المادة كمصادر أساسية للقصة عند المسلمين، ومن ثم التطرق إلى باقي الروايات.

ختم سليكسون المادة بذكر ما جاء عند المسعودي عن دير أيوب² والعين التي اغتسل بها أيوب، من أنها مقدسة في عهده، وأنها قريبة من نوا³. وما زال هناك حمام إلى اليوم، كما أشار إلى صخرة أيوب المشهورة التي هي أثر مصري يرجع إلى عهد رمسيس الثاني. وأن عين تفوح المذكورة في التوراة تسمى الآن بئر أيوب. وهي إشارات تاريخية لبعض المواقع والآثار، يبقى تحديدها غير دقيق، ولا يمكن التأكد من يقينية هذه المعلومات وارتباطها بأيوب عليه السلام بذلك.

المطلب الثاني: قصة يونس عليه السلام

الفرع الأول يونس عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ذكر نبي الله يونس عليه السلام في القرآن الكريم أربع مرات باسمه، ومرتين بالوصف حيث لقبه الله تعالى بذي النون (الحوت)، وبصاحب الحوت، كما سميت سورة كاملة باسمه هي سورة يونس، قال

¹ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1418هـ، ج8، ص 262

² دير أيوب قرية بحوران من نواحي دمشق بها كان أيوب عليه السلام وبها ابتلاه الله وبها العين التي ركضها برجله والصخرة التي كانت عليها وبها قبره، ينظر: شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر-بيروت، دط، ج2، ص499.

³ نوا بلفظ جمع نواة التمر وغيره بليدة من أعمال حوارن وقيل هي قصبتهابها بينها وبين دمشق منزلان وهي منزل أيوب عليه السلام وبها قبر سام بن نوح عليه السلام فيما زعموا، ينظر: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص306.

ابن عاشور في سبب تسميتها "لأنها انفردت بذكر خصوصية لقوم يونس، أنهم آمنوا بعد أن توعدهم رسولهم بنزول العذاب فعفا الله عنهم لما آمنوا. وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَآذَابَ الۡخَرَابِ فِي الۡحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمۡ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يونس: ٩٨ وتلك الخصوصية كرامة ليونس عليه السلام وليس فيها ذكر ليونس غير ذلك. وقد ذكر يونس في سورة الصفات بأوسع مما في هذه السورة ولكن وجه التسمية لا يوجبها"¹.

وبعث يونس عليه السلام إلى أهل قرية "نينوى"، وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله، لكنهم أصروا على الكفر والطغيان، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم، ووعدهم بالعذاب، فلما تحققوا منه ذلك، وظهرت أمارات العذاب، تابوا وأنبأوا إلى الله تعالى، وتضرعوا إليه، ورفع الله عنهم العذاب وجاء في سورة الأنبياء بوصفه (ذا النون) أي (ذا الحوت)، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغۡضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيْهِ...﴾ الأنبياء: ٨٧، إذ خرج يونس عليه السلام مغاضبا لقومه من أجل الله تعالى، ليأسه من إيمانهم، فظن أن لا نقدر عليه... في وجهان من التفسير لا يكذب أحدهما الآخر: الأول أن المعنى (لن نقدر عليه) أي لن نضيق عليه في بطن الحوت. من إطلاق (قَدَرَ) بمعنى (ضيق) في القرآن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبۡسُطُ الرِّزۡقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقۡدِرُ﴾ الرعد: ٢٦، أي ويضيق الرزق على من يشاء... الوجه الثاني أن معنى (لن نقدر عليه) لن نقضي عليه ذلك. وعليه فهو من القدر والقضاء"².

وجاء في سورة الصفات وصفه بأنه من الأنبياء، وذكر خلاصة قصته لجوئه إلى الفلك بعد تركه لدعوة قومه، قال تعالى: ﴿وَإِن يُونُسَ لَمِنَ الْمُرۡسَلِينَ﴾ إِذۡ أَتَىٰ إِلَىٰ الْفُلۡكِ الْمَشۡحُونِ ﴿١٤٤﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدۡحَضِينَ ﴿١٤٥﴾ فَالْتَمَعَهُ الْحَوٓتُ وَهُوَ مُلۡمِئٌ ﴿١٤٦﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٧﴾ لَلِيتَ فِي بَطۡنِهِ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٨﴾ * فَنبذناه بالعرَاءِ وَهُوَ سَاقِئٌ ﴿١٤٩﴾ وَأَنبَتۡنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنۡ يَّفۡطِينَ ﴿١٥٠﴾ وَأرۡسَلۡنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ ءَآلِفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٥١﴾ فَءَامَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمۡ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٥٢﴾ الصفات: ١٣٩ - ١٤٨، وانطلق يونس عليه السلام إلى الفلك، وسمى القرآن فعله بأنه (أبق) "وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه كما هو الأنسب بحال الأنبياء عليهم السلام حسن إطلاقه عليه"³، فهرب إلى الفلك المملوء، وقارع فكان من المغلوبين في القرعة،

¹ تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج11، ص 77

² تفسير الشنقيطي، مصدر سابق، ج4، ص 307

³ تفسير الألوسي، مصدر سابق، ج12، ص 137.

فألقي في البحر وابتلعه الحوت وهو مليم: "أي آت بما يلام عليه"¹، فلولا أنه كان ممن يكثر التسبيح لبقني في بطن الحوت إلى يوم القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَجَّعْنَا لَهُ مِنَ الْعَمِّ وَمَكَانًا لِنُفِجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ الأنبياء: ٨٧ - ٨٨، قال ابن كثير في تفسير الظلمات هي: "ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل"². ودعا الله تعالى معلنا توحيدَه وتسيحِه وتقصيره الكبير مناديا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ الأنبياء: ٨٧، وروى الترمذي عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: "دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له"³. فاستجاب الله تعالى له ونجاه من الغم، وكذلك ينجي الله المؤمنين إذا أخلصوا الدعاء والابانة لله تعالى. فرفع الله عنه هذا البلاء وأمر الحوت فطره بأرض خالية من الشجر، وهو عليل، فأثبت الله عليه شجرة من يقطين، ثم أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون فأمنوا بعد ما عاينوا العذاب، ومتعهم الله حتى انقضى أجلهم.

وفي سورة القلم أمر الله تعالى نبيّه محمدا ﷺ بأن يصبر لقضاء الله وحكمه فيه، وفي هؤلاء المشركين وأن يبلغ ما أنزله الله عليه، ولا يستعجل عليهم، فيكون كيونس عليه السلام الذي التقمه الحوت وحبسه في بطنه قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ نَدَارِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَأَجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ القلم: ٤٨ - ٥٠. والمكظوم "هو مغموم، قد أثقله الغم وكظمه"⁴، فلولا نعمة الله عليه بتوفيقه للتوبة والدعاء لطح في الأرض مُبعدا مذنبا، ثم اصطفاه الله، وجعله من الصالحين.

وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: "لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى". ونسبه إلى أبيه⁵، وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من قال:

¹ علاء الدين الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ، ج4، ص27.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص367.

³ رواه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب 82، حديث رقم: 3505، ج5، ص409.

⁴ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج23، ص562.

⁵ أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وهل أتاك حديث موسى وكلم الله، حديث رقم: 3231

أنا خير من يونس بن متى فقد كذب " ¹، قال الإمام ابن حجر: " وقيل: خصّ يونس بالذكر لما يُحشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له، فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة" ².
ومما ورد في السنة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بوادي الأزرق فقال: "أي واد هذا؟ فقالوا: هذا وادي الأزرق، قال كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جوار إلى الله بالتلبية، ثم أتى على ثنية هرشي ³، فقال: أي ثنية هذا؟ قالوا ثنية هرشي قال كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف، خِطام ناقته خُلبة وهو يلي ⁴.
هذا ما جاء في قصة يونس عليه السلام في القرآن والسنة، وأي تفصيلات حوتها كتب التفسير هي من الزيادات التي لا دليل على صحتها بتها للقصة.

الفرع الثاني: يونس عليه السلام في موجز الدائرة

كاتب مادة يونس المستشرق (برنارد هيلر) و مترجمها (وائل البشير)، وهي من المواد القصيرة في الدائرة فقد جاءت في قرابة العمودين بمصادرها.
بدأ المستشرق هيلر تعريفه يونس عليه السلام بقوله: "هو النبي يونس بن متى عليه السلام (سفر الملوك الاصحاح 14، آية 25)" ⁵ ويقصد سفر الملوك الثاني الذي جاء فيه ذكر اسم يونان بن أمتاي، أما قصته فقد وردت في سفر يونان، وفيها تشابه مع القرآن الكريم في أصل القصة في هروب يونس وابتلاع الحوت ومناجاة يونس في بطن الحوت، لكنها تختلف عنه في التوراة عندما اغتاض يونان على قومه لإيمانهم بالله في التوراة، والذي لا مبرر له، فهداية القوم هي هدف كل نبي.
ثم أشار إلى ورود قصة يونس في القرآن الكريم، وأجمل عرض قصته في القرآن من أنه فارق قومه وركب السفينة وألقي في البحر والتقمه الحوت ولبث في بطنه زمناً يدعو الله ويستغفره حتى غفر له.

¹ أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قواه أنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح

² فتح الباري، مصدر سابق، ج6، ص 452

³ قال البكري: "هو جبل على ملتقى طريق المدينة والشام قريب من الجحفة" ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص570.

⁴ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، ج1، ص152، رقم الحديث: 268.

⁵ موجز الدائرة، ج32، ص 10232، ع2.

ثم انتقل إلى المصادر الإسلامية التي أثارت التساؤل عن سبب غضب يونس عليه السلام وترك قومه؟ وعرض الإجابات باختصار وهي: أنه غضب على المذنبين، أو أنه غضب لأن ما تنبأ به من عقاب الله على قومه تأخر، فبدا وكأنه كاذب¹ لكن رأي جمهور المفسرين على أن غضبه كان على قومه لأجل الله تعالى.

ثم نقل عن الثعلبي بعض التفاصيل والتي منها أن السفينة التي ركبها يونس عليه السلام لم تتحرك رغم اعتراف يونس بذنبه، إلا أن البحارة لم يلقوا به في البحر إلا بعد أن اقترعوا ورموا السهم فوق عليه، وأخيرا ألقى يونس عليه السلام نفسه في البحر فلقفه الحوت والذي قيل أنه قدم من الهند لهذا الغرض، وليس في ذلك خبر صحيح. ومعلوم أن الثعلبي في كتابه (عرائس المجالس) ينقل كل ما وصل إلى مسامعه من أخبار من دون تمحيص لها، وليس هناك أي فائدة من خلط حقيقة القصة الواردة في القرآن الكريم مع روايات القصص والإسرائيليات.

ولم يرد في قصة يونس كثير شبهات على حسب الترجمة الواردة في موجز الدائرة، ذلك أن مترجم المادة وائل البشير لم يعتمد الترجمة الدقيقة الحرفية لما جاء في دائرة المعارف باللغة الإنجليزية، كونها تحوي كثيرا من القصص والشبهات والتي منها: أنه في بداية المقال في النسخة الإنجليزية من الإصدار الثاني أشار المستشرق هيلر أن القصة وصلت إلى العربية من اليونانية عن طريق مسيحي فلسطين، وهذا فيه دعوة للاقتباس، وإبطالا للوحي الإلهي. كما يرد فيها أن يونس عليه السلام قد استجاب لأمر الشيطان وفرّ من قومه، ويشير في آخر المقال إلى وجود تأثيرات يهودية على القصة، من خلال جعل يوم عاشوراء هو اليوم الذي غفر الله لهذه المدينة الخاطئة، وكون اليهود يصومون هذا اليوم.

ولأن الترجمة العربية للدائرة موجهة للعرب والمسلمين فقد ارتأى المترجم وأعضاء اللجنة الاكتفاء بإعطاء صورة بسيطة عن يونس عليه السلام، لكي لا يشوهوا الصورة عند أبناء المسلمين، خاصة وأن المادة من الجزء الأخير الذي اكتملت ترجمته في الموجز، بمعنى أنه لم يلحق به تعليق أو ردود على الشبهات الواردة في المادة، ضف إلى ذلك أن المادة تتعلق بني من الأنبياء وبقاء مثل هذه الأخبار يقدر في عصمته. والمادة على العموم هزيلة في مضمونها، ينقصها الاعتماد على المصادر الأساسية القرآن الكريم والسنة النبوية.

¹ المصدر السابق، ج32، ص10233

المطلب الثالث: قصة إيلياس عليه السلام

الفرع الأول: قصة إيلياس عليه السلام في القرآن الكريم والسنة الصحيحة

ورد ذكر إيلياس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنعام: ٨٥، مرتبطاً مع الأنبياء متصفاً بالصلاح، كما ذكر موجز قصته في سورة الصافات بعد ذكر قصص بعض الأنبياء، جاء فيها أنه من المرسلين، قَالَ تَمَّالِي: ﴿وَإِنِ الْإِيلَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٢) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٣٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ ءَابَائِكُمُ الْأُولَى ﴿١٣٦﴾ فَكَذَّبُوهٗ فَأِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٣٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ﴿١٣٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٩﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ إِلَىٰ يَاسِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤١﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٢﴾ الصافات: ١٢٣ - ١٣٢، وقد قام إيلياس بدعوة قومه إلى تقوى الله، واستنكر عبادتهم لإلههم (بعل) وتركهم عبادة أحسن الخالقين، لكنهم كذبوه وأصروا على كفرهم وغييهم، فوعدهم الله بأنه سيحضرهم "في عذاب الله فيشهدونه"¹. وسيرون عاقبتهم، إلا من عبد الله مخلصاً، وقيل "إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب"²، وقد أثنى الله تعالى على إيلياس الثناء الحسن وأبقى ذكره عالياً بين الأمم.

واختلف أهل التفسير في كلمة (بعل) فقال ابن كثير: "قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقاتدة والسدي: (بعلا) يعني: رباً. قال قتادة وعكرمة: وهي لغة أهل اليمن. وفي رواية عن قتادة قال: هي لغة أزد شنوءة. وقال ابن إسحاق: أخبرني بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها: "بعل". وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه: هو اسم صنم كان يعبد أهل مدينة يقال لها: "بعلبك"، غربي دمشق. وقال الضحاك: هو صنم كانوا يعبدونه"³.

كما اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَيَّ إِلَىٰ يَاسِينَ﴾ الصافات: ١٣٠، "فكان بعضهم يقول: هو اسم إيلياس، ويقول: إنه كان يُسمى باسمين: إيلياس، وإلياسين مثل إبراهيم وإبراهيم، يُستشهد على ذلك بأن جميع ما في السورة من قوله (سلام) فإنه سلام على النبي الذي ذكر دون آله، فكذلك إلياسين، إنما هو سلام على إيلياس دون آله. وكان بعض أهل العربية يقول: إيلياس اسم من

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج 21، ص 99

² المرجع نفسه، ج 21، ص 99

³ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج 7، ص 37

أسماء العبرانية، كقولهم: إسماعيل وإسحاق والألف واللام منه، ... ويقول: قال: سلام على إلياسين، فتجعله بالنون، والعجمي من الأسماء قد تفعل به هذا العرب، تقول: ميكال وميكائيل وميكائين¹. وقال ابن كثير: "وقرأ آخرون: "سلام على إدراسين"، وهي قراءة عبد الله بن مسعود وآخرون: "سلام على آل ياسين" يعني: آل محمد ﷺ² وهو قول منسوب إلى الكلبي ورد عليه الواحدي بقوله: "وهذا بعيد؛ لأن ما بعده من الكلام، وما قبله لا يدلّ عليه"³.

وقرى: (على إلياسين) بالوصل، على أنه جمع يراد به إلياس وقومه، كقولهم: الحبيبون والمهلبون ... وأما من قرأ: (على آل ياسين) فعلى أنّ ياسين اسم أبي إلياس، أضيف إليه الآل⁴. ولم يفصل القرآن الكريم أكثر في شخصية هذا النبي ولم ترد حوله أحاديث صحيحة تبين قصته أكثر لذا حاول العلماء المسلمين تحديد هوية إلياس عليه السلام، واختلفوا في ذلك فمنهم من جعله هو إدريس عليه السلام كما ذكره البخاري في صحيحه "يذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس"⁵، ومن المفسرين من اعتبره رسولا خاصا بالقوم الذي عبدوا بعل.

ونظرا للغموض الذي يلف قصة إلياس تفنّن القصاص في البحث عن سيرته ومعرفة هويته، فلجئوا إلى الاسرائيليات ليشفوا غليلهم، وزادوا وأنقصوا فيها الكثير وانتشرت الكثير من الروايات الواهية، وامتألت بها كتب المسلمين، وشاعت بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة في قصته، ما شوّه القصة القرآنية ذات المعاني السامية والأهداف النبيلة.

الفرع الثاني: إلياس عليه السلام في موجز الدائرة:

كتب مادة إلياس عليه السلام في الدائرة المستشرق (فنسك) ولم يرد اسم مترجمها، وجاءت في ثمانية أعمدة وعمود للمصادر، وألحق بها تعليق (محمد عرفة) على المادة ردا على بعض ما جاء في المادة من شبهات، لأنها تابعة للإصدار الأول من ترجمة الدائرة.

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج21، ص101

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص37

³ تفسير الشوكاني، مصدر سابق، ج4، ص470

⁴ تفسير الزمخشري، مصدر سابق، ج4، ص60.

⁵ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب نكر إدريس عليه السلام، ج4، ص135، رقم الحديث: 3341

بدأ فنسنت بذكر أن إلياس هو نفسه (يليا) المذكور في التوراة، على عادة المستشرقين في التأصيل لكل ما في القرآن من الكتاب المقدس، وهيئة لذهن القارئ الغربي واستحضار خلفيته الفكرية عن يليا لمقارنة معارفه عنه من التوراة بالقرآن الكريم.

ثم ذكر فنسنت أن إلياس ورد مرتين في القرآن الكريم: فقد جاء من غير تفصيل في سورة الأنعام، وبحكاية تاريخه في سورة الصافات "على النمط المؤلف في إيراد قصص الأنبياء جميعا في القرآن"¹، وهو تلميح إلى أسلوب القرآن الكريم في إيراد قصص الأنبياء موجزة ومتسلسلة تحمل في طياتها عبرة واحدة تظهر في تتكرر عباراتها في كل قصة من القصص المسرودة. هذا الأسلوب المتميز الذي يخالف طبيعة القصص في الكتاب المقدس، والتي هدفها التأريخ أكثر من استشفاف العبر والحكم.

ثم يضيف فنسنت "ولا بد أن يكون محمد ﷺ قد عرف عنه أكثر من ذلك نستنتج هذا من ورود كلمة (بعل)²"، وهي عبارة توحى باتهام النبي ﷺ باقتباس هذه المعلومات من مصدر خارجي لم يبينه، لأن العرب أيضا لم تكن تعلم بأمر هذا النبي، فالمعرفة التي يشير إليها فنسنت لا تكون مستمدة إلا من الكتاب المقدس، بالرغم من أن قصة إيليا في الكتاب المقدس لم يرد فيها هذا المصطلح، كما أن النبي ﷺ لم يكن يعرف عن نبي الله إلياس إلا ما أخبره به الله تعالى في هذه الآيات البينات وإلا لحفلت السنة النبوية بقصة إلياس عليه السلام لكننا لا نجد فيها ما يعيننا على معرفة قصته.

أما ما يدعيه فنسنت من أن ذلك كان سببا في وقوع الاختلاف بين المفسرين حول تحديد معنى كلمة (بعل) على أنها إله أو صنم سميت به مدينة بعلبك، أو امرأة عبدها بنو إسرائيل. فلا أساس له من الصحة، لأن الآية واضحة في أن قوم إلياس عليه السلام كان يعبدون إلهها من دون الله سواء كان صنما أو امرأة فكله شرك بالله تعالى، وبعث الله إلياس عليه السلام لهم ليثنيهم عن الكفر والضلال. وكل ما قاله المفسرون يؤكد على هذا المعنى، بقي فقط تحديد هذا الإله وذلك غير مهم بالنسبة للقصة القرآنية.

انتقل بعدها فنسنت للحديث عن الرسم القرآني لكلمة (ال ياسين) وقال: "ولقى المفسرون في تأويل هذا الاسم كثيرا من العناء ويتضح من سياق الآيات أنه رسم كذلك لضرورة السجع"³. وقد يعود رأي فنسنت هذا إلى توسع المفسرين في تفسير هذا الرسم القرآني ما أوحى له أنهم يجدون صعوبة في تفسير الكلمة، بل هذا التعدد نابع من تعدد قراءتهم للكلمة، وهذا كله من باب الأحرف السبعة،

¹ موجز الدائرة، ج4، ص 1161، ع1

² المصدر نفسه ج4، ص 1161، ع1

³ موجز الدائرة، ج4، ص 1161، ع1

كما يعلم أن اللغة العربية متشعبة الألفاظ، ومتداخلة المعاني، وقد تم ذكر توجيهات العلماء المسلمين لهذه القراءات، وكلها معاني مقبولة في اللغة، يقول الشوكاني " قيل: المراد على هذه القراءات كلها إلياس، وعليه وقع التسليم، ولكنه اسم أعجمي، والعرب تضطرب في هذه الأسماء الأعجمية، ويكثر تغييرهم لها. قال ابن جني: العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعبا، فياسين، وإلياس، وإلياسين شيء واحد"¹.

واختار الطبري قراءة إله ياسين: "لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبيا من أنبيائه صلوات الله عليهم في هذه السورة بأن عليه سلاما لا على آله، فكذلك السلام في هذا الموضع ينبغي أن يكون على إلياس كسلامه على غيره من أنبيائه، لا على آله"²

وإن في ذكر فنسك لقول واحد من بين جميع الأقوال التي فسرت هذا الرسم القرآني وهو ضرورة السجع لا يقوم عليه دليل، ولم يقل به العلماء، وهو ما جعل محمد عرفة يرفض مناقشة هذا القول أصلا. لأن مناقشة أن الآيات تخضع لضرورة السجع تفتح بابا واسعا للطعن في القرآن.

ثم ذكر فنسك الروايات التي جاءت في كتب التفسير وقصص الأنبياء عن إلياس واعتمد على روايتين هما رواية الطبري ورواية الثعلبي، اللتين تجعلانه كائنا نورانيا منزها عن الشهوات، إنسيا ملكيا، سماويا أرضيا. وجعل رواية الثعلبي أكثر تفصيلا لأنها تحوي بعض الأخبار عن معجزات إلياس مثل إحياءه لنبي الله يونس عليه السلام، وتحكمه بأمر الله في المطر سبع سنين، وشفائه لإلياس، وليس هناك ما يؤيد قوله في هذا.

وكلتا الروايتين ذات أصول إسرائيلية لأنها من رواية وهب بن منبه الذي اشتهر بنقل الاسرائيليات الواردة عن أهل الكتاب، فالقصة مبثوثة في كتابهم المقدس عن النبي إيليا، وبالرغم من أنه لا دليل من القرآن والسنة على مثل هذه الروايات، وبالرغم من الاطلاع الكبير لفنسنك على الأحاديث النبوية ومطابقتها الصحيحة والحسنة، وإدراكه لموقعها وقيمتها في التراث والفكر الإسلامي، إلا أنه اتبع منهج تجميع الروايات -الذي برع فيه - من غير النظر في صحتها وموثوقيتها، في ميل كبير لإثبات اقتباس قصة النبي إلياس عليه السلام من الكتاب المقدس، وهو ما تشهد به عباراته بعد ذلك.

كما أنه معلوم أن كل من الطبري والثعلبي اعتمدا منهج جمع الروايات المنتشرة في زمانهما، على أن الطبري كان يذكر السند وترك للناظر أن ينقدها ويتخير منها الصحيح وينفي الزائف الباطل، "وقد

¹ تفسير الشوكاني، مصدر سابق، ج4، ص470.

² تفسير الطبري، مصدر سابق، ج21، ص104.

جاء العلماء بعده فخرجوا رواياته واقتصروا منها على الصادق الصحيح¹ أما كتاب الثعلبي فليس من الكتب المعتمدة، بل أغلبه أحاديث قصاص تكثر فيه الأعاجيب والغرائب، يقول محمد عرفة في تعليقه على ما أورده الثعلبي "وأن قصص الأنبياء للثعلبي الذي كثيرا ما تنقل عنه دائرة المعارف من القسم الثاني (الكتب الغير معتمدة عند المسلمين)، وأنه يقرؤه العامة للتسلية وقطع الوقت، ولا يراه الخاصة من الكتب الصحيحة المعتمدة، التي محصت رواياتها واقتصر فيها على الصحيح"²

ويشير فنسك إلى قصة إياس آخر في القرآن الكريم لم يصرح باسمه في نظره، ولا صلة بينه وبين إياس النبي ولكنها تصل بينه وبين الخضر، وبالاعتماد على الأساطير اليهودية التي تذكر رحلة لإياس مع يوشع بن ليفي، كان فيها نفس أفعال العبد الصالح مع موسى يصل إلى أن: "التشابه بين القصتين عظيم حتى أنه لا يدع مجالا للشك في أن القصة الواردة في القرآن أصلها القصة اليهودية"³، ولأن مشكل المستشرقين بيتدا أساسا من عدم إيمانهم بالوحي الإلهي للنبي ﷺ، ورفضهم الإسلام دينا سماويا، فهم يعدون أي تشابه هو عملية اقتباس، ويعرضون عن فكرة أن المصدر واحد، والحقيقة واحدة، كما أن القرآن الكريم مصدق لما بيديه من التوراة والانجيل ومهيمن عليهما فيما تعرض للتحريف، لكن آراءهم وخلفياتهم تحكمهم في البحث والدراسة

ثم يدعم فنسك رأيه بقول البيضاوي أن: "الجمهور يرى في العبد الصالح أنه الخضر وقيل إيسع، وقيل إياس" ويعلق بقوله "وهذا الخلط بين إياس والخضر له خطره"⁴. ولم يبين ما هو الخطر القائم في هذا إلا إذا كان يعتبر الخضر هو إياس الثاني وليس إيليا، وما عرضه البيضاوي مجرد آراء اختلف فيها أهل التفسير لا يقوم عليها دليل صحيح ثابت.

ويستند فنسك على قصة التوراة في رفع إيليا إلى السماء، ما جعل المفسرين يعدونه خالدا كالخضر، ليقرر أن الخضر هو لقب لإيليا أي إياس، ويذكر رواية أخرى أن إياس والخضر توأمان من حيث رسالتهم بين الناس، فكلاهما شربا من عين الحياة، مثلما ورد في أسطورة الاسكندر ذو القرنين، وهو خبر يؤكد خلود إياس. كما فسّر اسمه أنه الآس وهو رمز الخلود. وفي الحقيقة لا يمكن قبول الأدلة

¹ موجز الدائرة، ج4، ص1166، ع1.

² المصدر نفسه ج4، ص1163

³ المصدر نفسه، ج4، ص1163

⁴ المصدر نفسه، ج4، ص1163

التي ذكرها فنسك لأنها تقوم على التوراة المحرفة، وعلى الأساطير، وهي أخبار لا يمكن الوثوق بها خاصة فيما يخص الأنبياء.

وبالرغم من أن فنسك كان المشرف على كتاب مفتاح كنوز السنة، ويدرك قيمة كتب الحديث إلا أنه اختار الأحاديث الموضوعية والروايات الغريبة ليستدل بها على آراءه، ما جعله يقع في التخبط نتيجة كثرة الروايات التي جمعها واستقصاها من المصادر الثانوية دون كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين، والتي يعلمها، فظهرت صورة النبي إلياس عليه السلام كشخصية أسطورية على خلاف صورتها في القرآن الكريم، ما يوحي بأن الإسلام دين خرافات وأساطير.

حيث أنه ينقل حديثاً زار فيه إلياس النبي ﷺ "وعاش إلياس والخضر حتى شهدا أول ما نزل الوحي على محمد، وعندها سألا الله أن يقبضهما إليه، ولكن محمد قال لهما: يا خضر عليك أن تعين أمي في البر، وأنت يا إلياس عليك أن تعينها في البحر والشائع هو أن الخضر سيد البحر وإلياس سيد البر"¹، وقد أورده الحاكم في مستدركه وعلق عليه الذهبي في التلخيص بقوله: "بل موضوع قبح الله من وضعه"²، كما أن البيهقي ذكره في دلائل النبوة وقال فيه: "إلا أن إسناد هذا الحديث ضعيف بالمرّة"³، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات⁴. ويقول ابن كثير عن هذا الحديث "ولم ينقل في حديث حسن بل ولا ضعيف يعتمد، أنه جاء يوماً واحداً إلى رسول الله ﷺ ولا اجتمع به وما ذكر من حديث التغيرية فيه وإن كان الحاكم قد رواه بإسناده ضعيف والله أعلم"⁵.

وإن في اعتماد فنسك على الشائع من أقوال الناس ابتعاد عن المنهجية الموضوعية في البحث العلمي ومزيد تخبط. وكأن هدفه من كتابة هذه المادة هو ملمة كل ما كتب عن إلياس في المصادر الإسلامية من غير تمحيص لها، وهو المعروف بالدقة والعمق، ما جعل القارئ يعيش معه هذا التخبط.

¹ المصدر السابق، ج4، ص1164

² رواه الحاكم في المستدرک، کتاب المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ومن کتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة، ج4، ص34 رقم الحديث: 4231

³ ينظر: أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة، تح: عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1405هـ، ج5، ص422-423

⁴ عبد الرحمان ابن الجوزي، الموضوعات، تح: عبد الرحمان محمد عثمان، المكتبة السلفية - المدينة المنورة، ط1، 1966م، ج1، ص194.

⁵ ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج1، ص299.

ثم يضيف قائلاً: "وهما يصومان رمضان من كل سنة في بيت المقدس، ثم يحجان إلى مكة، دون أن يعرفهما إلا من شاء الله له ذلك، وطعامهما الكرفس والكمأة، وبعد الحج يأخذ كل منهما من شعر الآخر، ثم يفترقان وكل منهما يثني على صاحبه"¹

وقد ذكر ابن كثير هذا الأثر عن ابن عباس ثم قال: "قال الدارقطني في الأفراد هذا حديث غريب من حديث ابن جريج لم يحدث به غير هذا الشيخ عنه يعني الحسن بن زريق هذا وقد روى عنه محمد بن كثير العبدي أيضا ومع هذا قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدي ليس بالمعروف وقال الحافظ أبو جعفر العجلي مجهول وحديثه غير محفوظ وقال أبو الحسن بن المنادي هو حديث واه بالحسن بن زريق وقد روى ابن عساكر نحوه من طريق علي بن الحسن الجهضمي وهو كذاب"². كما ذكر مثل هذا القول ابن حجر في المطالب العالية³ عن أنس ابن مالك وقال ضعيف جدا.

ثم ذكر فنسك أن كل من يقول (سرق، حرق، غرق) ثلاث مرات في الصباح والمساء، يكون بمنجاة من الشيطان والثعابين والعقارب، ويلتقي الخضر وإلياس كل مساء عند سور ذي القرنين وهناك بطيران في الهواء⁴. وهو قول مذكور أيضا في مادة الخضر، وقد أورده الإمام ابن الجوزي في كتابه الموضوعات "عن ابن عباس قال: ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبي ﷺ قال: "يلتقي الخضر وإلياس عليهما السلام كل عام فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويتفرقان عن هذه الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله" قال ابن عباس من قالها حين يصبح وحين يمسي كل يوم وليلة ثلاث مرات عوفي من الغرق والحرق والسرق وأحسبه قال: ومن الشيطان والسلطان ومن الحية والعقرب حتى يصبح ويمسي⁵. فالوارد قول هذا الدعاء الموضوع وليس ذكر الكلمات التي قالها فنسك: (سرق، حرق، غرق) لأنه كما رد عليه محمد عرفة "فهذا لا أصل له عند المسلمين، وإن

¹ موجز الدائرة، ج4، ص1164، ع1

² ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج1، ص334

³ أحمد شهاب الدين بن حجر العسقلاني، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تح: سعد بن ناصر الشثري،

دار العاصمة، دار الغيث 8 السعودية، ط1، 1419هـ، ج14، ص278، رقم الحديث: 3463

⁴ موجز الدائرة، ج4، ص1164.

⁵ ابن الجوزي، الموضوعات، ج1، ص195.

عقلائهم لا يعتقدونه ولا يتعلقون بمثل هذه الوهميات، ولعلمهم رأوها في تلك الكتب العامة، أو تلقفوها من ألسنة العوام"¹، فالتأويل المتعسف لهذا الدعاء خرج به عن المنطق والمألوف.

وفي هذا يقول ابن كثير: "وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدا لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد، وقصارها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم"².

وكل هذه الروايات تزعم أن إلياس والخضر خالدين، ولو كان ذلك صحيحا لثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة، ولم يخفى علينا أمره لأنه من الأمور الغريبة، وقد جاء في الصحيح عن أبو بكر النقاش أن محمد بن إسماعيل البخاري سئل عن الخضر وإلياس هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي ﷺ: "لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو على ظهر الارض أحد"³.

ويعود فنسنتك إلى الاستناد على الأساطير اليهودية في كون الخضر يحوم في الهواء ويساعد الناس في كل مكان، وغريب منه إدخال التصورات اليهودية في عرض قصة الخضر الذي يجعله إلياس آخر في نظره، وليس ذلك من المنهجية في دوائر المعارف، ويعقب على ذلك بأن إلياس أيضا هو نفسه هو القديس جرجس، مثله في ذلك مثل الخضر، لأن القديس جرجس يعد حارسا للناس أيضا. والغريب أن هذه الفكرة قد تكون منتشرة في المسيحية ولا علاقة لها بالإسلام ولا يقول بها المسلمون فما الداعي لذكرها هنا.

وختم فنسنتك المادة بأن هناك من المسلمين من يرى أن إلياس هو نفسه إدريس، أما بالنسبة لنسبه فيذكر أن له أنساب متعددة أجمعت أن إلياس هو إدريس، ويحاول البحث في نسبه واسم والده، وكلها افتراضات لا دليل عليها ولا حاجة لها.

وقصة إلياس عليه السلام في موجز الدائرة تكثر فيها الروايات الإسرائيلية والأحاديث الموضوعية والضعيفة، وجاءت مثقلة بالافتراضات والتأويلات المتعسفة الخاضعة لخلفية الكاتب، ما أنشأ صورة

¹ موجز الدائرة، ج4، ص1166.

² ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج1، ص334

³ محمد بن درويش، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، دار الكتب العلمية، د ط، دت ط، ص355

خاطئة عن هذا النبي الكريم بدل الصورة الناصعة له في القرآن الكريم الذي لم يرد في خبره شيء يستأنس به غير أوصافه الكريمة، ما يوجب على المسلم التوقف عند ذلك.

المطلب الرابع: قصة ذو الكفل عليه السلام

الفرع الأول: ذو الكفل في القرآن الكريم والسنة الصحيحة

ورد ذكر اسم ذو الكفل في القرآن الكريم في آيتين اثنتين، في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^١ الأنبياء: ٨٥، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ ص: ٤٨.

وكلتا الآيتين جاءتا في معرض المدح لأنبياء الله تعالى، فبني الله ذو الكفل وُصِفَ بأنه من الصابرين وأنه من الأخيار.

ولم يرد عن أخباره غير ذكر اسمه في القرآن الكريم أو في السنة النبوية، أما كتب التفسير والتاريخ فقد حفلت بعدة روايات في سبب تسميته ذي الكفل، لكن لا يمكن الاعتماد عليها في تبين سيرة ذي الكفل، حتى أن علماء الإسلام اختلفوا في كونه نبي من الأنبياء، أو أنه رجل صالح، وأغلب الجمهور على أنه نبي، وقد بين الامام الرازي أوجه ترجيح كونه نبيا بقوله: "أحدها: أنّ ذا الكفل يحتمل أن يكون لقباً وأن يكون اسماً، والأقرب أن يكون مفيداً، لأنّ الاسم إذا أمكن حمله على ما يفيد فهو أولى من اللقب. إذا ثبت هذا فنقول الكفل هو النصيب والظاهر أنّ الله تعالى إنّما سماه بذلك على سبيل التعظيم، وثانيها: أنّه تعالى قرن ذكره بذكر إسماعيل وإدريس، والغرض ذكر الفضلاء من عباده ليتأسى بهم وذلك يدلّ على نبوته. وثالثها: أنّ السّورة ملقبة بسورة الأنبياء فكل من ذكره الله تعالى فيها فهو نبي"¹.

وذكر الطبري القولين وتوقف في ذلك ولم يرجح أحدهما حيث قال: "وبذي الكفل رجلا تكفل من بعض الناس، إما من نبيّ وإما من ملك من صالحي الملوك بعمل من الأعمال، فقام به من

¹ تفسير الرازي، مصدر سابق، ج22، ص177

بعده، فأثنى الله عليه بحسن وفائه بما تكفل به، وجعله من المعدودين في عبادته، مع من حمد صبره على طاعة الله¹.

وذكر الطبري عن مجاهد أن هذا النبي هو إيسع²، وجعله الخازن في قصة الذين خرجوا أوفاثم أحياهم الله تعالى³. وكذا أورد البغوي عن الحسن ومقاتل: "وسمي حزقيلا لأنه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل، فلما مر حزقيلا على أولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجبا فأوحى الله تعالى إليه تريد أن أريك آية؟ قال نعم: فأحياهم الله وقيل: دعا حزقيلا ربه أن يحييهم فأحياهم"⁴ وقال ابن عاشور: "أما ذو الكفل فهو نبيء اختُلف في تعيينه، فقيل هو إلياس المستسى في كتب اليهود (إيليا). وقيل: هو خليفة يسع في نبوءة بني إسرائيل. والظاهر أنه (عُوبديا) الذي له كتاب من كتب أنبياء اليهود وهو الكتاب الرابع من الكتب الاثني عشر وتعرف بكتب الأنبياء الصغار"⁵.

ولم يرد في الأحاديث الصحيحة شيء عن حياة نبي الله ذي الكفل، وما ورد في ذلك هو من باب الاسرائيليات ولم يصححها العلماء والمحدثون، وقد جاء في سنن الترمذي عن ابن عمر: قال سمعت النبي ﷺ يحدث حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عدَّ سبع مرات ولكني سمعته أكثر من ذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأثته امرأة فأعطاهما ستين دينارا على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته، أرعدت وبكت، فقال: ما يبكيك أكرهتك؟ قالت: لا، ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته؟ اذهبي فهي لك، وقال: لا والله لا أعصي الله بعدها أبدا، فمات من ليلته، فأصبح مكتوبا على بابه إن الله قد غفر للكفل"⁶. وقد قال ابن كثير عقب حكايته

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج18، ص507

² شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تح: احمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، 1964، ج11، ص328

³ ينظر: تفسير الخازن، مصدر سابق، ج1، ص176

⁴ محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل (تفسير البغوي)، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر، ط4، 1997م، ج1، ص293

⁵ تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج17، ص129.

⁶ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ج4، ص239، رقم الحديث: 2496

تحسين الترمذي إياه: "فهو حديث غريب جداً، وفي إسناده نظر؛ فإن سعداً هذا؛ قال أبو حاتم: "لا أعرفه إلا بحديث واحد"، ووثقه ابن حبان، ولم يرو عنه سوى عبد الله بن عبدالله الرازي، فالله أعلم، وإن كان محفوظاً فليس هو (ذا الكفل)، وإنما لفظ الحديث (الكفل) من غير إضافة، فهو رجل آخر، غير المذكور في القرآن. والله أعلم"¹

وأورد الحاكم خيراً عن وهب بن منبه أنه بشر بن أيوب رضي الله عنه و سماه ذا الكفل و أمره بالدعاء إلى توحيده. وقد علق عليه الذهبي في التلخيص بقوله: في إسناده عبد المنعم بن إدريس وقد كذب².
فالحاصل أنها كلها أخبار ومرويات لا دليل عليها، ولا يمكن التكهن بسيرة ذي الكفل ولا دليل على ذلك.

الفرع الثاني: ذو الكفل في موجز الدائرة

كتب مادة ذو الكفل رضي الله عنه في موجز الدائرة المستشرق جولدتسيهر، وترجمها خورشيد، وجاءت في حوالي سبع أعمدة ونصف مع ثلاث أعمدة للمصادر خصص بعضها للقصة وبعضها لبحث مكان قبره.

ابتدأ جولدتزيهر تعريف ذو الكفل بحسب ما ورد في القرآن الكريم، بإهمامه وعدم تحديد هويته، بقوله: "شخص ذكره القرآن (سورة الأنبياء الآية 85، سورة ص، الآية 48) في كلامه عن طائفة من الأنبياء يحيط بحقيقة أشخاصهم غموض وشك"³، والأنبياء الذي جاء ذكرهم في هذه الآيات هم: إسماعيل وإدريس وذو الكفل وإليسع، وقد رد عليه مهدي علام في هامش المادة بقوله: "ليس ثمة غموض أو شك في غير ذي الكفل، ومع ذلك فقد ذكر كثير من المفسرين أن ذا الكفل هو حزقييل، وقد ذكر نيبور الرحالة أن العرب تسمي حزقييل كفل (انظر: Nieubur: Travels, ii)"⁴، ولقد ذكرنا اختلاف المفسرين والمؤرخين في تحديد شخصية ذي الكفل، وتخصيصه بحزقييل لا يقوم له دليل.

¹ ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج1، ص226-227

² أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والرسل، باب ذكر أيوب بن أموص، ج2، ص636. رقم الحديث: 4118.

³ موجز الدائرة، ج16، ص4997، ع2

⁴ المصدر نفسه، ج16، ص4997، ع2

كما أن الشك الذي أشار إليه جولدزيهر لا أساس له، فقلة الأخبار عن هؤلاء الأنبياء لا تعني الشك فيهم، فالمسلمون يؤمنون بكل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم من غير تفریق بينهم، ولا يمنعهم عدم بيان قصصهم في القرآن من الإيمان بهم.

ويضيف جولدزيهر: "وليس لدى مفسري المسلمين عن ذي الكفل إلا فكرة مبهمة أشد الإبهام، ومعظم الأشخاص الذين قالوا إنهم ذو الكفل نفسه ورد ذكرهم في التوراة مثل يوشع، أليسع وزكريا أو حزقيل¹، وكأنه يشير إلى محاولة المسلمين الاقتباس من التوراة بجعل أحد أنبياء بني إسرائيل تفسيرا لاسم ذي الكفل.

ثم ينقل قول البيهقي من غير نسبه "وذو الكفل اسم النبي الذي يسمى باسمين مثله في ذلك مثل أربعة أنبياء آخرين هم يعقوب، ويقال له إسرائيل، ويونس ويقال له ذو النون، وعيسى ويقال له المسيح، ومحمد ﷺ ويقال له أحمد"، وهذا لم يرد له دليل من الكتاب أو السنة. وهو مجرد قول للبيهقي لا يجب عليه أن يورده من باب التقرير وكأنه رأي ثابت عن المسلمين.

عرض بعدها جولدزيهر لرواية ابن إياس في كتابه بدائع الزهور، التي ذكر فيها أنه بشر بن أيوب ووقع في الأسر ورفض اخوته افتدائه، فرماه الملك في المحرقة، ولكن الله وقاه كما وقى إبراهيم، فأمنوا له واتبعوا دينه، ويعلق عليها بقوله: فقصة فريدة قائمة بذاتها". ومن الغريب إدراج مثل هذه الرواية في دائرة معارف هدفها إعطاء لمحة خاطفة عن هذه الشخصية بالرغم من أن هذه الرواية لم ترد إلا عند ابن إياس، وهو كتاب غير مشهور عند المسلمين، وليس معتمدا عندهم وتناقلت مصادر المسلمين روايات أخرى لم يأت عليها بالذكر، وإن كانت أخبارا ضعيفة، وركز على هذه الرواية الشاذة، وهو من أليات المنهج الاستشراقي.

ويوجد كتابين تحت عنوان بدائع الزهور في وقائع الدهور، أحدهما لابن إياس الحنفي وتحقيق محمد مصطفى الطبعة العربية، والآخر لجلال الدين السيوطي، وكتاب ابن إياس تعرض فيه لتاريخ مصر من البداية إلى 1522م. أما كتاب السيوطي فتعرض فيه لبدء الخليقة وقصص الأنبياء، وفيه من الغرائب والعجائب الكثير، لهذا حذر منه العلماء. ومنه أخذ جولدزيهر هذه الرواية، وقد طبع هذا

¹ المصدر السابق، ج16، ص4997، ع2

الكتاب تحت عنوان مختصر بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي، وقد وقع خلط في نسبة الكتاب، فكتاب السيوطي هو الذي اهتم بذكر قصص الأنبياء وهو غير محقق.

وأقر جولدزيهر بأن كتب الصحاح لم ترد فيها الإشارة إلى ذكر ذو الكفل، لعدم اهتمام نقدة الحديث بالقصص التي تروى عنه، ما دعا القصاص إلى البحث في سبب تسميته وعلاقتها بكلمة كفل، ثم عرض لاختلافاتهم في معنى الاسم ومنه تعدد رواياتهم، التي استخرجها من بطون التفاسير وصنفها على حسب معنى الكفل فجعلها:

- المعنى الأول: الكفل بمعنى العهد والضمان ومنه جاءت قصته مع إيسع وتكفله له بصوم النهار وقيام الليل، وعدم الغضب، ووفاءه بذلك، وجاءت قصة العهد الذي أعطاه بشر للملك الوثني، والذي قيل كان عهداً لدخول الجنة وقيل كان ضماناً لدفع فدية لأم.
- المعنى الثاني الكفل بمعنى الضعف وذكر أن الكفل نال مضاعفة الجزاء من الله نتيجة مضاعفته للأعمال الصالحة.
- المعنى الثالث والذي يتصل بفعل (تكفل): حيث تكفل ب70 أو 100 من بني إسرائيل أو الأنبياء اضطهدهم ملك جبار.
- المعنى الرابع: الكفل بمعنى الحلة وهي عباءة سمكها مضاعف، وقد كان النبي ﷺ يرتدي عباءة من هذا القبيل. وحاول البعض الربط بينه وبين ما جاء في سفر الملوك الثاني، 2: 8 (وأخذ إيليا رداءه ولفّه وضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك، فعبرا كلاهما في اليبس)

كما أورد جولدزيهر قصة ابن الأثير عن ولي آخر يحمل الاسم نفسه، في إشارة إلى الحديث الذي أورده الإمام الترمذي، وذكر أن الثعلبي ربط قصته بالنبي ذي الكفل، وهو خطأ من الثعلبي، قال ابن الجوزي: "فجعله الثعلبي أحد الوجوه في بيان ذي الكفل وهذا غلط لأن ذلك اسمه الكفل والمذكور في القرآن يقال له (ذو الكفل) ولأن الكفل مات في ليلته التي تاب فيها فلم يمض عليه زمان طويل يعالج فيه الصبر عن الخطايا، وإذا قلنا إنه نبي فإن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال وذكرت هذا

لشيخنا أبي الفضل بن ناصر رحمه الله تعالى فوافقني وقال ليس هذا بذاك¹. وبهذا يظهر أن الثعلبي قد وهم أن القصة لنبي الله ذي الكفل، لكنها لرجل من بني إسرائيل.

والملاحظ أن ابن الأثير الذي استند عليه جولدزيهر في ايراد رواية الكفل من بني إسرائيل، يذكر في كتابه المرصع، المصدر الذي اعتمد عليه جولدزيهر "ذو الكفل: هو اسم نبي من الأنبياء جاء ذكره في القرآن، وهو أيضا اسم رجل من بني إسرائيل كان لا ينزع عن ذنب ثم إنه تاب وقال: لا أعصي الله أبدا فمات من ليلته، فرئي على باب داره مكتوبا إن الله قد غفر لذي الكفل"². أما جولدزيهر فقد قال: كان هذا الولي في أول أمره من الخاطئين. فقد استغل حاجة امرأة فاضلة وأغراها بالإثم، غير أنه استعصم بالرغم من تسليمها في الظاهر له، وعاد إلى العفة والصلاح³، فقصة المرأة ووقوعه في الفاحشة لم ترد عند ابن الأثير، فيلاحظ أن جولدزيهر اعتمد على ما جاء في رواية الحديث الذي أخرجه الترمذي والامام أحمد، لكنه نسبها إلى مصدر غير مشهور من كتب المسلمين، وكأنه تعنت منه في الرجوع إلى المصادر الأصلية والنقل عنها.

وأكمل جولدزيهر السير وراء ما افترضه وأقره من غير تحييصه وتبين رأي العلماء المسلمين فيه بالرغم من أن أغلبهم أشار إلى الاختلاف بين الشخصيتين الواردة في القرآن الكريم والتي وردت في الحديث، فقد أشار إلى أن الله ضاعف أجره استنادا إلى المذهب القائل بأن الثائب عند الله أحسن من العابد واستقى هذه العبارات من التلمود البابلي. وبالعودة الى الحديث ورد أن الله غفر له، وليس ضاعف له الأجر وإن كان هذا غير محال على الله تعالى، لكن ما الداعي الذي جعل جولدزيهر يحاول التعسف في تفسير الآراء وعرضها. ثم يعلق على هذه القصة بقوله "وهذا الطراز من الرجال يتردد في كثير من الأحيان بهذه الصورة الأخلاقية في قصص المشرق التي قصد بها إلى التهذيب والإرشاد، مثل القصة اليهودية ناتان ده صوصيثا، وتزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق لداوود الانطاكي... وقصة سندبان"⁴، واستعماله لعبارة (يتردد في كثير من الأحيان) مبالغة وتعميم لا يشهد لها الواقع، فليس كل

¹ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422 هـ، ج3، ص208.

² مجد الدين ابن الأثير، المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات، تح: إبراهيم السامرائي، دار الجيل - بيروت، دار عمار - عمان، ط1، 1994، ص240.

³ موجز الدائرة، ج16، ص4999، ع1.

⁴ المصدر نفسه، ج16، ص5000.

قصص الصالحين كانت بهذه الصورة الأخلاقية التي يعرض لها، وأنهم كانوا خاطئين ثم تابوا إلى الله. وتخصيصه بالمشرك فيه إيجاء إلى فكرة التقديس المنتشرة في المشرق، لسداجة العقل المشرقي وإيمانه بالغيب والمجهول وتأثره بالتقاليد والعادات، من دون الحاجة للبحث في حقائق الأمور. وهي فكرة صنعتها العقلية الغربية في صورة من صور تفوقها وتعاليلها على الشرق، وصدقها أتباعها.

وختم جولدزيهر المادة بالبحث في تحديد قبر ذو الكفل، وفي العموم مادام لم ترد رواية صحيحة تتحدث عن سيرة ذي الكفل لا يمكن تحديد مكانه ولا قبره.

وقد عرض جولدزيهر للروايات الإسلامية التي ذكرت هذه الأماكن عن قبر ذي الكفل، ويمكن ملاحظة الميل اليهودي عند جولدزيهر عند حديثه عن هذه الأماكن، من خلال العبارات التي يستخدمها في الحديث عن مكانة هذا القبر عند اليهود بالرغم من أن الدائرة خاصة بالمعارف الإسلامية وليست في باب تمجيد اليهود وعرض أفكارهم، فهو يحاول التأكيد على أن القبر الذي يقول المسلمون بأنه لذي الكفل هو نفسه لنبي بني إسرائيل حزقييل، مثل قوله "ويشار في هذه النواحي إلى قبور كثير من الأولياء يجلبهم الناس، وكان اليهود بلا شك أول من قدسهم" ويحيل إلى ياقوت الحموي الذي قال: "وفيها أيضا قبر حزقييل المعروف بذي الكفل يقصده اليهود من البلاد الشاسعة للزيارة"¹، كما أحال على دائرة المعارف اليهودية، وكتاب الرحالة الريحنسيرجي، للتعرف على مكانة هذا القبر عند اليهود، ليصل في النهاية إلى غايته في استعادة هذا القبر كحق لليهود حيث يقول: "أن المسلمون سيطروا على هذا المكان وأدخلوه ضمن نطاق حرمتهم ووصلوه بشخص ذي الكفل، ثم ساق قصة نقيب الأشراف تاج الدين الذي حاول أن يمنع اليهود من زيارة هذا الحرم الذي شيده، وأخرجه من نطاق سيادتهم الدينية بوصفه مزارا للمسلمين فحسب، فاتخذ منافسه الوزير رشيد الدين ذلك ذريعة إلى إسقاط غريمه والتسبب في قتله"².

إن هذه عبارات يمكن أن يستشف منها القارئ مدى الحقد الكامن في صدر جولدزيهر على الإسلام والمسلمين، وتأثير خلفيته الدينية ونزعتيه اليهودية في عرض أفكاره وانتهازه الفرص لإبداء موافقه ضد الإسلام، فمادة ذو الكفل من أكثر المواد التي خصصت جانبا كبيرا للحديث عن قبره، والذي

¹ الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص403.

² موجز الدائرة، ص5001، ع1

ليس فيه أي دليل ثابت، وما يشهد له به في هذه المادة تصنيفه للروايات الواردة في قصة ذي الكفل حسب معاني كلمة كفل، كما أن مادة ذو الكفل حاول فيها جولدزيهر لملمة الأخبار والروايات الضعيفة من المصادر التاريخية والشاذة.

وفي ختام هذا المبحث الذي تناول قصص أنبياء الله أيوب، يونس، إلياس، ذو الكفل عليهم السلام، يظهر شغف المستشرقين بجمع الروايات الغريبة والعجيبة للإيجاء بأن الإسلام دين أسطوري يعتمد الخرافات، خاصة في القصص التي لا تفصيل فيها في القرآن الكريم والسنة، كما ظهر انتقائهم للمصادر التي ينقلون منها، وأغلبها مردود في الإسلام، أو غير مشهور، أو كثير الروايات الضعيفة في غير تمحيص. وهو خلل منهجي كبير يدخل في إطار المنهج الانتقائي للقضايا والمصادر والأدلة.

ويلاحظ في أغلب القصص غياب الحديث عن جانب الدعوة والإيمان وتركيز على جانب البحث في القبور، في اهتمام زائد بالتفاصيل المادية والتاريخية على حساب الحكم والروحانيات.

المبحث الرابع: قصص إبراهيم ولوط وإسماعيل واسحاق عليهم السلام

يعد إبراهيم عليه السلام أبا الأنبياء في الأديان السماوية، وتعد قصته من أحسن القصص في القرآن الكريم، يظهر فيها ثباته على الإيمان وإخلاصه لله تعالى، وصبره على الابتلاء، فكان أمة وحده، وآمن به لوط عليه السلام، الذي عانى من قومه الأُمّرين فقد انتشرت فيهم الفاحشة وأصروا على الرذائل، فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، ووهب الله خليله إبراهيم وإسماعيل واسحاق وجعلهما من الأنبياء الصالحين، وقد احتلت قصصهم جزءا كبيرا من تراث القصص الإسلامي، لما فيها من عبر وحكم، ولورودها عند أهل الكتاب، فكيف تناول موجز الدائرة قصص هؤلاء الأنبياء؟ وماهي أهم الأفكار التي ركز عليها؟

المطلب الأول: قصة إبراهيم عليه السلام

الفرع الأول: إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام في عدة مواضع من القرآن الكريم، وسميت باسمه سورة كاملة، وعرضت قصته على شكل مشاهد متفرقة في عدة سور، غاب فيها الحديث عن ميلاده، بل تم التركيز على الأحداث الجلييلة في حياته، والابتلاءات العظيمة في دعوته، ليحسن المسلمين استخلاص العبرة منها.

1. دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه

وبدأ إبراهيم عليه السلام طريق الدعوة بأقرب الناس إليه وهو والده الذي كان مشركا، وكان ابتلاءً شديدا على نبي الله حرص فيه على الأخذ بيد والده إلى طريق الحق، واستعمل فيه الأسلوب الراقي في محاورة والده، أساسه الحكمة والموعظة الحسنة في جدال أبيه وبيان بطلان عبادته للأصنام، التي لا تنفع ولا تضر، وخوفه الشديد أن يتولاه الشيطان وتكون عاقبته العذاب الأليم، لكن والده تعنت وأصرّ على الضلال وهدّده بالقتل، وقد سجّل القرآن الكريم هذه المحاورة لتكون نبراسا للدعاة في مسيرتهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۗ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۗ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۗ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۗ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ۗ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَا سْتَعْفُرَكَ رَبِّي ۗ

إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٥٧﴾ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٥٨﴾
فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْجُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٥٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا
وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ﴿٦٠﴾ مريم: ٤١ - ٥٠

ووعده إبراهيم عليه السلام أباه أن يستغفر الله له، طمعا منه في إيمانه، فلما تبين له إصراره على الشرك تبرأ منه في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيسَاءً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ التوبة: ١١٤.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر فترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأبي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجلك؟ فينظر فإذا هو بذئخ متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار" ¹ والذئخ هو ذكر الضبع الكثير الشعر، وهذه الحال التي يدخلها أبو إبراهيم عليه السلام إلى النار.

2. دعوة إبراهيم لقومه

من المواقف التي ركز عليها القرآن الكريم في سرد قصة إبراهيم عليه السلام بيان مهمته في تبليغ الرسالة ودعوة قومه، بتنوع الأساليب والأدلة على وجود الله لكن قومه الذين يعبدون الكواكب أصروا على تقليد آباءهم والبقاء على منهج الكفر. وسلك معهم رسول الله طريق العقل والمنطق ليكشف لهم سداجة تفكيرهم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه آزرَ اتَّخَذُ أَحْسَنَ مَاءِ الهَةِ إِيَّكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَاتِ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٨٠﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨١﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخُذُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٢﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ

¹ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا، ج4، ص139، رقم الحديث:

أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَاقْتُلُوا الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٤﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ
نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٥﴾ الأنعام: ٧٤ - ٨٣

وأغلب المفسرين على أن المقام هنا هو مقام مناظرة لقومه، ليبين لهم بطلان عبادتهم، ويكشف لهم طريق الحق باستخدام النظر العقلي والتفكير في ملكوت السموات، قال ابن كثير: "والحق أن إبراهيم عليه السلام، كان في هذا المقام مناظرا لقومه، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صورة الملائكة السماوية، ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه. وبيّن في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل"¹.

كما تعرض الآيات القرآنية محاورة أخرى مع إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه الذين اتخذوا الأصنام أندادا لله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَافِيَةً ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٦٤﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٦٨﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٠﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧١﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٧٤﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّيقِي بِالصِّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٧٧﴾ وَأَغْفِرْ لِي إِنِّي رَاكِعٌ وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٨﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٠﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨١﴾﴾ الشعراء: ٦٩ - ٨٩.

ويحاول إبراهيم عليه السلام باستخدام أسلوب المقابلة أن يكشف عجز الآلهة التي يعبدها قومه، في حين يعرفهم بالله الذي يتعالى بصفاته، ويكشف لهم الحقيقة الكامنة في أنفسهم، والتي منعهم من الإقرار بما تقلدهم لأبائهم، وإصرارهم على الكفر.

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج 3، ص 293

وفي سورة العنكبوت استعمل معهم إبراهيم عليه السلام أسلوب الاستدلال الحسي في الكون حتى تفتح أبصارهم وقلوبهم للحق، ويدعوا له، وذكرهم بالمواضيع الأساسية في حياتهم (الرزق، الخلق، الآخرة) وربط بينها حتى يبين لهم عجزهم في هذه الدنيا. قال تعالى: ﴿وإبراهيم إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ كَافِرُونَ﴾ وَأَنْتُمْ كَافِرُونَ ۖ وَإِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا شَدِيدًا يَوْمَ يُنْفَخُ السَّمَاءُ كَمَا يَسْخَرُ السَّيْلُ مِمَّا يُبْنَىٰ عَلَيَّهَا فَمَا يُهْلِكُ إِلَّا الْيَاسِينَ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ العنكبوت: ١٦ - ٢٢

ومن المواقف التي ذكرها القرآن الكريم في محطات دعوة إبراهيم عليه السلام حاجته للملك، في قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَرَىٰ إِلَىٰ الذِّكْرِ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٢٥٨

واستدل فيها إبراهيم عليه السلام، على وحدانية الله تعالى، فهو القادر على الإحياء والإماتة، وهو القادر على تسيير شؤون الكون، ووقف أمام الملك الكافر، يحاجج ويدلل، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يثنى أبداً، هذه شخصية إبراهيم عليه السلام كما يعرضها القرآن الكريم قوية، ذكية، مصرة على اظهار الحق، هادئة محاورة، لا تستسلم حتى تبلغ مرادها.

وبعد المحاورات والجدال الذي خاضه مع قومه كان لابد أن يوضح لهم ترف عقولهم وسخافة تفكيرهم، ومخادعتهم لأنفسهم، بأن يحطم الحجة التي تحول بينهم وبين الإيمان وهي هذه الأصنام، ويكشف زيف تصوراتهم. وبعد أن تبرأ من عبادة قومه لها، أعلن في ثقة نيته بالنيل من هذه الأصنام. فحطمها إلا كبيرهم، قال تعالى: ﴿*وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الصَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا وَجَدْنَا نَاءَ آبَاءِنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٦﴾ قَالُوا اجْعَلْنَا مِثْلَهُ لَاحِقٍ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْرٍ مِّن

الشَّاهِدِينَ ﴿٥١﴾ وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٣﴾ ﴿ الأنبياء: ٥١ - ٥٨

ولما كان موقف إبراهيم من عبادة قومه للأصنام واضحا وصریحا، أقسم ليكيدين أصنامهم، فأعلم قومه بأنه سقيم حتى لا يخرج معهم ويكسر أصنامهم قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ * وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿٥٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٥٥﴾ أَيِفْكَاءُ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾ فَتَنَزَّرْنَا نَظْرَةً فِي التُّجُومِ ﴿٥٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِ فَهَمَّ بِمَا لَمْ يَكُنْ يَكُونُ ﴿٦١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْظُرُونَ ﴿٦٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٦٣﴾ ﴿ الصفات: ٨٣ - ٩٣

وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله (إني سقيم) . وقوله (بل فعله كبيرهم هذا)...¹، قال الإمام ابن كثير: "فقال لهم كلاما هو حق في نفس الأمر، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه... ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله، حاشا وكلا وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزا، وإنما هو من المعارض في الكلام لمقصد شرعي ديني"، والتعريض أن تتحدث كلاما تريد به شيئا، ويفهم منه السامع شيئا آخر، و التعريض يغني عن الكذب، فإبراهيم كان يقصد أنه الحزن والغم والهَم، ففهموا منه سقم الجسم والبدن، فتركوه"². وقوله (بل فعله كبيرهم هذا): "إنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم، لأنه جماد"³.

لهذا قام إبراهيم بكسر الأصنام وجعل الأداة التي حطّم بها في كبير الأصنام، فجاء بعده القوم يستفسرون ويتوعدون ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْهَيْتَانِ إِنَّهُ وَلِمَنِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدْعُكُمْ بِالْقَوْلِ إِبْرَاهِيمُ ﴿٥٥﴾ قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ آعِينَ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا يَا أَبَتِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٧﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٥٨﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٩﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦١﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴿ الأنبياء: ٥٩ - ٦٧

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا، ج4، ص 141، رقم

الحديث: 3971

² صلاح الخالدي، مرجع سابق، ج1، ص346

³ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص349.

قتلته، فأرسل ثم قام إليها، فقامت توضأً تصلي، وتقول: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط عليّ هذا الكافر، فغط حتى ركض برجله"، قال عبد الرحمن، قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: "فقلت: اللهم إن يمت فيقال هي قتلته، فأرسل في الثانية، أو في الثالثة، فقال: والله ما أرسلتم إليّ إلا شيطاناً، ارجعوا إلى إبراهيم، وأعطوها أجر فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام، فقلت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة" ¹. وجاء هذا الحديث في باب كذبات إبراهيم عليه السلام وذلك في قوله لزوجته سارة هي: أختي، وقد فسره العلماء أنه من باب المعارض أيضاً، فقد كان يقصد أمها أخته في الدين، وليس أخوة النسب على ما فهمه الملك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۚ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُهَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ الأنبياء: ٧١ - ٧٣. وفيها وهبه الله إسحاق ويعقوب نافلة، قال الإمام القرطبي: "أي زيادة، لأنه دعا في إسحاق، وزيد يعقوب من غير دعاء، فكان ذلك نافلة، أي زيادة على ما سأل" ²، وأورثهم النبوة والكتاب، وكانوا أئمة الخير.

وقد جاءت البشرية بإسحاق عليه السلام في عدة مواضع من القرآن الكريم وارتبطت بقصة لوط عليه السلام، فإن رسل الله التي جاءت بالعذاب لقوم لوط، هي نفسها التي حملت البشارة بإسحاق عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٧١﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَمَخَضْ وَنَا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٢﴾ وَأَمْرَانَهُ وَقَابِلَةً فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿٧٣﴾ قَالَتْ يَتُوبَلَىٰ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ اجْتَدَىٰ لِأَنْفِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَخَلِيمٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٧﴾ بِإِبْرَاهِيمَ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ وَقَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَا آيَةٌ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٧٨﴾﴾ هود: ٦٩ - ٧٦

فلما قام إبراهيم عليه السلام بواجب الضيافة مع ضيوفه، وقدم وجد أن الرسل لم يأكلوا طعامه، فخاف منهم، وسرعان ما أخبروه بأنهم مرسلون لإنزال العقاب بقوم لوط، وهو ما أسعد قلب زوجته وأضحك سنّها وهي التي كانت تخدم الضيوف، وهنا جاءتها البشرية بأن يكون له ولد وهي التي كانت

¹ أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، ج2، ص772، رقم الحديث: 2104

² تفسير القرطبي، مصدر سابق، ج11، ص305.

عاقراً، فعجبت من حالها بعد هذا العمر والحال، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقْبَلَ كَأَمْرَاتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ٣١ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٣٢ الذاريات: ٢٩ - ٣٠، وبعد ذهب عن إبراهيم الخوف من الرسل، قام يجادل الملائكة في قوم لوط والصبر عليهم، ومنحهم فرصة أخرى، وهذا من صفات إبراهيم لذا وصفه الله تعالى بالحلم وسعة الصدر والتضرع لله تعالى، لكن حق أمر الله على القوم الكافرين .

كما وهب الله لإبراهيم عليه السلام قبل إسحاق ابنه البكر إسماعيل من سرّيته هاجر، والذي أمره الله أن يذهب بهما إلى الحجاز ويتركهما هناك لتتولاهما الرعاية الإلهية، ولم ترد قصة ذهابه إلى الحجاز في القرآن، لكن الآيات الكريمة حفظت لنا دعاء إبراهيم عليه السلام عندما أوكلهما إلى الله تعالى في الصحراء: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ٣٦ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٧ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٣٨ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا خَفَى وَمَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٣٩ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ٤٠ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ٤١ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ٤٢﴾ إبراهيم: ٣٥ - ٤١، وقد جاء عن عبد الله بن زيد ؓ، عن النبي ﷺ: "أن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام ملكة" 1

ولما بلغ إسماعيل الحلم جاء الأمر الإلهي لإبراهيم بأن يذبح ولده الذي رزقه على كبر، وكان ذلك الابتلاء المبين، لكن إبراهيم عليه السلام ضرب مثال المؤمن الخاضع لله تعالى في كل حياته، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِيمٍ حَلِيمٍ ٣٦ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ٣٧ قَالَ يَا بَتِ يَا أَفْعَلْ مَا تَأْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ٣٨ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ٣٩ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَّزِيهِمْ ٤٠ فَدَّصَدَتْ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٤١ إِنْ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ٤٢ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ٤٣ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ٤٤ سَلَّمَهُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ٤٥ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٤٦ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

1 أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ﷺ ومده، ج3، ص68، رقم الحديث: 2130

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ الصافات: ١٠١ - ١١٣.

4. بناء الكعبة

واصطفى الله تعالى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ليرفعا قواعد البيت الحرام ويطهراه للطائفتين، وهما يدعون الله تعالى قال تعالى: ﴿وَإِذْ أُنزِلَ إِلَيْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَإِذْ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْوَحْيُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ﴾ ﴿١١٦﴾ وَذُكِّرْنَا بِهَذَا الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ لِيَعْلَمَنَ أَنَّهُ رَاقِبٌ عَلَيْهِمْ وَمَنْ يَبْدَأِ الْبَنَاءَ يُبَدِّئْهُ وَيُعِيدْهُ وَمَا يُشِئُ يَفْعَلْ ﴿١١٧﴾ وَذُكِّرْنَا بِهَذَا الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ لِيَعْلَمَنَ أَنَّهُ رَاقِبٌ عَلَيْهِمْ وَمَنْ يَبْدَأِ الْبَنَاءَ يُبَدِّئْهُ وَيُعِيدْهُ وَمَا يُشِئُ يَفْعَلْ ﴿١١٨﴾ وَذُكِّرْنَا بِهَذَا الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ لِيَعْلَمَنَ أَنَّهُ رَاقِبٌ عَلَيْهِمْ وَمَنْ يَبْدَأِ الْبَنَاءَ يُبَدِّئْهُ وَيُعِيدْهُ وَمَا يُشِئُ يَفْعَلْ ﴿١١٩﴾ وَذُكِّرْنَا بِهَذَا الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ لِيَعْلَمَنَ أَنَّهُ رَاقِبٌ عَلَيْهِمْ وَمَنْ يَبْدَأِ الْبَنَاءَ يُبَدِّئْهُ وَيُعِيدْهُ وَمَا يُشِئُ يَفْعَلْ ﴿١٢٠﴾ وَذُكِّرْنَا بِهَذَا الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ لِيَعْلَمَنَ أَنَّهُ رَاقِبٌ عَلَيْهِمْ وَمَنْ يَبْدَأِ الْبَنَاءَ يُبَدِّئْهُ وَيُعِيدْهُ وَمَا يُشِئُ يَفْعَلْ ﴿١٢١﴾ وَذُكِّرْنَا بِهَذَا الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ لِيَعْلَمَنَ أَنَّهُ رَاقِبٌ عَلَيْهِمْ وَمَنْ يَبْدَأِ الْبَنَاءَ يُبَدِّئْهُ وَيُعِيدْهُ وَمَا يُشِئُ يَفْعَلْ ﴿١٢٢﴾

وبعد الإنتهاء من بناء البيت أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بأن يؤذن في الناس بالحج ليأتي الناس من كل مكان وليطوفوا بالبيت العتيق قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ الحج: ٢٦ - ٢٧

- وعن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال لها: "ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟، فقلت: يا رسول الله، ألا تردّها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت"¹.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ لما قدم، أبي أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزام، فقال رسول الله

¹ أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، ج2، ص146، رقم الحديث: 1583.

بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُ ﴿البقرة: ٢٦٠﴾ قال ابن قتيبة: فقال رسول الله : (أنا أحق بالشك من إبراهيم) تواضعا وتقديما لإبراهيم على نفسه يريد: إننا لم نشك ونحن دونه ، فكيف يشك هو؟¹

ومما ورد في السنة في ذكر إبراهيم عليه السلام ما جاء في صحيح البخاري من وصف إبراهيم عليه السلام وذريته بالكرماء عن عمر رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ أنه قال: الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام².

ومن الفضائل التي ميّز الله بها خليله إبراهيم عليه السلام ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: "إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّاعِلِينَ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾. وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم³.

وعن الامام مسلم عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله ﷺ ذاك إبراهيم عليه السلام⁴.

ومما جاء في ذكر وصف إبراهيم عليه السلام عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: "أتاني الليلة آتيان فأتينا على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا وإنه إبراهيم عليه السلام⁵.

وعن مجاهد قال: كنا عند ابن عباس رضي الله عنهما، فذكروا الدجال فقال: إنه مكتوب بين عينيه كافر، وقال ابن عباس: لم أسمع قال ذلك ولكنه قال: "أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم..."⁶.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اختن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدم"⁷. وعن صلة محمد ﷺ بإبراهيم عليه السلام: ورد عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ "قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على

¹ علي بن بطلال، شرح صحيح البخاري، تح: أبو تميم ياسر ابن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 2003م، ج9، ص525.

² أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، ج4، ص149، رقم الحديث: 3382

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا، ج4، ص139، رقم الحديث: 3349.

⁴ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل، ج7، ص97، رقم الحديث: 6287.

⁵ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا، ج4، ص140، رقم الحديث: 3354

⁶ أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الجعد، ج7، ص162، رقم الحديث: 5913

⁷ أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب الختان بعد الكبر ونتف الابط، ج8، ص66، رقم الحديث 6298

إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"¹. وجاء في حديث المعراج، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "ثم مررت بإبراهيم فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت من هذا، قال: هذا إبراهيم"²

الفرع الثاني: إبراهيم عليه السلام في موجز الدائرة

كاتب مادة إبراهيم عليه السلام في دائرة المعارف الإسلامية هو المستشرق (إيزنبرغ)، وأضيفت لها مادة أخرى من طرف المستشرق (فنسك)، ولم يرد اسم لترجمتها، لكن ورد التعليق على الشبهات التي امتلأت بها المادة من طرف كل من الأستاذ (محمد فريد وجدي)، والأستاذ (عبد الوهاب النجار). وجاءت المادة من الحجم المتوسط.

بدأ المستشرق إيزنبرغ بتعريف إبراهيم عليه السلام بأنه نفسه "أبراهام المذكور في التوراة، وقد ورد في القرآن (سورة الأنعام آية 74) أنه ابن أزر، وهذا الاسم مشتق فيما يظهر من اسم خادمه إيعازر"³، والآية التي يقصدها المستشرق هي قوله تعالى ﴿*وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه أَرَأَيْتَ إِذْ أَخَذْتُ مَاءَ الْهَيْئَةِ فِي آرنِكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الأنعام: 74، وقد اختلف المفسرين في معنى (أزر) هل هو اسم أم صفة، وقد جمع (يوسف الدجوي) الذي علق على المادة في الهامش خلاصة أقوال العلماء في هذه المسألة، وجعل الخلاف ظاهريا في الواقع:

- أن العرب قد تسمى العم والجد (أبا) كما جاء في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا نَبِّدْ إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُا وَاحِدًا﴾ البقرة: 133، فسمى إبراهيم أبا يعقوب وهو جد له، وسمى إسماعيل أبا يعقوب وهو عم له. (أي أن أزر هو عم إبراهيم عليه السلام وأبوه هو تارح)
- يجوز أن يكون تاريخ اسما له، وأزر لقباً له ويكون القرآن قد ذكره بلقبه إشارة إلى الرسوخ في العلم بقصته.

¹ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، ج4، ص 146، رقم الحديث: 3369.

² أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الاسراء، ج1، ص79، رقم الحديث: 349.

³ موجز الدائرة، ج1، ص73.

- كون أزر وصف للذم والتحقير، ومعناه في اللغة العبرية (المخطئ)، ويقرب من هذا جعله اسماً للخادم كما في التوراة، ولعله يطلق في لغتهم على الخادم إطلاق الأوصاف لا إطلاق الأعلام، فكأنه يقول: الحقير بسبب خدمته للأصنام.
- كما ذكر الطبري أنه اسم صنم، أتخذ أزرَ أصناماً آلهة... ثم ذكر اختلاف القراءات في ذلك واستبعد ما قيل من أنه صنم لأنه وجه بعيد عن اللغة العربية¹

وختم الطبري القول بذكر رأيه في هذه المسألة بقوله: " فأولى القولين بالصواب منهما عندي قول من قال: " هو اسم أبيه"، لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم، دون القول الآخر الذي زعم قائله أنه نعت، وغير محال أن يكون له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم، وجائز أن يكون لقباً يلقب به"². وأيده في ذلك ابن كثير بأن ذكر قوله وعقب عليه بقوله: "وهذا الذي قاله جيد قوي، والله أعلم"³

كما رفض الشيخ محمود شاكر قول من قال بأنه وصف ونعت له ووجه ذلك بقوله: " وأما من زعم أنه وصف، فإنه إن صح ما قالوا كان وصفا لا يصدر من نبي لأبيه، وإبراهيم خليل الله يقول له أبوه: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْرَجْنَاكَ ﴾ ﴿٦١﴾ مريم: ٤٦، فيقول له إبراهيم: ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ ﴿٤٧﴾ مريم: ٤٧، أفمن يتأدب مع أبيه هذا الأدب في حدة الجدل والمناظرة بعد التهديد من أبيه: يعقل منه أن يبدأ دعوة أبيه إلى دينه قبل الجدال بالشتم والسب؟! اللهم غفرا. ومما يردّ هذا القول أيضا ما قاله أبو حيان في البحر المحيط أنه "إذا كان صفة أشكل منصرفه ووصف المعرفة به وهو نكرة"⁴، وإن حاول بعد ذلك توجيهه بتكلف⁵ وردّ الشيخ محمد شاكر كذلك قول أن الأب في الآية بمعنى الجد: "وأما تأول الأب بالعم فإنه خروج باللفظ عن ظاهره وحقيقته، إلى معنى يكون به مجازا، من غير قرينة ولا دليل على إرادة المجاز.

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج11، ص 467-468

² المصدر نفسه، ج11، ص 468-469

³ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص 289.

⁴ تفسير البحر المحيط، مصدر سابق، ج4، ص561.

⁵ موهوب بن أحمد الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب، ط2، 1969م، ص409-410.

ولو ذهبنا نتأول النصوص الصريحة بمثل هذا بطلت دلالة الألفاظ على المعاني. ثم آيات القرآن متكاترة في جدال إبراهيم لأبيه في الدين، ودعائه إياه إلى الهداية، وإباء أبيه، من ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَسْتَفْقَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة: 114) وانظر أيضا سورة مريم (41-50) والأنبياء (51-52) والشعراء (69-86) والصفات (83-87) والزخرف (26-27) والممتحنة 4، ففي هذه المواضع كلها التصريح بأن جدال إبراهيم كان مع أبيه، فكيف يمكن حملها كلها على إرادة المجاز من غير دلالة أو قرينة؟!¹ واستدل الشيخ محمود شاكر بما أورده البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قتره وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأني خزي أخزي من أي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجلك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار)²، على أن النص يدل على أنه اسم العلم، ذلك أن الحديث صحيح مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أما ما ورد في كتب أهل الكتاب فلم تثبت نسبته بأي طريق من طرق الثبوت، ولا يصلح أن يكون حجة لأحد أو عليه"³ وذكر فنسك في مادة آزر في دائرة المعارف الإسلامية الإصدار الأول⁴، أن المفسرين لجأوا الى التحايل للتوفيق بين اختلاف القول في اسم والد إبراهيم بين القرآن والتوراة، وهو تحايل لا قيمة له، مع ذكره لفرضية مراتشي أنها قراءة خاطئة ليوزيوس في تاريخ الكنيسة، وقد رد عليه الأستاذ أمين الخولي بأن أغلب المفسرين لم ينقلوا الاجماع أو التوفيق بل منهم من ردّ الرواية التاريخية (التوراة)، إضافة إلى أن وصف عمل المفسرين بالتحايل ليس من المنهجية العلمية، ومراتشي يعتبر قسيسا إيطاليا ترجم القرآن ونُشر له بحث بعنوان: (عقيدة الرسول الكاذب محمد بن عبد الله)، ولهذا ردّ الخولي فرض مراتشي لخلفيته الفكرية.

¹ المرجع السابق، ص 410.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا، رقم الحديث 3350، ج4، ص139

³ ينظر: الجواليقي، مرجع سابق، ص 412-413

⁴ دائرة المعارف الإسلامية، الإصدار الأول، ج1، ص39-40.

والأمر اليقيني في هذه المسألة أنه لا يمكن الموازنة بين ما ورد من حق في القرآن الكريم وبين ما ورد في روايات الإخباريين والقصاصين وأخبار التوراة، وتبقى توجيهات العلماء اجتهادات تقريبية والله أعلم والحق ما جاء به القرآن الكريم.

ثم ذكر المستشرق إيزنبرغ نسب إبراهيم كما ورد في التوراة، وعليها اعتمد أغلب المؤرخين والمفسرين، ثم عثب على ذلك بذكر تاريخ ميلاد إبراهيم بالاعتماد على رواية الثعلبي ومقارنتها بما ورد في الكتاب المقدس، كما حاول تحديد مولد إبراهيم عليه السلام، وبالعموم لا يمكن الجزم بهذه الأنساب ولا بالتواريخ، لأنها لا تعتمد على روايات صحيحة أو دقيقة، وهي متناقضة مع ما عرف من الآثار والتاريخ، كما أن التوراة في نفسها متناقضة "فقد ورد في التوراة نفسها أن إبراهيم خرج من أرض أبيه، وذهب إلى أرض الكنعانيين، مع أن التوراة تذكر أن الذي بدأ الهجرة هو تارح أبو إبراهيم"¹.

وفي عبارة مختصرة جدا أشار إيزنبرغ إلى أن إبراهيم "سرعان ما عمل على تحقيق رسالته بإعلانه الجهاد على الملك نمروود"²، ولم يفصل في هذا الجزء من حياة إبراهيم عليه السلام، بالرغم من وروده في القرآن الكريم وفي المصادر الإسلامية، وهو الجهاد لإعلاء الدعوة وتبليغ الرسالة هي لب قصة إبراهيم عليه السلام، كما محاجة إبراهيم عليه السلام للذي أتاه الله الملك، والذي جعله المفسرون هو نفسه النمروود، من القصص المشتهرة في الإسلام.

والملاحظ اعتماد المستشرق على الأفكار الواردة في الكتاب المقدس وأخبار أهل الكتاب، والبحث عن مؤيد لها في المصادر الإسلامية، مثل سرده للروايات التي جاءت في مولد إبراهيم واعتماده لرواية الكسائي الذي نقل كيف اختفى الجنين من بطن أم إبراهيم حين فحصها عمال النمروود، وهي رواية لا دليل عليها من الكتاب أو السنة وأصلها من أساطير اليهود.

كما يعتمد على مثل هذه الكتب والأساطير ليبين أنها مصدر الروايات الإسلامية الغربية مثل استبدال تارح لابنه إبراهيم الذي أمر أن يذبحه بابين خادمته، وهو لا يسقط هذه الاقتباسات والافتراءات على الروايات الإسلامية فقط، بل يسقطها على القرآن أيضا فهو يدعي أن تفكر إبراهيم عليه السلام في النجوم والكواكب لمعرفة الله والذي يرد في سورة الأنعام، موجود في كتاب النذور (تلمود ندرائيم) "وجاء

¹ محمد علي البار، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، مرجع سابق، ص 73.

² موجز الدائرة، ج1، ص 74، ع1

القرآن يمثل ذلك أيضاً¹ يعني أن القرآن يشابهه فيها وهو يفرض احتمال الاقتباس منه والتلمود تفسيرات كتبها أحبار اليهود للتوراة، وكانت بالعبرية والآرامية ولم توجد له ترجمة عربية في وقت النبي ﷺ، ولم يكن متاحاً للناس بل يتداوله الأحبار فقط، وأغلبه من الهاجادة وهي الأساطير الشفوية المتوارثة في الأدب الشعبي اليهودي، والتي كانت تتطور عبر الزمن وتطراً عليها الزيادات والنقصان، لأنها إنتاج بشري، فكيف حصل عليه النبي ونقل منه.

في المقابل أشار إيزنبرغ إلى أن هذه القصص توجد في الكتاب العبري (غصن الأدب) وفي (سفر هياشار)، وهي من الآداب العبرية المتأخرة كما جاء بقلم إيزنبرغ نفسه في الفقرة اللاحقة لها²، وتوجد بها أيضاً قصة كسر إبراهيم للأصنام والواردة في سورة الأنبياء، وهي قصص غير موجودة في التوراة، بل في التراث الشفوي، ما يؤكد تأثر الروايات اليهودية بالقرآن الكريم بحسب تعبير إيزنبرغ حيث يقول: "ومن بين القصص المختلفة التي تصف نضال إبراهيم مع نمروث والتي أخذت مكانها في الآداب العبرية المتأخرة (سفر هياشار، سفر إياهو زوطا، المعلم إيعاذر) نذكر هنا القصة الآتية المستمدة من القرآن ومن سفر التكوين الكبير"³ إذاً أصبح القرآن مصدر للكتب العبرية المتأخرة. فالمستشرق يتبع آلية الأثر والتأثر في عرضه للقصة.

انتقل بعدها إيزنبرغ لقصة إبراهيم عليه السلام مع زوجته سارة في مصر عندما أخذت سارة إلى قصر فرعون، فادّعت أنه أخوها حتى لا يُقتل بسببها، ولم تكن في ذلك كاذبة لأنها أخته في الدين، وما إن حاول فرعون مسّها حتى شلّت يده ولكنها برئت بعد أن أحلى سبيلها"⁴ واستند فيها على رواية الطبري، والثعلبي وابن الأثير، والكتاب المقدس سفر التكوين 12: 10-20، وأصل القصة موجود في هذه المصادر لكنه مختلف فيما حدث للفرعون، فالوارد في سفر التكوين 12: 17 "فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام" وما جاء في رواية مسلم قال: "دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت فعاد فقبضت

¹ موجز الدائرة، ج1، ص74، ع2.

² ينظر: المصدر نفسه ج1، ص75، ع1.

³ موجز الدائرة، ج1، ص75، ع1.

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص76، ع1.

أشد من القبضتين الأوليين، فقال ادعي الله أن يطلق يدي فلك الله أن لا أضرك، ففعلت وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها، فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر" ¹.

وأكمل إيزنبرغ عرض قصة إبراهيم كما جاءت في الكتاب المقدس وبحثا عما يؤيدها من روايات إسلامية فأورد قصة حفرة لبئر الماء في مدينة سبع، ثم جفاف الماء بعد رحيله، وإعطاءه سبع نعاج للسكان حتى يعود الماء، لكن شربت منه حائض فغاض ماءه مرة أخرى. وهي قصة لم ترد في القرآن والسنة وهي من الاسرائيليات التي لا نكذبها ولا نصدقها.

ثم ختم إيزنبرغ المادة بحديثه عن ختان إبراهيم عليه السلام وعمره 120 سنة، كما ذكر أنه توفي وعمره 175 سنة، ودفن في مقبرة الأسرة بحبرون، وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اختن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم" ²، وهو الأصح والرواية لا تذكر وفاته، وبالنسبة لمكان دفنه فقد قال ابن كثير: "قبره وقبر ولده اسحاق وقبر ولد ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام ببلد (حبرون) وهو البلد المعروف بالخليل اليوم وهذا تلقى بالتواتر أمة بعد أمة وجيل بعد جيل من زمن بني إسرائيل وإلى زماننا هذا أن قبره بالمربعة تحقيقا. فأما تعيينه منها فليس فيه خبر صحيح عن معصوم فينبغي أن تراعي تلك المحلة" ³

ومن ضمن الخصائص التي ذكرها الثعلبي لإبراهيم عليه السلام، اختار إيزنبرغ قوله بأن إبراهيم سوف يجلس عن يسار الله يوم القيامة ويقود المتقين إلى الجنة كما استند في ذلك إلى سفر التكوين الكبير، ولا يعلم صحة هذا الخبر ولم ينقل فيه خبر صحيح. لكنه يؤكد على انتقاء إيزنبرغ للغرائب والعجائب في قصة إبراهيم عليه السلام، وترك الصحيح المتيقن منه، والإعراض عن ما ورد في القرآن الكريم، وعدم التحقق من المعلومات والاستناد إلى المصادر الهامشية في القصة وغير المعول عليها في الدراسات الإسلامية، إضافة إلى اعتماده الكبير على التراث اليهودي في كل القصة يعد خلافا كبيرا فممنهج الدائرة التعريف بالشخصية وطرح تصور الإسلام حولها، وليس مقارنتها بباقي الأديان.

¹ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل، ج7، ص98، رقم الحديث: 6294.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واتخذ الله إبراهيم خليلا، ج4، ص140، رقم الحديث: 3356

وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل، ج7، ص97، رقم الحديث: 6290

³ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق ص160

وألحق بالمادة التي كتبها إيزنبرغ مادة أخرى كتبها المستشرق (فنسنك)، كان هدفها واضحا منذ البداية وهو التشكيك في صلة محمد ﷺ بإبراهيم ﷺ، بدأها مباشرة بعرض آراء من سبقه من المستشرقين في هذه الفكرة من خلال ما لاحظته شبرنجر من أن شخصية إبراهيم في القرآن مرّت بأطوار قبل أن تصبح مؤسسة للكعبة في الأخير، وقام سنوك هرجرونيه بالتوسع في هذه الدعوى بيسط أدلتها من آيات القرآن المكي وملخصها أن اختلاف الحديث عن إبراهيم ﷺ بين القرآن المكي والقرآن المدني

- ففي السور المكية إبراهيم مجرد رسول من الله أنذر قومه، ولا صلة لإسماعيل به، كما أنه يشير إلى أن الله لم يرسل إلى العرب نذيرا، ولا ذكر لإبراهيم بأنه واضع البيت ولا أنه أول المسلمين.
- في السور المدنية: إبراهيم يدعى حنيفا مسلما، وهو واضع ملة إبراهيم، ورفع مع إسماعيل قواعد البيت الحرام.

ويرجع فنسنك الاختلاف إلى سر دقيق هو: " أن محمدا كان قد اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء، فلم يكن له بد من أن يلتمس غيرهم ناصرا، هناك هداه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبي العرب إبراهيم، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام. ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح إبراهيم أيضا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس"¹. ويمكن القول أن المادة التي كتبها لا تكاد تخلو جملة من جملها من شبهة ضد الرسول ﷺ، ويبدو تحامل فنسنك واضحا فيها، من أجل ذلك أدرج بالمادة تعليقين منفصلين للأستاذ محمد فريد وجدي والأستاذ عبد الوهاب النجار، تكفلا بردّ هذه الشبهات وتصحيح الأخطاء والأفكار حتى لا تترك أثرها على القارئ العربي، وذلك لخطرها على العقيدة وزعزعة ركن من أركان الإيمان وهو الإيمان بالرسول.

ادعى المستشرق فنسنك أن الرسول ﷺ سعى إلى استمالة يهود مكة، لكنهم عادوه، فلما هاجر إلى المدينة حاول وصل العرب باليهود عن طريق يهودية إبراهيم، وبالعودة إلى المصادر التاريخية عن جزيرة العرب نجد أنه لم تنقل المصادر أي تمرکز واضح لليهود في مكة، وفي هذا يقول المستشرق إسرائيل ولفنسون: " وقد أفرغ المستشرق لامنس (Lamens) جهده في أن يبرهن على أن عددا من اليهود كان يسكن مدينة مكة قبيل ظهور الإسلام، ولكن نظرياته لا يطمئن إليها الباحث، ولو صحّ

¹ موجز الدائرة، ج1، ص77، ع2

ما ادّعاء هذا العالم لكان لليهود حي خاص بهم في مكة، وكان لهم معبد خاص يقيمون فيه صلواتهم ويدرسون كتبهم، وليس في جميع المصادر التاريخية القديمة ما يشير أقل إشارة إلى وجود شيء من ذلك. غير أنه من الممكن أن يكون بعض الأفراد سكنوا في مدينة مكة، كما يمكن بعضهم في مدينة الطائف وفي عدة مدن أخرى من الحجاز ولكنهم كانوا قليلين¹.

ولو كان هناك يهود أو أحبار في مكة لما أرسلت قريش النضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط لسؤال يهود يثرب أسئلة تعجيزية يمتحنون بها صدق الرسول ﷺ في دعوى النبوة، ويضيف ولفنسون بعد أن ساق القصة: "وتؤيد هذه القصة ما ذهبنا إليه من أنه لم يكن بمكة أحد من اليهود، إذ لو وجد منهم في مكة ما أوفد بنو قريش وفدهم إلى المدينة ليسألوا أحبار اليهود عن شأن النبي، وإذا وجد منهم أحد فلا بد أن يكون غير عالم"². ومن المعلوم أن التوراة لم تكن إلا في يد أحبار وحاخامات اليهود وليست متوافرة لدى عامة اليهود، حتى وإن وفد بعض اليهود إلى مكة زوارا، لم يكن بإمكان الرسول أن يطمع في نصرتهم له في مقابل قريش وقوتها.

كما أنه لم تنقل المصادر التاريخية أن النبي ﷺ استعان باليهود في نشر دعوته مطلقا، وكل ما هنالك أنهم كانوا أصحاب رسالة سماوية سابقة، بعيدين عن الأوثان، فكانوا أولى الناس باتباع دعوته، وهم الذين يعلمون أنه زمان خروج نبي آخر الزمان، لكن هالمهم أن لا يكون النبي منهم، ويكون من العرب. فناصره العدا خاصة بعد أن كشف ضلالهم وتحريفهم لكتابتهم، ومكرهم بالأنبياء. وكيف يتقرب الرسول ﷺ إلى يهود المدينة، وقد نزل عليه قوله تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المائدة: ٨٢، فكيف يناقض القرآن نفسه ويتألف اليهود "بذكر زيارته مكة واتصاله بالعرب وهو ينفي علاقته بهم ويبرئه منهم"³.

والقرآن الكريم نزل منذ البداية بعقيدة التوحيد الخالصة لله تعالى، والتي لا مدهانة فيها لأي شخص أو قوم وهو ما يخالف عقيدة الشرك عند اليهود والتثليث عند النصارى، "ولو كان النبي ﷺ يودّ تأليف قلوب أقوام كاليهود، لما صرّح من أول الأمر بما يخالف عقيدتهم، وإنما كان من الممكن أن ينتظر حتى يرى هل ينصره هؤلاء أم يخذلونه؟ وإلا كيف يعلن أن التوحيد الذي يخالف عقائد اليهود

¹ إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، بيت الحكمة العلمة- الجزائر، ص 105

² المرجع السابق، ص 109.

³ بيان الإسلام، مرجع سابق ج 11، ص 213.

والنصارى- المحرفة- جوهر رسالته، ثم بعد ذلك بمائلهم ويداهنهم، أو يتألف قلوبهم بافتعال قصة ابراهيم كي يستميلهم إليه، أو يرضوا عنه، وهذا شيء ثانوي في رسالته وأيضاً رسائلهم، أفيخالفهم في الأصل والجوهر، ويتألفهم في الفرع والعرض؟¹

وقد حاول الإسلام نشر العدل بين الناس، ولم يجعل الأفضلية بالقبيلة أو بالشخص، بل ارتفع عن هذه الاختلافات ليُجعل الدين "يقوم على أصل طبيعي لا يختلف فيه البشر وهي الفطرة الإنسانية، وعلى أساسي العقل والعلم وهما ينبوع كل الترقيات الصورية والمعنوية، ولا ملتحد للإنسانية غيرهما في أي مجال من مجالات نشاطها النفسي والعقلي إلى يوم القيامة"²

ما جعل العداً يتهدم بين اليهود والمسلمين، كما أن العربي كان له أنفة وعزة نفس أن يقلد اليهود والنصارى، "ولم يكن عرب الجاهلية يمنحون كل ما عليه طابع يهودي أي اعتبار، بل الذي ورد أنهم كانوا يكرهون جوارهم ويقاتلونهم ليحلوهم عن مواطنهم التي اختاروها داراً لهجرتهم"³.

كما أن القول بأن الرسول ﷺ تخلص من يهودية عصره بيهودية إبراهيم فهذا غير صحيح، لأن الإسلام رفض قول اليهود عن إبراهيم بأنه يهودي أو نصراني ونازعهم في ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^{٦٧} آل عمران: ٦٧، وذلك لأن كل من موسى وعيسى عليهما السلام متأخرين عن إبراهيم ﷺ، فهما من أبناء إسرائيل، وإسرائيل من ولد إسحاق ابن إبراهيم ﷺ، "وغريب أن يكون المتقدم معزواً وتابعا لولد ولده الذي لم يره ولم يعاصره"⁴ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمُتَّخِذُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^{٦٥} آل عمران: ٦٥.

والإسلام في حقيقته هو الدين الأول والأصل لكل الرسالات السماوية لأنه يعني الخضوع والانقياد لله تعالى، وكل الأنبياء يحملون بعثوا يحملون لواء الإسلام ابتداءً من آدم ﷺ إلى الرسول محمد ﷺ وهو خاتمهم قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ

¹ بيان الإسلام ، مرجع سابق، ج11، ص 211.

² موجز الدائرة، ج1، ص80، ع2

³ المصدر نفسه، ج1، ص76، ع1

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص82.

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿الشورى: ١٣﴾، ووصف به إبراهيم وظهر ذلك في وصية يعقوب لابنيه، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالنَّهَارِ وَنَحْنُ لَهُ رُءُوسًا ﴿١٣٦﴾ البقرة: ١٣٣، فإذا كان القرآن يصرح باتباع ملة إبراهيم فليس ذلك باعتبار أنه أول من أرسل بالإسلام، ولكن باعتبار أنه أبو فريق كبير من العرب تشويقا لهم إلى إتباعه¹، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ البقرة: ١٣٥، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٠﴾ آل عمران: ٩٥.

أما ما ذكر عن إبراهيم من أنه لم يذكر بأنه حنيف إلا في السور المدنية، فهو أيضا افتراء واضح ناتج عن خطأ بين في استقصاء الآيات، هدفه التدليل على الأفكار المسبقة للمستشرقين، لأنه قد ذكر بأن إبراهيم كان حنيفا في سورة الأنعام مرتين وفي سورة النحل مرتين كذلك، وكلاهما سورتين مكتبتين قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٦﴾ الأنعام: ٧٩ وقد ورد خطأ مطبعي في كتابة رقم الآية المستدل بها 97 في موجز الدائرة، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ

إِنِّي هَدَىٰ رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣١﴾ الأنعام: ١٦١ وجاء في سورة النحل المكية، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ النحل: ١٢٠، وقال أيضا ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ النحل: ١٢٣.

ومما يثبت أن النبي لم يجعل معتمده في الدعوة إلى الإسلام أنه دين إبراهيم ما يقوله شبرنجر وسنوك هرجرونيه بأنه لم يصرح بذلك إلا في المدينة. فلو كان ما ادلعاياه صحيحا لكان أولى بذلك أن يكون وهو بمكة بين قبائل كلها تعزى إلى إبراهيم. أما وقد انتقل إلى المدينة وجميع أهلها من قبائل اليمن الذين لا ينتسبون إلى إبراهيم فلم يكن من ضروب الخلافة، لو كان محمد يعتمد عليها، أن يتدرب بهذا الموضوع لأنه ليس موضعه²

¹ المصدر نفسه، ج 1، ص 79، ع 1.

² موجز الدائرة، ج 1، ص 79-80

أما استدلالهم بأن القرآن المكّي لم يرد فيه ما يشير إلى صلة إبراهيم بإسماعيل وبنائهما للكعبة فغير صحيح، لأنه ناتج عن استقراء واستقصاء ناقص، لم يُحيط فيه المستشرق بكل الآيات التي تتحدث عن إبراهيم في السور المكّية، وغريب ذلك من المستشرق فنسك الذي عُرف عنه التحري والتدقيق والجمع والاستقصاء للأحاديث النبوية والدراسات الإسلامية، فكيف تغيب عنه هذه الآيات خاصة التي وردت في سورة إبراهيم عليه السلام نفسه، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ٣٥﴾ إبراهيم: ٣٥، وقال أيضا ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادِعَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نَخْفِي وَمَا نَعْلُبُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ٤٠﴾ إبراهيم: ٣٧ - ٤٠

وهي آيات بالتأكيد قد اطلع عليها فنسك، لكنه تخطاها لأنها لا تدعم فكرته، بل تنقضها، فهو إهمال متعمد من المستشرق وهو ما يراه عبد الوهاب النجار أيضا فيقول: "بل أكبر اعتقادي أنه تخطاها عمدا غاضبا النظر عما تقضي به الأمانة في سبيل تأييد نظريته"¹. وقد ورد في الكتاب المقدس أن إسماعيل هو أول ولد إبراهيم، وأنه جدّ العرب، وقد أبعده إبراهيم عليه السلام سريته هاجر عن المكان الذي تسكنه زوجته سارة، كما أنه لو كان هناك شك في هذا لقام العرب بردّ ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنها حقائق كانت ثابتة في ذلك الوقت للعرب ولليهود، فلم يوجد منهم من طعن في ما ورد عن إبراهيم عليه السلام.

كما أنه كان من المعلوم أنّ إبراهيم هو من بنى الكعبة حتى يهود المدينة لم يعارضوا ذلك . "ولم ينازع أحد إلى اليوم إبراهيم في أنه باني ذلك المصلى (الكعبة) حتى يصح أن يقال إن محمدا نسبه إليه تعظيما لشأنه، ولم تختص الكعبة وحدها بأنها بيت الله فكل المساجد بيوت الله عند المسلمين، وإنما عظمت الكعبة لأنها أول بيت لله، وضع للناس بيكة"². والنبي صلى الله عليه وسلم مع تعلقه بالكعبة ومكة إلا أنه في العهد المكّي أمر أصحابه أن يوجهوا وجوههم في الصلاة قبل بيت المقدس، وقد ورد في الكتاب

¹ موجز الدائرة، ج1، ص 82، ع1

² المصدر نفسه، ج1، ص 79

المقدس أن إبراهيم قد بنى مذبحاً للرب في كل مكان كان يحل فيه، فمادام ترك إسماعيل في مكة، فلا يستبعد أنه عاد هناك وبنى مصلى له ولابنه ليعبد الله فيه

ولا يخفى على دارس القرآن والباحث فيه، أنه في آياته يراعي المقام، الحال والسياق، فلا ترد القصة إلا بما يناسب السورة والموقف والعبارة فيها، وقد جاء القرآن المكي مركزاً على غرس العقيدة الصحيحة، واتخذ من قصص الأنبياء مشعلاً يهتدي به المؤمنون المستضعفين في مكة في مقابل الإيذاء الذي يتعرضون له من قومهم، كما أنها تثبت قلب النبي وتسلية، وتبين له أساليب الدعوة في سبيل الله، وتضرب له مثال الصابرين من الأنبياء، وتدعوه للتفكير والتدبر في الكون، وهو ما حملته قصة إبراهيم عليه السلام في جداله مع أبيه وقومه، وتفكره في ملكوت الله، وزيادة يقينه بسؤاله الله عن إحياء الموتى، في المقابل ركز القرآن المدني على التشريعات والتي من بينها فريضة الحج، والتي كانت شعائره كلها متصلة بحياة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ومن المناسب في هذا المقام أن يذكر بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة وتكليفه بأن يؤذن في الناس بالحج إلى بيته الحرام، وأن يذكر أمة الإسلام بأنها امتداد للحنيفية التي جاء بها إبراهيم عليه السلام، وإن كانت قصة بناء البيت وترك إسماعيل عليه السلام وأمه عنده وحدهما ذكرت من قبل في القرآن المكي بسورة إبراهيم، ولكن ليس بهذا التفصيل لأنها كانت مسوقة لغرض آخر هناك، وهذا يؤكد ما سبق أن قررناه من أن حديث القرآن عن قصة إبراهيم جاء مناسباً للمقام الذي نزلت فيه تلك السور، ومن هنا يظهر مدى التوافق الذي بين آيات السور دون أدنى اختلاف أو تباين.

أما الاستدلال بقوله تعالى ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾¹ السجدة: ٣، على إنكار صلة إبراهيم وإسماعيل بالعرب، يقول الشيخ الطاهر ابن عاشور: "فظهر أن المراد بالقوم العرب الذين لم يأتهم رسول قبل محمد، فإنما أن يكون المراد قريشا خاصة، أو عرب الحجاز أهل مكة والمدينة وقبائل الحجاز، وعرب الحجاز جذمان: عدنانيون وقحطانيون، فأما العدنانيون فهم أبناء عدنان وهم من ذرية إسماعيل وإنما تقومت قوميتهم في أبناء عدنان: وهم مضر، وربيعة وأنمار وإياد، وهؤلاء لم يأتهم رسول منذ تقومت قوميتهم، وأمّا جداهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فإنه وإن كان رسولا نبيا كما وصفه الله تعالى في سورة مريم، فإنما كانت رسالته خاصة بأهله وأصحابه من جرهم، ولم يكن مرسلًا إلى الذين وجدوا بعده، لأن رسالته لم تكن دائمة ولا منتشرة"¹.

¹ تفسير ابن عاشور، مصدر سابق، ج 21، ص 209.

وبالرجوع إلى سياق الآيات نلاحظ أن الحديث كان عن القرآن الكريم بأنه الحق من الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَأْ أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِمَّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝﴾ السجدة: ٢-٣، فالسياق يتحدث عن نفي ارسال نبي معه كتاب سماوي، وهو ما تؤكد سورة سبأ أيضا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۝﴾ سبأ: ٤٤، فباعتبار السياق يرد أن النفي مخصوص بكتاب يحفظ شريعة الأمة، وكل من إبراهيم وإسماعيل أرسلوا إلى قومهما، وصحف إبراهيم أنزلت لقوم إبراهيم، ولم يذكر أن إبراهيم دعا العرب في مكة، ولم يذكر لإسماعيل أي كتاب، ومن هنا نستبين أن الإنذار "مقترن بكتاب هو أداة الإنذار ووسيلته، بخلاف من أنذروهم من قبله، فلم يحصل معهم هذا الاقتران"¹.

ويلاحظ استخدام فنسك للعبارات الحاسمة والجازمة، مع أن الآراء التي عرضها مجرد افتراضات من مستشرقين سبقوه، هذه العبارات الجازمة تجعل القارئ متيقنا من كلام فنسك، نظرا لمكانته العلمية. كما يلاحظ شدة تأثره بأراء المستشرقين من قبله، مما جعله يطوع آليات البحث العلمي للتدليل على أفكاره المسبقة، بدل أن يستخدمها للتدليل على مدى صحة هذه الآراء ومطابقتها للوقائع.

وجاء في مادة نمروود في موجز الدائرة تفصيلات كثيرة نقلها كاتب المادة هيلر مقرا أن ما جاء في القرآن الكريم يخص مجادلة إبراهيم عليه السلام للنمرود، بالرغم من أن القرآن لم يذكره بالاسم، وقد وردت أخباره في الهاجادة (وهي الجزء الأسطوري في التلمود)، كما يرى أن القصة "أكثر تفصيلا ومتعة في بداية قصة عنتر الرومانسية في موراش ابراهام (الموراش هو التفسير اليهودي التقليدي للتوراة)"²، وهذا يُظهر أن كاتب المادة يبحث عن الإثارة والتسلية، لا عن الحقيقة مستخدما في ذلك المصادر والروايات التي تخدم ما يرمي إليه، ما جعل المادة مستقاة من قصة عنتر، التي تختلط فيها الخرافة والأسطورة بالحقيقة، وكل هذا في الأخير ينسب إلى الإسلام، على أساس الاقتباس من الأساطير اليهودية، ويظهر بذلك الإسلام كدين خرافي يؤمن بالأعاجيب وتستهو به الإثارة.

والملاحظ على مادة إبراهيم عليه السلام التي كتبها إيزنبرغ أنها مليئة بالأساطير وتغيب فيها القصة القرآنية كليا، بل قد عمد صاحبها إلى البحث عن الاسرائيليات في كتب القصص المحذر منها من طرف المسلمين، ومقابلتها بنظيرتها من الأساطير اليهودية فكانت المادة مشوهة كثيرا، ولا تبرز الرؤية

¹ رضا محمد الدقيقي، كتاب تاريخ القرآن للمستشرق تيودور نولدكه ترجمة وقرأة نقدية، دار النوادر - الكويت،

ط2، 2011م، ج3، ص159

² موجز الدائرة، ج32، ص9975.

القرآنية والإسلامية لإبراهيم عليه السلام. أما في المادة الثانية التي كتبها فنسك، فأسلوبه كان موجها نحو فكرة واحدة وهي إثبات عدم صلة الرسول صلى الله عليه وسلم بإبراهيم عليه السلام، من خلال بث الشبهات والافتراءات، على طريقة فنسك الذكية، المدعمة بالافتراضات الاستشراقية، والمتوشحة بالألفاظ الموضوعية، والمنتقبة للأدلة النقلية، لكنها مخالفة للمنهجية العلمية ومزيفة للوقائع الحقيقية.

المطلب الثاني: قصة لوط عليه السلام

الفرع الأول: لوط عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

جاء ذكر قصة لوط عليه السلام في عدة مواضع من القرآن الكريم، كلها تقص جهاده في دعوة قومه، الذين ابتدعوا كبيرة من الكبائر ما سبقهم بها أحد من الأمم، هي إتيان الرجال من دون النساء، كما انتشرت فيهم الفواحش والردائل، لذا كانت عاقبتهم شديدة لم تعاقب بها أمة من قبل، ولم يأت ذكر اسم القرية أو اسم قوم لوط، وقام لوط عليه السلام بدعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى ونهاهم عن هذه المنكرات والفواحش، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ...﴾ العنكبوت:

٢٨ - ٢٩

لكن قومه تمادوا في غيبيهم وكفرهم، وهددوا لوطا عليه السلام بالإخراج من القرية، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿٣٠﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَتَذُرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٣٣﴾ قَالُوا لَيْن لَمْ تَنْتَهَ يَنْلُوطْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ بِنِّحْيِ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الشعراء: ١٦٢ - ١٦٩، وكانت حجتهم أنه من المتطهرين، فأصبح الطهر والعفاف عارا في مجتمعهم، ما يظهر انقلاب الموازين التي كانوا يتحاكمون إليها، ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ الأعراف: ٨٢، وأظهروا تحديهم له قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتِنَا بِعَدَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ العنكبوت: ٢٩

فدعا لوط ربه أن ينصره عليهم وينجيه منهم ومن أفعالهم المنكرة، فاستجاب الله دعائه، وأنزل بهم غضبه وحلّ وعده على الظالمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسِيقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ الأنبياء: ٧٤ - ٧٥، فأرسل الله الملائكة لإهلاك قوم لوط، ومروا في طريقهم على إبراهيم عليه السلام، فلما قدموا عليه أكرمهم وقدم لهم عجلا سمينا، لكنهم لم يقربوه فخاف منهم، وأخبروه بأنهم مرسلون من الله تعالى لمعاينة قوم لوط عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ آهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي لَمِنَ الْمُتَحَنِّنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ العنكبوت: ٣١ - ٣٢

ولما ذهب عن إبراهيم الخليل الخوف أخذ يحاجج عن لوط وقومه، لكن الله أمره أن يعرض عن هذا لأن أمرهم قد حسم، وحق عليهم العذاب قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَفِي عَذَابٍ عَذِيبٍ ﴿٧٦﴾﴾ هود: ٧٤ - ٧٦

ثم ذهبت رسل الله إلى لوط فلما رآهم شبانا حسانا سيء بهم وضاق بهم ذرعا، وخاف إن لم يضيفهم هو أن يضيفهم غيره، وعلم أن هذا الأمر لن يمر على خير، وأن اليوم سيكون عصيبا. وضيفهم ولم يعلم بهم أحد إلا أهل بيته، وأعلمه الرسل بمهمتهم ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ الحجر: ٦١ - ٦٦

فخرجت امرأته فأخبرت قومها، لذا وصفها الله بالخائنة وحلّ بها عذاب قومها، قَالَ تَعَالَى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ التحريم: ١٠ فعن ابن عباس رضي الله عنهما، في تفسير قوله تعالى **فَخَانَتَاهُمَا** قال: "ما زنتا أما امرأة نوح فكانت تقول للناس، إنه مجنون،

وأما امرأة لوط فكانت تدل على الضيف فذلك خيانتها¹، فأسرع إليه قومه وطلبوا منه أن يخرج إليهم الضيوف، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٧٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٧٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٨١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الحجر: ٦٧ - ٧٢

لكنه حاول أن يردعهم عن ذلك وذكرهم بالفطرة السليمة وأرشدهم إلى ما كتبه الله عليه من ميل إلى النساء ﴿قَالَ يَقْوَاهُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ هود: ٧٨ - ٨٠، لكنهم لم يسمعوا لنبیهم، واعترفوا بجرمهم الكبير وأصروا على فعلتهم، فاعترف لوط عليه السلام بضعفه وودّ أن تكون له قوة أو منعة أو عشيرة تنصره، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "...ورحمة الله على لوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد، إذ قال لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ فما بعث الله من بعده نبيا إلا في ذروة من قومه"²

ثم طمأنت الملائكة لوطاً أنهم لن يصلوا إليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٧٧﴾﴾ القمر: ٣٧ قال ابن كثير: "فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم. يقال: إنها غارت من وجوههم."³ وطلبت الملائكة منه أن يخرج من هذه القرية عند السحر ومعه أهله، ولا يلتفت منهم أحد، لأن موعدهم الصبح، ليحل بهم غضب الله ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُمَّتٍ وَسِيمٍ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَلسَّبِيلُ مُقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ الحجر: ٧٣ - ٧٧ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لِّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٣﴾ إِذْ بَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ وَأَجْمَعِينَ ﴿٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي

¹ رواه الحاكم في المستدرک، کتاب التفسیر، سورة التحريم، ج2، ص538، حديث رقم: 3833، وقال عنه الذهبي في التلخيص: صحيح

² رواه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة يوسف، ج5، ص144، رقم 3116.

³ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص480.

الْقَارِبِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِبِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَيَأْتِلُ أَفْقَالًا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ الصافات: ١٣٣ - ١٣٨

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّهَا مَا عَشَى ﴿٥٤﴾﴾ النجم: ٥٣ - ٥٤" يعني قلبها فأهوى بها منكسة عاليها سافلها وغشاها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مرقومة على كل حجر اسم صاحبه الذي سقط عليه من الحاضرين منهم في بلدهم والغائبين عنها من المسافرين والنازحين والشاذين منها¹.

فكانت قصتهم عبرة لمن سولت له نفسه المجاهرة بالمعاصي وعصيان الله في أرضه، وجعل الله مكانهم بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها ولا بالأراضي المتاخمة لها آية على قدرة الله وعزته، وعظة لمن كذب رسله.

الفرع الثاني: لوط عليه السلام في موجز الدائرة

كتب مادة المقال كل من المستشرقين: (برنارد هيلر)، و(فايدا²)، وترجمها (سعيد عبد المحسن). وهي من المواد القصيرة فقد وردت في قرابة صفحة واحدة بمصادرها.

ابتدأت المادة بالإشارة إلى ذكر لوط عليه السلام في التوراة ثم الحديث عنه في القرآن بقولهم: "هو لوط الذي جاء ذكره في التوراة - سفر التكوين - ووردت قصته في القرآن في السور المكية بوصفه نبيا من الأنبياء اختلف مع قومه الذين بعث إليهم"³.

وهي بداية غالبا ما يبدأ بها في التعريف بالأنبياء الوارد أسمائهم في التوراة، على أساس أنها الأسبق فهي المصدر، وأن القرآن الكريم متأخر عنها فهو ناقل من الأصل (التوراة).

¹ ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ص168.

² فايدا (1908 -) Vadja, G: عين أستاذ في المعهد الديني الإسرائيلي بفرنسا، كان مدير المدرسة العملية للدراسات العليا بالسريون، من آثاره: مباحث يهودية عربية، واليهود والمسلمين بحسب الحديث، تاريخان للأنبياء في تعاليم بعض الشيعة... ينظر: العقيلي، مرجع سابق، 321-322.

³ موجز الدائرة، ج 28، ص8853، ع1

ذكر المستشرقان قصة نبي الله لوطا موجزة مختصرة، مع قومه بقولهم: "فقد أصرّ قوم لوط على ارتكاب المعاصي ونكران كرم الضيافة، فضلا عن كفرهم بما جاء به نبيهم، وعقابا لهم على معاصيهم أرسلت الملائكة - رغم شفاعة سيدنا إبراهيم- فدمرت المدينة العاصية التي لم يذكر القرآن اسمها بل اكتفى بوصفها بالمؤتفكة (ج المؤتفكات)"¹.

بهذا الشكل لخصت قصة سيدنا لوط عليه السلام، في إخلال بأصل القصة الواردة في القرآن والمشتهرة في التفاسير وكتب التاريخ، ولا يفهم سبب إطالة المستشرقين في مواضع من القصص واختصارهم الشديد في مواضع أخرى خاصة في المواضع المعلومة من الدين والمستوثق منها، والغريب اشترك مستشرقين في كتابتها وخروجها هزيلة لا تعكس صورة القصة القرآنية التي كررت مرارا في القرآن.

بعدها عرض المستشرقان إلى أصل كلمة (مؤتفكة) التي وصف بها القرآن الكريم قرية لوط، وجعلها كلمة محرفة "عن كلمة عبرية تعني السقوط، وهي كلمة ذكرت في التوراة في سياق الحديث عن تدمير سودوم ومثيلاثا المدن الثلاث الأخرى"².

مع أن المصدر الذي أحال عليه المستشرقان هو قصص الأنبياء للثعلبي يقول: "وكان في هذه القرية أربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت بالمؤتفكات أي المتقلبات"³، ويقول الطبري في تفسير قوله تعالى: (والمؤتفكات بالخاطئة): والقرى التي أتفكت بأهلها فصار عاليها سافلها⁴، وقال الراغب الأصفهاني: "الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب: مؤتفكة. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ الحاقة: ٩⁵. فالكلمة أصيلة

¹ المصدر السابق، ج 28، ص 8853، ع 1

² موجز نفسه، ج 28، ص 8853.

³ الثعالبي، قصص الأنبياء، ص 119

⁴ تفسير الطبري، ج 23، ص 576-575

⁵ الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص: 79

في اللغة العربية، واستخدمت في القرآن الكريم بمعناها العربي وهو القلب، أو الصرف عن الوجه ، ولا حاجة إلى ردها إلى التوراة ليعرف معناها.

ثم ذكر المستشرقان نهاية قصة لوط بدفن المدينة تحت وابل من حجارة من سجيل، وتم انقاذ لوط وعائلته فيما عدا زوجته التي عصت أوامره.

وكما لم تغب شبهة الاقتباس من كل القصص الخاصة بالأنبياء في أغلب مواد الدائرة عزز المستشرقان هذه الفكرة بقولهما: " وقد تناقل مفسرو القرآن والمؤرخون وجامعو قصص الوعظ، أخبار لوط استنادا إلى تفاصيل ورد معظمها في التوراة وإن كانت تميل إلى الإسرائيليات في اختلاق التفاصيل"¹.

لكن الناظر في الكتاب المقدس أو التوراة يجد أن قصة لوط مليئة بالكذب والافتراء وانتهاك عصمة الأنبياء، فلوط هو النبي الذي سعى للحفاظ على التزواج الصحيح والتناسل المشروع بين البشر، يتهم في التوراة بأنه زنا بابنتيه، وشرب الخمر، وتجعل التوراة الرب هو من جاء إلى لوط، في حين يجعلهم القرآن الكريم رسلا من الله تعالى. فالمقتبس عادة لا يغير حقائق الأشياء خشية الانتقاد، إلى إذا كان متأكدا من زيفها وكذبها. وهو ما صححه القرآن الكريم، وكرر قصة لوط لتترسخ المعاني الايمانية والقيم الأخلاقية التي كان يدعو إليها نبي الله في نفوس البشر.

وختم المستشرقان المادة بلفتة صوفية من ابن عربي بشأن لوط عليه السلام الذي "يعده رمزا للقوة الروحية التي تخضع رغبات الروح الشهوانية وتقهرها"²، وبالرغم من الموقف العام لعلماء الإسلام من ابن عربي، فإن هذه اللفتة غير معروفة أو شائعة عند المسلمين ومستغرب إيرادها في فهم عام لقصة لوط، وهو من تركيز المستشرقين على بث الأفكار الهدامة والانتصار للمذاهب المنحرفة، ومن باب التشهير بالشخصيات التي أثارت جدلا في الفكر الإسلامي.

¹ موجز الدائرة، ج28، ص8853

² موجز الدائرة، ج28، ص8853

وبالعموم تفتقد هذه المادة لحوار لوط مع قومه وقصته الواردة في القرآن الكريم. وبيان العبرة من هذه القصة التي من أجلها كررت في القرآن الكريم. والاهتمام بنشر وترويج الأفكار والمذاهب الثانوية والمنتقدة من المسلمين.

المطلب الثالث: قصة إسماعيل عليه السلام

الفرع الأول: إسماعيل عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ورد ذكر إسماعيل عليه السلام في القرآن الكريم في ثلاث مواضع لم ترد فيها قصتها، بل جاء فيها وصف إسماعيل عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(٣٩) إبراهيم: ٣٩ فإسماعيل كان أول ولد إبراهيم عليه السلام، وكان هبة من الله تعالى له بعد أن كبر في السن، قال الإمام السعدي: "فهبتهم من أكبر النعم، وكوّنهم على الكبر في حال الإياس من الأولاد نعمة أخرى، وكوّنهم أنبياء صالحين أجل وأفضل"¹.

وقال تعالى في سورة مريم ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٤٠) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا^(٤١) مريم: ٥٤-٥٥، قال الإمام فالشوكاني: " ووصف الله سبحانه إسماعيل بصدق الوعد مع كون جميع الأنبياء كذلك، لأنه كان مشهوراً بذلك مبالغاً فيه، وناهيك بأنه وعد الصبر من نفسه على الذبح فوق ذلك"²، وقال الإمام الزمخشري: "كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم، ولأنهم أولى من سائر الناس"³، وباصطفائه كان عند ربه من المرضيين "وذلك بسبب امتثاله لمراضي ربه واجتهاده فيما يرضيه، ارتضاه الله وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين، فرضي الله عنه، ورضي هو عن ربه"⁴.

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص: 427

² تفسير الشوكاني، مصدر سابق، ج4، ص462

³ تفسير الزمخشري، مصدر سابق، ج4، ص95.

⁴ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 496

وجاء في سورة ص ذكره مع الأنبياء، ووصفه مع الأخيار، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ ص: ٤٨ "فإن كلاً منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال، من الأعمال، والأخلاق، والصفات الحميدة، والخصال السديدة"¹.

وفي سورة الأنعام قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَافًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٨٦، يقول الامام الشعراوي: "فقد أخذوا ما زخرت به حياتهم من عظيم الفعال وكرم الخصال والسلوك القويم والقدوة الطيبة وبقي لهم الذكر الحسن"². وقال تعالى في سورة الأنبياء ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنبياء: ٨٥ قال الإمام الرازي: "كل من الصابرين أي على القيام بأمر الله تعالى واحتمال الأذى في نصرة دينه"³.

وجاء ذكر إسماعيل عليه السلام مقترنا مع والده إبراهيم عليه السلام في عدة مواضع خاصة منها ما كان في بناء البيت في قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعِهدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة: ١٢٧ - ١٢٩

كما جاء ذكره مع إبراهيم واسحاق ويعقوب لاشتراكهم في عقيدة واحدة، وأنهم على دعوة واحدة قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهُمَا وَحَدًّا وَنَحْنُ لَهُد مُّسْلِمُونَ﴾ البقرة: ١٣٣، يقول

¹ المصدر السابق، ص: 715

² تفسير الشعراوي، مصدر سابق، ج6، ص3771.

³ تفسير الرازي، ج22، ص178

الطبري: "والعرب لا تمتنع من أن تجعل الأعمام بمعنى الآباء، والأخوال بمعنى الأمهات. فلذلك دخل إسماعيل فيمن تُرجم به عن الآباء"¹

وورد ذكره مع مجموع الأنبياء في قوله تعالى ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ آل عمران: ٨٤ وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾ ﴿١٦٣﴾ النساء: ١٦٣

واعتر جمهور العلماء أن المقصود بالذبيح في سورة الصافات هو إسماعيل عليه السلام، في قوله تعالى ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٣١﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي لِي آيٌ فِي الْمَنَامِ أَيُّ أَدْبُحَكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَكَابُتٌ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿٣٤﴾ وَذَلَيْنَاهُ أَنْ يَتَّيَّبِرْهُمَا ﴿٣٥﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّبِّيَّةُ بِأَنَّكَ كَذَلِكِ نَجَزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٣٧﴾ وَذَلَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿٣٨﴾ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٣٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٤٠﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ الصافات: ١٠٠ - ١١١

وفيها أن إبراهيم سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا. فبشره الله بغلام حلِيم، قال جمهور العلماء على أنه إسماعيل قال ابن كثير: "لأنه أول من ولد على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل، وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل، لأنه أول ولده وبكره وقوله ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي شب وصار يسعى في مصالحه كأبيه²، ورأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه، ورؤيا الأنبياء وحي، فعرض هذا على ابنه، وما كان من الولد المطيع إلا أن يمتثل أمر الله فيه، "وأخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقَرَن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى"³. وكان هذا اختبارا لإبراهيم وابنه عليهما السلام، فلما استسلما لأمر الله وأقدم إبراهيم على ذبح فلذة كبده، نودي أن قد صدق

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج 3 ص 99.

² ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ص 138.

³ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 705.

الرؤيا ولهذا نال جزاء المحسنين بتفريح كربته وبلاءه "البين الذي يتميّز فيه المخلص عن غيره أو المحنة البيّنة الصُّعوبة إذ لا شيء أصعب منها"¹، بأن جاءه الفداء بكبش عظيم، ثم جاءته البشري بإسحاق نبيا صالحا وبارك الله لإبراهيم فيهما.

ومما جاء في السنة النبوية في ذكر إسماعيل عليه السلام، ما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس: "أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطلقا لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقال: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يتلفت إليها فقالت له: آله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع - حتى بلغ - يشكرون). وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء، عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى إذا جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس قال النبي ﷺ: (فذلك سعي الناس بينهما). فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس قال النبي ﷺ: (يرحم الله أم إسماعيل لو كانت تركت زمزم - أو قال لو لم تغرف

¹ تفسير أبي السعود، مصدر سابق ج7، ص 201.

من الماء - كانت زمزم عينا معينا). قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله، يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا، فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم، قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: (فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس).

فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج بيتي لنا، ثم سألتها عن عيشتهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا، فقال هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشتنا فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول غير عتبة بابه، قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك إحقى بأهلك فطلقها، وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد، فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج بيتي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله. فقال ما طعامكم؟ قالت اللحم. قال فما شربكم؟ قالت: الماء. قال اللهم بارك في اللحم والماء. قال النبي ﷺ: (ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه). قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومُريه يثبّت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني: كيف عيشتنا

فأخبرته أنّا بخير، قال: فأوصاك بشيء، قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل ييري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمر ربك قال: وتعيني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبنى بيتا هنا بيتنا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. قال فجعلا بينان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة: 1127

قال الإمام ابن كثير بعد أن ساق هذا الحديث: "وهذا الحديث من كلام ابن عباس وموشح برفع بعضه وفي بعضه غرابة وكأنه مما تلقاه ابن عباس عن الإسرائيليات وفيه أن إسماعيل كان رضيعا إذ ذاك وعند أهل التوراة أن إبراهيم أمره الله بأن يحنن ولده إسماعيل... فيكون عمر إسماعيل يومئذ ثلاث عشرة سنة... وليس في هذا السياق ذكر قصة الذبيح وأنه إسماعيل، ولم يذكر في قدمات إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث مرات: أولاهن بعد أن تزوج إسماعيل بعد موت هاجر، وكيف تركهم من حين صغر الولد على ما ذكر إلى حين تزويجه لا ينظر في حالهم، وقد ذكر أن الأرض كانت تطوى له، وقيل إنه كان يركب البراق إذا سار إليهم، فكيف يتخلف عن مطالعة حالهم وهم في غاية الضرورة الشديدة والحاجة الأكيدة، وكان بعض هذا السياق متلقى من الإسرائيليات ومطرز بشيء من المرفوعات"².

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب يزفون: النسلان في المشي، ج4، ص142-144، رقم الحديث: 3364.

² ابن كثير، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ص137-138

وجاء في صحيح مسلم، عن أبي عمار شداد، أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"¹

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: "إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة"²

هذه الإشارات الواردة عن حياة إسماعيل عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية، وما زاد عنها كان من الإسرائيليات المتلقاة عن أهل الكتاب والتي تعكس نظرهم لإسماعيل عليه السلام.

الفرع الثاني: إسماعيل عليه السلام في موجز الدائرة

كاتب مادة إسماعيل هو المستشرق (فنسنك)، ولم يرد اسم مترجمها ولا من علّق عليها في الهامش، وبالعودة إلى الإصدار الأول من الدائرة نجده اسم كاتب التعليق في الهامش هو الشيخ أحمد محمد شاكر، والمادة بقيت كما هي عليه في الإصدار الأول ولم يضاف إليها ما كتب في الإصدار الثاني، من الدائرة الأصلية، وهي من المواد القصيرة في موجز الدائرة.

بدأ فنسنك المادة بالتعريف بإسماعيل عليه السلام على أنه ابن إبراهيم، وذكر المواضع التي ذُكر فيها في القرآن الكريم، لكن هناك خلافا ارتكبه فنسنك في ترقيم الآيات قد يعود إلى الطبعة أو الترجمة التي اعتمدها للقرآن الكريم، والآيات التي جاء فيها ذكر إسماعيل عليه السلام هي: الآية 133 من سورة البقرة بدل الآية 130 التي ذكرها فنسنك، وكذا الآية 84 من سورة آل عمران بدل ذكره الآية 78 من نفس السورة، والآية 163 من سورة النساء بدل 161. وفي الفقرة الموالية الآية 133 بدل الآية

¹ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل النبي وتسلم الحجر عليه، ج7، ص58، رقم الحديث:

6077

² أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، ج4، ص147، رقم الحديث: 3371

127 من سورة البقرة، والآية 125 بدل الآية 119 من سورة البقرة، وهذا من باب الأمانة العلمية ليحسن الرجوع إلى الآيات بدقة.

ويستشهد فنسك بقوله تعالى ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ مريم: ٥٥، على أن "تصوير إسماعيل على هذا النحو يتفق تمام الاتفاق مع ما ذكره محمد ﷺ عن ملة إبراهيم¹، في إشارة إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادِعَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ إبراهيم: ٣٧ وقوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ إبراهيم: ٤٠، لكنه يجعل هذه الآيات من عند محمد ﷺ، وليست وحيا من الله تعالى للرسول ﷺ، وهي الفكرة الأساسية التي ينطلق منها المستشرقون في حديثهم عن القرآن الكريم، ويحاولون التأكيد عليها في بطون كتاباتهم.

ثم أشار فنسك إلى أن إسماعيل من آباء يعقوب، وأن الله عهد إليه مع إبراهيم بتطهير البيت الحرام، كما ذكر أن الروايات لا تذكر "شيئا البتة عن رسالة إسماعيل أو نزول الوحي عليه، ولم توضح صلته بنشر ملة إبراهيم²، وهذا قدح صريح من فنسك في نبوة إسماعيل عليه السلام، سيرا على رأي من سبقه من المستشرقين في أن النبوة كانت في إسحاق وذريته فقط، فإن كانت الروايات لا تورد قصة دعوة إسماعيل عليه السلام لقومه ونشره الدين، فلا أنه لم يرد شيء من ذلك في القرآن الكريم أو السنة نعتد عليه، وهذا لا يعني أنه لم يكن نبيا أو لم ينزل عليه الوحي، فنبوته ثابتة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم: ٥٤، وكذا نزول الوحي عليه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ النساء: ١٦٣، كما أن هناك بعض الرسل ذكروا في القرآن الكريم ولم ترد قصص دعوتهم لأقوامهم جاء ذكرهم في قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ ص: ٤٨.

¹ موجز الدائرة، ج3، ص 754، ع2.

² المصدر نفسه، ج3، ص754، ع2.

والملاحظ في قصة إسماعيل عليه السلام في دائرة المعارف الإسلامية، أن المستشرق ينطلق في عرض أفكاره من خلفيته المسبقة عن القصة والتي أساسها الكتاب المقدس أو القصص اليهودية، ثم يبحث في بطون المصادر الإسلامية وكتب التاريخ عما يوافق رأيه منها، خاصة وأن أغلب الروايات عن حياة إسماعيل عليه السلام مصدرها الروايات الإسرائيلية، ويعبر عن تصوراتهِ للمواقف وينقل حتى الخلل الواضح في الكتاب المقدس عن حياة إسماعيل عليه السلام.

وما يشير إلى هذا التخبط الواضح من المستشرق، إيراده لقصة بناء البيت مباشرة بعد وصول إبراهيم وأهله إلى مكة، حيث يقول "وقد أعان إسماعيل أباه إبراهيم في بناء البيت الحرام بعد أن حفر أساسه، فلما أتمَّ بناء البيت الحرام ترك إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل في تلك الأرض القاحلة يقاسيان ألام العطش، وأخذت هاجر تسعى بين الصفا والمروة باحثة عن الماء...¹ وهي فكرة مستوحاة من الكتاب المقدس والذي يجعل إبراهيم قد ذهب بهاجر وإسماعيل إلى مكة وكان عمر إسماعيل 16 سنة، ما جعله يعينه في بناء البيت، ثم يذكر بعد ذلك " وكان الطفل إسماعيل قد فرغ صبره وأخذ يدحض الأرض بقدميه أو بأصبعه"²، وهي الرواية الإسلامية التي تروي قصة زمزم، وبهذا يظهر مزج الكاتب بين رواية الكتاب المقدس وبين الرواية الإسلامية، ما أنتج رواية جديدة لا تعكس قصة إسماعيل عليه السلام لا في القرآن الكريم ولا في الرواية الإسلامية. وتخالف أصول البحث العلمي تماماً.

وهذا التناقض في تحديد سن إسماعيل يعود أصله إلى الكتاب المقدس، فقد جاء في سفر التكوين 16:16 "كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام"، وبحسب ما جاء في تكوين 5:21 "وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه". أي أن إسحاق ولد وعمر إسماعيل أربع عشرة سنة. وورد في سفر التكوين 9:21 "فكبر الولد وفطم، وصنع إبراهيم وليمةً عظيمةً يوم فطام اسحق ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم أطرده هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق". أي أن عمر إسماعيل أصبح 16 سنة عندما خرج مع والده، كما جاء في سفر التكوين: 15، 21: "ولما فرغ الماء من القرية طرحت الولد تحت

¹ المصدر السابق، ج3، ص755، ع1.

² المصدر نفسه، ج3، ص755، ع1.

إحدى الأشجار ومضت وجلست مقابله بعيدا، وفي الفقرة 18 يقول: "قومي احملني الغلام وشدي يدك به" فكيف لهاجر أن تطرح إسماعيل تحت الأشجار، وهل كانت تحمله وهو عمره 16 سنة، ثم كيف تقوم بحمله بعد ذلك. وهذا بالتأكيد ناتج عن التحريف الواضح للحقائق وتاريخ الأنبياء. وهو ما انعكس على الذهنيات الاستشراقية وعلى كاتب المادة وأوقعه في الخلط.

بعدها ذكر فنسك باختصار قصة زواج إسماعيل وزيارة إبراهيم له في غيبته والواردة في صحيح البخاري من حديث ابن عباس، وتحدث عن قبر إبراهيم وهاجر الذين دُفنا في الحجر بيت الله، وعبر عن ذلك بقوله: "وهذا تشریف اختص به أكثر الأنبياء لأن النبي ﷺ ينتسب إلى أرض الأنبياء"¹ وهي عبارة غامضة يستشف منها القارئ أن محمدا ﷺ عمد إلى أن يجعل كل الأنبياء ينتمون إلى أرض الأنبياء أي (مكة)، والحقيقة أن الروايات التي تجعل أغلب قبور الأنبياء في الحجر أو حول الكعبة لا أصل لها وأسانيدها واهية، فلا يمكن نسبة القول فيها إلى الرسول ﷺ، بل قال العلماء إن قبور الأنبياء مجهولة ولا يمكن تحديد أماكنها إلا بنص صحيح صريح، وذلك غير وارد.

والكعبة كانت تشتمل على الحجر عندما رفع إبراهيم وإسماعيل قواعد الكعبة، وعندما أرادت قريش بناء الكعبة بعد السيل الجارف الذي أصابها في الجاهلية، أعادت بناءها لكن مع تقصير الكعبة وأخرجت منها الحجر، لأنهم اشترطوا أن لا يدخل في بنائها إلا المال الحلال، وبنوا عليه جدارا قصيرا دلالة على أنه منها فقد جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "سألت النبي ﷺ عن الجدر أمن البيت هو؟ قال: نعم قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت قال: إن قومك قصرت بهم النفقة، قلت: فما شأن بابه مرتفعا، قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض"²، فكيف تكون قبور الأنبياء في الحجر وقد كان من الكعبة إلى عهد رسول الله ﷺ.

¹ موجز الدائرة، ج3، ص 755، ع2

² أخرجه البخاري في صحيحه، مصدر سابق، باب من أين يخرج من باب مكة، ج2، ص146، رقم الحديث

ثم ذكر فنسنتك أن "الروايات الإسلامية تعرف قصة الذبيح الواردة في سفر التكوين" في تأكيد على اقتباس المسلمين لقصة الذبح من الكتاب المقدس، بالرغم من أن المذكور في قصة الذبح في الكتاب المقدس هو إسحاق، وجمهور علماء الإسلام يرون أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

وقد أشار فنسنتك نفسه إلى هذا الاختلاف بقوله: "وإن علماء الدين يؤكدون أن الذبيح كان إسماعيل وليس اسحاق، ويستدلون بأقوال عبد الله ابن عمر وابن عباس والشعبي ومجاهد وغيرهم، ثم يستشهد فنسنتك بالأثر الوارد عن عمر بن عبد العزيز والذي سأل فيه يهوديا أسلم عن هذا الخلاف فأجابه بأنه إسماعيل، وأن اليهود تعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم ويدعون أن الذبيح كان اسحاق"¹.

وهذا من المسائل الخلافية بين المسلمين، لكن القول الراجح عند أئمة الإسلام أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام واستدلوا على ذلك بعدة أدلة ذكرها الشيخ أحمد محمد شاكر في هامش المادة عند الحديث عن هذا الخلاف هي: أنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم وهو أكبر من إسحاق، وقد أمر بذبح وحيدته، وفي بعض روايات أهل الكتاب بكرهه، وهذا لا يصدق إلا على إسماعيل، لأن إسحاق ولد بعد إسماعيل بأكثر من عشر سنين.

ثم استدلل بقول الامام الحافظ ابن كثير: "وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضا، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلقَى إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلما من غير حجة. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾** ١١٢. ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: **﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾** ٥٣ الحجر: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾﴾** ٧١ هود: **﴿٧١﴾** أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله تعالى

¹ ينظر: موجز الدائرة، ج3، ص755-756.

قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام¹.

وقد استدلت أئمة الإسلام على أن إسماعيل هو الذبيح من نص القرآن الكريم نفسه، فالذبيح كان بكر ووحيد إبراهيم عليه السلام وهذا بنص الكتاب المقدس نفسه فقد جاء في سفر التكوين: 22، 2 "فقال: خذ ابنك وحيذك الذي تحبه إسحاق" وفي رواية "ابنك البكر" والابن البكر الوحيد الذي كان لإبراهيم هو إسماعيل، وبعد 13 سنة ولد إسحاق عليه السلام، يقول الإمام ابن تيمية "وإسماعيل هو الذي كان وحيداً وبكره، باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، لكن أهل الكتاب حَرَفُوا فزادوا إسحاق، فتلقى ذلك عنهم من تلقاه، وشاع عند بعض المسلمين أنه إسحاق، وأصله من تحريف أهل الكتاب"². ويقول الأستاذ عبد الوهاب النجار: "ولا شك عندي في أن اليهود حشروا لفظ إسحاق دون أن ينتبهوا إلى أن يحدفوا كلمة وحيذك، وقد جاء لفظ وحيذك بدون لفظ إسحاق في سفر التكوين 22: 16 ونص عبارته (إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيذك) وغرض اليهود من ذلك أن يثبتوا أن أباهم إسحاق هو الذي جاد بحياته ليكون قرباناً لله ولم يمانع وهو في سن الحداثة وميعة الصبا وأنه هو الذي يتبارك به جميع أمم الأرض، مع أن الحقيقة أن الذبيح والعهد كان بإسماعيل، وقد صرح بهذا في إنجيل برنابا"³.

وينقل عبد الحميد السرحان نص إنجيل برنابا الذي يقول: "كلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقمه ذبيحة"⁴. بالرغم من أن هذا الإنجيل غير معترف به من الكنيسة، لأنه يخالف ما توافقت عليه الكنيسة في الأناجيل المعتمدة.

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص27.

² ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج4، ص 331 - 332

³ موجز الدائرة، ج3، ص 707-708.

⁴ ينظر: عبد الحميد خالد سرحان، العقائد الإسلامية وإنجيل برنابا، مكتبة الصحابة الإسلامية-بيروت، ط1، دت ط، ص 85-86.

ويقول الإمام الشنقيطي في تفسيره للبشارتين الواردتين في سورة الصافات: "فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً: وبشرناه بإسحاق، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزه عنه كلام الله، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولاً الذي فُدي بالذبح العظيم، هو إسماعيل، وأن البشارة بإسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك... ويستأنس لهذا بأن المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقيناً عُبر عنه في كَلِّها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفة بالحلم لا العلم"¹.

كما أن المعروف أن الذبيح كان بمكة، وبه اتصلت شعائر الحج من سعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمرات، وتقديم القرابين يوم النحر، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة، وليس كما يقول أهل الكتاب كان إسحاق الذبيح ومكان الذبح بالشام، وإلا كان اليهود لهم يوم يحتفلون به، لكن الفداء عندهم مرتبط بالخروج من مصر فقط وقد نقل القرطبي -رحمه الله- عن الأصمعي قال: "سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عزب عنك عقلك! ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة"².

وبهذا يظهر أن القول الراجح في المفدى من الذبح هو إسماعيل عليه السلام، لكن أهل الكتاب حسداً من عند أنفسهم، جعلوه إسحاق عليه السلام، ليكون لهم الشرف، واستنادهم إلى كتاباتهم المحرفة لن يغير من الحقيقة شيئاً، ولا يوجب التعويل عليها.

وختم فنسك المادة بحديثه على أن إسماعيل كان أبا العرب الذين كانوا في شمال الجزيرة. وأنه جد العرب المستعربة وهم يرجعون بنسبهم إلى عدنان. على أن هناك اختلافات في إيراد سلسلة النسب التي تربط عدنان بإسماعيل وأحياناً تتفق مع ماورد في سفر التكوين: 25"³

¹ تفسير الشنقيطي، مصدر سابق، ج6، ص471.

² تفسير القرطبي، مصدر سابق، ج15، ص100.

³ موجز الدائرة، ج3، ص756، ع2.

تظهر مادة إسماعيل من المواد التي حاول فيها المستشرقون طمس النبوة العربية كما كان عهدهم مع أنبياء الله هود وصالح عليهم السلام، كما حاولوا انتزاع أي شرف أو عمل صالح لإسماعيل عليه السلام، لتبدو صورته مطابقة لما جاء في الكتاب المقدس من أنه لم يرث من إبراهيم أي شيء.

المطلب الرابع: قصة إسحاق عليه السلام

الفرع الأول: إسحاق عليه السلام في القرآن الكريم

ورد ذكر إسحاق عليه السلام في عدة مواضع من القرآن الكريم، وارتبط بتبشير إبراهيم عليه السلام به كما جاء في سورة هود والصفات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ هود: ٦٩ - ٧٣،

فقد جاءت البشري إبراهيم عليه السلام بأن سيرزق ولدا اسمه إسحاق على كبر سنّه وكون زوجته عاقرا، ثم أعظم له البشري بأن هذا الولد سيكون نبيا وسيكون له ذرية صالحين، وإن كان نبي الله إبراهيم قد رزق بولد قبله هو إسماعيل عليه السلام، وأنزل الله بركته على إسماعيل وإسحاق في علمهم وعملهم وذرياتهم، وقال تعالى ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿٧٣﴾﴾ الصفات: ١١٢ - ١١٣، يقول السعدي: "ولعل هذا من باب دفع الإيهام، فإنه لما قال: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ اقتضى ذلك البركة في ذريتهما، وأن من تمام البركة، أن تكون الذرية كلهم محسنين، فأخبر الله تعالى أن منهم محسنا وظالما"¹

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 706

وجاء وصف اسحاق وابنه يعقوب بأثما هبة من الله تعالى لإبراهيم عليه السلام، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا
 أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْجُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ مريم: ٤٩
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ الأنبياء: ٧٢، قال ابن كثير:
 "فأعطاه الله إسحاق وزاده يعقوب نافلة"¹، وجعلهما من أهل الخير والصلاح.

فمنَّ الله على إبراهيم بأن جعل في ذريته النبوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي
 ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۚ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ العنكبوت: ٢٧، وهي منة عظيمة من الله تعالى بأن جعل الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام كلهم من نسله.

كما ورد ذكر إسحاق في وصية يعقوب لبنيه، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ
 إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالنَّهَارِ وَجَدَّا
 وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ البقرة: ١٣٣

وأنكر الله تعالى أن يكون إبراهيم وبنيه من اليهود أو النصارى وهو أعلم بذلك، وهي حقيقة
 يعلمها بنو إسرائيل لكنهم كتموها وظلموا بها أنفسهم قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٠﴾ البقرة: ١٣٠

وتكررت الآيات في بيان أن إسحاق عليه السلام سار على نهج الأنبياء، ودعا إلى الإيمان بالله
 تعالى من عند الله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴿٨٤﴾ آل عمران: ٨٤

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾ النساء: ١٦٣

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص354.

كما ذكر إسحاق الطيبي في قصة يوسف لأنه من آبائه، بالإقرار بفضل الله على آل يعقوب وإسحاق قال تعالى: ﴿وَيُنِمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يوسف: 6.

وجعل الله إسحاق من أهل القوة والبصيرة، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ إِنَّا أَخْلَصْتَهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدار: 61، وإتهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴿٤٧﴾ ص: ٤٥ - ٤٧، أي "جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعبر، ويذكرون بأحسن الذكر"¹. جاءت قصة إسحاق الطيبي في القرآن الكريم من خلال إشارات عن حياته، وبعض صفاته، ولم يرد في السنة أي حديث صحيح في سيرته.

الفرع الثاني: إسحاق الطيبي في موجز الدائرة

كتب مادة إسحاق الطيبي في موجز الدائرة المستشرق (ايزنبرغ)، وعلق عليها عبد الوهاب النجار وهي من المواد القصيرة في الدائرة.

بدأ المستشرق ايزنبرغ التعريف بالنبي إسحاق الطيبي بأن اسمه في التوراة (إيساك)²، وقد ناقش الأستاذ عبد الوهاب النجار سبب تسمية الغرب لإسحاق بإيساك، مرجعا ذلك إلى غياب حرف الحاء عند الأوربيين، لأن أصل الاسم في العبرانية (يصحق) وهو بالعربية (يضحك) بإبدال الضاد صادًا، ولقرب مخرجي القاف والكاف، وسبب تسميته كما في سفر التكوين أن والدته سارة زوجة سيدنا إبراهيم قالت: "قد صنع الله لي ضحكا كل من يسمع لي"³.

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص714.

² وأصله (إيساك)، وقد يكون هذا خطأ مطبعي.

³ موجز الدائرة، ج3، ص706.

ثم ذكر إيزنبرغ أنه جاء في التلمود أن مولده كان في عيد الفصح، أما رواية المسلمين فتذهب إلى أنه ولد في ليلة عاشوراء¹ معتمدا على رواية الثعلبي والكسائي في ربط مولد إسحاق بيوم عاشوراء، وهما لا يذكران أي دليل أو نص صحيح صريح على هذا القول، فلا يمكن الاعتماد على روايتهما، خاصة وأن منهجهما جمع كل الروايات من غير تمحيص ولا بيان سند، وأغلبها مأخوذ عن أهل الكتاب.

كما أشار إيزنبرغ أن الله وعد إبراهيم عليه السلام به قبل عام، مستندا على ما جاء في سفر التكوين، لكن القصة القرآنية تروي زيارة رسل الله إليه وتبشيرهم له به من غير تحديد زمن ذلك. ونقل عن الثعلبي والكسائي أن الضيوف حُبسوا عن إبراهيم وكان لا يأكل إلا معهم، حتى جاءه ثلاثة غرباء وجاءهم بعجل حنيد فأمسكوا ولم يأكلوا " وقالوا لا نأكل طعاما إلا بئمن، قال فإن لهذا ثمنا هو أن تذكروا اسم الله تعالى على أوله وتحمده على آخره"² بالرغم من أنهم في القرآن لم يأكلوا إطلاقا، وفي التوراة قد أكلوا فقد جاء في سفر التكوين:18، 8 "وإذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا". وهو ما أشار إليه الأستاذ عبد الوهاب النجار في تعليقه على المادة بقوله: "أقول إذا كان الثعلبي ذكر ذلك في هذا الموضوع، فقد أخطأ"³ وذكر الأستاذ النجار في تعليقه قصة في الأدب العبري عن إبراهيم مع رجل تشبه هذه القصة، لكنها لم تكن مع الملائكة. وهذا يبيّن منهج المستشرق في التعامل مع الروايات على حسب هواه، وليس بطريقة علمية موضوعية تدرس صحة الرواية وصدقها.

ثمّ يحاول إيزنبرغ تقرير أن إسحاق هو الذبيح، حيث يقول: "فبشّروه بإسحاق. وضحكت سارة، لأنها كانت بنت تسعين وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة. فقال إبراهيم: هو الله إذن ذبيح (يرجح أن هذه السمات أصلها في رواية المدرّاش (النسخة المحرّرة من التكوين 55، تكوين تانخوما 40))"⁴.

¹ المصدر السابق، ج3، ص 706، ع2.

² المصدر نفسه، ج3، ص 704، ع2.

³ المصدر نفسه، ج3، ص 707، ع1.

⁴ المصدر نفسه، ج3، ص704، ع2.

فبالاعتماد على الرواية التفسيرية للتوراة لا يمثل الرؤية الإسلامية للقصة، وإن كان قد أخذ بها بعض المفسرين.

وبالاعتماد على سفر التكوين وبعض الأسفار المندثرة مثل سفر هياشر¹، ساق إيزنبرغ قصة منام إبراهيم وكيف أمر أن يقدم قربانا إلى الله، وقد كان منامين وليس مناما واحدا، وهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم، ثم عرض إيزنبرغ حوارا دار بين إبراهيم وابنه إسحاق في قصة الذبح، يصبر فيها الولد أباه، وكل هذا لم يرد لا في القرآن الكريم ولا في السنة ولا في التوراة، بل هي مما اشتهر من الموروث اليهودي الشعبي وكلها إسرائيليات نقلها الكسائي عن هذا الموروث، والشبهة الكبيرة أنه في أثناء عرض هذه الحوار استشهد بالآيات القرآنية، حتى لكأن القارئ يظن أنه قد وردت بهذا الشكل في القرآن الكريم أو يعدّه من تفسير آيات القرآن.

ثم ذكر أن الكبش الذي افتدي به إسحاق كان كبش هايبيل الذي جعله قربانا لله، وأن إسحاق حُلق على شَبّه إبراهيم إلا أن إبراهيم كان أشيب، لأنه شاع بين الناس أن إسحاق كان لقيطا وأن إبراهيم تبناه، وهي قصص وافتراءات يهودية لا أصل لها في الإسلام، ونسبة ذلك إلى الكسائي غير صحيحة، فقد جاء في قصص الأنبياء للكسائي ذكر الشبه بين إبراهيم عليه السلام وإسحاق عليه السلام من دون ذكر قصة التبنّي وهذا تجرّي وكذب على الكسائي، والواضح أنه تلفيق على الإسلام أو مأخوذ عن الأساطير اليهودية ولا علاقة له بالإسلام ولا بالقرآن.

ختم إيزنبرغ المادة بالإشارة إلى أن القرآن الكريم لا يذكر اسم الذبيح، لكن العلماء المسلمين ينسبون قصة الذبح إلى اسماعيل عليه السلام، لكنه يخلص في الأخير إلى عدم اختلاف الرواية الإسلامية عن

¹ سفر ياشر Book of Jasher، أو كتاب ياشر، ويطلق عليه أيضًا سفر هياشر أو هياشر Sefer haYashar – Sēper haiYāšār. هو كتاب مدني قديم، كان يضم الأغاني الشعبية المتداولة بين اليهود، حول الأحداث الهامة دينية ومدنية. وبعض هذه الأغاني كانت تشمل أناشيد عسكرية للجنود.. ويرجع هذا الكتاب إلى ما بين سنة 1000 وسنة 800 قبل ميلاد السيد المسيح، أي بعد موسى النبي بأكثر من خمسمائة سنة، إذ ورد فيه ما يخص داود النبي ومرثاته للملك شاول. إذن ليس هو من توراة موسى النبي، لأنه يشمل أخبارًا بعد النبي موسى بعدة قرون. إن بعض الأحداث التاريخية الهامة في العهد القديم، تغنى الناس بها، ونظموا حولها أناشيد وضعوها في هذا الكتاب، الذي كان ينمو مع الزمن، ولا علاقة له بالوحي الإلهي. ينظر: موقع الأنبا تكلا هيمانوت، تراث

التوراة في جعل إسحاق هو الذبيح. حيث يقول: " ولكن يمكن أن يقال - كما يقرر الثعلبي- إن الصحابة و التابعين من عمر بن الخطاب إلى كعب الأحبار، وكذلك أقدم الروايات لم تختلف عن رواية التوراة في هذا الموضوع"¹.

وبالعودة إلى قصص الثعلبي الذي استدل به المستشرق نجده يعرض القولين وأصحابهما، وذكر أدلة كل فريق، وفي ختام الباب الخاص في ذكر أمر الله تعالى خليله ﷺ بذبح ولده قال: "وأما الدليل على أنه إسماعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبر أن قرني الكباش كانا معلقين بالكعبة إلى أن احترق البيت فاحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج، وهذا أدل دليل على أن الذبيح إسماعيل"². ثم ساق قصة الذبح وفيها إسماعيل ﷺ كما ذكرها المستشرق إيزنبرغ عن الإسرائيليات. فاستدل المستشرق بقول الثعلبي خاطئ، لترجيح الثعلبي كون إسماعيل هو الذبيح، وبهذا يكون تقرير إيزنبرغ ليس في محله، بل اتباع لهواه وخلفياته، وبتر للكلام عن سياقه بما فيه نصره خفية لدينه.

وفي الأخير فإن مادة إسحاق ﷺ في موجز الدائرة من المواد التي كتبت على خلفية الخرافات والقصص اليهودية، وترويجا لآراء ومذهب الكاتب من أن الذبيح هو إسحاق ﷺ، وهي لا تعبر حقا عن صورة إسحاق في الإسلام. وهذا من الأخطاء المنهجية التي تحسب على الدائرة، فالحقيقة أن المستشرق إيزنبرغ يعرض قصة إسحاق ﷺ بالاعتماد على مصادر الدينية في إهمال واضح للأصل الإسلامي للقصة، أو البحث في الروايات الشاذة والغريبة بما يتوافق ومعتقداته وخلفياته، وإبعاداً للحقيقة القرآنية، وأقوال جمهور علماء المسلمين. وإن كان هذا متجليا من خلال مطالب هذا المبحث الذي كان مشحونا بالشبهات والافتراءات الموجهة نحو القرآن الكريم والنبي محمد ﷺ، وكان أكثر مصادر الروايات الإسرائيلية الضعيفة وافتراضات المستشرقين.

وقد تمّ في هذا الفصل مناقشة قصص الأنبياء غير بني إسرائيل من خلال ما جاء في موجز الدائرة، وتبيّن أن آليات المستشرقين ومناهجهم قد طالت هذا النوع من قصص الأنبياء، من دعوة للاقتباس في أغلب هذا القصص من خلال المقارنات التي حفلت بها المواد، بين ما جاء في القرآن

¹ موجز الدائرة، ج3، ص 705، ع2.

² الثعلبي، قصص الأنبياء، مصدر سابق، ص102.

الكريم وبين التراث اليهودي والمسيحي، وكأثما مقدمة لموسوعة الأديان وليست للموسوعة الخاصة بالتصور الإسلامي للأمور، كما طغى التشكيك الأكيد خاصة في قصص أنبياء العرب، وكذا التأويل المتعسف للآيات القرآنية، وبترو النصوص التاريخية وأقوال العلماء عن سياقها بما يخدم رؤيتهم الفكرية، وانتقاء الأحداث والدلائل والمصادر، يتم عن خطة محكمة في صياغة مثل هذه المواد التي تعدّ من المشترك الإنساني، والتي تمر على عدة مستشرقين من لجنة التحرير، وبموافقتهم. ما سيعمل على تشويش ذهن القارئ، وخلط في الحقائق، وترويج الأساطير والخرافات، هذا فيما يخص الأنبياء غير البارزين في التراث اليهودي والمسيحي، فكيف سيكون الحال بالنسبة لقصص بني إسرائيل، الذين تعتبر الكتابة عنهم حكراً عليهم.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

المبحث الأول: قصص يعقوب ويوسف عليهما السلام

- المطلب الأول قصة يعقوب عليه السلام
- المطلب الثاني: قصة يوسف عليه السلام

المبحث الثاني: قصة موسى وهارون عليهما السلام

- المطلب الأول: قصة موسى عليه السلام
- المطلب الثاني: قصة هارون عليه السلام

- المبحث الثالث: قصص داود وسليمان عليهما السلام

- المطلب الأول: قصة داود عليه السلام
- المطلب الثاني: قصة سليمان عليه السلام

المبحث الرابع: قصص زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام

- المطلب الأول: قصة زكريا عليه السلام
- المطلب الثاني: قصة يحيى عليه السلام
- المطلب الثالث: قصة عيسى عليه السلام

اصطفى الله تعالى نبيّه الكريم إبراهيم عليه السلام خليلاً، وجعل النبوة في نسله، واصطفى بني إسرائيل على العالمين، وبعث فيهم الأنبياء يدعوهم لطريق الحق، لكنّ بني إسرائيل كفروا وكذبوا الرسل، وألحقوا بهم الأذى حتى وصل الأمر إلى قتل الأنبياء، وقد فصلّ القرآن الكريم في قصصهم مع أنبياءهم، وكشف عقائدهم، وأظهر مكامن أنفسهم، ليعرف المسلم صفاتهم، ويكون فطنا في التعامل معهم.

ولطالما طرح المستشرقون فكرة علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية، ولأن قصص بني إسرائيل من المشترك بين هذه الأديان السماوية، وقد وردت في الكتاب المقدس، وأثرتها الدراسات اليهودية والمسيحية، كانت هذه أسبابا جعل المستشرقين يقدّمونها مصادر أصلية في بحوثهم وكتابتهم، ولا يعيرون لغيرها أيّ اهتمام، هذا إذا لم يتمّ وسمه بالتأثر بما فيها. وانطلاقاً من هذا كيف عرض المستشرقون لقصص بني إسرائيل. وما هي أهمّ الشبهات المثارة حولها؟

المبحث الأول: قصص يعقوب ويوسف عليهما السلام

ذكرت قصة كل من نبيي الله يعقوب ويوسف عليهما السلام مجتمعة في سورة واحدة، لأنّها قصة الأب وابنه، وإن كانت حملت السورة اسم يوسف عليه السلام، لاستقصائها لأغلب تفاصيل حياته، وتفردت بكونها أطول قصة في القرآن الكريم وردت كاملة في موضع واحد، لم تكرر في غيره، حملت العديد من العبر والمواعظ، وفاضت بالمشاعر والأحاسيس، وامتألت بصنوف الحنن والفتن، وكشفت مكامن النفس البشرية، وأظهرت حكمة التدبير الإلهي في حياة الإنسان، فكانت بحق أحسن القصص، وقد كان لاختلاف السرد بين القرآن الكريم والكتاب المقدس أثره في تركيز المستشرقين على الجانب التاريخي والسردية أكثر من الوقوف على الحقيقة والعبرة، فكيف سينعكس ذلك على هاتين القصتين في كتابات المستشرقين في الدائرة.

المطلب الأول قصة يعقوب عليه السلام

الفرع الأول: يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ورد ذكر يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم من خلال إشارات مقتضبة، ولم ترد قصته إلا بذكره مع بعض الأنبياء الآخرين، كارتباط ذكره بإبراهيم عليه السلام فقد كان هبة الله تعالى له بعد عمه إسماعيل ووالده إسحاق عليهم السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا...﴾ الأنعام: ٨٤، وقد كان التبشير به قبل أن يولد والده إسحاق عليه السلام، كرامة لإبراهيم عليه السلام وإشارة إلى أن الله سيطلق عمره ويرى حفيده قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ هود: ٧١، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴿٧٢﴾﴾ والأنبياء: ٧٢، ومن تمام البشري لإبراهيم عليه السلام أن يجعل الله في ذريته النبوة والكتاب فكان أبا الأنبياء قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَكُم مَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿٧٣﴾﴾ مريم: ٤٩

ويعقوب عليه السلام هو أبو الأسباط الاثني عشر، وإليه ينسب شعب بني إسرائيل ويسمى يعقوب (إسرائيل) قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣١﴾﴾ آل عمران: ٩٣ "وقد جاء عند أهل التوراة أن الله سماه (إسرائيل) ومعناه في العبرية (روح الله)"¹.

وقد بين الله تعالى الملة التي كان يتبعها يعقوب عليه السلام وأوصى بها ذريته من بعده قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ البقرة: ١٣٢، قال الإمام ابن كثير: "أي أحسنوا في حال الحياة والزمو هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه"². ثم ردّ الله تعالى على زعم اليهود، بأنهم على ملة إبراهيم ويعقوب التي كانت اليهودية، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ البقرة: ١٣٣، "ومن المعلوم أنهم لم يحضروا يعقوب، لأنهم لم يوجدوا بعد، فإذا لم يحضروا، فقد أخبر الله عنه أنه وصى بنيه بالحنيفية، لا باليهودية"³. وتأكد هذا المعنى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

¹ محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، مكتبة الغزالي-دمشق، مؤسسة مناهل العرفان-بيروت، ط3، 1985م، ص 258.

² تفسير ابن كثير مصدر سابق، ج1، ص446.

³ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص66.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾
يوسف: ٣٨.

كما نفى عنهم ما كان يقوله اليهود والنصارى قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ البقرة: ١٤٠، أي "أتقولون إن اختصاصكم بالقرب من الله دوننا هو من الله وهو ربنا وربكم، أم تقولون إن امتيازكم باليهودية أو النصرانية التي أنتم عليها إنما كان بأن هؤلاء الأنبياء كانوا عليها، فإن كان هذا ما تدعون فأنتم كاذبون فيما تقولون، فإن هذين الاسمين إنما حدثا فيما بعد، فما حدث اسم اليهودية إلا بعد موسى، وما حدث اسم النصرانية إلا بعد عيسى، فكيف تزعمون أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا، وقضية العقل شاهدة بكذبكم؟"¹ وهذا مثبت في كتبهم وهم يعلمونه يقينا لكنهم يكابرون الحقيقة ويكتمون الحق وهذا أعظم الظلم.

ووردت الإشارة إلى يعقوب عليه السلام في قصة يوسف عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيْمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ يوسف: ٦. قال الإمام القرطبي: "وأعلمه الله تعالى بقوله ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾ أنه سيعطي بني يعقوب كلهم النبوة"²، أو يجعل النبوة في عقبه، كما جاء في دعاء زكريا عليه السلام بالذرية الطيبة التي ترث ميراث النبوة قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيْمُ وَيَرِيْمُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ مريم: ٦

وفي قصة يوسف تجلت صورة يعقوب الأب الحكيم الصابر من بداية السورة إلى ختامها، وإن لم يرد اسمه، لكن ورد في السنة الشريفة ما يؤكد نسب يوسف عليه السلام، فعن عمر رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام"³، وقد نهي يعقوب عليه السلام ابنه يوسف عن ذكر الرؤيا التي رآها لإخوته مخافة من وسوسة الشيطان لهم ﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يوسف: ٥، ولعلمه الأكيد بالحسد الذي يكنه أولاده الآخرون ليوسف حاول أن يثنيهم عن أخذ يوسف معهم للترويج عن نفسه مخافة أن يصيبه مكروه، لكن وقف عاجزا أمام إصرارهم،

¹ تفسير المراغي، مصدر سابق، ج1، ص229.

² تفسير القرطبي، مصدر سابق، ج9، ص129.

³ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، ج4، ص184، رقم الحديث:

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ليقع ما كان يخشاه، وبنياً بما وقع ليوسف ويعطوه الدليل الكاذب الذي يتبين به كذبهم وإثمهم، فيحتسب أمره لله تعالى ويصطبر ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ﴿١٨﴾ يوسف: ١٨

وبمر الزمن، وتدور الأحداث، ويبقى ألم فراق يوسف يحرق قلب يعقوب الصابر، لئيتلى في ابنه الآخر الذي كان عزاءه في يوسف، عندما جاء أولاده وأخبروه أنهم مأمورون بإحضار أخيهم الصغير وإلا فلن يكون لهم كيلٌ أبداً، فيسلم الأب المكلوم ابنه لله تعالى ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ ﴿١٩﴾ يوسف: ٦٤

ثم يأخذ منهم موثقاً أن يعيده سالماً له إلا أن يقبوا جميعهم في مصيبة فلا يجدوا إلى إنقاذه سبيلاً، ثم أوصاهم بالدخول من أبواب متفرقة خوفاً عليهم من أن يصيبهم مكروه، ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَبَكُمْ فَلَمَّاءُ تَوَهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ﴿٢٠﴾ وقال يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمَّ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٢١﴾ يوسف: ٦٦ - ٦٧ وقد كان خوف يعقوب من أن تصيبهم العين كما ذكر المفسرون؛ لأنهم كانوا ذوي جمال ظاهر، وثياب حسنة وأولاد رجل واحد، فأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة. وأقرّ بأنه لن يردّ عنهم ضرراً ولن يجلب لهم نفعاً بهذا التدبير، بل ما قضاه الله عليهم فهو واقع لا محالة. ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرُهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُوْعُهُمْ لِمَا عَلَّمْتَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ يوسف: ٦٨. وهذه الاحتياطات التي اتخذها يعقوب بعثت في نفسه الطمأنينة أكثر مع توكّله على الله تعالى ليقينه الكامل بأنه لا رادّ لأمر الله وحكمه أبداً. "وليس هذا قصورا في علمه، فإنه من الرسل الكرام والعلماء الربانيين، ولهذا قال عنه: ﴿وَإِنَّهُ لُدُوْعُهُمْ لِمَا عَلَّمْتَهُ﴾ أي: لصاحب علم عظيم، ﴿لِمَا عَلَّمْتَهُ﴾ أي: لتعليمنا إياه، لا بحوله وقوته أدركه، بل بفضل الله وتعليمه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عواقب الأمور ودقائق الأشياء وكذلك أهل العلم منهم، يخفى عليهم من العلم وأحكامه ولوازمه شيء كثير"¹.

ويُبتلى نبي الله يعقوب عليه السلام بفقد ابنه، لكنّ ثقته بالله لا تهتز أبداً ويظل صابراً لحكم الله، ويجدد هذا الفراق حزنه على يوسف حتى تبيض عيناه، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٣﴾ وتولّى عنهم وقال يَا سَفِي عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾ يوسف: ٨٣ - ٨٤

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 401

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

حتى إذا انتهره أهله عن ذلك ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾¹ يَكْتَبِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ يوسف: ٨٦ - ٨٧ أي: "إنما أشكو خبري الذي أنا فيه من الهم، وأبث حديتي وحزني إلى الله"¹. ثم استنهض همهم أولاده ليعودوا ويتحسسوا خبرا عن يوسف وأخيه، وأن لا يقطعوا رجاءهم من الله تعالى. وكل ذلك ييقن وثقة كبيرة بالله تعالى، فكان أن جاءته البشري ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ نَفَخْتُمْ فِيهِ﴾ يوسف: ٩٤، قال الإمام ابن كثير: "لما خرجت العير، هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف"²، لكن أهله كذبوه، حتى جاء البشير وألقى عليه القميص فعاد بصيرا، حينها نطق يعقوب ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٩٦، وطلب الأبناء من أبيهم أن يستغفر لهم لذنوبهم فأجابهم إلى طلبهم. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يوسف: ٩٨. فكان الأب الرحيم بأبنائه، والنبي الكريم الذي يرجو الهداية للضالين والمغفرة للآثمين.

كما تكرر ذكر يعقوب عليه السلام في تأكيد القرآن الكريم على أن منهج الرسل واحد ومصدر رسالتهم واحد هو الوحي السماوي من عند الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرِقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة: ١٣٦، لذلك فلا يجب التفريق بين أنبياء الله تعالى، وما أثبتته القرآن لهم على سبيل الاجمال أو التفصيل نؤمن به، لأن هدفهم واحد وهو تحقيق الاستسلام والانقياد لأوامر الله، وتحقيق الصلاح في الأرض. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾ النساء: ١٦٣

وطلب الله تعالى من نبيه محمد ﷺ أن يذكر عباده وأنبياءه الصالحين في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ص: ٤٥، يقول سيد قطب: "ويصف الله سبحانه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، بأنهم ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ .. كناية عن العمل الصالح بالأيدي والنظر الصائب أو الفكر السديد بالأبصار. وكأن من لا يعمل صالحا لا يد له. ومن لا يفكر تفكيرا سليما لا عقل له أو لا نظر له! كما يذكر من صفتهم التكريمية أن الله أخلصهم بصفة خاصة ليذكروا الدار

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج16، ص226.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص409.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

الآخرة، ويتجردوا من كل شيء سواها ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ ص: ٤٦ .. فهذه ميزتهم ورفعتهم. وهذه جعلتهم عند الله مختارين أختياراً: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ص: ٤٧¹.

هذا ما ورد في القرآن الكريم في ذكر يعقوب عليه السلام، فقد ركز القرآن على إبراز الصبر والجلد الذي كان يتحلى به نبي الله يعقوب عليه السلام، ومقدار ثقته وتقواه بالله تعالى، ولم يرد في السنة الصحيحة أي خبر عن يعقوب عليه السلام إلا ما كان من ذكر نسبه الكريم.

الفرع الثاني: يعقوب عليه السلام في موجز الدائرة

كتب مادة يعقوب عليه السلام المستشرق بيرنارد هيلر، وترجمها عبد الرحمان الشيخ، وهي من المواد القصيرة في دائرة المعارف، كما جاء الحديث عن يعقوب عليه السلام أيضاً في مادة (إسرائيل) التي كتبها فنسك ولم يرد اسم مترجمها، والتي علق عليها الأستاذ محمد عرفة وردّ أهم الشبه الواردة فيها.

وبدا هيلر في مادة يعقوب عليه السلام بتعريفه أولاً، بأنه يعقوب بن إسحاق في التوراة، وأنه أخ لإسحاق بن إبراهيم في القرآن الكريم وذلك في السور المكية الباكرا مستشهدا بالآيات الآتية: قَالَ تَمَالَى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ الأنعام: ٨٤. وَقَالَ تَمَالَى: ﴿ فَلَمَّا أَعْرَضُوا عَنْهُمْ وَمَا يَعْجُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ مريم: ٤٩، وقال أيضاً ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ الأنبياء: ٧٢، وَقَالَ تَمَالَى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ العنكبوت: ٢٧

وهي نفس الشبهة التي يوردها (فنسك) في مادة (إسرائيل) بقوله: "ويظهر أن محمداً كان أول الأمر يعتبر يعقوب ابناً لإبراهيم، فعندما زُفّت البشرية لسارة جاء في القرآن الكريم ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ ﴿ ٧١ ﴾ هود: ٧١، ويبادر المفسرون إلى إيضاح أن كلمة وراء التي وردت في الآية يجب أن تشير إلى الحفيد وفقاً للاستعمال العربي"²

وملخص الشبهة أن المستشرقين يرون أن الرسول ﷺ كان يرى في الآيات المكية أن يعقوب هو الابن الأصغر لإبراهيم اعتماداً على الآية 71 من سورة هود التي استشهد بها فنسك. ثم بدّل اعتقاده وجعله ابناً لإسحاق وإبراهيم هو جدّه في القرآن المدني بدليل الآية ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ

¹ تفسير في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص 3022.

² موجز الدائرة، ج، ص 721، ع1

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

يَعْقُوبَ أَلْمُوتِ إِذْ قَالَ لِيُنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ البقرة: ١٣٣، وهي شبهة ترد في كثير من الكتابات الاستشراقية، وهدف المستشرقين من هذه الشبهة هو التأكيد على تعارض آيات القرآن الكريم فيما بينها، للدلالة على أنها من تأليف محمد ﷺ، الذي يخضع في تأليفه للقرآن لمتطلبات الواقع الذي يعيشه، لكن المتمعن في آيات القرآن لا يجد أي تعارض بين الآيات، فلم يُتْرَ الصحابة والمؤمنون أي إشكال حوله من قبل، ولم ينقل عنهم أن سألو النبي ﷺ عن ذلك أو طالبوه بشرح أو تفسير هذا الاختلاف، أو أن قبيلة النبي ﷺ قريش التي تتصيد أخطاءه، أو اليهود المعاصرين له قد اعترضوا على ما يقوله بالنسبة ليعقوب عليه السلام، وهم من يُنسبون إليه (بني إسرائيل)، وكانوا أحرص الناس على البحث عن مطاعن وشبهات للنبي ﷺ، ضف إلى ذلك أن هناك آيات مكية تؤكد على أن النبي ﷺ كان يعلم علم اليقين أن يعقوب هو حفيد إبراهيم عليه السلام وليس ابنا له، فقد جاء في سورة يوسف المكية قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنَبِّئُكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَمَّا عَلَيْكَ أُبُوَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾ يوسف: ٦، وجاء في سورة إبراهيم المكية قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٦﴾ إبراهيم: ٣٩، فلم يذكر معهم يعقوب لأن إسماعيل وإسحاق هم فقط أولاد إبراهيم، وجاء توصيف إسماعيل بالغلام الحليم في قوله تعالى ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١١٦﴾ الصافات: ١٠١، وتوصيف البشري بإسحاق في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَتَّخِذْ لَنَا نُبُشْرَكَ بَغْلًا لِيَعْلَمَ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ الحجر: ٥٣، وفي سورة الذاريات في قوله تعالى ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَمَخَّفْ وَيَشْرُوهُ لِيَعْلَمَ عَلِيمٌ ﴿١٦٨﴾ الذاريات: ٢٨.

أما استدلال المستشرقين بقوله تعالى ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ هود: ٧١، ففيه لبس لا يفقهه إلا العربي ويخفى على غيره، قال الطبري: "والوراء في كلام العرب، ولد الولد، وكذلك تأوله أهل التأويل"¹. وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما، فتقر أعينكما به كما قررت بوالده، فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم "يعقوب"، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية، وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبا إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله ﷻ عن قومه وعشيرته بأولاد

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج15، ص 394.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

صالحين من صلبه على دينه، لتقر بهم عينه"¹، فهذا التفسير هو الذي شهد به علماء اللغة والتفسير، ولكون يعقوب عليه السلام كان مشتهراً في البيئة العربية بأنه ابن إسحاق وليس ابن إبراهيم، فلم يُتْرَ ذلك جدلاً أبداً بين العرب والرسول، إذن الرسول صلى الله عليه وسلم لم تتغير عقيدته في يعقوب عليه السلام في آيات القرآن أبداً. وما قاله المستشرقون مجرد وهم قادهم إليه ضعف اللغة العربية والتأويلات المرجحة.

ثم أشار هيلر لموقفين لني الله يعقوب عليه السلام ذكراً في القرآن الكريم في سورة يوسف، الموقف الأول: عندما وصى يعقوب عليه السلام أبناءه بعدم الدخول من باب واحد عند ذهابهم لمصر، والموقف الثاني: هو إصابته بالعمى حزناً على يوسف، ثم استعادته لبصره عند إلقاء قميص يوسف على وجهه، مستشهداً بالآية 94 من سورة يوسف.

هذا ما ذكره هيلر بالنسبة ليعقوب عليه السلام في القرآن الكريم، ثم ختم هيلر المادة القصيرة عن يعقوب ببعض الروايات الإسرائيلية التي أشار إلى أنها ظهرت بعد نزول القرآن الكريم، ما يؤكد أنها من روايات أهل الكتاب التي نقلها المسلمون في كتبهم، وخاصة أنها موجودة في الكتاب المقدس، وهي تختص بقصة ولادة يعقوب وأخيه عيسو "فمع أن يعقوب وُلِدَ أولاً إلا (أنّ) ابن زوجة أبيه الجديدة جعلته تحيل المرتبة الثانية من حيث المكان لكن هذا لا يمنع أن يعقوب هو بالفعل الأكبر فيما يقول الطبري"². ثم أشار إلى رحلة يعقوب إلى حرّان وبقائه عند لابان، وزواجه من رحيل بعد وفاة ليا.

ويشير المترجم في هامش المادة إلى الاختلاف بين التوراة وروايات الكتب الإسلامية، في أن يعقوب لم يتزوج راحيل إلا بعد وفاة ليه في الكتب الإسلامية، أما في التوراة فيرد أن يعقوب أُعجب براحيل فخدم لابان سبع سنين لكن لابان احتال عليه ودفع إليه أختها الكبرى ليا، ثم خدم سبع سنين أخرى ليتزوج راحيل. ولأنّ هذا الأمر من قبيل الأخبار والقصص وليس فيه دليل يُحتكم إليه، فيتوقف فيه فلا نقبله ولا نرده.

كما رفض هيلر قصة أمر يعقوب لأبنائه بإحضار الذئب الذي أكل يوسف، فأحضروا له أول ذئب وجدوه، وتكلّم هذا الذئب وفضح خدعتهم. ذلك أنّ ليس لها أساس في التفاسير الصحيحة.

أما بالنسبة لما ورد في مادة إسرائيل، فقد بدأ فنسك المادة بجعل إسرائيل جد بني إسرائيل وأشار إلى أنه ذكر مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في سورة آل عمران 87، وقد أخطأ في إيراد رقم

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص 297.

² موجز الدائرة، ج32، ص10222، ع2

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

الآية فهي الآية 93 من سورة آل عمران، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّتَوَاتُرِ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَنُؤُا بِالتَّوْرَةِ فَآتَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ آل عمران: ٩٣

ثم أشار إلى اختلاف المفسرين في تحريم ما حرّم إسرائيل من الطعام على نفسه، والذي يعود لبغي بني إسرائيل أو لتحريم إسرائيل على نفسه أكل لحوم الإبل والبانها، وقيل كان به عرق النساء¹ يؤرقه بالليل ويتركه بالتّهار، فنذر إن شفي لم يأكل أحب الطعام إليه، وكان ذلك أحبه إليه، وقيل فعل ذلك للتداوي بإشارة أطبائه... فامتنع عن أكل كل عرق².

والآية الكريمة تبين أن كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل قبل إنزال التوراة إلا ما حرّمه يعقوب عليه السلام على نفسه، واتبعته فيه ذريته اقتداءً، وفيها ردّ على اليهود وتكذيب لدعواهم في أن ما حرّم عليهم كان محرّمًا على من قبلهم، فقد قال تعالى: ﴿فِظَلِمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كِبِيرًا ﴿١٦٠﴾ النساء: ١٦٠، وقال أيضا ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شُهُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٦٦﴾ الأنعام: ١٤٦

ففي هذه الآيات بيّن الله كيف أن اليهود "امتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم، فقالوا: لسنا بأول من حرّمتم عليه، وما هو إلا تحريم قديم، كانت محرّمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم جرا، إلى أن انتهى التحريم إلينا، فحرّمتم علينا كما حرّمتم على من قبلنا. وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصدّ عن سبيل الله...³. وأمر الله تعالى نبيه الكريم بأن يتحاكم معهم إلى التوراة ليُظهر لهم أنّ سبب التحريم هو ما اقترفته أيديهم من الذنوب وأكل أموال الناس بالباطل، لكنّهم عجزوا عن إظهار التوراة، وهذا ما أكّد صدق الرسول ﷺ في دعواه.

¹ عرق النساء: بفتح النون والألف المقصورة: هو وجع يبئدئ من مفصل الورك وينزل من جانب الوحشي على الفخذ، وربما امتد إلى الركبة وإلى الكعب، وسمى المرض باسم المحل، لأن النساء بالفتح والقصر: ويريد يمتد على الفخذ من الوحشي إلى الكعب. وجرى العادة بأن يسمى وجع النساء بعرق النساء شرح سنن الترمذي ، ج12/ 152

² موجز الدائرة، ج3، ص 721، ع1.

³ تفسير الزمخشري، مصدر سابق، ج1، ص413.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ثم وضح فنسنتك أن أصل هذه التفسيرات يعود إلى الكلمات العبرية (Gid) والتي تعني عرق، و(النسا) التي نقلت من الكلمة العبرية (Nashé)، ليؤصل لها بعدها من رواية الكتاب المقدس التي تبين لما لا يأكل بنو إسرائيل إلى اليوم عرق النَّسا فقد جاء في سفر التكوين 32: 24-25: "فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه، ضَرَبَ حُقَّ فخذِه، فأنخلع حُقَّ فخذِ يعقوب في مصارعتِه معه" وذكر أيضا في الاصحاح 32: 31-32 "وأشرقت له الشمس إذ عبرَ فنوئيلَ وهو يجمعُ على فخذِه، لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عِرَقَ النَّسا الذي على حُقِّ الفخذِ إلى هذا اليوم، لأنه ضَرَبَ حُقَّ فخذِ يعقوب على عرق النَّسا".

ولم يذكر شيء من هذا القبيل في القرآن الكريم، لكن ورد في السنة النبوية عند الترمذي عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا: صدقت فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: اشتكى عرق النسا فلم يجد شيئا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرّمها، قالوا: صدقت¹.

فقصة مصارعة يعقوب ﷺ للرب كما ورد في الاصحاح 32 من سفر التكوين، أو كما ذكر كاتب المادة بأنه ملك، لا أساس لها وهي من باب المفتريات على الأنبياء.

ثم يطرح فنسنتك مسألة فرضية حرمة أكل لحوم الإبل وألبانها على بني إسرائيل لامتناع يعقوب عن أكلها، ومقصوده من ذلك أن التحريم والتحليل لا يكون إلا من الله تعالى؟ ثم يجيب عنها "بقول البعض أن نبيّا كيعقوب له بطبيعته حق الاجتهاد، ويقول البعض الآخر إن الله أجاز ليعقوب وضع هذه القاعدة"². وهي مسألة أثرت في كتب التفسير، على أنّ أغلب المفسرين يميل إلى أنّ هذا كان من اجتهاد يعقوب ﷺ، ويعلّل الإمام القرطبي ذلك بقوله: "لأنّ الله تعالى أضاف التحريم إليه بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ﴾ وأن النبي إذا أداه اجتهاده إلى شيء كان ديننا يلزمنا اتباعه لتقرير الله سبحانه إيّاه

¹ أخرجه الترمذي في سننه، باب تفسير القرآن: سورة الرعد، ج5، ص 294، رقم الحديث: 3117، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال عنه الألباني: صحيح.

² موجز الدائرة، ج3، ص 721، ع2

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

على ذلك. وكما يوحي إليه ويلزم إتباعه، كذلك يُؤدّن له ويجتهد، ويتعين موجب اجتهاده إذا قُدِر عليه، ولولا تقدّم الاذن له في تحريم ذلك ما تسوّر على التحليل والتحريم¹.

كما يرى الطاهر ابن عاشور أنّه اجتهاد في المباح، فمن خلال "ظاهر الآية أنّه لم يكن ذلك بوحي من الله إليه، بل من تلقاء نفسه، فبعضه أراد به تقرباً إلى الله بحرمان نفسه من بعض الطيّبات المشتهاة، وهذا من جهاد النفس، وهو من مقامات الزّاهدين، وكان تحريم ذلك على نفسه بالندّر أو بالعزم. وليس في ذلك دليل على جواز الاجتهاد للأنبيا في التشريع لأنّ هذا من تصرّفه في نفسه فيما أبيض له، ولم يدعُ إليه غيره، ولعلّ أبناء يعقوب تأسّوا بأبيهم فيما حرّمه على نفسه فاستمرّ ذلك فيهم². وتبقى المسألة خلافية، ولا يترتب عليها عمل.

ثمّ عبّ فنسك بورود يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم خاصة في سورة البقرة، عند توصيته لبنيه عندما حضره الموت، وكذا نزول الوحي عليه كباقي آبائه.

بعد ذلك عرّج كاتب المادة على الأساطير الإسلامية كما يصفها، ويقرر عرضه للروايات المتعارضة التي لم ترد في الكتاب المقدس، ما يوحي بأن المرجع الأساس عنده هو الكتاب المقدس، وغيره من الروايات المخالفة له، بالرغم من أن قصة يعقوب عليه السلام في الكتاب المقدس مليئة بالقدح في شخصية نبي الله يعقوب عليه السلام، فتتسم شخصيته بالاستغلال لأخذ البكورية من عيسو مقابل الطعام (العدس)، واستعمال الحيلة والمكر لأخذ مباركة إسحاق، وتعرضه للخديعة من قبل خاله الذي زوجته ليّاً بدل راحيل التي وعده بها، وأغرب ما فيها القصة مصارعة يعقوب عليه السلام للرب والتغلب عليه، وخلاصة الأخبار الإسلامية في حقيقتها صادر من هذه الاسرائيليات، وتأويلات القصّاصين، مع عفتها في كثير من الأحيان عن نقل ما يكون واضحاً تحريفه كقصة المصارعة، تعالى الله عن افتراءاتهم علواً كبيراً.

هذا ما ورد عن قصة يعقوب عليه السلام في موجز الدائرة، وقد ركزت المادة على إيراد أهم الشبهات المثارة على قصة يعقوب عليه السلام.

¹ تفسير القرطبي، مصدر سابق، ج4، ص135

² تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج4، ص9.

المطلب الثاني: قصة يوسف عليه السلام

الفرع الأول: يوسف عليه السلام في القرآن الكريم والسنة الصحيحة

وردت قصة يوسف في القرآن الكريم كاملة في موضع واحد، وفي سورة واحدة سميت باسمه، ودُكر في سبب نزولها عن سعد قال: أنزل الله القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله قال تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ١﴾ إلى قوله ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ الآية. فتلاها رسول الله ﷺ زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ الزمر: ٢٣¹.

يقص القرآن الكريم على الرسول ﷺ وقومه قصة يوسف عليه السلام وقد وصفها بأنها أحسن القصص للعبير الجليلة التي حملتها قال تعالى: ﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَظِيمِينَ ٢﴾ يوسف: ٣، يقول الإمام ابن عاشور: "وقصص القرآن أحسن من قصص غيره من جهة حسن نظمه وإعجاز أسلوبه، وبما يتضمنه من العبر والحكم، فكل قصص في القرآن هو أحسن القصص في بابه، وكل قصة في القرآن هي أحسن من كل ما يقصه القاص في غير القرآن، وليس المراد أحسن قصص القرآن حتى تكون قصة يوسف عليه السلام أحسن من بقية قصص القرآن"²، وقصة يوسف عليه السلام لم تكن معلومة للعرب قبل نزول القرآن وعلمها كان عند علماء أهل الكتاب، "ونزولها قبل اختلاط النبي ﷺ باليهود في المدينة معجزة عظيمة من إعلام الله تعالى إياه بعلوم الأولين"³.

ويوسف عليه السلام هو ابن نبي الله يعقوب وهو ابن الأكرمين، كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام"⁴. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قيل: "يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم، فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس

¹ مقبل بن هادي الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط4، 1987م، ص120.

² التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج12، ص 203-204.

³ المصدر نفسه، ج12، ص 201.

⁴ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين، ج4، ص149، رقم الحديث: 3382.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألون، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا¹.

وتبدأ قصة يوسف بعرض الرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام في منامه، وتنتهي بتأويل هذه الرؤيا، وتتخلل البداية والنهاية أحداث مشوقة مُرّجت بين المحن والابتلاءات، وبين الدعوة والموعظة، وبين النصر والتأييد. قَالَ تَمَّانُ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَخِيهِ يَاقُوبَ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آئِلٍ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ يوسف: ٤ - ٦

وكان يوسف قد رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له، فلما رواها لوالده، أدرك يعقوب عليه السلام ما سيكون ليوسف من الرفعة والمكانة فأمره بكتماها "وخشي يعقوب عليه السلام أن يحدث بهذا المنام أحدا من إخوته فيحسدوه على ذلك، فيبغوا له الغوائل، حسدا منهم له"²؛ و يحتالوا عليه ويكيدوا له، كما جاء في بداية القصة ذكر ما سيخصه الله به من أنواع اللطف بتعليمه تعبير الرؤى، وجعله نبيا من آل يعقوب كما كان أبائه من قبل.

1. المحنة الأولى: يوسف وإخوته

يعرض القرآن الكريم لأول المحن التي تعرض لها نبي الله يوسف عليه السلام، والتي كانت من أقرب الناس له وهم إخوته، قَالَ تَمَّانُ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلنَّاسِ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ اللَّاتِيَّاتِ ۚ وَكُلًّا كَتَبْنَا فِيهَا ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾﴾ يوسف: ١. إِذْ قَالَ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٣﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْفُوهُ فِي عَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٤﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿٥﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذَهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿٨﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي عَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَجَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَانْكَرَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١١﴾ وَجَاءَهُ

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا، ج4، ص140، رقم

الحديث: 3353

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص371.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

يوسف: ٧ - ١٨

ويصف القرآن في هذه الآيات تبييت إخوة يوسف لمكيدة التخلص منه بقتله، بعد أن أعمت الغيرة والحسد قلوبهم، واتفقهم على التوبة والصلاح بعد ذلك، لكن أحدهم أبعد عنهم فكرة القتل شفقة على يوسف، وعرض عليهم فكرة الإلقاء في البئر واحتمال التقاط القوافل له بما يبعدة عن والده ويحقق مرادهم في خلو الجو لهم، فأجمعوا رأيهم على ذلك، وطلبوا من أبيهم اصطحاب يوسف معهم، لكن النبي يعقوب عليه السلام خشي غدر الإخوة بيوسف عليه السلام، وعبر عنه بخوف آخر هو أن يأكله الذئب وهم غافلون، لكنهم آمنوه بأنهم عصبة قادرين على حمايته. فذهبوا به ونفذوا خطتهم ورموه في الجب، وأوحى الله ليوسف أنه سيأتي يومٌ يخبرهم فيه بفعلتهم هذه، وعادوا وقت العشاء يبكون "ليكون إتيانهم متأخرا عن عادتهم، وبكاؤهم دليلا لهم، وقرينة على صدقهم".¹، وأرؤا والدهم قميص يوسف المملطخ بدم كاذب، "قال ﴿عَلَى قَمِيصِهِ﴾ ليستبين للقارئ والسامع أنه موضوع وضعا متكلفا، إذ لو كان من افتراس الذئب لتمزق القميص، وتغلغل الدم في كل قطعة منه، ومن أجل هذا كله لم يصدقهم وقال: هيهات، ليس الأمر كما تدعون، بل سهلت لكم أنفسكم الأمانة بالسوء أمرا نكرا وزيتته في قلوبكم فطوعته لكم حتى اقترفتموه، وسأصبر صبرا جميلا على هذا الأمر الذي اتفقتم عليه حتى يفرجه الله بعونه ولطفه، وإني أستعين به على أن يكفيني شر ما تصفون من الكذب".² فكان صبر يعقوب عليه السلام أجمل الصبر على لؤم وحقد أبنائه، وعلى فراق ابنه، لعلمه أنه امتحان من الله تعالى ولقوة يقينه أن الله سيحقق رؤيا يوسف عليه السلام.

قَالَ تَمَانٍ ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا غُلٌّ وَأَسْرُوهُ يَصْنَعَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يوسف: ١٩ - ٢٢

ومرت قافلة مسافرين بذلك البئر فأرسلوا واردهم يأتيهم بالماء منه، فلما ألقى الدلو تعلق به يوسف عليه السلام وصعد فيه، فلما رأوه استبشروا به وأخفوه عن أعين الناس في بضاعتهم ثم باعوه بثمن

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص: 395.

² تفسير المراعي، مصدر سابق، ج12، ص 122.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

العذاب الشديد. لكن يوسف برأ نفسه وأنكر ما اتهمته به، ثم شهد شاهد من أهل امرأة العزيز ببراءته برؤية شق القميص الذي كان في الخلف فتبين لهم كيدها ومكرها، وأوصى يوسف بأن يعرض عن ذكر هذا الأمر خشية الفضيحة والعار، وأمر المرأة بالاستغفار لخطئها. لكن الخبر شاع، وأصبح نساء عليّة القوم يتحدثن به، ما أثار حفيظة امرأة العزيز.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْصَّغِيرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا ضَرَفْتُنِي عَتَىٰ كَيْدِهِنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٨﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ يوسف: ٣٥ - ٣٥

واحتارت النسوة فيما جرى لامرأة العزيز كيف أنّ خادمها قد "شق حبه شغاف قلبها أي غلافه المحيط به وغاص في سويدائه، فملك عليها أمرها، فلا تبالي بما يكون من عاقبة تهتكها، ولا بما يصير إليه حالها...إنا لنعلم أنّها غائصة في مهاوي الضلالة البينة البعيدة"¹، وكان هذا على سبيل المكر والحيلة منهن لا خوفاً عليها. فردّت مكرهن بمكر أشد، وأرسلت إليهم ودعتن إلى الطعام، ثمّ هيات لهن بعد ذلك متكأ وناولت كل واحدة سكيناً، وطلبت من يوسف أن يخرج عليهن "وتعمدت أن يفجأهنّ وهنّ مشغولات بما يقطعنه ويأكلنه، علما منها بما يكون لهذه المفاجأة من الدهشة"²، فكان أن ذهبن لجمالهن وجرحن أيديهن بالسكين، واعترفن بأنه ملك وليس من البشر، حينها اعترفت وأقرت بذنبها ليعذرنا، وهددته لئن لم يفعل ما تريده منها سيكون مصيره السجن أو يكون من الأذلة المقهورين.

حينها لجأ يوسف إلى ربّه داعياً بأن يصرف عنه شرهنّ ومكرهنّ، لئلا يقع في شركهن ويصبح من الجاهلين الذين يتبعون شهواتهم. فاستجاب الله وأنقذه منهن، وبالرغم من ثبوت براءته إلا أنّهم رأوا أن يسجنوه مدة من الزمن ليوهموا الناس أنه هو المذنب وذلك عقابه، قيل: "لينقطع بذلك الخبر ويتناساه

¹ تفسير المراغي، مصدر سابق، ج12، ص138.

² المصدر نفسه، ج12، ص139.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

الناس، فإن الشيء إذا شاع لم يزل يذكر ويشاع مع وجود أسبابه، فإذا عُدِمَت أسبابه نُسي، فأروا أن هذا مصلحة لهم، فأدخلوه في السجن" ¹. لتبدأ محنة جديدة في حياة يوسف عليه السلام.

3. المحنة الثالثة: يوسف في السجن

قَالَ تَمَّالٌ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَتَّعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِذْ هُمُوعُوا لِي وَاسْتَحَقُّوا وَعُقُوبًا مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنَ عَزْرَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ أُمَّرًا لَأَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضَيَّ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ يوسف: ٣٦ - ٤٢

وفي السجن وجد يوسف عليه السلام المكان المناسب للقيام بأمر الدعوة وهداية الناس، فظهرت مكانته عند أهل السجن، وتجلت نعمة الله عليه في تعبير الرؤيا والأحداث، فاستعان به فتیان لتعبير حلمهما، فجعلها يوسف فرصة لدعوتهما إلى الحق، وتصحيح عقيدتهما الفاسدة، ثم فسّر لهما الرؤيا، فكان فيها صلب أحدهما، وبشرى للآخر بنجاته وعودته للعمل عند الملك، وطلب من الناجي أن يذكره عند الملك، لكن الشيطان أنساه ليقبى يوسف في السجن بضع سنين.

4. رؤيا الملك:

قَالَ تَمَّالٌ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُدُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرٍ يَأْسُتُ بِتَأْيُهَا أَمْلَأُ أَيْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُدُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرٍ يَأْسُتُ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَرْزَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 397.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

يَعْرِوْنَ ﴿٤٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهٖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٥﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَآئِنِينَ ﴿٤٦﴾ * وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهٖ اسْتَخْلَصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٤٨﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوهُ مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴿٥٧﴾

يوسف: ٤٣ - ٥٧

وحين يشاء الله خروج يوسف من السجن يقدر الأسباب لذلك، فيرى الملك رؤيا يعجز حكمائه عن تفسيرها، ويتذكر الساقى يوسف عليه السلام، ويأتيهم ببشرى تفسيرها من عنده، بأنهم سيجتازون سبع سنين فيها الخيرات وتأتي بعدها سبع سنين فيها القحط والجذب، كما دلهم على طريقة استثمار السنوات الخيرة ثم أعلمهم بأنه سيأتيهم عام فيه خير وفير، "ويلاحظ هنا أن يوسف لم يكتف بتأويل الرؤيا، بل أعطى مع هذا التأويل، التدبير المحكم الذي ينبغي أن يكون إلى جانب ما كشفت عنه الرؤيا من أحداث.."¹، وهذا لم يكن واردا في رؤيا الملك، لكن ذلك كان من علامات نبوة يوسف عليه السلام بأن أوحاه الله له، وبهذا الحكمة والبراعة في تأويل الرؤيا التمس الملك فيه حسن أخلاقه وسعة علمه، فطلب الملك رؤيته، لكن يوسف عليه السلام أبى أن يخرج من السجن حتى تظهر براءته، صونا لكرامته وعزة نفسه، فإبراء شرفه من العار عنده أولى من الخروج من السجن، ثم دل الملك على السبيل إلى ذلك بأن يستدعي النسوة اللاتي قطعن أيديهن ليشهدن على براءته، ولم يكن هدفه فضحهن فقد كان ذلك السبيل لكشف الحقيقة، وبهذا يظهر أن يوسف عليه السلام لا يُقدم على أمر حتى يبين تدبيره وأسبابه، فثبتت براءته بشهادة النسوة وباعتراف امرأة العزيز، وخرج طاهرا عفيفا، قال الزمخشري: "إنما تأتي وتثبت في إجابة الملك، وقدم سؤال النسوة، ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه، لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده، ويجعلوه سلما إلى حط منزلته لديه، ولئلا يقولوا: ما حُجِّد في السجن إلا لأمر عظيم وجرم كبير، حُقَّ به أن يسجن ويعذب، ويستكف شره"². وقد جاء في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي

¹ عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منظوقه ومفهومه، مرجع سابق، ص 451.

² تفسير الزمخشري، مصدر سابق، ج 3، ص 180

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

لأجنته"¹، وهذا من تواضع الرسول ﷺ في بيان صبر يوسف عليه السلام وعدم تسرعه للخروج مع أنه مظلوم.

وتشوق الملك لرؤية يوسف الصديق العفيف صاحب العلم والحكمة، وطلب أن يأتيه به ليجعله من خاصته، فلما كلمه زاد به إعجابا وأعلمه بأن له مكانة ومنزلة، ومؤتمن على كل شيء، ولما كان الأمر جللا طلب يوسف من الملك أن يجعله على الأماكن الذي يخزن فيها المحصول وسيكون حافظا عليها عليما بتخزينها وتقسيمها، وذلك لينشر العدل ويرفع الظلم عن الناس. وتعقب الآيات الكريمة بذكر تمكين الله ليوسف في الأرض بعد الامتحانات التي أصابته وأظهر ثباته فيها، وهذا بفضل الله ورحمته. ويمن الله عليه بأن يقدر لجمع شمل العائلة ويجازي الصابرين بأحسن الجزاء، وينبه المذنبين إلى آثامهم.

5. لقاء يوسف بإخوته

قَالَ تَمَانٍ ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرَاتٌ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَنْجٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآتِرُونَ أَيْ أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَزُودُ عَنْهُ آبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبِغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنِّي أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ لَمْ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مِمَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لَمَّا عَلِمَنَّاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴿ يوسف: ٥٨ - ٦٨

ولما عمّ القحط البلاد جاء إخوة يوسف لشراء الطعام من مصر، وكان يوسف قد عرفهم، لكنهم لم يعرفوه، فأعطاهم الطعام واشترط عليهم أن يأتيه بأخيهم الذي عند والدهم إن كانوا يريدون الطعام مرة أخرى، فأعلموه بأنهم سيراودون أباهم "أي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في

¹ أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك، ج9، ص 32، رقم الحديث: 6992.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله¹، وطلب يوسف من فتيته أن يعيدوا البضائع إلى رحل إخوته حتى يضمن عودتهم إليه.

فعاد إخوة يوسف إلى أبيهم وحاولوا إقناعه بإرسال أخيهم معهم، وهنا ذكرهم يعقوب عليه السلام كيف أمنتهم على يوسف من قبل وخانوه، ثم اشترط عليهم عهدا وميثاقا من الله أن لا يعودوا إلا ومعهم أخوهم إلا أن يقعوا كلهم في خطر ويكون مصيرهم واحد. وجعلوا الله وكيلا عليهم. ثم نصحهم يعقوب عليه السلام بأن يدخلوا من أبواب متفرقة، خشية العين "وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم؛ فإن العين حق، تستنزل الفارس عن فرسه"². وأعلمهم أن هذا الاحتراز لن يدفع قضاء الله ولن يردّ قدره، فحكم الله ماض لكن يجب التوكل عليه، وهذا من علم يعقوب عليه السلام وحكمته الذي تخفى عن كثير من الناس. ثم اتجهوا إلى مصر، ودخلوا على يوسف.

قَالَ تَمَّانٌ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسُدْرُوت ﴿٦٧﴾ قَالُوا وَقَبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٦٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَادِرِينَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧١﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا سَيْحَا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَاصُّوا نَجِيثًا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيَ أَيْ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٧٧﴾ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٧٨﴾ * يوسف: ٦٩ - ٨١

¹ أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دط، دت ط، ج4، ص 289.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص400

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وتسجل الآيات القرآنية لحظة لقاء يوسف بأخيه حين ضمّه إليه وأخبره بأنه يوسف، ثم أمر فتيته بأن يجعلوا السقاية في رحل أخيه، ونادى المنادي بأنهم يبحثون عن صواع الملك ومن جاء به له جائزة وهي حمل بعير، فأنكر بنو يعقوب أن يكون هدفهم الافساد أو السرقة، وجعلوا جزاء من وجد في رحله منهم أن يصبح عبدا لهم كما كان في شريعة يعقوب عليه السلام، ثم بدأ البحث بأوعيتهم لنفي الشبهة عن أخيه، ليستخرجوها من وعاء أخيه "ولم يقل وجدها أو سرقها أخوه مراعاة للحقيقة الواقعة. فحينئذ تمّ ليوسف ما أراد من بقاء أخيه عنده، على وجه لا يشعر به إخوته، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: يسرنا له هذا الكيد، الذي توصل به إلى أمر غير مذموم، ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ لأنه ليس من دينه أن يتملك السارق، وإنما له عندهم، جزاء آخر، فلو ردت الحكومة إلى دين الملك، لم يتمكن يوسف من إبقاء أخيه عنده، ولكنه جعل الحكم منهم، ليتم له ما أراد"¹.

وحاول إخوة يوسف تبرئة أنفسهم بردّ التهمة عليه وعلى أخيه، لكن يوسف كظم غيظه بعد ما تبين له أنهم مازالوا على غيرتهم وحسدتهم، ثم حاولوا أن يستميلوا يوسف ليأخذ أحدهم مكان أخيه الذي أتهم بالسرقة، واستعطفوه بأن أباهم شيخ كبير لا يصبر على ولده، والتمسوا فيه الاحسان، لكن يوسف أبي الظلم فالعدل يقتضي أن لا يُعاقب إلا المذنب، فلما يتسوا من تغيير رأي يوسف عليه السلام، اجتمعوا لوحدهم وتشاوروا في أمرهم، وقرّر كبيرهم أن يبقى في أرض مصر حتى يسامحه والده أو يحكم الله في أمره، وطلب منهم أن يُعلموا أباهم بالحقيقة، وأن ابنه سرق وأصبح عبدا للملك، ولو كانوا يعلمون الغيب لما حرصوا أشد الحرص على الإتيان به، وقد كان هذا بشهادة من جاؤوا معهم من بلدهم ومن أهل العير فليسألهم ليتبين صدقهم.

ويُفجع يعقوب عليه السلام بانبه الثاني، لكنه يبقى الصابر المنيب إلى الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْصَرْت عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْأ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ يوسف: ٨٣ - ٨٧

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 402

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

فلما عاد إخوة يوسف وأخبروا أباهم بما حصل، شكك في أنه تدبير منهم كما فعلوا بيوسف سابقاً، فقال لهم كما قال لهم حين جاءوا على قميص يوسف بدم كذب¹، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّيْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْراً قَصَبٌ جَمِيلٌ﴾ يوسف: ٨٣، وانعزل عنهم وتذكر حزنه على يوسف وتجدد شوقه له، حتى ابيضت عيناه، فلامه أهله وخافوا عليه أن يصبح حرضاً "أي ضعيف الجسم، ضعيف القوة، ﴿أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ يقولون: وإن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف"²، لكنه أجابهم بأنه يشكو حزنه إلى الله، ثم طلب من أبنائه أن يعودوا ويتحسسوا يوسف وأخيه، والتحسس يكون في الخير، والتحسس يستعمل في الشر، كما أوصاهم أن لا يياسوا أبداً.

واستجاب إخوة يوسف لأبيهم وعادوا إلى مصر، ودخلوا على يوسف يشكون حالهم من الجذب والضر، واستعطفوه أن يوفي لهم الكيل كما عودهم، ويتصدق عليهم، ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَانَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَوَصِّدْقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَّصِدِّقِينَ﴾ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَكُنْ لِيُوسُفُ قَالِ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَحِي قَدْ مَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخٰطِئِينَ ﴿قَالَ لَا تَتُوبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿يوسف: ٨٨ - ٩٣

فلما رأى يوسف حالهم رق لحالهم وذكرهم بفعلتهم معه وأخيه، قال صاحب الكشاف: "أتاهم من جهة الدين وكان حليماً موفقاً، فكلمهم مستفهماً عن وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب، فقال: هل علمتم قبح ﴿مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ لا تعلمون قبحه، فلذلك أقدمتم عليه... فكان كلامه شفقة عليهم وتنصيحاً لهم في الدين، لا معاتبة وتثريباً؛ إيثاراً لحق الله على حق نفسه"³، فتأكد إخوته من أنه هو نفسه يوسف، حينها فاجئهم يوسف بكشف حقيقته، مبيناً فضل الله عليه، لصبره وتقواه، وهناك اعترف إخوته بفضل يوسف وحلمه، وأقروا بخطئهم الشنيع، واعتذروا ليوسف، فأخبرهم يوسف أنه لا يلومهم ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، ثم طلب منهم أن يأخذوا قميصه ليلقوه على وجه أبيه ليعود إليه بصره، كما طلب منهم أن يحضروا كل أهلهم معهم.

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص304.

² المصدر نفسه، ج4، ص405.

³ تفسير الزمخشري، مصدر سابق، ج3، ص212.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

قَالَ تَمَّانٌ: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِيدُونِ ﴿١٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَآزَتْ دَبْصِيرًا قَالَ آلَمَ أَقْلَ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿١٩﴾ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا بَنَاتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾ * رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٢١﴾ يوسف: ٩٤-١٠١

ولما انطلقت العير من مصر شمَّ يعقوب عليه السلام ريح يوسف، فأخبر من كان معه، لكنهم اهتموه بالضلال القديم، وهو أنه سيلتقي يوسف يوماً ما، فلما أن جاءه البشير وألقى عليه القميص عاد بصيراً، فطلب الإخوة من أبيهم أن يستغفر لهم ذنوبهم، وما فعلوه له وليوسف، فوافق على ذلك، ولما وصلوا مصر أصدع يوسف أبوية على كرسي الملك، ثم سجد له أبويه وإخوته، فتحققت الرؤيا التي رآها يوسف من قبل، وقد كان السجود في شريعتهم جائزاً، قال ابن كثير: "وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام، فحرم هذا في هذه الملة، وجعل السجود محتصاً بجناب الرب سبحانه وتعالى"¹. ثم عدَّد يوسف نعم الله عليه، فذكر إخراج الله له من السجن "وترك إخراجهم من الحب لوجهين: أحدهما: أن في ذكر إخراجهم من الحب تجديد فعل إخوته وخزيهم بذلك وتقليل نفوسهم وتحريك تلك الغوائل وتخبيث النفوس. والوجه الآخر: أنه خرج من الحب إلى الرق، ومن السجن إلى الملك فالنعمة هنا أوضح"² فهو لم يرد طمس فرحة اللقاء بتعكير الجو بعد طول فراق، كما ذكر نعمة الله عليهم بالتنقل من حياة البدو إلى حياة الحاضرة، ثم أسند ما كان بينه وبين إخوته إلى الشيطان تكريماً وإحساناً منه، وفي كل هذا كان لطف العليم الحكيم يغمره.

ويقف يوسف داعياً الله تعالى بعد أن أتم الله نعمته بجمعه بأهله، شاكرًا له أن أتاه الملك والعلم، واختصه بتأويل الرؤيا، راجياً أن يتم الله عليه نعمته في الآخرة بأن يتوفاه مسلماً ويجعله من الصالحين

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج4، ص412.

² تفسير ابن عطية، مصدر سابق، ج3، ص282.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وهي وصية إبراهيم ويعقوب قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿البقرة: 132﴾

ويعقب القرآن الكريم بأن أحداث هذه القصة من أنباء الغيب أوحاها الله لنبيه الكريم، ولم يكن هو ولا قومه شاهدين على مكر إخوة يوسف "ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، إذ لا سبيل إلى معرفتك إياه سوى ذلك، إذ عدم سماعك ذلك من الغير، وعدم مطالعتك للكتب أمر لا يشك فيه المكذبون أيضا، ولم تكن بين ظهرائهم عند وقوع الأمر حتى تعرفه كما هو، فتبلغه إليهم. وفيه تحكم بالكفار، فكأنهم يشكون في ذلك فيُدفع شكهم. وفيه أيضا إيذان بأن ما ذُكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع، وما ينقله أهل الكتاب ليس على ما هو عليه. يعني: أن مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يُتصوّر إلا بالحضور والمشاهدة، وإذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي"¹.

هذا ما ورد في قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم، وباقي المواضع التي ذكر فيها يوسف في القرآن الكريم لم تشتمل على قصته بل كانت على سبيل الذكر كما جاء في سورة غافر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ ﴿غافر: 34﴾، وهذا في معرض الحديث عن بني إسرائيل عندما كانوا في مصر وكانوا يشكون في ما جاءهم به يوسف، وكانوا متأكدين أنه لن يكون بعده رسول، لكن الله أبطل ظنهم وأرسل لهم موسى عليه السلام.

كما جاء ذكر يوسف عليه السلام مع باقي الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿الأنعام: 84﴾

ولم يرد في القرآن الكريم إشارة إلى وفاة يوسف، أو مكان دفنه، إلا ما ورد في السنة النبوية، فقد جاء في صحيح ابن حبان عن أبي موسى قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابيا فأكرمه، فقال له: ائتنا فأتاه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: سل حاجتك، قال: ناقة نركبها وأعز يجلبها أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل، قالوا: يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل؟ قال: إن موسى عليه السلام لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، فقال: ما هذا، فقال علماءهم: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ علينا موتقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: فمن يعلم موضع قبره، قال: عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها فاتته، فقال: دليني

¹ تفسير القاسمي، مصدر سابق، ج6، ص225.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

على قبر يوسف، قالت: حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك، قالت: أكون معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه أن أعطاها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء، فقالت: أنضبوا هذا الماء فأنضبوه، فقالت: احتفروا فاحتفروا، فاستخرجوا عظام يوسف فلما أقلوها إلى الأرض، وإذا الطريق مثل ضوء النهار¹

كما جاء في صحيح البخاري في تحديد مكان يوسف عليه السلام في حديث الاسراء والمعراج عن أنس بن مالك قال: "... فأتينا السماء الثالثة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، ولنعم المحييء جاء، فأتيت على يوسف، فسلمت عليه قال: مرحبا بك من أخ ونبي². وفي رواية الامام مسلم: ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير³. وهذا الحديث يبيّن أن يوسف في السماء الثالثة، ويؤكد على أنّ يوسف قد منح جمالا مهيبا.

ومن أعظم المعاني والعبر التي تحملها قصة يوسف عليه السلام، ضرورة الصبر على الابتلاء، والتوكل على الله واليقين بقدرته، والثقة في عطاءه وتقديره، والتمسك بجله المتين وعدم الانغماس في ملذات الدنيا، وبهذا كانت قصة يوسف عليه السلام من احسن القصص.

الفرع الثاني: يوسف عليه السلام في موجز الدائرة

كتب مادة يوسف عليه السلام برنارد هيلر، وترجمها عبد الرحمان الشيخ، وهي من المواد المتوسطة في موجز الدائرة.

بدأ هيلر بمقدمة للمادة ذكر فيها أن يوسف ورد في التوراة كما ورد في القرآن الكريم، في سورة يوسف ووصفت قصته بأنها أحسن القصص، واستند إلى قول الثعلبي في سبب وصفها بأنها حوت العديد من العبر، وتجلّى فيها كرم يوسف وسماحته، وما حققه من ثراء بفضل الله، ولأن كل المخلوقات (الأنبياء، الانس، الجن، الحيوانات..) ذكرت فيها، وهو اجتهاد من الثعلبي وافق فيه الهدف العام من السورة.

¹ أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الورع والتوكل، ج2، ص500، رقم الحديث: 723.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج4، ص109، رقم الحديث: 3207.

³ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب الاسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات، ج1، ص99، رقم الحديث: 429.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

بعدها قسم هيلر المادة إلى قسمين: يوسف عليه السلام في القرآن، ويوسف عليه السلام في حكايات القصاص والاخباريين، وهو تقسيم علمي وموضوعي، وهي ملاحظة نسجلها في المواد الأخيرة من الدائرة بالمقارنة مع المواد الأولى، حيث أصبح واضحاً عند المستشرقين مدى التباين الواضح لقصص القرآن الكريم عن قصص الاخباريين المسلمين الذين يعتمدون كثيراً على الاسرائيليات، لكن يبقى هذا بعيداً عن اعترافهم بالقرآن الكريم كوحى سماوي، بل مازال مترسخاً في أذهانهم فكرة تأليفه من طرف محمد صلى الله عليه وسلم، وحبذا لو كانت منهجية التقسيم قد اتبعت في باقي مواد القصص والمواد التي بحاجة إلى ذلك، لتظهر صورة القصص القرآني واضحة جلية معبرة عن الصدق والحقيقة.

في القسم الخاص بيوسف عليه السلام في القرآن الكريم، بدأ هيلر بعرض عدد مرات ذكر يوسف عليه السلام في القرآن الكريم، خلا سورة يوسف وذكر بعض المواضع منها، ثم أشار بعدها إلى وجود نقاط اتفاق بين القرآن الكريم والتوراة، كما توجد أمور في القرآن لا وجود لها في التوراة.

ثم قال وفيما يلي النقاط الرئيسية المتعلقة بيوسف عليه السلام في التوراة : تحذير ليوسف عليه السلام حتى لا يقص رؤياه على اخوته، خوف يعقوب على يوسف عليه السلام من الذئب... يوسف عليه السلام يفسر رؤى الفرعون وهو في السجن ويفرض العودة للقصر إلى أن يتم الاعتراف ببراءته... " وهذه أمور مخالفة لما ورد في التوراة، فيوسف قص رؤياه على إخوته كما جاء في سفر التكوين: الاصحاح 37، وجاء فيها أن يعقوب عليه السلام هو الذي بعث يوسف ليطمئن على إخوته وعلى الغنم، ولم يرد خوفه من الذئب عليه، كما أن يوسف في التوراة عندما ناداه الملك ليفسر له الحلم أتاه مباشرة، بخلاف القرآن الذي طلب سؤال النسوة عن تقطيع أيديهن لتظهر براءته على الملأ، وهذا يعني أن الكاتب قصد أنها النقاط الرئيسية المتعلقة بالقرآن وذلك لموافقته لترتيب القصة في القرآن الكريم أيضاً، كما حدث خطأ مطبعي في عبارة (علامات على أن الله حفظ إبراهيم من الخطيئة) والظاهر أنه يوسف وليس إبراهيم.

وأبرز هيلر الأمور التي تميز بها القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام، لكن أرجعها حسب رأي بعض المستشرقين (جيجر، جرونباوم، نيومان وشايبرو) إلى الهجادة، وفي الوقت نفسه فإن القصة التوراتية المتأخرة قد تأثرت بالقصة القرآنية والحكايات الإسلامية، وغريب منه هذا القول فكيف يتأثر القرآن بالهجادة، ثم تتأثر الروايات التوراتية المتأخرة بالقرآن، وما هي مواضع هذا التأثير لتبين مدى صدقها، ولماذا لم ينسب تأثر الروايات المتأخرة إلى الهجادة وهي الأصل في نظره.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ينتقل بعدها هيلر لعرض الأمور التي تميزت بها التوراة عن القرآن الكريم ، والتي يجعل أولها أنه لم يرد وصف لشخصية يوسف عليه السلام في القرآن، وهي شبهة مردودة على صاحبها لأن السورة عامرة بأوصاف يوسف منها ما كان مدحا من الله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يوسف: ٢٢ ، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ يوسف: ٢٤ ، وكما شهدت امرأة العزيز بصدقه ﴿قَالَتْ أَمَرْتُ الْعَزِيزَ لَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأودتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ يوسف: ٥١ ، وشهد الملك بأمانته ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ يوسف: ٥٤ ، وجاء على لسان يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴿٥٥﴾﴾ يوسف: ٥٥ ، وقال يوسف لإخوته ﴿الْآتَوْنَنِي أَوْ فِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ يوسف: ٥٩ ، وبهذا شهد له إخوته ﴿فَخَذْنَا مِنْهُ كَمَانَةً وَإِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ يوسف: ٧٨ ، والعرض العام لسورة يوسف عليه السلام يبرز السمات الجليلة والصفات النبيلة لشخصية يوسف عليه السلام والتي تظهره بصفة نبي كريم. وإن كان يقصد أنه لا يوجد وصف لشكل يوسف عليه السلام في القرآن، فإن ذلك ليس من منهجيته في عرض القصص ولا يركز على ذلك أبدا، كما أنه لم يرد وصفه أيضا في التوراة أيضا فما سبب ذكر ذلك في الأمور المميزة.

ويذكر هيلر أن مما يميّز التوراة عن القرآن، الرؤيا الأولى ليوسف عليه السلام والتي وردت في التوراة، وتخص سجود حزم إخوة يوسف لحزمة يوسف عليه السلام، وقد أخبر يوسف إخوته وأباه بهذه الرؤيا، كما أشار إلى عدم ورود قصة الغصن المثمر النّظّر عند مولد يوسف، وإحضار جبريل عليه السلام ليعقوب غصنا من الجنة. والقرآن الكريم لا يهدف لتقصّي كل ما وقع من أحداث مع يوسف عليه السلام، لكن هناك أحداث أساسية في حياته، لكن ما يورده هو الحقيقة البيّنة، وما سكت عنه لا يمكن نفيه أو إثباته، بالرغم من أن قصة سجود حزم سنابل الإخوة لحزمة يوسف عليه السلام، ترتّب عليها إخبار يوسف عليه السلام لإخوته بهذا الحلم ، وهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم من كتمان الحلم عن الإخوة حتى لا تزيد غيرتهم من يوسف عليه السلام.

وعاب هيلر على قصة يوسف في القرآن الكريم، غياب العديد من العناصر المهمة كأسماء الشخصيات، والزمان والمكان، وعدد الإخوة، ومقدار المبلغ المدفوع في يوسف، وتكتفي بالترميز

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

والإشارة كعزير مصر، امرأة العزيز¹ شاهد، ثم بحسب... وفي ذلك يقول الإمام الألوسي: "قيل وإنما لم يذكر أحد منهم باسمه سترًا على المسيء وكل منهم لم يخل عن الإساءة وإن تفاوتت مراتبها"² والمثير ما أورده المترجم في هامش المادة من أنه حذف عبارة تفيد أن هذا دليل على التردد وعدم الدقة ثم رد على ذلك بقوله "لكن دفع هذا القول أمر يسير فليس القرآن الكريم كتاب إحصاء أو مجرد سجل بالأسماء والتواريخ، وإنما هو عظة وعبرة وهدى ونور"³.

والظاهر أن مطلب أصحاب البحوث التعريفية غير المتخصصة والرصينة من طلاب المدارس أو الجامعات أو الباحثين عن المعرفة، والذين قد ينقلون منها من منهجية المترجمين في موجز الدائرة في ترجمة المواد الغير موجودة في الإصدار الأول والثاني هي حذف العبارات المسيئة والطاعنة في القرآن، أو إلحاق النص بما يردّ على هذه العبارات والالتزامات التي في الغالب تكون غير موضوعية. وهذا لأن موجز الدائرة غير قصد وعلى سبيل الأمانة العلمية ما يسيء للإسلام والقرآن الكريم، لذا توجب الحذف مع الإشارة لذلك للأمانة والردّ إن استوجب ذلك. لكن مترجمي الإصدار الأول والثاني من الدائرة، كانوا يدرجون الشبهة ويلحقوها بتعليق من الباحثين المسلمين المتخصصين، مما يكشف منهج المستشرقين ويرد عليهم.

وفي القسم الثاني من المادة أشار هيلر إلى يوسف عليه السلام في حكايات القصص والخباريين: وحاول تعيين كل الاسماء المبهمة في القرآن عن القصة، كما جاءت في كتب بعض المفسرين، والتي أصلها ما أخذ عن أهل الكتاب، وهو ما يفسر اختلافها بين المفسرين والمؤرخين، حتى أسماء النجوم التي سجدت ليوسف عليه السلام ذكرها، وقال: "وتعلل الحكايات كل شيء وتفصل كثيرا من الأمور التي لم ترد في القرآن... وتواصل الحكايات إضافة تفاصيل لا وجود لها في القرآن الكريم ولا حتى في الهاجادة"⁴، والحقيقة أن كتب التفسير في أغلبها وكتب التاريخ والقصص، قد امتلأت بالأخبار والإسرائيليات فيما أبهمه القرآن الكريم، إشباعا للفضول الزائد عند الناس، حتى أصبحت قصة يوسف تبدو كالأساطير.

¹ ذكرت بامرأة فرعون في هذا الموضع من موجز الدائرة، ولعله خطأ مطبعي، فالمادة ينقصها بعض التدقيق اللغوي.

² تفسير الألوسي مصدر سابق، ج6، ص384.

³ موجز الدائرة، ج32، ص10229، ع1.

⁴ موجز الدائرة، ج32، ص10230-10231.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ونظرا لما اتسمت به قصة يوسف في الآداب الشعبية فقد زاد فيها القصص الكثیر من التفاصيل وتفننوا في التفصيلات، وإشباع الفضول، وإثارة العواطف وصناعة الأعاجيب والغرائب فيها، وتبقى آيات القرآن الكريم هي المنهل الصافي لأحداث هذه القصة.

وبالنسبة لوفاة يوسف فلم يرد عنها شيء في القرآن، وذكر هيلر أن كل الروايات التي ذكرتها كان مستندها الهاجادة، في إشارة إلى الحديث الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه، والذي صحّحه أغلب العلماء، مع أن المستشرق قد ذكر اسم العجوز، وهذا غير وارد في الحديث، وإنّ في توافق هذا الحديث مع ما جاء في الهاجادة تأكيد على صدق الرواية، هذا إذا لم تكن الرواية الهاجادية هي التي نقلت عن الإسلام، لأنّ الهاجادة تراث شفوي متطور عبر الزمن، فلما لا يكون هذا الحديث عن الصادق الأمين مما تلقفته أفواه اليهود وألقوه بالهاجادة، خاصة أنه لا دليل على فرضيتهم.

ويختتم هيلر المادة بعبارة "ولا يعترف الشيعة بالسورة رقم 12 (سورة يوسف لا يعدونها من القرآن)، والحقيقة أنّ الشيعة يعدونها من القرآن الكريم، لكن ينسبون لعلي عليه السلام رواية تقول: لا تعلموها لنسائكم، وذلك خشية الوقوع بالفتن، وهذا تأويل متعسف منهم، وتحريف للحقيقة.

اعتمد المستشرقون الكتاب المقدس والهاجادة أساسا في كتابة مادتي يعقوب ويوسف عليهما السلام، وبدا ذلك جليا في مادة يوسف التي عقدت مقارنات بين التوراة والقرآن، ولم ترد فيها القصة الكاملة ليوسف عليه السلام، كما ركزوا على الروايات الإسرائيلية في عرض هذه القصص، كانت المادة بعيدة عن حقيقة القصة القرآنية وروعة تجلياتها.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

المبحث الثاني: قصة موسى وهارون عليهما السلام

يعد موسى من أعظم أنبياء بني إسرائيل، وأحد أولي العزم من الرسل، وقد كانت قصته أطول قصة جاءت تفصيلها في القرآن الكريم، وتنوعت أحداثها وشخصياتها، وشملت أجزاء كبيرة من حياة موسى عليه السلام، وركزت كثيرا على دعوته لفرعون الطاغية، ولبني إسرائيل، وفي هذه القصة جاء الحديث عن هارون عليه السلام، الذي كان المعين والسند لموسى عليه السلام في دعوته، وتبدو صورة النبيين الكريمين في القرآن موافقة للعهد القديم في أغلب الأحداث الأساسية، وإن كانت تختلف عنها في بعض التفاصيل، وفي التوصيف العام للشخصيتين، لأنها تصحح أخطاء العهد القديم وتصوّب الاضطراب الواقع فيه.

وليس غريبا أن يكون موسى أكثر ذكرا من غيره في كتاب الله كذلك، ذلك لأن الحديث عنه لم يكن من زاوية واحدة، كما هو شأن أكثر الأنبياء -عليهم السلام- وإنما تعددت الزوايا وكثرت الجوانب التي عرضت للحديث عنه عليه السلام، وذلك لما في كل منها من عظات ودروس حري بها أن تُتناول وتُدرس، فبعض الجوانب حدثتنا عن رسالته عليه السلام إلى فرعون، والبعض عن مواقفه مع بني إسرائيل، والبعض الآخر فيها الحديث عن ميلاده وشبابه، كما ذُكرت أحداث ومواقف خاصة مرّ بها موسى عليه السلام. وكان ورودها متفرقا في القرآن الكريم، وشملت أغلب سور القرآن، لذا سيتم التركيز على عرض الآيات القرآنية، وجمع الآيات المتشابهة في نفس الموقف، حتى تظهر صورة القصة واضحة وكاملة.

المطلب الأول: قصة موسى عليه السلام

الفرع الأول: موسى عليه السلام في القرآن الكريم والسنة الصحيحة

ذُكر موسى عليه السلام في القرآن الكريم مائة وستة وثلاثون مرة، في عدد من السور، عالج فيها قصة موسى عبر محطات أساسية في حياته، يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل هي:

1. المرحلة الأولى: النشأة والبعثة

تبدأ قصة موسى عليه السلام بالحديث عن مولده والعصر الذي نشأ فيه، وما كان يعانيه بنو إسرائيل في حكم الفرعون، وجاء ذلك في سورة القصص، فمقدمتها تبدأ بتوصيف حال فرعون وأفعاله، والهدف من هذه القصة قال تعالى: ﴿طَسَّرَ ۝ نَلَيْكَ ءَايَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ نَسَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ ۝ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّكَ فِرْعَوْنُ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَيَجْعَلَهُمْ

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

أَيَّمَةً وَتَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٦﴾ وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٧﴾ القصص: ١ - ٦.

تصور هذه الآيات الكريمة حالة مصر في عصر ذلك الفرعون، وكيف تجبر وتكبر وقسم الناس شيعة وطوائف، وعدب بني إسرائيل فذبح أبناءهم الذكور وترك الإناث أحياء، وكان هذا أعظم الفساد، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يعيد للأرض عدلها، ويرفع الظلم عن بني إسرائيل راية الحق ويورثهم الأرض من بعد الظالمين، ويعاقب فرعون وأعدائه وجنوده على طغيانهم.

أ. مولد موسى عليه السلام

في هذا الوقت العصيب يولد موسى عليه السلام، وتحاول أمه أن تخفيه عن أعين فرعون وجنوده كي لا يذبحوه، فألهمها الله أن تضعه في التابوت وتلقيه في اليم، وأن توكل أمرها الله تعالى فسيحفظه لها، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَأَلْقَتْهُ وءَالِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٧﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتَسْبِيهَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ * وَحَزَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١١﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلِكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾

القصص: ٧ - ١٣. وتصف الآيات حالة أمه في هذه الحالة، فلولا إيمانها لكانت أخبرت به، ثم أوصت أخته بتبعية، ويقدر الله أن يصل التابوت إلى بيت فرعون ليربّي موسى عليه السلام على مقربة من الطاغية فرعون، لكن برعاية امرأة فرعون التي جعلته قرة عين لها، والتي ورد في صحيح البخاري أن اسمها (آسيا)، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كُمّل من الرجال كثير ولم يكُمّل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"¹. وقد حرم الله المراضع على موسى ليكون ذلك سببا في أن يعيده إلى أمه من جديد، فلا تحزن وتعلم صدق وعد الله لها.

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إلى قوله وكانت من القانتين)، ج4، ص 158، رقم الحديث: 3411

ب. موسى في شبابه

وتطوي الآيات الكريمة السنين لتحدثنا عن شباب موسى عليه السلام، وكيف آتاه الله الحكيم والعلم، ويقص القرآن علينا حدثا سيغير مجرى حياة موسى عليه السلام ويكون له تأثير كبير في علاقته مع فرعون. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاذَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِجُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَمَكٌ مِّنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴿

القصص: ١٤ - ٢١.

فبالرغم من أن نية موسى عليه السلام كانت حسنة برفع ظلم القبطي عن ذلك الإسرائيلي، إلا أن موسى عن غير قصد منه قتل ذلك القبطي، وذلك بـ (وكزه) "وهو الضرب باليد مجموعة الأصابع، وقيل: الوكز على القلب واللكز على اللحي"¹، وأدرك موسى عليه السلام أن ذلك كان من تزيين الشيطان له، فاستغفر الله وعاهد أن لن ينصر المجرمين أبداً، فغفر الله له، وهي صورة أثبتتها القرآن الكريم تليق بمن سيصبح أحد أولي العزم من الرسل.

ويجعل الله نفس العبراني الذي أنقذه موسى سببا في كشف ما فعله موسى عليه السلام، بأن وصل الخبر إلى قومه، وجاءه رجل من أقصى المدينة ناصحا له بالخروج من المدينة لئلا يقتله قومه، فاتخذ موسى عليه السلام طريق مدين متوكلا على الله، وحينما وصلها وجد عند مائها فتاتين تنتظران الرعاة لسقي غنمهما، فسقى لهما ثم جلس يدعو الله تعالى معترفا بفقره وضعفه، فتأتبه رحمة الله مباشرة، لتعود إحدى الفتاتين إليه، وتطلب منه أن يأتي لمقابلة والدها الذي سيجزيه أجر السقاية، وقصّ موسى على والدهما قصته، فعرض الأب على موسى أن يعمل عنده ثماني سنين وإن شاء أكمل عشرة مقابل أن يزوجه إحدى ابنتيه، التي توسمت فيه القوة والأمانة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٣﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ

¹ تفسير الألوسي، مصدر سابق، ج10، ص263.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ وَأَبْوَنًا سَمِيعٌ كَبِيرٌ ﴿٢٨﴾ فَسَقَى لَهُمَا نَمْرًا تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَاقْبُرْ ﴿٢٩﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نُنَادِي بِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي فَأُرْسِلَنَّكَ مِنَ الْغَابِ بِظُلْمٍ لَئِيْلٌ مُدَبَّرٌ ﴿٣٢﴾ قَالَ فَإِنْ أَتَمَمْتِ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتِ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٣٤﴾ القصص: ٢٢ - ٢٨.

بعد أن أتم موسى عليه السلام أجل خدمته في مدين، ألهمه الله أن يعود بأهله إلى مصر، وعن سعيد بن جبير قال: سألتني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل¹.

ج. بعثة موسى عليه السلام

وفي الطريق تبدأ مرحلة جديدة من حياة موسى عليه السلام جاء ذكرها في عدة مواضع من القرآن الكريم، هي مرحلة الرسالة، ففي أثناء مسيره باتجاه مصر، وجد موسى عليه السلام نارا في جانب الطور، وكان قد حلّ الظلام واشتد البرد، قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ * فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ القصص: ٢٩، وفضل موسى الطريق، واحتاج إلى هادي له، قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ إِذْ رَمَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هَدًى ﴾ طه: ١٠، وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَعَاتِكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ﴿٧﴾ النمل: ٧، قال الامام ابن كثير: "أي: شهاب من نار. وفي الآية الأخرى ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ القصص: ٢٩ وهي الجمر: الذي معه لهب، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ القصص: ٢٩، دلّ على وجود البرد، وقوله: ﴿ بِقَبَسٍ ﴾ طه: ١٠، دلّ على وجود الظلام"².

فاتجه موسى عليه السلام نحو النار وهناك نودي وجاءه الوحي قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى آتَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ القصص: ٣٠، وقد ذكرت الآية مكان نزول الوحي عليه فقد "ناداه الله من الشجرة، وهذه الشجرة، في شاطئ وادي

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، ج3، ص181، رقم الحديث: 2684.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص276.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

طوى، وهذا الشاطئ هو جانب الوادي الأيمن، وهذا الوادي هو في جانب جبل الطور الأيمن وهذه البقعة هي كلها البقعة المباركة"¹، وعندما كلمه الله تعالى أمره بخلع نعليه تعظيما لهذا المكان، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۖ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۖ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۖ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۖ وَمَا تَلَكَ بِسَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ۖ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ ۖ قَالَ أَلْقَاهَا يَمْوَسَىٰ ۖ فَالْقَهْبَاءُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۖ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۖ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِثْلَ بَيْضَاءِ أُخْرَىٰ ۖ لِرَبِّكَ مِن آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ۖ﴾ طه: ١١ - ٢٣

وفي هذه الآيات الكريمة بدأ الوحي، بالتأكيد على القضايا الأساسية للعقيدة وهي: الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والأمر بالعبادة، ثم سأل الله ﷻ موسى ﷺ على سبيل الإناس له عن عصاه، فأجابه موسى شارحا له فيما يستخدمها، فطلب الله تعالى منه أن يلقيها ليريه وجهها معجزا لهذه العصا، بحيث انقلبت حية تسعى تتهز كآثما جان ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدِرِبًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ القصص: ٣١، فناده الله سبحانه وتعالى وأمنه ﴿يَمْوَسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأُمِينِينَ﴾ القصص: ٣١، فلا يجوز أن يخاف منه أصحاب الرسالة ﴿يَمْوَسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ﴾ النمل: ١٠، وطلب منه أن يأخذها، ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ طه: ٢١. ثم أراه الآية الثانية قَالَ تَعَالَى: ﴿أَسْلَمَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِثْلَ بَيْضَاءِ أُخْرَىٰ ۖ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ القصص: ٣٢، وكانت هذه المعجزات الكبرى ليقوم موسى ﷺ بدعوة فرعون الطاغية وقومه الفاسقين، وأدرك موسى ﷺ عظم المهمة التي كُلف بها، وتذكر سبب خروجه من مصر، فطلب من الله تعالى أن يجعل له معينا ووزيرا يشد من أمره قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۖ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۖ قَالَ سَنُنَصِّرُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ مَا أَغْلِبُونَ﴾ القصص: ٣٣ - ٣٥، قال الامام ابن كثير: "أي: وزيرا ومعينا ومقويا لأمرى، يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله ﷻ؛ لأن خبر اثنين أنجع في النفوس من خبر واحد"² كما جعل لهما البشرى بأنهم وأتباعهم الغالبون بإذن الله تعالى وهذا مما يدخل السكينة والطمأنينة للنفس. ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ وَالْحُلُقَمَّةَ

¹ الخالدي، القصص القرآني، مرجع سابق، ج2، ص354.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج6، ص236.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

مِن لِّسَانِي ﴿٣٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٣٨﴾ وَأَجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٣٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٤٠﴾ أَشَدَّدَ بِهِهٖ أَزْرِي ﴿٤١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٤٢﴾ كَيْفَ سُبِّحَكَ كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ وَتَذَكَّرَكَ كَبِيرًا ﴿٤٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٤٧﴾ طه: ٢٥ - ٣٧

ثم ذكره الله سبحانه وتعالى بالنعم التي أفاضها عليه، وكيف كان يرعاه ويحفظه ويدبر أموره بما فيه الخير له ليهيئه لهذه الرسالة قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٧﴾ أَنْ أَقْدِمِيهِ فِي النَّابُوتِ فَأَقْدِمِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٨﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُمْ قَرْجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿٣٩﴾ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَمِنتَ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَى ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ طه: ٣٨ - ٤١. قال المراغي: "وخلاصة ذلك - إني جعلتك من خواصي، واصطفيتك برسالاتي وبكلامي، فصرت بما آتيتك من كرامة النبوة وجليل النعمة بالمكاملة، أشبه بمن يراه الملك أهلاً لكرامته، فيقر به إليه ويجعله من خواصه وندمائه، ويصطنعه بالإحسان إليه في الحين بعد الحين والفينة بعد الفينة"¹.

ثم أمر الله سبحانه وتعالى موسى أن يذهب هو وأخوه هارون إلى فرعون ويدعوا إلى اتباع الحق باللين والرفق، ليكون أوقع في نفسه، وأمرهما بذكر الله تعالى ليزيدهما قوة أمام جبروت فرعون، وتقوى ثقتهما بالله وتشتد عزيمتهما أمام هذا الطاغية، قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِعَايَتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِعَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَن آتَبَعَهُ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ طه: ٤٢ - ٤٨، "فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان"².

والدعوة كانت لفرعون وقومه الكافرين قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِعَايَتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ يونس: ٧٥ وكانت موجهة بالخصوص لقادة الكفر وأعمدة الفساد في هذه الأرض، لأنهم السبب في ضلال وإغواء قومهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِعَايَتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٧٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُلُوبُهُمْ فَكَّالُؤَسَادٍ فَكَّادِبٌ ﴿٧٧﴾﴾ غافر: ٢٣ -

¹ تفسير المراغي، مصدر سابق، ج16، ص112.

² حمدي نوفل، قصص القرآن، مرجع سابق، ص213.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

٢٤، وقد أرسل الله تعالى موسى إلى فرعون لأمرين أساسيين "أحدهما: إرسال بني إسرائيل وإزالة ذلّ العبودية والغلبة عنهم، والثاني: أن يؤمن فرعون ويهتدي مع قومه"¹.

2. المرحلة الثانية: دعوة فرعون

ذكرت قصة موسى مع فرعون في عدة سور من القرآن الكريم هي: الأعراف، طه، الشعراء، القصص، يونس، غافر، الزخرف، الدخان والنازعات، جاء في كل منها التركيز على موقف من المواقف، وتفصيل حدث من الأحداث،

أ. دعوة موسى ﷺ لفرعون

وقد سجل القرآن الكريم الحوار الذي دار بين موسى ﷺ وفرعون في عدة سور اختلف ايراده فيها حسب السياق العام للسورة، فقد جاء في سورة الأعراف قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥، فردّ عليه فرعون المتجبر وذكره بماضيه على سبيل الامتنان والانتقاص ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِيمَا وَلَدْنَا وَلَدًا وَابْنًا مِّنْ عَمْرِكَ سِخْرِينَ ﴿١٠٦﴾ وَفَعَلْنَا لَكَ الْفِعْلَ الَّذِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ فَعَلَيْهَا إِذَا وَآنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٠٨﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَكُمُ فَأَهْبَىٰ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٩﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُّهَا عَلَىٰ أَن عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١١٠﴾﴾ الشعراء: ١٨ - ٢٢

ثم تبين الآيات أن فرعون أراد أن يعرف من ربّ موسى، على سبيل الإنكار قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ذُرِّيَّةً لِّدِينِهِ ﴿١١٢﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿١١٣﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ﴿١١٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّاكَ لَكُمْ فِيهَا صُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن تَبَاتٍ شَقَىٰ ﴿١١٥﴾ كَلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٦﴾﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿١١٧﴾ طه: ٤٩ - ٥٥، وبدأ موسى بالتعريف بالله تعالى بعرض أفعال الله في الوجود وذكر الأدلة على ألوهيته ووحدانيته، ولخص مسألة الربوبية في ثلاثة أبعاد هي: البعد الكوني الواسع، المجال الإنساني التاريخي، والمجال الأرضي الواسع، وبهذا ضيق على فرعون ولم يبق له إلا منطق الطغيان والاستكبار² قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٢٣﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ الشعراء:

٢٣ - ٢٨

¹ وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، دار الفكر - دمشق، ط1، 1422هـ، ج2، ص1820.

² ينظر: الخالدي، القصص القرآني، مرجع سابق، ج2، ص418.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

فلما رأى فرعون موضوعية ومنطق موسى عليه السلام، خاصة أما مملته خاف أن يتأثروا به، فاستعمل منطق القوة والوعيد، لكن موسى عليه السلام واجهه بالمعجزات التي أرسله الله بها دليلاً على صدق دعواه قال تعالى: ﴿ قَالَ لَيْنَ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ أُولُو حِجَّتِكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٧﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٨﴾ فَأَلْفَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٩﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٤٠﴾ الشعراء: ٢٩ - ٣٣، فسارع فرعون إلى طمس هاتين الآيتين باتهام موسى عليه السلام بالسحر، وتهيج القادة ضده لأن هدف موسى واضح في نظره وهو نزع سلطانه من هذه الأرض وإخراجهم منها قال تعالى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٤١﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَعْتِ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٤٣﴾ يَا تُوكَّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٤٤﴾ الشعراء: ٣٤ - ٣٧.

وخاف المملأ من أن يتمكن كل موسى وهارون عليهما السلام من أن يسيطرا على الأرض، فيضيع سلطانه ومكانته، لذلك رفضوا دعوة موسى عليه السلام ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْمَلَقُ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٥﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِتَنَّ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ يونس: ٧٦ - ٧٨. كما أنهم استعلوا على دعوة الحق لتكبرهم على الناس واحتقارهم خاصة لبني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٨﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٩﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٥٠﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٥١﴾ المؤمنون: ٤٥ - ٤٨.

ولما أنكر فرعون المعجزات التي جاء بها موسى، سعى إلى تحديه بأن ما جاء به ما هو إلا سحر، ويستطيع أشهر السحرة في بلاده أن يواجهوا موسى به، وطلب منه تحديد موعد للنزال معهم يشهده الناس، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٢﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٣﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٤﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ صُبْحِي ﴿٥٥﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٥٦﴾ طه: ٥٦ - ٦٠، واختار موسى عليه السلام يوم الزينة موعداً للقاء، قال الامام ابن كثير: "وهو يوم عيدهم ونوروزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: ﴿ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ﴾ أي: جميعهم ﴿ صُبْحِي ﴾ أي: ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح بين" ¹.

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج 5، ص 300.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

واشترط السحرة على فرعون أن يجزل لهم في العطاء إن انتصروا على موسى، فأجابهم لذلك وزاد عليه أنه سيقربهم منه، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمِ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّآ نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمْ الْعَالِيِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ الشعراء: ٣٨ - ٤٢

ب. لقاء موسى بالسحرة

عندما حان وقت اللقاء لم يدخر موسى ﷺ جهدا في دعوة السحرة وثنيتهم عن زبغهم وضلالهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَإِنَّكُمْ إِذْ لَمِيسَتْ لَكُنْتُمْ آلَ اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ أَتَقْفُونَ أَمْرَهُم بِغَيْبَاتِ اللَّهِ وَإِن لَّمْ يَأْتِكُمْ مَعَهُ الْكِتَابُ فَلا يَأْتِكُمْ السَّحَرَةُ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا التَّجْوِيَّ ﴿٤٤﴾ قَالُوا إِن هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ ﴿٤٥﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ طه: ٦١ - ٦٤، "لقد هزت كلمات موسى ﷺ السحرة هزًا عنيفًا، وشككتهم في جهودهم، وأضعفت همهم وإرادتهم"¹، وبدأ يدب النزاع فيهم، وتناجوا بينهم أن موسى وهارون ساحران هدفهم إخراجهم من الأرض، ثم اتفقوا أن يجمعوا أمرهم ويوحّدوا جهودهم لينتصروا.

وتبدأ المواجهة بتخيير السحرة لموسى أن يبدأ بالإلقاء أو أن يلقوا هم، "خيروه، موهين أنهم على جزم من ظهورهم عليه بأي حالة كانت"²، ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٤٧﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٤٨﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٥٠﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَآ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٥١﴾﴾ طه: ٦٥ - ٦٩ واستعانوا بعزة فرعون ليكونوا هم الغالبون ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ فِرْعَوْنَ بَعْرَةً إِنَّا لَنَعْنُ الْعَالِيُونَ ﴿٥٣﴾ قَالِقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ الشعراء: ٤٣ - ٤٥، فأثر سحرهم في الناس التي تشاهد المواجهة، وأثار ذلك خوفهم وفرعهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿٥٥﴾ الأعراف: ١١٦، كما وجد موسى ﷺ أثر ذلك في نفسه، وكل ذلك من التخييل، لكن الله تعالى أوحى له أنه المنتصر عليهم، وأمره الله تعالى أن يلقي عصاه، فلما تبين له زيف عملهم قال لهم ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ إِنَّ اللَّهَ سَابِطُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِلُّ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ يونس: ٨١، وألقى موسى عصاه فإذا بها تتحول إلى حية ضخمة وتتلف كل ما يكذبون به على الناس ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا

¹ صلاح الخالدي، القصص القرآني، مرجع سابق، ج2، ص422

² تفسير السعدي، مصدر سابق، ص508.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴿ الأعراف: ١١٧ - ١٢٠

ولما كان السحرة يعلمون السحر وفنونه، علموا علم اليقين أن ما جاء به موسى ليس سحرا بل هي معجزة عظيمة سخرها رب موسى وهارون لهما، فخرّوا ساجدين ﴿ قَالُوا ءَأَمْتَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١١٩﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْؤُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴿١٢١﴾ ﴿ الأعراف: ١٢١ - ١٢٣

بعد هذا العلم اليقيني أقدم السحرة على إعلان إيمانهم، واتباعهم للحق المنتصر، وهم يعلمون ما سينالهم من الطاغية فرعون، وساق لنا القرآن الكريم الحوار الذي دار بين فرعون وبين السحرة المؤمنين قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتِ السَّحْرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١١٩﴾ قَالُوا ءَأَمْتَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢١﴾ قَالَ ءَأَمِنْتُ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَسَوْفَ تَعْمُونَ... ﴾ الشعراء: ٤٦ - ٤٩، وشرع فرعون بكيال التهم لهم، بأنهم لم يستأذنه في هذا الايمان، وهي عبارة تكررت في كل من : سورة الأعراف، وسورة طه وسورة الشعراء، كررها القرآن لبيّن درجة الاستعباد التي كان يفرضها فرعون على قومه، حتى ألغى حريتهم في التفكير والاختيار، ثم جعل فرعون سبب ذلك أن موسى عليه السلام هو كبير السحرة الذي علّمهم هذا التحرّر والخروج عن إرادة الفرعون، وأنهم تأمروا معه على إخراج الناس من المدينة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْؤُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿ الأعراف: ١٢٣، ثم أعلمهم بنوع العذاب الذي ينتظرهم حتى يتراجعوا ويعودوا لاتباع فرعون، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا قِطْعَنَ أَيَّدِيكُمْ وَارْتَجَلَكُمْ مَن خَلْفَ وَلَا ضَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَتَعَامُنَ آيَاتِنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَقْبَى ﴾ ﴿٧١﴾ طه: ٧١، فأجابوه بكل ثقة ويقين ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَظْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ٥٠ - ٥١، والضير هو "تأثر قلوبهم وأرواحهم بالضرر المادي الخارجي المصوب على أبدانهم، وهذا التأثير يدعوها إلى التراجع والانتكاس والارتداد، وترك الحق، والرجوع إلى الباطل" ¹ فهم يقولون لفرعون أنّ عذابه لن يصل إلى قلوبهم ولن يثني عزائمهم بعد ما رأوا الحق وآمنوا به، وجاء في سورة الأعراف ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٠﴾ وَمَا نَنفِمْ مِنْهَا إِلَّا أَنْ ءَأَمْتَا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّتَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢١﴾ ﴿ الأعراف: ١٢٥ - ١٢٦، وهنا يردّون على اتهامات فرعون التي وصمهم بها، ويرجعونها إلى الحقد الأعمى على أصحاب الايمان بسبب اتباعهم للحق، وليس كما يدّعيه هو بأنهم خانوا أوطانهم وشعوبهم، ولذا دعا الله أن يمنحهم الصبر والثبات على الإسلام حتى الممات.

¹ صلاح الخالدي، مرجع سابق، ج2، ص473.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وفي سورة طه تظهر الآيات درجة الايمان التي وصلها السحرة، فقد أدركوا حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، واختاروا الفوز الكبير والخير الباقي على ما وعدهم به فرعون وطمعوا في المغفرة فدعوا بالثبات والصبر على العذاب الذي ينتظرهم من فرعون. وحاولوا أن يبينوا له مصير المجرم الكافر، والمؤمن الصالح لعله يستجيب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْمِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [٧٦] إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَعْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ إِنَّهُ مِن يَأْتِ رَبَّهُ مُجِيبًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٧﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٨﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٩﴾ طه: ٧٢ - ٧٦، ولا تزيدنا الآيات الكريمة أي بيان عن مصير السحرة، وإن كانت نهايتهم واضحة بالنظر إلى وصف القرآن الكريم لشخصية فرعون المتجبر.

ج. مؤمن آل فرعون

يقصّ علينا القرآن الكريم قصة مؤمن آل فرعون التي ذكرت مرة واحدة في سورة غافر، والتي تبدأ أولاً بعرض القرارات الجديدة لفرعون في ظل هزيمته أمام موسى وإيمان السحرة، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَالُوا فَقَالُوا سَدْحِرَ كَذَابٌ ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عَبْدُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٣٧﴾ ﴾ غافر: ٢٣ - ٢٧.

وقرر فرعون قتل أبناء المؤمنين الذكور وترك البنات، قال ابن كثير: "إلهانة هذا الشعب، ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام¹؛ كما أخبر ملاءه على سبيل الاستخفاف بهم أنه عازم على قتل موسى عليه السلام فلا يمنعه، وليدع موسى ربه إن كان سيحفظه من ذلك، وهذا قمة التجبر والاستهتار، وهو مشهد يظهر فيه فرعون في صورة الملك المستشار لقومه المهتم بمصلحة شعبه، لكنّه في الحقيقة خائف من تحول الناس عن طاعته وعبادته، والانقلاب عليه. فاتهم موسى بتبديل دين الناس وإثارة الفتنة في الأرض، ولما سمع موسى تهديد فرعون استعاذ بالله من تكبر الفرعون وطمغيانه وكفره باليوم الآخر.

ثم تبدأ قصة مؤمن آل فرعون الذي لم يرد في القرآن الكريم اسمه ولا مكانته، إلا أنه من آل فرعون، وكان كاتماً لإيمانه بموسى عليه السلام، ولخصّ لنا القرآن الكريم أقواله لقومه ودعوته لهم بالحسن

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص139.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

قَالَ تَمَّانٌ: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٣٥﴾ يَقْتُمُونَ لَكُمْ الْمُلْكَ أَيُّومَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٧﴾ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣٨﴾ وَيَقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٩﴾ يَوْمَ تُنَادُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ يَجِدَلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٤٢﴾ ﴿ غافر: ٢٨ - ٣٥

وهي صورة للمؤمن الشجاع الصادح بالحق، لما رأى إصرار فرعون على قتل موسى عليه السلام، فدعاهم إلى التفكير بموضوعية، والتريث في الحكم بعدما رأوا الآيات، قال الزمخشري: "ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال: لا يخلو من أن يكون كاذباً أو صادقاً ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾ أي: يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره ﴿ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ إن تعرضتم له"¹، كما ذكرهم بسلطتهم على الأرض وحرّهم من زوال نعمة الله عليهم، وحلول بطش الله بهم إن تمادوا في كفرهم، وجعل نفسه من زمرتهم كي يستميلهم ويُلين قلوبهم ويكسبهم إلى صفه، لكن فرعون أظهر عناده وحكمه المتجبر بقوله ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ﴿٣٦﴾ فرأى أن رأيه الصواب وما دونه خطأ، واستمر مؤمن آل فرعون في دعوته لقومه وتذكيرهم بعاقبة الأمم السابقة، وباليوم الآخر، وذكرهم بخبر يوسف وقد سمعوا بالخير والازدهار الذي جاءهم به، فالرجل المؤمن يستخدم المنطق السليم والقول الحكيم في دعوته لقومه، ما جعل فرعون يحيك مكيده جديدة من خلال ادعائه البحث عن إله موسى وأمره لهامان ببناء صرح يصله بالسماء وهذا يوجّه أنظار الناس عن كلام الرجل المؤمن، قَالَ تَمَّانٌ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُنْ آئِن لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴿ غافر: ٣٦ - ٣٧، وجاء في سورة القصص ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الظِّلِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى رَبِّ

¹ تفسير الزمخشري، مصدر سابق، ج6، ص107.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

إِلَهُ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلٰهِنَا لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾ * القصص: ٣٨ - ٣٩

ليجهر بعدها الرجل المؤمن بإيمانه، ويدعو قومه إلى سلوك درب الرشاد، كاشفا لهم حقيقة الدنيا و مبينا ميزان الجزاء في الآخرة ليحثهم على الفوز بالجنة والابتعاد عن النار ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَقَوَّمُ أَنَّيَعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَتَقَوَّمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَتَقَوَّمُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَعِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقْدِرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَإِنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَخَافَ يُقَالُ فِرْعَوْنٌ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ * غافر: ٣٨ - ٤٥. وفي الأخير أوكمل مؤمن آل فرعون أمر قومه إلى الله تعالى، وكان الله له خير حفظ وانقلب السوء على الكافرين.

د. اضطهاد بني اسرائيل

ووافق الملاً الظالم على فكرة فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل، واستحياء نساءهم، وهيجوا فرعون ضد موسى وقومه، فكان ذلك شديدا على بني إسرائيل، واشتكوا أمرهم إلى موسى عليه السلام ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ * الأعراف: ١٢٧ - ١٢٩، فدعاهم موسى عليه السلام إلى الاستعانة بالله والتمسك بالصبر وتقوى الله حتى يكشف الله عنهم البلاء ويورثهم الأرض فيرى عملهم فيها.

وأوحى الله لموسى وهارون أن يأمر بني إسرائيل فيصلوا في بيوتهم لما اشتد الأذى عليهم، وبعد أن تأكد لموسى إعراض الفرعون وملئه عن إرسال بني إسرائيل معه، فدعا ربه أن يكشف الضر عن بني إسرائيل وينزل عقابه على فرعون وأعدائه، ﴿ فَمَاءٌ آمِنٌ لِّمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَتَقَوَّمُ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ فَاعْلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَجِئْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْتَبِعُوا آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٤﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْمُونَ ﴿٨٥﴾ ﴿ يونس: ٨٣ - ٨٩، فاستجاب الله لموسى ﷺ ولأخيه، وأنزل على قوم فرعون آيات بينات ليقيم عليهم الحجة.

هـ. الآيات البيّنات

قَالَ تَمَالَى ﴿١٣٠﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣١﴾ فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَخُذْ لَكَ بِمُؤْمِنِيهِمْ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَاللَّمَ عَائِتٍ مُفْصَلَةٍ فَاستَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴿ الأعراف: ١٣٠ - ١٣٣

وهذه الآيات البيّنات كانت بلاءً على قوم فرعون، لعلهم يهتدون وصال الله عنها بني إسرائيل، لكن الكافرين جعلوا هذه الإنذارات الربانية من قبيل التطير بموسى ﷺ واهمومه بالسحر، قَالَ تَمَالَى ﴿١٣٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَقَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٣١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مُشَبَّهًا ﴿١٣٢﴾ الإسرائاء: ١٠١ - ١٠٢ وكان كلما زاد عليهم البلاء طلبوا من موسى أن يدعو ربه ليكشف عنهم البلاء في مقابل أن يؤمنوا به ويرسلوا معه بني إسرائيل لكنهم كانوا ينكثون عهدهم بعد ذلك، ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴿ الأعراف: ١٣٤ - ١٣٥

وزاد فرعون على ذلك بأن نادى في قومه متفاخرا بسلطته على أرض مصر وساخرا من موسى بأنه مهين ولا يكاد يفصح في كلامه، ولولا أن يكون موسى مزينا مجملا بالحلي والأساور؟ أو جاء معه الملائكة مقترنين يعاونونه على دعوته، ويؤيدونه على قوله. كعلامة على صدقه وهذه الشبه من باب استخفاف فرعون بقومه الذين أطاعوه فنالوا العقاب معه، قَالَ تَمَالَى ﴿١٣٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿١٣٨﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٣٩﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الْوَدَّاعُ لَنَا رَبُّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿١٤٠﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٤١﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا بُصِرُونَ ﴿١٤٢﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

﴿ فَالَّذِي عَلَيْهِ اسْمُ السُّورَةِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْجَاهٌ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾ وَجَعَلْنَا هَمَّ سَلْفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴿ الزخرف: ٤٦ - ٥٦ ﴾

و. خروج بني إسرائيل

ولما حان الأجل أوحى الله تعالى لرسوله موسى ﷺ بأن يخرج بني إسرائيل ليلاً، هرباً من فرعون وقومه، وجمع فرعون جنوده ليلحقوا بهم، وتلاقى الفريقين عند شروق الشمس، وأوحى الله لموسى ﷺ أن يضرب البحر فانشق وأصبح طريقاً يابساً، سار فيه بنو إسرائيل إلى الضفة الأخرى، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦٥﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٦٦﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٦٧﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٩﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٧٠﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ يَعْصَاكَ الْبَحْرُ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٧١﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٧٢﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴿ الشعراء: ٥٢ - ٦٨ ﴾.

وحاول فرعون وجنوده أن يتبعوا موسى وقومه، فدخلوا البحر فانقلب البحر عليهم وكانت نهايتهم فيه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ ﴿٧٦﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ يَجُودِيهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ ﴿٧٧﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٨﴾ ﴿ طه: ٧٧ - ٧٩ ﴾، وعندما أدرك الغرق فرعون، وتحقق نهايته وأيقن بالعذاب نطق بالحق وشهد بالإيمان، لكنه لا توبة لنفس عند الغرغرة، فجعله الله آية لمن بعده وموعظة للغافلين ﴿ وَجَوْرْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَاقًّا إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَإِنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٧٩﴾ ءَأَلْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٠﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْرِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٨١﴾ ﴿ يونس: ٩٠ - ٩٢ ﴾ وعن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: "لما أغرق الله فرعون قال: آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنتُ به بنو إسرائيل، فقال جبرئيل: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة"¹

ويعقب القرآن الكريم على عاقبة فرعون وجنوده، كيف حقق وعده بنصرة بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٥﴾ وَرُزُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَنَعَمَ كَانُوا فِيهَا فَلَکِيمِينَ ﴿٥٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ﴿٥٨﴾ ﴾

¹ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة يونس، ج5، ص287، 3107. وقال الترمذي:

حديث حسن.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ءآخِرِينَ ﴿٢٨﴾ فَتَابَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ بَجَجْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمِنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَعَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴿ الدخان: ٢٥ - ٣٣ ﴾

كما تلخص الآيات الكريمة في سورة النازعات قصة فرعون وعاقبته قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِاللَّيْلِ الْمُنْقَدِسِ طَوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرَىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَىٰ ﴿١٩﴾ فَآرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴿ النازعات: ١٥ - ٢٦ ﴾

ويصور القرآن الكريم العاقبة الأليمة لفرعون يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٨﴾ وَأُتُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٩﴾ ﴿ هود: ٩٦ - ٩٩ ﴾، وتظهر الآيات الكريمة الحال التي يكون عليها فرعون وجنوده في النار وحوارهم فيما بينهم في جهنم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَخَافَ يَبَالُ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿١٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿١٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿١٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُحْقِفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا دَعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٠﴾ ﴿ غافر: ٤٥ - ٥٠ ﴾

هذه النهاية التي كتبها الله على هذا الطاغية المتجبر هو وجنوده، وكتب النصر لرسوله والمؤمنين من بني إسرائيل، لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل دعوة موسى ﷺ.

3. المرحلة الثالثة: موسى مع بني إسرائيل

بعد أن نجى الله موسى ﷺ وبني إسرائيل من ظلم فرعون وأراهم جسده ليتأكدوا من وعد الله لهم، ساروا مع موسى ﷺ متوجهين إلى الأرض المقدسة ومروا على قوم يعبدون الأصنام، فسألوا موسى أن يجعل لهم إلها صنما يعبدوه، وهنا كان الامتحان الأول لهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ آبَعِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَاتِلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٣٩﴾ الأعراف: ١٣٨ - ١٤١.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة "إن المقام الطويل الذي أقاموه في مصر هزح فيهم الوحداية التي كانت دين آبائهم، وإن كانوا لم يعبدوا ما عبده المصريون فقد لانت عقيدتهم، وصاروا مترددين لا يؤمنون بشيء ولذلك قالوا لما قالوا؛ لأنه لم يثبت في قلوبهم التوحيد الذي جاءهم به موسى¹، لذا سارع موسى ﷺ ببيان بطلان هذه العبادة، ووضمهم بالجهل لإرادتهم الكفر، ثم تذكيرهم بفضل الله عليهم في إنجائهم من فرعون وظلمه، وأن الله هو الذي يستحق الشكر والعبادة.

أ. ذهاب موسى للميقات:

أن موسى ﷺ أخبر قومه بأنه ذاهب ليأتيهم بالتوراة وسيغيب عنهم ثلاثين ليلة، وجعل عليهم خليفة هو أخوه هارون ﷺ، وتذكر الآيات الكريمة أن الله تعالى كلم موسى ﷺ، ما جعل موسى ﷺ يتطلع أن يحظى برؤية الله تعالى، لكن الله تعالى بين له أن ذلك غير ممكن، لأنه الجبل في صلابته ورسوخه لن يطيق ذلك، فلما تجلّى الله تعالى له أصبح دكا أي هدم حتى سوي بالأرض، فسقط موسى ﷺ مغشيا عليه مصعوقا من هول ما رأى وسمع. ليفيق بعدها ويعلن توبته مما طلب ويشهد بأنه أول المؤمنين، وقد جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يُفِّق فإذا بموسى آخذًا بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جُوزي بصعقة الطور"²، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على العالمين في قسم يقسم به، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: "لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله"³.

¹ محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج6، ص2941

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة، ج4، ص153-154، رقم الحديث: 3399

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، ج4، ص158، رقم الحديث: 3408

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ثم أعلم الله تعالى موسى بأنه اصطفاه بالرسالة، فعليه أن يأخذ بها ويشكر الله، وأعطاه الألواح التي فيها كل شيء فعلى قومه الأخذ بها والامتثال لما جاء فيها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ * وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٦﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٧﴾ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَ كَلِمَةٌ فُخِّدَ مَاءَ اتِّبْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٨﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَلْسَفِينَ ﴿١٤٩﴾ سَأَصْرِفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلَّآءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٥٠﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥١﴾ الأعراف: ١٤٢ - ١٤٧

ب. عبادة العجل

ذكرت الآيات الكريمة ما كان من بني إسرائيل بعد ذهاب موسى ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمِ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٥٢﴾ الأعراف: ١٤٨، وكان هذا من عمل السامري الذي أخذ ما استعاره بنو إسرائيل من حلي من قوم فرعون وصنع لهم به عجلا، وادعى بأنه إلههم وإله موسى الذي نسي أنه معهم. وأعلم الله سبحانه وتعالى موسى بما أصاب قومه من فتنة بعد ذهابه إلى الجبل وحده شوقا وتقربا إلى الفه تعالى ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٥٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿١٥٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿١٥٥﴾ طه: ٨٣ - ٨٥

فعاد موسى إلى قومه ممتلئا غضبا وحنقا عليهم، متأسفا على حالهم، وسألهم عن سبب مخالفتهم مواعده، لكنهم تحججوا له بزينة القوم التي حملوها معهم والتي استغلها السامري وصنع لهم بها عجلا يحور، ولقد حاول هارون أن يعيدهم إلى جادة الحق، لكنهم أبوا، والتفت موسى ﷺ إلى أخيه هارون يلومه أخذا بلحيته وبرأسه لما لم يلحق به عندما رأى ضلال بني إسرائيل، لكن هارون ﷺ اعتذر بأنه خشي تفريق بني إسرائيل قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿١٥٦﴾ قَالُوا مَا

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِكَ وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَتْهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَتَّحِ عَلَيْهِ عَمَلِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا نَأْخُذُ بِحَيْثِي وَلَا بِرَأْسِي إِنْ خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ طه: ٨٦ - ٩٤، كما اعتذر هارون بأن قومه استضعفوه وحاولوا قتله، وسرعان ما أناب موسى عليه السلام واستغفر الله واسترحمه. ثم أخذ الألواح التي كان قد ألقاها في حالة الغضب.

قَالَ تَمَّالِي: ﴿٩٥﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْمَلْتُمْ أَمْرًا رِيبِكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابِحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِنِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٦﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٧﴾ الأعراف: ١٥٠ - ١٥١.

ثم واجه موسى عليه السلام السامري ليعرف حقيقة عمله، والذي اعترف بأن ذلك كان من تسويل نفسه لإغواء بني إسرائيل، فكان عقابه أن يقول لا مساس، قال ابن كثير: "كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسته من أثر الرسول، فعقوبتك في الدنيا أن تقول: "لا مساس" أي: لا تماس الناس ولا بمسنونك"¹. ويوم القيامة هو موعدك الأكيد، ثم أمر موسى عليه السلام بتحريق العجل ونسفه في البحر، ليعيد بني إسرائيل إلى العقيدة الصحيحة قَالَ تَمَّالِي: ﴿٩٨﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٩﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتُ لِي نَفْسِي ﴿١٠٠﴾ قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخْلِفَهُ وَنَنْظُرُ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٠١﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٠٢﴾ طه: ٩٥ - ٩٨.

وأعلن عبدة العجل الندم والتوبة وطلبوا المغفرة من الله، قَالَ تَمَّالِي: ﴿١٠٣﴾ وَلَمَّا سَفِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠٤﴾ الأعراف: ١٤٩ فاتجهوا إلى موسى عليه السلام لكي يدهم على طريقة للتكفير بها عن ذنبهم الكبير، وشدد الله عليهم الكفارة بسبب ظلمهم الكبير وأمرهم أن يقتلوا بعضهم بعضا، ثم عفا عنهم قَالَ تَمَّالِي: ﴿١٠٥﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٠٦﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٠٧﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٨﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِنَّا كُنَّا ظَالِمًا لِنفُسِكُمْ فَأَتَيْنَاكُمُ الْعِجْلَ

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص 313.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥١﴾

البقرة: ٥١ - ٥٤

وقام موسى عليه السلام باختيار سبعين رجلا من بني إسرائيل للذهاب إلى جبل الطور، والاعتذار لقومهم عند رهم عن عبادة العجل فأصابتهم الرجفة، واعتذر موسى إلى ربه بما فعله سفهاء قومه وطلب المغفرة والرحمة بعد أن جاءوه تائبين قال تعالى: ﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَنهَلِكُمَا يَمَّا فَعَلْتُ السُّفَهَاءَ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِينَ ﴿٥٥﴾ * وَأَكْتَبْنَا فِي هَذِهِ الْكِتَابِ حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٧﴾ * الأعراف: ١٥٥ - ١٥٧ وقد وردت في الآيات السابقة أمارات البشارة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأمارات الذين يتبعونه وينصرونه.

ج. مواقف بني إسرائيل مع موسى عليه السلام

ومن المواقف بني إسرائيل مع نبي الله موسى عليه السلام أنهم اشتراطوا عليه الايمان له في مقابل رؤية الله عيانا، فكان عقابهم الصاعقة وهي نار نزلت من السماء، فكان بها موتهم نتيجة جرأهم على الله وعلى نبيه الكريم، ثم بعثهم الله بعدها وامتن عليهم بنعم أخرى قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ * البقرة: ٥٥ - ٥٧

كما أن الله تعالى رفع فوقهم جبل الطور، وجعله كالسحابة يظلمهم، ﴿ وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ الأعراف: ١٧١ وأمرهم بالأخذ بما جاء في الألواح وواثقهم على ذلك، لكنهم خالفوا ذلك قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ * البقرة: ٦٣ - ٦٤، وتبين الآيات الكريمة سبب نقضهم الميثاق بأنهم تشربوا عبادة العجل في قلوبهم ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

مِثْقَكمُ وَرَفَعْنَا فَوْقَكمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكمُ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ آبِجَلْ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكمُ بِهِ إِيْمَانُكمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ البقرة: ٩٢

٩٣ -

كما ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يدخلوا قرية لم يذكر اسمها وإن كان بعض المفسرين مثل ابن كثير قد جعلها هي نفسها الأرض المقدسة، وأن يأكلوا منها هنيئاً وأن يدخلوها حطة " أي وادخلوا باب حطة خشعا ناكسي الرؤوس تواضعا لله، وقد يكون المعنى: إذا دخلتم الباب فاسجدوا لله شكراً على ما أنعم عليكم، إذ أخرجكم من التيه، ونصركم على عدوكم، وأعادكم إلى ما تحبون، وقولوا نسألك ربنا أن تحطّ عنا ذنوبنا وخطايانا التي من أهمها كفران النعم" ¹. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٥﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٩٦﴾﴾ البقرة: ٥٨ - ٥٩، لكنهم بدّلوا ذلك، فعن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قيل لبني إسرائيل قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ فبدّلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة ². فأنزل الله عليهم عذاباً من السماء جزاء فسقهم لم يذكره القرآن الكريم.

وامتن الله على بني إسرائيل بنعم كثيرة كانت لهم فيها معجزات منها: أن جعل لهم اثني عشرة عينا يشربون منها بحسب نسبهم إلى الأسباط، وأنزل عليهم المنّ والسلوى لهم، لكنهم طلبوا تغيير طعامهم إلى خضروات ألفوها، فاستنكر عليهم موسى ذلك، وأخبرهم أن يهبطوا إلى أي مصر لينالوا مطلبهم، وكان هذا سبب الذلة والمسكنة واللعنة والغضب من الله تعالى بعد إصرارهم على المخالفة وجرائمهم مع الأنبياء. قَالَ تَعَالَى: ﴿* وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُولاً وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى اذْهَبْ عَلَىٰ طَعَامِ وَاذْهَبْ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ فَأَخْرَجْنَا لَهُمْ مِنْ دُونِهَا قَرْيَةً نَّارُهَا سَاطِئَةٌ لِلنَّاسِ غَدًا وَنَحْنُ فَاعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ البقرة: ٦٠ - ٦١.

¹ تفسير المراعي، مصدر سابق، ج1، ص124.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الأعراف، ج4، ص1701، رقم الحديث: 4365.

د. قصة فارون

من القصص التي وردت في القرآن الكريم قصة فارون، الذي كان من قوم موسى، وعُرف بثرائه الفاحش وظلمه لقومه، فقد كان من أعوان فرعون، وتعرض الآيات القرآنية لتكبره وغروره، وتصف أمواله وكنوزه، وحال الناس منه بين مريد لحياته وبين زاهد فيها، ثم تعرض عاقبته كعبرة يتعظ بها الناس، قَالَ تَمَالِكُ ﴿١﴾ إِنَّ قَدْرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى عَلَيْهِمُ وَعَاتِنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٢﴾ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْبَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ ﴿٤﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْرُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَا كَيْفَ تَأْتِيكُمُ الْبَقَاةُ مِنَ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٦﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٧﴾

القصص: ٧٦ - ٨٢

هـ. قصة البقرة

من المواقف التي حدثت لنبي الله موسى عليه السلام مع بني إسرائيل قصة البقرة التي سميت بها السورة الثانية في القرآن الكريم، لما تحملته هذه القصة من دلالات ومعاني جليلة، قَالَ تَمَالِكُ ﴿١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا بَكَرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٣﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٤﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٥﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْفِي الْحَرثَ مُسَامَةً لَأُشِيَةِ فِيهَا قَالُوا أَلْقِنِ الْحَقَّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٨﴾ ثُمَّ قَسَتْ فُلُوكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَّخِزُ مِنْهَا الْأَنْهَارُ وَلَئِنْ لَمَّا يَهَيِّطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾

البقرة: ٦٧ - ٧٤، والواضح من الآيات الكريمة أنه قد وقعت جريمة قتل في بني إسرائيل خفي عليهم القاتل فطلبوا من موسى أن يكشف لهم عنه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، وظنوا أن موسى يستهزئ بهم، وتماطلوا في تنفيذ الأمر بتكثير الأسئلة لموسى عليه السلام، عن عمر البقرة

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ولونها ووظيفتها وتلكموا في ذلك، ثم ذبحوها وأخذوا قطعة منها ضربوا بها القليل فانكشف أمر القاتل، لكن هذه المعجزة لم ترد بني إسرائيل إلا قسوة وصدًا عن سبيل الله، وكشفت عن شخصية بني إسرائيل واستهتارهم بأوامر الله وعدم ثقتهم بنبيهم.

و. الأرض المقدسة

وسار موسى بقومه إلى أن وصل إلى أعتاب الأرض المقدسة فوجد فيها قوما من الجبارين فأمر بني إسرائيل أن يدخلوها، ويقاتلوهم ويجلوهم عن بيت المقدس وإن النصر لهم، وذكرهم بنعم الله تعالى عليهم حتى يقوي ثقتهم بالله، ونهاهم عن التردد والإدبار لعلمه بطبائعهم، وما بدر منهم من مواقف سابقة، فكان أن جنبوا وتحاذلوا عن نصره رسولهم، وحاول رجالان مؤمنين منهم أن ينصحوهم ويهونوا عليهم الأمر، لكن بني إسرائيل نكصوا على أعقابهم وتجربوا على أن يطلبوا من رسولهم أن يذهب مع ربه ليقاتل، ليحصدوا نصرا سهلا لا ثمن له، فكان جزائهم أن سلط الله عليهم الخوف وكتب عليهم التيه في الأرض أربعين سنة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَقَبَّلُوا خِسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ آتِ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّمَّ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَآذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ المائدة: ٢٠ - ٢٦

هذه بعض الأحداث والمواقف لبني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام تبين الصورة الحقيقية لهذا النوع من البشر، وتكشف صداً قلوبهم ومرج عقولهم.

كما ورد في القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وقد أُخِرَ الحديث عن عنها إلى الفصل القادم لارتباطها بقصص سورة الكهف، وعموما قصة موسى مليئة بالعبير والحكم لا تكفي هذه السطور لإيفائها حقها .

وقد جاء في السنة النبوية أحاديث تختص بموسى عليه السلام نحاول الوقوف عليها لتكتمل صورة القصة في الكتاب والسنة، منها ما جاء في أوصاف موسى عليه السلام: عن مجاهد أنه سمع ابن عباس رضي

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

الله عنهما: وذكروا له الدجال بين عينيه مكتوب (كافر) أو (ك ف ر) قال: لم أسمعه، ولكنّه قال: "... وأما موسى فجعد آدم على جمل أحمر مخطوم بخلبة كأني أنظر إليه انحدر في الوادي"¹ أي أنّه مكتنز اللحم أسمر البشرة على جمل مزمووم بليفة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: "رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فأدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط..."²، أي أنّ موسى كان آدم فيه سمرة، ذو شعر مبسوط وهو خلاف المجعد، طويل الجسم، رجال الزط هم من رجال السودان، كما أنّه يشبه في هيئته رجال شنوءة وهي قبيلة مشهورة من العرب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: "رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة"³، قال الإمام النووي: "فقال العلماء المراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه... الثاني: جعودة الشعر... والمعنيان فيه جائزان وتكون جعودة الشعر على المعنى الثاني ليست جعودة القلط بل معناها أنه بين القلط والسبط والله أعلم"⁴

ومّا يرد في أخلاق موسى عليه السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملاء من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فو الله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعاً أو

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى واتخذ إبراهيم خليلا، ج4، ص140، رقم الحديث: 3355.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، ج4، ص166، رقم الحديث: 3438.

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، ج4، ص116، رقم الحديث: 3239.

⁴ يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط2، 1392هـ، كتاب الإيمان، باب الاسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، ج2، ص227.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

خمساً، فذلك قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: ٦٩)¹

- عن عبد الله رضي الله عنه قال: قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسماً، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: "يرحم الله موسى قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر"²

ووردت أحاديث أخرى فيها ذكر موسى عليه السلام نجملها فيما يلي:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً يعني عاشوراء، فقالوا هذا يوم عظيم وهو يوم نجي الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصام موسى شكراً لله فقال: "أنا أولى بموسى منهم" فصامه وأمر بصيامه³

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فحج آدم موسى) مرتين⁴

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عرضت علي الأمم ورأيت سواداً كثير الأفق فقبل هذا موسى في قومه"⁵

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة يوم القيامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "...فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى..."⁶

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام، ج4، ص 156، رقم الحديث: 3404

² أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام، ج4، ص 157، رقم الحديث: 3405.

³ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب وهل أتاك حديث موسى، ج4، ص 153، رقم الحديث: 3397.

⁴ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، ج4، ص 158، رقم الحديث: 3409

⁵ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، ج4، ص 158، رقم الحديث: 3410

⁶ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل الإسراء، ج6، ص 84، رقم الحديث: 4712.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صغته، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، قال: فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر". قال أبو هريرة: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر"¹

كانت قصة موسى في القرآن الكريم والسنة النبوية، من أكثر القصص وروداً، وأعمقها عبرة، وأشملها موعظة، وكان موسى عليه السلام من أصبر الأنبياء في دعوته لفرعون وتوجيهه لقومه، الذين جاهد في تربيتهم، وإصلاح نفوسهم، لكن طبائعهم غلبت عليهم، وقد فصل القرآن في مواقفهم حتى يتبين المسلم خبث نياتهم، وزيف موثيقهم، ويستظل بظل وصايا القرآن معهم.

الفرع الثاني: موسى عليه السلام في موجز الدائرة

كتب مادة موسى عليه السلام في دائرة المعارف الإسلامية المستشرق الإنجليزي برنارد هيلر، وترجمها إلى العربية وائل البشير، أما المادة الثانية والتي تعنى بموسى عليه السلام في التراث الإسلامي فقد كتبها المستشرق الإنجليزي ماكدونالد وترجمها أيضاً وائل البشير.

في المادة الأولى الخاصة بموسى عليه السلام قام المستشرق هيلر بتقسيمها إلى قسمين على منهجية المواد الأخيرة للدائرة، القسم الأول: موسى في القرآن الكريم، والقسم الثاني: موسى عند الاخباريين. وكانت المادة التي كتبها ماكدونالد بعنوان: موسى في التراث الإسلامي، وقد يكون الكاتب قد وفق في الفصل بين القصة في القرآن الكريم والاحباريين، لكن فصله بين الاخباريين والتراث الإسلامي لا فائدة منه،

1. القسم الأول: موسى في القرآن الكريم

ابتدأت المادة بذكر أن موسى عليه السلام جاء بمعنى المنبئ والمبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم بالاعتماد على آية الأعراف قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ الأعراف: ١٥٧، وأنهما على عقيدة واحدة قال تعالى: ﴿وَسَقُلْ مَنْ

¹ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، ج، 4، ص 157، رقم الحديث: 3407.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ الزخرف: ٤٥ - ٤٦، وهنا يوجد خلل في ترقيم الآيات فالآية تبدأ من 45 وما بعدها، وليس 42 كما ذكر المستشرق.

وهي بداية غير مألوفة مقارنة بقصص الأنبياء الآخرين، الذين تبدأ موادهم إما بذكرهم في التوراة، أو التعريف بهم وبقصصهم، ولكن أن تُختار هذه البداية، فيحمل ذلك في طياته عدة احتمالات وفرضيات، خاصة وأن المستشرقين لا يقرون بنبوّة النبي ﷺ، ولا يجعلون له ارتباطا بموسى ﷺ، إلا على أنه مقتبس منه وأخذ لجل أفكار دينه، وذكر المستشرق لهذه الآية فيها إحياء بأن النبي ﷺ يحاول إيجاد صلة بينه وبين موسى ﷺ، لكن الرابط الحقيقي الذي بين كل الأنبياء هو الوحي الرباني، وتبليغ الرسالة. وهو ما ينفيه المستشرق عن النبي محمد ﷺ إطلاقا.

ثم يشير هيلر إلى الفكرة التي يؤمن بها أغلب المستشرقين والتي انتشر صداها في أغلب المواد الخاصة بالأنبياء في دائرة المعارف الإسلامية، وهي أن الرسول محمد ﷺ يضع على لسان الأنبياء ما كان يعايشه ويتعرض له في حياته حيث يقول هيلر: "وقد وجهت لموسى ﷺ نفس الاتهامات التي وجهت إلى محمد ﷺ...¹". والعبارة في النسخة الإنجليزية أوضح معنى وأدق لفظا في الإشارة إلى هذه الشبهة، وقد تكون العبارة هُذبت في الترجمة العربية حتى لا تعمق لهذه الفكرة المشبوهة للقراء العرب. خاصة أنه لا ردود على المادة.

ثم يذكر بعدها هذه الاتهامات والمتمثلة في تضليل الناس عن دين آبائهم، وممارسة السحر ويستند حسب قوله إلى الآية 79 من سورة يونس وما بعدها، وأصلها الآية 76 وما بعدها قَالَ تَعَالَى: ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُونَ ﴿٧٧﴾ يونس: ٧٦ - ٧٧

ثم يشير هيلر إلى أن رسالة موسى انصبت على فرعون الطاغية أكثر من بني إسرائيل، وقد يكون ذلك بسبب ملاحظته لتكرّر قصة موسى مع فرعون في عدة سور، ثم ذكر الأسماء التي وصفت بها التوراة في القرآن الكريم: وهي التوراة، الفرقان، الصحف مشيرا إلى أرقام الآيات من القرآن الكريم. انتقل بعدها هيلر إلى اعتماد المنهج المقارن بين القرآن الكريم والعهد القديم والهاجادة في عرض أحداث قصة موسى ﷺ، والتي ذكر أحداثها من القرآن الكريم بإيجاز شديد وأجملها في عناوين أساسية دون التفصيل فيها.

¹ موجز الدائرة، ج30، ص9792

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وجاء في ترجمة الدائرة أن القرآن الكريم يتفق مع العهد القديم والهاجادة في الصورة العامة لموسى عليه السلام، لكن في النسخة الإنجليزية يعبر عنها هيلر بقوله أن ما في القرآن الكريم قد أنشئ من خلال الكتاب المقدس والهاجادة، فهو يتهم القرآن بجمع قصة موسى من العهد القديم والتراث الشفوي اليهودي.

وللتدليل على ذلك لخص هيلر ما جاء في سورة القصص عن طفولة موسى عليه السلام وشبابه، بأفكار مختصرة لا تعرض الصورة التي جاءت في القرآن الكريم عن حياة موسى عليه السلام، ومن دون الاستشهاد بمواضع الآيات التي ذكر فيها القرآن الكريم هذه الأحداث، ليمرّ إلى تلقي موسى عليه السلام للرسالة في الواد المقدس طوى ويسجل تلخيصا عاما لما جاء في سورة طه من دون ذكر الآيات، ويشير إلى خلع نعليه، دعوة فرعون لعبادة الله، آيته العصا والحية، واليد التي تصير بيضاء، وعقدة لسانه، اتخاذ هارون وزيرا له، مع ملاحظة أن اليد في القرآن الكريم كانت تخرج بيضاء من غير مرض آية ومعجزة لموسى عليه السلام تكريما له، أما في الهاجادة فقد كانت عقوبة من الله تعالى لموسى على عناده وعدم قبوله لمهمة دعوة فرعون "وكما حذوت حذو الحية الواشبية، سأعاقبك بالبرص الذي عوقبت به الحية، ثم أمر الرب موسى بأن يدخل يده في جيبه ثم يخرجها، ثم ينظر إليها فإذا هي برصاء وبيضاء كالثلج، ثم أمره بأن يدخل يده في جيبه مرة أخرى فإذا هي قد عادت إلى حالتها الأولى، وبالإضافة إلى كونها عقوبة له على تسرعه في الكلام، فإن البلية التي بليت بها يده قصد منها أن يتعلّم أنه كما أن الأبرص يدنس فإن المصريين يدنسوا بني إسرائيل"¹. والفرق بين المعجزة والعقوبة، فكيف يكون ذلك اقتباسا أو اتفاقا بينهما.

ثم ينتقل هيلر بعدها إلى سورة الشعراء ويلخص أفكار القصة فيها، ويشير إلى إلقاء موسى عليه السلام للعصا وتلقّفها لما صنع السحرة، وإعلان السحرة إيمانهم برب موسى وهارون، ومعاقبة فرعون لهم، بالرغم من أن العصا المذكورة في العهد القديم هي عصا هارون عليه السلام، فقد جاء في سفر الخروج، 7: 10-12 "طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبّيده فصارت ثعبانا... ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم". وهذا اختلاف واضح بين القرآن وبين التوراة. كما أن إيمان السحرة والعقاب الذي وعدهم به فرعون غير وارد في الكتاب المقدس ولا في تراثهم الهاجادي، فما هو محل الاتفاق بين القرآن وبين التوراة أو الهاجادة في هذه القضية.

¹ أساطير اليهود، مرجع سابق، ص 289-290

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

تحدث بعدها هيلر عن أمر فرعون لهامان ببناء برج ليصل إلى رب موسى، وأنه أوتي تسع آيات بينات ذكرها: "العصا والحية، اليد البيضاء، الطوفان، الجراد، القمل، الضفادع، الدم، الظلام، وشق البحر"¹ ثم نسبها إلى الطبري، والحقيقة أن الطبري ذكر عدة أقوال وروايات في تحديد هذه الآيات ولم يرجح بينها، كما أن آية الظلام غير واردة في القرآن الكريم، وإن كانت واردة في الكتاب المقدس، وأغلب المفسرين ذكروا الآيات السابقة وأضافوا لها آية السنين ونقص من الثمرات بدل الظلام، مستندين إلى أن سورة الأعراف هي التي فصلت في هذه المعجزات، فلم يكن للمستشرق هيلر الحق في أن يختار رواية واحدة ويحدد على أساسها هذه المعجزات هذا إذا كان الظلام قد ذكره الطبري حقا لأن القول بأن الظلام من آيات المعجزات لموسى لم يرد في كتب التفسير إلا عند الألوسي² وذلك في سياق حديثه عن الآيات بأنها نفسها التي وردت في التوراة.

وانتقل هيلر بعدها للحديث عن موسى مع بني إسرائيل في فقرة صغيرة جدا، ذكر فيها مواعدة الله لموسى ثلاثين ليلة ثم إتمامها أربعين ليلة، وإعطاءه الألواح ثم صنع السامري للعجل وإلقاء موسى للألواح غضبا لفعل السامري، وطلب موسى رؤية الله، وتيه بني إسرائيل أربعين سنة، وأنهاه بذكر هلاك فرعون وهامان وقارون. وقد أجل الحديث عن نهاية فرعون وجنوده إلى الأخير، مع أنها يجب أن تكون قبل بداية هذه الفقرة التي تتحدث عن موسى وبني إسرائيل.

و ذكر طلب موسى لرؤية الله بعد حادثة السامري لكنّها في الحقيقة حدثت عند ذهاب موسى للمواعدة قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْرَتِهِمْ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ وَقَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ﴾ الأعراف: ١٤٢ - ١٤٣

والملاحظ أن هيلر يُعرض عن الإشارة لمختلف الحوارات التي قام بها موسى ﷺ وذكرت في القرآن الكريم، والتي كانت متنوعة وثرية بالدلائل والحجاج، ولها قيمتها الكبيرة في القصة القرآنية وكانت متنوعة الأطراف فقد كانت مع الله تعالى، ومع فرعون، ومع السحرة، ومع العبد الصالح، ومع والد زوجته، ومع قومه من بني إسرائيل، ومع السامري.

يمرّ بعدها هيلر لذكر الاختلافات بين القرآن والعهد القديم في بعض التفاصيل، وهي أن التي تبنت موسى صغيرا كانت زوجة فرعون في القرآن، وأخت فرعون في العهد القديم، وهذا خطأ من

¹ موجز الدائرة، ج30، ص9793

² تفسير الألوسي، مصدر سابق، ج8، ص172.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

المترجم لأن الذي أورده هيلر في النسخة الإنجليزية هو أنها كانت ابنة فرعون، وهو ما ذكره العهد القديم، كما أشار هيلر إلى اختلاف عدد راعيات الغنم اللاتي التقاهن موسى عليه السلام في ماء مدين، فقد كنّ اثنتين في القرآن وسبعة في العهد القديم، وتحدث القرآن الكريم عن تسع معجزات، والعهد القديم ذكر عشرة أوبئة، وذكر القرآن اثنتا عشرة عينا، وجاء في العهد القديم تفاصيل عن ذلك، وهي أنها كانت عينا واحدة، وجعل القرآن الكريم هامان وزيرا لفرعون ولا يوجد له ذكر في العهد القديم.

ومن الاختلافات التي أهملها المستشرق هيلر في بيان اختلاف القرآن الكريم عن العهد القديم، أنه لا يرد وصف لما عانته أم موسى بعدما أُلقت وليدها، ولا أن أمر الالقاء كان وحيا من الله، ولا ذكر وعد الإعادة وجعله من المرسلين، كما لا يوجد ذكر للرجل الذي جاء محذرا موسى عليه السلام من كيد الملأ الذين أرادوا قتله. وكذا قصة البقرة، والسامري، وكيف طلب بنو إسرائيل من موسى أن يصنع لهم العجل، وطلبهم رؤية الله.

ثم ركز هيلر على الأمور الموجودة في القرآن الكريم ولا ذكر لها في العهد القديم، وهي توبة موسى عليه السلام لقتله المصري، وهو اختلاف جوهري بين الكتابين يعكس نظرة الكتاب المقدس للأنبياء، ذلك أنّ موسى عليه السلام في القرآن الكريم لم يتعمّد قتل القبطي، بل كان قتلا خطأ بإغواء الشيطان له، وليس قتلا عمدا كما صرّح به العهد القديم (في سفر الخروج، 2: 12 "فالتفت (موسى) إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد، فقتل المصري وطمره في الرمل". فتبدو صورة موسى كالجرم الذي يترصّد أن لا يراه أحد كي ينفذ جريمته. على عادة محرّفي التوراة الذين انتهكوا عصمة الأنبياء.

ومن الأمور التي لا توجد في العهد القديم رؤية موسى عليه السلام للنار فاقترب منها ليأتي بقبس لأهله، ذلك أنه جاء في العهد القديم أنّ موسى عليه السلام كان وحده يرعى الغنم، ولم يكن معه أهله، كما لم يكن مقصده أن يأتي بقبس، لكن جاء إلى النار على سبيل الاستكشاف فقط.

كما أن ايثار موسى لسحرة فرعون في الالقاء، لم يرد في العهد القديم، ونزيد على ذلك ما دار بين موسى عليه السلام والسحرة قبل المنازلة وبعدها، وإيمانهم ثم تهديد فرعون لهم، وكل هذه الأحداث لا ذكر لها في العهد القديم، ولم يشر لها كاتب المادة.

بعد ذلك عقد هيلر المقارنة بين القرآن الكريم وبين الهاجادة وذكر وجوه الاتفاق بينهما واتبع أسلوبا يشير إلى أن القرآن اقتبس من الهاجادة، ومن هذه الأحداث يذكر رفض موسى للمرضعات، رفع طور سيناء فوق بني إسرائيل، وتحول أصحاب السبت إلى قردة، قصة قارون. وأشار إلى موضع كل منها في القرآن والهاجادة، ومعلوم أن الهاجادة مختلف في وقت تدوينها، لأنها تراث شفوي تناقله اليهود، وبالتالي كان معرضا للزيادة والنقصان والتحريف، وأثار الشكوك حوله، لكن القرآن الكريم ثبت

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

عدم تحريفه، وعدم معارضته من أهل الكتاب في زمان نزوله، والمشكوك فيه هو ما يطرح عليه فكرة الاقتباس.

وختم هيلر هذا القسم بالحديث عن التفاصيل التي تفرّد بها القرآن عن سائر المصادر اليهودية، وهي قصة مؤمن آل فرعون وقصته مع العبد الصالح.

ويلاحظ أن المستشرق هيلر قد أقام الجزء الخاص عن موسى عليه السلام في القرآن الكريم على أساس مبدأ المقارنة التي يهدف من خلالها لبيان مدى اقتباس القرآن من المصادر اليهودية، وإحصاء الاختلافات بين المصادر اليهودية والقرآن الكريم، وجاء فيه ذكر العناوين الأساسية في القصة من دون إعطاء التفاصيل، وهذا بعيد تماما عن جوهر القصة القرآنية.

وهذه الأفكار طرحت أيضا في مادة اليهود التي كتبها هنريش سباير صاحب كتاب (قصص أهل الكتاب في القرآن) والتي ترجمها عبد الرحمان الشيخ، ويجاول سباير فيها التأكيد على التشابه الكبير بين القرآن الكريم والعهد القديم، وعلى أن القرآن هو الذي اقتبس من العهد القديم، معتمدا على التشابه في بعض الكلمات التي جعل أصلها عبري، متناسيا أن العربية والعبرية من نفس أسرة اللغات السامية، والتشابه في ألفاظها وتراكيبها كبير جدا، كما تحدّث عن بعض التشابه في الأفكار مثل: تفضيل بني إسرائيل، وقصة موسى عليه السلام، وعلماء بني إسرائيل الذين يسمّيهم القرآن حكماء بني إسرائيل، ومطالبة القرآن لأهل الكتاب بالعودة إلى ملّة إبراهيم عليه السلام، كما يشير إلى اتفاق القرآن مع عقيدة اليهود في الله وهذا تحريف واضح، فهي متفقة معها في أنه لا شريك لله تعالى، وليس كما يفعله النصارى في جعل المسيح إلهًا، لكنها تختلف معها في توحيد الأسماء والصفات فالعقيدة اليهودية تنسب لله تعالى النقائص ولا تنزهه أبدا بخلاف العقيدة الإسلامية، **قَالَ تَمَّالٌ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** الشورى: ١١.

القسم الثاني: موسى عند الإخباريين

بدأ هيلر الحديث في هذا القسم بقوله: "أضيفت في قصص الأنبياء بعض ما ورد في العهد القديم والهاجادة والتراث الشعبي أكثر مما ورد في القرآن الكريم"¹ وهو بذلك يؤكد أنّ هدف مقارنته أحداث القرآن الكريم مع العهد القديم والهاجادة هو بيان التفاصيل التي أضافها القرآن من هذين المصدرين، لذا فهو يلمّح أن الإخباريين لم يكتفوا بما جاء في القرآن الكريم، بل زادوا اقتباسا ونقلًا من هذين المصدرين. ودلّل على ذلك بكتاب (قصص الأنبياء)

¹ موجز الدائرة، ج30، ص9795.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

لثعلبي وكذا كتاب الكسائي، ومرويات الطبري والتي أغلبها من الاسرائيليات وإضافات القصاص، وهو سبب هذا التشابه، من هذه الأحداث شفاء بنات فرعون من الجذام بمجرد لمسهنّ موسى عليه السلام في المهد، وقصة اختبار فرعون لموسى وهو صغير بعد أن خدش ذقنه وشفعت آسيا له بعدم قتله، وكان الاختبار بوضع الذهب من جهة والجمرات من جهة أخرى، فأخذ جبريل بيد موسى إلى الجمرات وانعقد لسانه. وورود مثل هذه الأخبار في كتب التفسير والتاريخ، لأخذ أصحاب هذه الكتب بمحدث النبي صلى الله عليه وآله في الأخذ عن بني إسرائيل، مع عدم تصديقهم ولا تكذيبهم لاختلاط كتابهم بالحق والباطل. ثم أدرج هيلر أن هناك بعض العناصر من قصص الأخرى أدخلها الإخباريون في قصة موسى عليه السلام، مثل انزعاج فرعون بسبب الرؤى المنامية، فأمر بقتل الأطفال، واختباء موسى في تنور مشتعل فأصبحت النار باردة، وكذا أمر فرعون الناس بالسجود له، هذه التفاصيل مأخوذة من قصة إبراهيم والنمرود، ثم بناء فرعون للصرح ليطلق سهما إلى السماء يعود إليه مخضبا بالدم، فيفخر أنه قتل رب موسى (وهذا وارد في قصة يأجوج ومأجوج)، ومعلوم أن قصص الإخباريين فيما لم يرد في القرآن أو السنة يغلب عليه طابع الاسرائيليات، أو ما نسجه خيالهم، وهذا لا يختص به الإخباريون المسلمون فقط، ولهذا فالاحتكام إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، والوقوف عندهما يبعد الإنسان عن الشبهات. ثم تحدث عن المعجزات التي وصف بها الإخباريون عصا موسى، وهي نفس الأخبار التي جاءت في مادة العصا في الدائرة، والتي كتبها (جفري) وترجمتها (أمل رواش)، وقد ذُكر فيها ما نقله الطبري أن ملكا أتى بالعصا وأن موسى تخاصم مع حميه على امتلاكها، ثم حكم بينهما الملك فكانت لموسى عليه السلام. وهي رواية عن السدي فأصلها من الاسرائيليات التي لا يمكن التأكد من صحتها. ثم عدّد ما ذكره الثعلبي من عجائب هذه العصا وأغلبها غرائب لم ترد إلا عنده. وما ورد صريحا في القرآن الكريم هو أن العصا تحولت إلى حيّة، ولم يزد على ذلك، فالوقوف عند ذلك أصح.

ختم هيلر المادة التي كتبها عن موسى عليه السلام بقوله: "ويمكن القول بأن الأخبار المتنوعة في العهد القديم، والهاجادة والحكايات الأخرى في القصة الإسلامية لموسى عليه السلام قد امتزجت وأدجت لتعطي صورة كاملة عن موسى عليه السلام"¹، وهي عبارة موجزة تكشف عن الفكرة الأساسية التي سعى المستشرق هيلر لتقديمها في هذه المادة، وهو أن قصة موسى عليه السلام عبارة عن تجميع من اليهودية وإضافات القصاص فقط، سواء كان ذلك في القرآن أو عند الإخباريين.

¹ المصدر السابق، ج30، ص9796.

القسم الثالث: موسى في التراث الاسلامي

أضيف إلى هذه المادة عنصر ثالث كتبه المستشرق ماكدونالد وترجمه وائل البشير، يدرس فيه موسى عليه السلام في التراث الإسلامي، لكن المستشرق لم يعط العنوان حقّه، لأنّه خصّصه للحديث عن المعنى الدقيق لمفردة (كليم الله) التي وُصِف بها موسى عليه السلام، وعرض آراء المفسرين واللغويين فيها وكأنّها هي التي تعبّر عن خلاصة التراث الإسلامي في قصة موسى ككل. وكان ملخص ما كتبه ماكدونالد أنّ كلمة كليم الله تعني أنه (الشخص الذي يتحدّث إلى آخر)، أو (الشخص الذي يُوجّه إليه الكلام) وأخذ بالمعنى الأول كل من البيضاوي وابن منظور، وجعلوا (كليم) مرادفاً لـ (مكالم). وأخذ الأزهري بالمعنى الثاني. وذلك أنّ موسى فهم كلام الله فهما حرفياً لا مجازياً، وأنّ الآيات تؤكّد دوماً على كلام الله لموسى عليه السلام، كما أشار إلى صفة نجّيّ التي أصلها مناجي. وهذه الإضافات جيّدة لو كانت المادة تناولت كل ما جاء عن موسى عليه السلام، لكن مع تلخيص المستشرق لأجزاء القصة الأساسية والتفريع في هذه المسألة، وانتقاءها بدل قضايا أخرى، ما سبّب إخلالاً بالمادة، وضعفاً لها

ومما يميز الترجمة العربية لمادة موسى هو استعمال المترجم للتعبيرات القرآنية في ترجمة الفكرة التي يذكرها المستشرق مثال ذلك: وأمره الله تعالى أن يخلع نعليه بدل (حذائه)، وعقدة لسانه والتي جاءت في النسخة الإنجليزية (عدم قدرة موسى على الإفهام)، تلقفت ما صنعوا، الصرح بدل البرج.

الفرع الثالث: مواد متعلقة بقصة موسى عليه السلام في موجز الدائرة

إن منهجية دائرة المعارف الإسلامية لا تراعي ورود كل شخصيات القصة في مادة واحدة، بل تركز على شخصية واحدة، ولأن قصة موسى كانت حافلة بالشخصيات المتنوعة، فقد أُفرد لكل شخصية منها مادة خاصة بها كان أهمها:

أ. مادة فرعون في موجز الدائرة

من المواد التي تتعلق بقصة موسى في موجز دائرة الإسلامية مادة فرعون التي اشترك في كتابتها المستشرقين (فنسك) و(فاجا)، وترجمها (حسين أحمد عيسى)، وهي من المواد المتوسطة، حاول فيها المستشرقين أن يؤصلا لمعنى فرعون عند المفسرين على اعتبار أنه لقب وليس اسماً، واختصّ بملوك العماليق، وتفرعن أي: صار متعجرفاً ومستبداً، واختص في القرآن الكريم بالملك الذي أرسل إليه موسى وهارون عليهما السلام. كما يؤكد المستشرقان أن المعلومات القرآنية عنه أكثر تفصيلاً من العهد القديم، بإشارته إلى زوجته، وإلى هامان الذي كلفه ببناء الصرح، وذكر أحد رجال حاشيته (مؤمن آل فرعون)، وهذا إنصاف في حق القرآن الكريم، ببيان أن هذه الزيادات من دون نسبها إلى الهاجادة، أو التشكيك العلني بها.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ثم أشارا المستشرقان إلى تلقيب القرآن له بزدي الأوتاد وشرح المفسرين لهذا اللقب، ومن الأحداث التي إلى إضافة القرآن الكريم لتهديد فرعون للسحرة، وأنه آمن عندما أدركه الغرق لكن الله لم يقبل إيمانه، وألقى بجسده على ساحل البحر ليكون عبرة لغيره، وأنه آله نفسه، وسوف يقدم قومه يوم القيامة إلى جهنم، وأن هذا غير واضح في العهد القديم، وبذلك استدرك المستشرقان ما كان ناقصا في قصة موسى عليه السلام.

ثم حاول المستشرقان تحديد اسم فرعون كل من يوسف عليه السلام وموسى عليه السلام، اعتمادا على روايات المفسرين والمؤرخين، وكلها اجتهادات من العلماء، لا دليل على صحتها، ولا أهمية لها لأن القرآن الكريم عمد إلى توصيف شخصية فرعون وأفعاله تركيزا على العقاب والمآل، واعتبارا بحاله، ولم يركز على اسم الشخصية ولا تاريخها، لأنها مجرد فرد عابر عبر تاريخ الإنسانية، والمهم هو أفعاله التي يمكن أن تتكرر، والتي يجب الحذر من الوقوع فيها وهو المنهج المتميز للقرآن في عرض القصص.

وكانت مادة فرعون عموما تلخيصا للروايات التي جاءت في كتب التفسير والتاريخ، وأغلبها تفاصيل وضعت على هامش القصة القرآنية، مما لا يمكن التأكد منه، مثل سبب قتل فرعون للذكور واستحياءه للنساء. ثم محاولة تحديد اسم مؤمن آل فرعون وعمله وعلاقته بفرعون، وهدف فرعون من بناء الصرح بتقوية مركزه خشية أن يتبع رعاياه موسى، وللوصول إلى إله موسى أيضا، وأنه كان عاليا بحيث يظلم الغرب عند شروق الشمس عليه، وأن فرعون صعده وأطلق منه سهما إلى السماء فعاد إليه ملطخا بالدماء، فظن فرعون أنه حقق هدفه، ولكن جبريل هدّ الصرح بأجنحته إلى ثلاث قطع واحدة في الهند، والأخرى في المغرب، والثالثة سقطت على جيش فرعون فقتلت العديد من جنوده. كما تحدّثا عن عبور بني إسرائيل، وأن جبريل جاء على فرس ودخل البحر ما استحث ذكور خيل جيش فرعون على الدخول لأنه لم يجرؤ أحد منهم على الدخول.

وفي الحقيقة هذه الأخبار والروايات وجد فيها المستشرقون ضالتهم، من خلال بيان اختلاف المسلمين حول القصص، وأن الإسلام دين يهتم بالخرافات والأساطير، لا يمكن إلقاء اللوم كاملا على المستشرقين لأنّ التراث الإسلامي زاخر بالإسرائيليات والأخبار والأحاديث الواهية والآراء الشاذة، والتي وُضعت بجانب تفسير الآيات، حتى عدّها البعض من التفسير الواجب الأخذ به، ولهذا يجب التنويه أنّ هذه الأخبار تدخل في باب التفسير بالرأي ولا يلزم القرآن منها بشيء، وحبذا لو يوضح ذلك في هوامش الكتب التفسيرية حتى يتبيّن الناس حقيقتها، ولا يقفوا عندها. ولا يغرقوا في مثل هذه التفاصيل التي تذهلهم عن العبرة والحكمة من هذه القصة.

ب. مادة آسيا

أما في مادة آسيا التي كتبها فنسنك، وكانت بحجم عمود واحد، فيلاحظ أنّ مصادرها كثيرة تعادل حجم المادة نفسها. ذكر فيها فنسنك أن آسيا ذكرت مرتين في القرآن، وأنّ لها نفس الشان الذي لابنة فرعون في التوراة، وهو ما جعله نوعا من الالتباس، ثم عرض لآية التحريم و للروايات التي تذكر تعذيب فرعون لها، وأن موسى قد دعا لها.

ثم حاول من خلال ذكر تفسير (هورقتز) أنّ اسم آسيا تحريف لاسم آسناث اسم زوجة يوسف الوارد في سفر التكوين، وما هو إلا افتراض قائم على عدم ورود اسم زوجة فرعون في العهد القديم، فكيف للقرآن أن يحيط باسمها، إلا أن يتهموه بتحريف اسم وارد في العهد القديم. لنفي الوحي الرباني عنه.

ج. مادة قارون في موجز الدائرة

كتب المستشرق الإنجليزي (ماكدونالد) في الدائرة مادة عن قارون، ترجمها في موجز الدائرة (وائل البشير)، وافتتحها المستشرق بأنّ قارون مذكور في العهد القديم سفر العدد، الاصحاح 16، والمذكور في هذا الاصحاح هو (قورح)، كما أنّ قصته تدلّ على أنه رفض الاستجابة لأوامر موسى وأعلن سخطه عليه، وبذلك ابتلعتة الأرض وخيمته وجماعته وأمواله.

وأشار إلى أنه ورد ذكر قارون ثلاث مرات في القرآن الكريم، ففي سورة غافر والعنكبوت ورد ذكره مع فرعون وهامان مستكبرين على دعوة موسى عليه السلام، ثمّ يلخص قصته كما جاءت في سورة القصص، ويعقب عليها بقوله: "وتلمّح هذه القصة إلى تمرّد قارون وعلى نحو بيّن إلى العقاب الذي سحّق به (سفر العدد، 16: 31-33، 10:26)، ومن المحتمل أن تكون صدى لقصة ما أخلاقية"¹ في إشارة إلى ما تداوله المفسرون عن ابن عباس والسدّي من أنّ قارون أغرى بغيّا بالمال حتى تتهم موسى بارتكاب الفاحشة معها فيُرجم ويتخلّص منه، لكن موسى نجى من ذلك واعترفت المرأة بالأمر، ودعا موسى على قارون فابتلعتة الأرض. وهذا الخبر من الاسرائيليات التي لا دليل عليها.

وأشار ماكدونالد أن المفسرين ذكروا أسطورة طويلة أصلها من أدب الرنانيين أي من الاسرائيليات، فيها ذكر الثراء الفاحش والشح الذي جعل قارون وزيرا لفرعون. ثم ذكر اختلاف المفسرين في طريقة تحصيل قارون لهذه الثروة، فمنهم من جعله من مؤسسي علم الخيمياء (الكيمياء القديمة) كما جاء عند الجاحظ، المسعودي، الكسائي وابن النديم، ودعا عليه موسى لسوء سلوكه بعد

¹ موجز الدائرة، ج26، ص 8002، ع1

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

غناه، أمّا الطبري فاعتبره صائغا، وذكر الكسائي أن زوجة قارون هي أخت موسى وهي من علمته علم الخيمياء. وكلها تكهنات واسرائيليات لا يمكن إثباتها ولا انكارها، ولا فائدة للإنسان من العلم بها.

انتقل بعدها ماكدونالد للحديث عن ارتباط اسم قارون بعدة بحيرات منها بحيرة مويس، وبحيرة بجوار بحيرة الفيل، وأحيطت بنوع من الأساطير معتمدا على ما أورده المقرئ وما جاء في كتاب ألف ليلة وليلة، كما أشار إلى أن المستشرق (هامر) يجعل ذلك خلطا بين قارون وشارون المصري. والمصادر التي ذكرها المستشرق ليست أصلا في الباب وهي مليئة بالغرائب والأساطير فلا يمكن الوثوق بما جاء فيها، ومادة قارون جاءت مليئة بالإسرائيليات والغرائب بعيدة عن القصة القرآنية.

هذه أهم المواد المتعلقة بقصة موسى عليه السلام في موجز الدائرة، ويلاحظ فيها توسعها الشديد في الأخذ بالروايات والأخبار، وابتعادها عن الالتزام بالقصة القرآنية الأصلية، وميلها الشديد إلى تأكيد عملية اقتباس القرآن الكريم من جميع المصادر اليهودية، من خلال التركيز على النظرة الاستشراقية لقصة موسى عليه السلام.

المطلب الثاني: قصة هارون عليه السلام

الفرع الأول: هارون عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ورد اسم هارون عليه السلام عدة مرات في القرآن الكريم وارتبط بقصة موسى عليه السلام، ولم يرد شيء عن مولده أو حياته، والحديث عنه في القرآن الكريم يبدأ عندما أمر الله موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون الجبار، فطلب موسى من ربه أن يجعل أخاه هارون معينا ووزيرا له في هذه المهمة، لما تميز به من فصاحة اللسان وقوة الحجة، قَالَ تَمَالَى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٨﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿١٩﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّي لِسَانِي ﴿٢٠﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢١﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٢﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٢٣﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٢٤﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٢٥﴾ كَيْ سَيَحْكَمَ كَثِيرًا ﴿٢٦﴾ وَتَذُكَّرُكُمْ كَثِيرًا ﴿٢٧﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٢٨﴾ طه: ٢٤ - ٣٥

والوزير هو المعين القائم بثقل الأمور، قال الإمام المراغي: "أي واجعل لي عوناً من أهل بيتي هارون أخي، ليحمل معي أعباء الرسالة، ويكون ظهيراً لي عند الشدائد، وحلول المكاره"¹، وليكون سنده في التسييح وذكر الله، بما يقوي الإيمان في القلب، فالتعاون على الحق والدعوة خير من الانفراد.

¹ تفسير المراغي، مصدر سابق، ج16، ص106.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وما كان طلب موسى المعونة إلى خوفه من فرعون وقومه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٢ ﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿ ١٣ ﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿ ١٤ ﴾ الشعراء: ١٢ - ١٤، فلحرص موسى ﷺ على أداء الرسالة كما يجب، وتبليغ الدعوة، أقر بما قد يخالجه من خوف التكذيب، وانحسار لسانه نتيجة ضيق صدره بتكذيبهم، كما خاف أن يحاسبوه على قتله للقبطي، فطلب أن يرسل إلى هارون ليكون عوناً له ومصداقاً ومجادلاً لهم لفصاحة لسانه وقوة بيانه. ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٣ ﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴿ ١٤ ﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿ ١٥ ﴾ القصص: ٣٣ - ٣٤، فاستجاب الله تعالى له ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿ ٣٦ ﴾ طه: ٣٦، وَقَالَ تَعَالَىٰ ﴿ ٣٥ ﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَجَعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِمَا كُنْتُمْ آتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ مَا أَغْلِبُونَ ﴿ القصص: ٣٥

وبهذا نال هارون ﷺ شرف النبوة ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمِن رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿ ١٥ ﴾ ﴾ مريم: ٥٣. وانطلق هو وموسى لدعوة فرعون وقومه قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ ١٥ ﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿ ١٦ ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عٰلِينَ ﴿ ١٧ ﴾ الْمُؤْمِنُونَ: ٤٥ - ٤٦ وقال ﷻ في سورة طه ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿ ١٦ ﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿ ١٧ ﴾ طه: ٤٢ - ٤٣، ﴿ ١٨ ﴾ فَفَلَمَّا أَذْهَبَا إِلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿ ١٩ ﴾ ﴾ الفرقان: ٣٥ - ٣٦

وبعد انتصار الحق وخروج بني إسرائيل من مصر، خلف هارون موسى على بني إسرائيل، حين ذهب موسى ﷺ ليتلقى الوحي الرباني قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ ١٩ ﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرِ فِتْرَةٍ مِيقَاتٍ رَبِّيهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿ ١٩ ﴾ الأعراف: ١٤٢، وهناك استغل السامري غياب موسى وصنع لبني إسرائيل العجل فعبدوه، وقد حاول هارون ﷺ منعهم، لكن بني إسرائيل أصروا على كفرهم، وقالوا "لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه. وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه"¹، قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ ٢٠ ﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿ ٢٠ ﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عٰكِلِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿ ٢١ ﴾ طه: ٩٠ - ٩١، وحين رجع موسى غضب على أخيه وقومه وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره، فبادره هارون ﷺ بتذكيره بالرابطة المتينة بينهما، قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ ٢٢ ﴾ قَالَ يَهْلِكُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿ ٢٢ ﴾ أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿ ٢٣ ﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِإِحْسَابِي وَلَا بِرَأْسِي ﴿ ٢٤ ﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرٰءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿ ٢٥ ﴾ طه: ٩٢ - ٩٤، قال: ﴿ يَبْنَؤُمْ ﴾ "ترفق له بذكر الأم مع

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص 312

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

أنه شقيقه لأبويه؛ لأن ذكر الأم هاهنا أرق وأبلغ، أي: في الحنو والعطف¹ واعتذر له عن سبب تأخره في اللحاق به ليخبره بأمرهم خشية أن تحصل الفرقة بين بني إسرائيل. كما أنهم استضعفوه وحاولوا قتله... قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِنِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿الأعراف: ١٥٠﴾، قال الإمام ابن كثير: "أي لا تستغني مساقهم، ولا تخلطني معهم"². هذه الآيات التي ورد فيها الحديث عن حياة هارون عليه السلام، وهي قليلة لكنها تكشف عن شخصية هارون عليه السلام النبي الوزير، الفصيح الرزين، المصلح الحكيم. ومما ورد في السنة الصحيحة من خبره عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبي ﷺ لعلي: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى"³، وفي رحلة المعراج التقى النبي ﷺ بهارون عليه السلام فعن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال قال النبي ﷺ: "فأتينا السماء الخامسة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المحيي جاء، فأتينا على هارون فسلمت عليه فقال مرحبا بك من أخ وني..."⁴.

الفرع الثاني: هارون عليه السلام في موجز الدائرة

كتب مادة هارون عليه السلام المستشرق إيزنبرغ، وترجمها وائل البشير، وهي من المواد جد قصيرة في الدائرة، فقد جاءت في قرابة العمودين بمصادرها.

عرف إيزنبرغ هارون بأنه ابن عمران وأورد أنه ذكر "في كل من الكتاب المقدس، والقرآن الكريم، وهو الأخ الأكبر لموسى عليه السلام وساعده الأيمن ووزيره خلال دعوته إلى فرعون، وبعد خروج بني إسرائيل من مصر"⁵. كما أشار إلى أنه تولى أمر بني إسرائيل أثناء غياب موسى عليه السلام لتلقي الوحي عند طور سيناء، وعندما عبد بنو إسرائيل العجل الذهبي الذي صنعه السامري، حاول هارون منعهم لكنهم أصروا على كفرهم لظنهم أن موسى لن يعود. وكل هذا يوافق ما جاء في القرآن الكريم.

¹ المصدر السابق، ج5، ص312.

² المصدر نفسه، ج3، ص477.

³ أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب، ج5، ص19، رقم الحديث: 3706

⁴ أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج4، ص109، رقم الحديث: 3207.

⁵ موجز الدائرة، ج32، ص10024.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ثم تحدث عن وفاة هارون عليه السلام حسب الأخبار الإسلامية المستقاة من الروايات اليهودية. وجعله اعتقاد خاصا يعبر عنه بقوله: " ويتلخص هذا الاعتقاد في أنه..¹ " في أحد الأيام وجد موسى وهارون عليهما السلام كهف ينبعث منه نور، فدخلاه ووجدا فيه عرشا ذهبيا نقشت عليه (لمن يناسبه)، فلم يتناسب مع موسى عليه السلام، وكان مناسبا مع هارون عليه السلام، وحينئذ قبض ملك الموت روحه وعمره 127 سنة. وعند عودة موسى إلى قومه بدون أخيه أتموه بقتله فأنزل الله ملائكة تحمل نعش هارون عليه السلام، وأعلنت براءة موسى عليه السلام من دم أخيه، كما أن هناك رواية أخرى أن موسى عليه السلام أخذ قومه إلى قبر هارون الذي أعيد للحياة ليبرئ أخاه من قتله.

ولم يرد في القرآن الكريم أي خبر عن هذه القصص، لكنها مما روي عن ابن عباس فيما نقله عن أهل الكتاب، فهي من الاسرائيليات التي لا نصدقها ولا نكذبها، لكنها ليست من العقائد الثابتة في الاسلام لعدم وجود أدلة يقينية عليها.

وبعد هذا المبحث مفصليا في نظرة المستشرقين للقصص القرآني لأنه من المشترك بين الديانات، خاصة ما كان من قصة موسى وما ألحق بها من مواد، ما عكس النظرة الغربية للقصة، بالاعتماد على المقارنات بين القرآن الكريم والتوراة، إضافة إلى الاعتماد على كتابات المستشرقين حول القصة، واتباع المنهج الانتقائي في عرض القصة، ما جعل هذه المواد عبارة عن حشو للروايات الغربية وحافلة بالأخبار الضعيفة، والافتراضات الواهية، ما جعل المادة بعيدة عن روح القصة القرآنية الراقية.

¹ موجز الدائرة، ج32، ص10024، ع2

المبحث الثالث: قصص داوود وسليمان عليهم السلام

بعد أن كتب الله الذلة والمهانة على شعب بني إسرائيل، وتكالبت عليهم الأمم فاستضعفوا في الأرض بعث الله لهم عبده داوود ملكا يسوسوهم في دنياهم، ونبيا حكيما يهديهم في آخرهم، فأعاد لهم أمجادهم وأصلح حالهم، وورثه من بعده ابنه سليمان عليه السلام فأسس لهم ملكا شديدا وثبت أركان دولتهم، واحتفى الكتاب المقدس بهذه الأيتام وسجلها في تاريخه، لكن الحق بهؤلاء الأنبياء الكثير من المطاعن ونزع عنهم العصمة، وهو ما انتشر في الفكر الغربي، فهل سيكون لذلك تأثير في رؤية المستشرقين لقصة هذين النبيين في موجز الدائرة؟

المطلب الأول: قصة داوود عليه السلام

الفرع الأول: داوود عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ورد ذكر داوود عليه السلام في ستة عشر موضعا من القرآن الكريم، في تسع سور، وهو من أنبياء بني إسرائيل كان بعد موسى عليه السلام، جمع الله له بين النبوة والملك، وأنزل عليه كتابا سماويا هو الزبور قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ۝٥٥﴾ الإسراء: ٥٥

وذكر داوود عليه السلام في سلسلة الأنبياء في سورة النساء قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ۝٣٣﴾ النساء: ١٦٣، وكل كتاب يسمى زبوراً، قال الإمام الرازي: "ثم ختم ذكر الأنبياء بقوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾ يعني أنكم اعترفتُم بأن الزبور من عند الله، ثم إنه ما نزل على داود دفعة واحدة في ألواح، مثل ما نزلت التوراة دفعة واحدة على موسى عليه السلام في الألواح، فدلّ هذا على أن نزول الكتاب لا على الوجه الذي نزلت التوراة، لا يقدر في كون الكتاب من عند الله، وهذا إلزام حسن قوي"¹، وجاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خُفِّفَ على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوابه فتُسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تُسرج دوابه ولا يأكل إلا من عمل يده"²، فكان يُنهي قراءة الزبور قبل إكمال سرج الدواب، وقد أُطلق على قراءة الزبور قرآنا

¹ تفسير الرازي، مصدر سابق، ج11، ص267

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى وآتينا داودا زبوراً، ج4، ص160، رقم الحديث:

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

"لأن الكلمتان تقومان على معنى الجمع والضم"¹

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ المائدة: ٧٨ قال الامام السعدي: "أي: طردوا وأبعدوا عن رحمة الله على لسان داود وعيسى ابن مريم أي: بشهادتهما وإقرارهما، بأن الحجة قد قامت عليهم، وعاندوها. ﴿ذَلِكَ﴾: الكفر واللعن ﴿يَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أي: بعضيائهم لله، وظلمهم لعباد الله، صار سببا لكفرهم وبعدهم عن رحمة الله، فإن للذنوب والظلم عقوبات"². وقال الشوكاني: "أي في الزبور والإنجيل على لسان داود وعيسى بما فعلوه من المعاصي، كاعتدائهم في السبت، وكفرهم بعيسى"³.

كما يرد اسم داود عليه السلام في القرآن الكريم في آخر قصة طالوت التي وردت في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليهم بالظالمين﴾ البقرة: ٢٤٦

يقص القرآن الكريم قصة بني إسرائيل عندما طلبوا من نبي لهم لم يحدد القرآن الكريم اسمه أن يُنصَّب عليهم ملكا، ليقاتلوا أعداءهم تحت لواءه، "فقال لهم نبيهم وقد أراد أن يستوثق من صدق عزيمتهم: ألا يُتَظَر منكم أن تجبئوا عن القتال إذا فرض عليكم؟ فأنكروا أن يقع ذلك منهم قائلين: وكيف لا نقاتل لاسترداد حقوقنا وقد أخرجنا العدو من أوطاننا، وتركنا أهلنا وأولادنا! فلما أجاب الله رغبتهم وفرض عليهم القتال أعرضوا عنه وتخلَّفوا، إلا جماعة قليلة منهم، وكان إعراضهم وتخلُّفهم هذا ظلماً منهم لأنفسهم ودينهم، والله عليهم بالظالمين"⁴.

فأخبرهم نبيهم أن الله أرسل طالوت ملكا عليهم، لكنهم اعترضوا عليه، لأنهم يرون أنهم أحق بالملك منه، فهو ليس بذِي نسب، وليس من سلالة الملوك والأنبياء، ولا من أصحاب الأموال، وهي معايير بني إسرائيل في المفاضلة بين البشر، لكن نبيهم بيّن لهم أنّ المعيار الأساس في اختيار القائد الحربي، هو سعة العلم وقوة الجسم، لحسن القيادة والتخطيط، والخبرة بشؤون الحرب وسياسة الحكم، مع قوة الجسم ولهذا اختاره الله عليهم وهو أعلم أين يضع ملكه فهو الواسع العليم.

¹ الخالدي، القصص القرآني، مرجع سابق، ج3، ص 417.

² تفسير السعدي، مصدر سابق، ص: 240

³ تفسير الشوكاني، مصدر سابق، ج2، ص75.

⁴ تفسير القطن، مصدر سابق، ج1، ص 145

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وجعل لهم نبيهم علامة حسية على ملكه وهو إتيان التابوت الذي أخذ منهم، وفيه سكينه تطمئن بها قلوبهم، وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فأنت به الملائكة حاملة له وهم يشاهدونه. قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ البقرة: ٢٤٧ - ٢٤٨.

وتجهز طالوت وجنوده لقتال عدوهم، ثم أعلمهم بأن الله سيختبرهم بنهر من الماء من شرب منه فهو عاص ومن اغترف إلا قليلا فلا جناح عليه، فعصى أكثرهم ونكصوا عن القتال، "وكان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال الذي سيتناول وتحصل فيه المشقة الكبيرة، وكان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الثابتون توكلا على الله" ¹، قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّكَلَّفُوا اللَّهَ كَمًّا مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلًا غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ البقرة: ٢٤٩ - ٢٥٠.

وقد جاء عند البخاري عن البراء قال: "كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث: أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاثمائة" ²

وبهذا الاختبار تصفى جيش طالوت وتجهز للمعركة، لكن الضعف بدأ يتسلل إلى القلوب، فقام القائد المؤمن الحكيم برفع معنويات جيشه وتصبيرهم على القتال، فدعوا الله أن ينصرهم وثبتت أقدامهم، فكان النصر حليفهم، وكان داوود هو قاتل قائد جيش الكفر جالوت، قَالَ تَمَّالٌ: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 108

² أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، ج 5، ص 73، رقم الحديث: 3958.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

يَاذَنُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿البقرة: ٢٥١﴾
ومنّ الله على داوود بالملك على بني إسرائيل، وأعطاه الحكمة وهي النبوة، فجمع له بينهما وعلمه صنوف العلم، وحكم بني إسرائيل فنشر العدل والأمان، وهي سنة الله في الأرض بأن جعل من عباده الصالحين من يقف في وجه الظلم والطغيان، لئلا تفسد الأرض وليُعَلِّي كلمة الحق ويُظهِر دينه في الأرض.

وقد كانت هذه القصة من الشواهد على نبوة الرسول محمد ﷺ، بقصته أخبار السابقين التي لا علم له ولا قومه بها، وذلك لكي يستجلبوا منها العبر والحكم، التي منها الاستمسك بحبل الله والثقة به سبب النصر، ومشاورة أهل الرأي والحكمة، وأن العلم والقوة من صفات القائد الحكيم، وأن الجهاد من سنن الله لكي ينهي الفساد في الأرض.

وقد وردت قصة داوود عليه السلام متفرقة في القرآن الكريم، غير مكررة، تشير إلى أحداث ومواقف في حياة نبي الله داوود، تكشف عن بعض تفاصيل حياته وشخصيته، والتي منها قصة حكمه في الغنم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ الأنبياء: ٧٨ - ٧٩، وقضية الغنم تخص غنمًا لقوم تعدت على حرث قوم آخرين، قال الراغب الأصفهاني: "ونفس الغنم انتشارها، والنفس بالفتح الغنم المنتشرة"¹، وقال البغوي: "والنفس: الرعي بالليل والهمل بالنهار"²، وحكم فيها كل من نبي الله داوود عليه السلام وابنه سليمان عليه السلام بحكمه، وكان الله شاهدا على حكمهم، وكان فهم سليمان أرجح في القضية، قال ابن عاشور: "أنه ألهمه وجها آخر في القضاء هو أرجح لما تقتضيه صيغة التفهيم من شدة حصول الفعل أكثر من صيغة الإفهام، فدلّ على أن فهم سليمان في القضية كان أعمق. وذلك أنه أرفق بما فكانت المسألة مما يتجاوزه دليلان فيصير إلى الترجيح، والمرجح لا تنحصر، وقد لا تبدو للمجتهد، والله تعالى أراد أن يظهر علم سليمان عند أبيه ليزداد سروره به"³.

وقد جاء في صحيح البخاري قصة حكم أخرى بين داوود وسليمان عليهما السلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فجعل الفراش وهذه الدواب تقع في النار. وقال كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما،

¹ الراغب الأصفهاني، غريب القرآن، ص 502.

² تفسير البغوي، مصدر سابق، ج 5، ص 331.

³ تفسير ابن عاشور، مصدر سابق، ج 17، ص 118.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

فقال صاحبها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود ففضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرته، فقال: اتتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها. ففضى به للصغرى¹.

ثم ذكر الله تعالى ما أنعم به من نعم على داود عليه السلام "وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبَّح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصم الشامحات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات"². **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾** الأنبياء: ٧٩، وكان حسن صوته وتراتيله الخاصة كأنها مزامير، حتى أن النبي ﷺ شبه صوت أبي موسى بأنه مزارم لداود، فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال له: "يا أبا موسى لقد أوتيت زممارا من مزامير آل داود"³.

ومن فضل الله عليه أيضا تعليمه صناعة الدروع التي تحمي صاحبها في الحروب، قال الإمام ابن عطية: "اللبوس في اللغة السلاح فمنه الدرع والسيف والرمح"⁴. كما جاء في قوله تعالى **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُولِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالْأَنْهَارُ وَالْحَدِيدُ﴾** **﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** سبأ: ١٠ - ١١، وقال الإمام البخاري: "أن اعمل سابغات: الدروع، وقدر في السرد: المسامير والحلق ولا تدق المسمار فيتسلسل ولا تعظم فيفصم"⁵، وعمله في صناعة الحديد هو الذي كان يوفر له قوت يومه، فعن المقدم رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"⁶، وفي هذا حكمة جليلة كيف لملك بني إسرائيل أن يسترزق من عمل يده، وفي هذا حث على العمل الشريف وتحصيل الرزق الحلال.

ومن المواقف التي تعرض لها داود عليه السلام، ما قصه القرآن الكريم عن الخصم الذين تسوروا حراب داود عليه السلام، **قَالَ تَعَالَى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَذَكَرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾** **﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ**

¹ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب، ج4، ص162، رقم الحديث: 3427.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج6، ص497.

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، ج6، ص195، رقم الحديث: 5048.

⁴ تفسير ابن عطية، مصدر سابق، ج4، ص93.

⁵ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى وآتينا داود زورا، ج4، ص160، رقم الحديث: 3417.

⁶ أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ج3، ص57، رقم الحديث: 2072.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

يُسَبِّحَنَّ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيَرِ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ ۝ وَسَدَدْنَا مَلَكَهٖ وَعَائِنَتُهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ۝ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوُ الْخَضِرِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحَكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا نُشِطُّط وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْفَالِطَةِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهٗ فَأَسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝ فَفَعَّرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّوَابٍ ۝ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝ ﴿ص: ١٧ - ٢٦﴾

وفي هذه الآيات الكريمة يسأل الله تعالى رسوله الكريم محمد ﷺ، هل أتاك خبر الخصم، إذ تسلقوا المحراب ودخلوا على نبي الله داوود عليه السلام قال الطبري: "دخلوا عليه من غير باب المحراب، والمحراب مقدّم كل مجلس وبيت وأشرفه"¹. ففزع منهم "لدخولهما عليه من غير الباب الذي كان المدخل عليه، فراعاه دخولهما كذلك عليه. وقيل: إن فزعه كان منهما، لأنهما دخلا عليه ليلا في غير وقت نظره بين الناس"²، فسارع الخصمان لتهوين فزع داوود وبيان سبب حضورها، بأنّه تعدى أحدهما على الآخر، وطلبا منه أن يحكم بينهما ولا يظلم ويحملهما على الحق، ثم عرضا قضيتهما بأن أحدهما له نعجة واحدة والآخر له تسع وتسعون نعجة، فطلب منه أن ينزل له عنها، وصار أعزّ منه في مخاطبته وقهره، فأجابه داود بأن هذا ظلم من صاحبه، وإن هذا من عادة الشركاء أن يتعدى بعضهم على بعض، إلا المؤمنون العاملون للصلوات وهم فئة قليلة، وظنّ داود أنّه وقع في الفتنة والابتلاء، قال الطبري: "والعرب توجه الظن إذا أدخلته على الإخبار كثيرا إلى العلم الذي هو من غير وجه العيان"³. فاستغفر ربّه وخرّ راکعا لله تعالى منيبا إليه، فغفر الله له وجعل له يوم القيامة قرين وموثلا حسنا في الجنة.

وقد اختلف المفسرون في تأويل هذه القصة وتحديد خطأ داوود عليه السلام الذي استغفر ربّه من أجله، ومنهم من خاض فيها بالاعتماد على الإسرائيليات ومنهم من تجنّبها وتوقف عند كلام الله تعالى وهو الحق الذي يجب ملازمته، وقد ردّ الإمام الرازي على اتهام داوود عليه السلام بالكبائر من زنا وقتل بعدة وجود نلخصها: "أن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجورا لاستنكف منها، ...

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج 21، ص 175.

² المصدر نفسه، ج 21، ص 175.

³ المصدر نفسه، ج 21، ص 181.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه، الثاني: أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته أما الأول فأمر منكر.. وأما الثاني فمنكر عظيم، والثالث أن الله تعالى وصف داود عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات العشرة المذكورة ووصفه أيضاً بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح والتي منها: أن الله تعالى أمر النبي عليه السلام بالاعتداء به، ووصفه بكونه عبداً لله، وذا قوة في الدين، وكونه أواباً كثير الرجوع إلى الله تعالى وكيف يليق هذا بمن يكون قلبه مشغولاً بالقتل والفجور، وسُخِّرت معه الجبال والطير للتسبيح، وشدّد ملكه في الدين والدنيا، وأعطاه الحكمة وهي اسم جامع لكل ما ينبغي علماً وعملاً... وقد غفر الله له وجعله خليفة له، وأنه لما كانت مقدمة الآية دالة على مدح داود عليه السلام وتعظيمه، ومؤخرتها أيضاً دالة على ذلك، فالواسطة بالتأكيد لا تدل على عظم القبائح والمعائب...¹

ومعلوم أن هذه الاسرائيليات مصدرها التوراة المحرفة فلا يُرَكَن إليها لأنّ عصمة الأنبياء في الإسلام ثابتة لا يمكن الطعن فيها، "وهذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره الله لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصّه الله علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محلّه، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها"². فالخوض فيها لا فائدة منه.

وختم القرآن الكريم هذه الحادثة ببيان أن داود عليه السلام قد جعله خليفة الله في الأرض، وأمره بالعدل وعدم اتباع الهوى، حتى يقيم شرع الله في الأرض.

وقد جاءت في هذه الآيات الكريمة سجدة، ورد عند البخاري عن العوام بن حوشب قال: سألت مجاهداً عن سجدة ص، فقال: سألت ابن عباس: من أين سجدة؟ فقال أو ما تقرأ ﴿وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمُدَّتْهُمْ أَوْتِدَهُ﴾ الأنعام: ٩٠، فكان داود ممن أمر نبيكم عليه السلام أن يقتدي به فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله عليه السلام³.

وروى أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قرأ رسول الله عليه السلام وهو على المنبر ﴿ص﴾ فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه، فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة

¹ ينظر: تفسير الرازي، مصدر سابق، ج26، ص226-227.

² تفسير السعدي، مصدر سابق، ص711

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة ص، ج6، ص124، رقم الحديث: 4807.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

تشزّن (قوله تشزّن الناس معناه استوفزوا وتهيئوا له) الناس للسجود، فقال رسول الله ﷺ: "إنما هي توبة نبي ولكني رأيتم تشزنتم للسجود " فنزل فسجد وسجدوا¹.

وجاء في سنن الترمذي: عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة، فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وضع عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال الحسن، قال لي ابن جريج قال لي جدك، قال ابن عباس: فقرأ النبي ﷺ سجدة ثم سجد؟ فقال ابن عباس: فسمعتة وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة².

وقد عرف داوود ﷺ بكثرة عبادته، ولهذا جاء مدحه على لسان رسول الله ﷺ، وأوصى باتباعه فيها، لما فيها موازنة بين الرفق بالنفس كي لا تسأم، والقيام بحقوق الله على العبد، فعن عمرو بن أوس الثقفي سمع عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: "أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه"³.

ومع هذه العبادة كان حريصا على الجهاد في سبيل الله، شجاعا في الميدان، قائما بأمر ملكه، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله ﷺ: "ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم النهار. فقلت: نعم، فقال: فإنك إذا فعلت ذلك هجمت العين ونفثت النفس صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر أو كصوم الدهر، قلت: إني أجد بي - قال مسعر: يعني قوة- قال: "فصم صوم داود ﷺ وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى"⁴.

¹ أخرجه أبو داود في سننه، كتاب سجود القرآن، باب السجود في ص، ج1، ص448 رقم الحديث 1410 وقال الألباني في ذيله: صحيح.

² رواه الترمذي في سننه، أبواب السفر، باب ما يقول في سجود القرآن، ج2، ص472، رقم الحديث: 579، قال أبو عيسى هذا حديث [حسن] غريب من حديث ابن عباس لانعرفه إلا من هذا الوجه.

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، ج4، ص161، رقم الحديث: 3420.

⁴ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى آتينا داوود زبوراً، ج4، ص160، رقم الحديث: 3419.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

هذا ما ورد من قصة نبي الله داوود عليه السلام، في القرآن والسنة، وما نُقل عنه من افتراءات، أصلها الإسرائيلية، وتلطخت بها بعض المصادر الإسلامية، لا يلزم القصة القرآنية منها شيء، ولا يطعن في عصمة نبي الله أبداً.

الفرع الثاني: داوود عليه السلام في موجز الدائرة

كتب مادة داوود عليه السلام المستشرق كارادي فو، وترجمها خورشيد، كما علق على الشبهات الواردة فيها محمد يوسف موسى، وهي من المواد المتوسطة وردت في حوالي 6 أعمدة. وهي من الإصدار الأول للدائرة، لأنه في الإصدار الثاني أعاد رودى باريت كتابة المادة وأصبحت هي المعتمدة، لكن موجز الدائرة احتفظ بمادة الإصدار الأول ولم يترجم مادة داوود في الإصدار الثاني.

بدأت المادة بالإشارة إلى ذكر داوود عليه السلام في التوراة، ثم وروده في القرآن الكريم كخليفة لله وذلك في قوله تعالى ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ ص: ٢٦

ثم أشار كارادي فو إلى أن قصة داوود قد "حرّفت شأن غيرها من قصص الأنبياء بعض التحريف، ويظهر فيها أثر من مذهب الربانيين، أو قل إنه يبدو فيها أثر السعي إلى تفسير بعض آيات من التوراة لم تعرف على وجهها الصحيح، فقد كان محمد عليه السلام يعلم أن داوود قتل جالوت (البقرة 250 وما بعدها، وأن الله أتاه الزبور"¹.

وكلام المستشرق هنا غير واضح، فهل يقصد أن القرآن الكريم حرّف قصة داوود عليه السلام، أو أن المصادر الإسلامية هي من حرّفت القصة، فإن كان يقصد القرآن فهو بكل تأكيد يشير إلى بعض التفاصيل المشابهة لما جاء في قصة الكتاب المقدس، ويعدّ ما لم يرد عندهم نوعاً من التحريف، وإن كان يقصد أن المصادر الإسلامية هي التي حرّفت، فكتب التفسير والتاريخ قد استعانت بما جاء من إسرائيليّات أهل الكتاب فإن كان هناك تحريف فهذا يعود إلى التحريف والخلط الوارد عندهم قبل كل شيء، ومن ثمّ انعكس على مرويات الإسرائيليّات. وبالعموم فإن المنهج الاستشراقي عمل جاهداً للتأكيد على عملية اقتباس القرآن الكريم من التراث اليهودي والمسيحي، وإن كان هنالك أي اختلاف بينهما فينسب إلى التحريف. ويستدل هنا ببعض المظاهر لمذهب الربانيين في إشارة إلى الاقتباس من الهاجدة، ثم يفترض أنها محاولة لتفسير بعض آيات من التوراة لم تعرف على وجهها الصحيح، ويستدل

¹ موجز الدائرة، ج15، ص 4842-4843

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

بأن الرسول ﷺ كان يعلم بعض الأحداث ولم يدرك القصة كاملة، لذلك حرّفها. لكن الحقيقة الكاملة هي ما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم.

أما قوله "والزابور سفر من الأسفار الأربعة التي عرفها محمد ﷺ من التوراة"¹، وهو ما يسمى (المزامير)، فمعلوم أن النبي ﷺ كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة، بالإضافة إلى أن هذه الأسفار لم تكن منتشرة في الجزيرة العربية وكانت عند الأحبار فقط، فإدعائهم باطل، وهي ممّا أوحى الله به لنبيّه الكريم.

وعقب كاردي فو بذكر قصة الحكم في قضية الغنم والحرب، وكيف أن سليمان أصلح حكم أبيه، والواقع أنّ النبيين الكريمين اجتهدا في الحكم، لكنّ حكم سليمان كان أوفق وأرفق بالمتحاكمين لفهمه العميق، وليس في ذلك أي منقصة لداوود ﷺ. ثمّ عرض المستشرق بقضية الخصمين وكيف تظاهرا أنّهما يسألانه "والواقع أنّهما جاءا ليعرضا بخطيئته (سورة ص، 20-25)، وقد جاء في الآية 16، من سورة ص ذكر توبة داود"².

والواضح من قول المستشرق هو التعريض بالخطيئة التي نسبت لداوود في التوراة، وهي الزنا بحليلة قائده، ودفع هذا القائد إلى الموت في ساحات الحرب، إخفاء لجريئته الشنعاء، فعوقب بموت ولده من الزنا (ينظر سفر صموئيل، الإصحاح 11)، وإن كانت هذه القصة قد ذكرت في بعض المصادر الإسلامية نقلا عن الإسرائيليات، وسار معها بعض المفسرين من باب أن ذلك كان جائزا في شريعتهم، لكنهم لم يتهموا نبي الله بتلك الفاحشة، بل لأنّ داوود ﷺ أراد الزواج بتلك المرأة، وقد كان عنده الكثير من الزوجات، لكن يبقى الوقوف على القصة القرآنية من غير تأويل ولا تلفيق، أكثر الوجوه سلامة في هذه الحال، قال ابن كثير: "قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس - وي زيد وإن كان من الصالحين - لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يُرد علمها إلى الله ﷻ فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا"³.

¹ المصدر السابق، ج15، ص4843، ع1

² موجز الدائرة، ج15، ص4843.

³ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص60.

وقال سيد قطب: " وخاضت بعض التفاسير مع الإسرائيليات حول هذه الفتنة خوفاً كبيراً. تنزهه عنه طبيعة النبوة. ولا يتفق إطلاقاً مع حقيقتها، حتى الروايات التي حاولت تخفيف تلك الأساطير سارت معها شوطاً. وهي لا تصلح للنظر من الأساس، ولا تتفق مع قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۗ﴾ ص: ٢٥، والتعقيب القرآني الذي جاء بعد القصة، يكشف كذلك عن طبيعة الفتنة ويحدد التوجيه المقصود بها من الله لعبده، الذي ولّاه القضاء والحكم بين الناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۗ﴾ ص: ٢٦، فهي الخلافة في الأرض، والحكم بين الناس بالحق، وعدم اتباع الهوى. واتباع الهوى - فيما يختص بنبي - هو السير مع الانفعال الأول، وعدم التريث والتثبوت والتبيين.. مما ينتهي مع الاستطرد فيه إلى الضلال... ومن رعاية الله لعبده داود، أنه تبّهه عند أول لفتة. وردّه عند أول اندفاعة. وحدّره النهاية البعيدة. وهو لم يخط إليها خطوة! وذلك فضل الله على المختارين من عباده. فهم ببشريتهم قد تعثّر أقدامهم أقلّ عثرة، فيقبلها الله، ويأخذ بيدهم، ويعلمهم، ويوفّقهم إلى الإجابة، ويغفر لهم، ويغدق عليهم، بعد الابتلاء¹.

بعدها عرض كارادي فو بميزات داود عليه السلام، والتي كان منها صناعة الدروع وتليين الحديد له ومنها صوته الطيب الذي جعل الجبال والطيور تسبح معه من خلال الاستشهاد بأية الأنبياء وآية سبأ، لكن يجعلهما تفسيراً حرفياً لآيات التوراة التي يدعو فيها صاحب المزامير الجبال ووحش الفلاة إلى تسبيح الرب معه. وتميّز داود عليه السلام بالصوت الحسن وأوبته لله تعالى، ثابت في القرآن الكريم والتوراة، وليس هناك اقتباس أو أي تفسير حرفي بينهما، بل هو من الحقائق الثابتة في الكتابين، لأتّهما وحيين ربانيين من عند الله تعالى، وذلك من الحقائق غير المحرّفة في التوراة.

وحاول كاتب المادة أن يستنتج بعض الحقائق من خلال الجمع بين آية المائة 82، وآية البقرة 61، أن داود عاقب الخارجين على سنن بني إسرائيل يوم السبت بمسخهم قردة، يقول الإمام ابن كثير: " يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل، فيما أنزل على داود نبيه عليه السلام، وعلى لسان عيسى ابن مريم، بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه"². ومن المفسرين من قال "إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت، قال داود عليه السلام: «اللهم ألبسهم اللعن مثل الرداء ومثل المنطقة على الحقوين»، فمسخهم الله قردة، وأصحاب المائة لما كفروا، قال عيسى عليه السلام: «اللهم عذب من كفر

¹ تفسير الضلال، مصدر سابق، ج5، ص3018.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج3، ص160.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

بعد ما أكل من المائدة عذاباً لم تعدّبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبت، فأصبحوا خنازير» وإن هذا معنى لعنهم على لسان داود، وعيسى ابن مريم¹، فدعاء النبيين الكريمين على الذين كفروا هو الذي جعلهم ينالون عقابهم، وليس بفعل داود عليه السلام كما يظهر من كلام المستشرق.

هكذا عرض كاردي فو قصة داود عليه السلام في القرآن الكريم، بعدها عرّج على تفصيلات المفسرين حول الإشارات القصيرة عن داود في القرآن الكريم، وخاصة عند الطبري وقرّر أن هذه الإشارات تتفق في صميمها مع التوراة مثل قصته مع طالوت وزواجه من ابنته، والذي لم يرد في القرآن ولا في السنة، وهروب داود من محاولة قتل طالوت له، ولجوءه إلى غار نسجت العنكبوت بيتها على بابه لحمايته، كما ينقل الطبري قصة امرأة أوريا، وتوبة داود وخطة بناء الهيكل، وهي كلّها أخبار أهل الكتاب نقلها الطبري بما يتوافق والعقيدة في الأنبياء من دون تشويه ولا نفي للعصمة.

ثم ذكر كارادي فو أن المسعودي أشار إلى محراب داود الذي كان لا يزال قائماً إلى زمن المسعودي، والذي فسره المستشرق بكونه حصن داود أو برج، كما لمح إلى قلة علم المسعودي بالمزامير، ولم يذكر مستنده في هذا الرأي، كما أنه ليس واجبا على المسعودي العلم بالمزامير، خاصة وأنها حرفت.

ليحدّث بعدها المستشرق عن قبر داود عليه السلام، وذكر اختلاف المسلمين في تحديد قبره واستلائهم في القرن الخامس عشر ميلادي على قبر قائم على التل الجنوبي في بيت المقدس يقال أنه قبره لأنهم ما زالوا يعتقدون قداسته. ولأنه لم يثبت أي نص صريح في تحديد قبور الأنبياء، لا يمكن الجزم بما ورد في هذه الروايات، كما أن قول المستشرق بأن المسلمين استولوا عليه قول غريب، فالقبر في القرن الخامس عشر كان قائماً على الأراضي الإسلامية التي كانت تشرف عليها الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، وبحكم أن المسلمين يؤمنون بما جاء به كل الأنبياء ويحجلونهم، كان واجبا على الدولة إيلاء الاهتمام بقبورهم، كما لا ينكر الاهتمام الكبير لبعض المسلمين بهذه القبور لدرجة تقديسها خاصة في عصر الجهل والتقليد الذي غلبت فيه أفكار بعض الطوائف في التبرك بالقبور وإقامة بعض الشعائر عندها، ما أوحى للمستشرق استيلاء المسلمين عليه، مع العلم أنّ المستشرقين في قضية قبور الأنبياء عموماً والمتعلقة ببني إسرائيل خصوصاً، يرون أحقية اليهود والنصارى في امتلاك هذه المناطق، والتي جعلوا منها سبباً وذريعة للدخول إلى فلسطين واحتلالها في ما بعد.

¹ تفسير الشنقيطي، مصدر سابق، ج1، ص 419

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ختم كارادي فو مقالته بالحديث عن داوود عليه السلام عند الصوفية وأشار في ذلك إلى كثرة ذكر جلال الدين الرومي له، وعرّج على كتاب كشف المحجوب للجلالي، الذي وصفه بكثرة المبالغة التي تكاد تخرج به عن الصواب في إيراده للقصص الخاصة عن صوت داوود من اتباع الوحوش له وانقطاع الماء عن الجريان، واتباع الناس وذهولهم وموتهم وهم في هذه الحالة. وذلك أن مثل هذه الأخبار لا تثبت إلا بالنقل الصحيح وليس فيها من ذلك شيء، كما أن كتاب كشف المحجوب من أقدم كتب المتصوفة، عني فيه بذكر طرقهم واصطلاحاتهم وأخبارهم على سبيل المبالغة.

ولاهتمام المستشرق بالمواضيع الصوفية التي اشتهر بالتأليف فيها، أشار كارادي فو إلى فرقة الداودية (أتباع داوود) الموجودة في كردستان، ناحية كرنند الجبلية بالقرب من خانقين، وفي مندلة شمالي بغداد، وهي تجعل داوود أعظم الأنبياء شأنًا. وهي من فرق الإسماعيلية وهي من الفرق الباطنية المنحرفة، لكن اسم الفرقة كان نسبة لداعيهم السابع والعشرين (داوود بن قطب) بعد وفاة الداعي السادس والعشرين (داوود بن عجب)¹، وانقسامهم عن السلمانية، وليس نسبة لداوود عليه السلام.

وقف كارادي فو في مادة داوود عليه السلام على أهم ما ورد في القرآن الكريم وإن نسبه إلى الاقتباس من التوراة وتحريف ما ورد فيها، كما تشعب المستشرق بالحديث عن عدة أمور ترتبط بداوود عليه السلام (محراب قبر، تصوف، فرقة..)، مع عدم ذكره للقصص الواردة في كتب التفسير والتاريخ عن خطأ داوود، وهذا من إيجابيات المادة، بحفظها لعصم داوود عليه السلام.

المطلب الثاني: قصة سليمان عليه السلام

الفرع الأول: سليمان عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ذكر نبي الله سليمان عليه السلام في ستة عشر موضعا من القرآن الكريم، منها ما جاء على سبيل الإجمال بذكره مع الأنبياء كما في قوله تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ الأنعام: ٨٤، ومنها مواضع تبين نعم الله عليه، ومواضع أخرى تبين مواقف من حياته.

¹ ينظر: موجز الدائرة، ج3، ص771، (مادة الإسماعيلية)، وعلي بن حنظلة، سمط الحقائق في عقائد الإسماعيلية، تح: عباس العزاوي، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1953م، ص 17-18

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وسليمان عليه السلام هو ابن نبي الله داود عليه السلام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ۗ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ٣٠ ﴾ ص: ٣٠، وقد كان مثل نبي الله داود عليه السلام كثير العبادة، سريع التوبة والأوبة إلى الله تعالى ومن والده ورث العلم والملك والنبوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ لَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ١٥ ﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ۗ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۗ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ١٦ ﴾ النمل: ١٥ - ١٦، يقول الزمخشري: وفي هذا "تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها، ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منظر الطير، وغير ذلك مما أوتيته من عظام الأمور"¹.

وقد كان يساعد والده في الحكم في القضايا التي تعرض لهما، وخصه الله في ذلك بمزيد ثناء قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ٧٨ ﴾ فَفَهَّمَهَا سُلَيْمَانَ ۗ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ الأنبياء: ٧٨ - ٧٩، قال الإمام المراغي: "واذكر أيها الرسول الكريم نبأ داود وسليمان عليهما السلام، حين حكما في الزرع الذي رعته غنم لقوم آخرين غير صاحب الحرث ليلا فأفسدته، وكان ربك شاهدا عليهما بما حكم به داود وسليمان بين القوم الذين أفسدت غنمهم الحرث وصاحب الحرث، لا يخفى عليه شيء منه ولا يغيب عنه علمه، ففهم الفتيا في ذلك لسليمان دون داود، وقد كان كل منهما فيصلاً في الحكم في الخصومات، ذا علم بالدين والتشريع"².

كما جاء في صحيح البخاري قصة حكم أخرى ظهرت فيها براعة سليمان وفطنته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فجعل الفراش وهذه الدواب تقع في النار. وقال كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود فقاضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرته فقال: اتئوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، فقاضى به للصغرى"³.

ومن المواقف التي سجلتها الآيات القرآنية لقدرة سليمان عليه السلام على فهم لغة الحيوان، وتسخيره له، موقفه مع النملة في قوله تعالى ﴿ وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ٧٧ ﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ اللَّتَمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَأْتِيهَا التَّمْلُ أُدْخِلُوا سَلَاسِلَكُمْ لِأَيِّحْمَتِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُودُهُ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ

¹ تفسير الزمخشري، مصدر سابق، ج3، ص353.

² تفسير المراغي، مصدر سابق، ج17، ص57.

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ووهبنا لداود وسليمان، ج4، ص162، رقم

الحديث: 3427.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

﴿ فَبَسَّسَ صَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ النمل: ١٧ - ١٩، وهذه الآيات تروي قصة مرور سليمان عليه السلام مع جنوده على واد النمل، وسمع نملة تطلب من البقية أن يدخلوا مساكنهم حتى لا تدوسهم أقدام الجند وحوافر الخيل من غير قصد، قال الصابوني: "حذرت ثم اعتذرت لأنها علمت أنه نبي رحيم"¹، ففهم سليمان منها ذلك وتبسم من قولها "إعجابا منه بفصاحتها، ونصحها وحسن تعبيرها"². ودعا الله تعالى شاكرًا لنعمه وأفضاله عليه وعلى والديه، ورجاه أن يوفق للعمل الصالح وأن يكون من عباده الصالحين.

ومن المواقف التي سجلها القرآن الكريم لسليمان عليه السلام قصته مع ملكة سبأ قال تعالى: ﴿ وَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ﴿ لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي يُسْلُطَنَ مُبِينًا ﴾ ﴿ فَمَكَكَ عَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَحِجَّتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنْتًا يَقِينًا ﴾ ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿ أَذْهَبَ بِكُلِّبِي هَذَا فَأَلْفَهٗ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظَرَ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿ النمل: ٢٠ - ٢٨

وتبدأ القصة بتفقد سليمان عليه السلام للطير يوماً فلم يجد الهدهد، واستفسر عن غيابه، متوعداً إيَّاه بأن يعذبه عذاباً شديداً أو ليدبحنه، أو ليأتينه بسليمان مبين "أي: حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحمل أنها لعدو واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته"³.

ولم يتأخر الهدهد كثيراً حتى عاد، حاملاً في جعبته خيراً لا يحيط سليمان عليه السلام بعلمه، وجاءه من سبأ بخبر يقين، وهو أنه وجد ملكة عليهم أوتيت كل ما يعينها على الملك، حتى حُصِّص لها كرسي ملك يوحى بعظمة وقوة المملكة، لكن الشيطان أغواهم فعبدوا الشمس، وتركوا عبادة رب السموات والأرض، رب العرش العظيم، فأراد سليمان عليه السلام أن يتحقق صدق قول الهدهد فأرسله بكتاب ألقاه إليهم ليرى ما يصنعون، فجمعت الملكة أهل الرأي والسداد من قومها واستشارتهم ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا

¹ تفسير الصابوني، مصدر سابق، ج2، ص371

² تفسير السعدي، مصدر سابق، ص: 603

³ المصدر نفسه، ص: 602.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

الْمَلُوكِ إِلَىٰ آلِهِ إِلَىٰ كِتَابِ كَرِيمٍ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٦﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَثْقَىٰ مُسْلِمِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٨﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴿ النمل: ٢٩ - ٣٥

فأشاروا عليها أنهم أهل قوة وبأس ويستطيعون مواجهته إذا أرادت، لكن الملكة بحكمتها رأت أن الملوك إذا دخلوا القرى أفسدوها "قتلا وأسرا ونهباً لأموالها وتخريباً لديارها"¹ وأذلوا سادتها، والأفضل لهم اختبار حاله وأخباره، بأن ترسل له هدية مع رسول وترى رأيه فيها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِي فَمَا آتَيْتَنِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٥﴾ أَتَجْعَلُ إِلَيْهِمْ فَلَاقِيَتِيهِمْ بِيَجُودٍ لَا قِيلَ لَهُمْ بِهَا وَالنُّخْرِ حَرَّتْهُمُ مِنْهَا آذِلَّةً وَهُمْ صَغِيرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرِ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴿ النمل: ٣٦ - ٤١، واغتياض نبي الله سليمان ﷺ لما جاءه الرسول بالهدية لأنه تبين له تهربا من الرد على كتابه "فكانت الهدية رشوة لتصرفه عن بث سلطانه على مملكة سبأ"²، ورد عليهم بأن ما آتاه الله من المال والملك والنبوة خير مما أمده به، لأنهم فرحوا بهديتهم وأرادوا بها الدنيا، أما هو فلن يقبل منهم إلا الإسلام أو القتال وإخراجهم أذلة صاغرين.

ولما علم أنهم سيأتوه مسلمين طلب من ملاه أن يأتوه بعرشها، فتقدم عفرية من الجن للمهمة وأعلن أنه في مقدوره الاتيان به قبل قيام سليمان من مكانه، وتطوع الذي عنده علم من الكتاب بأن يأتي له به قبل ارتداد طرف عينه، وتظهر صفة الأواب عند سليمان ﷺ حين أعلن الشكر لله بعدما رأى العرش أمامه، وأدرك أنه اختبار من الله تعالى، فمن شكر فلنفسه ومن كفر فعليها والله غني عن عباده كريم عظيم في نفسه. ثم طلب سليمان منهم تنكير عرشها اختبارا لها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْدَتَا أَعْلَمُ مِنْ قِبَلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسَأْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴿ النمل: ٤٢ - ٤٤، فلما رأت ملكة سبأ العرش احتارت وأجابتهم بقولها كأنه هو، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 604

² تفسير ابن عاشور، مصدر سابق، ج 19، ص 268.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

عنها، ولا أنه غيره، لما رأت من آثاره وصفاته وإن غيّر وبُدِّل ونُكِّر فقالت: كأنه هو أي يشبهه ويقاربه، وهذا في غاية الذكاء والحزم¹. فأنت بلفظ يحتمل الوجهين، حتى لا تقع في الخطأ، واختلف المفسرون في من قال ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ النمل: ٤٢، فذكر الإمام السعدي: "فقال سليمان متعجبا من هدايتها وعقلها وشاكرًا لله أن أعطاه أعظم منها: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ أي: الهداية والعقل والحزم من قبل هذه الملكة، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ وهي الهداية النافعة الأصلية، ويحتمل أن هذا من قول ملكة سبأ: "وأوتينا العلم عن ملك سليمان وسلطانه وزيادة اقتداره من قبل هذه الحالة التي رأينا فيها قدرته على إحضار العرش من المسافة البعيدة فأذعنا له وجئنا مسلمين له خاضعين لسلطانه"² ثم أراد سليمان ﷺ أن يريها بعضا من سلطانه وملكه، فطلب منها دخول الصرح، وكان مملسا يجري تحته الماء، فكشفت عن ساقها حتى لا تبتل. فلما أعلمها بأمره، أدركت عظم ملكه وتبينت دلائل نبوته أعلنت ظلمها لنفسها بالشرك، وأسلمت لله رب العالمين.

وقد وردت في تفصيل القصة الكثير من الأعاجيب والغرائب مما لا سبيل إلى التوثق منه، يقول الإمام ابن كثير في مثل هذه الروايات: "والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما يوجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب -ساحهما الله تعالى- فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما حُرِّفَ وبُدِّلَ ونُسِخَ. وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ، والله الحمد والمنة"³. وقال الإمام السعدي: "فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ وما جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله وهو من الأمور التي يقف الجزم بها، على الدليل المعلوم عن المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، بالإعراض عنها وعدم إدخالها في التفسير"⁴.

ومن المواقف التي أثبتتها القرآن الكريم لسيدنا سليمان ﷺ ما جاء في سورة ص في قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَتِ الْجَبَّادِ ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ رُذُوهَا عَلَى فُطُوقٍ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَةَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج6، ص194.

² تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 605

³ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج6، ص197.

⁴ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص: 605.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاتِهِ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ

﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُنْفٌ وَحُسْنٌ مَقَابٍ ﴿٣٩﴾ ص: ٣٠ - ٤٠

وفي هذه الآيات وصف لسليمان عليه السلام بأنه هبة الله لنبيه داود عليه السلام والهبة لا تكون إلا طيبة وفي هذا تنزيه لنبي الله سليمان عليه السلام مما وصفه به اليهود من أنه ابن زنا، فالله يصطفي رسله من أفضل خلقه وينبتهم نباتا حسنا ليكونوا قدوة للناس، ثم وصفه بكونه العبد الأواب أي إنه "رجاع إلى طاعة الله تواب إليه مما يكرهه منه. وقيل: إنه عُني به أنه كثير الذكر لله والطاعة"¹، والصفات هي الخيل الموافقة على ثلاث قوائم لتأهبها، والجياد يعني: السراع، قال ابن كثير: "ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدا بل نسيانا"². ثم أمرهم سليمان بردها عليه وشرع في مسح سوقها وأعناقها، وقد اختلفت آراء المفسرين في المقصود بهذا المسح.

كما تعرض سليمان عليه السلام إلى فتنة إلقاء الجسد على كرسیه، وقد ذكر أهل التفسير في تفسيرها عدة روايات لا معتمد لصحتها وأغلبها عن مسلمي أهل الكتاب، وفيها بعض الروايات التي وصمته بالشرك ما جعله يطلب المغفرة من الله، لكن القول الثابت لجمهور العلماء أنه مهما تكن هذه الفتنة فإنها لا تقدر في عصمة سليمان عليه السلام، وطلب المغفرة معهود من الأنبياء وخاصة أن الله تعالى بين أن من صفات سليمان عليه السلام الأوبة إلى الله تعالى، لذا فقد أناب وطلب المغفرة، لا لكبيرة فعلها، يقول سيد قطب في تفسير هاتين الحادثتين "لا يستطيع مثبت أن يقول شيئا عن تفصيل هذين الحادثين المشار إليهما في القرآن. وكل ما نخرج به هو أنه كان هناك ابتلاء من الله وفتنة لنبي الله سليمان عليه السلام في شأن يتعلق بتصرفاته في الملك والسلطان كما يتلى الله أنبياءه ليوجههم ويرشدهم، ويبعد خطاهم عن الزلل. وأن سليمان أناب إلى ربه ورجع، وطلب المغفرة واتجه إلى الله بالدعاء والرجاء"³، ومما ود في السنة النبوية الصحيحة عن اختبار سليمان عليه السلام: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال سليمان بن داود: عليهما السلام لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله فقال لك الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فأطاف بهن ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان" قال النبي ﷺ: "لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته"⁴، فقيل أنه حُمل هذا الجسد المشوه ووضع على

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج21، ص 191.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج7، ص65.

³ تفسير الظلال، مصدر سابق، ج5، ص 3020

⁴ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي، ج4، ص162،

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

كرسيه، وأدرك سليمان الاختبار فأناوب إلى الله، وهو اجتهد في تفسير الآية، والأولى أن يوكل تفسير الآية إلى الله تعالى.

وبعد هذه الفتنة والاختبار طلب سليمان عليه السلام من الله تعالى أن يهبه ملكا لا يكون لأحد من بعده واستجاب الله له فسخر الريح بأمره، والشياطين منهم من يبنون له ومنهم من يغوصون له في الأعماق ونوع ثالث محبوبون في الاصفاد. وقد جاء في السنة النبوية ذكر ما اختص الله به عبده سليمان عليه السلام، فعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة: سأل الله عز وجل حُكْمًا يصادف حكمه فأوتيته، وسأل الله عز وجل مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعد فأوتيته، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه"¹.

كما جاء ذكر بعض هذه الفضائل والنعم في قوله تعالى: ﴿وَلَسَلِمْنَ السَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَنا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُم حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ الأنبياء: ٨١ - ٨٢ فسخر الله له الريح شديدة الهبوب تأتمر بأمره في الأرض المباركة وهي الشام، وجعل الشياطين يغوصون في البحار ويستخرجون له الجواهر النفيسة وحفظهم الله من أن يزيغوا عن أمره. وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة - أو كلمة نحوها -، ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ ص: ٣٥. قال: روح فرده خاسئاً²، وجاء في صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول: "أعوذ بالله منك ثم قال العنك بلعنة الله ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة، قلنا: يارسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك، قال: إن عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث

¹ أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1991م. كتاب المساجد، فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، ج2، ص34، رقم الحديث: 693.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب المساجد، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد، ج1، ص99، رقم الحديث: 461

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله النامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أختنا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة"¹

وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَل بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغ مِّنْهُم مَّنْ عَن أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن سَائِغَتِهِ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ سبأ: ١٢ - ١٤، فكان من فضل الله تعالى على سليمان عليه السلام أن سخر له عين القطر وهو النحاس، والجن يعملون له ما يشاء بأمر الله تعالى، ومن يعص يكون عقابه الحريق، فيصنعون له محارِب "وهي البناء الحسن، وهو أشرف شيء في المسكن وصدرة"²، وجفان كالجواب: والجواب "جمع جابية والجابية الحوض الذي يجي فيه الماء"³، وقدور ثابتات. ثم تحدث عن موت سليمان عليه السلام الذي دلتهم عليه الأرضة التي أكلت عصاه، وعلمت الجن أنها لا تعلم الغيب كما كانت تظن، وإلا ما بقيت تعمل تحت أمره وهو قد مات.

ومن الآيات التي ذُكر فيها سليمان عليه السلام أيضا ما جاء في سورة البقرة من إتهام اليهود لسليمان عليه السلام بالكفر والسحر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَفَرَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...﴾ البقرة: ١٠٢

يقول الماوردي: "اختلف أهل التفسير في سبب ذلك، على قولين أحدهما: أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ويستخرجون السحر، فأطلع الله سليمان ابن داود عليه، فاستخرجه من أيديهم، ودفنه تحت كرسيه، فلم تكن الجن تقدر على أن تدنو من الكرسي، فقالت الإنس بعد موت سليمان: إن العلم الذي كان سليمان يُسخر به الشياطين والرياح هو تحت كرسيه، فاستخرجوه وقالوا: كان ساحراً ولم يكن نبياً، فتعلموه وعلموه، فأنزل الله تعالى براءة سليمان بهذه الآية. والثاني: أن (أصف بن برخيا) وهو كاتب سليمان واطأ نقرأ من الشياطين على كتاب كتبه سحراً ودفنوه تحت كرسي سليمان، ثم استخرجوه بعد موته وقالوا هذا سحر سليمان، فبرأه الله تعالى من قولهم، فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾،

¹ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه، ج2، ص72، رقم الحديث: 1239.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج6، ص500.

³ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج20، ص366.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وهم ما نسبوه إلى الكفر، ولكنهم نسبوه إلى السحر، لكن لما كان السحر كفرةً صاروا بمنزلة من نسبه إلى الكفر"¹.

هذا ما ورد في قصة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية، وما خاض فيه أهل التفسير والتاريخ والقصص من ذكر أعاجيبه فهو من الإسرائيليات التي لا دليل عليها ولا برهان.

الفرع الثاني: سليمان عليه السلام في موجز الدائرة:

كتب مادة سليمان عليه السلام في موجز الدائرة المستشرق ولكر، وترجمها الشتاوي، وهي من المواد المتوسطة في موجز الدائرة، كما وردت مادة بلقيس المرتبطة بقصة سليمان عليه السلام، والتي كتبها كارادي فو، ولم يرد اسم مترجمها.

جاء عنوان المادة في موجز الدائرة سليمان بن داود عليه السلام تفريقاً له عمّن تسمى بهذا الاسم من الشخصيات المسلمة، كما يلاحظ على مادة سليمان عليه السلام كثرة المصادر المحال إليها في آخر المادة، والتي يغلب عليها كتابات المستشرقين السابقين.

بدأ المستشرق ولكر التعريف بشخصية سليمان عليه السلام في التوراة بأنه الملك سلومون، وأنه شخصية فذة في القصص الإسلامية، ثم ذكر بعض أوصافه التي انتشرت في بطون المصادر الإسلامية من أنه أحد الحكام الأربعة العظام في العالم وكان أكثرهم تألقاً، لقدرته العجيبة على تسخير الريح والجن والطير، وحلّه الألغاز الصعبة والمسائل المعقدة، "وكانت الفطنة والحصافة تشعان من عينيه والحكمة والعدالة منقوشتين على جبينه، وكان علمه أعمق من وادي الأردن"².

تطرق بعدها ولكر إلى أهم العناصر في قصة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، أشار فيها إلى أن سليمان نبي من الله وبشير بقدوم محمد صلى الله عليه وسلم، وغير وارد في القرآن الكريم حديث عن سليمان في التبشير بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، لكن ورد عند نقاد الكتاب المقدس أنّ في نشيد الأنشاد المنسوب لسليمان عليه السلام، ورد ذكر أوصاف النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لكن الترجمات الحديثة للكتاب المقدس لم تترجم هذه الكلمة.

ونوّه ولكر بعدها إلى قصة حكمه في الغنم، ووراثته لداود عليه السلام، وذكر أن سليمان عليه السلام أوتي معرفة لغة الطير والحيوان، وتلك رواية تعتمد على سفر الملوك الأول 4: 33، وبالعودة لهذا السفر نجد يتحدث عن حكمة سليمان عليه السلام: "وكان صيته في جميع الأمم حواليه. وتكلم بثلاثة آلاف مثل،

¹ تفسير الماوردي، مصدر سابق، ج1، ص164.

² موجز الدائرة، ج19، ص 5836

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وكانت نشأته ألفا وخمسا، وتكلم عن الأشجار، من الأرز الذي في لبنان إلى الزوفا النبات في الحائط، وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك، وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان".

يقول محمد علي البار في تحليل هذه الفقرة: "ولا تحدثنا التوراة - المحرفة - عما إذا كان سليمان قد علّمه الله منطق الطير وأنه كلّم النمل، بل تتحدث التوراة عن علم سليمان الواسع بالنبات والحيوان وعن حكمته التي اشتهرت في الأفاق"¹. فالوارد في الكتاب المقدس أنه تكلم عن هذه المخلوقات والأشياء، وغير واضح أنه تكلم معهم، ضف إلى ذلك أنه لو كان المقصود تكلم معهم ونقل حديثهم إلى الناس، فهذا يؤكد أن القرآن الكريم جاء مصدقا لما في التوراة والإنجيل، لأن كل الكتب السماوية أصلها وحي من الله تعالى ولا تناقض فيها، إلا ما قام البشر بتحريفه، فلم يعد هو الحق الموحى به.

ثم أشار ولكر إلى الآيات التي تتحدث عن تسخير الله تعالى لسليمان الريح وعين القطر والجن وعذاب السعير لمن يعدل عن طاعته، كما نوه في إشارات سريعة لقصة ملكة سبأ ودعوها للإسلام، ولم يعطها حقه بالرغم من أنّها من قصص القرآن المشتهرة، لكنّها في التوراة قصة ليست بذي شأن، ربّما لهذا أهمل ولكر الحديث عن تفاصيلها.

لكنه يذكر بعدها شبهة خطيرة في قوله: "وكثيرا ما حاول الشياطين أن يميلوا به إلى الكفر فارتدوا عاجزين سورة البقرة الآية 101"² وهي شبهة خطيرة يحاول المستشرق فيه أن ينسب للقرآن الكريم بأن الشياطين حاولت إغواء سليمان عليه السلام للكفر لكنهم فشلوا، وهذا فهم خاطئ لآية البقرة التي استدلت بها والتي يقول فيها تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتَلَوُا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلَكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفُرًا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَرُونَ وَمُرُونَ﴾ البقرة: ١٠٢، وهذا فصل للآية من سياقها العام الموجه لأهل الكتاب كما جاء في الآية التي تسبق هذه الآية قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٠١، فالخطاب هنا يخص أكثر اليهود الذين اتبعوا الشياطين، وقد كان الشياطين مسخرين بأمر الله تعالى لسليمان، ولم يكن يقدر أحدهم أن يعصي أمره أو يخالفه فكيف حاولوا استمالاته إلى الكفر.

¹ محمد علي البار، الله والانبيا في التوراة والعهد القديم، مرجع سابق، ص 415.

² موجز الدائرة، ج 19، ص 5837.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

قال الإمام البيضاوي: "كانوا (الشياطين) يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب، ويلقونها إلى الكهنة وهم يدوّنونها ويعلمون الناس، وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل: إن الجنّ يعلمون الغيب، وأن مُلكَ سليمان تمّ بهذا العلم، وأنه تُسحَّرُ به الجن والإنس والريح له. وما كَفَرَ سليمان تكذيباً لمن زعم ذلك، وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كافر، وأن من كان نبياً كان معصوماً منه. ولكنّ الشياطين كفروا باستعماله"¹.

ثم عرّض المستشرق بآيات سورة ص التي تحكي إعجاب سليمان بجياده الصافنات ونسيانه أداء الصلاة، ثم تكفيره عن ذنبه، وكذا الفتنة التي فقد فيها ملكه وجلس على عرشه من هو على صورته، ثم طلب العفو من الله فُرِّدَ إلى عرشه ووعد بالجنة. ثم عقّب بقصة موته الذي لم تعلم به الجن إلا بعد أن أكلت دابة الأرض منسأته فسُرّحت الجن من عملها الشاق.

في هذا العرض الموجز لقصة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، نرى التزام الكاتب بالآيات القرآنية ومحاولة إعطاء لمحة بسيطة وخاطفة عن المشهد من القصة من غير تفصيل فيه، إلا ما كان من الشبهات السابقة، وقد يكون هذا العرض الموجز، أفضل من وسم القرآن الكريم بما شاع من إسرائيليّات وغرائب.

ثم انتقل بعدها ولكر للحديث عن قصة سليمان عليه السلام في الروايات الإسلامية مشيراً إلى أنّها مجّدت هذه المسائل المتحدّث عنها في القرآن "وهي في جوهرها مذكورة كذلك في التوراة"². واستند في ذلك على قصة المدرّاش عن سيطرة سليمان على الجن وتسخيرهم.

واعتمد ولكر على كتابات من سبقه من المستشرقين في كثير من المواضيع في هذه المادة وقرّر بها حقائق غير واردة في المصادر الإسلامية، مع أن البحث العلمي الرصين يحتم عليه الالتزام بما جاء في التراث الإسلامي وأن لا يقدّم غيره من التصورات في الدائرة الخاصة بالمعارف الإسلامية، من هذه المواضيع قوله: "وقد جعلت مملكته شاملة وجامعة، ولعل ذلك كان شبيهاً بمملكة الملوك الأربعين (أو الاثنتين والسبعين) لجنّ ما قبل عهد آدم، وكان كل منهم يدعى سليمان (Arabian Nights: Lane، المقدمة، تعليق 21 ; d'Herbelot: Bibliothéque Orientale، ج5، ص 372)، فالاعتماد على هذه الكتابات لتقرير حقيقة تشبيه مُلك سليمان بملك الجن قبل عهد آدم، وأن أسماء ملوكهم سليمان

¹ تفسير البيضاوي مصدر سابق، ج1، ص 97.

² موجز الدائرة، ج19، ص5837، ع2

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

غريب لم يرد في أي مصدر تاريخي، واستعمال كلمة (ولعل ذلك) إفتراض لا تقره الموضوعية العلمية ما لم يستند على أدلة واضحة صريحة.

وجاء في موضع آخر: " ويقال أيضا إن سليمان كان تلميذ مامبريس الساحر المصري (G.R.S Mead: Thrice Greatest Hermes، ج3، ص 283، التعليق) ومن هنا جاءت شهرته في القصص والروايات بأنه ساحر"¹. وهذا مناقض لما هو معلوم من القرآن الكريم أن الله تعالى نفى عن سليمان الكفر والسحر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...﴾ البقرة: ١٠٢، ويعود ذلك إلى الإسرائيليات الواردة في تفسير هذه الآية.

ونقل عن فريزر (Frazer: Folk-Lore in The Old Testament، ج2، ص39) تلقي سليمان عليه السلام سلطانه على الريح والماء والجن والحيوان من الملائكة المؤكدة بها، وأعطاه كل واحد منهم جوهرة وضعها في خاتم من نحاس وحديد، وكان يختم أوامره للجن الأشرار بالنحاس، وهذا الخاتم كان له خاصية اللفاح، وهي كلمة غير واضحة إلا إذا كان أصلها من لفتح النار.

ويقول أيضا: "وكان العالم الطبيعي بأسره خاضعا كل الخضوع لسلطانه حتى أن الشمس توقفت مرة عن الدوران لتمكينه من أداء صلاة المساء، وحبس الجن الشرار في قمامق من رصاص (سفر زكريا، الاصحاح 5: 8)"².

إن هذه النقول تؤكد أن المستشرق ولكر قد جعل قاعدته الأساسية هي الخلفية الغربية عن سليمان عليه السلام، المتأثرة بالقصص اليهودي والهاجدي، وحاول إيجاد ما يخدمها من قصص وأخبار في التراث الإسلامي، من ذلك ما رواه السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في ملوك مصر "وفي فيثاغورس إنه أخذ الحكمة عن سليمان عليه السلام بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام، وأخذ الهندسة عن المصريين..."³. فهو يجعل فيثاغورس تلميذا لسليمان عليه السلام

وذكر ولكر أن قدرة سليمان عليه السلام على السحر نابعة من طلسم هو خاتم نُقش عليه الاسم الأعظم أي الله، وقد رخص لوزيره آصف بن برخيا استخدامه فنقل به عرش بلقيس في ملح البصر، ثم

¹ موجز الدائرة، ج19، ص 5837-5838

² المصدر نفسه، ج19، ص 5840

³ جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية ومطبعة عيسى البابي الحلبي-مصر، ط1، 1967م. ص1-36

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ذكر قصة إعطاء سليمان الخاتم لإحدى زوجاته (أمينة) عندما أراد الوضوء، واستيلاء الشيطان صخر على الخاتم بعد تشبهه بسليمان فحكم أربعين يوماً إلى أن وجد سليمان الخاتم في بطن الحوت، وكان ذلك عقاباً له على وثنية محظيته جرادة ابنة ملك صيدا وهي رواية نقلتها بعض كتب التفسير والتاريخ، عن ابن عباس الذي تلقها بدوره عن مسلمة أهل الكتاب، فقد ورد عنه أنه "قال: أربع آيات من كتاب الله لم أدر ما هي؟ حتى سألت عنهن كعب الاحبار رضي الله عنه... وذكر منها وسألته عن قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ ص: ٣٤، قال: الشيطان أخذ خاتم سليمان عليه السلام الذي فيه ملكه، فقذف به في البحر، فوقع في بطن سمكة، فانطلق سليمان يطوف؛ إذ نُصِّدِقَ عليه بتلك السمكة فاشتواها، فأكلها، فإذا فيها خاتمها، فرجع إليه ملكه¹

ويقول الإمام القاضي عياض في ردّ هذه الرواية: "ولا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسَلَّطه على ملكه، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه؛ لأن الشياطين لا يُسَلِّطون على مثل هذا، وقد عُصِمَ الأنبياء من مثله"²، وقال الإمام ابن كثير بعد أن ذكر مثل هذه الروايات: "وهذه كلها من الإسرائيليات، ومن أنكروها ما قال ابن أبي حاتم... عن ابن عباس ثم ذكر الرواية التي ذكرناها أولاً. ثم قال: إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنه إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء، فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف: أن ذلك الجتّي لم يُسَلِّط على نساء سليمان، بل عصمهن الله وعز وجل منه، تشريفاً وتكريماً لنبيه عليه السلام، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم، وجماعة آخرين، وكلها متلقاة عن أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب"³

ويرى محمد أبو شهبة أنّها "كلها أكاذيب، وتلفيقات، ولكن بعض الكذبة من بني إسرائيل كان أحرص، وأبعد غورا من البعض الآخر، فلم يتورط فيما تورط فيه البعض، من ذكر تسلط الشيطان على نساء داود عليه السلام وذلك حتى يكون لما لفقته، وافتراه، بعض القبول عند الناس، أمام البعض الآخر، فكان ساذجا في كذبه، مغفلا في تلفيقه، فترك آثار الجريمة بينة واضحة، وبذلك: اشتمل ما لفقّه على

¹ جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر - بيروت، 1993، دط، ج 7، ص 18.

² أبو الفضل عياض النحسبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، 2002م، ج 2، ص 162.

³ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج 7، ص 69.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

دليل كذبه. ومن العجيب: أن الإمام السيوطي نبه في كتابه: "تخرّيج أحاديث الشفاء": أنها إسرائيليّات، تلقاها ابن عباس عن أهل الكتاب، وليته تَبّه إلى ذلك في التفسير¹.

كما رد الشيخ أبو شهبه على هذه الأخبار بأن "نسج القصة مهلهل، من حيث قدرة الشيطان أن يتمثل بالنبي، فأبي ثقة بعدها في الشرائع، وكيف للشيطان التسلط على نساء النبي سليمان، وكيف يكون للخاتم شأن مهم في الملك أو النبوة يتوقفان به، ولو كان ذلك فكيف يغفل الله تعالى ذكره في كتابه الحكيم، وكيف غير الله خلقه سليمان حتى أنكرته أعرف الناس به زوجته؟ ولهذا فهي قصة لا تصمد أمام النقد وأثار الكذب والاختلاق بادية عليها.

ثمّ تحدث ولكر بأن سليمان كان غزّاء قد فتح الكثير من الممالك واستند على تفسير البيضاوي للآية 19 من سورة المائدة، وبالعودة إلى هذا المصدر لا يوجد أي ذكر لمثل هذا المعنى أو العبارة، وقد نوّه إلى ذلك مترجم المادة (مهدي علام) في الهامش.

ونلاحظ أن ولكر قسّم المادة تقريبا إلى نصفين نصف ذكر فيه سليمان في القرآن الكريم، وبعض الروايات المشتهرة في تفسير آية فتنة سليمان، ونصف جمع فيه أشهر الروايات عن أعاجيب سليمان عليه السلام، التي لا نملك عليها أي دليل نقلي ثابت من القرآن والسنة، واستند فيها إلى بعض الكتب غير المشهورة، لكن لم يعنون للقسمين كما فعل بعض المستشرقين، وقد يكون ذلك لأن المادة من الإصدار الأول الذي غابت فيه هذه المنهجية، استدرّكها المستشرقون في الإصدار الثاني وخاصة في المواد الجديدة.

وأسهب ولكر في ذكر الأفعال العجيبة ووصف الآثار الغريبة المنسوبة لسليمان في تتبع دقيق لها، حتى وكأن المادة تجميع للأساطير، وإن كان ذلك ممّا سخره الله تعالى لنبيّه الكريم سليمان، لكن لا أدلة صريحة تثبت نسبة كل هذه الأخبار له، وما كان على المستشرق الاستطراد الواسع في ذكر هذه الأمور. كما أشار ولكر إلى رحمة سليمان بيت من بيوت النمل واستند في ذلك أولا على البيروني في كتابه الآثار الباقية، ثم بآيتي سورة النمل، والواجب ذكر هذه القصة مع قصته في القرآن الكريم، إضافة إلى أن الأولى البدء بالآيتين ثم كتاب البيروني، لأن القرآن الكريم هو مصدر البيروني الأول، كما

¹ محمد أبو شهبه، مرجع سابق، صا 273

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ذكر صفاته الخلقية التي أخذها من قصص الأنبياء للثعلبي، الذي رواه بدوره عن وهب بن منبه وكعب الأبحار¹، فهي من الاسرائيليات التي لا يمكن الجزم بها لأنه لا دليل ثابت عليها.

ثم ذكر وفاته وأن عمره كان 53 سنة، وقد حكم 40 عاما، ولا يعرف قبره هل في بيت المقدس أم في بحيرة طبرية، أم في وسط البحر؟ ولم يصل إلى قبره إلا أفان وبلقيا، كما أشار أحمد محمد شاكر إلى أن ما أورده ولكر لا أساس له من الصحة فنسبة القول بأن قبر سليمان في وسط البحر لا أثر له لا في تاريخ الطبري ولا في تفسيره، ذلك لأن المستشرق أسند إلى الطبري هذه الأقوال.

أنهى ولكر مادة سليمان عليه السلام بالاستعانة ببعض ما كتبه المستشرقين عن تأثر الآداب الشعبية بقصة سليمان وما نتج عنها من أساطير تشبعتها الثقافات المختلفة وطورتها بما يناسب بيئاتها، وكان لخيال القصصين أكبر الأثر عليها، وأصبحوا ينسبون له كل خارقة وابداع. منها الأدب الملاوي فقد نقل عن فرايزر أن الصيادين هناك يستعينون باسم سليمان لإيقاع الحمام في الشرك، وذكر عن ستانسون اتصال عين الحسود بسليمان عليه السلام، وأشار إلى ما كتبه بيزولد عن القصص الاثيوبية عن سليمان وماكدا ملكة غريب، ونوه بكتاب الثعلبي وكتاب (vitry) jaques de في ذكر أمثلة من أعاجيب سليمان.

وتبدو مادة سليمان في شقها الخاص بالتراث الإسلامي مغرقة في الخيال والغرائب، وثرية بالأساطير والعجائب، وتجاوز فيها المستشرق المصادر الإسلامية إلى غيرها من الدراسات الغربية والثقافات القريبة من البيئة العربية، بهدف البحث عن كل ما يجعل من شخصية سليمان شخصية أسطورية، وهو وإن كان يحمل بعض ملامح الملك والقدرة التي وهبه الله إياها، لكن الشعوب بالغت في قصصه، وكان واجبا على المستشرق ولكر أن يتبين صدق هذه الروايات من أكثر من مصدر ليدرجها في الدائرة. لكونها مصدرا موثوقا، وليست بجميع لأخبار غير متأكد منها.

وبالرغم من أن ولكر لم يتوقف عند قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس، ومرّ عليها في إشارات خاطفة، إلا أنّ المستشرق (كارادي فو) تحدث عنها في مادة (بلقيس)، وقد يكون هذا لأنّ مادة بلقيس قبل مادة سليمان عليه السلام في دائرة المعارف الإسلامية المرتبة ترتيبا أبجديا، فلم يشأ ولكر إعادة التفاصيل في مادة سليمان.

¹ الثعلبي، قصص الأنبياء ، ص 320

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وقد ذكر كارادي فو أن هناك أساطير وردت حول ملكة سبأ وسليمان أساسها قصة التوراة في سفر الملوك الأول، ثم تعرّض للقصة في القرآن باختصار وختمها بقوله: "ونستدل من هذا السرد المختصر الوارد في القرآن على أن القصة كانت قد تطورت تطوراً كبيراً، وما ورد في الترجوم الثاني إلى استير يتفق في عناصره الأساسية والقصة القرآنية، ومن المحتمل أن يكون ذلك الترجوم هو الذي تأثر بالرواية الإسلامية، كما يظهر أن هذه القصة - التي لا شك أنها وصلت عن طريق مصادر يهودية - كانت قد تأثرت بالإيرانية"¹.

يؤكد كارادي فو على منهجية التأثير التي يراها المستشرقون، ويؤكد أن التراث الهاجادي المتأخر هو المتأثر بالقصة القرآنية، لكن يتهم القرآن بالأخذ عن مصادر يهودية وتأثره بالأفكار الإيرانية، فهو يهدف إلى نزع أي أصالة عن القرآن الكريم، وأنه مقتبس متأثر بمن قبله، لا جديد له يذكر. ويبيّن ذلك على مجرد الافتراض بقوله (ومن المحتمل)، ولا يعرض أدلة أو يناقش القضية على أسس علمية، وهذا خلل منهجي في الدائرة بعرض فرضيات وهمية غير مدللة، ليتناقلها الناس على أنها يقينيات.

كما فعل في محاولة تحديد اسم بلقيس الذي لم يرد في القرآن الكريم، برده إلى "القصة اليهودية عن زواج سليمان بملكة سبأ، أو إلى اسم نوقليس وهو اللقب الذي أطلقه يوسفوس على ملكته، وهو التحريف الذي تفسره الكتابة العربية. (كما يحتمل) أن تكون بلقيس، هي نفسها أميرة من أميرات اليمن لم يرد اسمها في النقوش"². فهو يعتبر كل ذلك مجرد فرضيات واحتمالات، كما تحدّث عن أصلها من أنها ابنة ملك صيني، واعتمد على قول (زوتنبرغ) من أن أمها بلقمه اسم المعبودة الحميرية، ونقل أقوال بعض العلماء المسلمين في نسبها وأصلها والتي تبدو روايات من إنشاء القصاص والخباريين، ولا مجال للتأكد منها، وأشار كارادي فو في نهاية المادة إلى تأثر قصة هذه الملكة ببيئة الحبشة، وقد كانت تسمى باسم ماكدا. وهو ما جاء في نهاية مادة سليمان عليه السلام أيضاً.

اعتمدت كلتا المادتين (سليمان) و(بلقيس) على قصص الاخباريين و تفسيرات المستشرقين وفرضياتهم في ملأ فراغات القصة، وإشباع الفضول القصصي، والغريزة الأسطورية في الإنسان. ما جعل المادتين بعيدتين حقيقة عن أصل القصة القرآنية لعدم إيلاء المستشرقين أهمية لها، بالرغم من أنّها هي وحدها الحقيقة الثابتة في الفكر الإسلامي وإن أنكروا ذلك.

¹ موجز الدائرة، ج6، ص1855

² المصدر نفسه، ج6، ص1855

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وقد حفلت قصتي نبيا الله داوود وسليمان عليهما السلام في موجز الدائرة، بالكثير من الروايات الغريبة، التي تنزع عنهما ثوب العصمة، وتضفي على شخصيتهما طابع الأسطورة، وتنسب كل ما كان حقًا منهما إلى ما اقتبسهُ القرآن الكريم من الكتاب المقدس، وكل تفصيل جديد في قصتهما إلى تأثره بحكايات الأمم المجاورة خاصة الفارسية والهندية، وقد يكون ذلك بسبب انتشار مثل هذه الأخبار في التراث الإسلامي، ما دعم هذه الفكرة عند المستشرقين، فوجب تصفية التراث الإسلامي من هذه الأكاذيب، أو التنبيه عليها في بطون الكتب التي تحملها، حتى تظهر الحقيقة ويتبين الناس زيفها، ولا تكون حجة للمستشرقين للنيل من الإسلام

المبحث الرابع: قصص زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام

ختم الله تعالى النبوة في بني إسرائيل بثلاث أنبياء كانوا في عصر واحد، أولهم زكريا عليه السلام، الذي أرسل لبني إسرائيل على شريعة موسى عليه السلام، مذكرا لهم ما نسوه من الدين الحنيف، ثم عزز الله بابنه يحيى عليه السلام الذي كان مولده معجزة لبني إسرائيل، وختم بإرسال عيسى عليه السلام وأنزل معه الإنجيل هدى ورحمة لهم، وقد ذك الله في كتابه الكريم أنبياءهم الكرام وركز على جوانب من حياتهم، استخلص منها العبر والحكم، وأجلى حقائقها والزيف اللاحق بها خاصة وأن قصصهم قد وردت في في العهد الجديد من الكتاب المقدس، وهو ما انعكس على العقلية الغربية، فكيف عرض المستشرقون هؤلاء الأنبياء في دائرة المعارف الإسلامية؟

المطلب الأول: قصة زكريا عليه السلام

الفرع الأول: زكريا عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

جاء ذكر نبي الله زكريا عليه السلام ثمان مرات في عدة سور من القرآن الكريم، فقد ذكر على سبيل الإجمال مع باقي الأنبياء في سورة الأنعام في قوله تعالى ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^{٨٥} الأنعام: ٨٥

وذكرت قصته مفصلة في سورة مريم وآل عمران، وارتبطت قصته بقصة مريم عليها السلام، فقد كان هو كافلها قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُاَئِي لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^{٣٧} آل عمران: ٣٧

يقول الامام السعدي: " لأن الله تعالى قيض لها زكريا عليه السلام وكفلها إياها، وهذا من رفقته بها ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربها وفاقته النساء، وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها أي: مصلاها فكان دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا أي: من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها، فيقول لها زكريا ﴿أَتَىٰ لَكَ هَذَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فضلا وإحسانا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^{٣٨} أي: من غير حسابان من العبد ولا كسب¹، وهو القول الذي جعل زكريا عليه السلام يدعو الله تعالى ليمنحه ذرية طيبة ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^{٣٨} آل عمران: ٣٨

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص: 128.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وجاء في سورة مريم ذكر مناجاة زكريا عليه السلام معترفا بضعفه وكبر سنه، وأن الله لم يرده خائبا في دعائه، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْهَيْصَ ۝ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَدِيًّا ۝ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَدِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَاؤِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِهَا وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِئُنِي مِنَ الْعَدُوِّ أَنْ يَكُونُوا مِنِّي وَرِيئًا ۝ وَأَجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ۝﴾ مريم: ١ - ٦

قال الزمخشري في تفسير وهن العظم " وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه ، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن... وشبهه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار؛ ثم أخرجه مخرج الاستعارة¹. ثم بين زكريا سبب طلبه الولد يقول ابن كثير: " قيل المراد بالموالي العصبية، وكأنه خاف من تصرفهم بعده في بني إسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته، فسأل وجود ولد من صلبه يكون برا تقيا مرضيا، ولهذا قال: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ﴾ أي من عندك بحولك وقوتك ﴿ وَليًّا ﴾ أي في النبوة والحكم في بني إسرائيل: ﴿ وَيَرِئُنِي مِنَ الْعَدُوِّ أَنْ يَكُونُوا مِنِّي وَرِيئًا ﴾ يعني كما كان أبؤه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء فاجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمتمهم بها من النبوة والوحي وليس المراد ههنا وراثته المال².

فجاءته البشري على عجل ﴿ فَتَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ آل عمران: ٣٩، وجاء في سورة مريم ﴿ يَذْكُرِيَا إِنَّا نَبِّئُكَ بِمَا يَكُونُ لِمَنْ يَكْفُرُ أَصْحَابُ السُّورِ ۝ إِنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ عَنِ السُّورِ ۝ وَإِنَّا لَنُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۝﴾ مريم: ٧، فبشرته الملائكة بولد من صلبه اسمه يحيى لم يسم أحد قبله بهذا الاسم، مصدقا بعباسي كلمة الله، وسيدا شريفا في قومه، وحصورا أي ممتنعا عن الشهوات والذنوب، وسيكون من الأنبياء الصالحين.

وجاء في سورة الأنبياء قوله تعالى ﴿ وَرَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوَّجْنَاهُ بِمَرْيَمَ فَكَانُوا بِسُلُوكِ رَبِّهِمْ فِي الْحَيَاتِ وَدَعْوَانَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٩ - ٩٠، فدعا زكريا ربه أن لا يجعله وحيدا ويرزقه ورثا لعلمه ونبوته، فاستجاب الله دعاءه وأصلح له زوجة خلقا وخلقا، ذلك

¹ تفسير الزمخشري، مصدر سابق، ج3، ص4.

² ابن كثير، قصص الأنبياء، ص406.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

أنه كانوا يسارعون لفعل الخير، " وضموا إلى فعل الطاعات أمرين، أحدهما: الفرع إلى الله لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة من عقابه"¹.

وبعد البشرى شرع زكريا يستعلم متعجبا عن كيفية وجود الولد وهو الكبير السن، وزوجته عاقر ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عُقْلٌ وَمِثْلُ مَا يَكُونُ لِمَنْ وَكُنْتُ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ٩﴾ ﴿٨ - ٩﴾

ثم طلب زكريا علامة على ذلك ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ تِلْكَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾

وجاء في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿١٠﴾﴾ آل عمران: ٤١، فخرج زكريا على قومه فرحا مستبشرا يعتره سكت من غير مرض، وأوحى لهم بالإشارة أن يسبحوا الله صباح ومساء.

هذا ما ورد من قصة زكريا عليه السلام في القرآن الكريم، ولم يرد في السنة النبوية الصحيحة أحاديث عن زكريا عليه السلام غير ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: " كان زكريا نجارا"².

الفرع الثاني: زكريا عليه السلام في موجز الدائرة:

كتب مادة زكريا برنارد هيلر وترجمها خورشيد، وهي من المواد القصيرة في موجز الدائرة.

بدأ هيلر بتعريف زكريا بأنه أبو يحيى المعمدان، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ الأنعام: ٨٥، لكنه أخطأ في الترقيم فذكر أمَّا الآية 65. ثم ذكر أن القرآن "ينقل مضمون ما ورد في الآيات من 5-25 من الإصحاح الأول من إنجيل لوقا"³. وهي شبة عادة ما تبرز في قصص الأنبياء لتشابه ورود بعض الأحداث بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، والراجع إلى هذا الإصحاح يجده يتحدث عن زكريا وهو كاهن من فرقة أيبا، وزوجته أليصابات كانت عاقرا، كما كانا متقدمين في السن، ويوم أصابته القرعة ليدخل هيكل الرب ويبخر ظهر له ملاك الرب وبشّره بأنه سيكون له ولد وذكر له صفاته، فأراد زكريا أن يعلم كيف ذلك فأخبره جبريل أنه سيكون

¹ تفسير الخازن، مصدر سابق، ج3، ص242.

² رواه مسلم في صحيحه، باب الفضائل، كتاب فضائل زكريا عليه السلام، ج7، ص103، رقم الحديث: 6312.

³ موجز الدائرة، ج17، ص5275، ع2

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

صامتا إلى اليوم الذي سيكون فيه هذا، فخرج على قومه ولم يكلمهم فعلموا أنه رأى رؤيا وبقي يومئ لهم. وبعدها حملت أليصابات وأخفت نفسها خمسة أشهر

فالفكرة الأساسية في تبشير زكريا موجودة في القرآن والانجيل لكن التفصيل بينهما مختلف، فالقرآن الكريم يورد كفالة زكريا لمريم ودخوله عليها المحراب فوجد عندها رزقا ﴿هَذَا دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ﴾ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ آل عمران: ٣٨، لكن الانجيل لا يورد هذا الحدث، كما أن صمت زكريا في القرآن الكريم دام ثلاثة أيام فقط، لكن في إنجيل لوقا 1: 62-64 دام حتى اليوم الثامن من ميلاد يحيى التليلا "ثم أومأوا إلى أبيه، ماذا يريد أن يسمى. فطلب لوحا وكتب قائلا: اسمه يوحنا. فتعجب الجميع، وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله". كما أن هذا الصمت والإشارة كانت آية طلبها زكريا علامة على تحقق البشري في القرآن الكريم، لكن في الإنجيل ذكر أن سبب عقل لسان زكريا عن الكلام كان عقابا لشكوكه، وهو ما أورده المستشرق هيلر على أساس أنه توسع من القصص المتأخرة في الإنجيل. وأضاف أيضا أنها ذكرت أن جبريل هو الذي بشر زكريا، وأنها أسهبت في التفاصيل فذكرت قصة الاقتراع لكفالة مريم وارتفاع قلم زكريا فوق الماء.

وهذه الأحداث واردة في القرآن من غير تفصيل فيها، فقد جاء في سورة آل عمران أن الملائكة نادى زكريا، فجاءت بصيغة الجمع من غير تحديد للملاك، قَالَ تَمَّالِي: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ آل عمران: ٣٩، وقصة الاقتراع وردت في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ آل عمران: ٤٤ واستند هيلر على ما ورد في كتاب الثعلبي من أن زكريا اعتزل سدانة بيت المقدس، وأقيم عليها يوسف النجار، وأن زكريا كان يجد عند مريم فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف. وهو ما أورده بعض المصادر الإسلامية أيضا، فهو اجتهاد من بعض المفسرين، ولا دليل عليه من القرآن والسنة.

كما أشار هيلر إلى أن قصص المسلمين جعلت موت زكريا كالشهداء، على منوال ما ورد بالهاجادا عن استشهاد أشعيا، عندما انطلق زكريا بعد قتل يحيى التليلا ودخل في شجرة فانفتقت له ولكن هدب رداءه ظل خارج الشجرة، وخذعه ابليس ففطعت الشجرة مع زكريا¹، كما ذكر أن الهاجادا تورد أن دم زكريا ظل يغلي حتى قام قائد بختنصر برمي دم القربان، ودماء خير بني إسرائيل عليه ،

¹ موجز الدائرة، ج17، ص5275، ع2.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ولكنه لم يسكن إلا عندما أهاب به القائد فسكن، وذكر أنّ هذه الرواية في القصص الإسلامية تروى عن دم يحيى عليه السلام. فهي في العموم من الإسرائيليات التي يتوقف عندها.

والمادة عموماً موجزة وكان تركيزها على التشابه الكبير بين ما ورد في الإنجيل وما جاء في القرآن الكريم عن زكريّا عليه السلام، كما اعتمدت على الروايات الإسرائيلية لتعزيز هذه الفكرة.

المطلب الثاني: قصة يحيى عليه السلام

الفرع الأول: يحيى عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ذكر اسم يحيى عليه السلام في القرآن الكريم في أربع آيات، أثنى الله تعالى فيها على نبيه الكريم مع باقي الأنبياء قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^١ الأنعام: ٨٥، قال محمد أبو زهرة في تصنيف القرآن الكريم للأنبياء على حسب مجموعات بحسب ما جمعهم من صفات: "المجموعة الثانية: تمتاز بالروحانية والزهادة في الدنيا إلا ما يكون للحلال الصرف وهم زكريا ويحيى وعيسى وإيلاس"^١.

قد وكان يحيى عليه السلام دعوة أبيه زكريا المستجابة قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^٢ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ^٣ ﴿ آل عمران: ٣٨ - ٣٩، وتظهر في هذه الآيات أوصاف يحيى عليه السلام فقد كان ذرية طيبة لوالديه، ومصداً بكلمة من الله أي: مصداً بعيسى ابن مريم، فهو أول من آمن برسالته، ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^٣: أي ممنوعاً عن كل ما حُرّم عليه، أو ممنوعاً عن قمة الغرائز وهي الشهوة، وهو نبي، أي قدوة في اتباع الرسول الذي يحيى في عصره"^٢، وقال الإمام ابن كثير: "والمقصود أنه مدح يحيى بأنه حضور ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه...: أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن"^٣.

^١ زهرة التفاسير، مصدر سابق، ج 5، ص 2575.

^٢ تفسير الشعراوي، مصدر سابق، ج 3، ص 1445.

^٣ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج 2، ص 39.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

كما ذكر يحيى في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوَّجْنَاهُ
إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿١٠﴾ الأنبياء:
٩٠، فوصفه والديه بالخشوع أي: "خاضعين متذللين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم برهم" ¹. كما
عُرف عنهم المسارعة في الخيرات، واللجوء إلى الدعاء رغبة في رضا الله، ورهبة من غضبه.

كما أن من كمال البشرية يحيى أنه سمي باسم لم يسم به أحد قبله قَالَ تَعَالَى: ﴿يَنْزَكِرْنَا إِنَّآ
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴿٧﴾ مريم: ٧، قال الإمام الشوكاني: "وفي إخباره
سبحانه بأنه لم يسم بهذا الاسم قبله أحد فضيلة له من جهتين: الأولى: أن الله سبحانه هو الذي تولى
تسميته به ، ولم يكلها إلى الأبوين. والجهة الثانية: أن تسميته باسم لم يوضع لغيره يفيد تشريفه
وتعظيمه" ².

وجاء في سورة مريم الخطاب الرباني ليحيى قَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ
صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَيَرَىٰ بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَأَلْنَاهُ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ
وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ مريم: ١٢ - ١٥. قال ابن كثير: يا يحيى "تعلم الكتاب، ﴿بِقُوَّةٍ﴾
أي: بجد وحرص واجتهاد ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أي: الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على
الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه وهو صغير حدث" ³.

ورزق الله نبيه يحيى حنانا أي: رحمة منه استقامت بها أفعاله وصلحت أحواله، وكانت زكاة
وطهارة له من الذنوب، وكمالا في الأخلاق والتقوى، كما رزق برّ والديه على كبرهما، وكان متذلا
لله متواضعا للناس، قال السعدي: "فجمع بين القيام بحق الله، وحق خلقه، ولهذا حصلت له السلامة
من الله، في جميع أحواله، مبادئها وعواقبها، ﴿وَسَأَلْنَاهُ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ⁴.

ومما جاء في السنة النبوية عن نبي الله ﷺ ما رواه البخاري عن مالك بن صعصعة: أن نبي الله ﷺ
حدثهم عن ليلة أسري به " ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال:
جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما خلصت فإذا يحيى

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص530.

² فتح القدير، مصدر سابق، ج3، ص 381.

³ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص 216.

⁴ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص490.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وعيسى وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردًا، ثم قالوا: مرحبا بالأخ الصالح والنيي الصالح...¹.

وجاء في سنن الترمذي أن أبا سلام حدثه أن الحارث الأشعري حدثه أنّ النبي ﷺ قال: "إنّ الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها فإمّا أن تأمرهم، وإما أنا أمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقني بها أن يُخسف بي أو أُعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتألاً المسجد وتعدوا على الشرف، فقال: إنّ الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن، أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدِّ إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غيره سيده، فأئكم يرضي أن يكون عبده كذلك؟ وإنّ الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإنّ الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلُّهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم، وأمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله، قال النبي ﷺ وأنا أمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادّعى دعوى الجاهلية فإنّه من جثي جهنم، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلّى وصام؟ قال: وإن صلّى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سمّاكم المسلمين المؤمنين عباد الله"².

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا، ج4، ص163، رقم الحديث: 3430

² أخرجه الترمذي في سننه، باب الأمثال، باب مثل الصلاة والصيام والصدقة، ج5، ص148، رقم الحديث: 2863، وصحّحه الألباني، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب النهي عن الالتفات في الصلاة، ج2، ص64، حديث رقم: 930.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

هذا ما جاء في القرآن الكريم عن نبي الله يحيى، فلم ترد قصته ولا دعوته، وإنما ذكرت أوصافه وأنه بشرى لوالديه، كما لم يرد ذكر لوفاته ولا مكان دفنه فهي من مبهمات القرآن الكريم.

الفرع الثاني: يحيى عليه السلام في موجز الدائرة

كتب مادة يحيى عليه السلام المستشرق كارادي فو وترجمها عبد الرحمان الشيخ، وهي من المواد القصيرة فقد جاءت في ثلاثة أعمدة بمصادرها.

بدأ كارادي فو المادة بالتعريف بشخصية يحيى عليه السلام من خلال ربطه بتسميته في التوراة وهي يوحنا (جون) وأشار إلى كثرة وروده في القرآن الكريم في سياق الحديث عن عيسى عليه السلام، وباقي الأنبياء للتدليل على أن الله واحد لا شريك له. لكننا بالعودة إلى القرآن الكريم نجد أن يحيى ورد أربع مرات فقط بالمقارنة مع باقي الأنبياء الكرام، واتصل مرة واحدة في نفس الآية بعيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنعام: ٨٥، إلا إذا قصد ذكر التبشير بعيسى بعد التبشير بيحيى الذي ورد في موضعين، في سورة آل عمران وسورة مريم.

ثم أشار كارادي فو إلى ذكر ميلاد يحيى المعجز في الأناجيل مرتين، حيث أن زكريا وإليصابات والدته كانا قد بلغا من العمر عُتَيًّا واستدل بالآية 7 من سورة مريم¹، ولا يُعلم ما سبب ذكره للأناجيل في هذا الموضوع، إلا إذا كان تلميحا من أن الأناجيل سابقة للقرآن في ذكر هذا الإعجاز، وأن القرآن قد اقتبس منها، مع التنبيه إلى أن الاسم المذكور لوالدته في الأناجيل غير وارد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية بل مأخوذ من إسرائيليات أهل الكتاب.

ثم ذكر كاتب المادة صفات يحيى عليه السلام: فقد ظهرت حكمته في طفولته وكان مباركا، وكان لطيفا وطاهرا. واستشهد كارادي فو بقوله تعالى: ﴿يَلْيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَّءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَ صَبِيًّا﴾ مريم: ١٢، وعقب عليه بقوله: "ونفهم من هذا أن يحيى عليه السلام قد أوحى إليه أو تلقى كتابا موحى، لكن المفسرين يميلون إلى أن المراد بالكتاب في الآية هو التوراة، وأن يحيى لم يتلقَ رسالة خاصة، وإنما أتى ليؤكد كلمة الله أي عيسى عليه السلام. كما أن الزمخشري جعله ببساطة فهما خاصا للتوراة². وأغلب المفسرين على أن يحيى وزكريا عليهما السلام كانا مبشرين بعيسى عليه السلام،

¹ موجز الدائرة، ج32، ص10201، ع2.

² المصدر نفسه، ج32، ص10202، ع1

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

كما بين كارادي فو أن القرآن لم يتعرض لمعمودية يحيى أو وفاته، ثم اعتمد على رواية الطبري في ذكر قصة قتله، حيث أن هيرودوس سجن يحيى لأنه وبخه على فجوره مع هيروديا، التي خانت عهد زوجها الأول وحبكت الدسائس ضده مع أخيه هيرودوس، ما أدى إلى هروب زوجة هيرودوس إلى بيت أبيها، وغضبت هيروديا لأن يحيى منع هيرودوس من الزواج بها.

وبالعودة إلى تاريخ الطبري الذي اعتمد عليه المستشرق ليورد هذه الرواية نجد الطبري قد ذكر ثلاث روايات في مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام، أولهما عن ابن عباس وقد رفضها الطبري لأنها تخالف تاريخ بني إسرائيل من أن بختنصر هو من انتقم دم يحيى عليه السلام، والرواية الثانية هي التي استشهد بها كارادي فو وأصلها من النصارى، والرواية الثالثة عن ابن إسحاق وتذكر ملكا آخر اسمه خردوش سلطه الله على بني إسرائيل جراء قتلهم لنبيهم، وهو ما أشار إليه في آخر المادة عند نقله من كتاب المسعودي (مروج الذهب) الذي أشار إلى هذه الرواية، لكن انتقاء كارادي فو لرواية وتفصيلها دون باقي الروايات وذلك لموافقتها لما جاء في المسيحية ونسبتها للطبري انتقاء بحسب الخلفية وإتباع للهوى.

وقد نقل كارادي فو قول البعض أن المسيح أحيا يحيى عليه السلام بأمر الله ليكشف قاتله وهيروديا المحرصة. ولم يذكر مصدره ولم يأت بدليله فلا يمكن مناقشته.

كما ذكر رواية المسعودي عن هروب أم يحيى إلى مصر وذلك للخلاص من ظلم الملك، وعقب بأن الخبر منسوب إلى مريم في الانجيل وليس لأم يحيى. وهذه كلها من الأخبار المنتشرة عن بني إسرائيل وغيرهم، ولا يمكن الجزم بصحتها والوثوق بها، وتبقى روايتها من باب المأذون به فقط.

وختم كارادي فو المادة بالحديث عن قبر يحيى وقبر أبيه زكريا في المسجد الكبير بدمشق على حسب رواية ابن بطوطة، وقبور الأنبياء مما اختلف في تعيينه، فلا يمكن التحقق منها لغياب الدليل على ذلك.

وبالعموم فقد ذكرت قصة يحيى عليه السلام في موجز الدائرة مختصرة، وكانت عبارة عن إشارات خاطفة لميلاده وصفاته، وإتباعه للتوراة، وقصة مقتله وإشارة إلى قبره. اعتمدت في أكثرها على التاريخ والاسرائيليات.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

المطلب الثالث: قصة عيسى عليه السلام

الفرع الأول: عيسى عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية

ترتبط قصة عيسى في القرآن الكريم بقصة أمه مريم بنت عمران، الصديقة الطاهرة البتول، وقد ورد ذكر عيسى عليه السلام خمساً وعشرين مرة في القرآن الكريم، وورد ذكر اسم والدته مريم أحد عشرة مرة مفرداً، وثلاثة وعشرين مرة مقروناً بعيسى عليه السلام.

1. ميلاد مريم ونشأتها

تبدأ قصة مريم عليها السلام قبل ميلادها، فتصف الآيات الكريمة الاصطفاء الإلهي والرعاية الربانية لها، حيث نشأت في بيت الطهر والفضيلة الذي اختاره الله على العالمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتْ أُمَّرَأَتٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْزُجُ آتَىٰ لَكَ هَذَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

آل عمران: ٣٣ - ٣٧

وتروي لنا الآيات الكريمة ميلاد البتول مريم عليها السلام، وكيف أن والدتها الكريمة نذرت ما في بطنها لله تعالى وحررت له عباده، ثم تبين لها بأن وضعت مولودها أنثى، فسمتها مريم وأعادتها وذريتها من الشيطان الرجيم، وقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها". ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾¹

وتقبل الله تلك المولودة الطاهرة من أمها الكريمة، وأنبتها نباتاً حسناً "أي: جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً، ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم الخير والعلم والدين"². وقام نبي الله زكريا عليه السلام بكفالتها بعدما اقترع هو والأخبار على نيل شرف رعاية ابنة عمران

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا، ج4، ص164، رقم الحديث: 3431.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج2، ص 35

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُونَ أَفْلَاهُمْ أَنَّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ آل عمران: ٤٤

واشتهرت مريم في زمانها بتعبدها وتقواها وبركتها، فقد كان يدخل عليها زكريا المحراب فيجد عندها رزقا كريما فلما سألها مصدره، أخبرته أنه رزق من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب، هنالك طمع زكريا في رحمة الله ودعا أن يرزقه الذرية الطيبة مع كبر سنه، وحال زوجته العاقر.

2. تبشير مريم عليها السلام

وأرسل الله تعالى ملائكته يبشرون مريم الصديقة بمكانتها في العالمين ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٦﴾﴾ آل عمران: ٤٢ - ٤٣، وقد ورد في السنة الشريفة أحاديث كثيرة تؤكد ذلك، فعن علي عليه السلام يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: "خير نساءها مريم ابنة عمران وخير نساءها خديجة"¹، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: "كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".²

قال الإمام ابن كثير: "ثم أخبر تعالى عن الملائكة: أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والخضوع والسجود والركوع والدؤوب في العمل لها، لما يريد الله تعالى بها من الأمر الذي قدره وقضاه، مما فيه محنة لها ورفعته في الدارين، بما أظهر الله تعالى فيها من قدرته العظيمة، حيث خلق منها ولداً من غير أب"³. ثم بشرت الملائكة مريم عليها السلام بأعظم بشارة، وهي أنه سيهبها الله كلمته ورسوله عيسى ابن مريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٦﴾ وَيُكَذِّبُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٧﴾﴾ آل عمران: ٤٥ - ٤٦، وسمّاه (كلمة الله) "لأنه كان بالكلمة من الله، لأن حالته خارجة عن الأسباب، وجعله الله من آياته وعجائب مخلوقاته"⁴، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى إذ قالت الملائكة يا مريم، ج5، ص38، رقم الحديث: 3815.

² أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب وضرب الله مثلا للذين آمنوا، ج4، ص158، رقم الحديث: 3411.

³ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج، ص41.

⁴ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص130

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

لَهُوَ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ آل عمران: ٤٧ ، وسيكتب الله له الوجاهة وهي المكانة العظيمة في الدنيا بما أيده الله به من معجزات، "وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله عليهم"¹.

وتظهر قصة تبشير مريم عليها السلام وقصة ميلاد عيسى عليه السلام، أكثر تفصيلاً في السورة التي حملت اسم الطاهرة البتول، (سورة مريم)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا ﴿١٦﴾ فَأَتَتْهُمُ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِمَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴿ مريم: ١٦ - ٢١

وكانت مريم قد استقرت بيت المقدس، متفرغة لعبادة الله تعالى، فخرجت يوماً إلى مكان جهة الشرق، وتسترّت عن قومها وتوارت لبعض أمرها، فأرسل الله لها جبريل عليه السلام بصورة بشر "ووجهه تمثل الملك لها بشراً أمها لا تطيق أن تنظر إلى الملك وهو على صورته، فلما رآته في صورة إنسان حسن كامل الخلق قد خرق عليها الحجاب ظنّت أنه يريد بها بسوء، فاستعادت بالله منه"² كي لا يتعرض لها، وأخبرها جبريل بأنه رسول الله ليهبها الولد، فاستغربت كيفية الحمل بالولد، ولم تكن بالمتزوجة أو ممن يُعرفن بالزنا، فنفت عن نفسها الطريق الحلال والطريق الحرام الموصل للولد، وأجابها جبريل أن ذلك من تدبير الخالق وهو سهل عليه، ليدلّل "على كمال قدرة الله تعالى، وعلى أنّ الأسباب جميعها لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله، فيري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية لئلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مُقدِّرها ومسبِّبها"³، وليجعل الله تعالى علامة على قدرة الله ورحمة للناس. كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ الأنبياء: ٩١، وجاء في سورة التحريم ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتُمْ مِنَ الْفَائِزِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ التحريم: ١٢٥ وقد أجمل القرآن الكريم كيفية الحمل، لكن أشار إلى أن جبريل نفخ فيها فحملت بإذن الله تعالى، فكان حملها بعيسى بلا أب معجزة إلهية، وليس ذلك بمعجز لله تعالى، فقد خلق الله آدم من غير أب ولا أم

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج، ص 43.

² تفسير الشوكاني، مصدر سابق، ج 3، ص 387.

³ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 491.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن مَثَل عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ آل عمران: ٥٩ - ٦٠

3. ميلاد المسيح عيسى عليه السلام وكلامه في المهد

ثم تنتقل الآيات للحديث عن وضع مريم لوليدها وحالها في ذلك الوقت، والعناية الربانية التي كانت تحوطها قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿١٣﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّوَدِّيًّا ﴿١٤﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿١٥﴾ وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَافِرُ عَلَيْكَ زُبْطًا جَنِينًا ﴿١٦﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿١٧﴾ ﴿مريم: ٢٢ - ٢٦﴾، فلما حملت مريم بعيسى عليه السلام، اعتزلت قومها إلى مكان بعيد، حتى إذا حان وقت الوضع وجاءها الطلق ألقاها إلى جذع نخلة، وهي تعاني الآلام وحدها، ولخوفها مما سيتهمها به قومها تمت الموت قبل أن يحدث هذا، وأن لم يكن لها ذكر في الدنيا أبداً، فنادها وليدها عيسى عليه السلام يطمئنها ويرفع عنها الحزن، قال الإمام الطبري: "الذي نادها ابنها عيسى، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل، فردّه على الذي هو أقرب إليه أولى من ردّه على الذي هو أبعد منه. ألا ترى في سياق ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ يعني به: فحملت عيسى فانتبذت به، ثم قيل: فنادها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه. ولعلّه أخرى، وهي قوله ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ ولم تشر إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك، وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه، بمخاطبته إياها بقوله لها ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، وما أخبر الله عنه أنه قال لها: أشيري للقوم إليه، ولو كان ذلك قولاً من جبرائيل، لكان خليفاً أن يكون في ظاهر الخبر، مبينا أن عيسى سينطق، ويحتجّ عنها للقوم، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله"¹. فبشرها وليدها أن الله جعل تحتها جدولاً صغيراً لتشرب منه، وأمرها أن تهرّ جذع النخلة فيسقط منه رطب طري فتأكل منه، وأن تفرح وتطيب نفسها بولدها، وألا تكلم أحداً من البشر وتندر الصيام لله تعالى.

ثم حان وقت مواجهة مريم لقومها فحملت صغيرها وجاءهم به، فلما رأوها حدث ما كانت تخشاه الطاهرة العفيفة، فقد اتهمها قومها بالفاحشة، ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١٥٦، وإن داروا التصريح بذلك بأن استنكروا هذا الأمر الفظيع، مع ما عرفت عنها من صلاحها وعفتها، ومن أنها كانت من بيت طيب طاهر قال تعالى: ﴿فَأَنتَ بِهِ فَمَهَا حَمَلُهَا قَالُوا يَكْرِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٧٧﴾ يَا نُحُوتَ هٰؤُلَاءِ مَا كَانَ آبَاؤُكُمْ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَعِيًّا ﴿٧٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج18، ص 175-174

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٧﴾ مريم: ٢٧ - ٢٩. قال الإمام ابن كثير: ﴿يَأْتِيَتْ هَارُونَ﴾ أي يا شبيهة هارون في العبادة¹، وقد جاء في صحيح مسلم عن المغيرة ابن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون ﴿يَأْتِيَتْ هَارُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: "إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم"².

فأشارت مريم لعيسى ﷺ وهو رضيع بين يديها حتى يكلموه، فاستنكروا ذلك منها، وإذا بالرضيع ينطقه الله تعالى، عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: "لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج...³، وهذه المعجزة كان فيه تقرير حقائق جليلة عن عيسى ﷺ، ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٢٨﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢٩﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا سَقِيمًا ﴿٣٠﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٢﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٣﴾﴾ مريم: ٣٠ - ٣٥

وبدأ عيسى ﷺ بتقرير الحقيقة الأولى وهو كونه عبدا لله تعالى، وليس كما تقول النصارى بأنه إله أو ابن الله، ثم أخبرهم بأنه سيكون نبيا وله كتاب، وأن الله منحه البركة في كل شيء، ثم قال "وأوصاني بالقيام بحقوقه، التي من أعظمها الصلاة، وحقوق عباده، التي أجلها الزكاة، مدة حياتي، أي: فأنا ممثل لوصية ربي، عامل عليها، منفذ لها، ووصائي أيضا، أن أبر والدي فأحسن إليها غاية الإحسان، وأقوم بما ينبغي له، لشرفها وفضلها، ولكونها والدة لها حق الولادة وتوابعها... بل جعلني مطيعا له خاضعا خاشعا متذللا متواضعا لعباد الله، سعيدا في الدنيا والآخرة، أنا ومن اتبعني"⁴، ثم نوه بكرامته عند الله بأن أحلّ السلامة يوم مولده، ويوم موته ويوم مبعثه، قال الإمام ابن كثير في هذا: "إثبات منه لعبوديته لله ﷻ، وأنه مخلوق من خلق الله يجيا ويموت ويُبعث كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص 226.

² أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء، ج6، ص 171، رقم الحديث: 5721.

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، ج4، ص 165، رقم الحديث: 3436.

⁴ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 492.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد¹، فهذا هو عيسى عليه السلام وهذه قصة مولده الصادقة التي يماري فيها أهل الكتاب ويختلفون فيها.

4. معجزات المسيح عليه السلام

ولا يحدثنا القرآن الكريم بعدها عن طفولة المسيح عيسى عليه السلام ولا عن شبابه، ويطويها عنا حتى أرسله الله نبياً لبني إسرائيل، قَالَ تَمَّالٌ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ وَآيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾ البقرة: ٨٧، فقد آتاه الله تعالى عيسى عليه السلام بالبينات وهي المعجزات البينات ومنها الإنجيل، الدالة على صدقه، وَقَالَ تَمَّالٌ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥٦﴾﴾ المائدة: ٤٦، وَقَالَ تَمَّالٌ: ﴿* تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ وَآيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾ البقرة: ٢٥٣ قال الإمام السعدي: "وأيدناه بروح القدس أي: بالإيمان واليقين الذي آتاه به الله وقواه على ما أمر به، وقيل آتاه بجبريل عليه السلام يلازمه في أحواله"²، وقال الإمام الطاهر ابن عاشور: "إنما وُصِفَ عيسى بهذين مع أنّ سائر الرسل أُيِّدُوا بالبينات وبروح القدس، للردّ على اليهود الذين أنكروا رسالته ومعجزاته، وللردّ على النصارى الذين غلّوا فرعموا ألوهيته"³.

فأرسل الله تعالى المسيح عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل ليدعوهم إلى الله، وأقام معه المعجزات الدالة على صدقه قَالَ تَمَّالٌ: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُتْبِعُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْيَاتٍ لِّمَنْ لَّكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٧﴾﴾ آل عمران: ٤٩ - ٥١

فكان يصنع لهم الطير وينفخ فيه فيكون طائرا ويشفي الأعمى والأبرص، ويحي الموتى، وينبتهم بما هو مدّخر في بيوتهم وما كانوا يأكلونه بما لم يعاينه هو، وهذا من باب العلم بالغيب "وأى آية أعظم من جعل الجماد حيوانا، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها، وإحياء الموتى، والإخبار بالأمور الغيبية، فكل واحدة من هذه الأمور آية عظيمة بمفردها، فكيف بها إذا اجتمعت وصدّق

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص230.

² تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 109

³ تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج3، ص9.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

بعضها بعضها؟ فإنها موجبة للإيقان وداعية للإيمان¹. وقد امتنَّ الله على عيسى عليه السلام بهذه الآيات البينات وغيرها قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي ابْنَ مَرْيَمَ أُذْكَرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تُخَاطَبُ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرَجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ المائدة: ١١٠

وكانت هذه الدلائل المعجزة لبيان أساس دعوة المسيح عليه السلام، وهي عبادة الله واتباع صراط الحق المستقيم، لكن الكافرين جعلوا هذه الآيات البينة مجرد سحر واضح، فكفاه الله شرهم وحماهم من تدبيرهم. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُواهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١١١﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلْيَاسَ ﴿١١٢﴾ الزخرف: ٦٣ - ٦٥.

5. الخواريون ونزول المائدة من السماء

وعندما أدرك عيسى عليه السلام إصرار بني إسرائيل على الكفر، طلب من الخواريين أن ينصروه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّآ مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ آل عمران: ٥٢ - ٥٣، وكان هذا بفضل الله تعالى قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِئِ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّآ مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ المائدة: ١١١

وانفرد القرآن الكريم عن الكتاب المقدس بذكر حادثة وقعت مع الخواريين، هي نزول مائدة من السماء، بما سميت سورة (المائدة) في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ لِيَعْقِبِي ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ المائدة: ١١٢ - ١١٥

وقد طلب الخواريون هذه المائدة لحاجتهم لها وفقدهم، "فليس قول الخواريين المحكي بهذا اللفظ في القرآن إلا لفظاً من لغتهم يدل على التلطف والتأدب في السؤال، كما هو مناسب أهل الإيمان

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 131.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

الخالص. وليس شكاً في قدرة الله تعالى ولكنهم سألوا آية لزيادة اطمئنان قلوبهم بالإيمان بأن ينتقلوا من الدليل العقلي إلى الدليل المحسوس، فإنّ النفوس بالمحسوس آنس¹ فنّبهم عيسى عليه السلام أن يتقوا الله، ولا يسألوه الآيات حتى لا تكون لهم فتنة، لكنهم وضحو له أن يتّهم أن يأكلوا منها، ويزيد يقينهم بصدق دعوته، ويشهدوا على ذلك عند من لم يحضرها من بني إسرائيل. فتضرع عيسى عليه السلام إلى الله لتلبية طلبهم، وتكون هذه المائدة عيداً لهم وآية على قدرة الله تعالى، فأنزله الله عليهم وتوعّد من يكفر بها بالعذاب الشدي

6. تصحيح العقائد الباطلة في المسيح

بعد هذه المعجزة تورد الآيات الكريمة حواراً بين الله تعالى وعيسى عليه السلام، كان بعد رفع الله لعيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبُ بِنُحُوتِ ابْنِ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ الْهَيْمِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَقَدْ عَلِمْتَهُ نَعَلِمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ المائدة: ١١٦ - ١١٨

وقد سأل الله تعالى عيسى عليه السلام هذا السؤال حتى تكون إجابته توبيخاً وتقريعاً للنصارى الذين اتخذوا المسيح عليه السلام إلهاً من دون الله. "لقد جاء هذا التوضيح الإلهي للحقيقة في صورة هذا الحوار بين الله ﷻ ورسوله عيسى عليه السلام، بعد أن وضع بنو إسرائيل رسولهم في المحنة، وعرضوه للامتحان الرهيب أمام الله، وأمام نفسه²، وذلك بعد أن جاءهم بالمعجزات الدالة على نبوته، فقدسوه إلى أن جعلوه إلهاً، ومنهم من قال بأنّه ثالث ثلاثة، وقد كان ردّ المسيح في منتهى الأدب فقد "أخبر بكلام ينفي عن نفسه، أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزّه ربه عن ذلك أتم تنزيهه، وردّ العلم إلى عالم الغيب والشهادة. ثم صرّح بذكر ما أمر به بني إسرائيل³، من إخلاص العبادة لله، ثم وكّل أمر العباد لله تعالى إن شاء عذبهم أو رحمهم. وهو اعتراف صريح من المسيح عليه السلام بأنّه بشر رسول خاضع لأمر الله تعالى، يسعى لهداية البشر، ولا يمكنه حسابهم.

¹ تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج7، ص 105.

² أحمد جمال العمري، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط1، 1986م،

ص354

³ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 249.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

وهو المعنى الذي أدركه الرسول ﷺ ، ولهج لسانه بمقولة عيسى عليه السلام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَسَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٤ . فأول من يكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَكَمَا تَوَقَّيْتِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ المائدة: ١١٧¹

وقد أكد القرآن الكريم كفر النصارى الذين قالوا بالتثليث، وبرأ المسيح مما اتهموه به قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة: ١٧، فإن أراد الله أن يفني المسيح وأمه ومن في الأرض جميعا من يقدر أن يمنعه، والفناء من صفات المخلوق، والله هو الملك الخالق، والقادر على كل شيء.

وقال تعالى في موضع آخر ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي سَرَايِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ المائدة: ٧٢، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آفلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُوا لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ الطَّعَامِ أَنْظَرُكَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ المائدة: ٧٢ - ٧٥، فبين الله تعالى بطلان عقيدة النصارى الذين جعلوا المسيح هو الله، مع أن المسيح عليه السلام أمرهم بعبادة الله وحده ربهم وربهم، وهذا اعتراف منه بعبوديته لله تعالى، وأنذرهم عاقبة ظلمهم وكفرهم، كما أبطل عقيدة من جعل الله ثالث ثلاثة وهو ما يعرف بالأقانيم الثلاثة (الأب، الابن، روح القدس)، ثم دعاهم إلى التوبة، والاستغفار، وبيّن لهم حقيقة المسيح بأن مهمته ابلاغ الرسالة فقط، أما مريم فهي في درجة الصديقين فقط، ولأنهما من البشر فهما بحاجة إلى الطعام، فكيف لمن كان يحتاج أن يصبح إلهًا، وهو دليل يثير أبسط العقول للتفكير به، لكنهم يصرون على الكذب والكفر.

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها، ج4، ص 167،

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

كما أبطل الله تعالى قول من جعل لله ولدا على اختلاف أديانهم، منهم النصارى الذين جعلوا عيسى ابنا لله تعالى، وهو مما تنفوه به ألسنتهم ولا يقدمون عليه دليلا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِيُّ بْنُ أَبِي اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنْزَلَ يُؤَفِّكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ التوبة: ٣٠ - ٣١، وكان ذلك لاتباعهم رهبانهم الذين بالغوا في تقديسهم، فأصبحوا يُجِلُّون لهم ما يريدونه ويُحَرِّمون عليهم ما يشاءون، وقد ثبت في الصحيح عن ابن عباس سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله"¹. وتؤكد الآيات بعدها العقيدة الصحيحة التي أمرهم بها المسيح نفسه وهي توحيد الله تعالى والإخلاص له.

كما نهى الله تعالى عن الغلو في الدين، فبينما أنكر اليهود نبوة عيسى كلية وكذبوه وعادوه، غالى النصارى في تقديسه حتى جعلوه إلها، والحق أن المسيح رسول من الله مؤيد بمعجزات من الله تعالى، كان خلقه بكلمة من الله تعالى (كن فكان)، وكان بنفخة من جبريل فأُتد بروح القدس، فهو عبد لله تعالى ولن يمتنع المسيح أن يعبده كما أن الملائكة وكل ما في الكون يعبده، لكن الكافرين يصدون عن الحق، فلهم جزائهم عند الله. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿٧٢﴾ النساء: ١٧١ - ١٧٢.

وقد جاء عن عبادة صلى الله عليه وسلم: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"². وهي الحقيقة التي يعتقد بها المسلمون ويرفضون ادعاءات النصارى في المسيح، لأنها كفر صريح. كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الاعتقاد الصحيح

¹ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا، ج4، ص167، رقم الحديث: 3445

² أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ج4، ص165، رقم الحديث:

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

في عيسى فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (... وإذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران...¹ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات² ليس بيني وبينه نبي"³ . أي أن النبي ﷺ هو أقرب الناس لعيسى عليه السلام، وهو أحق بالإيمان به لأنه بشر به ولم يكن بينهما نبي. فالمسلمون يؤمنون بنبي الله عيسى عليه السلام ويحترمون أمه، كما يؤمنون بكل أنبياء الله ويحترمونهم، ولا يرفعون قدرهم فوق النبوة أبدا.

وجاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين حقيقة دعوة المسيح عليه السلام، والاختلاف الحاصل بين أتباعه من بعده، والتحريفات التي ألزموها بها أنفسهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَبِّي إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٥﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ ﴿٦٦﴾ الزخرف: ٦٣ - ٦٥، وحرص القرآن الكريم على إبراز حقيقة المسيح عليه السلام وذكر قصة ميلاده، لتصحيح التحريف الواقع عند النصارى وللتأكيد على أن عيسى عليه السلام ما هو إلا بشر رسول، حُلق كما خلق آدم، فإن كان خلق عيسى بلا أب يمنحه أن يكون لها أو ابن إله، فالأولى منحهما لآدم كونه مخلوقا بلا أب ولا أم، وكان أصله من تراب وبكلمة كن، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥١﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥٢﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٤﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ آل عمران: ٥٩ - ٦٣

وبعدما عرض القرآن الكريم قصة عيسى وأبطل عقائد النصارى فيه، وبيّن لهم الدلائل والآيات فيه، أمر الله تعالى رسوله الكريم أن يدعو كل من يرفع المسيح عليه السلام عن درجة العبودية والرسالة إلى المباهلة كما حدث مع وفد نصارى نجران الذين تراجعوا خوف أن تحلّ عليهم اللعنة وعلى ذريّتهم، فما جاء به القرآن هو القصص الحق من عند الله تعالى.

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، ج4، ص166، رقم الحديث: 3446

² أولاد علات: هم الأخوة لأب واحد من أمهات مختلفة، والمعنى: أن شرائعهم متفقة من حيث الأصول، وإن اختلفت من حيث الفروع حسب الزمن، وحسب العموم والخصوص. ينظر: صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1987م، ج3، ص1270

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، ج4، ص166، رقم الحديث: 3439

7. رفع المسيح عليه السلام

وهذه الافتراءات وقعت بعد أن نال عيسى عليه السلام أذى كثير من بني إسرائيل كمن سبقه من الأنبياء، حتى بيّنوا قتله ودبروا المكائد لذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ ۗ﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ آل عمران: ٥٤ - ٥٥، يخبر الله تعالى أنه حمى نبيه الكريم من مكر اليهود، بأن توفاه ورفعاه إليه، وطهره من أفعالهم الدنيئة، واختلف المفسرون في معنى قوله تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فمنهم من قال: أن في الآية تقديم وتأخير، أي رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي لك آخر الزمان.

ومنهم من قال: متوفيك أي قابضك، وهو حي، ورافعك من الأرض. ومنهم من قال: إن التوفي هنا بمعنى الموت الحقيقي، فالله تعالى قبض روح عيسى عليه السلام، ثم رفعه إليه. والقول الرابع الذي فسّر التوفي بمعنى النوم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الزمر: ٤٢، وهو الذي عليه جمهور العلماء.

ويردّ القرآن الكريم على ما ادّعاه اليهود من قتلهم لعيسى عليه السلام بصلبه ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ النساء: ١٥٧ - ١٥٩

فقد نجّى الله تعالى نبيه الكريم بأن ألقى شبهه على غيره، ونقل القرآن اختلافهم وشكهم في قتلهم لعيسى عليه السلام، قال الإمام الشوكاني: "وذكر اليقين هنا لقصد التهكم بهم لإشعاره بعلمهم في الجملة"¹، وذلك أن الله لم يمكنهم منه ورفعاه إليه، وقد ورد في البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله التقى بعيسى عليه السلام في السماء الثانية، فعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "...ثم صعد حتى إذا أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الحالة، قال:

¹ فتح القدير، مصدر سابق، ج1، ص616.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردًا ثم قالوا: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح¹، وهذا ما يؤكد رفعه بجسده وروحه وعليه جمهور العلماء.

8. نزول عيسى يوم القيامة

ثم ذكر أن من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من سيؤمن به قبل موته، ويشهد عليهم يوم القيامة، وهي الآية التي استشهد بها جمهور العلماء على نزول عيسى قبل يوم القيامة كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها"². ثم يقول أبو هريرة وقرأوا إن شئتم ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ النساء: ١٥٩، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم"³،

وقد تضافرت الأحاديث على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، على اختلاف ألفاظها واتفاق معانيها، كما ذكر المفسرون أن نزول عيسى عليه السلام من علامات الساعة في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لِعَامِلٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون ﴾ الزخرف: ٦١. قال الإمام السعدي: "أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة، وأن القادر على إيجاده من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم، أو إن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة"⁴. وقد جاء في صحيح مسلم عن حذيفة الغفاري: قال اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر: الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام...⁵

وقد وردت هذه الآية في معرض الحديث عن موقف قريش من عيسى عليه السلام، بعدما قرأ الرسول ﷺ عليهم قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ الأنبياء: ٩٨، فاستهزؤا به بقولهم أليس النصارى يعبدون المسيح وأنت تقول كان نبيا وعبدا صالحا،

¹ أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج، ج4، ص 163، رقم الحديث: 3430

² أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى عليه السلام، ج4، ص 168، رقم الحديث: 3448.

³ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى عليه السلام، ج4، ص 168، رقم الحديث: 3449.

⁴ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص 768.

⁵ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ج8، ص 178،

رقم الحديث، 7467

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

فإن كان في النار فقد رضينا أن نكون نحن وأهلتنا معه، وظنوا أنهم بذلك قد حاجوا الرسول ﷺ، "فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته... ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه السلام قوله تعالى ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلْهَمْنَا حَيْرًا أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ اتَّعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾﴾ الزخرف: ٥٧ - ٦٠" ¹.

9. التبشير بمحمد ﷺ

وما ذكر من دعوة عيسى عليه السلام تبشيره بالنبي محمد ﷺ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦١﴾﴾ الصف: ٦، وذكر القرآن الكريم أن النصارى يجدون صفاته مكتوبة في الإنجيل ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الأعراف: ١٥٧

كما ورد في الإنجيل بعض صفات المؤمنين الذين يتبعون الرسول محمد ﷺ، وهي صفات يعرفها النصارى، وقد كان يبحثون عنها ويتلمسونها في أصحاب رسول الله ﷺ وقد أقر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سُجَّدًا يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَجٍ أُخْرِجَ شَطَطُهُ. فَأَزْرَهُ فَأَسْتَعْلَظَ فَأَسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يُعْجَبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ الفتح: ٢٩، فكان مثل أصحاب محمد كزرع أخرج شطته أي "فراخه فنبت في جوانبه... فَأَزْرَهُ: أي ساواه في الطول... فاستغلظ: أي صار ذلك الزرع غليظاً بعد أن كان رقيقاً، وقوله فاستوى: أي استتم وتكامل على سوقه أي على قصبه" ² فأصبح بحال تعجب الزراع وتفرحهم لحسن منظره واستوائه.

قال الامام الطبري: "فهو مثل ضربه لأهل الكتاب إذا خرج قوم يبتون كما يثبت الزرع فيبلغ فيهم رجال يأمرن بالمعروف، وينهون عن المنكر، ثم يغلظون، فهم أولئك الذين كانوا معهم. وهو مثل

¹ تفسير المراغي، مصدر سابق، ج25، ص 102

² تفسري الشنقيطي، مصدر سابق، ج7، ص460.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ضربه الله محمد ﷺ يقول: بعث الله النبيّ وحده، ثم اجتمع إليه ناس قليل يؤمنون به، ثم يكون القليل كثيرا، ويستغلظون، ويغيظ الله بهم الكفار"¹.

ولم يرد في القرآن الكريم وصف لعيسى عليه السلام، لكن وردت أحاديث في السنة الصحيحة جاء فيها وصف النبي ﷺ لعيسى عليه السلام، منها ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ليلة أسري بي "... ولقيت عيسى - فنعته النبي ﷺ فقال - ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس - يعني الحمام - ..."²، والربعة: أي لا قصير ولا طويل، ولونه يميل إلى الحمرة، وهو في غاية النظارة والإشراق، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: "رأيت عيسى وموسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر..."³، والجعد أي في شعره انثناء. وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال: عُرض عليّ الأنبياء... ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبا عروة بن مسعود..."⁴.

وقال عبد الله ابن عمر: ذكر النبي ﷺ يوما بين ظهرائي الناس المسيح الدجال فقال: "إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال، تضرب لِمَتُّه بين منكبيه، رجل الشعر يقطر رأسه ماء، واضعا يديه على منكبي رجلين، وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا هذا المسيح ابن مريم، ثم رأيت رجلا وراءه جعدا قططا أعور العين اليمنى كأشبهه من رأيت ببن قطن واضعا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ قالوا المسيح الدجال"⁵. واللثة هي الشعر الذي جاوز شحم الأذنين، رجل الشعر: أي منبسط الشع ليس مجعد، وقد حرص رسول الله ﷺ على بيان صفة المسيح عيسى عليه السلام وصفة المسيح الدجال، ليفرق بينهم المؤمنين إذا نزل المسيح، فيتبعوا عيسى عليه السلام، ويحذروا من الدجال.

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج22، ص269.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، ج4، ص166، رقم الحديث: 3437

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، ج4، ص166، رقم الحديث: 3438

⁴ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب الاسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات، ج1، ص106، رقم الحديث: 441

⁵ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، ج4، ص166، رقم الحديث: 3439

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ومما ذكر عن سجية عيسى الطاهرة، المؤمنة بالله تعالى ما رواه البخاري عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: "رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنتُ بالله وكذبتُ عيني"¹، فقدّم المسيح حلف الرجل بالله، وكذّب عينه إجلالاً وتعظيماً لله تعالى.

هذا مجمل ما ورد في القرآن الكريم عن قصة عيسى ﷺ، وكان تركيز القرآن الكريم على بيان اصطفاء عيسى ﷺ وذكر قصة مولده للبرهنة على بشريته، ولتبرئة مريم عليها السلام. كما فنّد القرآن الكريم كل افتراءات النصارى في تأليه عيسى ﷺ، وعزّز ذلك بذكر المعجزات التي أيده الله بها، كما وافقت السنة النبوية كثيراً من الآيات القرآنية في الحديث عن المسيح ﷺ، ولقد حملت قصة عيسى ﷺ الكثير من الحكم والمواعظ، أولها ما يخصّ العقيدة وإخلاص العبادة لله تعالى، وأن الله يمنح عباده المخلصين ما يمكنهم من معجزات وكرامات لا ترفع قدرهم عن البشرية، كما حدث مع مريم عليها السلام، ومع عيسى ﷺ، كما تنبّه قصة المسيح إلى عدم الغلو في الدين، وتشير إلى دور الأنصار (الحواريين) في نصرته الدعوة.

الفرع الثاني: قصة عيسى ﷺ في موجز الدائرة

كتب مادة عيسى ﷺ في موجز الدائرة المستشرق (جورج شحاتة قنواقي) وترجمها (عبد الرحمان الشيخ)، وهي من الحجم المتوسط وأحسن كاتب المادة بتقسيمها إلى عدة أقسام، أعطى كل منها عنواناً، ليسهل الاطلاع على الفكرة بدقة والإحاطة بالمواضيع القريبة من الموضوع.

بدأ الراهب والمفكر المصري (قنواقي) مادة عيسى بتعريفه بقوله: "هو الاسم الذي أطلقه القرآن الكريم على المسيح يسوع، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في ثلاث وتسعين آية، تضمنتها خمس عشرة سورة"². ثم يقرّ أن العقيدة الإسلامية في المسيح تقوم على هذه الآيات، غير أن هناك إضافات في التراث الإسلامي عن طفولة المسيح أصلها الأبوكريفا³ قربت وجهات النظر بين المسيحية والإسلام

¹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، ج4، ص 167، رقم الحديث: 3444

² موجز الدائرة، ج24، ص7526، ع2

³ الأبوكريفا هي الكتب غير المعترف المشكوك في صحتها، والتي كان هناك جدل حول إضافتها للتوراة. انظر موجز الدائرة، ج24، ص 7527

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

حول طبيعة المسيح ورسالته. وانطلاقاً من هذه البداية سيكون منهج الكاتب في المادة هو السعي لدعم هذه الفكرة والترويج لها.

فتحت عنوان أصل كلمة عيسى، سرد قنوتي آراء الكتاب الغربيين حول أصل هذه الكلمة، والتي انقسمت إلى ثلاث اتجاهات:

- فيرى كل من مراثشي¹ ولاندوار² ونولدكه أن اليهود هم الذين زيّتوا لمحمد ﷺ إطلاق اسم عيسى على المسيح، وأتته فعل ذلك بحسن نية، والحقيقة أن اليهود كراهية منهم للمسيح قد أطلقوا عليه اسم إساو Esau، على اعتبار أن روح إساو هذا قد حلت به، وقد أيّد لامنس هذا الرأي³.
- ويرى كل من ديرنبورغ⁴ وفرانكل⁵ وفولر⁶ أن كلمة يسوع مشتقة من السريانية (يشوع) التي أخذت من العبرية (يشوع).
- ويرى بعض الباحثين لم يحدد قنوتي، أن اسم عيسى الوارد في القرآن ورد ذكره في النقوش السابقة على الإسلام، ومن الباحثين من رفض ذلك.

إنّ أول ما ورد ذكر عيسى كان في الفترة المكية، حيث لم يكن هناك اتصال لليهود مع الرسول ﷺ، وليس في مكة أي أثر لليهود، باعتراف المستشرقين أنفسهم، وهو تؤكد المصادر التاريخية، وفي

¹ مراثشي Marracci (1700-1612): انضم إلى رهينة المردي ديو، وأصبح من علمائها وتعلّم العربية وعلمها، من آثاره: دراسة عن الإسلام (1691م)، عاون على ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية (1671م)، ينظر العقيلي، مصدر سابق، ص 631-632.

² لاندوار S.Landauer (1937-1846م): نشر مقالة في النفس لابن سينا، متنا وترجمة وتعليقا، والامانات والاعتقادات لسعديا 1881م، ينظر العقيلي، مصدر سابق، ص 752.

³ موجز الدائرة، ج 24، ص 7527، ع 1.

⁴ جوزيف ديرنبورغ J. Derenbourg (1895-1811م): من كبار علماء العربية والعبرية، عمل مصححا في المطبعة الوطنية في باريس، عُني بالتلمود عناية شديدة، من آثاره: أمثال لقمان، كتاب الملع. ينظر: العقيلي، مصدر سابق، ص 205-206.

⁵ فرانكل S.Franenkel (1909-1855): تخرج باللغات الشرقية على يد نولدكه، سمي أستاذ لأصل اللغات في جامعة برسلاو، من آثاره: الكلمات الأجنبية في القرآن، الإسلام ومحمد، الكلمات الدخيلة من الآرامية على العربية القديمة ينظر العقيلي، مصدر سابق، ص 719.

⁶ فولر Vollers (1857-1909): أستاذ اللغات الشرقية بجامعة فيينا، من آثاره: سيرة ابن طولون، القرآن بلهجة مكة الشعبية، الأدب العربي... ينظر: العقيلي، مرجع سابق، ص 634.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

مكة نزلت سورة مريم، التي تليت على ملك الحبشة، وفيها قوله تعالى ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ مريم: ٣٤، كما ورد في قوله تعالى في سورة الزخرف المكية قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْصِيَاءَهُ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ﴾ وفي سورة الأنعام المكية قَالَ تَعَالَى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنعام: ٨٥، وفي سورة الشورى وهي مكية قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ الشورى: ١٣

وبالنسبة لأصل الاسم فقد اختلف العلماء حوله وأغلبهم على أنه معرب ليشوع، ومعلوم الاختلاف الحاصل في تعريب الكلمات، لكنّه الاسم الذي ذكره الله تعالى لنبيه الكريم، قال ابن منظور: "عيسى اسم المسيح صلوات الله على نبينا وعليه وسلم قال سيبويه عيسى فَعَلَى وليست ألفه للتأنيث إنما هو أعجمي... وقال الجوهري عيسى اسم عبرانيّ أو سُرياني... قال الزجاج عيسى اسم عَجَمِيّ عِدْلٌ عن لفظ الأعجمية إلى هذا البناء وهو غير مصروف في المعرفة لاجتماع العجمة والتعريف فيه"¹.

أما ما جاء على لسان المستشرقين من أن اليهود زينوا لمحمد اسم عيسى لأنهم كانوا يكرهون المسيح، فنسبوه إلى عيسو أخ يعقوب عليه السلام، لأن عيسو كان مرفوضاً من الله في نظرهم لعدم طاعته لله فقد باع بكريته، وتزوج بالكنعانيات (أي نساء من الأمم) رسالة رومية 9: 13، (عبرانيين 12: 16. فهذه الرؤية لا أساس لها لأنّ الاسم من الله تعالى منزل الوحي على أنبياءه، وإيجاد علاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اليهود خاصة في مكة تنفيه الدراسات التاريخية، كما أن لغة الإنجيل الأصلية التي كُتبت بها هي اليونانية وفيها يذكر المسيح باسم (أيسوس) والأقرب إليها إلى العربية (عيسى)، لأن العين العربية هي (حرف أ) في اليونانية، ومن عادة الأسماء اليونانية انتهاءها بالسين، أما (يسوع) فهو الترجمة العربية من الكلمة العبرية (يشوع)، والتي تعني المخلص. ويبقى اسم عيسى هو الاسم الذي منحه الله لرسوله، ويبقى القرآن الكريم هو أصدق الكتب وأصحها، وآراء المستشرقين مجرد فرضيات لا قيمة لها أمام اليقين الحق.

ثم أحصى قنواتي بعدها أسماء المسيح في القرآن الكريم وعدد مرات ذكرها والسور الوارد فيها الاسم. وهذه الأسماء هي المسيح 11 مرة، النبي مرة واحدة، الرسول: 3 مرات، ابن مريم 33 مرة منها 16 مرة (عيسى ابن مريم)، و 17 مرة بـ (ابن مريم) فقط أو مع لقب آخر.

¹ لسان العرب، مصدر سابق، ج6، ص 152

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ويمكن تفصيل هذه الأسماء على أنّ اسمه هو (عيسى عليه السلام)، ولقبه هو (المسيح)، وكنيته هي (ابن مريم)، وتسميته بالنبي والرسول نسبة لمهمته الشريفة.

وانطلاقاً من هذا عقد قنواقي مقارنة بين تعداد هذا الاسم في القرآن والانجيل، التي لم يذكر اسم ابن مريم إلا مرة واحدة. ثم يحاول إرجاع سبب استعمال القرآن لهذا الاسم في رأي بعض الباحثين المسيحيين الذي يجعلون دخول هذا الاسم عن طريق الكنيسة الاثيوبية بعد عودة المجموعة الثانية من المهاجرين. كما يعتمدون على ورود اسم ابن مريم في الإنجيل المكتوب بالعربية 5مرات، في سياق طفولة المسيح، كما ورد 15 مرة في النص السرياني للإنجيل¹.

فكيف تكون نسبة عيسى إلى مريم ظهرت بعد عودة المجموعة الثانية من المهاجرين، والذين تروي المصادر التاريخية أن عودتهم كانت في السنة السابعة للهجرة، وقد نزلت آيات القرآن سواء في مكة أو المدينة وفيها (عيسى ابن مريم) قبل أن يعودوا، ولم ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيه هؤلاء المهاجرين بهذا اللقب حتى يضيفه في القرآن، وما ذكر في القرآن أو في الانجيل من أنّه (ابن مريم) هو الحقيقة الواقعة، والتي يقرّ بها حتى المسيحيون، لكنهم يفضلون نسبته كابن لله على هذه التسمية، ولذلك يستغربونها في القرآن. بالرغم من أنّ ورود هذا الاسم كان مرة واحدة واختلفت صيغته في الأناجيل الأخرى

أمّا ما يقوله عن إنجيل طفولة المسيح المكتوب بالعربية، وهو من الأناجيل التي لا تعترف بها الكنيسة، ونسب إلى العربية لوجود نسخة عربية منه في القرن السابع عشر، ومنه تمّ إصدار أول طبعة أوربية². وما يدعيه علماء الكتاب المقدّس من أن وجود إنجيل الطفولة كان قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، لا يملكون عليه دليلاً، لغياب الوثائق التاريخية الدالة على ذلك، ودليلهم الوحيد هو اقتباس القرآن منه ما يدلّ على اطلاع النبي عليه. وبغياب تحديد تاريخي دقيق لتأليف هذا الانجيل تقوى فرضية تأثر الروايات الهاجادية والأبوكريفية في الشرق بالقصص القرآنية، وهو ما يؤكده قول المستشرق مرجليوث في كتابه (هل الإسلام هرطقة مسيحية؟): "النقاد الذين يعدّون حجة اليوم يُقدّرون أن هذا الانجيل قد أخذ قصة حديث المسيح في المهد من القرآن، بما أنّ لغة هذا الكتاب متأثرة بصورة واضحة بالقرآن، فإنّ هذا القول هو الراجح"³. ضف إلى ذلك لو كان هذا الانجيل موجود زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، أو بعده بقليل

¹ موجز الدائرة، ج24، ص 7527-7528

² ينظر سامي العامري، ص 284.285

³ David S. Margoliouth, Is Islam a Christian Heresy?, in The Moslem World, 1933, V

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

لكان علماء النصارى قد أظهروه واتهموا النبي ﷺ بالاعتباس منه، سواء في زمانه أو بعده وعلى رأسهم الراهب (يوحنا الدمشقي) الذي سعى إلى جدال المسلمين من خلال الطعن في القرآن الكريم، واستعان بثقافته الموسوعية ولغته السريانية، لكنّه لم يتهم النبي ﷺ بالأخذ من هذا الإنجيل، كما أن الموسوعة الكاثوليكية أثبتت انتشاره بين النساطرة السريان، ما يعني أنّ هذا الإنجيل ظهر بعد الإسلام.

كما لاحظ نقاد الكتاب المقدس (مونتاج رودز جيمس) و(رولاند روث) أن الاختلاف بين نسخ أناجيل الطفولة يوحى بأن هناك إضافات على هذا الإنجيل ألحقت به، بحيث أصبح فيه توسع وتغيير من الذين تولوا ترجمته، ليوافق أفكارهم المسبقة، حتى أنّ (دانيال روسو) قد حدّد تاريخ نقل هذا الإنجيل من السريانية إلى العربية في القرن الثالث عشر¹. فالقول بالاعتباس منه غير أكيد، ويبقى أنّ القرآن الكريم هو الوحي الرباني الذي قصّ على نبيّه والناس ما لم يشهدوه.

ليضيف بعدها (قنواقي) بعض الأسماء التي ذكرت مرة واحدة في وصف عيسى ﷺ، وهي في الحقيقة جاءت كوصف له، مثل وصفه: (من المقربين) التي فسرها قنواقي بأنّها تُشرح في ضوء حقيقة صعوده أو رفعه إلى السماء²، كما جاء وصفه ب(الوجيه) واعتمد على شرح البيضاوي لهذه الكلمة بأنه وجه في الدنيا باعتباره نبي، ووجه في الآخرة باعتباره شفيع، ووصفه بأنه (مبارك) أي الجالب للبركة حسب البيضاوي، ووصفه ب(قول الحق) و(عبد الله). وقد أجاد قنواقي في تتبع أوصاف المسيح ﷺ مقارنة مع غيره من المستشرقين، الذين لم يولوا اهتماما كبيرا لأوصاف القرآن الكريم للأنبياء والتي لها دلالات مختلفة.

وتحت عنوان البشارة والحمل والميلاد أكّد قنواقي أن هناك عناصر بعينها في القرآن تعكس ما ورد في الأناجيل على نحو أو آخر، مستندا إلى قول هايك "الذي يذهب إلى أبعد من هذا فيقرّر أنه إذا استثنينا العقيدة المسيحية القائلة بأن مريم هي أم الرب وهي الفكرة التي يرفضها المسلمون، فإن كل العقائد المسيحية الأخرى التي تقرّها الكنيسة تجد ما يؤيدها في القرآن الكريم كفكرة الحمل الطاهر لمريم العذراء، دخوله المعبد، البشارة بالمسيح، الرفع للسماء وعيد الميلاد"³

نقلا من: سامي العامري، ص 288

¹ ينظر: سامي العامري، هل القرآن مقتبس من اليهود والنصارى، مرجع سابق، ص 295-296.

² تفسير الطبري، مصدر سابق، ج 6، ص 416.

³ موجز الدائرة، ج 24، ص 7528

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ويعتمد هايك في رأيه هذا إلى تعميم مغلوط وهي آلية من آليات المستشرقين التي استعملوها لثتمويه وطمس حقائق القرآن الكريم والإسلام، فكيف يجعل الكاتب كل العقائد المسيحية لها ما يؤيدها في القرآن الكريم مع انحراف أكثرها، بل جاء القرآن مصدقاً للحقيقة البيّنة في الإنجيل ومصحّحاً للتحريف الذي ألحقه الرهبان والقسيسون بالإنجيل، فموافقة القرآن الكريم للإنجيل لبعض الأفكار والعقائد لا يعني موافقته لكل العقائد. فمثلاً تعددت آيات القرآن في نبد ألوهية المسيح عليه السلام، وتعدد الآلهة عندهم، كما وضعت مريم في مرتبة الصديقية، وأعلت شأنها بين نساء العالمين، لكن لم تجعلها إلهاً ولا أمّ الإله، وبين حقيقة المعجزات وصورة الحواريين... ولو كان المستشرق يريد عرض الحقيقة، لكان حسبه أن يقف على الأمثلة التي ذكرها فقط ليؤكد على هذه الموافقة، ليس لأن القرآن مقتبس لها من الإنجيل، بل لأنه وحي إلهي ثابت في القرآن يقر بالحقيقة.

ثم بدأ بتفصيل هذه الحقائق الخاصة بحمل مريم عليها السلام من الأناجيل والقرآن الكريم والمأثورات التي يقصد بها التفاسير، وعرض لكون روح الله في قوله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم: ١٧، بأنه جبريل عليه السلام الذي بشرها بالميلاد الإعجازي للمسيح، وقد كانت عذراء، وجعل وليدها آية ورحمة، ثم يشير إلى الاختلاف بين القرآن الكريم والأناجيل، فالقرآن الكريم يوحد بين البشارة والحمل، أما انجيل لوقا فيفصل بين ملاك الرب الذي بشر مريم، وبين الروح القدس الذي تمّ الحمل عن طريقه. وإن كان تبشير مريم قد ورد في آيتين ففي آية آل عمران جاء بصيغة الجمع قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ آل عمران: ٤٥، وفي سورة مريم: قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ مريم: ١٩، ومن المفسرين من يجعلهم واحداً هو جبريل عليه السلام الذي نطق عن الملائكة في التبشير الأول، لأنه جاء في نهاية الآيات ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران: ٤٧، كما أنّ روح القدس مختلف في المسيحية فهو عبارة عن أقنوم في جوهر الألوهية، ولا يقصد به جبريل عليه السلام كما في الإسلام.

تحدث فتواتي بعدها عن رسالة المسيح عيسى عليه السلام، انطلق فيها من فكرة أن عيسى عليه السلام نبي ورسول حُمّل رسالة عليه تبليغها، وأن الله جعله وأمه آية، وهياً لهما ملجأً آمناً، ثم أشار إلى اختلاف المفسرين في هذا المكان هل هو القدس أو دمشق، والمعنى الذي أورده فتواتي يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ المؤمنون: ٥٠

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ويقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: "وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء، وماء ظاهر"¹. ويقول الإمام ابن كثير "وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَوَيْتَهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾، قال: المعين الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله تعالى ﴿قَدْ جَعَلْنَا لَكَ رَبُّكَ حَتَمًا سَرِيًّا﴾، فهذا والله أعلم هو الأظهر؛ لأنه المذكور في الآية الأخرى، والقرآن يفسر بعضه بعضا، وهو أولى ما يفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار"². وغريب من المستشرقين أن ينتقوا قولاً من الأقوال المتعددة التي يذكرها الإمام الطبري في مسألة معيّنة، وعندما يذكر الطبري رأيه أو يرجح قولاً في المسألة يُعرضون عن ذلك، ويأخذون برواية قد ذكرها من مجموع الروايات، مع أنه إمام الصنعة وشيخ المفسرين.

وفي باب رسالة المسيح أيضا عدّد قنواتي المعجزات التي ظهرت على يد المسيح عليه السلام من تكلمه في المهدي، النفخ في الطين الذي على شكل طير فيصير حقيقيا بإذن الله، إبراء الأكمه والأبرص، وإحياءه للموتى بإذن الله، وطلبه مائدة من السماء بناء على طلب الحواريين.

وفي معجزة النفخ في الطين تحدث قنواتي أنها موجودة في الأناجيل الأبوكريفية مثل إنجيل توما، وإنجيل طفولة المسيح باللغة العربية، والكتاب الأرمني عن طفولة المسيح. لأنها غير موجودة في العهد الجديد، وفيه تلميح لاقتباس الرسول ﷺ من هذه الأناجيل غير الرسمية، لكن تواريخ كتابة هذه الأناجيل غير مضبوط، فكما ورد أنّ إنجيل طفولة المسيح كان تأليفه متأخر وتعريبه كذلك، فإن إنجيل توما الذي كان يحوي قصص من التراث الشفوي المبكر، والذي كان تأليفه في القرن الثاني عند أغلب النقاد، لكنّ تعريبه كان في القرن الثامن أو التاسع على رأي (طوني شارترند بورك) أحد النقاد الذين اضطلعوا بدراسة إنجيل توما دراسة موسعة³.

ثم ذكر قنواتي أن فرقة الأحمديّة تجعل لهذه المعجزة تفسيراً رمزياً، لكونها ترمز لخلاص الأرواح. والاحمدية من الفرق المنحرفة عن هدى الإسلام، لكنّ المستشرقين حاولوا رفع شأن هذه الفرق في الدائرة، كما أنّ في الاستشهاد بتفسيرها الرمزي دعماً لفكرة الخلاص عند المسيحيين، والفصل بين الناسوت واللاهوت، بما فيه تقريب في نظر الكاتب بين الديانتين المسيحية والإسلام. لكنّ ذلك بعيد كلّ البعد عن حقيقة الإسلام وعقيدة المسلمين في المسيح.

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج19، ص39.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص477.

³ ينظر: سامي العامري، مصدر سابق، ص300. 301.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ثمّ يحاول (قنواقي) أن يجد رابطا بين ما ورد عن المائدة في القرآن الكريم، وبين ما ورد في العشاء الأخير في الأناجيل أو رؤيا بطرس في أعمال الرسل، أو ما يرتبط بمعجزة الخبز والسمكتين في إنجيل متى، لكن ما ورد عن العشاء الأخير أو ما يسمى بعشاء الفصح يشير إلى طاوله أعدّها الحواريون بطلب من المسيح، ولم تنزل من السماء، كما أن أحداثه متناقضة بين الأناجيل الأربعة المعتمدة، ومختلفة في الإيحاءات التي يرمز لها هذا العشاء من اتحاد مع المسيح سواء اتحاد مادي أو معنوي فقد جاء في إنجيل لوقا، 22: 17-20: "وأخذ خبزا وشكر وكسّر وأعطاهم قائلا: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء، قائلا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم".

فإن كانت فكرة اجتماع المسيح ﷺ والحواريين حول مائدة طعام هي الفكرة المشتركة بين القرآن الكريم وبين الأناجيل، لكنّها تختلف في التفاصيل والسبب والهدف من هذه المائدة، وما ترتب بعدها من جعلها عيدا سنويا احتفالا بهذه الذكرى. ومن ثمّ دخوله في أسرار الكنيسة السبعة.

وأما عن رؤيا بطرس وهو من الرسل عند المسيحيين، ففيها إشارة إلى نزول إناء من السماء كان فيه كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء، أمر بطرس في منامه بذبح ما يشاء منها وأكله. وهو مجرد رؤيا فقط، كما أنه لم تكن آية من آيات عيسى ﷺ. أما ما ورد في إنجيل متى فكان حديثا عن مباركة المسيح للطعام بحيث كفت خمسة أرغفة وسمكتين خمسة آلاف رجل عدا النساء والأولاد، وفضل منها اثنتي عشرة قفة مملوءة. وليس فيها حديث عن نزول مائدة من السماء، فكاتب المادة يتحايل على الروايات والنصوص ليوحد عن المشترك بين القرآن والأناجيل، ويحاول ليّ أعناق الآيات ليفسرها كما جاءت في الإنجيل. وهذا خلط كبير، وتمويه عظيم.

ثمّ حاول قنواقي الحديث عن معنى المسيح، تحت عنوان يسوع المسيح، وأشار إلى كلمتين ذات قيمة كبيرة في المسيحية وهما: المسيح وعبد الله. ويؤكد على أن كلمة المسيح لم تستخدم في المسيحية إلا بعد فترة طويلة من الإعداد النفسي تمهد للمسيح المنتظر، لكن في القرآن أطلق عليه هذا اللقب من ولادته، ويقصد قنواقي بذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ آل عمران: ٤٥، ثم عرض لحقيقة المسيح في القرآن الكريم، وأنّه مجرد نبي في سلسلة الأنبياء التي تنتهي بمحمد ﷺ، وهو ككل الأنبياء

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

رجل عادي، وهي حقيقة أساسية في القرآن الكريم فهو يدحض بشدة أي اعتقاد في يسوع المسيح كابن لله أو كإله، ثم استشهد بآية التوبة .

تطرق بعدها كاتب المادة إلى أصول كلمة المسيح، التي جعل أصلها يهودي انتقل للعربية عن طريق السريانية، وأنها كانت معروفة قبل الإسلام، وهو ما أقرّه كل من الزمخشري والبيضاوي وجعلوها كلمة أجنبية، أما الفيروز أبادي فقد جعل لها خمسين معنى، ثم أكد أنها في القرآن لم تستخدم إلا للدلالة على المسيح عيسى ابن مريم. ثم عرض الجذريين اللغويين لكلمة المسيح (مسح، ساح) والمعاني الدالة المرتبطة بكل جذر ملخصاً لما ورد في كتب اللغة والتفسير .

أم الكلمة الثانية وهي (عبد الله) فيؤكد قنواي أن الإنسان ليس عبداً لله فحسب بل إنه مُلكه، وحتى الملائكة في القرآن يُعَدُّون عبيداً لله، كما لا يجب إغفال العقيدة القرآنية في المسيح بأنه مخلوق وإنسان، بما يدحض ألوهية عيسى¹، وهي حقيقة ثابتة في القرآن والسنة، قال ابن كثير: "أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبراً لله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه"². لكن الغريب هو ربط قنواي لكلمة عبد الله بالمسيحية، بالرغم من أن المسيحية تجعل المسيح إلهاً (الابن) وليس عبداً، كما أنه في معرض حديثه عن هذه الكلمة نظر إليها من جهة القرآن لا من جهة المسيحية، وعليه فرمى ورد خطأ في التعبير في بداية العنوان أي أن الكلمتين لهما قيمة كبيرة في الإسلام وليس في المسيحية.

وتحت عنوان المسيح ﷺ ومحمد ﷺ، ذكر قنواي أن المفسرين أكدوا تبشير المسيح بالنبي محمد ﷺ معتمدين على ما ورد في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ الصف: ٦ وأن أحمد هو نفسه محمد لأنه من جذر واحد (ح م د)، كما ورد في إنجيل يوحنا أنه بشر بإرسال (بارقليط) وهو ما يعني المعين أو المعزّي، لكنها في الأناجيل الأولى نقلت كما هي بارقليط ثم ترجمت إلى المعين.

وأشار بعدها إلى تأويلات المسلمين فيما يتعلق بـ (كلمة الله)، وذكر أن المسيح كان مؤيداً من الروح القدس بمجرد ولادته، ثم خلال وأثناء نشأته بين اليهود، ثم تحدث قنواي في عنوان المسيح وعقيدة التثليث على أن القرآن يشير للمسيح بأنه من المقربين فمعنى هذا أنه يشارك الملائكة في هذا القرب،

¹ ينظر: موجز الدائرة، ج24، ص 7531.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص228.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

ولا يمنع ذلك أن يكونوا كلهم من مخلوقات الله. لأن القرآن يقرّ بوحدانية الله ويرفض التثليث، ثم عرض آيات آل عمران 52-55 التي جاءت ردًا على نصارى نجران.

ويناقش قنواقي مسألة صلب المسيح طارحا سؤالين مهمين:

السؤال الأول: أصلب المسيح حقًا ومات على الصليب؟

ثمّ يعرض تأكيد القرآن الكريم بأنه لم يصلب وأنه شبه لهم بأن ألقى الله شبهه على غيره فظنّوه هو المسيح، ثم يذكر رأي بعض الفلاسفة والاسماعيلية الذين فسّروا (شبه لهم) تفسيراً آخر إذ يقولون أن اليهود كانوا يقصدون القضاء على المسيح تماماً ولكنهم تمكنوا فقط من جسده (ناسوته) ولم يستطيعوا أن يقضوا على لاهوته الذي ظل حياً، ثم يؤكد أن هذا التفسير لا يلق قبولا عاما مقابل اجماع المسلمين على مسألة الصلب انطلاقاً من القرآن الكريم، فالغريب ما فائدة ذكر هذا الرأي الذي يخالف اعتقاد غالبية المسلمين في مسألة الصلب، ورأي مرفوض عندهم إلا إذا كان كاتب المادة يتصّيد آراء الفرق المنسوبة للإسلام قصد إيجاد إطار مشترك مع المسيحية للتقريب بين الأديان لأن رأي الإسماعيلية هو رأي إحدى الطوائف المسيحية أيضاً.

ثمّ يحاول قنواقي أن يجد تفسيراً لعدم قول القرآن بصلب المسيح، ورد في النسخة الإنجليزية لدائرة المعارف ولم يورده المترجم لتفاهة التبرير، نسوقه ليتبين هدف الكاتب وطريقته في معالجة مسألة الصلب، ملخصه "أن كل قصص القرآن الكريم تنتهي بانتصار النبي على قومه وعلوّ الحق على الباطل، لكن قصة المسيح عليه السلام تنتهي بموت عيسى عليه السلام على الصليب، وانتصار أعداءه، فلذلك يقر القرآن برفعه قبل صلبه"¹، وحقيقة إسقاط هذا الكلام من الترجمة فيه نفع كبير يعود على المسلمين، لأنه مجرد افتراض لا دليل عليه. فمهمة المسيح عيسى عليه السلام لم تنته على الأرض وسيعود آخر الزمان ليتّمها وينشر العدل ويحق الحق.

أما بالنسبة للسؤال الثاني: فإذا لم يمّت المسيح على الصليب فهل مات ميتة طبيعية؟

ثمّ يستشهد بعدة آيات هي: الآية 33 من سورة مريم، والآية 47 من سورة آل عمران، والآية 42 من سورة الزمر التي تتحدث عن توفّي الأنفس في النوم، وآيات 155-158 من سورة النساء، ويوضح أنّها تمثل المعتقد الإسلامي في رفع المسيح، وذكر أنّ هناك روايات تقرر أن المسيح سيموت موتاً طبيعياً في آخر الزمان ثم يُبعث، في إشارة إلى حديث نزوله وقتله للمسيح الدجال، وأقرّ قنواقي

¹ Encyclopedea of islam, S4, p84

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

أيضا أن كلمة (توفي) تستخدم للموت وكذا عند استدعاء الله لأرواح النائمين، ولمح لاستعمال القرآن لألفاظ تحمل رفع المسيح وهو حي. ويلاحظ أن قضية توفي عيسى عليه السلام ورفعه قضية مختلف فيها بين العلماء، لكنّه كاتب المادة عرضها بكل أمانة.

وتحت عنوان عودة المسيح، اعتبر قنواقي أن الآية ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمُ السَّاعَةَ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ الزخرف: ٦١، هي الدليل القرآني الوحيد على عودة المسيح، ذلك أن المقصود ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمُ السَّاعَةَ﴾ الزخرف: ٦١، أي نزوله دليل على اقتراب الساعة، وذكر قراءة أخرى (لعلم) أي دليل وعلامة على الساعة، وهناك قراءة أبي (لذكر) أي مذكر بالساعة، وأدرج فهما رابعا لكنه ليس خاصا بقراءة. بل يعتمد على القراءة الأولى ويفسر الهاء بأنها تعود على القرآن الكريم ثم يعتمد على المرويات في تحديد نزول المسيح، ويحاول تلخيص الحديث الواردة في عودته، وبأنه سيكون على سنة محمد ﷺ، وفي مجتمع الإسلام، وسيحكم بالعدل، إلى أن يتوفى ويدفن بالمدينة المنورة، في قبر بين أبي بكر وعمر، وقد يكون أخذ ذلك مما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض، فيتزوج، ويولد له، ويمكث خمسا وأربعين سنة، ثم يموت فيدفن معي في قبوري، فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر" ¹ وهو حديث قد ضعفه مجموعة من العلماء، قال ابن الجوزي في (العلل المتناهية): "هذا حديث لا يصح، والإفريقي ضعيف بمرّة" ² وأورده الذهبي في (ميزان الاعتدال) في سياق المناكير التي رواها هذا الراوي، وقال: "فهذه مناكير غير محتملة" ³، فالحديث ضعيف جدا، لكن بعض المفسرين والمؤرخين نقلوه من غير تثبت منهم. ويعضدونه ما ورد في سنن الترمذي: عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه. قال فقل أبو مودود: قد بقي في البيت موضع قبر" ⁴. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وهذا الحديث ضعفه

¹ رواه ابن أبي الدنيا انتهى "ميزان الاعتدال" - (2/562) "وقال الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة" برقم (6562) منكر " انتهى.

² عبد الرحمان ابن الجوزي، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تح: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد. باكستان، ط2، 1981م، ج2، ص433.

³ محمد الذهبي، ميزان الاعتدال، ج2، ص562،

⁴ أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ، ج6، ص16، رقم الحديث: 3617.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

الألباني في السلسلة الضعيفة¹. فمجملة هذه الأحاديث ضعيفة لا يعتمد عليها في إدراج مثل هذا القول في الدائرة التي يجب أن تحصر على التأكد من معلومتها.

ولم يكتف المستشرق قنواقي بالوقوف عند الروايات الثابتة، ليختم هذه الفقرة بالحديث عن فرقة الأحمديّة التي تخلط بين المهدي المنتظر وبين المسيح، كما ذكر عقيدتهم في أن المسيح بُعث بعد موته على الصليب وهاجر إلى الهند، وبشّر بالإنجيل وعاش إلى أن بلغ 120 سنة ثم مات ودفن في سرينجار، ومن عقائدهم أن المهدي تجسّد لثلاثة: المسيح عليه السلام، محمد صلى الله عليه وآله وكريشنا.

وهذا إصرار غريب من الباحث على إيراد آراء الفرق المنحرفة خاصة الباطنية منها، وذكر عقائدهم بالرغم من أنّها مرفوضة عند غالبية المسلمين. وغير مطلوبة في مادة تؤصل للنظرة العامة للمسلمين لعيسى عليه السلام.

واختار قنواقي الحديث عن المسيح من خلال كتابات المتصوفة التي تناولت معجزاته وتعاليمه وزهده، وذكر منها مجموعة كتب، كما أشار إلى مستشرقين اهتموا بدراسة المسيح في الإسلام هما أسين بلاكيوز²، والأب ميشيل هايك، ثم أكدوا أن الصوفية بعد اطلاعهم على الأناجيل استقوا ما يؤكد أفكارهم حول الزهد والتنسك، ثم استشهد برأي ابن عربي بأن المسيح هو من يجب أن يوصف بأنه خاتم القداسة العامة لخلاص معتقده وليحكم العالم بشريعة محمد صلى الله عليه وآله. وقد يكون هذا القول لبلاكيوز وذلك لدراساته العميقة لابن عربي، ومحاولته إيجاد التأثير بين الإسلام والمسيحية. وابن عربي شخصية تاريخية أثارت الجدل حول معتقداته وأفكاره الباطلة، وهذا يعزز فكرة الميل الاستشراقي لإبراز هذه الأفكار المخالفة للإسلام في صورة مشرقة.

في الأخير ختم قنواقي المادة بالحديث عن الجدل الإسلامي المسيحي حول المسيح، الذي كان من اهتماماته فكرة التقريب بين الأديان، بالإشارة إلى أن عقيدة التجسد والفداء هي سبب الخلاف والجدل الحاد بين علماء الإسلام واللاهوتيين المسيحيين، ثم امتدح كتابين قَرَّبَا من وجهات النظر حول المسيح هما: كتاب عباس محمود العقاد عبقرية المسيح (1952م)، وكتاب قرية ظالمة لكامل حسين (1954م)، وسبب اختيار قنواقي لهذين الكتابين هو أنّهما اتجاهاً جديد اقترَب فيهِ المسلمون من قضية المسيح عليه السلام على حد قوله، لأنهما تناولتا قصة المسيح كما وردت في الأناجيل ووفق العقائد المسيحية العامة، ودافع العقاد عن الأناجيل كمصدر وحيد عن المسيح، لكنه في المقابل تعرض لانتقاد المسيحيين

¹ الألباني السلسلة الضعيفة،

² أسين بلاكيوز M. Asin palacios (1871. 1944): مستشرق إسباني، من أثاره: تأثيرات الإسلام، روحانية

الغزالي، ابن عربي حياته ومذهبه..، ينظر عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص 126.121.

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

في طريقة موت المسيح وفترة الآلام، وكان الكتاب الثاني قد قال بالتوقف في قضية الصلب وقال بالرفع وهو ما يلقي تفسيراً مقبولاً عند المسيحيين. وهدف الكاتب كان واضحاً من البداية وهو البحث عن نقاط مشتركة بين الإسلام والمسيحية، لذلك شَهِرَ لهذين الكتابين الذين انتقدا من طرف العلماء المسلمين في أفكارهما. كما نذكر أنّ قائمة المصادر كانت طويلة ومتنوعة وكثيفة بكتابات المستشرقين عن المسيح في الإسلام.

بالعموم التزم كاتب المادة جورج قنواي، بعرض قصة المسيح ﷺ كما وردت في القرآن، وكانت المادة تبين العقيدة الصحيحة في المسيح ﷺ، ولم تشوّه القصة القرآنية بل حاولت تناولها من كل الجوانب، وهذا ما لم نجده في المواد الأخرى للقصص. وكان منهج الكاتب يدلّ على اطلاع واسع وطرح متزن غير عنصري وإن كان يشوبه بعض الشبهات، مقارنة بالكتابات الأخرى في الدائرة، كما يظهر تركيزه على آراء الفرق المنحرفة التي توافق ما جاء في العقيدة المسيحية، وذلك وفق المنهج العام الذي يحاول قنواي الدعوة إليه من خلال كتاباته ودراساته في المقاربة بين الفكر الإسلامي والفكر المسيحي وهو ما ظهر في آخر المادة بوضوح.

ورد في موجز الدائرة مادة خاصة بالسيدة مريم عليها السلام، تعرف بها، كتبها كل من فنسك، وجونستون، وذكرنا فيها نعم الله على مريم وبشراقتها بعيسى ﷺ، ثم نوّها بمنزلتها الدينية في الإسلام، مؤكدين بأن الإسلام يرفض تأليه عيسى ﷺ أو أمه مريم، وأنّه حذر أهل الكتاب من الافتراء على الله والقول بالتثليث، وبرأ عيسى من الادعاء بأنه ابن الله أو هو الله، وأشاروا إلى المنزلة الكريمة لمريم في الإسلام لكنّها لا تصل لدرجة التقديس والعبادة.

ثمّ عبّأ على قصة مريم خاصة في القرآن مع الإشارة للآيات الواردة في ميلادها، وذكرنا أن مريم هي ابنة عمران وأخت هارون مع اختلاف هاتين الشخصيتين عن قصة موسى ﷺ، ويبدو أن الكاتبين أخذوا نسبة أخوة هارون لمريم كما جاءت في القرآن الكريم، بالرغم من أنّه ورد حديث شارح لهذه النسبة ما كان يجب أن يغيب عن فنسك وهو المتخصص في الاطلاع على الأحاديث. وإن كان التنبيه على أن كل من عمران وهارون ليسا هما الواردان في قصة موسى، يدرأ شبهة أن مريم المقصودة كانت أخت موسى ﷺ. ثم يبيح المستشرقان في تحديد اسم جدة مريم التي لم يذكرها القرآن الكريم، وإنّ تمّت الإشارة لها بـ (امرأة عمران) ونقل كلامها وأمانيتها في القرآن الكريم، ولهذا لجأ المستشرقان إلى استقصاء علاقتها مع زوجة زكريّا ﷺ، من أنّها كانت أخت حنة وخالة مريم، ثم يسوقا قصة عن

الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل

حين أم مريم للولد وقد كانت وزوجها عاقرين، ثم نذرهما وغفلتها على أن يكون ما في بطنها أنثى، وتسميتها مريم، وكفالة زكرياً لها كما وردت في القرآن الكريم.

وأشار المستشرقان أن المصادر الإسلامية غير القرآن تورد أن الشخص الذي تقدم لخطبة مريم هو جريج، ولم يوضّح هذه المصادر على أن أغلبها بما فيها الطبري قد ذكر أنه يوسف النجار. وفي قصة البشارة بعيسى، يؤكد المستشرقان فنسك وجونستون أن ما ورد في سورة مريم، يعد أكثر تفصيلاً، ثم ذكر اختلاف المفسرين في تحديد المكان الشرقي، وذكر القصة كما وردت في القرآن لكن نسبها إلى المصادر الإسلامية، كما أشار أن أحداث وضع عيسى عليه السلام كانت أثناء هجرتهم إلى مصر، وفقاً للمصادر المسيحية، وهذا غير وارد في القرآن الكريم.

ثم خاض المستشرقان في سبب امتناع مريم عليها السلام عن الكلام حسب رأي المفسرين أنه كان لتجنب الأسئلة الملحة، بالرغم من أن ذلك لم يرد عند النصارى مع أن البعض منهم يرى أنها كانت في السادسة عشرة من عمرها، وأنها اختبأت من بني إسرائيل أربعين يوماً في كهف. ثم أكمل إيراد قصة كلام المسيح عيسى عليه السلام في المهد، وذكر افتراء اليهود على مريم عليها السلام، وأن القرآن لم يشر إلى الهجرة إلى مصر إلا أن يكون المقصود بها الربوة ذات القرار والمعين. ولا يمكن الجزم بذلك لأن تفصيل ذلك غائب في القرآن والسنة، وتفسير الربوة اختلف حوله المفسرون، فمنهم من استند على الإسرائيليات وفسرها بأنها مصر ومنهم من جعلها في فلسطين.

ختم المستشرقان المادة بالإشارة إلى المكانة العالية التي تحتلها مريم عليها السلام بأن كانت مصطفىة على نساء العالمين. وجاءت مادة مريم عليها السلام قريبة إلى القصة القرآنية، وما ذكر من تفسيرات يعود لاختلافات المفسرين، لذلك لم تحو شبهات كبيرة.

إنّ تناول المستشرقين لقصة عيسى عليه السلام ومريم في موجز الدائرة كان قريباً لما جاء في القصة القرآنية، وراعى العقائد الإسلامية فيهما، وإن بقيت فكرة الاقتباس من البيانات السابقة قائمة، لكنها لم تسيطر على المادتين كما كان الشأن في باقي القصص

إن قصص بني إسرائيل في موجز الدائرة جاءت مجسدة لمنهج الأثر والتأثر وآلية الاقتباس بشكل واضح وجلي، يستخلصه كل يحاول أن يطلع على مواد أنبياء بني إسرائيل، وقلما خلت منه مادة. واعتمدت منهج المقارنة بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، أو مع التراث الهاجادي، لتؤكد تأثير القرآن بما قبله.

الفصل الرابع قصص قرآنية أخرى في موجز العائنة

المبحث الأول: قصص سورة الكهف في موجز العائنة

- المطلب الأول: قصة أصحاب الكهف
- المطلب الثاني: قصة موسى والعبء الصالح
- المطلب الثالث: قصة ذو القرنين مع يأجوج ومأجوج

المبحث الثاني: قصص قرآنية متفرقة

- المطلب الأول: قصة هاروت وماروت
- المطلب الثاني: قصة أصحاب القرية
- المطلب الثالث: قصة أصحاب الأخدود
- المطلب الرابع: قصة أصحاب الفيل

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العائنة

تمهيد

نوع القرآن الكريم في ذكر القصص، ولم يكتف فقط بذكر قصص الأنبياء، بل جاءت فيه قصص تخص الصالحين من المؤمنين، وقصص الحيوان، كما حوت قصصه نماذج للمرأة المؤمنة وأخرى للكافرة، وكان في أسلوبه البديع وإيجازه العميق، يسوق القصة بما يخدم الهدف العام للقصة في القرآن عموماً، ويراعي سياق السورة خصوصاً، واختار نماذج راقية ليكونوا مضرِب المثل لبني آدم، ويتعظوا بقصصهم، من هذه الشخصيات: قصة أصحاب الكهف، قصة ذو القرنين، قصة صاحب الجنتين، قصة الذي أماته الله مائة عام، الذي انسلخ من آيات الله، قصة ابني آدم، قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، لقمان... لكن موجز الدائرة لم يترجم أغلب هذه القصص، أو لم يرد في الدائرة أصلاً بعض هذه القصص، لذا سيتم الاكتفاء بدراسة القصص الواردة في موجز الدائرة وهي قصة أصحاب الكهف، قصة ذو القرنين، قصة أصحاب الأخدود، قصة أصحاب القرية أو مؤمن يس، قصة هاروت وماروت، وذلك بهدف معرفة منهجية المستشرقين في التعرض لمثل هذه القصص، التي قد لا يكون لها في الكتاب المقدس.

المبحث الأول: قصص سورة الكهف في موجز الدائرة

نزلت سورة الكهف في مكة تسلّي الصحابة، وترد على تساؤلات المشركين، وقد شملت أربع قصص حفلت بالعبر والحكم، جاءت تعالج موضوع الفتن التي يتعرّض لها الانسان في حياته، فوردت فيها قصة أهل الكهف التي تشير إلى فتنة الدين، وقصة ذو القرنين التي تشير إلى فتنة الحكم والجاه، واقتزنت بياجوج ومأجوج الفتنة العظيمة التي تنتظر الناس في آخر الزمان، وقصة موسى والعبد الصالح التي تشير إلى فتنة العلم وضرورة الصبر عليه، وقصة صاحب الجنتين التي تعالج فتنة المال، وقد ورد في موجز الدائرة الحديث عن المواضيع الأساسية لهذه السورة في شكل مواد هي: مادة أهل الكهف، مادة الخضر، مادة ذو القرنين ومادة يأجوج ومأجوج، ولم يتم التطرق إلى قصة صاحب الجنتين في الموجز، فكيف كان عرض المستشرقين لهذه القصص المتنوعة أخباراً، والمختلفة زماناً ومكاناً.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الكهف في سورة الكهف

المطلب الأول: قصة أصحاب الكهف

الفرع الأول: قصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم والسنة النبوية

وردت قصة أهل الكهف في صدر سورة الكهف من الآية التاسعة إلى الآية السادسة والعشرين، وبقيتهم ارتبط اسم السورة، وذكر المفسرون في سبب نزول هذه السورة الكريمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي مُعيط، إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجوا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. قال: فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن، فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّلٌ فَرَوَا فِيهِ رَأْيَكُمْ: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طَواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقوِّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش، فقالا يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، أخبرنا: فسألوه عما أمرهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: "أخبركم غدا بما سألتهم عنه". ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل ﷺ حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها، لا يُخبرنا بشيء عما سأله عنه. وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل ﷺ من عند الله ﷻ بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف¹، وقول الله ﷻ ﴿وَسَأَلُونَا عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥ .

ووردت هذه الرواية في أغلب كتب التفسير على أنها سبب نزول السورة، وعلى ضوءها فسرت الآيات 23-25 من السورة، بالرغم من أنها لم ترد في كتب السنة الصحيحة ولا في كتب أسباب النزول

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج15، ص127.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في سورة الكهف

المشهورة إلا في كتاب لباب النقول للسيوطي والذي نقلها عن الطبري، وقد طعن في هذه الرواية لإبهام محمد بن إسحاق للشيخ المصري الذي نقل منه، فكان مجهولا لا تُعلم حاله، وجعل سندها ضعيفا، كما أن العلماء رووا أن هناك سببا آخر في سبب نزول آية الروح، خاصة وأنها نزلت في سورة الاسراء ولم تنزل في سورة الكهف، ما جعل أبو الأعلى المودودي يرجح " أن السؤال الثالث لم يكن عن الروح، إنما كان عن حقيقة الخضر، لأن السؤال الخاص بالروح أجيب عنه في سورة الاسراء وليس في سورة الكهف، وبين نزول السورتين عدة سنوات، وقد رويت في سورة الكهف ثلاث قصص لا اثنتان، ويقول أن في القرآن نفسه إشارة تؤيد رأيه، فإن العطف في قوله تعالى **﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾** الكهف: ٨٣، وبعد قصة موسى والخضر عليهما السلام مباشرة، ينبئ بذاته أن قصة موسى والخضر التي رواها القرآن، كانت جوابا على سؤال الناس عنها"¹. والظاهر أن السورة جاءت إجابة على أسئلة موجهة إلى النبي ﷺ بدليل قوله تعالى **﴿وَسَأَلُونَكَ﴾**.

ابتدأت قصة أصحاب الكهف من الناحية الفنية على "طريقة التلخيص الإجمالي أولا، ثم العرض التفصيلي أخيرا، وهي تعرض في مشاهد، وتترك بين المشاهد فجوات يعرف ما فيها من السياق"²، قال تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾** **﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾** **﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾** **﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا﴾** الكهف: ٩ - ١٢

وهو تلخيص يجمل القصة، ويرسم خطوطها الرئيسية العريضة، فنعرف أن أصحاب الكهف فتية لا نعلم عددهم آووا إلى الكهف وهم مؤمنون. وأنه ضرب على آذانهم في الكهف أي ناموا سنين معدودة لا نعلم عددها وأنهم بعثوا من رقدتهم الطويلة، وأنه كان هناك فريقان يتجادلان في شأنهم ثم لبثوا في الكهف فبعثوا ليتبين أي الفريقين أدق إحصاء، وأن قصتهم على غرابتها ليست بأعجب آيات الله، وفي صفحات هذا الكون من العجائب وفي ثناياه من الغرائب ما يفوق قصة أصحاب الكهف والرقيم.³

¹ عوض عبد الرزاق محمد، القصص القرآني في سورة الكهف، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ص 17-18

² سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2261.

³ تفسير في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2261.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الكهف في سورة العنكبوت

ثم يبدأ تفصيل القصة ببيان واقعية قصتهم وأن حقيقتها كما سيقصها القرآن الكريم الذي هو وحي من عند رب العالمين قال تعالى: ﴿مَنْ نَفُسُ عَلَيْكَ نَبَأُهُم بِالْحَقِّ إِنْهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٣﴾ وَرَبَّنَا عَلَيَّ قُلُوبُهُمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ ءِالِهَةً لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ١٤ هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ١٥ وَإِذْ اعْتزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّجْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ١٦﴾ الكهف: ١٣-١٦ ، وهي قصة فتية في مقتبل العمر عرفوا الله وآمنوا به ولم تفتنهم الدنيا أو تلههم عن اتباع الحق، فأكرمهم الله بالهدى والبصيرة والشدة على قلوبهم بالصبر والثبات، فقاموا وصدحوا بالحق وواجهوا الباطل وتصدوا لقومهم الكفار، وطلبوا الدليل على عبادتهم الأوثان، ولما تباين الفريقان فريق الإيمان وفريق الكفر، تقرر اعتزال القوم الكافرين وفرارهم إلى الكهف خوفا على عقيدتهم وطلبا للرحمة وتيسيرا لأمرهم. فكتب الله عليهم نتيجة لصدقهم وإخلاصهم وتضحيتهم أن تكون لهم كرامة خالدة، ليتبينوا نصر الله لعباده المؤمنين، وليكونوا حجة على غيرهم في عصر آخر في قضية البعث.

ثم تنتقل الآيات بعدها إلى وصف الكهف الذي كانوا فيه وموقعه وحالهم فيه، فموقعه كان له دور كبير في المحافظة على أجسادهم من البلاء، فكانت الشمس إذا طلعت تميل عن كهفهم يمينا، وإذا غربت تتركهم ذات الشمال، وهم في فجوة منه، أي في داخل الكهف في مكان متسع فيه هواء، "والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يجلبها عنهم وقيل منفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار"¹ وقال الطبري: " بحيث لا تحرقهم الشمس فتشحبهم، ولا تبلى على طول رقدتهم ثيابهم، فتعفن على أجسادهم"²، وهي آيات وحجج جعلها الله نورا لمن أراد الاهتداء بها، وكانت سببا للضلال لمن أصر عليه.

وعرض القرآن الكريم حالهم في هيئة النوم بحيث تظن أنهم أيقاظ ولكنهم رقاد، ويقلبهم الله يمينا وشمالا حتى لا تؤثر الأرض في أجسادهم، ثم عرض صورة الكلب بأنه باسط ذراعيه في فناء الكهف وقيل ببابه وهو تفصيل دقيق له قيمته في هذه القصة، لأنه يزيد الصورة حركة وحيوية، وهيبة في النفس، لو

¹ تفسير النسفي، مصدر سابق، ج2، ص228.

² تفسير الطبري، مصدر سابق، ج17، ص623.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في سورة العنكبوت

عابنتهم لامتلاأت النفس منهم رعبا، وارتدت هاربة من هيئتهم. يقول ابن كثير: "أي: أنه تعالى ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هاجم؛ لما ألبسوا من المهابة والذعر، لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لأمس، حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم، لما له في ذلك من الحجة والحكمة البالغة، والرحمة الواسعة"¹.

وتطوى السنين وينتقل المشهد إلى وقت بعثهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ الكهف: ١٩ يعني كما أؤمنهم في الكهف وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان بعثناهم من النوم التي تشبه الموت² فقاموا على الهيئة التي ناموا فيها لم تتغير أجسامهم ولا ثيابهم، ليسأل بعضهم بعضا عن مدة نومهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ الكهف: ١٩ فلما صعب عليهم إدراك ذلك اختاروا التفويض لعلم الله تعالى بدل الجزم بقول، ثم أجمعوا على إرسال أحدهم إلى المدينة لاقتناء الطعام، بالفضة التي كانت معهم، وطلبوا منه اختيار الطعام الطيب الحلال، وليتكلف الملاطفة في التعامل حتى لا ينكشف أمره، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَبَعْتُمْ أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الكهف: ١٩، ثم ذكروا السبب في هذا الحرص والحذر، ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الكهف: ٢٠، أي ان يطلعوا عليكم ويستعلوا بقوتهم يرموكم رميا بالحجارة وهو أشد أنواع التعذيب والقتل، أو يرجعوكم إلى دينهم، وهو الخسران الكبير.

ويشاء الله أن يحدث ما كانوا من يحدرون منه، وهياً الله أسباب العنور عليهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ الكهف: ٢١، ولنفس الحكمة من إنامتهم ثم بعثهم أعثرنا عليهم بكشف أمرهم وإطلاع الناس على حالهم، وهذا لغاية عظيمة يقول سيد قطب: "إن العبرة في خاتمة هؤلاء الفتية هي دلالتها على البعث بمثل واقعي قريب محسوس، يقرب إلى الناس قضية البعث، فيعلموا أن وعد الله بالبعث حق، وأن الساعة لا ريب فيها"³. وقد كان أهل ذلك الزمان يتنازعون فيما بينهم أمر أهل الكهف ومصيرهم وحادثتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذِ يْتَنَزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَدُّهُمْ

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص145.

² تفسير الخازن، مصدر سابق، ج3، ص160.

³ تفسير في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج4، ص2264.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في سورة العنكبوت

أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ الكهف: ٢١، وبعد موت الفتية رأوا أن بينوا عليهم بنيانا، وتركوا التنازع فيهم لله تعالى، فهو خالقهم وهو أعلم بهم، ورأت الطائفة الغالبة أن يكون عليهم مسجد إكراما لهم، ثم قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف: ٢٢، وفي هذه الآية أجمل الله سبحانه وتعالى الأقوال التي ستصدر بشأن عدد هؤلاء الفتية، فسيقولون أي على عهد الرسول ﷺ هم ثلاثة رابعهم الكلب، وبعضهم سيقول هم خمسة وسادسهم الكلب، وعقب على القولين بقوله رَجْمًا بِالْغَيْبِ أي ظنا من دون يقين ولا دليل، ثم أضاف قولاً ثالثاً هو أنهم سبعة وثمانهم الكلب، قال ابن كثير: "ولما ضَعَّفَ القولين الأولين بقوله: رَجْمًا بِالْغَيْبِ أي: قولاً بلا علم، كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه، فإنه لا يكاد يصيب، وإن أصاب فبلا قصد، ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله: وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ فدل على صحته، وأنه هو الواقع في نفس الأمر"¹. وعقب عليه بقوله تعالى قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا بَعَثَهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، فالله أعلم بعددهم، وهي حقيقة لا يعلمها إلا قليل من البشر، يقول الصابوني: "ولما ذكر القول الأخير لم يقدح فيه بشيء فكأنه أقر قائله ثم نبه رسوله إلى الأفضل والأكمل وهو ردُّ العلم إلى العلام"²

فهذا لا داع للخوض في هذا الاختلاف والجدال مع أهل الكتاب إلا بالخبر اليقين، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا امْرَأَةٌ ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٢، قال ابن كثير: "وقد قال تعالى: فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا امْرَأَةٌ ظَاهِرًا أي: سهلاً هيناً؛ فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا أي: فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب، أي من غير استناد إلى كلام معصوم، وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لا شك فيه ولا مرية، فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال"³.

ثم نبه الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ أن لا يعقد أمراً دون الاستعانة بمشيئة الله تعالى، وأن يذكر الله بعد النسيان، ويطلب من الله تعالى الهداية والرشاد قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ الكهف: ٢٣ - ٢٤

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج 5، ص 147.

² صفوة التفاسير، ج 2، ص 172.

³ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج 5، ص 148.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الكهف في موجز العائنة

وتختم القصة بالإجابة عن السؤال الذي ورد في بدايتها عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَتْلَمَ أَيُّ

الْحَزِينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا ﴿١٦﴾﴾ الكهف: ١٢، ليعين مدة لبثهم في الكهف وهي ثلاث مائة سنين وتسعا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ الكهف: ٢٥، وقال المفسرون: أنها ثلاث مائة سنة بالسنة الشمسية وتزيد عنها بتسع سنوات لمن يحسب بالسنة القمرية، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَو غِيبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِه وَأَسْمِعَ مَا لَمْ يَرَوْا مِنْ غَيْبٍ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ الكهف: ٢٦، وطلب الله تعالى من نبيه الكريم أن لا يجادل أهل الكتاب بمدة مكثهم، ويكل علمهم إلى الله تعالى عالم الغيب في السموات والأرض، السميع البصير، لا شريك في الحكم معه، فهو المنفرد بذلك.

هذه قصة أهل الكهف كما جاءت في القرآن الكريم، ولم يرد في السنة النبوية ما يشير إليها، وقد زاد عليها المفسرون بذكر الاسرائيليات فيها، لكن الأمر الإلهي واضح فيها وهو الوقوف عند ما أعلم به الله رسوله الكريم، دون الخوض في التفاصيل كعدد الفتية وأسمائهم، والبحث عن مكانهم واسم الجبل الذي فيه الكهف وماهية الرقيم، واسم الكلب ولونه وشكله، بما لا يعود على الناس بالفائدة والعبرة.

الفرع الثاني: قصة أهل الكهف في موجز الدائرة

وردت قصة أهل الكهف بعنوان: (أصحاب الكهف)، وكتب مادتها فنسك، ولم يرد اسم المترجم فيها، لكن علق على إحدى تفاصيلها عبد الوهاب النجار.

ابتداءً المستشرق فنسك التعريف بقصة أصحاب الكهف يقول الكاتب: "يريد القرآن بهذا الاسم الإشارة إلى الفتية الذين جرت العادة في الغرب على تسميتهم "نوام أفسوس السبعة"¹، وهذا يشير إلى وجود هذه القصة في الغرب، وأطلق عليها اسم (نوام أفسوس) نسبة إلى الجبل أو الكهف الذي كانوا فيه، وفي كلمة السبعة تحديداً لعدددهم عند أهل الكتاب.

ثم يبدأ الكاتب بسرد الرؤية القرآنية من ورود قصتهم في سورة الكهف الآية الثامنة وما بعدها، "فيقول أن بعض الفتية من مدينة كانت تعبد الأوثان ظلوا وحدهم يعبدون الله مخلصين، وهربوا إلى كهف يطل بابه على ناحية الشمال وهناك ضرب الله على آذانهم فناموا ومعهم كلبهم (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا وملئت منهم رعبا)، (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا)، ثم بعثهم الله فبعثوا بأحدهم

¹ موجز الدائرة، ج3، ص812،

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في عهد العائشة

إلى المدينة ليشتري لهم طعاما ولا يذكر القرآن الكريم عنهم أكثر من هذا، إلا أنه زيد على ذلك أن عددهم ثلاثة أو خمسة أو سبعة، وأن الغرض من هذه القصة هو تمكين الاعتقاد في البعث¹.

هذه النظرة العامة التي عرضها فنسك للقصة القرآنية، والتي يبدو أنها لم تشف فضول الكاتب لأنها كانت مختصرة وبسيطة مقارنة مع معارفه عن القصة في المصادر المسيحية، كما أنه ختمها بمحاولة للتشكيك في عدم تثبت القرآن الكريم في عدد أهل الكهف، بالرغم من الآية واضحة في كونها على لسان الذين سيجادلون في أهل الكهف وليست تذبذبا من القرآن الكريم، وهذا إما محاولة للتأويل المتعسف للآية أو عجز عن فهم اللغة القرآنية.

ليجد ضالته بعدها في الروايات الإسلامية الكثيرة التي ذكرها المؤرخون والمفسرون، بخاصة الطبري الذي كان مصدرا لهذه الروايات، وبسط القول في روايتين إحداهما تشبه الرواية السريانية، والأخرى أوردتها عن وهب بن منبه، تختلف في بدايتها عن الأولى في سبب إيمان الفتية وسبب طلبهم، ثم تجتمعان في باقي التفاصيل.

ويعقب على ذلك بقوله "وقد زادت المصادر التي أوردت هذه القصة كثيرا من المعلومات التاريخية والجغرافية غير أن الكثير منها متناقض، وبعضها لم يتيسر تعليقه حتى الآن تعليلا مقبولا"²، ومصدر هذه المعلومات الكثيرة كما هو معلوم عند المسلمين من إسرائيليات أهل الكتاب، الذين هم أنفسهم تختلف عندهم الروايات ما أظهر هذه الاختلافات في الرواية عنهم. وهي من الأخبار التي يتوقف عندها المسلمون فلا يصدقونها ولا يكذبونها إلا إذا ثبت عندهم الدليل.

ثم يركز فنسك على أهم المعلومات الواردة في هذه الروايات اعتمادا على خلفيته السابقة عن القصة ومحاولة مقابلة ما جاء عند الغرب مع القصة القرآنية والتراث الإسلامي وي طرحها في شكل نقاط:

- **المسألة الأولى:** يقول فنسك في تحديد أسماء الملوك الذين ذُكروا في القصة، إن "الملك الوثني الذي اضطهد النصارى كان يسمى داقبوس (251-249) أما الملك النصراني الذي بعث الفتية في عهده فهو الملك تيودوسيوس الثاني (408-450)، وهذا لا يتفق مع ما ورد في القرآن من أن أصحاب

¹ المصدر السابق، ج3، ص812، ع2.

² المصدر نفسه، ج3، ص814، ع1.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في موجز العاشرة

الكهف لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، ولا مع الروايات الأخرى التي تذهب إلى أنهم لبثوا فيه 372 عاما¹.

وهذه المقارنة لا تقوم على أي دليل ملموس، بل هي مستندة إلى أقوال المفسرين والمؤرخين والقصة السريانية، ولم يأت في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية أي ذكر لاسم الملك الذي حدثت في عصره قصة أهل الكهف، ولا اسم الملك الذي بُعث أهل الكهف في زمانه، وكان مستند المفسرين والمؤرخين في هذه الأسماء هي الروايات الإسرائيلية عن أهل الكتاب. فأغلب الروايات النصرانية تتفق في اسم الملكين، ومنها أخذت المرويات الإسلامية، لكنها تتضارب في المدة التي نامها أهل الكهف، يقول يعقوب السروجي في قصيدته: "منذ البدء وحتى الآن لما جرى ما جرى لكم أيها الفتية، فقد بعثهم أحياء بعد ثلاثمائة وسبعين سنة من مدة رقادهم"²، أما المؤرخ السرياني زكريا الفصيح (536م) فيحدد مدة الرقاد بعددين متباعدين فمرة يقول: "ما يقارب 190 سنة" ومرة أخرى يقول 120 سنة³، ويقول الراهب الزوقيني (775م) في تاريخه: "وأخذ يملحها من عملة ذلك الزمن... التي سُكَّت على عهد الملك الذي كان قبل أيام المعترفين وهي قبل ثلاثمائة وسبعين سنة"⁴، ويوافق الرهاوي بقوله في تاريخه: "مدة رقاد الفتية هي 370 سنة"⁵، بالرغم من أن المدة بين حكم الملكين هي 250م، بحيث أن بعثهم كان بعد 38 سنة من حكم ثيودوسيوس الثاني، أي في 446 م.

وهذه هي المصادر الأصلية للروايات المسيحية فالتضارب واقع فيها أولا، ومن مسلمة أهل الكتاب نقل المفسرون المسلمون والمؤرخون أسماء الملوك، لكن الثابت عند أغلبهم هو الاتفاق في تحديد مدة مكوث

¹ موجز الدائرة، ج3، ص814.

² البطريرك يعقوب الثالث، هبة الايمان أو الملقان مار يعقوب السروجي اسقف بطنان، مكتبة الفرنسيسكان، دمشق، 1971، ص24، نقلا عن: إبراهيم عافية، قصص سورة الكهف في الديانات السماوية الثلاث، دارالنوادر، ط1، 2014م، ج1، ص266

³ تاريخ زكريا الفصيح، طبعة لوفان، 1953م، ج1، ص119 نقلا عن: اغناطيوس زكا الأول عيواص، بحوث تاريخية دينية أدبية، منشورات دير مار يعقوب البرادعي-لبنان، ط1، 1998م، ص200.

⁴ طبعة شابو في لوفان، 1953م، ص189

⁵ Ernest Honigmna: Patristic studies, Vatican, 1953, p136-137 نقلا عن إبراهيم عافية، قصص سورة الكهف، مرجع سابق، ص268.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في موجز العاشرة

الفتية بالكهف كما حددها القرآن الكريم أي ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا. وهو القول الراجح عند الطبري الذي نقل الروايات الإسرائيلية في قصة أهل الكهف فيقول: "أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عزّ ذكره: ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقودا إلى أن بعثهم الله، ليتساءلوا بينهم، وإلى أن أعتز عليهم من أعتز، ثلاث مئة سنين وتسع سنين، وذلك أن الله بذلك أخبر في كتابه"¹. وهو ما يجب اثباته في ظل غياب أي دليل تاريخي على أقوالهم. ويبقى تحديد عهد الملوك وأسماء غيبا لا يعلمه إلا الله تعالى.

- المسألة الثانية: معرفة المدينة التي حدثت فيها هذه القصة: يشير فنسك إلى أن المصادر الغربية تذكر "أنها حدثت في مدينة افسوس Ephesus وتتفق معها بعض المصادر الشرقية"²، على أن العرب تعرف مدينتين بهذا الاسم أي أفسوس، ومدينة عريسوس في كباكوديا التي كانت تسمى أفسوس ثم سميت بربوز، ثم يطرح سؤالاً غريباً قائلاً: فهل كانت مدينة أفسوس هذه هي المسرح الذي وقعت فيه تلك الحوادث الحقيقية أو التي أوحى بها الخيال³ وتحدد المدينة لا دليل عليه في القرآن ولا في السنة، ولا يوجد أي دليل تاريخي أو آثار وحفريات تؤكد الرواية النصرانية، وأقوال المفسرين والمؤرخين تأثرت بالرواية النصرانية. وإخفاء الأسماء والأماكن والتفاصيل سمة بارزة في القصص القرآني لا تؤثر في جماليته وقوته وحركيته، لكن الغريب هو السؤال الذي ختم به فنسك عبارته والذي يوحى بالتشكيك في هذه القصة وواقعية وصدق أحداثها ويجعلها من وحي الخيال، بالرغم من أن القصة واردة في كتب المسيحيين، وقد خصّصت لهم الكنيسة عيداً للاحتفال بهم اختلف ميعاده بين الطوائف المسيحية. واشتهرت قصتهم في التراث العالمي بين الشعوب، أم أن وقائع القصة مما يأبي عقل المفكر الغربي استيعابه فالنوم قرونا ثم الاستيقاظ قد يعجز عن الايمان به أصحاب العقل المقدس والنظريات العلمية التجريبية.

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج 17، ص 648.

² موجز الدائرة، ج 3، ص 814.

³ المصدر نفسه، ج 3، ص 814.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في موجز العاشرة

ثم ينقل موافقة أحد المستشرقين (دي غويه)¹ على هذا الرأي باعتداده على براهين استمدتها من الكتب، في حين أن بعض الرحالة (ياقوت الحموي، ابن خرداذبه، البيروني) ذكروا في كتب التاريخ الإسلامي أنهم رأوا كهفا بمدينة أفسوس فيه جثث ثلاثة عشر رجلا قد تبيست، والتي يجعلها هي الأصل الأول لقصة أهل الكهف ثم حرف الناس أفسوس إلى أفسوس²، وهو في هذا أيضا يعتمد الافتراض و التشكيك، فعدد الفتية في الروايات النصرانية سبعة على المشهور، وهو الرأي الأغلب في الروايات الإسلامية، فما علاقة جثث الثلاثة عشر رجلا بالسبعة، وهل يمكن تأكيد تحريف حرف الباء في أفسوس إلى الفاء، وما هو الدليل والمستند.

كما أن العلماء قد وضعوا عدة احتمالات لمكان الكهف منها: كهف أفسوس بمدينة خربة في تركيا، وكهف الرجيب قريبا من عمان الأردن، كهف جبل قاسيون بدمشق، كهف البتراء بفلسطين...³، وكلها اجتهادات من العلماء لا سند تاريخي أو أثري عليها، كما أن عدم ذكر اسم المدينة لا يزيد ولا ينقص في القصة ومما لا يؤثر بالعبارة والحكمة منها.

- المسألة الثالثة: معرفة معنى أصحاب الكهف والرقيم

عرض فيها فنسك لاختلاف الآراء في تحديد معنى الرقيم فجعله الأكثرون اسما للكلب، وآخرون اسما للوح المنقوش فيه قصة أهل الكهف، وقال جغرافيو العرب هو موقع الكهف ويدل على هذا القول بقول ابن خرداذبه والمقدسي، الذي يروى "أن الرقيم جهة في شرق الأردن قريبة من عمان" ويدعمه برأي كلرمون كانو الذي زار هذا الكهف. لكنها تبقى محض افتراضات غير قائمة على أدلة موثوقة، وتبقى كلمة الرقيم سرا في قصة أهل الكهف قد يأتي زمان وتفتح مكنوناتها على الناس.

ويعود فنسك لمنهج التشكيك والازدراء لإبهام كثير من الأمور في الرواية الإسلامية مثل شأن الكلب ومكان جبل الخليوس وتبيان عدد الفتية ومعرفة أسمائهم، والاهتمام بالتاريخ والإحصاء ليس من الأمور المقصودة في القرآن الكريم، بل كل آية من آيات القصة في القرآن تحمل توجيهات ربانية ومعاني

¹ دي غويه. Goeje, M J (1836 - 1919م): مستشرق هولندي، عيّن مترجما للغات الشرقية، اشتهر بسعة

اطلاعه على تاريخ العرب، من آثاره، وفيات الأعيان لابن خلكان، طبقات الحفاظ للذهبي، عجائب المخلوقات

للقزويني... ينظر العقيلي، مرجع سابق، ص 663-665

² موجز الدائرة، ج3، ص 815

³ إبراهيم عافية، قصص سورة الكهف، مرجع سابق، ص 344.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العائنة

تربوية وحكما إيمانية تراعي السياق الخاص للقصّة، وتخدم الجو العام للسورة التي جاءت تحذر المؤمن من الفتن، وابتدأتها بفتنة الدين والتي مثلتها قصة أصحاب الكهف، وبيّنت فيها صبرهم وإخلاصهم للحق، والمكانة التي نالوها عند الله تعالى وعند عباده. وهذا المعدن الحقيقي للإيمان بغض النظر عن الأسماء والأشكال والمكانات التي يهتم بها الناس.

وفي آخر المادة ذهب فنسنتك إلى البحث عن أصول القصة في المصادر الغربية، وأرجع أول ظهور لقصة أهل الكهف إلى كتاب سرياني من القرن الخامس لديونيس ولا يعلم هل كتبت من البداية بالسريانية أو ترجمت عن اليونانية، لأن أسماء الفتية كانت يونانية، أما في الغرب فظهرت في كتاب تيودوسيوس عن الأرض المقدسة. ليختم المادة بذكره أن قصة أصحاب الكهف مشهورة وذائعة في الآداب الشرقية والغربية على حد سواء. ويؤكد على مراجعة كتاب جون كوخ الذي جعل أصلها من الأساطير، وهذا يظهر التناقض عند فنسنتك، فبالرغم من شهرة القصة العالمية، إلا أنه يلاحظ ميله لجعلها من الأساطير، ونفي وقوعها في الحقيقة.

وقد علّق عبد الوهاب النجار على مدة مكوث أهل الكهف بقوله، "أن عبارة دائرة المعارف الإسلامية كعبارة أكثر المفسرين تعتبر أن قوله تعالى ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾¹ الكهف: ٢٥، خبر عن مدة مكث أهل الكهف في كهفهم منذ دخوله إلى أن استيقظوا. ولكني أفهم غير ذلك وأقول أن قوله ﴿وَلَبِثُوا﴾ معمول لقوله ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾ الكهف: ٢٢، فهو من مقول السائلين وليس خبرا من الله تعالى ولذا اتبع ذلك القول بقوله قل الله أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل"¹، وهو رأي مشتهر عن بعض المفسرين القدامى والمعاصرين بحيث اعتبروا الآية قولاً من أهل الكتاب، ومن ضمن مرائهم وتخرصاتهم... ونُسب ذلك إلى قتادة، ومطرف بن عبد الله وابن عباس، ومستندهم في ذلك أنه لو كان تقريراً من الله لما أعقبه بهذا التفويض إلى علم الله، وتبقى اجتهادات من العلماء، وإن كان الراجح ما قاله أغلب المفسرين من أنّها بيان للمدة التي مكثها أهل الكهف في كهفهم .

وبالعموم فقصة أهل الكهف في الدائرة، أهملت القصة القرآنية وذكرتها بإيجاز شديد مع الإطالة في عرض الروايات الإسلامية ذات الأصول الاسرائيلية، والتي توافقت الروايات النصرانية، وبالرغم من أنّ

¹ يوجد خطأ في كتابة الآية فالآية ﴿ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ الكهف: ٢٢، ولعلّه خطأ مطبعي،

انظر: موجز الدائرة، ج3، ص 814

الفصل الرابع: قصة قرآنية الكهف في موجز العاشرة

كاتب المادة أشار إلى انتشارها الواسع في الآداب الشرقية والغربية، إلا أنه سجل شكّه في مدى مصداقية وقوع هذه القصة.

المطلب الثاني: قصة موسى والعبد الصالح

الفرع الأول: موسى والعبد الصالح في القرآن الكريم والسنة الصحيحة

من الأحداث التي قصّها علينا القرآن الكريم وتعلق بقصة موسى عليه السلام، قصته مع العبد الصالح التي وردت في سورة الكهف، وهي قصة ذات مواعظ وعبر جليلة، من أجل ذلك أغفل القرآن الكريم بعض التفاصيل فيها، للتركيز على العبرة الأساسية فيها وهي أن وراء كل أمر في هذه الحياة حكمة عظيمة قد تظهر آثارها للإنسان وقد تخفى على الإنسان، فوجب عليه التسليم لله تعالى، والانقياد لأوامره. وتروي القصة أن هدف موسى هو الالتقاء بالعبد الصالح وجعل الله له لذلك أمارات: هي الحوت ومجمع البحرين والصخرة، ولما لقي موسى العبد الصالح كان الشرط بينهما هو الصبر وعدم السؤال قَالَ تَمَّالِي: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّ عَلَيَّ غَاطِرُهَا فَاصْبَا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَنَّهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مَّآ عَلَّمْتَ رُسُلَنَا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ الكهف: ٦٠ - ٧٠.

وتبدأ رحلة التعلم التي خاضها موسى عليه السلام مع العبد الصالح، ويمر فيها موسى بثلاث اختبارات لم يستطع فيها أن يصبر لأنها مواقف ظاهرها الظلم والمنكر، وموسى عليه السلام النبي الداعية لم يكن عليه السكوت عن ذلك قَالَ تَمَّالِي: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَتَنَّهُ قَالَ قَتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِجْنِي فَدَّ بَلَغْتَ مِنَ لُبِّي عَدْلًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾﴾

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في سورة الكهف

﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴿الكهف: ٧١ - ٧٨﴾

وفي نهاية القصة يفسر العبد الصالح المواقف التي لم يتمكن موسى عليه السلام من استيعابها لتظهر الحكمة الخفية في أفعال العبد الصالح، وأنه لم يكن يفعلها إلا بوحي من الله تعالى، ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٦﴾ وَأَمَّا الْكُلْبُ فَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ فَنَحِشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٧٥﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٧٤﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُمْ عَنِ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ ﴿الكهف: ٧٩ - ٨٢﴾.

وقد جاء في صحيح البخاري عن سعيد بن جبیر قال: قلت لابن عباس إن نوحا البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر؟ فقال كذب عدو الله، حدثنا ابن أبي كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم "قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه إن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال يا رب وكيف به؟ فقيل له: حمل حوتا في مكمل فإن فقدته فهو، ثم فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحمل حوتا في مكمل حتى كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما، فانسل الحوت من المكمل فاتخذ سبيله في البحر سربا، وكان لموسى وفتاه عجبا، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. ولم يجد موسى مسنا من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به قال له فتاه: رأيت إذ أوينا إلى الصخرة؟ فإني نسيت الحوت، قال موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا، فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب أو قال تسجى بثوبه فسلم موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علّمت رشدا؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبرا يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه لا أعلمه. قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما، فعرف الخضر فحملوهما بغير نول، فجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال: الخضر يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخضر في موجز العاشرة

إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قال لا تؤاخذني بما نسيت - فكانت الأولى من موسى نسيانا- فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: أقتلت نفسا زكية بغير نفس؟ قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟ - قال ابن عيينة وهذا يؤكد - فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجد فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه، قال الخضر بيده فأقامه، فقال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك) . قال النبي ﷺ: (يرحم الله موسى لو ددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما)¹

وقد جاء التصريح في هذا الحديث بأن اسم العبد الصالح هو الخضر، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهمز من خلفه خضراء"² ولم يرد أي خبر آخر عن الخضر، سوى وصفه بالعبد الصالح، فلم تذكر بلده ولا كونه نبي أو ولي، كما بينت الآيات الكريمة حرص موسى على طلب العلم وهو الرسول الكريم، وتواضعه وعزيمته القوية في إقامة الحق، ولم تحتف الآيات الكريمة ولا أحاديث السنة الصحيحة أي تفاصيل عن اسم الملك أو الغلام أو اسم القرية، لأنها مما يُذهل العقل عن التفكير في معاني القصة الإيمانية، ولا يرتجى منه كبير فائدة.

الفرع الثاني: موسى والعبد الصالح في موجز الدائرة

وردت الإشارة إلى قصة موسى مع العبد الصالح في مادة (الخضر) التي كتبها (فنسنك)، وترجمها (عبد الحميد يونس) وهي من المواد المتوسطة، حاول فنسنك الاعتماد فيها على الروايات والأخبار بدرجة كبيرة، بدأ المادة بأن الخضر شخصية مشهورة في الأساطير والقصص، وحصل على اسمه تشبيها بالنبات الأخضر، ثم ربط بينه وبين آيات سورة الكهف، واعتمد على قول جمهور المفسرين في أن اسمه الخضر، ومنهم من يجعله فتي موسى، بعدها حاول فنسنك التعرض لعدة قضايا خلافية بين المفسرين وهي:

¹ أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العال العلم إلى الله، ج1، ص35، رقم الحديث 122.

² أخرجه البخاري، ج4، ص156

الفصل الرابع: قصة قرآنية أخرى في سورة العنكبوت

- تحديد شخصية موسى هل هو ابن عمران، أم موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام، ويشير إلى إجماع أغلب المفسرين على الرأي الأول لحديث النبي ﷺ الوارد في هذه القصة، والملاحظة المهمة في هذه المادة هو قيام فنسك أخيراً بإظهار خبرته في مجال الاطلاع على الأحاديث، حيث ذكر هذا الحديث في مصادره الأصلية عند البخاري، مسلم والترمذي، ثم الطبري، والرازي، وهذا بخلاف باقي المواد التي كتب فيها ولم يشر فيها إلى الأحاديث مطلقاً أو لم يكن يشير إلى مصادرها. ويؤكد الامام الرازي أنه موسى بن عمران بقوله: "واحتج القائل على صحة قولنا إنّ موسى هذا هو صاحب التوراة، قال إنّ الله تعالى ما ذكر موسى في كتابه إلا وأراد به صاحب التوراة، فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه، ولو كان المراد شخصاً آخر مسمى بموسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وإزالة الشبهة"¹.

- كما خاض فنسك في تحديد مجمع البحرين، وذكر الروايات المختلفة في ذلك. ولا يمكن إنكار أن المفسرين والمؤرخين في هذه القصة قد انقسموا قسمين منهم من التزم بما جاء في الآيات القرآنية والسيرة النبوية، ومنهم من أسهب في التفاصيل والأخبار التي لا سند لها ولا دليل عليها. وحاولوا الوصول إلى تحديد مجمع البحرين، واسم الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبا، واسم الغلام الذي قتله العبد الصالح، والقرية التي أبت ضيافة موسى ﷺ والعبد الصالح، حتى كثرت الآراء والأقوال من غير دليل، وشوّش على القارئ والسماع بما لا يفيد، وبما لا يضيف على القصة مزيد بيان. وما عزّز كثرة هذه الروايات وانتشارها هو اشتهاار الخضر بعلم البواطن والغيبيات، وما تحتله هذه الشخصية عند المتصوفة والفرق الباطنية من مكان. حتى أنّهم جعلوا مجمع البحرين، عبارة عن تفسير مجازي يعني اجتماع موسى بالخضر، وهما بحرا الحكمة. وهو ما نقله فنسك عن الدميري في كتابه حياة الحيوان، لكن يرى أغلب العلماء أنّ البحران حقيقيان وإن اختلفوا في تحديدهما. وهذا يوضح شغف المستشرقين والآراء الشاذة والغريبة ومحاولة التشهير بها في هذه الدائرة العالمية.

¹ تفسير الرازي، مصدر سابق، ج21، ص477.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخضر في موجز العاشرة

ثم أشار إلى أن موسى رأى الخضر "مسجى بثوبه كما ورد في القرآن"¹، وهذا غير صحيح بل هو وارد في حديث البخاري²، وكذا جاء في التفاسير، وهذا عدم تثبت منه في نسبة الأقوال والروايات إلى مصادرهما، ثم ذكر الحديث عندما رأى عصفورا ينقر في الماء قال لموسى ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقر أو نقد هذا العصفور من البحر، وذكر أنه عند الطبري ثم عند البخاري ثم الرازي على هذا الترتيب، وفرنسك متخصص في دراسة الأحاديث ويعلم مكانة السنة في الإسلام، كما يعلم مكانة صحيح البخاري على باقي كتب المسلمين، فكان عليه أن يبدأ به ثم يثني بالتفاسير، فكان الأولى به وهو في دائرة معارف إسلامية، مراعاة أولوية إيراد الحديث عند المسلمين.

أشار بعدها كاتب المادة إلى قصة اختبار صبر موسى مع العبد الصالح، لكنه أعرض عن الخوض فيها، لأنها زاخرة بالتفاصيل، ولا يتسع لها المقام، وهذا خلل منهجي كبير، فالقصة الواردة في المصدر اليقيني للإسلام وهو القرآن أعرض عنها لطولها، مع إمكان اختصارها، وذهب إلى الأخبار والتفصيلات التي لا دليل عليها وتعدّ من اجتهادات المفسرين، وأخبار القصاصين والاسرائيليات، فملاً بها المادة، وهذا من أدلة المنهج الانتقائي للمستشرقين بما يخدم أهدافهم ويلبي أهواءهم.

وأضاف فرنسك إلى ذلك خلافاً أكبر منه عندما ذهب يبحث عن تفصيلات الخضر وتحليل حياته عند المستشرقين، فلم يكف اختلافات المسلمين فيه، ليختلف فيه المستشرقون، ويضعوا لذلك افتراضات أخرى تتعلق بعلاقة الخضر وبمبحث الاسكندر عن نهر الحياة، حيث يركّز فرنسك في هذه المادة على عرض آراء المستشرق (فريدلاندر Friendlander)³، الذي يرى، أن الخضر "يتصل بفتى موسى (الإسكندر) الذي كان الحوت معه، كما ورد في الآية 59 وما بعدها، و بعبارة أخرى هذا الفتى هو عين طاهي الإسكندر، الذي نعرفه جيداً من كاستينيز المزعوم، والعظة السريانية"⁴، وبعدها يورد فرنسك هذا الكلام ينقده مبيناً أنه ليس هناك ترجمة معروفة لقصة الاسكندر في الأدب العربي، ثم يعرض عن تناول هذه

¹ موجز الدائرة، ج15، ص 4679.

² ينظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكم، ج1، ص 36، رقم الحديث 122.

³ فريدلاندر Friendlander: أثاره: حسن الطالع في الإسلام واليهودية، اليهود في الجزيرة العربية.. ينظر: العقيقي،

مرجع سابق، ص95

⁴ موجز الدائرة، ج15، ص4680.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في مجلة العائنة

الفكرة، لأن هناك نسخ مختلفة من قصة الاسكندر، ولأن هذه المصادر تبدو مستقلة عن القرآن الكريم، لا لأنها تجعل الخضر رفيق ذي القرنين فحسب، بل لعدم وجود إشارة ما إلى الفتى الوارد في القرآن الكريم أيضا¹، فالفارق كبير بين القصتين، بل لا وجود لها في قصة الاسكندر، وإن كان مرتبط الوصل بين القصتين هو خلود الخضر لشربه من عين الحياة قبل الاسكندر، لكن هذا غير ثابت في الروايات الإسلامية، ومعلوم أنه من الاسرائيليات التي يتوقف في قبولها أو ردّها. ويستفيض فنسك في الحديث عن العلاقة بين الاسكندر والخضر، مشيرا إلى الروايات التي وجد فيها عين الحياة، والتي تجعله خالدا.

ثم ينتقل نقلة نوعية في الحديث عن الخضر عندما يسوق فقرة من عند (ماراتشي) على سورة الكهف يذكرها المترجم كما هي، ثم يترجمها في الهامش بقوله: "الخضر الذي في أساطير المسلمين هو فيناس بن إيعازر بن هارون الذي حلّت روحه بالتناسخ في إيليا ثم في القديس غريغوري الذي وقّره المسلمون جميعا لهذا السبب توقيرا عظيما"². ويعقب فنسك عليه بالقول بأن هناك: "خلط بينه وبين القديس جرجيس الذي يماثل الخضر من وجوه معينة"³، ويضيف مصادر المستشرقين التي تقول بهذا القول.

والمتمعن في القول الذي ساقه فنسك عن ماراتشي يلاحظ فيه عقيدة بعيدة عن عقيدة المسلم من حيث القول بالتناسخ، كما أنه يضيف اسما ونسبا جديدين للخضر لم يردا في مصادر المسلمين، ويجعل روح الخضر تحلّ في القديس جرجيس أخيرا، لهذا السبب وقّره المسلمون، وهو سبب غريب جدا لم يرد في التراث الإسلامي ولا نقله المتصوفة الذين يحتل عندهم الخضر مكانة خاصة فما هو معتمد المستشرقين في إيراد مثل هذه المعلومات، وما علاقتها بالتراث الإسلامي، إنّه حشو زائد في المادة، لا يقدم ولا يؤخر في مادة الخضر، خاصة وأن مادة الخضر من المبهمات، ومما لا يمكن البتّ فيه أبدا.

ويضيف فنسك إلى ذلك فرضية المستشرق (كانو Ganneau)، أن هناك علاقة بين حروف كلمة خ-ض-ر، والحروف السامية الشمالية ح-ص-ر، ومن ثم يكون الاسم تصحيفا ل (خسسترة) أو يتصل ب (أهسويروس) اليهودي التائه⁴. كما يشير إلى افتراض (فريدلاندر) أن هناك علاقة بين الخضر وبين أسطورة كلوكوس اليونانية، وأنها وصلت إلى المسلمين عن طريق وسيط سرياني. ويرد عليه فنسك أنه

¹ المصدر السابق، ج15، ص 4680.

² المصدر نفسه، ج15، ص4682، الهامش

³ المصدر نفسه، ج15، ص4682

⁴ المصدر نفسه، ج15، ص4682.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العائنة

لا يمكن معرفة أي شيء عن هذا الوسيط، وأن العلاقة بين الخضر وبين كلوكوس تفسر جانباً واحداً من جوانب الاسم فقط. فإذا كان فنسك لا يؤيد ما ذهب إليه فريدلاندر فما الداعي لإيراد فرضياته، خاصة في دائرة معارف لا تشمل المناقشات والردود، وكان بإمكانه الرد عليه في كتب أو مقالات خاصة.

والملاحظ اعتماد فنسك كثيراً على ما كتبه (فريدلاندر) قبله خاصة في مجال كرامات الخضر حيث يقول: "وتطيعه السماء والبحر وبقاع الأرض وهو خليفة الله في الأرض ووكيله على الأرض، ويحتجب عن الأبصار متى شاء" ويقول في موضع آخر "ويستطيع أن يجد الماء تحت الأرض ويتكلم لغة الناس قاطبة"، فبالرغم من الروايات الإسلامية الكثيرة عن الخضر، إلا أن فنسك أبي إلا أن يأخذ من هذا المستشرق، على طريقته الخاصة في جمع الأخبار والروايات من أي كتاب، دون إعطاء الأولوية لثبوت هذه الرواية وصحتها وقبولها عند المسلمين. كما يؤكد خلود الخضر من خلال قصيدة (روكوت) التي أوردها فريدلاندر في كتابه، ثم يثني بأخبار كتاب المعمرين للسجستاني، وكتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني "وأغلب هذه الروايات من الضعيف الواهي باعتراف صاحب الكتاب، مما يساعد على ملاحظة هذه الأخطاء المنهجية التي يبالغ فيها المستشرقون، فواضح أنّ فنسك يقدم الدراسة الاستشراقية على المصادر الأصلية للمعلومة، والتي فصلت وحللت ودللت أكثر من المستشرق الذي اعتمد عليه، ولا يُعذر بكون الدائرة موجهة إلى الغربيين بالدرجة الأولى، لأنّ ترك المصدر مع توفره إلى المرجع خلل منهجي.

ومن المصادر الإسلامية التي اعتمد عليها فنسك وبدت بارزة في إحصائه كتاب الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني، وكتاب تاريخ الخميس للديار بكرى، وإن كان الأخير قد اشتهر بجمع الأخبار، فإن ابن حجر العسقلاني قد ألف كتاباً خاصاً عن الخضر ضمّنه ما كتبه في باب الخضر في كتابه الإصابة في معرفة الصحابة، عنوانه (الزهر النظر في حال الخضر) وأغلب الأحاديث التي اعتمدها في باب الكرامات ولقاءه بالنبي ﷺ، وتنقلاته أثبت الذي حقّق الكتاب (صلاح الدين مقبول) أنّها أحاديث ضعيفة جداً، أو واهية لا أصل لها، وهو المتمرس في التعامل مع الحديث على الأقل في معرفة رأي العلماء في الحديث الموضوع والضعيف.

وحاول فنسك استقراء اسم الخضر من الروايات الإسلامية وتحديد نسبه، وينقل من كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني، أن إلياس ذكر علماً على الخضر، وعلماً على اليسع وأورميا، وبالعودة إلى كتاب

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العاشرة

الإصابة نجد الإمام ابن حجر العسقلاني يقول في إلباس: "ومن أغرب ما روي فيه أنه هو الخضر"¹ كما أن هناك روايات ذكرها ابن حجر في نسب الخضر كان قد ردّها أو طعن في سندها، لكن فنسك ذكرها ولم يبيّن ذلك، على طريقة بسط الروايات فقط أو من باب اختيار الروايات التي يريدّها فقط.

وفي باب كرامات الخضر عاد فنسك إلى ذكر اختلاف المصادر الإسلامية حول عدة أمور ساق أشهر الآراء المذكورة فيها مسنداً كل قول إلى صاحبه. من هذه الأمور: الاختلاف في زمانه، ولما سمّي بالخضر بالرغم من أن الحديث النبوي أجاب عن ذلك، لكنّ فنسك ذكر أقوالاً أخرى جاءت عند الدميري، وأشار إلى القصة الاثيوبية لقصة الاسكندر، المذكورة عند المستشرق فريلاندر، وكذا الثعلبي والاختلاف هل هو كائن بحري أو كائن نباتي، وما هي طبيعته هل هو نبيّ أو وليّ،

ويحاول أن يربط الروايات بما جاء في العهد القديم في سفر زكريا، 6:12: "هو ذا الرجل الغصن اسمه ومن مكانه ينبت" مع أن المشار إليه في هذا النص في العهد القديم هو يهوشع بن يهوذا الكاهن العظيم، ثم أضاف أن الخضر يتعلق بشخصيتين مسيحيّتين أولاهما إيليا والثانية المسيح، ويؤلف هؤلاء الثلاثة مع إدريس الأربعة الذي لم يذوقوا طعم الموت، وهي محاولة منه ليحث عن جذور لفكرة الخضر في العهد القديم وفي المسيحية.

وما يلاحظ على مادة الخضر براعة فنسك في جمع الأخبار والروايات الغريبة، ووضوح طريقته في عدم التأكد من صحتها وتمحيصها، مع حسن إحالاته لها على مصادرها، أيضاً تبقى فكرة الاستدلال بمن سبقه من المستشرقين ذات أثر بارز في منهجه، فهو لا يستغني عن دراسات من قبله ليبنى عليها تصوراته وأفكاره، مع نقده لها في بعض الأحيان، وكذا من باب تعزيز الدراسات الاستشراقية. والمادة عبارة عن حشو زائد لروايات أغلبها وإه، تعطي انطباع عن أسطورية الإسلام، وإن كان يظن فنسك أنه حاول استقصاء كل ما ورد عن الخضر في التراث الإسلامي، فهو مخطأ فالروايات الموضوعية لا تمس بصلة لأصول الإسلام، ولو كان المستشرق التزم بما ورد في القرآن الذي اتهمه بالطول، لكان في مأمن من هذه الأخبار.

¹ أحمد ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- لبنان، ج1، ص313

الفصل الرابع: قصة قرآنية الكهف في سورة الكهف

المطلب الثالث: قصة ذو القرنين مع يأجوج ومأجوج

الفرع الأول: قصة ذو القرنين مع يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم والسنة النبوية

وردت قصة ذو القرنين مع يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم في سورة الكهف في قوله تعالى:

﴿وَسأَلُونَاكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۗ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۗ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ۗ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا تَتَّخِذُ فِيهِمْ حُسْنًا ۗ قَالَ أَأَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ۗ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۗ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۗ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْعَمَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ۗ كَذَلِكَ ۗ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۗ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۗ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۗ قَالُوا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۗ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ۗ فَمَا اسْطَلَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نُقْبًا ۗ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۗ﴾ الكهف: ٨٣ - ٩٨

وابتدأت الآيات ببيان أن الرسول ﷺ سأله قومه عن ذي القرنين، وسينبئه القرآن الكريم بعضها من أخباره، وقد ورد في سبب نزول سورة الكهف¹ سبب ضعيف، فيه أن قريش استعانت بأهل الكتاب لتعجيز النبي ﷺ، وإحباط دعوته، وكان من الأسئلة سؤالهم عن رجل طواف في الأرض، والذي أشار إليه القرآن الكريم بذوي القرنين.

ثم بدأت الآيات الكريمة بتوصيف ذي القرنين قَالَ تَمَّالٌ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ الكهف: ٨٤، أي "أعطيناه ملكًا عظيمًا متمكنًا فيه له من جميع ما يؤتى الملوك"²، وقد رنا له الأسباب التي يتوصل بها الى تحصيل الأمور. والسبب في أصل اللغة "عبارة عن الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى

¹ انظر سبب نزول سورة في الكهف في المطلب السابق، ص 558.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج 5، ص 189.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في سورة العنكبوت

المقصود¹. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّبَع سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ الكهف: ٨٥، "فإذا أراد شيئاً أتبع سبباً يوصله إليه ويقربه منه²، وهو بمعنى سلك طريقاً ومعالم في الأرض.

وأشار القرآن الكريم إلى رحلات ذي القرنين الثلاث: رحلة باتجاه الغرب ورحلة باتجاه الشرق، ورحلة قادته إلى السدّين، والرحلة الأولى جاءت في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبٌ وَإِنَّمَا أَنْتَ تَتَّخِذُ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِن أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ الكهف: ٨٦ - ٨٨

فلما وصل ذي القرنين إلى ناحية مغرب الشمس، قال ابن كثير: أي "رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه، وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه³ وجد الشمس تغرب عند عين حمئة أي ذات حمأة وهي الطينة السوداء، وقرئ حامية أي حارة، ووجد عندها قوما من الناس فقلنا يا ذا القرنين "إما أن تعذبهم وإما أن تحسن إليهم، فحُيِّر بين الأمرين، لأن الظاهر أنهم كفار أو فساق، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين غير فساق، لم يرخص في تعذيبهم"⁴، فكان حكم ذو القرنين: أن الظالم له عذاب الدنيا، ثم يعود إلى الله فيزيده من عذاب الآخرة، أما المؤمن الصالح فله الجنة في الآخرة وسنحسن له القول والمعاملة. وهذا من شيم الملوك العادلين.

ثم سلك ذو القرنين طريقاً بلغ به مطلع الشمس ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ الكهف: ٩٠ - ٩٢ فوجدها تطلع على قوم ليس بينها وبينهم ساتر أو حائل، وأحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة وعلمنا معه، حيثما توجه وسار⁵.

¹ تفسير الرازي، مصدر سابق، ج21، ص495.

² المصدر نفسه، ج21، ص495.

³ المصدر نفسه، ج5، ص191.

⁴ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص485.

⁵ المصدر نفسه ص486.

الفصل الرابع: قصص قرآنية الكهف في سورة العنكبوت

وفي الرحلة الثالثة وصل ذي القرنين إلى ما بين السدين وهما الجبلين العظيمين، ووجد من دونهما قوما "لا يكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم"¹، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿١٨﴾ قَالُوا يَنْدَا الْقَرْيَتَيْنِ أَنِ يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿١٩﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٢٠﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٢١﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٢٢﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٢٣﴾﴾ الكهف: ٩٢ - ٩٨

فطلبوا من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج المفسدون في الأرض سدًا وحاجزًا، في مقابل أجر كبير يدفعونه له، فأجابهم ذو القرنين بخير مما أرادوا فقال: "إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه"²، لكن ساعدوني بجهدكم وعملكم، قال الطبري: "أعينوني بفعلته وصنّاع يُحسنون البناء والعمل"³ أجعل بينكم حاجزًا وأردم الثغر الذي بينكم وبينهم فلا يصلون إليكم، فأحضروا قطع الحديد فوضعها فوق بعضها حتى ساوى بين جانبي الجبلين، ثم طلب أن توجج النار فيه حتى أصبح في هيئة النار حرارة وشكلا وهذا تشبيهه بليغ، ثم أفرغ عليه النحاس المذاب، فأصبح جدارا أملس صلب. ولم يستطع يأجوج ومأجوج أن يتسلقوه لملاسته، ولم يستطيعوا ثقبه لصلابته، ثم ذكر نعمة الله على الناس بأن جعل هذا السد رحمة بهم من شر يأجوج ومأجوج، حتى إذا جاء وعد الله انهك هذا السد وكان دكا أي مساويا للأرض، وخرج يأجوج ومأجوج ليغزوا الأرض.

ولم يرد في ذي القرنين ولا في قصته حديث صحيح يمكن التعويل، وكل ما ورد كان من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية.

أما يأجوج ومأجوج فقد ورد ذكرهم في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٢١﴾﴾ الأنبياء: ٩٦، قال الامام ابن كثير: "أي يسرعون في المشي إلى الفساد، والحَدَب: هو المرتفع من الأرض، قاله ابن عباس وعكرمة"⁴. وقال الامام

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج18، ص103.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص196.

³ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج18، ص112.

⁴ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص372.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في سورة العنكبوت

السعدي: " وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم"¹، وأورد البخاري في صحيحه: "قال قتادة حَدَب: أكمة، قال رجل للنبي ﷺ رأيت السدَّ مثل البرد المحبر قال: رأيتَه"²

ومَّا ورد في السنة النبوية عن يأجوج ومأجوج أيضا ما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: "لِيُحَجَّنَ الْبَيْتُ وَلِيُعْتَمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ"³.

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها فرعا يقول "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر اقتراب، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه". وحلَّق بإصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله: أهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثرت الخبث"⁴ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد". قالوا: يا رسول الله وأيتنا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا. ثم قال: والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبرنا فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبرنا، فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود"⁵

¹ تفسير السعدي، مصدر سابق، ص531.

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ج4، ص138، رقم الحديث: 3346

³ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب قول الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام، ج2، ص149، رقم الحديث 1593.

⁴ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ج4، ص138، رقم الحديث: 3346.

وأخرجه مسلم في الفتن وأشراف الساعة باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، ج8، ص165 رقم الحديث: 7416.

⁵ أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ج4، ص139، رقم الحديث: 3348. وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الايمان، باب قوله يقول الله يا آدم أخرج بعث النار، ج1، ص139، رقم الحديث 98

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في عهد العائشة

وفي صحيح الامام مسلم جاء عن النّوأس بن سمعان قال: "ذكر رسول الله ﷺ الدّجال ذات غداة... فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أيّ قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرّز عبادي إلى الطور، وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصِرَ نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فیرَغَبَ نبي الله عيسى وأصحابه، فيُرسل الله عليهم التّغفّ في رقابهم فيصبحون فرسَى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ومنتهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يَكُنُّ منه بيت مدرّ ولا وبرٍ فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفه، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك ورُدّي بركتك..."¹

وزاد في رواية بعد قوله لقد كان بهذه مرة ماء "ثم يسرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيردّ الله عليهم نشابهم مخضوبة دما"².

وذكر الامام ابن ماجة في سننه عن النّوأس بن سمعان يقول: قال رسول الله ﷺ: "سيوقد المسلمون من قسيّ يأجوج ومأجوج، ونُشَابِهِمْ، وَأَتْرِسَتِهِمْ سبع سنين"³ والقسي: جمع قوس، ونشاب هو السلاح وأورد ابن ماجة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدا. فيعيده الله أشد ما كان حتى

¹ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ج8، ص198، رقم الحديث: 7560

² أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ج8، ص198، رقم الحديث: 7561

³ أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم، ج2، ص1359، رقم الحديث: 4076.

الفصل الدابة: قصص قرآنية أخرى في موجز الدابة

إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غدا، إن شاء الله تعالى، واستثنوا. فيعودون إليه، وهو كهينته حين تركوه، فيحفرونه. ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع، عليها الدم الذي أجمط. فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء. فبيعت الله نغفا في أقدانهم فيقتلهم بها". قال رسول الله ﷺ "والذي نفسي بيده! إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرًا من لحومهم"¹.

وروى الامام أبو داود في سننه عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: كنا قعودا نتحدث في ظل غرفة لرسول الله ﷺ فذكرنا الساعة فارتفعت أصواتنا، فقال رسول الله ﷺ: " لن تكون أو لن تقوم الساعة حتى يكون قبلها عشر آيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وعيسى ابن مريم والدخان وثلاث خسوف خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك تخرج نار من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر"².

هذا ما ورد من أحاديث صحاح في الكتب المعتمدة للسنة النبوية، وفيها وصف للأيام التي سيفتح فيها السد الذي بناه ذو القرنين، وخروج يأجوج ومأجوج بعد القضاء على الدجال، وهبوط عيسى عليه السلام، وفيها تفصيل لكثرتهم وإفسادهم في الأرض، وكيف تكون نهايتهم، أمّا ما ورد عن أوصافهم إلى غير ذلك فلم تذكره كتب السنة المعتمدة.

الفرع الثاني: ذو القرنين ويأجوج ومأجوج في موجز الدابة

ورد في موجز الدابة مادة خاصة بذو القرنين وأخرى خاصة بيأجوج ومأجوج. كتب مادة ذو القرنين في الدائرة المستشرق (متفوخ) E.Mittwoch وترجمها (الشتاوي)، وهي من المواد القصيرة في موجز الدابة، أما مادة يأجوج ومأجوج فقد كتبها (فنسنك) وترجمها (عبد الرحمان الشيخ) وهي أيضا من المواد القصيرة. وسيتم تناول مادة ذو القرنين ثم مادة يأجوج ومأجوج.

¹ وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

² أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب أمارات الساعة، ج4، ص114، رقم الحديث: 4311

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في موجز العاشرة

وبالنظر السريع في مادة ذي القرنين يظهر أن المستشرق متفوخ كان يهدف إلى الإحاطة بكل من أطلق عليه لقب ذو القرنين في التاريخ الإسلامي، وليس الحديث عن قصة ذي القرنين الوارد ذكرها في القرآن الكريم، بدليل أنه بدأ بتعريف ذو القرنين بقوله: "اسم يطلق دائما على الأشخاص الوارد ذكرهم فيما بعد، وخاصة الشخص الثالث"¹، وقد اعتمد متفوخ منهج الاستقراء في هذه المادة دون الغوص في تفاصيل الشخصيات وتحليلها أو ذكر قصصها، لكن كان في مقاله إشارات إلى ذو القرنين الموصوف في القرآن الكريم من خلال محاولة تحديد شخصيته، إعتماذاً على المصادر العربية خاصة كتب اللغة (لسان العرب، القاموس)، وكذا كتابات المستشرقين (نولدكه، كرومر)، وبالرغم من أن قصة ذي القرنين بارزة في القرآن الكريم، وتناولها المفسرون والمؤرخون و هي مشتهرة في التراث الإسلامي، لم يحاول متفوخ الحديث عن تفاصيل القصة، كما وردت في القرآن الكريم بل أعاد جذورها إلى الأسطورة السريانية التي تتحدث عن الإسكندر.

وبحث متفوخ في أصل فكرة القرنين والتي أرجعها إلى الأساطير القديمة، حيث اشتهر قرني (نارام سن) الذي يصور بصورة اداد² اله الرياح والعاصفة عند البابليين، وقرني جوبيتر أمون، ليصل أن لقب ذو القرنين "لم يكن معناه الحقيقي معروفا للعرب"³ ما أدى إلى الاختلاف الشديد في تحديد شخصية ذو القرنين والتفسيرات العجيبة التي أحاطت بالمصطلح، لكن بالعودة إلى المصادر اللغوية التي اعتمد عليها المستشرق متفوخ تبين أن معنى ذو القرنين كان واضح الفكرة متعدد المعاني عند العرب، لهذا تعددت الشخصيات التي أُطلق عليها مثل هذا اللقب.

ثم ذكر متفوخ أهم الشخصيات التي رأى أنها اشتهرت بلقب ذي القرنين وهي:

1. المنذر الأكبر ابن ماء السماء جد النعمان بن المنذر، ويقال أنه لبس ذؤابتين طويلتين معقوصتين من الشعر على جبينه، ومن ثم عُرف باسم ذي القرنين. وجاء في تفسير ابن دريد أنه هو ذو القرنين المشار إليه في ديوان امرئ القيس:

¹ موجز الدائرة، ج16، ص4995.

² المصدر نفسه، ج16، ص4995.

³ المصدر نفسه، ج16، ص4995.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العاشرة

أصد نشاط ذي القرنين حتى تولى عارض الملك الهمام

وجاء في لسان العرب الذي كان المصدر الأول للمستشرق متفوخ في هذه المادة" قيل له ذلك لأنه كانت له ذؤابتان يَضْفِرُهُمَا فِي قَرْنَيْ رَأْسِهِ فَيُرْسِلُهُمَا وَلَيْسَ هُوَ الْمُوصُوفُ فِي التَّنْزِيلِ"¹، وهو إقرار من ابن منظور من أنه ليس هو نفسه ذو القرنين الذي جاء في القرآن الكريم، لكن المستشرق حذف هذه العبارة وتخطاها الى ما بعدها من قول ابن دريد، بما يوحي للقارئ أنه قد يكون ذو القرنين الوارد في القرآن، كما أنه جاء في لسان العرب أن المنذر الأكبر سمي بذي القرنين لظفيرتين مرسلتين من قرني رأسه، وليس كما قال المستشرق أنه لبس الضفيرتين المعقوصتين على جبينه، فقد كانا من شعره، حيث يذكر الزركلي في الأعلام عن ابن ماء السماء: "وكان له ضفيرتان من شعره، ويلقب بذي القرنين بهما"². لأن من معاني القرن في اللغة الضفيرة.

ثم ختم متفوخ كلامه عن ابن ماء السماء بقوله: "يرى فنكلر في ذي القرنين هذا أنه إله الرعد"³ وهو قول غريب لم يقل به غير هذا المستشرق الذي لم يبين أدلته على هذا القول.

2. الشخصية الثانية هي "تبع الأقرن، أحد ملوك بلاد العرب الجنوبية، وهو في تفسير بلاد العرب الجنوبية ذو القرنين، الذي ذكر في القرآن"⁴ وأشار إلى التهميش من أنه أخذه من نولدكه، والذي بدوره قد يكون أخذه من كتاب ابن هشام⁵ (التيجان في ملوك حمير) الذي رواه عن وهب بن منبه وهو من اشتهر عنه هذا الرأي، كما ورد في كتاب أخبار عبيد بن شربة الجرهمي⁶ في أخبار اليمن وأنسابها، و" قال السهيلي وسمي الأقرن لشامة كانت في قرنه"⁷.

¹ لسان العرب، مصدر سابق، ج13، ص331.

² الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج7، ص292

³ موجز الدائرة، ج16، ص4996

⁴ المصدر نفسه، ج16، ص4996، ع1.

⁵ وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية - صنعاء، ط1، 1347هـ ص446.

⁶ محمد خير رمضان يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، دار القلم والدار الشامية، ط2، 1994، ص167.

⁷ أحمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تح: يوسف علي طويل، دار الفكر - دمشق، ط1، 1987م، ج5، ص22.

الفصل الرابع: قصة قرآنية أخرى في موجز العاشرة

واختلفت المصادر الإسلامية في تحديد من هو الملك اليميني الذي أطلق عليه هذا اللقب، وأشهر الأقوال أنه الصعب بن ذي مرثد بن الحارث الرائش من ملوك حمير، كما اختلفوا في نسبه، وذلك لما ميز تاريخ ملوك اليمن، من المبالغة وكثرة الأعاجيب والأساطير، ورأى القائلون بأن ذو القرنين الوارد في القرآن هو من ملوك حمير لكثرة الأشعار الواردة في وصف وذكر ذي القرنين باسمه عند شعراء العرب القدامى، كما استدلوا أن لفظة (ذو) مستعملة كثيرا في أسماء ملوك حمير، كذي نواس وذي النون... ولا يمكن الجزم بهذا القول، لأنه لم يسجل التاريخ أن أحد ملوك اليمن قد خرج في رحلة جاوزت الجزيرة العربية .

- الشخصية الثالثة هي الاسكندر الأكبر، ويقول فيها متفوخ: "هو إلى الآن أكثر الشخصيات التي تعرف بذى القرنين، بل هو قد ذكر في القرآن بهذا الاسم (سورة الكهف الآية 82 وما بعدها)¹، واستعمال الكاتب لهذه العبارة توحى للقارئ بأن اسم الاسكندر قد ورد في القرآن الكريم موصوفاً بذى القرنين، رغم أن القرآن تحدث عن ذو القرنين من دون ذكر أي إشارة عن اسم هذه الشخصية، بل مركزاً فقط على أعمالها وإنجازاتها التي أغفلتها الدائرة، ثم يذكر متفوخ مستنده في هذا الرأي بقوله: "أخذنا بصورته الأصلية الواردة في الأسطورة السريانية التي ظهرت في القرن السادس للميلاد، والتي جاء فيها أن الاسكندر خاطب الله سبحانه وتعالى قائلاً: (إني أعلم أنك جعلت قرنين يرمون فوق رأسي حتى أستطيع بهما القضاء على ممالك العالم)، وقد بين نولدكه أن الأسطورة السريانية هي أصل عبارة ذي القرنين الواردة في القرآن"². وهذا تصريح من نولدكه باقتباس القرآن لقصة الاسكندر من الرواية السريانية ونسبتها إلى ذي القرنين، ويصف الرواية السريانية بأنها أسطورة غير حقيقية، والقرآن الكريم لم يتحدث أبداً عن قصة الاسكندر، وليس هناك أي تشابه في أحداث قصة الاسكندر وقصة ذو القرنين في القرآن الكريم، وإيراد القرآن لقصة ذو القرنين يعني أنها حقيقية وواقعية فالقرآن كله صدق وحقيقة، وليس في تفاصيلها الواردة في القرآن الكريم أي أعاجيب أو غرائب، بل كل ذلك بتمكين من الله تعالى لذي القرنين وتوفير للأسباب، أما ما جاء في أغلب التفاسير فكله من الاسرائيليات.

وقد اختلف المفسرون حول تحديد شخصية ذي القرنين إلى أقوال كثيرة، وأغلب أقوالهم دارت على أنه الاسكندر، ثم اختلفوا في نسبه هل هو اليوناني أم الروماني فقال الإمام ابن كثير: " فأما الأول فقد

¹ موجز الدائرة، ج16، ص4996

² المصدر نفسه، ج16، ص4996

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في عهد العائنة

ذكره الأزرقى وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل، عليه السلام أول ما بناه وآمن به واتبعه، وكان معه الخضر عليه السلام، وأما الثاني فهو إسكندر بن فيليبس المقدوني اليوناني، وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف المشهور، والله أعلم. وهو الذي تؤرخ به من مملكته ملة الروم. وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلاثمائة سنة" ¹.

وتزعم الرأي القائل بأنه الاسكندر المقدوني الإمام الرازي، لكن وجد في ذلك إشكالا قويا "وهو أنه كان تلميذ أرسطاطاليس الحكيم، وكان مذهبه في تعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطاطاليس حق وصدق، وذلك مما لا سبيل إليه والله أعلم" ²، فكونه تلميذا لأرسطاطاليس والذي أصبح فيما بعد وزيره، وما عرف به من أنه يعبد الآلهة وما اشتهر به الاسكندر الروماني من أنه ادعى الألوهية وما تحويه أسطورة ميلاده، كل هذا قادم في كونه الملك المؤمن الصالح الذي وصفه الله في محكم تنزيله، ضف إلى ذلك أنه لم يعرف في تاريخ الاسكندر أنه توجه نحو الغرب، أو بنى سدًا عظيمًا.

وما توجه المفسرون والمؤرخون ³ هذا التوجه إلا لأن تاريخ الاسكندر كان حافلا بالنصر والفتوحات من بلاد المشرق إلى بلاد الهند، ولاشتهار اسمه في العالم كبطل فدّ نُسجت حوله الأساطير، بالإضافة إلى وجود عملة نقدية من زمنه فيها أنه يلبس تاجا له قرنان، ما شكك في كونه ذو القرنين، فالرواية التي ساقها الطبري كانت من الاسرائيليات، ويذكر الامام ابن كثير رواية الطبري التي تحوي قصة الاسكندر ثم يعقب عليها بقوله: "قد أورد ابن جرير هاهنا، والأموي في مغازيه، حديثا أسنده وهو ضعيف... وفيه طول ونكارة، ورفع لا يصح، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل. والعجب أن أبا زرعة الرازي، مع جلالة قدره، ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة، وذلك غريب منه" ⁴.

وقد ناقش اقتباس القرآن الكريم لهذه القصة من الأسطورة اليونانية بعض الباحثين استنادا إلى دراسات الغربيين أنفسهم وخاصة ما ذكره تيودور نولدكه عن المصدر السرياني لقصة الإسكندر، والتي

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص189

² تفسير الرازي، مصدر سابق، ج21، ص166

³ ينظر: الثعلبي، مرجع سابق، ص122، ولسان العرب ابن منظور، مصدر سابق، ج13، ص333، وعبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآني، مصدر سابق، ج8، ص700، محمد فريد وجدي، موسوعة دائرة معارف القرن العشرين، ج1، ص322.

⁴ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج5، ص189.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجد العاشرة

عرفت باسم قصيدة «نشانا»¹ اختصاراً، أو «قصيدة عن الملك الورع الإسكندر الأكبر والبوابة التي قام بنائها ضد يأجوج ومأجوج» التي تُنسب إلى القديس يعقوب السروجي (ت 521م)، وهي القصيدة التي لم يرها الرجل ولم يكتبها وتُنسب إليه زوراً، وهي مفقودة الأصل وقد وصلنا منها ثلاث نسخ أقربهم للأصل في 698 بيت، وبها أحداث مختلفة من ضمنها وصف بناء الإسكندر سد على قوم يأجوج ومأجوج إلا أن بها اختلافات عن القصة القرآنية واختلافات أيضاً عن الأسطورة، وقد تم تأليفها بواسطة شخص مسيحي مجهول الهوية يُعتقد أنه سكن شمالي العراق، وقد ادعى «تيودور نولدكه» بأن هذه القصيدة قد كتبت حوالي منتصف القرن السادس الميلادي، إلا أنه تم التوصل إلى أنها كتبت في القرن السابع بين العامين 630 و640م أو بعد فترة بسيطة من فتح المسلمين للشام وبلاد الرافدين، وقد كتبت في الأساس تعقيماً على «أسطورة الإسكندر»² وهي تقوم برسم مستقبل تشاؤمي للإمبراطورية البيزنطية تتنبأ بوقوعها بعد حروب عظيمة يتبعها نهاية العالم.³

وأكد الباحثون انتماء هذه القصيدة للأدب الابوكاليس، الذي كان يهدف إلى رسم صورة العالم في آخر الزمان، ومزجه بما ورد في التوراة والانجيل، وانتظار المخلص، خاصة في ظل الفتح الإسلامي الذي طال الشام والرافدين. واكتُشف أن هذه الكتابات متأخرة عن زمن وقوعها وهي تنسب إلى أحد المؤلفين والمشهورين القدماء بغية مصداقيتها وترويجها.

وبهذا يظهر أن سورة الكهف التي نزلت جملة واحدة في السنة الخامسة للبعثة، أي في عام 615م متقدمة على الأسطورة السريانية وعلى القصيدة اللتين كتبتا بين العامين (629 – 640م) بـ 14 عاماً

¹ S. Gero, "The legend of Alexander the Great in The Christian Orient", Bulletin of The John Rylands University, Library Of Manchester, 1993, Volume 75, p.6

نقلا عن: كريم عبد المجيد، هل اقتبس القرآن قصة «ذي القرنين» من أسطورة سريانية؟ موقع اضاءات:

2017/05/25 - 10:27 م

² اسطورة الاسكندر "هو عمل مختلف تماماً عن قصة الإسكندر، كُتبت في القرن السابع بين العامين 629م و 630م، بعد هزيمة الشاه الساساني «خسرو الثاني» على يد الإمبراطور البيزنطي «هرقل» عام 628م كنوع من الدعايا المناصرة للدولة البيزنطية عبر استخدام صورة الإسكندر لتصوير «هرقل» في حربه ضد الشاه الساساني. ينظر: كريم عبد المجيد، موقع اضاءات، مرجع سابق.

³ كريم عبد المجيد، مرجع سابق، موقع اضاءات: 2017/05/25 - 10:27 م

الفصل الرابع: قصة قرآنية أخرى في موجز العائنة

على أقل تقدير. فلا مجال للقول باقتباس القرآن مما قيل أنه الأصل السرياني للأسطورة، ضف إلى ذلك لم يحدد القرآن الكريم اسم الشخصية، فلا يحق لأي كان تحديد ما سكت القرآن عنه، واجتهادات المفسرين غير مُلزِمة بل هي توضيح وبيان، وبعد هذا التحليل يخلص صاحب المقال كريم عبد المجيد إلى القول "أن يكون القرآن حدثنا بالفعل عن قصة حقيقية كانت معروفة ومتداولة شفويا، إلا أنها نُسبت زورا إلى الإسكندر... لأن السياق الإسلامي للقصة يُخبرنا بأن اليهود سألوا النبي في امتحانهم له على لسان المشركين عن رجل معروف لديهم طاف المشرق والمغرب والسؤال بالطبع سيأتي من مصادرهم وليس من أي مصدر آخر؛ أي أن القصة معروفة لهم"¹.

والشخصية الرابعة التي ذكرها المستشرق متفوخ هو "علي بن أبي طالب، وقلما يطلق عليه اسم ذي القرنين"² وذلك لوروده في بعض المصادر العربية بهذا اللقب، ومنها ما جاء في لسان العرب الذي اعتمد عليه المستشرق "وقوله ﷺ لعلي بن أبي طالب إن لك كنزا في الجنة وإنك لذو قرنيها³ قيل في تفسيره ذو قرني الجنة أي طرفيها، قال أبو عبيد ولا أحسبه أراد هذا ولكنه أراد بقوله ذو قرنيها أي ذو قرني الأمة، فأضمر الأمة وإن لم يتقدم ذكرها... لحديث يروى عن علي بن أبي طالب ﷺ وذلك أنه ذكر ذا القرنين فقال: دعا قومه إلى عبادة الله فضربوه على قرنيته ضربتين وفيكم مثله، فنرى أنه أراد نفسه، يعني أدعو إلى الحق حتى يضرب رأسي ضربتين يكون فيهما قتلي لأنه ضرب على رأسي ضربتين إحداهما يوم الخندق والأخرى ضربة ابن ملجم"⁴ فهذا هو المقصود بوصف علي بن أبي طالب ﷺ بذي القرنين على اختلاف تفسيرها.

ويظهر كثرة الموصوفين بلقب ذي القرنين كل بسببه، مما يحيل إلى الحكمة التي أخفاها الله تعالى من عدم ذكر اسم ذي القرنين، فالمهم هو الاتعاظ بقصته، والعمل على الاتصاف بأخلاقه وصفاته، وتبيين معالم الحاكم العادل الذي لا تشغله الدنيا ولا الفتن عن الدعوة لله والقيام بأمر الاستخلاف الإلهي على وجهه الأكمل.

¹ المرجع السابق، موقع اضاءات: يوم، 2017/05/25 - 10:27م

² موجز الدائرة، ج16، ص4996، ع2.

³ أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر اسلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، ج3، ص313.

⁴ ابن منظور، مصدر سابق، ج13، ص331.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في موجز العائنة

والملاحظ على هذه المادة أن كاتب الدائرة غاص تاريخيا في تحديد شخصية ذي القرنين وتغافل عن إنجازات ذي القرنين التي جاءت في القرآن الكريم، بالإضافة إلى اعتماده على فرضية أنها قصة أسطورية بناء على ما ذكره نولدكه قبله، لينسف القصة القرآنية ويتهّم القرآن باقتباس الأساطير. وبهذا لا تتضح قصة ذو القرنين الواردة في القرآن الكريم لإغفال المستشرق المعالم التربوية للقصة القرآنية، والغوص في التأريخ وتحديد الشخصيات. وتبقى شخصية ذو القرنين من مبهمات القرآن التي فيه قصتها حكم جليلة لا يعلمها إلا الله.

أما بالنسبة لمادة يأجوج ومأجوج فقد بدأ فنسك التعريف بهما على أنهما "اسم لشعبين وردا في القرآن الكريم وفي العهد القديم، ومأجوج في العهد القديم هو ابن يافث واسم شعب متسلسل منه وقد ذهب المصادر العربية هذا المذهب نفسه كالبيضاوي"¹، ولم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية نسب يأجوج ومأجوج، بل أخذته المصادر العربية من الاسرائيليات، ثم أشار فنسك إلى ورود عدة أحاديث عن يأجوج ومأجوج لم يذكرها. بالرغم من أنه من أكبر المستشرقين المتخصصين في إنجاز المعاجم الحديثة فهو صاحب كتاب مفتاح كنوز السنة والمشرق على إنجاز المعجم المفهرس للحديث النبوي، إلا أنه لم يورد أي من أحاديث يأجوج ومأجوج في هذا الموضوع، واكتفى بالإشارة إلى الأفكار العامة التي حوتها الأحاديث من مثل قوله "سيكون شعبا يأجوج ومأجوج ذوي أعداد هائلة حتى أنهم سيشرّبون كل مياه دجلة والفرات، وعندما يقتل يأجوج ومأجوج سكان الأرض سيوجهون سهامهم نحو السماء، لكن الله وتعالى سيرسل عليهم ديدانا في أنوفهم ورقابهم أو أذاهم فتقتلهم جميعا حتى آخر رجل في ليلة واحدة، فتملأ رائحة نتن جثثهم كل الأرض، وقد أشار إلى هذا الطبري في تفسيره، كما أورد مسلم وابن ماجه في باب الفتن أمورا قريبة من المعاني التي أوردناها آنفا"².

وهذه الأمور التي ذكرها فنسك ولم ينسبها موجودة في صحيح مسلم وسنن ابن ماجه وغالب كتب الحديث، إلا أنه اختار نقل الرواية من تفسير الطبري، بدل أن يورد الحديث الصحيح الثابت من مظانه، وهو يؤكد منهج المستشرقين في انتقاء الروايات، كما يلاحظ إلى أنه لم يُشير إلى كتب الحديث إطلاقا في مصادره، بل كان معتمده الأساس هو تفاسير القرآن وكتب التاريخ، بالرغم من أنه يعلم مركزية

¹ موجز الدائرة، ج32، ص10175

² المصدر نفسه، ج32، ص10175.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في عهد العائنة

السنة النبوية في التراث الإسلامي، وهذا خلل منهجي يعاب عليه لتخصسه في ترتيب الأحاديث. وكانت أغلب المصادر التي ذكرها للموضوع كتابات للمستشرقين تؤرخ لقصة الاسكندر، الذي سرى عند المستشرقين أنه المقصود بذي القرنين.

ويقر فنسك أن ما ورد في الإسلام بشأن قصة يأجوج ومأجوج أكثر مما ورد في العهد القديم، كما يرتبط بعودة عيسى عليه السلام، وفي تحديد موقعهم يذكر أن المصادر العربية والمصادر المتعلقة بالتوراة والانجيل تربط بينهم وبين منطقة الشمال الشرقي من العالم القديم، وهي موطن الشعب الذي سيقوم بغزو أرض إسرائيل في آخر الأيام (قبل قيام الساعة)¹، وذكر قول الطبري أنهم يقطنون خلف جبال أرمينيا وأذربيجان وهو قول رواه عن ابن عباس والضحاك من دون اختيار للطبري، لأنّ تحديد موقعهم في القرآن كان ما بين السدين، ولم يأت أي تفصيل في الموقع الجغرافي أكثر من ذلك، على طريقة القرآن في عرض ما يوضح القصة ويفيد القارئ فقط.

وأشار فنسك إلى أن آية الكهف تشير إلى "صلة بين يأجوج ومأجوج من ناحية والسد الذي بناه الاسكندر من ناحية أخرى"² في إشارة إلى الردم الذي بناه ذي القرنين والذي اصطلح فنسك عليه كسائر المستشرقين تسميته بالاسكندر اعتمادا على الروايات الإسلامية التي كانت مختلفة فيما بينها، ولم يتطرق إلى قصة ذي القرنين وكيفية بناءه للسد كما وردت في القرآن الكريم، واهتم بجمع الأخبار الغربية التي وردت في توصيف يأجوج ومأجوج.

فقد أورد فنسك بعض أوصاف يأجوج ومأجوج شاعت في كتب التفسير والتاريخ وهي مما اشتهر عن القصاصين وجاء في كتب الفتن والملاحم، كالحديث الموضوع الذي أورده الطبراني من كونهم ثلاثة أصناف، فعن حذيفة بن اليمان قال: سألت رسول الله ﷺ، عن يأجوج ومأجوج؟ قال: "يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمئة ألف أمة، لا يموت الرجل حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من صلبه، كل واحد قد حمل السلاح قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: "هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز، قلت: وما الأرز؟ قال: "شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء"، فقال رسول الله ﷺ: "هؤلاء الذين لا يقوم لهم حيل ولا حديد، وصنف منهم يفترش بأذنه، ويلتحف

¹ المصدر السابق، ج32، ص 10185

² المصدر نفسه، ج32، ص 10186

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العائنة

بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام، وساقنتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق، وبحيرة طبرية¹ فقد أثبت العلماء أن هذا الحديث موضوع ولا يصح، عن الصادق المعصوم، لكن فنسك اختار إيراد الأخبار الغربية في الدائرة، وترك ما كان حديثاً صحيحاً ثابتاً.

وفي آخر المادة ذكر فنسك أن عبارة بحر يأجوج ومأجوج استخدمت في رسائل إخوان الصفا لتشير إلى بحر قزوين، وهذا لاشتهار منطقة قزوين بوجود السد الذي بناه ذو القرنين هناك. وقد كانت اعتمدت مادة يأجوج ومأجوج على الروايات التي جاءت في كتب التفسير مع ربطها بما جاء في العهد القديم، وركزت على بث الروايات الموضوعية والأخبار الغربية لمزيد تفصيل في المادة.

لقد جاءت قصص سورة الكهف في موجز الدائرة، مليئة بالغرائب والأعاجيب، وأغفلت القصة القرآنية لأنها لم تشف فضول المستشرقين، كما أن كثرة الاسرائيليات الواردة في هذه القصص، فتح الباب واسعاً أمام المستشرقين ليظهروا القرآن الكريم كتاب أساطير وغرائب فعمدوا إلى انتقاء المصادر والروايات بما يتيح الطعن في القرآن، والتشكيك في واقعية هذه القصص، خاصة وأن هذه القصص لم ترد في الكتاب المقدس بشكل واضح.

¹ أبي القاسم سليمان الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين للنشر والتوزيع - القاهرة، 1415هـ، دط، ج4، ص 152.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العائنة

المبحث الثاني: قصص قرآنية متفرقة

سجّل القرآن الكريم مواقف خالدة لبعض الشخصيات والأقوام عبر تاريخ الإنسانية، حفظ بها قصصهم، وأصبحت مثالا يحتذى به في طريق الدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله، وأخفى الله تعالى أسماءهم وزماتهم ومكانهم، وأبقى على أفعالهم وجزاءهم محفزا يشحذ همم المخلصين لله تعالى، وقد تنوعت هذه القصص بين قصص الكافرين، وبين قصص المؤمنين، واعتمد القرآن الرمز للإشارة إلى هذه القصص مثل قصة صاحب الجنتين، قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، قصة أصحاب الأخدود، قصة هاروت وماروت، قصة أصحاب الفيل... لكن أغلب هذه القصص لم ترد في موجز الدائرة، مع ورودها في الأصل الإنجليزي، وهي من القصص غير الشائع في التراث العالمي عموما والتراث اليهودي أو المسيحي خصوصا، فما هي رؤية المستشرقين لمثل هذه القصص، وكيف تجسّدت هذه الرؤية في عرض القصص في موجز الدائرة؟

المطلب الأول: قصة هاروت وماروت

الفرع الأول: هاروت وماروت في القرآن الكريم والسنة النبوية

ورد ذكر هاروت وماروت مرة واحدة في القرآن الكريم، في إشارة موجزة لهم ولم ترد لهم قصة واضحة المعالم في القرآن، لكن انتشرت بعض الأحاديث المرفوعة لهم عن الرسول ﷺ في السنة، ما جعلها بعض المفسرين قصة لهم، والآيات التي ورد فيها ذكرهما هي قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَانِ الشَّيْطَانُ كَافِرًا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ ۗ وَمَا هُم بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٠٢﴾

تنفي الآيات الكريمة عن نبي الله سليمان ما لحقه به بنو إسرائيل من أنه كان عالم بالسحر، ذلك أن الشياطين كانت تسترق السمع من السماء، ويضمونها بعض الأكاذيب ويلقون بها إلى كهنة بني إسرائيل، الذين دونوها في كتب وعلموها للناس، ومن ذلك كان تسخير سليمان للشياطين، لكن الله برأ نبيه الكريم من هذه الفرية العظيمة، ونسبها للشياطين الذين يعلمونهم السحر الذي أنزل على الملكين ببابل

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العائشة

هاروت وماروت، ولكنهما جعلتا فتنة للناس واختباراً لمن يريد، واحتاطا بأن يحذرا كل من يريد تعلم السحر بأن لا يكفر لأن السحر نوع من الكفر، وكان الناس يتعلمونه بهدف التفريق بين الزوجين، ولكن ذلك لن يقع إلا بإذن الله تعالى.

وقد وردت في السنة بعض الأحاديث التي طعن فيها أغلب العلماء لأنها تنافي عقيدة المسلمين في الملائكة، منها ما ذكره الإمام ابن حبان في صحيحه مرفوعاً إلى الرسول ﷺ، لكن أورد المحقق شعيب الأرنؤوط، أنّ اسنادها ضعيف¹، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: "وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراودها على نفسها فأبت إلا أن يعلمها الاسم الأعظم فعلمها فقالت فرفعت كوكبا إلى السماء فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار وتلقاه عنه طائفة من السلف فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل" ثم أضاف في آخر حديثه عن القصة قوله: "وإذا أحسنّا الظن قلنا هذا من أخبار بني إسرائيل كما تقدم من رواية بن عمر عن كعب الأحبار ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها والله أعلم"². وقال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب: "واعلم أن هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة لأنه ليس في كتاب الله ما يدل على ذلك، بل فيه ما يبطلها من وجوه"³

أما الإمام الطاهر ابن عاشور فيقول: "ولأهل القصص هنا قصة خرافية من موضوعات اليهود في خرافاتهم الحديثة، اعتاد بعض المفسرين ذكرها منهم: ابن عطية والبيضاوي، وأشار المحققون مثل البيضاوي والفخر وابن كثير والقرطبي وابن عرفة إلى كذبها، وأنها من مرويات كعب الأحبار، وقد وهم فيها بعض المتساهلين في الحديث فنسبوا روايتها عن النبي ﷺ أو عن بعض الصحابة بأسانيد واهية والعجب للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كيف أخرجها مسندة للنبي ﷺ، ولعلها مدسوسة على الإمام أحمد أو أنه غرّه فيها ظاهر حال روايتها مع أن فيهم موسى بن جبير وهو متكلم فيه واعتذر عبد الحكيم بأن الرواية

¹ محمد ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تر: علاء الدين بلبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1988م، ج14، ص64

² ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج1، ص38.

³ تفسير الرازي، مصدر سابق، ج3، ص631.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العائنة

صحيحة إلا أن المروي راجع إلى أخبار اليهود فهو باطل¹. فالأولى الوقوف عند الآيات الكريمة ولا نتجاوزها إلى الظني غير الثابت.

الفرع الثاني، هاروت وماروت في موجز الدائرة

كتب مادة هاروت وماروت المستشرق (فاجا) وترجمها (علي يوسف)، ولم يرد في موجز الدائرة قائمة المصادر والمراجع، بالرغم من ورودها في الأصل الإنجليزي.

بدأ المستشرق المادة بذكر الآية 102 من سورة البقرة المتعلقة بالشخصيتين هاروت وماروت، وساق بعدها القصة المشتهرة عن هبوط الملكين هاروت وماروت وجعلهما معلمين للبشر لما حرّمه الله، ثم يشير إلى ما ترويه القصص التأويلية عن وصولهما لهذا الموقف "حيث قيل إن الملائكة أخذت تهجو البشر لما يقتربونه من أثم، فتحدّاهم الله سبحانه إذا كانوا يفعلون ما هو أفضل لو كانوا في نفس ظروف البشر، فقبل الملائكة التحدي، واختير الملكان هاروت وماروت للاختبار، فهبطا على الأرض على ألا يقتربا الكبائر كالزنا والقتل وشرب الخمر، وأخفق الملكان في الاختبار واعترف الملائكة بعلم الله. وخيّر الملكان أن يقضيا العقوبة في الأرض أم في الجحيم يوم القيامة، فاختارا الخيار الأول، فحبسا في بئر في بابل ينزل عليهما العقاب"² هذه القصة التي ذكرها المستشرق ذكرتها كتب التاريخ والتفسير وانتقدت كثيرا من طرف العلماء المسلمين لأنها لا تتوافق مع عصمة الملائكة والمهمة التي خلقوا من أجلها، وهي مما شاع من الاسرائيليات ومن خرافات الأديان.

وبالعودة إلى النص الإنجليزي للدائرة نجد أن المترجم لخص الأفكار الأساسية في موضوع هاروت وماروت، ولم تكن ترجمته حرفية لكنه استوعب جل الأفكار عموما، لذلك نجده يضيف عبارة {تحت تأثير أن القصة ليست سوى خرافة من مصادر أخرى} يلخص بها الفكرة التي ختم بها المستشرق فاجا مقاله بأن هذه القصة مقتبسة من المانوية والمعتقدات اليهودية والمسيحية وهي مما لم يترجمها المترجم، لإيمانه بخطأ هذه الفكرة التي تحمل في طياتها شبهات كثيرة، وعلمه بخطرها على عقيدة المسلمين، وامتناعا منه في نشر شبهات المستشرقين، وما يؤكد ذلك هو أن المترجم لم يشر إلى تفاصيل القصة واستعاض عنها

¹ تفسير التحرير والتوير، مصدر سابق، ج1، ص642

² موجز الدائرة، ج32، ص10023.

الفصل الرابع: قصة قرآنية أخرى في موجز العاشرة

بقوله (وفشلا في الاختبار)، من دون خوض في نوع الاختبار الذي فصل فيه المستشرق في أصل المادة، من وقوع الملكين في الخطيئة مع المرأة ومن ثم اطلاعها على الاسم الأعظم الذي تدخل به إلى الجنة، ومسخها نجما في السماء.

وأشار المستشرق في الأخير أنه لم يذكر تفاصيل أخرى عن القصة لأنها كانت متقدمة بشدة من رجال الدين المسلمين وذكر بعض الكتب لم يذكرها المترجم مثل البدء والتاريخ للمقدسي، مفاتيح الغيب، البداية والنهاية لابن كثير، وذكر في مراجع المادة تفسير الطبري، عرائس المجالس للثعلبي، بالإضافة إلى بعض المقالات الاستشراقية عن هاروت وماروت ومقارنتها بالأديان الأخرى.

بالعودة إلى هذه المصادر الإسلامية نرى أن مؤلفيها ذكروا مثل هذه القصة لكنهم رفضوا ما جاء فيها، وقد تبين رأي الامام ابن كثير والامام الرازي من قبل، ويقول المقدسي في تاريخه: "وأهل النظر لا يثبتون كثيرا من هذه القصة منها: أمر الزهرة لأنها من الكواكب الحنسن التي جعلها الله قطبا وقواما للعالم، ومنها ركوب الملائكة مثل هذه الفواحش مع وصفهم الله به من طول العبادة وابتغاء الزلفة، ثم هم ليسوا بدوي أجسام شهوانية مجوفة فيجوز عليهم مثل هذا، وقد قال قوم أنهم أعطوا الشهوة وجعل لهم مذاكير، ومنها تعليمهم الناس السحر وهم في العذاب الأولي بمن تلك حالته طلب التوبة والمخلص ولا توبة للمذنب ما لم يقلع، فإن كان هاروت وماروت ملكين كما يزعمون فإنهما أنزلا لبيئنا للناس وجوه السحر ويحذراهم ويبل عاقبته لا غير ... مع أنه ليس في كتاب الله شيء من هذا وبمثل هذه الأخبار ينظرون الملحدون إلى فساد القلوب"¹ فأغلب المفسرين والمؤرخين متفقون على أن في القصة خللا كبيرا فلا يمكن الجزم بثبوتها.

ويرى المستشرق أن هذه القصة مقتبسة من سفر التكوين وبالرجوع إلى سفر التكوين 6: 1-4 نجد "وحدث لما ابتدأ الناس يكثر على الأرض، وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الرب: "لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه، هو بشر، وتكون أيامه مئة وعشرين سنة، كان في الأرض طغاة في تلك الأيام، وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم". وهي

¹ مطهر ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ج1، ص196.

الفصل الرابع: قصة قرآنية أخرى في صيغة العائنة

الرواية التي نتحدث عن اختلاط الملائكة بنساء البشر، وليس فيها أي ورود لاسمي هاروت وماروت، غير أننا نجد محور هذه القصة واردا في الهاجادا.

ويذكر الكاتب أن الاسمين (هاروت) و(ماروت) كلمتين من الزرادشتية هما Haurvatat و Ameretat الأولى بمعنى الكمال، والثانية بمعنى الخلود، ولكن الباحث يتعجب من كيفية أن الأسماء الإيرانية والقصة العبرية قد اجتمعا في رواية واحدة، وكيف وصلت هذه الرواية للجزيرة العربية في القرن السابع. وقد تكون هذه القصة من المشترك الإنساني، ومعلوم أن هاروت وماروت كانا ببابل، وهي قريبة من إيران، فمحتمل انتشار هذه الأسماء في تلك المنطقة، والقصة القرآنية ذكرت اسميهما فقط، أما ما تناقلته الكتب الإسلامية فأصوله من القصة العبرية باعتراف المسلمين أنفسهم، لذا طعن فيها العلماء.

وعليه فقصة هاروت وماروت لم ترد في القرآن الكريم إلا من خلال إشارات لها، كما أن الرواية الواردة في السنة النبوية انتقدت من طرف العلماء لمنافاتها للعقيدة الإسلامية، وحاول المستشرق في المادة السير وراء هذه الروايات بالرغم من علمه بانتقاداتها، كما اجتهد في التأصيل لهذه القصة من اليهودية والزرادشتية. والمادة عموما احتوت العديد من الشبهات.

المطلب الثاني: قصة أصحاب القرية

الفرع الأول: أصحاب القرية في القرآن الكريم والسنة النبوية

وردت قصة أصحاب القرية مرة واحدة في سورة يس، في قوله تعالى ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ لَيْنَ لَمَّا تَقْتُلُوهُمْ لَتَرْجُمُنَّهُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ وَإِن كَرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ يس: ١٣ - ١٩

وهي آيات تتحدث عن أصحاب القرية التي بعث الله لهم رسولين، فكذبوها فأرسل الله رسولا ثالثا ليقويهما ويدعمهما، فاعترض أصحاب القرية عليهم لأنهم بشر مثلهم، وأن الرحمان لم ينزل شيئا وأنهم كاذبون، فوكل الرسل أمرهم إلى الله وأن مهمتهم هي البلاغ المبين، لكن أصحاب القرية لم يتركوهم بل

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في صلب العائنة

جعلوهم مصدرا للشر والشؤم التطير، وهددوهم بالرجم والعذاب الأليم، إنذارا لهم، فردّ أصحاب القرية بأن الشر هو إصرارهم على الكفر والضلال والشؤم ما سيحل بهم جراء ذلك مع أنهم جاءتهم الذكري، لكنهم قوم مسرفون في الظلم والشرك.

وجاءت أكثر روايات المفسرين على أن القرية هي أنطاكية، جاء في البحر المحيط: "والقرية أنطاكية، فلا خلاف في قصة أصحاب القرية"¹. ويقول صاحب الضلال: "ولم يذكر القرآن من هم أصحاب القرية ولا ما هي القرية. وقد اختلفت فيها الروايات. ولا طائل وراء الجري مع هذه الروايات، وعدم إفصاح القرآن عنها دليل على أن تحديد اسمها أو موضعها لا يزيد شيئا في دلالة القصة وإيحائها. ومن ثم أغفل التحديد، ومضى إلى صميم العبرة ولبأبها. فهي قرية أرسل الله إليها رسولين"².

وقد اختلف المفسرون في هؤلاء الرسل هل هم رسل الله عز وجل، أم أنهم رسل المسيح من الحواريين إلى هذه القرية، كما اختلفوا في تحديد هذه القرية، ووجه ابن كثير المسألة من عدّة نواحي "أحدها: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل، لا من جهة المسيح... ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح ﷺ والله أعلم. ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْدِبُونَ﴾ يس: ١٥، الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح؛ ولهذا كانت عند النصراني إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بئاركة، وهن القدس لأنها بلد المسيح، وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، والإسكندرية... ثم رومية... فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت، فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخدمتهم، فالله أعلم.

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف: أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكره عند قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ القصص: ٤٣، فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا. أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظا في

¹ تفسير البحر المحيط، مصدر سابق، ج9، ص53

² في ظلال القرآن، مصدر سابق، ج5، ص2961.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في سورة العنكبوت

هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك، والله سبحانه وتعالى، أعلم.

وذكر المفسرون ان اسم الرجل المؤمن الذي دافع عن المرسلين هو "حبيب بن مري" النجار، وهي روايات رواها الطبري عن محمد بن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه اليماني¹، وهم أشهر من روى الاسرائيليات ونقل عن أهل الكتاب، لأن هذه القصة لم يرد فيها أي آية تفسرها لأنها ذكرت في موضع واحد في سورة يس، ولم يوجد حديث صحيح عن الرسول ﷺ يوضح الابهام والشخصيات فيها، فيبقى علمها عند الله تعالى.

وجاء هذا الرجل مسرعاً لما سمع أن أصحاب القرية أرادوا إيذاء المرسلين، فجاء ناصحاً لهم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَأَنْبَدُ الَّذِي فطرني وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَتَأْخُذُونَ مِنْ دُونِهِ إِلهَةً إِنْ يَرْدُنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ شَيْعًا وَلَا يُنْقِذُونَ ﴿٢٣﴾ إِنْ يَأْتِي إِذًا لِنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ يَأْمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُوا ﴿٢٥﴾﴾ يس: ٢٠ - ٢٥، فوثبوا عليه فقتلوه، فكان جزاؤه الجنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خِلْمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ يس: ٢٦ - ٢٩، ثم أهلك الله القرية من غير انزال للجند من السماء بل كانت صيحة واحدة لتخمد جذوة الحياة فيها إلى الأبد، وهو مثل ضربه الله لقريش للاتعاظ والاعتبار به كحال القصص في القرآن الكريم.

ولم يرد في السنة النبوية أي حديث صحيح في هذه القصة، وورد فيها حديث ضعيف نقله ابن كثير عن الطبراني قوله عن مجاهد عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: "السُّبْقُ ثَلَاثَةٌ: فَالسَّابِقُ إِلَى مُوسَى يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ، وَالسَّابِقُ إِلَى عِيسَى صَاحِبِ يَسَ، وَالسَّابِقُ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ"، ثم قال ابن كثير "فإنه حديث منكر، لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر، وهو شيعي متروك، والله أعلم"². فيجب التنبه لهذا الحديث.

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج 20، ص 504.

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج 6، ص 546.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في موجز العاشرة

الفرع الثاني: أصحاب القرية في موجز الدائرة

وردت الإشارة إلى قصة أصحاب القرية في مادة حبيب النجار، وهو الاسم الذي شاع لصاحب القصة، ولم يرد ذكر لكاتب المادة في موجز الدائرة، وكان الحديث عن الشخصية بشكل مختصر في عمود ونصف، وأشار إلى المصادر بشكل عام، مع التنبيه للرجوع للمصادر الخاصة بمادة أنطاكية. كون القصة تشير إلى رجل مؤمن نصراني، وأنطاكية كانت من البلاد التي ثبتت فيها النصرانية في أول أمرها، والمادة من الإصدار الأول للدائرة، بدليل أنه في الإصدار الثاني تم بعض التغيير في المعلومات والتي كتبها فاجا G.Vadja، وزودها بعدة مراجع أغلبها إسلامية.

ابتدأت المادة في موجز الدائرة بكون حبيب النجار "ولي أنطاكية، سمى العرب باسمه جبل سلبوس لأن فيه قبراً يقال إنه قبره، ويزار كثيراً"¹، وهذا الوالي المسلم ليس رجلاً آخر غير أغابوس المذكور في سفر أعمال الرسل، الاصحاح الحادي عشر، الفقرات 27-30، والاصحاح الحادي والعشرين الفقرة 10 وما بعدها"²

وبالرجوع إلى سفر أعمال الرسل الاصحاح الحادي عشر نجد ما يلي: "وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية. وقام واحد منهم اسمه أغابوس، وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة، الذي صار أيضاً في أيام كلوديوس قيصر. فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم أن يرسل كل واحد شيئاً، خدمة إلى الإخوة الساكنين في اليهودية"، وفي الاصحاح الحادي والعشرين نجد: "وبينما نحن مقيمون أياماً كثيرة، انحدر من اليهودية نبي اسمه أغابوس فجاء إلينا، وأخذ منطقة بولس، وربط يدي نفسه ورجليه، وقال: هذا يقوله الروح القدس: الرجل الذي له هذه المنطقة، هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويسلمونه إلى أيدي الأمم". ولا تبدو أية علاقة بين أغابوس ومؤمن يس أو أصحاب القرية، كما أن كاتب المادة يناقض نفسه ففي حين يذكر مباشرة أن "قصته المروية في سورة يس آية 13 وما بعدها، وإن لم يرد فيها اسمه تدل على أنه من أصل نصراني"³ يذكر أن أغابوس كما هو وارد في نص

¹ موجز الدائرة، ج 11، ص 3428، ع 2.

² المصدر نفسه، ج 11، ص 3428، ع 2

³ المصدر نفسه، ج 11، ص 3428

الفصل الرابع: قصة قرآنية أخرى في موجز العائنة

الاصحاح نبي انحدر من اليهودية، وحبیب النجار كما تورد الروایات الإسلامية هو رجل صالح وليس نبیا، كما أن البلد التي ذكرها أغابوس هي أورشلیم وليس أنطاكية كما اشتهر في الروایات الإسلامية، ضف إلى ذلك أن قصة حبیب النجار تختلف عن قصة أغابوس، وهو ما استدركه فاجا في الإصدار الثاني من الدائرة، باستبعاد أن يكون مؤمن يس هو أغابوس.

ثم ينقل كاتب المادة اختلاف المفسرين في تحديد الرسولين فيقول: "فعندما بعث الله - كما جاء في السورة - اثنين من الرسل يقول المفسرون إنهما يحيى ويونس، ثم عززهما بثالث هو شمعون ليدعو الناس إلى الايمان، توعدهم بالقتل إن لم يكفوا عن دعوتهم"¹

والمطلع على كتب التفسير يجد اختلاف بينا في أسماء المرسلين، فقد ذكر الماوردي أقوال المفسرين في اسم الرسولين فقال: "اختلف في اسميهما على ثلاثة أقاويل أحدها: أنهما شمعون ويوحنا، قاله شعيب. الثاني: صادق وصدوق، قاله ابن عباس وكعب الأبحار ووهب بن منبه. الثالث: سمعان ويحيى، حكاه النقاش"². أما الرسول الثالث الذي جاء معززا فقال الماوردي: "واختلف في اسمه على قولين: أحدهما: يونس، قاله شعيب. الثاني: شلوم، قاله ابن عباس وكعب ووهب"³. وجاء في تفسير ابن كثير "واسم الثالث بولص"⁴، لكن كاتب الدائرة اختار قولاً لوهب من مجموع أقوال المفسرين من دون أن يبرز لماذا اختار هذا القول دون غيره. بالرغم من أن كل الأقوال لا دليل عليها، لكن عملية انتقاء الروایات آلية من آليات المستشرقين، لا يعملون حتى على تبريرها.

ويختتم كاتب المادة مقاله عن حبیب النجار بقوله، "نجد الدمشقي (طبعة مهن، ص 206) يروي قصة من نسج الخيال فيقول إن حبيبا أخذ رأسه المقطوع شماله ثم وضعها في يمينه، ومشى ثلاثة أيام بلياليها في المدينة، على هذا الوضع، ورأسه يرتل في صوت مرتفع الآيات القرآنية، التي اشتملت على القصة"

¹ المصدر السابق، ج 11، ص 3428-3429

² تفسير الماوردي، مصدر سابق، ج 5، ص 10

³ المصدر نفسه، ج 5، ص 10.

⁴ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج 6، ص 569

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخدود في موجز الدائرة

¹ فكيف يرتل الآيات القرآنية وهي لم تنزل على الرسول ﷺ بعد، كما أنه لم يبين لنا من هو الدمشقي وفي أي كتاب وردت هذه الرواية، وأن كانت الرواية مردودة لأنه لا دليلاً ثابتاً عليها.

ولم تشر المادة إلى العلاقة بين شخصية حبيب النجار التي جعلها المفسرون علماً على مؤمن يس، وبين قصة أصحاب القرية، واكتفت بالبحث التاريخي عنها، والتأكيد على قضية اقتباسها من الكتاب المقدس.

المطلب الثالث: قصة أصحاب الأخدود

الفرع الأول: أصحاب الأخدود في القرآن الكريم والسنة النبوية

ذكرت قصة أصحاب الأخدود في القرآن الكريم في بداية سورة البروج، ولم تذكر في غيرها من السور، وكانت عبارة عن إشارات مقتضبة عنهم بدون تحديد لهم أو تفصيل في قصتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿۱﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿۲﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿۳﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿۴﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿۵﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿۶﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا يُؤْتُوا لَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿۷﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿۸﴾ البروج: ٤ - ١١.

وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات "قد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم؟ فعن علي رضي الله عنه أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم، فامتنع عليه علماؤهم، فعمد إلى حفر أخدود فحذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم. وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم، فغلب مؤمنوهم على كفارهم، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين، فحذوا لهم الأخاديد، وأحرقوهم فيها. وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة، وأحدهم حبشي. وقال العوفي عن ابن عباس ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿۱﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿۲﴾﴾ قال: ناس من بني إسرائيل، حذوا أخدوداً في الأرض، ثم أوقدوا فيه ناراً، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساءً، فغرضوا عليها، وزعموا أنه دانيال وأصحابه" ² كما

¹ موجز الدائرة، ج11، ص 3419

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج8، ص366

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخدود في موجز العائنة

وردت هذه الأقوال عند أغلب المفسرين، وامتنع بعض المفسرين المعاصرين عن إيراد مثل هذه القصص كونها من الإسرائيليات.

وقد تعددت الروايات التي ساقها المفسرون والمؤرخون في تحديد هوية أصحاب الأخدود، ما يوصلها إلى حد التعارض والقدح فيها بكذبها، لكن الإمام الرازي يردّ ذلك بقوله: "فإن قيل: تعارض هذه الروايات يدل على كذبها، قلنا: لا تعارض فقيل: إن هذا كان في ثلاث طوائف ثلاث مرات مرة باليمن، ومرة بالعراق، ومرة بالشام، ولفظ الأخدود، وإن كان واحداً إلا أن المراد هو الجمع وهو كثير من القرآن، وقال القفال: ذكروا في قصة أصحاب الأخدود روايات مختلفة وليس في شيء منها ما يصح إلا أنها متفقة في أنهم قوم من المؤمنين خالفوا قومهم، أو ملكاً كافراً كان حاكماً عليهم فألقاهم في أخدود وحفر لهم"¹.

أي أن إتهام أصحاب الأخدود وعدم تحديدهم والمجيء باللفظ العام، كان لحكمة في القرآن بحيث تنطبق قصتهم على كل من لاقى مصيرهم في أي زمان ومكان، يقول ابن كثير "وقد يحتمل أنّ ذلك قد وقع في العالم كثيراً"²، ثم نقل رواية ابن ابي حاتم عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الأخدود في اليمن زمان تبع، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا أتوناً، وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد. وفي العراق في أرض بابل بختنصر، الذي وضع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحباؤه؛ عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتوناً وألقى فيه الحطب والنار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله عليهما برداً وسلاماً، وأنقذهما منها، وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط، فأكلتهم النار"³.

كما ورد في السنة النبوية ما عدّه بعض المفسرين تفسيراً لهذه القصة فقد أورد الامام مسلم في صحيحه باباً عنونه: باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام قال فيه: عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: "كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه

¹ تفسير الرازي، مصدر سابق، ج31، ص110

² تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج8، ص370

³ المصدر نفسه، ج8، ص370-371

الفصل الرابع: قصة قرأية الخمر في مسجد العائشة

وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك، فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم آل ساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فأمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام، فجئى بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه، حتى دلّ على الراهب، فجئى بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمشار فوضع المشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته ثم

الفصل الرابع: قصة قرأية الخمر في موجز العائنة

وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: رأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرنا، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخذت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق¹

وقد وردت هذه الرواية مع اختلاف في الألفاظ عند الإمام الترمذي والإمام النسائي والإمام أحمد بن حنبل. لكن ليس فيها تصريح من النبي ﷺ، أو الصحابة، أو حتى الإمام مسلم بأن هذه القصة هي المقصودة بتفسير قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج.

الفرع الثاني: قصة أصحاب الأخدود في موجز الدائرة

جاء ذكر أصحاب الأخدود في حرف الألف في الجزء الثاني من الدائرة، وقد كتبت مادة في الإصدار الأول من الدائرة من طرف فنسك، وفي الإصدار الثاني أضيفت مادة جديدة رمز لها بالرمز (+) كتبت من طرف رودى باريت، وهمشت كل مادة بمصادرها، مع الاشتراك في نفس المعلومات تقريبا وكذا كثير من المصادر خاصة الغربية منها. ولم يكن هناك تحديد ملحوظ أو تثبت من المعلومات في هذه القصة كما هو الهدف المرجو من الدائرة في إصدارها الثاني، فقد أضاف باريت بعض الشبهات غير المؤكدة الى تفسير هذه القصة، والتي استقاها من افتراضات المستشرقين الغربيين للقصة ولم توجد في كتابات المسلمين.

بدأ المستشرق فنسك المادة بالإشارة إلى ارتباط المصطلح أصحاب الأخدود بسورة البروج، ثم ذكر قول المؤرخين المسلمين في كلامهم على أصحاب الأخدود "ويروي المؤرخون المسلمون في كلامهم على أصحاب الأخدود، أن ذا نواس ملك اليمن كان متعصبا لليهودية غير متسامح مع النصراني، فدعاهم إلى

¹ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، ج8، ص229، رقم الحديث: 7703.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في موجز العائنة

اليهودية وخبّيرهم بين ذلك والقتل فاختراروا القتل، فخذّ لهم الأخدود وأحرقهم فيه¹، وهي رواية منتشرة في كتب التاريخ والتفسير، أصلها من الإسرائيليات.

ثم عرّج فنسبك بعدها إلى الروايات التي تؤيد هذه القصة أو تكملها في المصادر النصرانية، والتي تشير إلى أن ذو نواس استولى على السلطة عندما لم يستطع الكوشيون إرسال وال لهم إلى اليمن بسبب فصل الشتاء، وكان ذو نواس يهوديا فاضطهد نصارى نجران، وحاصرهم ووعدهم بالأمان ثم حنث بوعدته، وعذبهم بالنار والحديد. لكن ليس في هذه الروايات النصرانية ذكر للأخدود.

وأغلب روايات هذه الحادثة نقلتها الروايات السريانية المعاصرة لهذا الحدث، والتي نقلها شمعون الأرشمي² في رسالتيه الأولى والثانية، التي ذكرهما صاحب كتاب (الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية)، ويروي فيهما ما جاء في رسالة الملك الحميري التي بعثها إلى ملك الحيرة، وكان الأرشمي هناك في حضرته، إضافة إلى الروايات الشفوية التي نقلها من نجا من أهل نجران، وجاء مستنجدا بملك الحيرة. وهي مشاهد للعذاب الذي تعرض له أهل نجران من الملك اليهودي لإرجاعهم عن ديانتهم، لكن ما يلاحظ في هذه الروايات أنها تشير إلى نصارى نجران في ذلك الوقت كانوا على مذهب الأرشمي من أنهم كانوا على مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح، أي من يعقوبيين، من ذلك ما ورد في هذه الرسالة مثلا في رد الحارث عن الملك الحميري حين دعاه للكفر بالمسيح قائلا: "أفتريد أن تجعلني في شيخوختي غريبا عن المسيح ربي"³، وفي قول نساء الأشراف عندما جاء بهن ذو نواس لكي يكفرن بالمسيح فقلن له: "حاشا

¹ موجز الدائرة، ج3، ص807

² شمعون الارشمي (503-540م): منصر مشهور، كان أسقف بلدة بيت ارشم، كان من أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح، لقب بالفيلسوف الفارسي، اشتهر بوثائقه عن بني حمير، وهناك من ينسب له كتاب الحميريون، ينظر: اغناطيوس افرام الأول: اللؤلؤ المنثور في تاريخ الآداب والعلوم السريانية، قدم له ونشره غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، حلب، 1996م، 251-252، نقلا عن: كوثر محمد سعيد، حادثة الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة دراسة تاريخية حضارية، اشراف: أحمد محمود صابون، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة ام القرى-السعودية، 2015م، ص 365

³ اغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، بطريكية السريان الانطاكية - دمشق، 1966م، الرسالة الأولى للأرشمي، ص 29.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في عهد العباسية

لنا أن تكفر بالمسيح وبالصليب"¹، وما قالته إحدى النساء أيضا: "فاخرجوا وأنجدوا المسيح ربكم"²، وهو ما يُظهر عقيدة التثليث بارزة في أقوالهم، فإن كانت آيات سورة البروج تتحدث عن المؤمنين هذا يعني أنهم غير هؤلاء، لأن القرآن دقيق في مصطلحاته ومعانيه وبالتأكيد لا يكرّم هؤلاء المحرّفين للدين السماوي، ويحفظ ذكرهم في كتابه المجيد إلى يوم القيامة، ويجعلهم قدوة للمؤمنين ويكون جزائهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

ضف إلى ذلك أن العقاب الأكبر الذي تعرض له نصارى نجران حسب هذه الروايات هو الإحراق داخل الكنيسة وليس في أهدود كما جاء في القرآن الكريم، ما جعل بعض الباحثين يصل إلى القول: "هذا ويعد كاتبي الوثائق السريانية الثلاث، التي تجسد أحداث اضطهاد نصارى نجران أصحاب المصلحة الأولى في ذكر مثل هذا النوع من العقاب، وفي تصوير أعمال حفر خنادق وإشعال نيران فيها لإلقاء النصارى، وهذا ما لا يرد في وثائقهم المشحونة بروح الانتقام للنصارى أتباع مذهب الطبيعة الواحدة، والمستنتج من دراسة المصادر التي بين أيدينا، أن لا علاقة لها بقصة أصحاب الأهدود المذكورة في القرآن الكريم، نظرا للتضارب الشديد بين أهم عناصر قصة القرآن الكريم، ومكونات اضطهاد نصارى نجران المذكورة فيها. كما أن نتائج التنقيب، وبقايا المخلفات الأثرية في نجران القديمة التي تجسد المصادر السابقة قصة تعرضها لحرب دينية، لا تؤيد تفاصيل تلك الحرب، ولا يوجد بين آثارها ما يثبت ما أشارت إليه تلك الوثائق"³

وكانت أحداث نصارى نجران قد وقعت حسب الروايات السريانية أواخر 523م وهو ما لم تحدده كتب التاريخ والتفسير إلا بكونه في زمن الفترة قبل الإسلام.

أورد بعدها فنسك الرواية التي تقول بأن أصحاب الأهدود هم دانيال وأصحابه وهي الرواية التي رجحها كل من: كيكر ولوث. واختارها من ضمن عدة روايات ذكرها جمع من المفسرين من بينهم الطبري، وهو ما يبين ميله إلى ترجيح الروايات التي تتحدث عن النصارى بشكل خاص في هذه القصة، من باب

¹ المرجع السابق، ص 54

² المرجع نفسه، ص 54

³ كوثر محمد سعيد، حادثة الأهدود، مرجع سابق، ص 394

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العائنة

الانتقاء في الروايات أولاً ومن باب الانتصار للكتاب المقدس ثانياً، غير أن الرواية التي في الكتاب المقدس تتحدث عن ثلاث رجال يهود أوكلهم نبوخذ نصر على أعمال ولاية بابلهم شدرخ، ميشخ، وعبدنغو غير التي وردت في الروايات الإسلامية وهم دانيال وأصحابه عزريا وميشائيل¹ والتي هي بالتأكيد مأخوذة من الاسرائيليات وهو ما يظهر التحريف والاختلاف في روايات الكتاب المقدس .

ويختم فنسنك مقاله بذكر رواية الثعلبي في أن: " أصحاب الأخدود ثلاثة: ذو نواس في اليمن، وانطاخيوس في الشام، ويختصر في فارس² . وهو ما ذكره أغلب المفسرين في إشارة إلى كثرة وقوع هذا في تاريخ البشرية، فكثيراً ما عرف استخدام الإحراق بالنار كعقاب في التاريخ يقول ابن عاشور: "وقصص الأخاديد كثيرة في التاريخ، والتعذيب بالحرق طريقة قديمة من نار إبراهيم عليه السلام"³

أما في الإصدار الثاني من الدائرة فقد ابتدأ رودى باريت المادة بقوله: "أصحاب الأخدود مصطلح ورد في أوائل سورة البروج من القرآن يصعب فهمه"⁴ وهي نفسها العبارة التي ينهي بها هذه المادة بقوله: "وتبقى بعد صعوبة تفسير كلمة الأخدود"⁵. ولا يعلم ما هو الصعب في كلمة الأخدود عند المستشرق رودى باريت، فإن كان من الناحية اللغوية فقد أشار العلماء والمفسرون إلى بيان معناه في أغلب كتب التفسير واللغة ومنها تفسير الطبري الذي جعله باريت من مصادر بحثه حيث يقول: "قُتِل أصحاب الأخدود: لُعِنَ أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخدود... والأخدود: الحفرة تحفر في الأرض"⁶.

وإن كان يقصد أنه لا يتضح معنى أصحاب الأخدود هل هم من حفر الأخدود فُنسب لهم؟، أم الذين رُموا فيه فُسِمِي بهم؟ كذلك فقد أشار الطبري لذلك كما أنه رجح القول الأول وعلّله بقوله: "وإنما قلت: ذلك أولى التأويلين بالصواب؛ للذي ذكرنا عن الربيع من العلة، وهو أن الله أخبر أن لهم عذاب

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج8، ص371

² موجز الدائرة، ج3، ص808، ع1.

³ التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30، ص242

⁴ موجز الدائرة، ج3، ص808

⁵ المصدر نفسه، ج3، ص809

⁶ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج24، ص342

الفصل الرابع: قصة قرآنية أخرى في موجز العائنة

الحريق مع عذاب جهنم، ولو لم يكونوا أحرقوا في الدنيا، لم يكن لقوله: (وَلَهُمْ عَذَابٌ حَرِيقٌ) معنى مفهوم، مع إخباره أن لهم عذاب جهنم؛ لأن عذاب جهنم هو عذاب الحريق مع سائر أنواع عذابها في الآخرة¹

وإن كان يقصد أنه غير محدد من هم؟ فقد أورد الطبري عدة روايات عن كونوا، وفي إيراد هذه الروايات عدم جزم بالرواية الصحيحة التي تحدد من هم أصحاب الأخدود، لإبهام القرآن لهم، ولمكانهم وزمانهم، وأحداثهم، وإنما تكريم وإشادة بموقفهم وثباتهم، بالرغم مما تعرضوا له، وبيان لجزائهم الكبير، وتعريض بالكافرين وعقوبتهم الشديدة.

وأكد باريت على قصة اضطهاد نصارى نجران على يد ذو النواس، كما أشار إلى ارتباط هذه الآيات أحيانا بالقصة التي ترجع أخيرا إلى (أتون النار المتقدمة) الوارد في سفر دانيال، الاصحاح الثالث. وهو ما ذكره فنسك أيضا.

وأضاف باريت لهذه المادة تفسيراً جديداً لمعنى الآيات: "على أن هذه الآيات يجب أن تفهم بمعنى يتصل بعلم الآخرة كما استبان (كريميه) وبيّن (هوروقتر) على التدقيق، فنحن نعرض لمشهد من مشاهد الحساب المأثور في القرآن وأصحاب الأخدود كفار ما لهم إلى النار جزاء لهم على ما اقترفوا في حق المؤمنين الآية 7² فهو يرى أن هذه القصة تروي حال الكفار في الآخرة. وهو تفسير لم يقل به أحد من العلماء، ولا يحقّ لهذين المستشرقين أن يتقولا على كتاب الله، فالتفسير له أهله وقواعده.

ونظراً لصعوبة هذا المصطلح في رأي باريت عرض رأيان لا يمتان لصلة بقصة أصحاب الأخدود، بل هي من افتراضات المستشرقين وآرائهم الشاذة وفهومهم القاصرة فقط التي تساق من غير دليل لها، وهما ما ذهب إليه المستشرقان موبك وبييل فيقول باريت: "ويذهب موبك إلى وجود أثر فيه للعبارة العبرية (كى هِنوم) بمعنى النار، وإن كان يتحفظ في قوله هذا تحفظاً شديداً"³. فالتمتع جيداً في عبارة أصحاب الأخدود لا يكاد يجد فيها أي أثر لهذه العبارة العبرية لا حرفياً ولا صوتياً، وإن كان يقصد من جهة المعنى

¹ المصدر السابق، ج24، ص342

² موجز الدائرة، ج3، ص809، ع1

³ المصدر نفسه، ج3، ص809، ع2

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العائنة

فهو تفسير بعيد لا شواهد عليه ولا براهين. لذا كان صاحبه نفسه متحفظا عليه. لكن ما الداعي لإبرازه في الدائرة إن كان متحفظا عليه.

أما المستشرق بيل فيقول: "قد يكون في مصطلح أصحاب الأخدود إشارة فرعية إلى قتلى قريش في بدر الذين ألقيت جثثهم في بئر"¹ وهو ما لم يقل به أحد من العلماء أو المفسرين المسلمين، ذلك أن غزوة بدر كانت بعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، وسورة البروج هي من السور المكية التي نزلت تُصَبِّرُ الصحابة وتسليهم عما يلاقونه من تعذيب كبير من مشركي قريش، كما أن المستشرق يحاول قلب الحقائق، وتغيير أصل القصة فهو يعتبر أن قتلى قريش الكفار رموا في البئر من طرف المسلمين، فكأن الظالمين هم المسلمون والمظلومين هم أهل قريش، ثم أنهى باريت مقاله بقوله "وكلا التفسيرين فيه نظر". وهو قول يغيب فيه الإنكار التام أو الرفض المطلق لما صرح به المستشرقان (موبك وبيل) بدليل عرضه لهذين الرأيين في الدائرة، فبالرغم من أن باريت يعلم أنه يكتب في دائرة معارف أساسها المعلومة الدقيقة المختصرة الواضحة، إلا أنه تعمّد عرض الآراء الشاذة وغير المدلّلة، من باب تعزيز الشبهات في القرآن الكريم، وهو بالانقياد وراء هذه التفسيرات الواهية يُصعّب من مصطلح أصحاب الأخدود، على نفسه وعلى القارئ، لكن بحسب أقوال العلماء المسلمين فهي تبدو واضحة وبسيطة، فهي قصة لأي مؤمن ثابت عن الحق في مواجهة ظلم الكفار أصحاب الأخدود الذين يريدون إلقاءه في الأخدود ليردّوه عن دينه، وإن كانوا يبحثون عن مثال لأصحاب الأخدود فقصة الغلام الواردة في صحيح مسلم كافية ووافية لتجيب عنهم. وتمثّل نموذجا ضد أصحاب الأخدود وإن لم تكن المقصودة في سورة البروج.

لقد كانت هذه المادة مجالا خصبا يضع فيه المستشرقون، افتراضاتهم وتأويلاتهم للنصوص من غير تأكيدها بأدلتها العلمية، وخاضوا فيها من غير يئنة ومن دون الاستئناس بما قاله المسلمون في ذلك

¹ المصدر السابق، ج3، ص809، ع2

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في موجز العاشرة

المطلب الرابع: قصة أصحاب الفيل

الفرع الأول: حادثة الفيل في القرآن الكريم والسنة النبوية

جاءت قصة أصحاب الفيل في سورة الفيل، وهي سورة مكية، "قد عدت التاسعة عشرة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة (قل يا أيها الكافرون) وقبل (سورة الفلق). وقيل قبل (سورة قريش)"¹، وهي من نعم الله التي امتن بها على قريش، مذكراً لهم كيف حمى الله كعبته من كيد أصحاب الفيل الذين أرادوا أن يهدموها، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَلْنَا رَبَّنَا أَتْلُحَابًا لِّإِذَا هُم بِالْأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ الفيل: ١ - ٥

ومعنى "قوله تعالى: ألم تر أي ألم تُخبر. وقيل ألم تعلم، وقال ابن عباس: ألم تسمع؟ واللفظ استفهام، والمعنى تقرير، والخطاب للنبي ﷺ ولكنه عام، أي ألم تروا ما فعلت بأصحاب الفيل، أي قد رأيتم ذلك، وعرفتم موضع مني عليكم، فمالكم لا تؤمنون"². وقال ابن عاشور: "الرؤية يجوز أن تكون مجازية مستعارة للعلم البالغ من اليقين حد الأمر المرئي لتواتر ما فعل الله بأصحاب الفيل بين أهل مكة وبقاء بعض آثار ذلك يشاهدونه"³. فالواقعة حدثت عام ولادة النبي ﷺ، فكانت قريبة العهد لقريش، رأوها بأعينهم ورووها لمن بعدهم، فإجماع القوم على حدوثها جعلها حقيقة واضحة عند سامعها وكأنه شاهدها.

قال القاسمي: "وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه، بأن يقال ألم تر ما فعل ربك... لتحويل الحادثة والإيدان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله ﷺ"⁴.

ثم ذكر كيفية إهلاكهم لأن فيها وجه المنة والاعجاز، ولم يفصل في أسماء أصحاب الفيل ولا في سبب الواقعة ولا في موقف القريشيين من ذلك، بل انتقل مباشرة للإشارة إلى عقوبة المتعدي على حرمت الله تعالى، بأن أضلّ كيدهم وهو ما كان يضمرونه حقدا وحسدا للكعبة، وكان إهلاكهم بإرسال الطيور

¹ تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30، ص543.

² تفسير القرطبي، مصدر سابق، ج20، ص187.

³ التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30، ص545.

⁴ تفسير القاسمي، مصدر سابق، ج9، ص542.

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في مهبز العاصفة

جماعات جماعات تحمل حجارة من طين متحجر تسقطها عليهم حتى أصبحوا كالعصف المأكول، والعصف: ورق الحنطة وتينته، والمعنى صاروا طحيناً ذاهباً كورق حنطة أكلته الدواب، وراثته، فجمع لهم المهانة والحسنة والتلف، قال الفخر: وقيل المعنى: كعصف صالح للأكل، والمعنى جعلهم كتبن تأكله الدواب وهو قول عكرمة والضحاك¹.

وحادثة الفيل معروفة متواترة عند العرب، وجعلوها مبدأ لتأريخ الحوادث لديهم، فقد "تركت حملة الفيل" أثراً كبيراً في أهل مكة، حتى اعتبرت مبدأ تقويم عندهم، فصار أهل مكة يؤرخون بعام الفيل "في كتبهم وديونهم من سنة الفيل"². قال ابن تيمية: "وكان ذلك عام مولد النبي ﷺ وكان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان ودين النصارى خير من دينهم، فعلم بذلك أن هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت حينئذ بل كانت لأجل البيت أو لأجل النبي ﷺ الذي ولد به في ذلك العام عند البيت أو لمجموعهما وأي ذلك كان فهو من دلائل نبوته"³.

ومما جاء في السنة النبوية عن قصة الفيل، ما ورد في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسولها والمؤمنين فإنها لا تحل لأحد كان قبلي..."⁴ الحديث، وهو حديث يظهر علم النبي بقصة الفيل وبانتشارها في المجتمع القريشي.

ومما أورده ابن كثير في رواية قصة هدم الكعبة: أن أبرهة أرسل إلى النجاشي في الحبشة يقول له: "إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يُبْنَ قبلها مثلها. فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء سمتها العرب القليس؛ لارتفاعها؛ لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها. وعزم أبرهة الأشرم

¹ عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار احياء التراث العربي-بيروت، ط1، 1418هـ، ج5، ص628

² جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مرجع سابق، ج6، ص210.

³ أحمد بن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تح: علي حسن ناصر وآخرون، دار العاصمة - الرياض، ط1، 1414هـ، ج6، ص55-56

⁴ أخرجه البخاري في صحيحه، باب كيف تعرف لقطه اهل مكة، رقم الحديث: 2434، ج3، ص125. وأخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم مكة وصيدها وخلالها وشرها ولقطتها الا لمنشد على الدوام، رقم الحديث: 447، ج2، ص988.

الفصل الرابع: قصة قرآنية أخرى في موجز العاشرة

على أن يصرف حجّ العرب إليها كما يُحج إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك، وغضبت قريش لذلك غضبًا شديدًا، حتى قصدها بعضهم، وتوصل إلى أن دخلها ليلاً. فأحدث فيها وكرّ راجعًا. فلما رأى السدنة ذلك الحدث، رفعوا أمرهم إلى ملكهم أبرهة، وقالوا له: إنما صنع هذا بعض قريش غضبًا لبيتهم الذي ضاهيت هذا به، فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة، وليخربنه حجرًا حجرًا. وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارًا، وكان يومًا فيه هواء شديد فأحرقته، وسقطت إلى الأرض.

فتأهب أبرهة لذلك، وصار في جيش كثيف عزمم؛ لئلا يصدّه أحد عنه، واستصحب معه فيلا عظيمًا كبير الجثة لم ير مثله، يقال له: محمود، وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك. فتصدّى لهم "ذو نقر" فهزموا، وعرض له نُقيل بن حبيب الحشعمي فأسره وأخذه دليلًا للطريق، فلما اقترب من مكة أغار على ابل لأهل مكة كان فيها مائتا بعير لعبد المطلب. وطلب أبرهة مقابلة أشرف العرب وأمره أن يخبره أن الملك لم ييحي لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت. فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته، وحرمة، وإن يخلى بينه وبينه، فوالله ما عندنا دُفع عنه. "فقال له حناطة: فاذهب معي إليه. فذهب معه، فلما رآه أبرهة أجله، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريه، وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال لترجمان: إن حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلمني فيه؟! فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه. قال: ما كان ليمنتع مني! قال: أنت وذاك.

ويقال: إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشرف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تامة على أن يرجع عن البيت، فأبى عليهم، ورد أبرهة على عبد المطلب إبله، ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة، والتحصن في رءوس الجبال، تخوفًا عليهم من معرفة الجيش. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العاشرة

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب، ثم خرجوا إلى رءوس الجبال، وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مُقَلَّدة، لعل بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق، فينتقم الله منه.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهياً فيله - وكان اسمه محموداً - وعبأ جيشه، فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى. جنبه ثم أخذ بأذنه وقال: ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام". ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل. وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى. فضربوا في رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم في مرقاه فبزعوه بها ليقوم، فأبى؛ فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول. ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك. ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك. وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان.

وقد تمّ ذكر هذه القصة لأنها تعد رواية تاريخية من مشهود العرب، اشتهرت هذه الحادثة في الجزيرة العربية وانتشرت على الألسنة، وحفظها التراث العربي، ولم تجد معارضة من مشركي قريش، لأنها كانت تقصّ عليهم وقائع كانوا عاشوها، ولم يكن معهم النبي في ذلك الوقت.

الفرع الثاني: أصحاب الفيل في موجز الدائرة:

لم ترد قصة أصحاب الفيل واضحة أو كمادة مستقلة في موجز الدائرة، ولا ارتباطها بأبرهة وجيشه الذين أطلق عليهم القرآن لقب (أصحاب الفيل) فقد برزت الإشارة إلى هذه القصة في مادة أبرهة، التي جاءت في الإصدار الأول بقلم بول F.Buhl، وفي الإصدار الثاني بقلم بيستون A.F.L.Beeston، وكلا المادتين وردتا مترجمتين في موجز الدائرة، ترجم خورشيد مقال بيستون في حين لم يذكر من ترجم مقال بول في الإصدار الأول.

والحديث في كلا المقالين ركز على حياة وإنجازات أبرهة وكيف وصل إلى حكم اليمن، بالرغم من كونه عبدا لرجل روماني من أدوليس، فقد ثار ضد ملك أثيوبيا وأسر ملك اليمن، واستولى على حكمها حتى تم الاعتراف به واليا على اليمن، ثم التركيز على أهم حدث في حكمه وهو مجيء بعض الوفود إلى سد مأرب من بينها وفود الدولتين بيزنطا وفارس، كما تم الإشارة إلى أنه عند نشوب الحرب بينهما لم يشترك أبرهة في أول الأمر ثم اقتنع أخيرا وقام بهجمة على الفرس بعدها تخلى عن ذلك. وهي روايات

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العاشرة

معتمدة أساساً على ما سجله بروكوبيوس¹ في تاريخه، يظهر من خلال هذه الحرب ارتباط أبرهة بقصة أصحاب الفيل، حيث نقتطع من المادة ما يشير إلى هذه القصة، حيث يقول المستشرق بول - بعد حديثه عن الهجمة التي خاضها أبرهة ضد الفرس ثم تحلى عن ذلك: "ونستطيع أن نجد صلة بين هذه الحرب التي لا يمكن أن تكون قد وقعت قبل عام 570م، وبين تلك القصص العربية التي تعتمد على القرآن (سورة الفيل)، وتشير إلى حملة أبرهة الفاشلة على مكة والكعبة. وإلى جانب هذا النسيج من القصص المعتمد على القرآن، رواية ضعيفة مؤداها أن وباء الجدري كان قد انتشر في ذلك الوقت، ويمكن الافتراض بأن هذا الوباء كان سبباً في تفهقر أبرهة، أو على الأقل كان ذريعة له إلى العدول عن تلك الغزوة الشاقة، وعام هذا الحادث الذي يعرف ب(عام الفيل) نسبة إلى الفيلة التي استخدمها أبرهة هو عام 570م، كما تقول المصادر المتأخرة، ويعد هذا العام في القول الشائع عام مولد النبي، إلا أن نولدكه Noldeke قد اعترض بحق على ما تقدم: لأننا لو قبلنا ذلك لما كانت هناك بين حملة أبرهة على مكة، وغزو الفرس لبلاد العرب الجنوبية عام 570م، فسحة من الوقت يحكم فيها أبرهة وأولاده. وقد ذهب فلهاوزن Wellhausen إلى أن ما يروى عن حملة تُبَع على المدينة لم يكن في الواقع إلا مرحلة أولى من مراحل حملة أبرهة المشار إليها"².

ثم ينهي المستشرق بول مقاله بالحديث عن ديانة أبرهة بأن كان نصرانياً، وبناءه لكنيسة صنعاء ومن خلال هذا المقطع نضع عدة ملاحظات هي:

- يشير بول إلى ارتباط هجمة أبرهة على الفرس بحادثة الفيل، ملتحجاً إلى أن الأصل ليس حرباً على مكة أو نية بتدمير الكعبة، بل الأصل هو هجوم ضد مملكة الفرس، انصياعاً لملك الحبشة النصراني المتحالف مع بيزنطا، والذي كان هذا الهجوم يخدم مصالحها. وهو ما جاء في كتابات كثير من المستشرقين، وهو تفسير قائم على المنهج المادي والنظرة الاقتصادية التي تخدم مصلحة الامبراطوريات الكبرى في العالم في

¹ بروكوبيوس القيسراني (500 - 560 م) كان عالماً ومؤرخ من فلسطين الأولى. وقد أصبح المؤرخ الأول للقرن السادس للميلاد بمرافقته لقائد الجيش الروماني بيليساريوس في حروب الامبراطور جستنيان، واضعاً كتابه "حروب جستنيان"، و"بنايات جستنيان" و"التاريخ السري" المحققى به. ويعتبر بشكل شائع آخر المؤرخين الرئيسيين للعالم الغربي القديم.

² موجز الدائرة، ج1، ص99.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في سورة العنكبوت

ذلك الوقت، وقد يكون هذا واردا ولا شك، ولكنه ليس السبب الرئيسي والدافع المحرض لأبرهة لخوض غمار هذه الحرب.

لأنّ ما ترويه الروايات الإسلامية أن أبرهة طلب مقابلة أشرف العرب بعد اقترابه من مكة، وطلب من رسوله "أن يخبره أن الملك لم يجيء لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت. فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته، وحرمه، وإن يخلى بينه وبينه، فوالله ما عندنا دَفْعُ عنه"¹، فلو كان قصد أبرهة السيطرة على مكة لكان فرض سيطرته على مكة بعد هروب أهلها إلى أعلى الجبال، ولو كان هدفه تدميرها لكان ذلك أسهل له، لكن نيته الواضحة كانت هدم الكعبة لذلك وجّه الفيل باتجاه الكعبة لهدمها فالهدف ديني بحت. لكن لا ينكر أن له تبعات وآثار جانبية ستعود على اليمن بالخير، منها أنها ستقوي تجارتها ومركزها الديني، وستزيد هيبة مملكة أبرهة وقوته. وتفتح لهم طريقا للسلع التي تأتيهم من الهند، والسير في البحار العربية بأمان"².

ثمّ أشار بول إلى اعتماد القصص العربية على القرآن في نسج هذه القصة، والمعلوم أن القرآن الكريم جاءت فيه القصة مبهمة لتفاصيلها نظرا لعلم قريش بها، فهي حقيقة واقعة شهدتها قريش، ولم تؤلفها اعتمادا على القرآن الكريم، بدليل أنها كانت تؤرخ بها، كما بهذه الحادثة "ازداد اعتقاد قريش بـ"رب البيت" وبأصنامها، وهابت العرب مكة، فكانت نكسة الحبش نصراً لقريش ولأهل مكة قوياً من معنوياتها"³. وهناك من الشعراء الجاهليين من أنشد فيها أشعارا باقية مخلدة للحادثة منها ما قاله جد النبي ﷺ وهو ممسك بحلقة البيت:

ع حله فامنع حلالك

اللهم إن المرء يمد

ومحالمهم غدرا محالك

لا يغلبوا بصليهم

وقال عبد المطلب حين انصرفوا:

من للئام فلم تخلق لهم دارا

منعت الأرض التي حميت

¹ تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ج8، ص483.

² جواد علي، مرجع سابق، ج6، ص207.

³ المرجع نفسه، ج4، ص71.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في مهجذ العائنة

منعت مكة منهم إني رجل
إذ قلت يا صاحب الحيشان إن لنا
فسار في جيشه بالفيل مقتدرا
في فتية من قريش ليس مبيتهم
ذو أسرة لم نكن في الحب غدارا
من دون أن يهدم المعمور أخطارا
وسرت مستبسلا للموت صبارا
بمورث حيمهم شيئا ولا عارا

"فلو لم تكن القصة حقيقية لظهر من العرب من يسارع إلى تكذيب هذه السورة ويعلن ذلك على رؤوس الأشهاد وينتهزها فرصة للكيد من النبي ﷺ والطعن عليه، ولا سيما أنهم كانوا وقتئذ يتمنون أن يروا له سقطا أو عثرة أو كذبة، فلولا أنه ذكرهم أمرا لا يتدافعونه، ولا يستطيع العدو إنكاره، للذي يرى من إطباق الجميع عليه لوجدوا أكبر المقال في تكذيبه والتشنيع عليه"¹، وإذ لم يشهد أعداء النبي ﷺ في زمنه بكذبه في هذه القصة، فلا يحق لأعدائه من المستشرقين في هذا العصر أن يدّعوا اختلاقه للقصة وخلطه التاريخي للأحداث التي لم يكونوا شاهدين عليها، وتعوزهم فيها الآثار التاريخية .

- ذكر بول أن هناك رواية ضعيفة تشير إلى انتشار وباء الجدري في جيش أبرهة ما كان سببا في تقهقر أبرهة أو على الأقل ذريعة لكي يعود ويعدل عن هذه الغزوة، وهي روايات ذكرت في كتب التفسير، فقد جاء في تفسير الطبري: "عن عكرمة، قال: كانت ترميهم بحجارة معها، قال: فإذا أصاب أحدهم خرج به الجُدريّ، قال: كان أول يوم رُؤي فيه الجدريّ، قال: لم يُرَ قبل ذلك اليوم ولا بعده"²، وذكر الرازي عن عكرمة عن ابن عباس، قال: "لما أرسل الله الحجارة على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد منهم إلا نفض جلده وثار به الجدري، وهو قول سعيد بن جبير"³. فإن كانت هذه الروايات قد ذكرت وباء الجدري فقد بيّنت سبب ذلك وهو وقوع الحجارة عليهم. "فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون على كلّ منهل، فأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أنامله أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعها مِدَّةٌ تُمْتُ قيحا ودما، حتى قَدِموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه

¹ عبد الجواد الحمص، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، الدار المصرية- الإسكندرية، 2000م، ص84، 85

² تفسير الطبري، مصدر سابق، ج24، ص608

³ تفسير الرازي، مصدر سابق، ج32، ص292.

الفصل الرابع: قصة قرآنية أبرهة في موجز العاشرة

فيما يزعمون¹. فسواءً كان الجدري الناتج عن رمي الطير الحجارة على جيش أبرهة أو بسبب ما خلفته هذه الحجارة، فإن أبرهة كان أحد مصابيها وبها كان هلاكه، وهو سبب عدول أبرهة عن هذه الغزوة.

- ذكر بول اعتراض تولدكه على قصة أصحاب الفيل لأنه في 570م كانت هناك غزوة للفرس لبلاد العرب الجنوبية، فليس هناك وقت لحكم أبرهة وأولاده، لكن المصادر التاريخية تذكر أن أبرهة هلك في 570م وخلف من بعده ولداه يكسوم ثم مسروق بن أبرهة، وكان دخول الفرس إلى اليمن سنة 575م، على أيدي وهرز مع سيف بن ذي يزن في جيش فارسي، نزع ملك الحبشة من اليمن نهائيًا. فلقد "كان استيلاء الحبشة على اليمن بأسرها سنة "525" للميلاد. أما القضاء على حكمهم فكان قريبًا من سنة "575" للميلاد²، فالفارق بين وفاة أبرهة وسقوط حكم أبناءه على اليمن خمسة سنوات، وهي المدة التي يبحث فيها تولدكه لحكم أبناء أبرهة، مع ملاحظة أن تاريخ اليمن غير منضبط كما يقول الأصفهاني: "وليس في جميع التواريخ تأريخ أسقم ولا أخل من تأريخ الأقبال ملوك حمير، لما قد ذكر فيه من كثرة عدد سني من ملك منهم، مع قلة عدد ملوكهم، وقد اختلف رواة الأخبار في مدة لبث الحبشة باليمن اختلافًا متفاوتًا"³.

أما بيستون فقد ابتدأ مادة الإصدار الثاني بالتعريف بأبرهة بأنه "ملك نصراني على بلاد العرب الجنوبية في القرن السادس الميلادي. وترجع شهرته في الكتب الإسلامية إلى الرواية التي تقول إنه قاد حملة يمنية على مكة (أشير إليها في القرآن، سورة الفيل) في العام الذي ولد فيه النبي حوالي سنة 570م"⁴. ومنطلق مقولته هذه هو غياب ذكر أبرهة في المصادر اليونانية أو الرومانية، لذلك يشكك في المصادر العربية التي نقلت حياة أبرهة والتي أساسها هو الروايات الشفوية المتداولة في عصر التدوين حيث يقول: "وتفصيلات حياة أبرهة كما رواها المؤرخون المسلمون قوامها قصص ترد في أصلها إلى الأدب الشعبي،

¹ تفسير الطبري، مصدر سابق، ج24، ص614

² جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مرجع سابق، ج6، ص214

³ المرجع نفسه، ج6، ص215

⁴ موجز الدائرة، ج1، ص100، ع2.

الفصل الرابع: قصص قرآنية أخرى في موجز العاشرة

أُصقت من غير مراجعة بشخصية عظيمة. وإذا شئنا معلومات وثيقة وجب أن نرجع إلى بروكوبيوس وإلى النقوش الحميرية¹.

فبيستون يجعل من بروكوبيوس مصدرا موثوقا في نقل تاريخ العرب، وهو الذي اختص بتاريخ الروم والحروب الرومانية والفارسية أكثر، ولم يهتم بتاريخ الجزيرة العربية أو اليمن، ذلك أن الجزيرة العربية لم تكن داخل نطاق صراع الامبراطوريتين، ونظرا للطبيعة الجغرافية للمنطقة العربية أيضا. كما أن تاريخ وفاة بروكوبيوس كما تورده المصادر كان في سنة 560م، أي أنه لم يعيش إلى عام 570م وهو تاريخ عام الفيل كما تورده أغلب المصادر الإسلامية، أما عن النقوش الحميرية التي تروي إنجازات أبرهة فهي تتوقف في إصلاحات السد واستقبال الوفود ولم تسجل آخر حروب أبرهة الأخيرة، وقد يكون ذلك لخروج أبرهة لهدم الكعبة، فلم يأمر بتسجيل هذه الأمور حتى يحصد النصر.

بعدها يحاول بيستون التعرّيج على كيفية وصول أبرهة للحكم، وبعض النقوش وما ترويه عن ميول أبرهة الدينية، وبعد نهاية كلام بروكوبيوس وما تقوله النقوش الحميرية يقول بيستون: "ومن هنا فصاعدا تلتزم المصادر الوثيقة الصمت فلا نجد بعد إلا القصة الواردة في المصادر الإسلامية، والراجح أنها تدخل في باب الأساطير"² ويختم المادة بقوله: "وثمة مصادر كنسية أخرى مثل كتاب Leges Homeritaru المنسوب إلى أسقف ظفار، تذكر مثل هذه الاخبار. وهذه الرواية للحوادث التي تتضارب في أساسها مع كل من بروكوبيوس والنقوش، يجب أن نعدّها مصدرا غير تاريخي مبعثه التباس في الأسماء أو تزيف اتخذ بغرض المناظرة"³. والتزام الصمت من طرف الوثائق لا يعني عدم وقوع حادثة الفيل، كما أن في استشهاده بالمصادر الكنسية الاخرى دليل على تسجيل مثل هذه الاخبار خاصة وأنها من نصارى الجزيرة الذين عايشوا الأحداث فيها، إما بروكوبيوس فلم يكن في الجزيرة العربية، كما أنه ذكر أنه توفي قبل عام الفيل، أمّا النقوش فيمكن التأكد مما هو موثّق فيها، ولا يمكن محاكمتها لماذا لم تسجّل الأحداث، فهي دليل على ما سجّلته فقط.

¹ المصدر السابق، ج1، ص100، ع2.

² موجز الدائرة، ج1، ص102

³ المصدر نفسه، ج1، ص102-103

الفصل الرابع: قصة قرآنية الخمر في موجد العائنة

وإن جعل قصة أصحاب الفيل من الأساطير قد يكون راجعا إلى ما حوته بعض المصادر الإسلامية من أخبار وروايات في وصف أشكال الطيور والمبالغة الكبيرة في ذلك، مما زاده فيها القصاصون والخباريون، لكن أن ينكر المستشرقون القصة لأنها غير واردة في كتبهم، فهذا ليس من حقهم، فمعروف أن كتب التاريخ المسيحي لم تعن كثيرا بتاريخ أخبار الجزيرة العربية، لبعدها عن مركز الأحداث المهمة في وقت الامبراطوريات، ولأن العرب كانوا قبائل تخالف حياتهم حياة النصارى.

وقد كان واضحا إنكار المستشرقين لقصة أبرهة في مكة والتي تخص قصة أصحاب الفيل، لعدم وجودها في مصادرهم التاريخية أو الدينية، وحاولوا حشد الدلائل على ذلك، لكن الحقيقة تبقى جليّة بيّنة لمن أراد الأخذ بها.

وختاما لهذا الفصل يمكن القول أن تناول المستشرقين لقصص غير الأنبياء، كان يعتمد في أساسه على نسبة القصة إلى الأسطورة، أو التشكيك في مصداقيتها، أو محاولة إيجاد جذور لها في التراث اليهودي أو النصراني، حتى إذا استعصى ذلك عليهم رفضوها لمخالفته الوقائع التاريخية المسجلة من أحد المؤرخين الغربيين، ولأنّ منهج القرآن في عرض مثل هذه القصص بالذات هو ذكرها مرة واحدة وبإبهام أغلب تفاصيلها، عمدوا إلى الروايات الإسرائيلية فجعلوها العمدة في الباب، وناقشوا القصة من خلالها، مهملين تماما إشارات القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. ما يبيّن أن منهج المستشرقين واحد سواء في قصص الأنبياء أو في القصص الأخرى. ذلك أنّ هدفهم واحد هو النيل من الاسلام، ومنطلقهم واحد هو أنّ القرآن من تأليف محمد.

اللائحة

جامعة الأمير عبد
الاعلام
العلوم الإسلامية

اهتم المستشرقون بالقصص الوارد في القرآن الكريم والمشتهر في التراث الإسلامي، وأفردوا لها مواداً في دائرة المعارف الإسلامية، عُيّنت بالشخصيات الأساسية للقصة، وقد حاولت هذه الدراسة استبيان رؤية المستشرقين في عرضهم لهذا القصص من خلال موجز دائرة المعارف الإسلامية، وخلصت في الختام إلى عدة نتائج أهمها:

1. يعد الاستشراق حركة فكرية اعتمدت على الدراسات الأكاديمية لغير المسلمين للاختراق الفكري للمجتمع الإسلامي عن طريق التشكيك في الإسلام وتشويه صورته. وكان من أهم دوافعه الدافع الديني، لخدمة النصرانية بمحاربة الإسلام والطعن فيه، ولتحقيق ذلك استخدم المستشرقون عدة وسائل للوصول إلى هدفهم.

2. اتبع المستشرقون عدة مناهج علمية حديثة في دراستهم للقرآن الكريم من أهمها: المنهج التاريخي، المنهج الفيلولوجي، المنهج المادي، المنهج التحليلي، ومنهج الأثر والتأثر، وسلكوا في ذلك عدة آليات منها: آلية التشكيك، آلية التأويل المتعسف، آلية الانتقاء، آلية الإسقاط....

3. ارتكزت منهجية القرآن الكريم في عرضه لقصص الأقوام السابقة، والشخصيات الغابرة، على استلهاهم العبر والمواعظ، والحث على التفكير في الأفعال والعواقب، بما يوقظ الإنسان من غفلته، ويكشف له سنن الحياة في الكون، مع تركيزه على عصمة الأنبياء وردّ أي افتراء يُنسب إليهم.

4. تُعد دائرة المعارف الإسلامية خلاصة جهود المستشرقين في دراساتهم للإسلام وحضارته، وقد أشرف على تحريرها كبار المستشرقين، ورُصدت لها إمكانات ضخمة لضمان خروجها في شكل جيد، وقد حفلت موادها خاصة المتعلقة بمصادر الإسلام وشريعته بكثير من الشبهات والأخطاء، مما يستوجب التنبيه لها وتصحيحها، وهو ما سعت الترجمة العربية للدائرة (موجز الدائرة) إلى استدراكه.

5. تنوّعت طريقة القرآن في عرض قصص الأنبياء، فمنهم من ورد ذكره فقط دون بسط قصته في القرآن: كإسماعيل، إدريس، ذو الكفل، إيسع، إسحاق، هاون ويحيى عليهم السلام، ومنهم من جاءت قصته تعرض بعض تفاصيل حياته، مثل قصة آدم، أيوب، يعقوب، يوسف، سليمان، داوود، زكريّا، عليهم السلام، ومن الأنبياء من جاء ذكر دعوته لقومه فقط من دون الإشارة إلى تفاصيل حياته كنوح، هود، صالح، إلياس، لوط، شعيب ويونس عليهم السلام، ومنهم من تطرق القرآن الكريم لتفاصيل حياته وكذا دعوته لقومه: كإبراهيم، موسى، عيسى، عليهم السلام.

6. من مميزات عرض المستشرقين للقصة في موجز الدائرة:

- الابتداء بالإشارة إلى ورود القصة في التوراة أولاً، ثم الإشارة بترقيم الآيات في مواضع ورودها من القرآن الكريم، ثم التطرق إلى الروايات الإخبارية في كتب التفسير والتاريخ، مع المزوجة بكتابات المستشرقين وأراءهم فيها. وفي المواد الأخيرة من موجز الدائرة أصبحت المادة تقسم إلى قسمين: قسم خاص بورود القصة في القرآن، وقسم خاص بقصص الإخباريين، وهي ميزة استدركتها الدائرة في أجزائها الأخيرة، في التفريق بين عرض القرآن الكريم وبين ما جاء في التراث الإسلامي واتصل بتفسير آيات القرآن.
- تنوّعت الشبهات الواردة حول شخصيات القصص القرآني بحسب طريقة المستشرق في تناول القصة وخلفيته الدينية والفكرية، وكذا سعة اطلاعه على التراث الإسلامي وكتابات المستشرقين، لكن لا تكاد تخلو منها مادة.
- إيراد القصة في القرآن الكريم كان يخضع في كثير من الأحيان للنقد من طرف المستشرقين لمشاجمته ما جاء في الكتاب المقدس، أو مخالفته لما عهدوه في تراثهم الديني. وهو ما لا نجده بالنسبة للقسم الثاني من قصص الاخباريين. لكون هذا الأخير يعتمد كثيراً على الإسرائيليات، ويوافق أهواء المستشرقين في النيل من الاسلام.
- في القصص الخاصة بأنبياء العرب مثل قصة: هود، صالح، إسماعيل عليهم السلام، التي لا وجود لها في الكتاب المقدس، أو قصص المجاهدة في التراث اليهودي، غابت فكرة الاقتباس من اليهودية والنصرانية، وهي الفكرة الأساسية التي ظهرت في مواد الأنبياء بشكل خاص، وظهرت في مقابلها فكرة التشكيك في وجود هؤلاء الأنبياء وأقوامهم، والظعن في قصصهم.
- في قصص الأنبياء الذين لم يرد تفصيل قصصهم في القرآن الكريم أو السنة النبوية كإلياس، ذو الكفل، إدريس، إسماعيل عليهم السلام يظهر شغف المستشرقين بإطالة المادة وحشوها بكثير من الاسرائيليات والروايات الغربية، وأثروها بافتراضات وهمية لا أدلة عليها في سبيل تقديم مادة خام للدائرة، غير مراعين لمنهجية التحقيق والتثبت الواجب اتباعها في معالجة المعلومات القليلة. ليُظهر الإسلام ديناً أسطورياً يعتمد على الخرافات، كما ظهر انتقائهم للمصادر التي ينقلون منها، وأغلبها مردود في الإسلام، أو غير مشهور، أو كثير الروايات الضعيفة من غير تمحيص. وهو خلل منهجي كبير يدخل في إطار المنهج الانتقائي للقضايا والمصادر والأدلة.

- حاول المستشرقون من خلال مادة إبراهيم واسحاق وإسماعيل نفي علاقة العرب بإبراهيم عليه السلام، والتشكيك في نبوة إسماعيل عليه السلام، وكانت مادة إسحاق تحاكي القصة التوراتية بمعلوماتها ومصادرها، وأثاروا فيها شبهات خطيرة.
- اعتمد المستشرقون في المواد الخاصة بأنبياء بني إسرائيل على منهج مقارنة ما ورد في القرآن الكريم بما جاء في الكتاب المقدس، وإظهار الاتفاق والاختلاف في تأكيد صريح على أن القرآن متأثر بالكتاب المقدس، فإذا اختلفا نسبوه إلى الاقتباس من الهاجادة، في طمس لحقيقة أن القرآن الكريم وحي من الله تعالى وأنه جاء يصحح ما حُرّف في التوراة والانجيل، ويُذكر بالحقيقة الغائبة فيهما.
- تميّزت مادة عيسى عليه السلام بأنّها عرضت صورة نبي الله عيسى كما هي عند المسلمين، مع تركيزها على الجوانب المشتركة بين الإسلام والمسيحية وقد ظهر هذا في كل أقسام المادة، لتعرض نوعاً من المستشرقين المسيحيين الذين ينادون بالتقريب بين الأديان ويختارون من كل دين ما يُعبر عن المشترك الإنساني بهدف نبذ الصراع بين الأديان وإحلال السلام.
- ذكر القرآن الكريم قصص لشخصيات وأقوام حملت معاني جليّة، رسّخها لتكون نبراساً للإنسانية في طريق الحق، وقد غابت هذه القصص عن المصادر اليهودية والمسيحية، ما جعل المستشرقين يميلون إلى الروايات التاريخية واعتمادهم على الآثار للتشكيك في واقعيتها والظن في مصداقية القرآن الكريم.
- جعل المستشرقون القصص القرآني تعبيراً عن الحالة النفسية التي كان يعايشها النبي صلى الله عليه وآله في دعوته لقومه، فيضع على ألسنتهم ما كان يتعرض له، وهو ما جاء في الحوارات القرآنية بين الأنبياء وأقوامهم على حسب ظنهم، وهو ما ينفي عن القصص القرآني صدقه وواقعته، فقد كان القرآن الكريم يعرض ما وقع فعلاً، وليس فيه أي افتراء لأنّه من عند الله تعالى عالم الغيب والشهادة، وليس من تأليف محمد كما يعتقدون.
- اعتمد المستشرقون على عدة آليات خدمت توجهاتهم الفكرية وأهدافهم الدينية منها الاعتماد على الفرضيات كمسلمات بديهية دون تقديم أدلة واضحة وصريحة على صحتها وثبوتها، ومحاولة إسقاط تصوراتهم الغربية وخلفياتهم الفكرية على القصص القرآني، والتأويل المتعسف للآيات القرآنية بما يتوافق مع أهوائهم وأرائهم.

- انتقاء الروايات الغريبة والاحداث العجيبة وترك الصحيح المتيقن منه، والإعراض عمّا ورد في القرآن الكريم، وعدم التحقق من المعلومات والاستناد إلى المصادر الهامشية في القصة وغير المعوّل عليها في الدراسات الإسلامية.
- اتخذ المستشرقون من الاسرائيليات الواردة في كتب التفسير والتاريخ، باب واسعاً يلجون منه للتدليل على أفكارهم ومطاعنهم ضد القرآن الكريم، ما يوجب على المسلمين الاهتمام بهذا التراث الإسلامي وتهذيبه من هذه الأكاذيب، أو التنبيه عليها في بطون الكتب التي تحملها، حتى تظهر الحقيقة ويتبين للناس زيفها، ولا تكون حجة لأعداء الإسلام.
- اعتمد المستشرقون في سرد القصص على كتابي قصص الأنبياء للثعلبي وقصص الأنبياء للكسائي، وانتقوا منهما الغرائب والعجائب وأوصوا بهما في مسرد المراجع كثيراً، على أساس أنهما مصدران إسلاميان موثوقان، كما اعتمدا كثيراً على تفسير الطبري، الذي يذكر الروايات الإسرائيلية وكتاب مروج الذهب، وبعض الكتب التاريخية غير المعروفة، هدفهم الواضح من ذلك هو سرد غريب الروايات وانتقاء الأخبار بما يوافق هواهم، وإعراضهم الجليّ عن الكتب المعتمدة في قصص الأنبياء.
- في بعض مواد القصص القرآني يقوم المترجم أو لجنة الترجمة بحذف العبارات الطاعنة في النبي محمد ﷺ أو أحد الأنبياء، أو ما فيه شبهة ركيكة البناء تقدح في عصمة الأنبياء، بما لا يفيد القارئ العربي ويثير الشكوك في نفسه، وكان ذلك في المواد التي ترجمت في الإصدار الثالث من الدائرة ابتداءً من حرف العين. لأن المواد الأولى كانت تترجم حرفياً من دون حذف فيها، مع إدراج تعليق من طرف كبار العلماء المسلمين يردّ على الشبهات الواردة في المادة من الدائرة.
- يلاحظ غياب الحديث عن جانب الدعوة والإيمان في كل مواد القصص والتركيز على الجانب التاريخي وخاصة البحث عن أماكن قبور الانبياء، في اهتمام زائد بالتفاصيل المادية على حساب المعاني الإيمانية والروحانية، كما هو منهج القرآن الكريم في عرض القصة القرآنية.
- من أبرز محرري الدائرة الذين تخصصوا في كتابة مواد القصص القرآني نجد هيلر، ايزنبرغ، وفنسنك، الذي كتب أغلب المواد أو كان مشرفاً على تحريرها، وبالرغم من اهتمامه بالدراسات الحديثة وتأليفه لمعجم حديثي مهم كمفتاح كنوز السنة، إلا أنّ الملاحظ عدم اهتمامه بإيراد الأحاديث النبوية أو الاستناد عليها أبداً، كما أنّه لا يذكرها حتى في باب الإحالات، في مقابل توسعه الكبير في مجال ملمة الاسرائيليات والاخبار الشاذة. وهو ما يمكن وسم منهج المستشرقين به

عموماً، فطريقتهم في الجمع والفهرسة والترتيب دقيقة وواسعة، لكن في مجال التركيب والتحليل والنقد طغت الخلفية الفكرية والدينية عليهم.

- ظهر في كثير من المواضيع في مواد القصص الخطأ في أرقام الآيات التي تشير إلى القصة، وهذا يظهر عدم الدقة في تحري النصوص، كما أنّ الإشارة إلى أرقام الآيات دون ذكر الآيات لا يسهل على القارئ معرفة حديث القرآن الكريم عن القصة، وأحياناً تلحق هذه الأرقام بتأويل متعسف لمعنى الآيات.

7. من إيجابيات هذه الدائرة أنها أكبر إنجاز جمع بين طياته تاريخ الحضارة الإسلامية، وعرف العالم بها، كما أنّها شجعت الباحثين المسلمين على إنجاز تأليف تشبهها تعرض الحقائق، وتبتعد عن التزييف وإثارة الشبهات. لكن آثارها السلبية كانت أعمق من إيجابياتها، لنشرها للسموم في أوساط الباحثين وطلاب العلم، الغربيين والعرب والمسلمين.

8. من الآثار التي تركتها هذه الموسوعة عن القصص القرآني في أذهان الناس ما تحمله دقات بعض الكتب الحدائثة المستندة عليها، وما يعرض من أفلام ومسلسلات عن الأنبياء والصالحين، وما تحمله القصص الموجهة للأطفال من شبهات من غير علم بصحتها إلا وجودها في موسوعة عالمية أشرف عليها كبار الباحثين، ما جعل الناس يميلون إلى الاستمتاع بمثل هذه الروايات وتصديقها في مقابل الوقوف مع آيات القصة القرآنية.

وفي الختام إن الرؤية الاستشراقية للقصص القرآني في موجز الدائرة سيطرت عليها الخلفية الفكرية للمستشرقين وطغى عليها التحامل على الإسلام والطعن فيه وفي نبيه الكريم، ما أوقع المستشرقين في شباك اللاموضوعية، وغيب عنهم صورة القصص القرآني التي تعدّ مزيجاً من الصدق والواقعية والإعجاز، والتي لا يمكن أن يستشف معانيها إلا من آمن بأن القرآن الكريم وحي من رب العالمين.

ومن التوصيات التي تلخص إليها الدراسة

- تشجيع الباحثين على دراسة موجز دائرة المعارف الإسلامية في المواد الأخرى خاصة وأنّ موجز الدائرة أصبح متوفراً ورقياً وإلكترونياً، وخاصة في الأجزاء الأخيرة منه والتي لم ترد فيها ردود العلماء على الشبهات والأفكار المغلوطة عن الإسلام وحضارته.

- ترجمة دائرة المعارف القرآنية والرد على الشبهات فيها، لتصحيح الصورة المغلوطة عن القرآن خاصة في الغرب..
 - توحيد جهود الباحثين المسلمين المشتغلين بالرد عن الاستشراق وأهله، بإخراج موسوعة قرآنية شاملة وترجمتها إلى عدة لغات، تُغني عن الإنتاج الاستشراقي المشبوه. لأن أغلب الموسوعات الدينية يكتبها أصحاب الدين أنفسهم.
 - الاجتهاد في تنقية التراث مما علق به من الاسرائيليات والأساطير المستندة على القصص، بتهذيب الكتب التي أكثرت منها، وتخريج أحاديثها والتنويه على الأخبار الشاذة فيها خاصة كتب قصص الأنبياء ككتب الإمامين الجليلين الثعلبي والكسائي.
- هذا وإن أصبت فتوفيق من الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله المستعان
وصل اللهم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

- ❖ فهرس الآيات القرآنية
- ❖ فهرس الأحاديث النبوية
- ❖ فهرس نصوص الحديث القطيع والحديث الحديث
- ❖ فهرس الإلهام
- ❖ فهرس المطالع والمراجع
- ❖ فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿... فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ...﴾	23	160
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾	30	213 ، 120
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰئِكَةِ...﴾	33 31	215
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ...﴾	34	221
﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى...﴾	39 38	216
﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعَهْدَ...﴾	54-51	436
﴿وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ إِن نُّؤْمِنُ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً...﴾	57-55	401، 126
﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا...﴾	59-58	402
﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ...﴾	61-60	402
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ...﴾	64-63	401
﴿وَإِذْ قَاتَلْتُم نَفْسًا فَادَرَأْتُم فِيهَا...﴾	73-72	126
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ...﴾	74-67	403
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ...﴾	87	464
﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ...﴾	93-92	402
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ...﴾	101	442
﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطٰنِ عَلَىٰ مَلِكٍ سٰلِئِن...﴾	102	524 ، 444 ، 442 ، 440
﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا...﴾	125	333
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرٰهِيْمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمٰعِيلُ...﴾	129-127	333 ، 145
﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرٰهِيْمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ...﴾	132-124	310 ، 163
﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرٰهِيْمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ...﴾	132	386 ، 385 ، 361 354، 376 ، 362
﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ...﴾	133	333 ، 322 ، 313 359 ، 354 ، 346
﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرٰنَىٰ تَهْتَدُوا...﴾	135	322

357	136	﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ...﴾
355، 346	140	﴿أَمْرٌ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ...﴾
237	143	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾
169	151	﴿وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾
126	243	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ...﴾
422، 285	246	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى...﴾
423	248-247	﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ...﴾
429	250-249	﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ...﴾
424، 260	251	﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ...﴾
464	253	﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ...﴾
305	258	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ...﴾
125	259	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا...﴾
346 311، 125، 151	260	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾
سورة آل عمران		
459	37-33	﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ...﴾
450	37	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا...﴾
454، 453، 450	38	﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ...﴾
492، 453، 451	39	﴿فَتَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ...﴾
452	41	﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً...﴾
460	43-42	﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ...﴾
460، 453	44	﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ...﴾
481، 479، 460	46-45	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ...﴾
479، 499	47	﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَتْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا...﴾
464	51-49	﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾
504	53-52	﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ...﴾
470	55-54	﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ...﴾

469 ، 461	63-59	﴿إِن مَثَل عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ...﴾
177 ، 131	62	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ...﴾
321	65	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ...﴾
321	67	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا...﴾
346 ، 334	84	﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا...﴾
361 ، 354 ، 147	93	﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾
322	95	﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...﴾
215	151	﴿وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾
356	258	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ...﴾
سورة النساء		
219	111	﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾
126	119	﴿وَلَا ضِلَّاتُهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ...﴾
462	156	﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بَهْتِنَا عَظِيمًا﴾
470	159-157	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ...﴾
361	160	﴿فِظْلِهِم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ...﴾
، 334 ، 275 ، 236 ، 357 ، 346 ، 339 421	163	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾
468	172-171	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...﴾
سورة المائدة		
467	17	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ...﴾
404	26-20	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ...﴾
464	46	﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ...﴾
467	75-72	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾
422	78	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾
320	82	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ...﴾
465	110	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبُ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نَّعِمَتِي...﴾

465	111	﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾
465	115-112	﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ... ﴾
466	118-116	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ... ﴾
467	117	﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ... ﴾
سورة الأنعام		
170، 83	25	﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً... ﴾
313، 304	83-74	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ أَرَّأْتَهُ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً... ﴾
322	79	﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ... ﴾
376، 275، 354، 358 433	84	﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا... ﴾
454، 286، 450، 452 457، 476	85	﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
333	86	﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَطُوطًا... ﴾
427، 125	90	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ آفَقْتُهُ ﴾
162	105	﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ... ﴾
361	146	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزَبْنَا عَلَى ذِي ظُلْمٍ... ﴾
322	161	﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ... ﴾
219	164	﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا... ﴾
سورة الأعراف		
215	12	﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا سَجَدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ... ﴾
215	18-13	﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا... ﴾
259	19	﴿ وَيَقَادِمُوا اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا... ﴾
225، 216	22-20	﴿ فَسَوَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِبَدَىٰ لُهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا... ﴾
226، 216	23-22	﴿ فَلَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا... ﴾
59، 216	27	﴿ يَبْنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ... ﴾
455	54-51	﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾
238	63.60	﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ... ﴾
125	65	﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ... ﴾

250	66	﴿ أَوْحَيْنَا أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرُنَا رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ... ﴾
250، 128	69	﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ... ﴾
251	71.70	﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَحْدَهُ... ﴾
258	74	﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ... ﴾
121، 258	76.75	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ... ﴾
259	77	﴿ فَعَقَرُوا التَّاقَةَ وَعَتَوْا عَن أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾
260	79	﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي... ﴾
326	82	﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ... ﴾
267	86-85	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ... ﴾
137	86	﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ... ﴾
269، 268	89.88	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ... ﴾
269	91	﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَضْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثَمِينَ ﴾
269	93	﴿ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي... ﴾
400	94-86	﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا... ﴾
423	105-104	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ... ﴾
160	107	﴿ فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾
390	116	﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ... ﴾
391	120-117	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ... ﴾
391	123-121	﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٦﴾... ﴾
391	123	﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ... ﴾
427	126-125	﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١١٧﴾... ﴾
394، 391	129-127	﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْدَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ... ﴾
128	129	﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ... ﴾
395	133-130	﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ... ﴾
395	135-134	﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ... ﴾
398	141-138	﴿ وَجَوْرْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ... ﴾
418، 120	142	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي... ﴾

481، 410، 399	143-142	﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ...﴾
399	148	﴿وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا...﴾
400	149	﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا...﴾
419، 400	151-150	﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضِبَ عَلَيْهِمْ عَظِيمًا...﴾
401	157-155	﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا...﴾
472، 407	157	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ...﴾
401	171	﴿وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَافِعٌ بِهِمْ...﴾
122	176-175	﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا...﴾
118	176	﴿فَأَقْصِبْ قَلْبُكَ لِالْفَقَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾
سورة الأنفال		
175، 81	31	﴿وَإِذْ نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا...﴾
سورة التوبة		
468	31- 30	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ أَبْنُ اللَّهِ...﴾
236	70	﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ...﴾
315، 303	114	﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ...﴾
سورة يونس		
162	16	﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ...﴾
239	72.71	﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ...﴾
387	75	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ...﴾
408، 389	78-76	﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ...﴾
390	81	﴿فَلَمَّا آلَقُوا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ...﴾
394	89-83	﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ...﴾
473، 396	92-90	﴿وَجُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ...﴾
282	98	﴿فَلَوْلَا كَأَنَّ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَفَعَلَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُوسُفَ...﴾
سورة هود		
176	7	﴿وَلَيْنِ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَتَّبِعُونَ مِنْ بَعْدِ أَلْمُوتِ...﴾
160	13	﴿فَاتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾

238	31 27	﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ... ﴾
239	34 32	﴿ قَالُوا يَبْنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْزَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا... ﴾
243 ، 240	40 36	﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ... ﴾
240	43 41	﴿ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَلَهَا... ﴾
243 ، 240	44	﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِءَ أَقْلَبِي... ﴾
289 ، 240	49 48	﴿ قِيلَ يَبْنُوحُ أَهَيْطَ بِسَلْمِ مَتَا وَبَرَكَتِ عَلَيْكَ... ﴾
169	49	﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ... ﴾
296 ، 250	52-50	﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ... ﴾
250	57 53	﴿ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ... ﴾
252	60-58	﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ... ﴾
257	61	﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ... ﴾
258	63 62	﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْحُومًا قَبْلَ هَذَا... ﴾
310 ، 259	65	﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ... ﴾
260	68-67	﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ... ﴾
354, 358 ، 342 ، 359	71	﴿ فَبَشِّرْهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَأَيْهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾
327	76-74	﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ... ﴾
345 ، 308	76-69	﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا... ﴾
328	80-78	﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ... ﴾
267	86	﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ ﴾
268	87	﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ... ﴾
268 ، 120	90 88	﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي... ﴾
268	91	﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا نَقُولُ... ﴾
269	93 92	﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهَيْتُمُ أَنْزِلْتُ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ... ﴾
269	94	﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ... ﴾
397	99-96	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ... ﴾
117	100	﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ... ﴾
160 ، 124	120	﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنثِثُ بِهِهٖ فُؤَادَكَ... ﴾

سورة يوسف		
364	1	﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾﴾
364، 156، 129، 118	3	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾
418، 355	5	﴿قَالَ يَبْنَئِي لَأَتَقُصَّصَ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا..﴾
359، 355، 347 365	6	﴿وَيُتِمُّ بِعَمَتِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ..﴾
167، 140	16	﴿وَجَاءَهُمْ آيَاتُنَا لَيْلًا وَأَنبَأَهُمُ الْمَلَأُ الْأَعْيُنَ أَنَّهَا لَأَيُّهَا لَيْلًا وَجَاءَهُمْ آيَاتُنَا لَيْلًا وَأَنبَأَهُمُ الْمَلَأُ الْأَعْيُنَ أَنَّهَا لَأَيُّهَا لَيْلًا﴾
366	18-7	﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَّالِينَ...﴾
356	18	﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...﴾
379، 366	22-19	﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ...﴾
379، 367، 131	24-23	﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ...﴾
368	35-30	﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا...﴾
369	42-36	﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ...﴾
355	38	﴿وَاتَّبَعَتْ مَلَأَةً أَبَاءَ إِبرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾
370	57-43	﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...﴾
167، 140	45	﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ...﴾
379	51	﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ...﴾
379	54	﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾
379	55	﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴿٥٥﴾﴾
425 371، 390	68-58	﴿وَجَاءَ إِخْوَتُهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ...﴾
379	59	﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾
356	64	﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ...﴾
356	67-66	﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ...﴾
356	68	﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ...﴾
372	81-69	﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ...﴾
379	78	﴿فَخُذْ أَسَدْنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾
409	83	﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا...﴾
356، 373	87-83	﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾

357	87-86	﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّزَ إِلَى اللَّهِ...﴾
374	93-88	﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ...﴾
375، 357	101-94	﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ...﴾
357	96	﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
357	98	﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي...﴾
234	109	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾
131، 122	111	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾
سورة الرعد		
282	26	﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾
سورة إبراهيم		
236	9	﴿الَّذِينَ يَأْتِيَكُمُ النَّبِيُّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ...﴾
260	9-8	﴿وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ...﴾
391، 361، 323-309	35	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا...﴾
323، 339	41-37	﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ...﴾
359، 332	39	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ...﴾
سورة الحجر		
204	7	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾﴾
213	28	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ...﴾
221	29	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾
232	48	﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴿٤٨﴾﴾
359، 342	53	﴿وَبَشِّرْهُمْ بِاسْحَاقَ بَيْتًا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٥٣﴾﴾
327	66-61	﴿فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ...﴾
328	72-67	﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ...﴾
328	77-73	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ...﴾
364، 318	79-78	﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمْ...﴾
257	80	﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾
سورة النحل		

175 ، 171	24	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمَ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ... ﴾
175	30	﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبِيرٌ ﴾
162	103	﴿ وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ... ﴾
322 ، 311	122-120	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ... ﴾
322	123	﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا... ﴾
سورة الاسراء		
240	3	﴿ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلَتَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾
421	55	﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴾
490	85	﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي... ﴾
395	102-101	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ... ﴾
سورة الكهف		
536 ، 491	12-9	﴿ أَمْرٍ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيِّمِ... ﴾
126	11	﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾
177 ، 117	13	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾
492	16-13	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ... ﴾
493	19	﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾
493	20	﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ... ﴾
493	21	﴿ وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا... ﴾
494	22	﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ... ﴾
494	24-23	﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا... ﴾
500 ، 495	25	﴿ وَلِيَسْأَلُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾
495	26	﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غَيِّبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾
501	70-60	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آتِجْ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ.. ﴾
112	64	﴿ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾
502	78-71	﴿ فَأَنْظَلْنَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا... ﴾
502	82-79	﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ... ﴾
509	98-83	﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا... ﴾

510	88-86	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ... ﴾
510	92-90	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ... ﴾
511	98-92	﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ ... ﴾
سورة مريم		
451	6-1	﴿ كَهَيْعَتِ ﴿٩٩﴾ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ... ﴾
355	6	﴿ يَرِيئُفٍ وَيُرِيءُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾
455 ، 451	7	﴿ يَذْكُرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ... ﴾
452	9-8	﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ... ﴾
452	11-10	﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً ... ﴾
457	15-12	﴿ يَتِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ... ﴾
461	21-16	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ... ﴾
479	17	﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾
479	19	﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾
462	26-22	﴿ * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ... ﴾
463	29-27	﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ مُّؤْتَمِرٌ ... ﴾
463	35-30	﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ... ﴾
476	34	﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾
145 ، 314 ، 303	50-41	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ... ﴾
358 ، 354 ، 346	49	﴿ فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾
418	53	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ تَحْتِنَا آخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾
339 ، 332	54	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِذْ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ... ﴾
339	55	﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ... ﴾
385 ، 274 ، 229 ، 233	57-56	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾
391		
235 ، 232	57	﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾
240	58	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ ءَادَمَ ... ﴾
سورة طه		
385	10	﴿ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ... ﴾

386	23-11	﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ...﴾
160	20	﴿قَالَ لَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾
386	21	﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا...﴾
417، 387	37-25	﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي...﴾
444، 387	41-38	﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾...﴾
418، 387	48-42	﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِعَايَتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي...﴾
388	55-49	﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوَسَىٰ...﴾
389	60-56	﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِعَايَتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ...﴾
390، 112	64-61	﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلِكُومُ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾
390	69-65	﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِي وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى...﴾
391	71	﴿فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِمَّنْ خَلَفَ...﴾
392	76-72	﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتِ...﴾
396	79-77	﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي...﴾
399	85-83	﴿* وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَىٰ...﴾
418، 400	94-86	﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا...﴾
400	98-95	﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِيرِيُّ ﴿٩٥﴾...﴾
144	116-115	﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَىٰ...﴾
، 226، 216	121-117	﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ ﴿١١٨﴾...﴾
163	133	﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ...﴾
سورة الأنبياء		
232	34	﴿وَمَا جَعَلْنَا لِإِبْرَاهِيمَ قَبْلَكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾
232	35	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾
306	58-51	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلِ...﴾
306	67-59	﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِعَالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ...﴾
307	70-69	﴿فَلَمَّا يَنزَلُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ...﴾
397، 308	73-71	﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ...﴾
346، 358، 354	72	﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً...﴾

327	75-74	﴿وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾
434، 425، 424	79-78	﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ...﴾
439	82-81	﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ...﴾
278، 275	84-83	﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ...﴾
333، 294، 229	85	﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾
283، 282	88-87	﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا...﴾
455، 516	90-89	﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا...﴾
461	91	﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا...﴾
511	96	﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ...﴾
471	98	﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ...﴾
121	105	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ...﴾
سورة الحج		
310	27-26	﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ...﴾
266	78	﴿مَلَّةَ أَيْكُمُ الْبِرَّهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ...﴾
سورة المؤمنون		
238	25	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَضُّوا بِهِ...﴾
259	38-33	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ...﴾
389، 259	40-39	﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ...﴾
260	41	﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُنُاقًا...﴾
418، 424	48-45	﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾
479	50	﴿وَجَعَلْنَا آتَانَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ عَابَةً وَعَاوَيْتَهُمَا إِلَىٰ رُبُوعٍ...﴾
172	68	﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾
سورة الفرقان		
176، 175	6-5	﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّىٰ عَلَيْهِ...﴾
418	36-35	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ...﴾
سورة الشعراء		
453	14-12	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٤﴾﴾
140، 388	22-18	﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِئْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِينِينَ...﴾

388	28-23	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ ... ﴾
389	33-29	﴿ قَالَ لَيْنِ أَخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ... ﴾
389	37-34	﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ... ﴾
390	42-38	﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ... ﴾
390	45-43	﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ... ﴾
391	49-46	﴿ قَالَتِ السَّحَرَةُ لَسَجِيدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ... ﴾
391	51-50	﴿ قَالُوا لَا ضَيْرٌ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ... ﴾
396	68-52	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِيَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ... ﴾
246	66	﴿ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾
304	89-69	﴿ وَأَنْتَل عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ... ﴾
238	116.111	﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ... ﴾
251	135-128	﴿ أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَأَيُّهُ تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ... ﴾
258	152.146	﴿ أَتَنْتَكُونَ فِي مَا هَلَهْنَا ءَأَمِينِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ... ﴾
251	138-136	﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ... ﴾
259	156.153	﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ... ﴾
326	169-162	﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ... ﴾
271	176	﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾
306، 267	184.177	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ... ﴾
269	185	﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ ﴾
269	187	﴿ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
269	189	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ... ﴾
174	196	﴿ وَإِنَّهُمْ لِنَبِيِّ زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾
سورة النمل		
385	7	﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ إِنِّي ءَأَنْتُمْ نَارًا... ﴾
386، 160	10	﴿ يَكْفُرُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ أَلَيْسَ لِي بِعِزَّةٍ عِنْدَ رَبِّي وَلِيَّ مَعْنَىٰ... ﴾
434	16-15	﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ءَعْلَمًا... ﴾
434	19-17	﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ... ﴾

435	28-20	﴿ وَتَقَدَّرَ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهَدْهَدَ... ﴾
436	35-29	﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ... ﴾
436	41-36	﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِي ... ﴾
436 ، 146	44-42	﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ... ﴾
258	47-45	﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ آخَاهُمْ صَالِحًا ... ﴾
259	51 -48	﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَعْضُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ ... ﴾
201	68-67	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنَّا لَكُنَّا تُرَابًا ... ﴾
118	76	﴿ إِنَّ هَذَا الْقَوْمَ يَفُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ... ﴾
سورة القصص		
382	6-1	﴿ طَسَرَ ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ... ﴾
145	6	﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ... ﴾
383	13-7	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ... ﴾
384	21-14	﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا... ﴾
272	20	﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ... ﴾
385	28-22	﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي... ﴾
272	25	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ... ﴾
137	26	﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ ... ﴾
385	29	﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ... ﴾
385	30	﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطَنِ الْأَوْدِيِّينَ... ﴾
421	31	﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا... ﴾
422	32	﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْجُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ... ﴾
418 ، 422	35- 33	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ... ﴾
394	39-38	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ... ﴾
529	43	﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... ﴾
264	46	﴿ إِنذِرْ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ... ﴾
403	82-76	﴿ إِنَّ قَدْرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ... ﴾

سورة العنكبوت		
140، 245، 279،	14	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ...﴾
305	16-22	﴿وَأِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ...﴾
307	24	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ...﴾
307، 397،	26-28	﴿فَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي...﴾
346، 358	27	﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾
326	28-29	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتُنَّ أَلْفَ حِشَّةٍ...﴾
327	31-32	﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ...﴾
148	46	﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ...﴾
162	48	﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ...﴾
سورة السجدة		
262، 324، 325	3	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ...﴾
سورة الأحزاب		
236	7	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ...﴾
سورة سبأ		
425	10-11	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ آوِيٌّ مَعَهُ...﴾
440	12-14	﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ...﴾
76	28	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾
264، 325	44	﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا...﴾
سورة فاطر		
265، 266	24	﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿١٥﴾﴾
سورة يس		
264	6	﴿لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿١٠﴾﴾
528، 529	13-19	﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ...﴾
530	20-25	﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى...﴾
530	26-29	﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ...﴾

220	60	﴿الْمُرْءَاهَدُ إِلَيْكُمْ يَتَّبِعِي ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ...﴾
سورة الصافات		
213	11	﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ ءَأَمَرَ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا...﴾
306	93-83	﴿وَإِنَّ مَن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ..﴾
307	98-97	﴿قَالُوا أَتَبْنَا لَهُ، بَدِينَنَا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ...﴾
342، 345، 334، 310، 359، 345	113-101	﴿فَبَشِّرْهُ بِعُلْمٍ حَلِيمٍ ﴿١١٣﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ...﴾
332، 286	132.123	﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَتَقُونَ...﴾
329	138-133	﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ ﴿١٣٨﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ...﴾
282	148.139	﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ...﴾
سورة ص		
236	12	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾
431، 494، 426	26-17	﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ...﴾
429، 128	26	﴿يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ...﴾
433	30	﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾
438	40-30	﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ...﴾
445	34	﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ...﴾
281، 153.137، 275، 280	44-41	﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ...﴾
358، 357، 347	47-45	﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾
339، 333، 294	48	﴿وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾
213	71	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾
215	74-73	﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ...﴾
سورة الزمر		
398	23	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾
470	42	﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...﴾

سورة غافر		
236	5	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ... ﴾
219	17	﴿ الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ... ﴾
392، 387	27-23	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ... ﴾
393	35-28	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ... ﴾
260	31-30	﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ... ﴾
376	34	﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيْتِ... ﴾
393	37-36	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صَرِحًا.. ﴾
394	45-38	﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ أَتَّبِعُونَ... ﴾
397	50-45	﴿...وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٥٠﴾... ﴾
سورة فصلت		
250	15	﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً
203	42-41	﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاِبِتٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
سورة الشورى		
412	11	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
476، 357، 81، 236	13	﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَّصَّى بِهِ نُوحًا ﴾
76	52	﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾
سورة الزخرف		
307	28-26	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ... ﴾
408	46-45	﴿ وَنَسَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا... ﴾
396	56-46	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ... ﴾
472	60-57	﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ... ﴾
484، 471	61	﴿ وَإِنَّهُمْ لَجَائِرٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمَتَّرْنَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ﴾
476، 469، 465	65-63	﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ... ﴾
سورة الدخان		
397	33-25	﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونِ ﴿٣٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ... ﴾

سورة الأحقاف		
251	25-22	﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ الْهَيْبَةِ فَأَنتَ بِمَا تَعِدُنَا...﴾
سورة الفتح		
472	29	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾
سورة ق		
236	12	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾﴾
سورة الذاريات		
359، 309	30-29	﴿فَأَقْبَلَتِ أُمَّرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا...﴾
262	43	﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾
236	46	﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾
سورة النجم		
247	4	﴿إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾
219	40-39	﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾...﴾
236	52	﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾
329	54-53	﴿وَالْمُرْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّى...﴾
سورة القمر		
273	9	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِر...﴾
240	14.11	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾
258	26 23	﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ...﴾
259	28 27	﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِقْهُمْ وَأَصْطَبِرْ...﴾
307، 259	29	﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾
260	31	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٣١﴾﴾
328	37	﴿وَلَقَدْ رَوَدُوهُ عَن صَيْفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ...﴾
سورة الرحمن		
232	26	﴿كُلٌّ مِّن عَالِيهَا قَانٍ ﴿٢٦﴾﴾
سورة الحديد		
236	26	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ...﴾

سورة الممتحنة		
307	4	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾
سورة الصف		
482 ، 472	6	﴿ وَذَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِنَتِيَ إِتْمُوْا لِي إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ... ﴾
سورة التحريم		
221	6	﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾
327	10	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾
461	12	﴿ وَمَرِيَمَ أَمْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا... ﴾
سورة القلم		
283	50.48	﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخْتِ... ﴾
76	52	﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾
سورة الحاقة		
251	8-6	﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾... ﴾
330	9	﴿ وَالْمَوْئِدَةُ ﴿٩﴾ ﴾
176	43-40	﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ... ﴾
سورة نوح		
238	20-2	﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ... ﴾
239	28-21	﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُمْ... ﴾
246	26	﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَبَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾
سورة المزمل		
173	19	﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ﴿١٩﴾ فَمَن شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾
سورة النازعات		
397	26-15	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى... ﴾
سورة البروج		
533	11-4	﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ... ﴾
سورة الفجر		
256	8-6	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ... ﴾
سورة الفيل		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الراوي	متن الحديث
312	سمرة	أتاني الليلة آتيان فأتيانا على رجل طويل
376	أبو موسى الأشعري	أتى النبي أعرابي فأكرمه
428	عبد الله بن عمرو	أحب الصيام إلى الله صيام داود
218	أبو هريرة	احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم
406	أبو هريرة	احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم
318، 312	أبو هريرة	اختتن إبراهيم <small>عليه السلام</small> وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم
407	أبو هريرة	أرسل ملك الموت إلى موسى <small>عليه السلام</small>
362	ابن عباس	أقبلت يهود إلى النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> ، فقالوا
428	عمرو بن العاص	ألم أنبأ أنك تقوم الليل وتصوم النهار
310	عائشة	ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة
312	ابن عباس	أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم
419	إبراهيم بن سعد	أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى
338	ابن عباس	إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق
309	عبد الله بن زيد	أن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها
338	واثلة بن الأسقع	إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل
456	الحارث الأشعري	إنّ الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات
223، 214	أبو موسى الأشعري	إن الله تعالى خلق آدم من قبضة
247	أبو هريرة	إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا
512	عبد الله ابن عمر	إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور
296	عبد الله ابن عمر	أن الناس نزلوا مع رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> أرض ثمود
276	انس بن مالك	إن أيوب نبي الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> لبث في بلائه ثمان عشرة
310	ابن عباس	إن رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> لما قدم أبي أن يدخل البيت
261	عبد الله ابن عمر	أن رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> لما نزل الحجر في غزوة تبوك

439	عبد الله بن عمرو	أن سليمان بن داود ﷺ لما بنى بيت المقدس
439	أبو هريرة	إن عفريتاً من الجن تغلت علي البارحة
272	عبد الله بن عمرو	إن مدين وأصحاب الأيكة أمتان
405	أبو هريرة	إن موسى كان رجلاً حَيِّياً ستيراً
512	أبو هريرة	إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم
508	أبو هريرة	أنا أولى الناس بابن مريم
442	ابن عباس	أنا أولى بموسى منهم
467، 312	ابن عباس	إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً
503	ابو هريرة	إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء
428	ابو سعيد الخدري	إنما هي توبة نبي ولكني رأيتكم
372-335	ابن عباس	أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل
284	ابن عباس	أي واد هذا؟ فقالوا: هذا وادي الأزرق
149، 147	عبد الله بن عمرو	بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج
277	أبو هريرة	بيننا أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب
521	انس بن مالك	ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح
470، 455	انس بن مالك	ثم صعد حتى إذا أتى السماء الثانية
348	أنس بن مالك	ثم مررت بإبراهيم فقال: مرحباً بالنبي الصالح
428	ابن عباس	جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله
312	أنس بن مالك	جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية
421	أبو هريرة	حُفِّفَ علي داود ﷺ القرآن فكان يأمر بدوابه
214	أبو هريرة	خلق الله ﷻ التربة يوم السبت
214	أبو هريرة	خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً
460	علي بن أبي طالب	خير نسائها مريم ابنة عمران
214	أبو هريرة	خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة
317	أبو هريرة	دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها
283	سعد	دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت
513	النواس بن سمعان	ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة

474	أبو هريرة	رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له: أسرقت؟
405	ابن عمر	رأيت عيسى وموسى وإبراهيم
473	ابن عمر	رأيت عيسى وموسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر
405	ابن عباس	رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طويلا
156	عمرو بن شريد	ردفت رسول الله ﷺ يوما
464	العوام بن حوشب	سألت ابن عباس: من أين سجدت؟
341	عائشة	سألت النبي ﷺ عن الجدر أمن البيت
522	حذيفة بن اليمان	سألت رسول الله ﷺ، عن يأجوج ومأجوج
259	عبد الله بن زمعة	سمعت النبي ﷺ وذكر الذي عقر الناقة
513	النواس بن سمعان	سيوقد المسلمون من قسيِّ يأجوج ومأجوج
237، 225	ابن عباس	صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ
473	جابر	عُرِضَ عليّ الأنبياء
412	أنس بن مالك	فأتينا السماء الثالثة، قيل: من هذا
419	أنس بن مالك	فأتينا السماء الخامسة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل
230، 377، 216	أنس بن مالك	فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري
406	أبو هريرة	فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله
241	أبو هريرة	فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل
512	قتادة	قال رجل للنبي ﷺ رأيت السدّ مثل البرد المحبر
438	أبو هريرة	قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفنّ الليلة
554	أبو سعيد الخدري	قال: يقول الله تعالى يا آدم فيقول: لبيك وسعديك
476	أبو الدرداء	قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: "أعوذ بالله منك
241	ابن عمر	قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله
502	ابن عباس	قام موسى النبي خطيبا في بني إسرائيل
402	أبو هريرة	قيل لبني إسرائيل
295	ابن عمر	كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله
237	ابن عباس	كان بين آدم ونوح عشرة قرون
252	عائشة	كان رسول الله ﷺ، إذا رأى مَحِيلَةَ في السماء، أقبل

452	أبو هريرة	كان زكريا نجارا
534	صهيب	كان مَلِك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر
364، 355، 312	عمر	الكريم ابن الكريم ابن الكريم
460	أبو موسى الاشعري	كُمُل من الرجال كثير
383	أبو موسى	كُمُل من الرجال كثير ولم يكُمُل من النساء إلا
423	البراء	كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث
217	أبو هريرة	كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرغ إليه الذراع
471	أبو هريرة	كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم
512	زينب بنت جحش	لا إله إلا الله ويل للعرب من شر اقتراب
398	أبو هريرة	لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون
261	عبد الله ابن عمر	لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم
148	جابر	لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم
148	أبو هريرة	لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
468	ابن عباس	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم
293	أبو بكر النقاش	لا يبقى على رأس مائة سنة
283	ابن عباس	لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى
463	أبو هريرة	لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة
306	أبو هريرة	لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين
396	ابن عباس	لما أغرق الله فرعون
215	انس بن مالك	لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه
543	أبو هريرة	لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة قام في الناس
502	المغيرة بن شعبة	لما قدمت نجران سألوني
514	حذيفة بن اسيد	لن تكون أو لن تقوم الساعة حتى
370	أبو هريرة	لو لبثت في السجن ما لبث يوسف
512	ابو سعيد الخدري	ليُحجَّج البيت وليُعتمَرَ بعد خروج يأجوج ومأجوج
425	المقدام	ما أكل أحد طعاما قط
459	أبو هريرة	ما من بني آدم مولود إلا يمسه

434، 424	أبو هريرة	مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً
468	عبادة	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
284	أبو هريرة	من قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب
398	أبو سعيد	الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يُفريق
311	أبو هريرة	نحن أحق بالشك من إبراهيم
252	ابن عباس	نُصِرْتُ بالصِّبَا وأهْلِكْتُ عادًا بالدَّبُّورِ
307	أبو هريرة	هاجر إبراهيم <small>عليه السلام</small> بسارة، فدخل بها قرية
508	أبو موسى الأشعري	وإذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران
471	أبو هريرة	والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم
405	ابن عباس	وذكروا له الدجال بين عينيه مكتوب كافر
328	أبو هريرة	ورحمة الله على لوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد
473	أبو هريرة	ولقيت عيسى - فنعته النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> فقال - ربعة أحمر
230	أبو ذر الغفاري	يا أبا ذر أربعة سريانيون، آدم وشيث ..
425	أبي موسى	يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود
237	أبا امامة	يا رسول الله أنبي كان آدم
312	أبو حميد الساعدي	يا رسول الله كيف نصلي عليك؟
364	أبو هريرة	يا رسول الله من أكرم الناس
217	انس بن مالك	يجتمع المؤمنون يوم القيامة
217	أبو هريرة	يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون
236	أبو سعيد	يجيء نوح وأمه فيقول الله تعالى هل بلغت
406	عبد الله ابن عباس	يرحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر
512، 218	أبو سعيد الخدري	يقول الله تعالى: "يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك
315، 303	أبو هريرة	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة

فهرس نصوص العهد القديم والعهد الجديد

الصفحة	رقم الفقرة	الاصحاح	السفر	بداية نص الفقرة
232	24	5	التكوين	وسار أخنوخ مع الله
527	4.1	6	التكوين	وحدث لما ابتداء الناس يكثرون على الأرض.
245	29.28	9	التكوين	وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة
245	11	7	التكوين	في سنة ست مئة من حياة نوح
317	17	12	التكوين	فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة
340	21	15	التكوين	ولما فرغ الماء من القرية طرحت الولد
340	16	16	التكوين	كان أبرام ابن ست وثمانين سنة ..
348	8	18	التكوين	وإذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا
340	9	21	التكوين	فكبر الولد وفطم، وصنع إبراهيم وليمة
343	2	22	التكوين	خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق
343	16	22	التكوين	إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر
362	25-24	32	التكوين	فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان
415	32-31	32	التكوين	وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل
411	12	2	الخروج	فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد
409	12-10	7	الخروج	وكما حدوت حدو الحية الواشية
441	34	4	الملوك الأول	وكان صيته في جميع الأمم حواليه
298	8	2	الملوك الثاني	وأخذ إيليا رداءه ولقه وضرب الماء فانفلق
279	1	1	ايوب	كان رجل في أرض عَوْصَ اسمه أيوب
277	20	1	ايوب	فقام أيوب ومزق جُبَّتَه، وَجَزَّ شَعْرَ رَأْسِهِ
278	3.1	3	ايوب	ليته هلك اليوم الَّذِي وُلِدْتُ فيه،

479	12	6	زكريا	هو ذا الرجل الغصن اسمه
518	25-5	1	انجيل لوقا	ثم أومأوا إلى أبيه، ماذا يريد أن يسمّى
453	64-62	1	انجيل لوقا	زكريا وهو كاهن من فرقة ألبيا
480	20-17	22	إنجيل لوقا	وأخذ خبزا وشكر وكسّر
531	30.27	11	أعمال الرسل	وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم

الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

فهرس الأعلام

- إبراهيم 118، 125، 134، 138، 141، 144، 168، 169، 186، 192، (302-351)، 354، 355، 357، 358، 359، 361، 376، 378، 405، 412، 413، 419، 466، 473، 539، 544.
- ابن عباس 89، 148، 154، 170، 224، 234، 237، 244، 252، 287، 292، 310، 312، 327، 335، 341، 342.
- ابن كثير: 151، 162، 171، 227، 233، 234، 237، 240، 246، 249، 260، 267، 272، 287، 337، 342، 346، 351، 454، 463، 479، 482.
- أحمد حسن الزيات 22
- إدريس 118، 165، 198، 213، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 249، 287، 293، 294، 296، 508.
- ادوارد سعيد 22، 23، 30، 37، 49، 67، 105.
- أربري 21، 46، 81، 103.
- آزر 206، 286، 303، 313، 314، 315.
- إسحاق 118، 145، 206، 211، 275، 302، 308، 309، 312، 318، 321، 333، 335، 339، 350-338.
- إسماعيل 145، 175، 212، 228، 275، 293، 296، 302، 309، 310، 313، 323، 324، 325، 332-345، 349، 350، 354، 359.
- اغناطيوس جويدي 21
- الألوسي 227، 265، 282.
- اميل درمنغهام 48، 84، 96، 101.
- أوجست موللر 100.
- اولجابنتو 50.
- إيزنبرغ 225، 313، 316، 317، 318، 319، 325، 347، 348، 349، 350.
- أيوب 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 296، 297، 301.
- بارتولد 35، 40.
- باننا 18، 51.
- براجشتراسر 65، 104.
- برنارد هيلر 241-246، 284، 285، 325، 329، 350، 360، 377-.
- 381-، 413، 407، 452، 453.
- بطرس المكرم 26، 35، 87.

،433 ،432 ،431 ،430 ،429	بلقيس 448 ،447 ،444 ،440
449 ،441 ،434	بول 272 ،270 ،265-261 ،255
دينه 53 ،48 ،36 ،31	273 ،283 ،289 ،290 ،345
الرازي 333 ،296 ،244 ،227	بيتر 116
رودي باريت 32 ،27 ،24 ،21	بيدرسون 220،294 ،196
،429 ،168 ،163 ،60 ،50 ،43	228 ،227 ،225 ،223 ،222 ،221
541 ،540 ،539 ،536	بيلات 253
ريتشارد سوذرن 26	تويني 81
ريجيس بلاشير 89 ،88 ،80 ،71	الثعلي 212 ،211 ،206 ،150
163	،246 ،241 ،228 ،224
ريموندو لوليو 28	،299 ،298 ،290 ،280،285
،451 ،450 ،444 ،355 ،355	،350 ،348 ،318 ،317 ،316
،456 ،455 ،454 ،453 ،452	539 ،508 ،447 ،453 ،413 ،377
486 ،460 ،459 ،458 ،457	جاك بيرك 73 ،63 ،48
،450 ،345 ،332 ،311 السعدي	جربرت 25
471 ،464 ،460 ،455	جوزيف شاخت 50 ،22
،45 ،28 ،25 سلفستر دي ساسي	جولدزيهر 79 ،78 ،67 ،66
48 ،47	98 ،94 ،90 ،84
،278 ،277 ،200 سليكسون	جويدي 51 ،21
281 ،280 ،279	حبيب النجار 533 ،532 ،531
،430 ،425 ،424 ،421 سليمان	خلف الله 176 ،175 ،174
،437 ،436 ،435 ،434 ،433	211-208
،441،442 ،440 ،439 ،438	الحوالي 192 ،262 ،261 ،226
،447 ،446 ،445 ،444 ،443	،315 ،266 ،264 ،263
449 ،448	داوود 223 ،423 ،422 ،421
44 ،28 ،21 سمايلوفيتش	،428 ،427 ،426 ،425 ،424

،530 ،500 ،495 ،348 ،347	سيد قطب 120، 127، 131، 132،
533، 532، 531	،134 ،139 ،144،145 ،158
غبريالي 51	،491 438، 433، 431، 357
غوستاف لوبون 48، 83	527، 493
فاجا 532، 531، 526	الشعراوي 333، 243، 230، 229
فايدا 329	شعيب 264، 276، 284، 301
فرانسوا ديبلوا 62	،302 ،303 ،304 ،305 ،306
فرانشيسكو 51	308، 307
فريدريش روكرت 50	شوراكي 79
فلوجل 38	الشوكاني 245، 287، 265، 289،
فنسك 41، 42، 180، 181، 184،	،332
،196 ،202 ،221 ،226 ،230	صالح 238، 240، 241، 242،
256،284 ،234 ،233 ،232 ،231	،243 ،276 ،284 ،292 ،293
،326 292، 291، 290، 289، 288	،294 ،295 ،296 ،297 ،298
،315 ،313 ،353 ،338	329، 303، 301، 299
،338 ،328 ،325 ،319،323	صموئيل زويمر 40
،358 ،344 ،342 ،341 ،339	الطبري 238، 247، 249، 258،
،416 ،414 ،363 ،362 ،360	،261 ،262 ،277 ،278 ،290
،499 ،498 ،496 ،495 ،486	،295 ،307 ،308 ،311 ،315
،506 ،505 ،504 ،503 ،500	،319 ،321 ،322 ،324 ،325
،521،522 ،514 ،508 ،507	،330 ،349 ،353 ،366 ،369
540 ،539 ،538 ،537 ،536 ،523	،531 ،532 ،533 ،534 ،537
،432 ،431 ،429 كارادي فو	،539 ،552 ،560 ،564 ،573
458 ،457 ،448 ،447 ،441 ،433	582، 583، 584، 593
كارل بروكلمان 41، 50، 73	عبد الأمير الأعسم 30
كارل بيكر 78، 50	عبد الوهاب النجار 192، 154، 200،
كارليل 113	،231 ،313 ،319، ،323 ،343

284، 290، 321، 355، 376،	الكسائي 413، 416، 417
383-425، 429، 450، 460،	كعب الأحبار 228، 232، 233،
463، 468، 487، 489	234، 257، 280، 350، 437،
ناجل 205، 206، 207، 208،	445، 447، 500، 502، 512،
211، 212	525، 530، 532
نجيب العقيقي 35	كوداتزي 50
نوح 118، 119، 209-213، 225،	لوث 290، 291
230، 234، 236، 237، 239،	لوط 276، 303، 310، 337،
240، 241، 242، 243، 244،	342، 343، 344، 362، 363،
245، 246، 247، 248، 249،	364، 365، 366، 367،
260، 268، 281، 327	لويس ماسينيون 48
نولدكه 50، 64، 65، 67، 78، 84،	مالك بن نبي 15
93، 92، 100، 154، 197، 230،	مايكل أنجلو 50
248، 270، 271، 325، 475،	متفوخ 514، 515، 516، 517،
515، 519، 546، 549	520
هاروت وماروت 489، 524، 525،	محمد أسد 53، 95
526، 527، 528	محمد فريد وجدي 230، 234،
هامر برجشتال 40	313، 319
هروجينيه 31	المسيح 353، 412، 429،
واط 46، 75، 85، 88، 85، 104،	462، 458، 464-487
الويس شبرنجر 43	مصطفى السباعي 25، 34، 79،
ولكر 441، 442، 443، 444،	مكسيم رودنسون 21، 29، 48،
445، 446، 447	67
وليم جونز 45	موسى 69، 159، 160، 166، 161،
يحيى 45، 450، 451، 452، 453،	168، 169، 177، 206، 209،
454، 455-458، 470،	210، 212، 214، 218، 223،
	233، 241، 260، 272، 283،

يعقوب 223، 297، 308، 312،
313، 318، 322، 333، 339،
342، 346، 347،
يوسف 233، 234، 312، 313،
328، 347، 354-380، 393،
415، 416، 429، 453، 484، 486،
بوليوس فلهاوزن 50، 69، 73

عبد القادر للعوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- هوتسما وآخرون، موجز دائرة المعارف الإسلامية، تر: إبراهيم زكي خورشيد، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998م.

الكتب

1. إبراهيم السكران، التأويل الحدائي للتراث، التقنيات والاستمدادات، دار الحضارة للنشر - السعودية، 2014م.
2. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر - بيروت، دط، 1415هـ .
3. إبراهيم عافية، قصص سورة الكهف في الديانات السماوية الثلاث، دار النوادر-دمشق، ط1، 2014م.
4. إبراهيم عوضين، البيان القصصي في القرآن الكريم، دار الأصاله للثقافة، ط1، 1990م.
5. أبو الحسن الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، ط3، 1986م.
6. أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، دط، دت ط.
7. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الفكر - بيروت، ط2، دت ط.
8. أبو الفضل عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، 2002م، دط.
9. أبو بكر ابن المنذر النيسابوري، كتاب تفسير القرآن، تح: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية - السعودية، ط1، 2002م.
10. أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة، دط، دت ط.
11. أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة، تح: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1405هـ.
12. أبو حيان التوحيدي، البحر المحيط في التفسير، (تفسير البحر المحيط)، ح: محمد صدقي جميل، دار الفكر - بيروت، دط، 1420هـ.
13. أبو داوود، سنن أبي داوود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت.
14. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي - بيروت، ط4، 1405هـ.

15. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة
16. أبي القاسم سليمان الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين للنشر والتوزيع - القاهرة، 1415هـ، دط.
1. أحمد ابن تيمية:
17. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تح: علي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره، دار الفضيلة الرياض، ط1، 2004م.
18. مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمان بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، 2004م.
19. أحمد بن حنبل في مسنده، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.
20. أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي الكبرى، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1991م.
21. أحمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تح: يوسف علي طويل، دار الفكر - دمشق، ط1، 1987م.
22. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، دط، 2002م.
23. أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ط1، 1946م.
24. أحمد جمال العمري، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط1، 1986م.
25. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، مطبعة النهضة - مصر، دط، 2004م.
26. أحمد رضا، معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، 1959م.
27. أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، دط.
28. أحمد شاكر، عمدة التفسير، دار المعارف - القاهرة، 1956م، دط.
- أحمد شهاب الدين ابن حجر العسقلاني:
29. الإصابة في معرفة الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - لبنان، دط، دتط.

30. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت، 1379م.
31. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تح: سعد بن ناصر الشثري، دار العاصمة، دار الغيث 8 السعودية، ط1، 1419هـ
32. أحمد فاضل السعدي، القراءة الأركونية للقرآن دراسة نقدية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي- بيروت، ط1، 2012م.
33. أحمد فرامرز قراملكي، مناهج البحث في الدراسات الدينية، دار المعارف الحكيمة-بيروت، ط1، 2004م.
34. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب -القاهرة، ط1، 2008م.
35. أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم دراسة نقدية، دار القلم، الرباط، ط1، 2009م.
36. ادوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع- القاهرة، 2006م.
37. أديسون ليتش، عقيدتنا اللاهوتية، تر: القس فهميم عزيز، دار الثقافة المسيحية -القاهرة، المطبعة التجارية الحديثة، ط2، 1977م.
38. آرثر. ج. آربري. المستشرقون البريطانيون. تعريب محمد الدسوقي النويهي. (لندن: وليم كولينز، 1946) أنولد تويني، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد الشبل، المركز القومي للترجمة- القاهرة، دط، 2011م.
39. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، بيت الحكمة العالمة- الجزائر، دط، دت ط.
40. أسعد رزق، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ط3، 1987م.
-إسماعيل ابن كثير:
41. البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط1، 1988م.
42. تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط2، 1999م.
43. قصص الأنبياء من القرآن والأثر، تح صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، ط1، 2003م.
44. إسماعيل احمد الطحان، لا أساطير في القرآن، بحث علمي، ددن، دط، ، دت ط.

45. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م.
46. اغناطيوس افرام الأول: اللؤلؤ المنثور في تاريخ الآداب والعلوم السريانية، قدم له ونشره غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، حلب، دط، 1996م.
47. اغناطيوس زكا الأول عيواص، بحوث تاريخية دينية أدبية، منشورات دير مار يعقوب البرادعي-لبنان، ط1، 1998م.
48. اغناطيوس يعقوب الثالث، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، بطريكية السريان الانطاكية -دمشق، 1966م.
-اغنتس جولدزيهر:
49. العقيدة والشريعة في الاسلام، تر: محمد يوسف موسى، طبعة مصر، ط1، 1946م.
50. مذاهب التفسير الإسلامي، تر: عبد الحليم النجار، دار اقرأ، ط2، 1983.
51. أكرم ضياء العمري، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، دار اشبيليا-الرياض، دط، 1997م.
52. إميل درمنغهام: حياة محمد، تر: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، ط2، 1949م،
-أنور الجندي:
53. الاستشراق، دار الاعتصام، دط، 1983م.
54. معلمة الإسلام، دار الصحوة- القاهرة، دط، 1991م،
55. مقدمات في العلوم والمناهج، دار الأنصار- القاهرة، دط، 1983.
56. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية-بيروت، ط1، 1957م.
57. برنارد لويس، العرب في التاريخ، تر: نبيه أمين فارس ومحمود زايد يوسف، دار العلم للملايين-بيروت، ط1، 1954م.
58. برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية-بيروت، ط2، 2002م.
59. بهجة عبد الغفور الحديثي، أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2009م.

60. التعليقات النقدية على كتاب دراسات محمدية، تر: الصديق بشير نصر، مركز العالم الاسلامي لدراسة الاستشراق-لندن، ط2، 2009م.

-التهامي نقرة:

61. القرآن والمستشرقون، بحث ضمن كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-تونس، ط1، 1985م.

62. سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع- تونس، دط، 1974م.

63. تودوروف، فتح أمريكا، مسألة الآخر، تر: بشير السباعي، سبنا للنشر، القاهرة، ط1، 1992م.

64. توماس كارليل، الأبطال وعبادة البطولة، تر: محمد السباعي، المطبعة المصرية بالزهر- مصر، ط3، 1930م.

1. تيودور نولدكه:

65. تاريخ القرآن، تر: جورج تامر، مؤسسة كونراد- بيروت ، ط1، 2004م.

66. تاريخ القرآن، منشورات الجمل - بغداد، 2007م، دط.

67. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م.

68. جعفر شيخ ادريس، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والاسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-تونس، ط1، 1985م.

-جلال الدين السيوطي:

69. الاتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.

70. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر- بيروت، 1993، دط.

71. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية ومطبعة عيسى البابي الحلبي-مصر، ط1، 1967م.

72. جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422 هـ.

73. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقبي، ط4، 2001م.

74. جورج طرابشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة -بيروت، ط3، 2006م.

75. جوستاف جرونباوم، حضارة الإسلام، تر: عبد العزيز جاويد وعبد الحميد العبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، ط1، 1994م.

76. جوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، دط، 2013م.
77. حسن حنفي، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط4، 1992م.
78. خالد عبد الله القاسم، مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، دار الصميعي- السعودية، ط1، 2010م.
79. خير الله رشك سعيد، الاستشراق منهجية التعالي على الشعوب، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة، بيروت-لبنان، السنة 26، ع 9، يوليو 1990م.
80. دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، الكتاب المقدس، مصر، ط1، 2003م.
81. داوود الأنطاكي، الزهرة، تح: إبراهيم السامرائي ونور حمود القيسي، مكتبة المنار-الزرقاء، ط2، 1985م.
82. الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية، -دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.
83. رضا محمد الدقيقي، كتاب تاريخ القرآن للمستشرق تيودور نولدكه ترجمة وقراءة نقدية، دار النوادر- الكويت، ط2، 2011م.
-رودي باريت:
84. الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الإسلامية، تر مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2011م.
85. محمد والقرآن دعوة النبي العربي ورسالته، تر: رضوان السيد، الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت، ط1، 2009م.
86. رياض العمري، مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ عرض وتقد في ضوء العقيدة الإسلامية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث- السعودية، ط1.
87. ريتشارد سوزن، صورة الاسلام في أوروبا في القرون الوسطى، تر: رضوان السيد، دار المدار الاسلامي، ط2، 2006م.
-ريجيس بلاشير:
88. القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، تر: رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ط1، 1974م.
89. تاريخ الادب العربي العصر الجاهلي، تر: إبراهيم كيلاني، دار الفكر- دمشق، دط، دت ط.

90. زينون كاسيدوفيسكي، الحقيقة والاسطورة في التوراة، الأبجدية للنشر-دمشق، دط، 1990م، ص52
91. ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، دار المدار الإسلامي-بيروت، ط1، 2002م.
-سامي عامري:
92. براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين، تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 2018م.
93. هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى، مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان، دتط،
94. سان كلير تسدل، المصادر الأصلية للقرآن، تر: عادل جاسم، منشورات الجمل-بيروت، ط1، 2019م
95. سعد الدين السيد صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الاسلام، مكتبة الصحابة-الشارقة، ط1، 1998م
96. سليمان محمد الجار د، عبد الراضي محمد عبد المحسن، محمد في أدبيات الفكر الغربي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة-الرياض، 1431هـ.
97. سليمان محمد الداكور، القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهج الكتابة فيه، دار النفائس-الأردن، ط1، 2018م.
98. سيد بن حسين العفاني، زهرة البساتين من مواقف العلماء والربانيين، دار العفاني، القاهرة، دتط.
99. السيد عبد المقصود عسكر، القصص القرآني اقناع وابداع، دار البشير للثقافة والعلوم-طنطا، ط1.
-سيد قطب:
100. التصوير الفني في القرآن، دار الشروق- القاهرة، دط، دت ط.
101. في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت، ط17، 1412هـ.
102. شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تح: احمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، 1964.
103. شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1415هـ.
104. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (العصر الجاهلي)، دار المعارف-مصر، دت ط، ط1.

105. صبحي عبد الحفيظ قاضي، قضايا معاصرة في الحضارة الإسلامية، التبصرة - السعودية، ط1، 1984م.
106. صلاح الجابري، الاستشراق قراءة نقدية، دار الأوائل - دمشق، ط1، 2009م.
- صلاح الخالدي:
107. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1983م.
108. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم - دمشق، 1998م.
109. طه حسين، في الأدب الجاهلي، الدار المصرية اللبنانية، دط، دت ط.
110. عائشة عبد الرحمن، تراثنا بين ماضٍ وحاضر، دار المعارف - القاهرة، 1968م، دط.
- عباس العقاد:
111. ما يقال عن الاسلام، مجموعة الاعداد الكاملة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1974م.
112. مطلع النور أو طوابع البعثة المحمدية، مؤسسة هنداوي - مصر، دط، 2013م.
113. عبد الجواد محمد الحمص، أباطيل الخصوم حول لقصص القرآني عرض ومناقشة، الدار المصرية - الإسكندرية، دط، 2000م.
114. عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1972م.
115. عبد الحق ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422هـ.
116. عبد الحليم محمود، أوروبا والإسلام، دار المعارف - مصر، ط4، دت ط.
117. عبد الحميد خالد سرحان، العقائد الإسلامية وإنجيل برنابا، مكتبة الصحابة الإسلامية - بيروت، ط1، دت ط.
118. عبد الراضي محمد عبد المحسن، ماذا يريد الغرب من القرآن، سلسلة تصدر عن مجلة البيان (الغرب والإسلام)، ط1، 2006م.
- عبد الرحمان ابن الجوزي:
119. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تح: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد باكستان، ط2، 1981م.
120. الموضوعات، تح: عبد الرحمان محمد عثمان، المكتبة السلفية - المدينة، ط1، 1966م.
121. عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار احياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418هـ.

122. عبد الرحمان الحاج، المناهج الحديثة في الدرس القرآني، مدارك ابداع، ط1، جوان 2011.
123. عبد الرحمان السعدي تيسير الكرمي الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
- عبد الرحمان بدوي:
124. مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، دط، 1963م.
125. عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين- بيروت، ط3، 1993م..
126. عبد الرحمان حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير- الاستشراق- الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه، دار القلم- دمشق، ط8، 2000م.
127. عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، سلسلة كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - قطر، ط1، 1411هـ، ع 27.
128. عبد القادر بخوش، مناهج الاستشراق المعاصر في الدراسات الإسلامية المعاصر، ط1، دار الضياء- الكويت، 2014.
129. عبد القادر بن شيبه الحمد، قصص الأنبياء، القصص الحق، مكتبة المعارف- الرياض، ط2، 2002م.
- عبد الكرم الخطيب:
130. التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي- القاهرة، دط، دت.
131. القصص القرآني في منظومه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، دار المعرفة للطباعة- بيروت، ط2، 1975م.
132. عبد الله ابن ابي داوود، كتاب المصاحف، تح: آرثر جفري، المطبعة الرحمانية-مصر، ط1، 1936م.
133. عبد الله بن محمد الهروي، منازل السائرين، دار الكتب العلمية-بيروت، دط. دتط.
134. عبد الله محمد الأمين النعيم، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات- بروكلمان- فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997م.
135. عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، مكتبة العبيكان، ط1، 1422هـ.
136. عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، دار احياء التراث العربي-بيروت، ط3، دت ط.
137. عدنان زرزور وآخرون، الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات، مركز الحكمة- قطر، دت ط.

138. علاء الدين الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1415هـ.
139. علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، دط، 1968م.
140. علي بن بطلال، شرح صحيح البخاري، تح: أبو تميم ياسر ابن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض، ط2، 2003م.
141. علي بن حنظلة، سمط الحقائق في عقائد الإسماعيلية، تح: عباس العزاوي، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1953م، ص 17-18
142. علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، دار الكتب العلمية -لبنان، دط، دت ط.
- عماد الدين خليل:
143. الاستشراق والسيرة، ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والاسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-تونس، ط1، 1985م.
144. مع القرآن في عالمه الرحب، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1979.
145. عمر بن ابراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد، دار طيبة - الرياض، دط، دت ط.
146. عمر سليمان الأشقر، صحيح القصص النبوي، دار النفائس-الأردن، ط7، 2007 م.
147. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط5، 1948م.
148. عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن -دراسة نقدية لمناهج المستشرقين-، مركز دراسات العالم الإسلامي-مالطا، ط1، 1991م.
149. عمر محمد عمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث-دمشق، ط1، 1993م.
150. غريغوريس أبو الفرج ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبناني-بيروت، ط2، 1994م.
151. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، دار احياء التراث العربي -بيروت، ط3، 1420هـ.
152. فراس السواح، دين الانسان بحث في ماهية الدين ونشأة الدافع الديني، دار علاء الدين، سوريا، ط4، 2002م.

153. فريد الأنصاري، أجدديات البحث في العلوم الشرعية، سلسلة الحوار 27، منشورات الفرقان — المغرب، ط1، ابريل 1997.
154. فضل حسن عباس، القصص القرآني إيجازاً ونفحاته، دار الفرقان عمان، ط1، 1987م.
155. فلهاوزن، تاريخ الدولة العربي، تر: عبد الهادي أبي ريدة، إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم- القاهرة، ط2، 1968م.
156. قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 1983م.
157. قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية في مملكة البحرين، الأسطورة توثيق حضاري، سلسلة عندما نطق السّرة، دار كيوان - سوريا، ط1، 2009م.
- كارل بروكلمان:
158. تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحلیم النجار، دار المعارف-مصر، ط4، دتظ.
159. تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت، ط5، 1968م.
160. كاظم الظواهري، بدائع الاضمار القصصي في القرآن، ددن، ط1، 1991م.
161. لويس جنزبرغ، أساطير اليهود، تر: حسن حمدي السماحي، دار الكتاب العربي، دمشق-القاهرة، ط1، 2007م.
162. مازن المطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الاسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1995م.
163. مجد الدين ابن الأثير، المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات، تح: إبراهيم السامرائي، دار الجليل - بيروت، دار عمار-عمّان، ط1، 1994.
164. مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1403هـ.
165. مجموعة من المؤلفين، موسوعة بيان الإسلام، القسم الأول: القرآن، دار نهضة مصر للنشر، مج: 6، ج9، ص54
166. محمد ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، 1993م.
-محمد أبو زهرة:
167. المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، دط، دت ط.

168. زهرة التفاسير، دار الفكر العربي-مصر، دط، دت ط.
169. محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة-القاهرة، ط4، دتط.
170. محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص العرب، دار احياء الكتب العربية، ط4، 1962م.
171. محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم دار سينا للنشر- القاهرة، ط4، 1999.
172. محمد أسد، الاسلام على مفترق الطرق، تر: عمر فروخ، مكتبة المنار بالكويت، ط7، 1974م.
173. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر-بيروت، دط، 1995م
174. محمد البشير مغلي، مناهج البحث في الاسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2002م
175. محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل (تفسير البغوي)، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر، ط4، 1997م.
176. محمد الذهبي، ميزان الاعتدال، تح: محمد علي البجاوي، دار المعرفة-بيروت، دط، دت ط
177. محمد الصالح الضاوي، أساطير الاولين، رؤية إسلامية مغايرة، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2011م.
178. محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر- تونس، ط1، 1984م.
179. محمد الغزالي. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. نخصة مصر- القاهرة، دط، دت ط.
180. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط2، 1973م.
181. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
182. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
183. محمد بن درويش، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، دار الكتب العلمية، دط، دت ط.
184. محمد بن صالح ابن عثيمين، أصول في التفسير، المكتبة الإسلامية، ط1، 2001م.

185. محمد بن عبود، منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، بحث ضمن كتاب (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-تونس، ط1، 1985م
186. محمد بن علي الشوكاني اليمني، فتح القدير (تفسير الشوكاني)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.
187. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، دط، 1998م.
188. محمد بن منظور المصري، لسان العرب، دار صادر-بيروت، ط1، دت ط.
189. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، بلاد العرب، دار النهضة العلمية-مصر، ط2، 1988م.
190. محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1418 هـ.
191. محمد حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة- القاهرة، ط1، 1970م.
192. محمد حسين أبو العلا، القرآن وأوهام المستشرقين، المكتب العربي للمعارف، مصر، ط1. دتط.
193. محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة- القاهرة، ط4، 1990م.
194. محمد خليفة حسن، اثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 1997م.
195. محمد خير رمضان يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، دار القلم والدار الشامية، ط2، 1994 م.
196. محمد خير محمود العدوي. معالم القصة في القرآن. دار العدوي -الأردن، ط1، 1988م.
197. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر، دط، 1990م.
198. محمد زيان عمر، البحث العلمي مناهجه وتقنياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 1983م.
199. محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، دار الهداية- مصر، دط، دت ط.

200. محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار محمد علي للنشر-تونس، و دار الفارابي-بيروت، ط2، 2005م.
201. محمد علي البار، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، دار القلم-دمشق، الدار الشامية-بيروت، ط1، 1990م.
-محمد علي الصابوني:
202. النبوة والأنبياء، مكتبة الغزالي-دمشق، مؤسسة مناهل العرفان- بيروت، ط3، 1985م.
203. صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر- القاهرة، ط1، 1997م
-محمد فتح الله الزيايدي:
204. الاستشراق أهدافه ووسائله-دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبة، ط1، 1998م.
205. ظاهرة انتشار الإسلام، المنشأة العامة للنشر-طرابلس، ط1، 1983م.
206. محمد قطب عبد العال، نظرات في قصص القرآن، مطابع رابطة العالم الإسلامي-مكة المكرمة، دت ط.
-محمد قطب:
207. منهج التربية الإسلامية، دار الشروق-بيروت، ط1، 1404هـ.
208. مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق- القاهرة، ط9، 2001م.
209. منهج الفن الإسلامي، دار الشروق بالقاهرة، ط6، 1983م.
210. محمد كامل حسن، القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية-الكويت، ط1، دت ط،
211. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم- مصر، دط، 1997م.
212. محمد محمد قاسم، المدخل الى مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية- بيروت، ط1، 1999م.
213. محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد-بيروت، ط10، 1413هـ.
214. محمد مصطفى، أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت-لبنان، ط2، 2017.
215. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف-الرياض، ط1، 1992 م.
216. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة-بيروت، ط7، 1979م.

217. محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة عالم المعرفة (ع 167)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، نوفمبر 1992م، دط
218. محمود توفيق محمد سعد، الإمام البقاعي جهاده ومنهجه وأويله بلاغة القرآن الكريم، مكتبة وهبة - القاهرة، ط1، 1424هـ
219. محمود جار الله الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407هـ.
- محمود حمدي زقزوق:
220. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف - القاهرة، دط، 1997م.
221. الإسلام في تصورات الغرب، مكتبة وهبة - القاهرة، ط1، 1987م.
222. الإسلام والغرب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، دط، دتط.
223. هموم الأمة الإسلامية، دار الكتاب البناني - بيروت، ط1، 2014.
224. محمود ماضي، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، دار الدعوة - الإسكندرية، ط1، 1996م.
225. مساعد بن ناصر الطيار، تفسير القرآن بالإسرائيليات نظرة تقويمية، ضمن كتاب مراجعات في الإسرائيليات، إعداد نخبة من الباحثين، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط1، 2015م.
226. مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء التراث العربي - بيروت، دط، دت ط.
227. مشتاق بشير الغزالي، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، دار النفائس، ط1، 2008م.
228. مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المكتب الإسلامي - بيروت، ط2، 1979م.
229. مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية: عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، منشورات المكتبة العصرية - بيروت، 1982م، دط.
230. مصطفى عبد الستار مول، القرآن الكريم في كتابات رودي باريت (كتاب محمد والقرآن) أمودجا دراسة تحليلية، اشراف عقيد خالد العزاوي، دار العصماء، ط1، 2014م.
231. مطهر ابن طاهر المقدسي، البدء والتأريخ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، دط، دتط.
232. مقبل بن هادي الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط4، 1987م.

-مكسيم رودنسون:

233. الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية، في تراث الإسلام (القسم الأول) تصنيف شاخت وبوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، أغسطس 1978م.
234. جاذبية الاسلام، تر: إلياس مرقص، دار التنوير، ط2، 2005م.
235. مناع القطان. مباحث في علوم القرآن. المجلد 13. مكتبة وهبة- القاهرة 2005م، دط.
236. موريس بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، تر: حسن خالد، المكتب الإسلامي، ط3، 1990م.

- مونتجمري واط:

237. الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998م.
238. الفكر السياسي الإسلامي، تر: احمد امين، دط، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1983م.
239. محمد في المدينة، تر: شعبان بركات، المكتبة العصرية- بيروت، دط، دت ط.
240. محمد في مكة، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ وحسين عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، دط، 2002م.
241. موهوب بن أحمد الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب، ط2، 1969م.
242. ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1، 1418هـ.
243. نجيب العقيلي، المستشرقون، دار المعارف -مصر، ط3، 1964م.
244. نذير حمدان، مستشرقون سياسيون جامعيون مجتمعيون، مكتبة الصديق- السعودية، ط1.
245. نزار اباضة- محمد رياض المالح، اتمام الاعلام، دار صادر -بيروت، ط1، 1999م.
246. هاشم صالح، الاستشراق بين دعائه ومعارضيه، دار الساقى - لندن، ط1، 1988م.
247. هنري لامانس، الإسلام، تر: بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1988م.
248. وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية - صنعاء، ط1، 1347هـ.
249. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، دار الفكر - دمشق، ط1، 1422هـ.

250. ياسين صلواتي وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2010م.

251. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر - بيروت، دط، دت ط.

252. يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2، 1392هـ.

253. يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين)، تر: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، ط2، 2001م.

الرسائل الجامعية:

1. إبراهيم زلافي، المقاربة الاستشراقية للقرآن الكريم، مع قراءة في كتاب جاك بيرك، رسالة دكتوراه، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان - الجزائر 2013/2014.

2. ايمان فرطاس، التفكير في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، رسالة ماجستير جامعة الامير عبد القادر قسنطينة، 2012-2013م.

3. جمال حجيرة، نقد المنهج التاريخي في دراسة القرآن الكريم، اشراف: مرزوق العمري، رسالة دكتوراه في العقيدة الاسلامية غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2016-2017.

4. سعيد عطية مطاوع، القصة بين القرآن الكريم والتوراة، اشراف: فتحي محمد أبو عيسى وعبد الرزاق أحمد قنديل، رسالة دكتوراه في اللغة العبرية وآدابها، جامعة الأزهر - مصر، 1990م، ص 25.

5. سليمان الطراونة، دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية، جامعة مؤتة - الاردن، 1992م.

6. سليمان محمد علي الداكور، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، جامعة اليرموك - الأردن. 2005 م.

7. عبد الباسط بلبول، القصص القرآني، رسالة دكتوراه غير منشورة، بجامعة الأزهر - القاهرة، ص 35.

8. عبير الحديدي، محمد السيد الصياد - رؤية الاجادا لداود وسليمان، رسالة الدكتوراه، جامعة عين شمس، 2002م، ص 71-73.

9. عوض عبد الرزاق محمد، القصص القرآني في سورة الكهف، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الإسلامية والعربية،

10. كوثر محمد سعيد، حادثة الأخدود بين المصادر العربية والمصادر القديمة دراسة تاريخية حضارية، اشراف: أحمد محمود صابون، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة ام القرى- السعودية، 2015م.
11. محمد صالح دبوبة القراءات القرآنية في دراسات المستشرقين، اشراف السعيد عليوان، رسالة ماجستير في القراءات القرآنية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2006م
12. محمد علي رضائي، جولة في دائرة معارف ليدن القرآنية، مجلة دراسات استشرافية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ع1، صيف 2014م، ص 197.
13. مدهش علي خالد احمد، الأهداف التربوية في القصص القرآني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة ام القرى- السعودية، 1989م،
14. مريم السباعي، القصة في القرآن الكريم، اشراف احمد احمد غلوش، رسالة دكتوراه تخصص الكتاب والسنة، جامعة أم القرى السعودية، 1404م.
15. مصطفى المسلواني، دراسات المستشرقين للسيرة النبوية "معضلة محمد" لريجيس بلاشير نموذجاً، أطروحة دكتوراه، دار الحديث الحسنية(الرباط)، 1998م.
16. يوسف سرطوط، المقاصد الشرعية للقصص القرآني وأثرها الفقهي، رسالة دكتوراه جامعة الحاج لخضر باتنة، اشراف: عبد القادر بن حرز الله، 2013-2014م، ص 57.

المجلات والدوريات

1. أحمد البهنسي، إشكال فهم النص القرآني في الدراسات الاستشرافية، دراسات استشرافية، ع2، خريف 2014م.
2. جابر قميحة، أثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، مجلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة- السعودية السنة العاشرة، ع 116، 1412هـ/1991م.
3. حسن عزوزي، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم، بحث ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشرافية، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف- السعودية، ط1، 2006م.
4. خنوس نور الدين، الخلفية الاستشرافية لمنهج النقد التاريخي للنص الديني عند محمد أركون، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع21، ديسمبر 2015.
5. شكري فيصل، الاستشراق المعاصر من الأزمة إلى تجاوزها، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، سوريا، ع139، سبتمبر 1973م.

6. عبد الأمير الأعسم، الاستشراق من منظور فلسفي عربي، مجلة الاستشراق-بغداد، مج1، 1987م.
7. عبد الحكيم فرحات، إشكالية تأثير القرآن الكريم بالأنجيل في الفكر الاستشراقي الحديث بحث ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف-السعودية، ط1، 2006م.
8. عبد الحلیم عویس، الغزو الثقافي في المجال التاريخي، مجلة المسلم المعاصر، ع47.
9. عبد النبي اصطيف، المعرفة الاستشراقية طبيعتها ووظيفتها، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة-سوريا، ع490، تموز 2004م.
10. فارس عزيز المدرس، زاهدة محمد الشيخ، الاستشراق قراءة في المنهج وقصدية الخطاب، مجلة أداب الرفادين، ع60، 2011م.
11. كارل هيرنيش بيكر، تراث الأوائل في الشرق والغرب، بحث منشور ضمن: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، دط، 1945م.
12. مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مجلة الفكر العربي، يونيو 1983، القاهرة، السنة الخامسة.
13. محمد توفيق حسين، الاسلام في الكتابات الغربية، مجلة عالم الفكر، العدد الخاص، دراسات اسلامية، وزارة الإعلام، الكويت، 1984م.
14. محمد جواد إسكندرلو، تاريخ الآيات والسور القرآنية في دراسات المستشرقين، نقد وتحليل، مجلة دراسات استشراقية، ع3، شتاء 2015.
15. محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، بحث ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف-السعودية، ط1، 2006م.
16. محمد رضا وصفي، مراجعة الاستشراق في مجلة الفكر العربي (ع31-32) 1983، مجلة افاق الحضارة الاسلامية، معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية، ايران، ع6، السنة الثالثة، ايلول 2000م.
17. محمد عامر مظاهري، منهج الاسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين-دراسة تحليلية منهجية-، بحث ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، مجمع الملك فهد للمصحف الشريف-السعودية، ط1، 2006م.

18. المولدي الأحمر، التاريخ المختلف ضرورة نقد الاستشراق وصعوبات بناء المعرفة البديلة (قراءة نقدية لكتاب: المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا)، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة، بيروت- لبنان، س34، ع 7 و8، مايو 1998م.
19. وجيه حمد عبد الرحمن، ترجمات إنجليزية لمعاني القرآن الكريم في ميزان الإسلام، بحث مشارك في ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم بالمدينة المنورة 1423 هـ.

مواقع الانترنت

1. https://fr.wikipedia.org/wiki/Max_Seligsohn. موقع ويكيبيديا بالفرنسية، H19:00، 2020 525
2. موقع الأنبا تكلا هيمنوت، تراث الكنيسة القبطية الارثوذكسية، <https://st-takla.org/> 23:00 2019-7-29
3. كريم عبد المجيد، هل اقتبس القرآن قصة «ذي القرنين» من أسطورة سريانية؟ موقع اضاءات: www.ida2at.com 2017/05/25 - 10:27 م

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة
18	الفصل التمهيدي: الاستشراق ومناهجه
18	تمهيد
18	المبحث الأول: نظرة عامة حول الاستشراق
18	المطلب الأول: مفهوم الاستشراق ونشأته
19	الفرع الأول: مفهوم الاستشراق
25	الفرع الثاني: نشأة الاستشراق
31	المطلب الثاني: دوافع الاستشراق ووسائله
31	الفرع الأول: دوافع الاستشراق
37	الفرع الثاني: وسائل الاستشراق
43	المطلب الثالث: مدارس الاستشراق
45	الفرع الأول: المدرسة الانجليزية
47	الفرع الثاني: المدرسة الفرنسية
48	الفرع الثالث: المدرسة الالمانية
50	الفرع الرابع: المدرسة الايطالية
51	المطلب الرابع: آثار الاستشراق وكيفية مواجهته
51	الفرع الأول: آثار الاستشراق
55	الفرع الثاني: كيفية مواجهته
58	المبحث الثاني: منهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم
58	المطلب الأول: مفهوم مناهج المستشرقين وأهمية المنهج
58	الفرع الأول: مفهوم مناهج المستشرقين

60	المطلب الثاني: أهم مناهج المستشرقين
60	الفرع الأول: المنهج التاريخي
66	الفرع الثاني: المنهج الفيلولوجي
71	الفرع الثالث: المنهج التحليلي
73	الفرع الرابع: المنهج المادي
77	الفرع الخامس: منهج الأثر والتأثر
83	المطلب الثالث: آليات المستشرقين في دراسة القرآن الكريم
83	الفرع الأول: آلية البناء والهدم
84	الفرع الثاني: آلية التأويل المتعسف
85	الفرع الثالث: آلية التعميم الخاطئ
85	الفرع الرابع: آلية النفي
86	الفرع الخامس: آلية الإسقاط
88	الفرع السادس: آلية التشكيك
91	الفرع السابع: آلية الانتقاء
93	الفرع الثامن: آلية المطابقة والمقابلة
94	المطلب الرابع: سمات عامة لمناهج المستشرقين
94	الفرع الأول: سيطرة الخلفية الفكرية الغربية عن الإسلام.
96	الفرع الثاني: غياب الموضوعية
98	الفرع الثالث: إثارة الشبهات والمطاعن على الإسلام:
99	الفرع الرابع: التصور الغربي للقضايا الإسلامية
101	الفرع الخامس: دراسة الإسلام من غير مصادره المعتمدة
102	الفرع السادس: عجز المستشرق عن تمثل الثقافة واللغة
104	الفرع السابع: عدم تخصص المستشرقين في علم الاستشراق

104	الفرع التاسع: النظرة المركزية الغربية
106	المطلب الخامس: موقف المسلمين من المنهجية الاستشراقية
111	الفصل الأول: مفاهيم عامة حول مصطلحات الدراسة
111	تمهيد
112	المبحث الأول: القصص القرآني
112	المطلب الأول: مفهوم القصص القرآني وأنواعه
112	الفرع الأول مفهوم القصص القرآني
118	الفرع الثاني: أنواع القصص القرآني
119	المطلب الثاني: أهداف القصص القرآني وخصائصه
119	الفرع الأول: أهداف القصص القرآنية
129	الفرع الثاني: خصائص القصص القرآني
135	المطلب الثالث: منهج القرآن في عرض القصة
136	الفرع الأول: عناصر القصة
142	الفرع الثاني: طريقة القرآن في عرض القصة
146	المطلب الرابع: شبهات عامة حول القصص القرآني
146	الفرع الأول: ربط الإسرائيليات بحقيقة القصص القرآني
152	الفرع الثاني: اقتباس القصص القرآني من الشعر الجاهلي
157	الفرع الثالث: شبهة التكرار في القصص القرآني
161	الفرع الرابع: شبهة اقتباس القصص القرآني من الأمم السابقة
170	الفرع الخامس: شبهة احتواء القرآن الكريم على الأساطير
178	المبحث الثاني: دائرة المعارف الإسلامية

178	مدخل تمهيدي: نظرة عامة عن دوائر المعارف
180	المطلب الأول: التعريف بدائرة المعارف الإسلامية وخصائصها
180	الفرع الأول: التعريف بدائرة المعارف الإسلامية
181	الفرع الثاني: خصائص دائرة المعارف الإسلامية
183	المطلب الثاني: إصدارات الدائرة وترجمتها العربية
184	الفرع الأول: إصدارات الدائرة
186	الفرع الثاني: الترجمة العربية للدائرة
188	المطلب الثالث: منهج كتابة موجز الدائرة وأبرز محريها
188	الفرع الأول: منهج كتابة موجز الدائرة
193	الفرع الثاني: أشهر محري مواد الدائرة
201	المطلب الرابع: موقف العلماء من الدائرة
204	الفصل الثاني: قصص أنبياء غير بني إسرائيل
205	مبحث تمهيدي: قصص الأنبياء في موجز الدائرة
213	المبحث الأول: قصص آدم، نوح، وإدريس عليهم السلام
213	المطلب الأول قصة آدم <small>عليه السلام</small>
213	الفرع الأول: آدم <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
218	الفرع الثاني: آدم <small>عليه السلام</small> في موجز دائرة المعارف الإسلامية
229	المطلب الثاني: قصة إدريس <small>عليه السلام</small>
229	الفرع الأول: إدريس <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
230	الفرع الثاني: إدريس <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
236	المطلب الثالث: قصة نوح <small>عليه السلام</small>
236	الفرع الأول: نوح <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة الصحيحة

241	الفرع الثاني: نوح <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
249	المبحث الثاني: قصص هود، صالح وشعيب عليهم السلام
249	المطلب الأول: قصة هود <small>عليه السلام</small>
249	الفرع الأول: هود <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
253	الفرع الثاني: قصة هود <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
257	المطلب الثاني: قصة صالح <small>عليه السلام</small>
257	الفرع الأول: صالح <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
261	الفرع الثاني: صالح <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
266	المطلب الثالث: قصة شعيب <small>عليه السلام</small>
266	الفرع الأول: شعيب <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
270	الفرع الثاني: شعيب <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
275	المبحث الثالث: قصص أيوب، يونس، إيلياس، وذو الكفل عليهم السلام
275	المطلب الأول: قصة أيوب <small>عليه السلام</small>
275	الفرع الأول: قصة أيوب <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
277	الفرع الثاني: أيوب <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
281	المطلب الثاني: قصة يونس <small>عليه السلام</small>
281	الفرع الأول: يونس <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
284	الفرع الثاني: يونس <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
286	المطلب الثالث: قصة إيلياس <small>عليه السلام</small>
286	الفرع الأول: قصة إيلياس <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم
287	الفرع الثاني: إيلياس <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة:
294	المطلب الرابع: قصة ذو الكفل <small>عليه السلام</small>
294	الفرع الأول: ذو الكفل في القرآن الكريم والسنة الصحيحة
296	الفرع الثاني: ذو الكفل في موجز الدائرة
302	المبحث الرابع: قصص إبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام

302	المطلب الأول: قصة إبراهيم <small>عليه السلام</small>
302	الفرع الأول: إبراهيم <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
313	الفرع الثاني: إبراهيم <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
326	المطلب الثاني: قصة لوط <small>عليه السلام</small>
326	الفرع الأول: لوط <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
329	الفرع الثاني: لوط <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
332	المطلب الثالث: قصة إسماعيل <small>عليه السلام</small>
332	الفرع الأول: إسماعيل <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
338	الفرع الثاني: إسماعيل <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
345	المطلب الرابع: قصة إسحاق <small>عليه السلام</small>
345	الفرع الأول: إسحاق <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم
347	الفرع الثاني: إسحاق <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
352	الفصل الثالث: قصص أنبياء بني إسرائيل
353	تمهيد
353	المبحث الأول: قصص يعقوب ويوسف عليهما السلام
354	المطلب الأول قصة يعقوب <small>عليه السلام</small>
354	الفرع الأول: يعقوب <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
358	الفرع الثاني: يعقوب <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
364	المطلب الثاني: قصة يوسف <small>عليه السلام</small>
364	الفرع الأول: يوسف <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة الصحيحة
377	الفرع الثاني: يوسف <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
382	المبحث الثاني: قصة موسى وهارون عليهما السلام
382	المطلب الأول: قصة موسى <small>عليه السلام</small>
382	الفرع الأول: موسى <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة الصحيحة
407	الفرع الثاني: موسى <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة

417	المطلب الثاني: قصة هارون <small>عليه السلام</small>
417	الفرع الأول: هارون <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
419	الفرع الثاني: هارون <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
421	المبحث الثالث: قصص داوود وسليمان عليهم السلام
421	المطلب الأول: قصة داوود <small>عليه السلام</small>
421	الفرع الأول: داوود <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
429	الفرع الثاني: داوود <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
433	المطلب الثاني: قصة سليمان <small>عليه السلام</small>
433	الفرع الأول: سليمان <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
441	الفرع الثاني: سليمان <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة:
450	المبحث الرابع: قصص زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام
450	المطلب الأول: قصة زكريا <small>عليه السلام</small>
450	الفرع الأول: زكريا <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة النبوية
452	الفرع الثاني: زكريا <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
454	المطلب الثاني: قصة يحيى <small>عليه السلام</small>
454	الفرع الأول: يحيى <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة الصحيحة
457	الفرع الثاني: يحيى <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
459	المطلب الثالث: قصة عيسى <small>عليه السلام</small>
459	الفرع الأول: عيسى <small>عليه السلام</small> في القرآن الكريم والسنة الصحيحة
474	الفرع الثاني: قصة عيسى <small>عليه السلام</small> في موجز الدائرة
489	الفصل الرابع قصص قرآنية أخرى في موجز الدائرة
489	المبحث الأول: قصص سورة الكهف في موجز الدائرة
490	المطلب الأول: قصة أصحاب الكهف
490	الفرع الأول: قصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم والسنة النبوية
495	الفرع الثاني: قصة أهل الكهف في موجز الدائرة
501	المطلب الثاني: قصة موسى والعبد الصالح

501	الفرع الأول: موسى والعبء الصالح في القرآن الكريم والسنة الصحيحة
503	الفرع الثاني: موسى والعبء الصالح في موجز الدائرة
509	المطلب الثالث: قصة ذو القرنين مع يأجوج ومأجوج
509	الفرع الأول: ذو القرنين ويأجوج ومأجوج في القرآن الكريم والسنة النبوية
514	الفرع الثاني: ذو القرنين ويأجوج ومأجوج في موجز الدائرة
524	المبحث الثاني: قصص قرآنية متفرقة
524	المطلب الأول: قصة هاروت وماروت
524	الفرع الأول: هاروت وماروت في القرآن الكريم والسنة النبوية
526	الفرع الثاني، هاروت وماروت في موجز الدائرة
528	المطلب الثاني: قصة أصحاب القرية
528	الفرع الأول: أصحاب القرية في القرآن الكريم والسنة النبوية
531	الفرع الثاني: أصحاب القرية في موجز الدائرة
533	المطلب الثالث: قصة أصحاب الأخدود
533	الفرع الأول: أصحاب الأخدود في القرآن الكريم والسنة النبوية
536	الفرع الثاني: أصحاب الأخدود في موجز الدائرة
542	المطلب الرابع: قصة أصحاب الفيل
542	الفرع الأول: حادثة الفيل في القرآن الكريم والسنة النبوية
545	الفرع الثاني: حادثة الفيل في موجز الدائرة
552	خاتمة
560	فهرس الآيات القرآنية
581	فهرس الأحاديث
586	فهرس نصوص العهد القديم والعهد الجديد
588	فهرس الأعلام
593	فهرس المصادر والمراجع
613	فهرس الموضوعات
621	ملخص بالعربية
623	ملخص بالإنجليزية

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الرؤية الاستشراقية لموضوع القصص القرآني من خلال موجز دائرة المعارف الإسلامية، وذلك بتتبع مختلف مواد الدائرة المتعلقة بشخصيات هذا القصص واستخدام المنهج التحليلي النقدي في عرض وتحليل الأفكار الواردة في موضوع القصص، وتتبع أهم الشبهات التي أثارها المستشرقون حول شخصيات هذه القصص والردّ عليها.

وقد قُسمت هذه الدراسة إلى أربعة فصول أساسية، وفصل تمهيدي للتعريف بالاستشراق وأهدافه ويكشف أهم مناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم، وتناول الفصل الأول مفاهيم عامة حول مصطلحات الدراسة المتعلقة بالقصص القرآني وأهم الشبهات المثارة حوله، وتعريف بموجز دائرة المعارف الإسلامية ومنهج كتابته، وأهم محرري مواده. أما الفصل الثاني فقد تمّ تخصيصه لدراسة الرؤية الاستشراقية لقصص غير بني إسرائيل في موجز الدائرة، وفي الفصل الثالث تعرضت الدراسة لقصص بني إسرائيل في موجز الدائرة، وتناول الفصل الرابع قصص غير الأنبياء المتعلقة ببعض الشخصيات والأقوام، وقد سُجّل تميز القرآن بتاريخ هذه الأحداث وجعلها أمثلة خالدة عبر تاريخ البشرية، باستنباط السنن الإلهية منها وكشف مكامن العبرة فيها.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة: هو تركيز المستشرقين على فكرة اقتباس القرآن من الكتاب المقدس للطعن في كل القصص القرآني، واستخدام آلية التشكيك في كل ما تفرّد به القرآن الكريم، وقد تعنتوا في استخدام القصص القرآني كدليل على أن مصدر القرآن من تأليف محمد وتعبير عمّا يعايشه مع قومه، واستثمروا في ذلك الاسرائيليات التي امتلأت بها كتب التفسير والتاريخ للتدليل على آرائهم، بانتقائهم للأخبار الشاذة والروايات الغريبة، وتأصيل أفكارهم من الدراسات السابقة للمستشرقين، وعدم الرجوع إلى المصادر الإسلامية الأصيلة. وبالنسبة للقصة في القرآن الكريم، فقد كانوا يمرون عليها مرور الكرام بإشارات إلى أرقام الآيات، وتلخيص موجز للفكرة العامة، مقارنة بما يوردونه من فرضيات وأساطير مختلفة. وقد كان لهذه الرؤية الاستشراقية أثرها السلبي على الدراسات الغربية عموماً وبعض الدراسات العربية والإسلامية خصوصاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير
مركز الدراسات والبحوث
الاسلامية
العلوم الإسلامية

جامعة الأميرة
عبد القادر للعالم الإسلامي

Abstract

This study aims to identify the Orientalist view of the Quranic stories topic through the summary of the Encyclopedia of Islam, by tracking the various articles of the department related to the characters of these stories and using the critical analytical method in presenting and analyzing the ideas contained in the articles of the stories, and tracking the most important suspicions raised by Orientalists about the personalities of these stories and respond to it.

This study has been divided into four chapters, an introductory chapter to define orientalism and its objectives and reveals the most important approaches of Orientalists in the study of the Holy Quran, the first chapter dealt with general concepts about the study terms related to the Qur'anic stories and the most important suspicions raised about it, and definition of Summary of the Encyclopedia of Islam and its writing approach, and the most important editors of its articles. As for the second chapter, it was devoted to studying the Orientalist vision of stories other than Israel in Summary of the Encyclopedia, and in the third chapter the study exposed the stories of the Israelites in Summary of the Encyclopedia, and the fourth chapter dealt with the other most important Qur'anic stories of some personalities and nations, and the uniqueness of the Qur'an was recorded by the history of these events and made them eternal examples throughout the history of mankind, and revealed the examples in them.

Among the most important findings of this study: The orientalists focus on the idea of quoting the Qur'an from the Bible to challenge all Quranic stories, and to use the mechanism of doubting everything unique to the Holy Qur'an. that the Qur'an is unique to, and you have been obstinate in using Qur'anic stories as evidence that the source of the Qur'an is written by Muhammad and the expression of what he is living with his people, and they invested in that Israeli, which was filled with books of interpretation and history to demonstrate their opinions, by selecting abnormal news and strange novels, and rooting their ideas from previous studies of orientalists, and not referring to authentic Islamic sources. As for the story in the Holy Qur'an, they used to go through it, with references to verse numbers, and a brief summary of the general idea, compared to the hypotheses and myths they invented. This Orientalist view has had a negative impact on Western studies in general and some Arab and Islamic studies in particular.

Democratic and Popular Republic Of Algeria
Ministry Of Superior Education and Scientific Research
Amir Abdelkader University Of Islamique Sciences – Constantine
Faculty Of Ossol Edin
Department Of El Kitab and El Sunnah

**Quranic stories in the Summary
of the Encyclopedia of Islam
-a critical analytical study-**

Thesis presented to get Scientific Doctorate Diploma in El kitab and El Sunnah
Specialty: El Tafssir and Olloum El Quran

Elaborated by The Student

Imene Fartas

Supervised by The professor doctor

Hadda Sabek

The Discussion jury members

Name and First name	Scientific Rang	Original University	Quality
Abd el azize Thabet	Doctor	Amir Abdelkader University	President
Hadda Sabek	Professor	Amir Abdelkader University	Supervisor
Abd el gani Aissoui	Doctor	Amir Abdelkader University	examiner
Nadia Oiznaji	Professor	El Hadj Lakhder Batna 1 University	examiner
Omar Hidoussi	Professor	El Hadj Lakhder Batna 1 University	examiner
Abd el Hamid Boukabache	Professor	Mohamed el Saddik ben yahya jijel	examiner

University Year 1441-1442 H/ 2020-2021